

فهرس المجلد الثامن والستين

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والستين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٦ جماد الثاني سنة ١٣٤٤

مستقبل القطر المصري

مرتبط بقطنهِ

الزارع يهتم بزراعتهِ والصانع بصناعتهِ والتاجر بتجارتهِ وحسناً يفعلون وقلما يُنتظر منهم ان يهتموا بمصالح البلاد العمومية التي يشترك فيها الجميع فان هذا الاهتمام بالمصالح العمومية متروك لنواب الامة ورجال حكومتها وهم غير متبرعين لهُ تبرعاً بل مأجورون لهُ يتقاضون رواتبهم شهراً بعد شهر لكي يقوموا بهِ

والمصالح العمومية التي تناط برجال الحكومة كثيرة كالصحة العمومية والتعليم العمومي وحفظ الحدود . ولكن اهمها كلها ما تبنى عليهِ هذه المصالح وهو ثروة البلاد — فالبلاد الفقيرة لا تستطيع ان تقوم بنفقات الجيوش والاساطيل ولا بالانفاق على التدابير الصحية ونشر التعليم العمومي ولا يكون لها شأن يذكر بين الامم

واساس الثروة الانتاج من الزراعة ومن الصناعة ومن المعادن اذا كان في البلاد معادن ومن استثمار الاموال في بلدان اخرى اذا كان في البلاد مال يزيد على حاجتها. ولما كان غرضنا الآن البحث في مستقبل القطر المصري رأينا ان نحصر هذا البحث في المصدر الاهم من مصادر الثروة وهو الزراعة لانها تكاد تكون المصدر الوحيد للثروة عندنا ولان نواب الامة ورجال حكومتها يهتمون بكل شيء اكثر مما يهتمون بها على ما يظهر كأنها فضلة زائدة او كأنهم لم يدركوا حتى الآن ان لا قوام لهذا القطر بدونها

ما يزرع في القطر المصري يقسم الى قسمين كبيرين الواحد « لمقطوعية» البلاد وهو القمح والذرة والفول والرز وقصب السكر والشعير والحلبة والبرسيم وما اشبه. والثاني للاصدار

وهو القطن والكتان . اما الكتان فلم تزل زراعتهُ ضيقة جدًّا فلا يعبأ بهِ عند النظر في ثروة البلاد واما القطن فهو اساس الثروة فاننا نصدرهُ كلهُ ونأخذ ثمنهُ من خمسين مليون جنيه الى ستين مليونًا او سبعين تشتري مصر ببعضها ما تحتاج اليهِ من المنسوجات والآلات والفحم الحجري والقمح وسائر الحاجيات والكماليات وتوفي بالبعض الآخر ربا دين الحكومة ودين السكان. فاذا حدث حادث سموي او ارضي امحل بهِ القطن او اغنى اوربا واميركا عنهُ ذهبت ثروة البلاد كلها وصارت من افقر بلدان المسكونة . واذا بقي القطن المصري مطلوبًا كما هو مطلوب الآن وبقي سعر القنطار منهُ يتراوح بين ثمانية جنيهات واثني عشر جنيهًا بقي القطر المصري في سعة . ولكن مَن يحفظ السعر بين هذين الحدين

اول ما يخطر على البال جوابًا عن هذا السؤَال هو قانون العرض والطلب . وهذا صحيح ولكن الذين يحيلون على هذا القانون ينسون انهُ ذو حدين ويجب النظر في كل حدٍّ منهما على حدة وايضاحًا لذلك نقول

يبلغ موسم القطن المصري سنويًّا ستة ملايين قنطار الى ثمانية تجنى كلها في شهرين من الزمان على الاكثر اي من اواسط سبتمبر الى اواسط نوفمبر واكثر اصحابهِ يحاولون بيعهُ حالما يجنونهُ ليوفوا بثمنهِ الاموال الاميرية وما عليهم من الديون ولان الحكومة تفرض عليهم ان لا يخزنوهُ من غير حلج لئلاَّ يتحول ما في بزرهِ من الدود فراشًا فتزيد بهِ ضربة الدودة القرنفلية . هذا من حيث العرض

والمعامل التي تشتري القطن وتغزلهُ وتنسجهُ تعمل على مدار السنة فتفضل ان تبتاعهُ رويدًا رويدًا يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر وهذا هو الطلب

فالعرض والطلب لا يأْتيان في وقت واحد فهما غير متكافئين . ومعلوم ان العرض اذا زاد على الطلب في وقت من الاوقات لزم عنهُ رخص المعروض حسب قانون العرض والطلب. ومن هذا الرخص الناتج عن زيادة العرض على الطلب قد تبلغ خسارة القطر ملايين كثيرة من الجنيهات . وليس في يد الفلاح دواءٌ لذلك لانهُ لا يستطيع ان يقسم قطنهُ اثني عشر قسمًا يعرض منها للبيع قسمًا واحدًا كل شهر ولا هو قادر ان يزرع القطن في كل شهور السنة كما يزرع الطماطم والفاصوليا حتى يستغل بعضهُ كل شهر بل هو مضطر ان يزرعهُ في شهر او شهرين ويجنيهِ في شهر او شهرين ويبيعهُ كلهُ حالما يجنيهِ بالثمن الذي يعرض عليهِ . وقليلون من كبار الفلاحين يخزنون قطنهم كلهُ او بعضهُ بضعة اشهر

فما هو الدواءُ لهذه الحالة اي حتى لا يزيد العرض على الطلب

هنا عمل عمومي لا يستطيعهُ السكان افراداً وهو ضروري جدّاً لا يمكن اهمالهُ وتحفظ بهِ ثروة البلاد. والاعمال العمومية منوطة بالحكومة لا تعفى منها بوجهٍ من الوجوه. ومصلحة البلاد المالية صار لها المقام الاول في كل الحكومات الراقية . قد يظهر لاول وهلة ان اهتمام الحكومات المالي مقصور على جمع الاموال من شعوبها لنفقاتها وربما كان الامر كذلك في السنين الغابرة ولا يزال في بعض الممالك المتاخرة اما الممالك الراقية فهمها الاكبر ان تزيد ثروة شعبها فيعلو مقامها وتزيد عزتها

لا نزال نتذكر ما كان يقولهُ لورد كرومر حينما تطلب مصالح الحكومة ان تزاد نفقاتها ولو لعمل نافع جدّاً كالتعليم العمومي فانهُ كان يقول يجب ان تنفق الاموال اولاً على الاعمال العمومية التي تزيد بها ثروة السكان ومتى زادت ثروتهم زاد دخل الحكومة فيسهل عليها حينئذٍ ان تنفق عن سعة على المنافع العمومية . وقد اصابت سياستهُ من هذا القبيل ولولاها ما استطاعت الحكومة المصرية ان تنفق الآن في السنة اكثر من مليون جنيه على التعليم العمومي بعد ان كانت تعجز عن انفاق مائة الف جنيه

وقد كنا في الصيف الماضي معتقدين تمام الاعتقاد ان الوزارة الحاضرة ناوية ان تقوم بهذا العمل العمومي حتى لا يهبط سعر القطن المصري عمّا يستحقهُ . والظاهر ان هذا كان اعتقاد اكثر التجار فكانوا يشترون القنطار بنحو خمسين ريالاً . وبعد التيا والتي قررت الوزارة ان تدخل سوق القطن ولكنها شرعت على اسلوب اقنع اصحاب القطن وتجارهُ انها غير جادة في عملها فكانت النتيجة ان هبط سعر القنطار نحو اثني عشر ريالاً ومن ذلك خسارة على القطر المصري تزيد على ستة عشر مليوناً من الجنيهات . ولا نكاد نجد كلاماً يفي بلوم الذين سببوا ذلك

ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

وقلما كانت الوزارات السابقة اكثر اهتماماً بمصلحة البلاد المالية من الوزارات الحاضرة فهل يجوز ان نترك الحال على ما هي الآن عليهِ

لو وثقنا ان العامل المصري الذي يزرع القطن ويرويهِ ويعزقهُ ويجمعهُ يبقى مكتفياً بغرشين الى خمسة غروش . ولو جاز ان نقنعهُ بالسخيف من العيش خبز من الذرة وقليل من السليق وثوب رث والمشي حافياً لبقي زارعو القطن في سعة ولو هبط سعرهُ الى ثلاثين ريالاً . ولكن اذا بلغت اجرة النفر في اليوم عشرة غروش او عشرين غرشاً كما ستبلغ يوماً ما وبقي مال الفدان ستة ريالات او سبعة واضيف اليها ما تأخذهُ مجالس المديريات

وضريبة الحكومة واجرة الخفر فاربعون ريالاً لا تكفي ثمناً لقنطار القطن . ولا عبرة برخص القطن الاميركي في جنب القطن المصري مع قلة محصول الفدان منهُ فان الاطيان هناك رخيصة جدًّا وتكاد تكون معفاة من الضرائب والزراعات واسعة واجور النقل رخيصة ولولا اعتماد زارعي القطن على السود واجورهم رخيصة لبطلت زراعتهُ من اميركا او لوجدنا ثمنهُ مضاعف ما هو الآن . والصادقون المنصفون من اصحاب معامل القطن يقولون ان سعر القطن المصري يجب ان يكون ثلاثة اضعاف سعر القطن الاميركي لانهُ يعدُّ معهم ثلاثة اضعاف القطن القصير الشعرة ولكن الانسان مطماع فاذا استطاع يكتسب عشرةً لم يعف عنها ويرتضي بخمسة وهذا شأن تجار القطن المصري واصحاب معامله فان ربحهم منهُ يكاد يكون خمسين في المائة فلا ينتظر منهم ان يعفوا عنهُ من تلقاء انفسهم

وصفنا الداء فيما تقدم فما هو الدواء

من الادوية ما يقصد بهِ تخفيف هذا الداء كالبنوك التي تقرض اصحاب القطن حتى لا يعرضوا قطنهم للبيع دفعةً واحدة وكاحتفاظ كبار المالكين بجانب من قطنهم حتى يباع على مدار السنة وكالنقابات الزراعية التي تقوم مقام البنوك من هذا القبيل

ولكن العلاج الشافي في يد الحكومة لان العمل عمومي لا يستطيعهُ الافراد فهو مطلوب منها. وقد دل الاختبار في هذه السنة وفي السنوات السابقة ان الحكومة لا تقوم بهذا العمل من تلقاء نفسها واذا دُفعت اليهِ تسير مترددة سير الخائف من سوء العاقبة كأنها تخشى تحمُّل المسؤولية . فلا يبقى الاَّ ان يكون الغرض الاول الذي يرمي اليهِ مجلس النواب التصميم على حماية القطن المصري حتى لا يزرع منهُ الاَّ ما تحتاج اليهِ المعامل ولا يعرض منهُ للبيع الاَّ ما تحتاج اليهِ شهراً بعد شهر . ولا ينتظر من النواب أن يجمعوا على ذلك و يتعصبوا لهُ الاَّ اذا كانوا هم من اصحاب القطن نعم ان محبة الوطن قد تدعو غيرهم الى مشاركتهم في ذلك ولكن ما من شيءٍ افعل في النفس من الربح والخسارة . فاذا كان نوابنا كلهم او اكثرهم من الملاَّك اصحاب القطن وجعلوا حفظ سعرهِ اهم اغراضهم فمستقبل البلاد المالي مكفول والاَّ فلا . ومتى كان المستقبل المالي مكفولاً فهو الكفيل بكل ما ينال بالمال من راحة وعزة

توت عنخ آمون

وحضارة عصره

هذه هي القصيدة العصماء التي جادت بها قريحة أمير الشعر الهمها اياهُ ما كشف المنقبون عنهُ اخيراً من مظاهر حضارة مصر في عهد الاسرة الثامنة عشرة وقد نقلناها عن « السياسة » باذن منشئها

درجتْ على الكنزِ القرونْ وأتت على الدنِّ السنون
خير السيوف مضى الزما نُ عليهِ في خيرِ الجفون(١)
في منزلٍ كمحجّبِ الغيب استسرّ(٢) عن الظنون
حتى أتى العلمُ الجسو رُ ففضّ خاتمه المصون
والعلمُ (بدريٌّ)(٣) أحلَّ لأهلهِ ما يصنعون
هتك الحجال على الحضا رةِ والخدورَ على الفنون
واندسّ كالمصباح في حُفَرٍ من الاجداث جُون(٤)
حُجَرٌ ممرّدةُ المعا قلِ في الثرى شُمُّ الحصون
لا تهتدي الريح الهبو بُ لها ولا الغيث الهتون
خانتْ أمانةَ جارها والقبرُ كالدنيا يخون

***

يا ابنَ الثواقبِ من (رَعٍ) وابنَ الزواهر من (أمون)(٥)
نسبٌ عريقٌ في الضحى بذّ(٦) القبائلَ والبطون
أرأيتَ كيف يؤوب من غمرِ القضاء المغرقون؟
وتدولُ آثارُ القرو نِ على رحى الزمن الطحون؟
حبٌّ الخلودِ بنى لكم خلقاً بهِ تتفردون
لم يأخذِ المتقدّمو ن بهِ ولا المتأخرون

(١) جمع جفن اي غمد السيف اشارة الى مدفن توت عنخ آمون
(٢) استسر توارى (٣) بدري: نسبة الى بدر وفي الاثر: ان اهل بدر مغفورة لهم هفواتهم (٤) سود (٥) رع وأمون: معبودان مصريان قديمان (٦) غلب

حتى تسابقتم الى الاحسان فيما تعملون
لم تتركوهُ في الجليل ولا الحقير من الشؤون
هذا القيامُ فقل لنا : اليومُ الاخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غاية زائلٍ فانٍ وانتم خالدون
السبقُ من عاداتكم أترى القيامةَ تسبقون ؟
أنتم أساطينُ الحضارةِ والبناةُ المحسنون
المتقنونَ وانما يُجزَى الخلودَ المتقنون

***

أنزلتَ حُفرةَ هالكٍ أم حجرةَ الملكِ المكين
أم في مكانٍ بينَ ذلكَ يدهش المتأملين
هو من قبور المتلفين ومن قصورِ المترَفين
لم يبقَ غالٍ في الحضارةِ لم يَحزْهُ ولا ثمين
ميتٌ تحيطُ بهِ الحياةُ ، زمانهُ معهُ دفين
وذخائرٌ من أعصرٍ ولَّتْ ومن دُنيا ودين
حملَتْ على العَجَبِ الزمانَ واهلهُ المستكبرين
فتلفَّتتْ باريسُ تحسبُ انها صنعُ البنين

***

ذهبٌ ببطنِ الارض لم تذهبْ بلمحتهِ القرون
استحدثتْ لك جندلا وصفائحًا منهُ القيون (١)
ونواوِساً وهاجةً لم يتخذْها الهامدون
لو يفطنُ الموتى لها سرَحوا الانامل ينبشون
وتنازعوا الذهبَ الذي كانوا لهُ يتفانون
أكفانُ وشيٍ فُصِّلتْ برقائقِ الذهبِ الفتينْ (٢)
قد لفَّها لفَّ الضمادِ محنطٌ آسٍ رزين
وكأنهنَّ كمائمٌ وكأنك الوردُ الجنين
وبكلِّ رُكْنٍ صورةٌ وبكل زاويةٍ رقين (٣)

(١) القيون : الصناع (٢) الفتين : المحرق (٣) الرقين : الرقيم وهو الكتاب

وترى الدُّمى فتخالها انتشرتْ على جنبات زون[1]
صورٌ تُريك تحرُّكاً والاصلُ في الصُّورِ السكون
ويروعُ رائع صمتها بالحسّ كالنطق المبين
صحبَ الزمانَ دهانُها حيناً عهيداً[2] بعد حين
غضٌّ على طول البِلَى حيٌّ على طولِ المنون
خدعَ العيونَ ولم يزلْ حتى تحدّى اللامسين
غلمانُ قصرِكَ في الرّكا بِ يُناوِلون ويطردون[3]
والبوقُ يهتفُ والسها مُ ترنُّ ، والقوسُ الحنون
وكلابُ صيدكَ لُهَّثٌ والخيلُ جُنَّ لها جنون
والوحشُ ينفرُ في السهو لِ وتارةً يثبُ الحزون
والطيرُ ترسفُ في الجرا ح وفي مناقرِها أنين
وكأنّ آباء البريـة في المدائن مُحضَرون
وكأن دُولةَ (آل شمـ سٍ[4]) عن شمالك واليمين

***

ملكَ الملوك تحيّةً وولاء محتفظ امين
هذا المقام عرفتُهُ وسبقتُ فيه القائلين
ووقفتُ في آثاركم أزن الجلال واستبين
وبنيتُ في العشرينَ من أحجارها شعري الرصين
سالتْ عيونُ قصائدي وجرى من الحجر المعين
أقعدتُ جيلاً للهوى وأقمتُ جيلاً آخرين
كنتم خيالَ المجد يُرْ فـعُ للشباب الطامحين
وكم استعرتُ جلالكم لمحمدٍ[5] والمالكين
تاجٌ تنقّلَ في الجيـا لِ فما استقرَّ على جبين
خرزاتهُ السيفُ الصقيـلُ يشدُّهُ الرمحُ السّنين[6]

(١) الزون معرض الاصنام (٢) العهيد : القديم (٣) يطردون : يزاولون الصيد
(٤) آل شمس : الفراعنة عباد رع اي الشمس (٥) الخديو محمد توفيق الاول
(٦) المسنون

قل لي: أحين بدا الشّرى(١) لك ، هل جزعت على العرين؟
آنستَ ملكاً ليس بالشاكي السلاح ولا الحصين
البرُّ مغلوبُ القنا والبحرُ مسلوبُ السفين
لما نظرتَ الى الديا ر صدفتَ بالقلب الحزين (٢)
لم تلقَ حولك غير (كرْ تر) (٣) والنطاسيّ المعين!
اقبلتَ من حجب الجلا ل على قبيلٍ معرضين
تاج الحضارة حين أشرقَ لم يجدهم حافلين
والله يعلم لم يرو ه من قرونٍ اربعين

***

قسماً بمن يحيي العظا مَ ، ولا ازيدكَ من يمين
لو كان من سفرٍ إيا بُكَ أمسِ او فتحٍ مبين
او كان بعثُكَ من دبيـب الرّوح او نبض الوتين(٤)
وطلعت من وادي الملو ك عليكَ غارُ الفاتحين
الخيلُ حولكَ في الجلا ل(٥) العسجدية ينثنين
وعلى نجادِكَ هالتا ن من القنا والدارعين
والجندُ يدفعُ في ركا بكَ بالملوكِ مصفَّدين
لرأيتَ جيلاً غير جيلِكَ بالجبابرِ لا يدين
ورأيتَ محكومين قد نصبوا وردُّوا الحاكمين (٦)
روحُ الزمان ونظمُهُ وسبيلهُ في الآخرين
إن الزمانَ واهلهُ فرغا من الفردِ اللعين
فاذا رأيت مشايخاً او فتيةً لك ساجدين
لاقِ الزمانَ تجدْهمو عن ركبهِ متخلفين
همْ في الاواخر مولداً وعقولهم في الأولين!

(شوقي)

---

(١) المأسدة (٢) اعرضت (٣) المستر هوورد كرتر الذي كشف المدفن
(٤) الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه (٥) جمع جل وهو غطاء الفرس
(٦) نصبوا وردوا: ولوا وعزلوا

فاطمة

القصة التي نالت جائزة المقتطف الاولى وقد نشرت بنصها

في حيٍّ من اكبر احياء العاصمة واكثرها عمراناً منزل يخيّم عليهِ السكون وتكتنفهُ الوحشة يُعرَف بالمنزل الخرب . خلا من سكانهِ من عهد بعيد واجمع شيوخ الحيّ وعجائزهِ على انهُ مثوى الشياطين وتقوّل الناس عليهِ اقاصيص الرعب فضرب الوهم عليهِ نطاقاً مظلماً في وسط هذا الحيّ المنير . وكان لهذا المنزل فناء واسع يدوي صباح مساء بأزيز الخفافيش و يتصل صداهُ بالمنازل القريبة منهُ فيزيد سكانها امعاناً في الرعب ومضياً في الاوهام

ففي ذات يوم امسى جيران هذا المنزل وقد عرتهم الدهشة واستحوذ عليهم الذهول ذلك ان رجلاً مجهولاً قد اتخذهُ مسكناً لهُ ووصفهُ من رآهُ بانهُ كهل وخطهُ الشيب دميم الوجه مقوّس الظهر زائغ البصر دخل المنزل عند الغروب يتوكأُ باحدى يديهِ على هراوة و يأخذ بيدهِ الاخرى زنجيٌّ منكر الصورة فلم يزد الناس الاَّ استيحاشاً وفزعاً وظنوا بالساكن الجديد الظنون وحسبوهُ ساحراً يروض الشياطين

وكان الرجل لا يبرح البيت الاَّ يوم الجمعة ليؤدّي فريضتها ثم يعود فلا يراهُ احد الاَّ في الجمعة التالية فتشيعهُ في ذهابهِ واوبتهِ غمزات الناس واستعاذتهم

بجانب هذا المنزل الموحش دار فخمة يسكنها مصري عظيم هو لطيف باشا مع زوجتهِ السيدة (نادر) وابنة لهُ في التاسعة عشرة من عمرها اسمها (فاطمة) فقدت امها منذ طفولتها . فاما الباشا فرجل في العقد الخامس قطع مراحل الحياة في اللهو والتبذير واتخاذ الزوجات مثنى وثلاث حتى سار الى الشيخوخة وهو يحمل اوزار شبابهِ و يتعثر بذيول سرفهِ واما زوجتهُ فامرأة سليطة متلاف تدلـــ عليهِ بشبابها وتبهظهُ بنفقات حلاها ولباسها وغواليها ولا تبالي بعد ذلك خربت الدار او عمرت وكان مأخوذاً بجمالها متغافلاً عن شططها مذعناً لرغباتها

واما فاطمة ففتاة وسيمة المحيا سوداء العينين مسترسلة الشعر ليس لها من روعة الشباب الاَّ حدّة النظر وتوقد الذهن وذكاء القلب اما ما بقي من مظاهر الشباب و بهجتهِ ونشوتهِ فقد ذهب بشطرهِ ذهاب امها الى القبر واتت زوج ابيها على الشطر

الثاني بما سامتها من صنوف الاذلال والاضطهاد .وهكذا شبّت فاطمة وقد ضرب عليها التيتم حجاباً تُرى حسناتها من خلالهِ ذنوباً ومحاسنها عيوباً فوطّنت نفسها من الصغر على الرضى بما قُسم لها واحتملت مرارة العيش راضية

وكان ابوها لا يزال مسترسلاً في سرفهِ وترفهِ فركبتهُ الديون وهو لا يدري وابتلعت املاكه شيئاً فشيئاً الى ان اتى اليوم الذي لا بد منهُ وهو يوم الافلاس فبيعت هذه الدار الفخمة بالمزاد وأُنذر باخلائها . ففي هذا اليوم فقط رفعت الغشاوة عن عينهِ فرأى هوة الفقر السحيقة تحت قدميهِ ولما ضاقت في وجههِ السبل ولم يجد خلاصاً من ورطتهِ احالها على المقادير وتهيأ لاخلاء الدار التي نشأ فيها وترعرع

وفي صباح اليوم التالي بينما سكان الدار على اهبة الرحيل واعينهم تفيض من الدمع والباشا يتمشى مطرقاً يترنح كالثمل وللحسرات في صدره شهيق وزفير اذ اقبل عليهِ ذلك الزنجي خادم الساكن الجديد فطلب ان يخلو بهِ ففعل الباشا . فقال الخادم ان سيدي ارسلني اليك في امر ذي بال

قال ومن سيدك

قال ألا تعرفني فانا سعيد خادم مختار افندي جارك الجديد . قال وما شأن هذا الرجل معي وقد اعتزل الناس واعتزلوهُ وانا على وشك الرحيل وما هي الا ساعة او بعض ساعة حتى ينقطع بيننا الجوار وهبني بقيت جاراً لهُ فان نفسي لا تميل لامثالهِ من المشعوذين

قال لا تتعجل سيدي بالحكم على رجل لم تعرفهُ حق المعرفة واعلم انني جئت مرسلاً من قبله لاخاطبك في امر هذه الدار . قال اني اصبحت لا املك من امرها شيئاً فلا حاجة بهِ الى مخاطبتي. قال اني اعلم ذلك فقد رسا مزادها على سيدي. قال وهل ارسلك لتستعجل رحيلنا منها اذن فاخبرهُ اننا خارجون وليطب نفساً بذلك

قال بل ارسلني لاطلب اليك ان تبقى فيها ولا ترحل

فحملق الباشا في وجه سعيد وهو لا يصدق ما يسمع وقال اني لا افهم ما تقول

قال اني اقول قولاً مفهوماً جليًّا فسيدي اصبح صاحب الدار ولكنهُ يريد ان ينزل لك عنها ويمدك فوق ذلك بخمسة آلاف من الجنيهات . قال اتسخر مني انت وسيدك

قال مهلاً سيدي واسمع بقية حديثي فان سيدي لا يعطي مالهُ عفواً بل يطلب منك مقابل ذلك ان تزوّجهُ من بنتك فاطمة

فقهقه الباشا وقال ان سيدك لمجنون كيف ازوج بنتي من شيخ مشعوذ كريه المنظر

ان الفقر احب الي مما تدعوني اليهِ. قال ارجو ان تفكر في الامر. فصرخ الباشا في وجههِ وقال اغرب عني ايها الاسود اللعين . ولكن سعيداً بقي مكانهُ

وسمعت زوج الباشا وابنتهُ صراخهُ فاسرعتا اليهِ فقص عليهما ما سمع وقد سكنت ثائرتهُ بعض الشيء ثم خيم السكون على الجميع ولم تستطع (نادر) مع اغتباطها بهذا الزواج الذي ينتشلها من هوة البؤس و يعيدها سيرتها الاولى من الاسراف والترف ولا يكلفها قليلاً ولا كثيراً ان تفوه بكلمة ولكن فاطمة قطعت اوصال هذا السكوت فتقدمت من ابيها تتوسل اليهِ ان يقبل ما عرضهُ سعيد وقالت : ابي اني رضيت بالرجل زوجاً فلا ترد هذه اليد التي تمدها الينا المقادير لنجاتنا من ورطة البؤس واني اقبل عن طيب خاطر ان اكون ضحية في سبيل انقاذ اسرتي من الضيم فاقبل ولا تتردد

ووجدت (نادر) مجال القول ذا سعة فحبذت قول فاطمة فلم يسع الباشا حيال الحاح (فاطمة) وتحبيذ (نادر) وما يتهدده من الفقر المدقع الاَّ القبول

وهكذا تمت الصفقة وعقد الزواج

***

دخلت فاطمة منزل زوجها خافقة القلب وقد اعدت عدتها لاحتمال الآلام وكان صدى ما يقال عن هذا المنزل الموحش وصاحبهِ الدميم الوجه يرن في اذنها وشبح الوحشة يتراءى لها عند كل خطوة تخطوها

فلما انفرد الزوجان اخذ (مختار افندي) بيد فاطمة فطاف بها على الحجرات والغرف فرأت فيها غير ما كانت تنتظر من رياش فاخر بديع وارائك مصفوفة ومشرفيات تظللها اشجار الياسمين وتتدلى عليها الورود والرياحين وكان شذى المسك يهب لطيفاً منعشاً والثريات البلورية ترسل نوراً هادئاً

وانتهى بهما المطاف الى قاعة واسعة تتوسطها نافورة يندفع الماء منها كاللؤلؤ المنثور فاجلسها الى جانبه وهي مأخوذة بما رأت ثم اخذ بكفها بين كفيهِ فشعرت بتيار بارد يسري في عروقها وارتعشت هذه الكف الناعمة رعشة احسَّها الزوج فابتسم وقال في دعة وتلطف : عسى ان يكون في منزلك الجديد ما تطيب بهِ نفسك و يذهب بوحشتك • وكان صوتهُ رخيماً ولفظهُ عذباً خلاَّباً كانهُ صوت شاب في روعة الصبا فاعاد الى فاطمة حرارتها فرفعت رأسها كانما افاقت من حلم عميق ونظرت اليهِ فاذا نذير الشيخوخة يصيح

بجانب لحيتهِ واذا انفهُ (والانف عنوان الوجه) غليظ معقوف كالمنقار فارتد اليها بصرها كاسفاً وعادت الى اطراقها محزونة

وعاد هو الى ابتسامهِ الحلو وحديثهِ المعسول فقال: ثقي انك انتقلت من دار والدك الى دار فيها الحنان والعطف وما شئت من بذخ ونعيم انت فيها الآمرة الناهية والحاكمة المطاعة ولن يكون لي عليك من سلطان الاَّ ما اذنتِ فيهِ وتفضلتِ بهِ فهل يرضيك هذا

وفيما هو ينطق بذلك كانت فاطمة تسائل نفسها كيف تخرج هذه الكلمات التي تقطر شباباً وتفيض عذوبة من فم تحتهُ هذه اللحية الشمطاء وفوقهُ ذلك الانف المخيف ثم اعادت كرَّة النظر الى وجههِ ولكن بعين الرضى فاذا جبين وضاح تحتهُ عينان تفيضان ملاحة وعطفاً اما ما بقي من لحية وانف فقد كلَّ عن رؤيتهِ نظرها فاطرقت في هذه المرة اطراقة الخجل الذي يعتري الفتاة عند ما يلتقي لحظها بلحظ الزوج وهما في اول خلوة وكان ذلك اول عهدها بشعور الزوجية

وفي منتصف الليل قبَّلها زوجها وانصرف الى غرفة نومهِ

وقضت فاطمة ما بقي من ليلتها ساهرة تستعرض وجه ذلك الرجل على صورتين مختلفتين فتارة يبدو لها بلحيتهِ وانفهِ فتنكمش نفسها وينقبض صدرها واخرى بجبينهِ الابيض وعينيهِ الساحرتين فتنبسط وتنشرح

ثم انبثق نور الفجر واذا طائفة من الطير قد انطلقت السنتها في وقت واحد كانما كانت على ميعاد واذا التغريد والصفير والهديل يتردد ويتجاوب من اقفاص ذهبية لاعداد لها فاستيقظت فاطمة بين هذه الضجة فرحة متهللة وانها لكذلك اذ دخل عليها زوجها فانبأها بان امراً ذا بال قد استلزم سفرهُ من اليوم فحزنت لهذا النبإ المفاجئ وعادت الى التفكير في امر هذا الزوج الغريب الذي يتركها ولم يمضِ بها غير ليلة. وحدثتها نفسها بانها لم تقع موقع الرضى من قلب هذا الرجل الذي حملت نفسها على قبولهِ مكرهة وبدا لها سوء حظها مجسماً فنظرت اليهِ نظرة العتاب واليأس وادرك الزوج ما في نفسها فطوقها بذراعيهِ وقبلها قبلة سرت حرارتها من ام رأسها الى اخمص قدميها وقال وهو يمسح اعلى رأسها: لا يشق عليك سفري فلن يطول لاكثر من شهرين وقد اعددت لك في داري هـذه ما يذهب عنك الوحشة ومرارة الانفراد من اسباب اللهو ودواعي المسرة. والفضل في ذلك لسعيد خادمي فقد عمَّر منها ما خرب وجعل غرفها زينة الناظرين من حيث لا يشعر بهِ احد. ان سعيداً لنادرة في الرجال وسيكون لك منهُ عشير لطيف العشرة ومميز لذيذ السمر

فقالت فاطمة (ولعله اول ما نطقت بهِ في حضرة زوجها) اتظن ان في كل هذا ما يغني عنك

قال كلا ولكن فيهِ بعض التسلية ثم اني استقدمت ابن اخي (شكيبًا) وقد وكلت اليهِ بعض شئوني يتولاها في غيبتي فمنزلي مفتوح له في كل وقت شاء بغير حجاب فاحسني وفادتهُ واكرمي مثواه فهو فتى نبيل على خلق عظيم موفور الادب عفيف وديع وهو فوق ذلك طبيب ماهر فاتخذي منهُ اخًا صادقًا ولا تخشي منهُ على كرامتك وعفتك شيئًا ثم ودعها وانصرف

وكان سعيد عند ظن سيده بهِ فقد بذل كل مجهوده في سبيل لهوها ومسراتها فكان يسامرها ويقص عليها القصص ويتحفها بملحهِ ونوادره فلم تمض ثلاثة ايام حتى تحولت نفسها الساكنة المنكمشة الى نفس فرحة متهللة وحتى اكتسب سعيد ثقتها واصبح محل طمأنينتها وموضع ارتياحها ففي صباح اليوم الرابع اقبل سعيد على سيدتهِ يخبرها بقدوم شكيب ويبلغها تحياتهِ ويسألها هل من حاجة تكل اليهِ قضاءها وكانت فاطمة قد نسيت هذا الاسم بما حولها من وسائل السرور والغبطة فلما نطق بهِ سعيد عادت الى ذاكرتها اقوال زوجها في هذا الفتى وما وصفهُ بهِ من نبل وخلق كريم فلم تر بأسا في ان ترد تحيتهُ بتحية مثلها وتشكر له عنايتهُ بأمرها

ونزل سعيد يبلغ الفتى تحيات سيدتهِ فانتهزت فرصة انفرادها واطلت من بين استار النافذة لترى صاحب الصفات التي شاد بها زوجها واطنب في محامدها فاذا شاب وسيم المحيّا مليح القوام وضاء الجبين يخطر في فناء الدار فما وقع نظرها عليهِ حتى خطرت لها تلك الفكرة التي لا تستطيع فتاة دفعها فكرة المقارنة بين هذا الفتى وبين عمهِ الذي حكم القضاء بان يكون من قسمتها فلم تر من وجوه الشبه بينهما الا بياض الجبين واسوداد العينين اما فيما خلا ذلك فللفتى قوامهُ المعتدل وثغرهُ البسام وشاربهُ الجميل وشفتاه الورديتان وانفهُ الاقنى وشبابهُ الغض ولزوجها لحيتهُ الشمطاء وانفهُ المخيف وظهره المنحني وكان لهذه المقارنة اثرها الفعال في نفس فاطمة فانقبض صدرها وخفق قلبها خفوقًا لم تتبين سببهُ فتركت النافذة وارتمت على متكاءٍ قريب منها

وكان كل شيء قد اعد لاقامة الفتى في جناح منعزل

اذن فستراه في كل وقت وسيتجدد امام عينها هذا المنظر الذي اضطرب له قلبها بعد السكون وايقظ فيها كراهة وجه زوجها تلك الكراهة التي دفعتها بجهد جهيد وقهرت

نفسها على تناسيها فما لها ولهذا المنظر المؤلم المثير انها راضية بما قسم لها راضية بما حولها من اسباب السرور قانعة بما قسمهُ الله لها وما دامت هذه النافذة منفذاً لثورة القلب واختبال العقل فسدّها اولى واسلم وهذا ما امرت بهِ سعيداً ففعله

ومضى اسبوعان على وجود شكيب في المنزل وفاطمة تتجاهل هذا الوجود ولا تريد ان تسمع من سعيد شيئاً عنهُ ولكن شكيباً شابٌ وهي شابة وللشباب تيارات سريعة الاتصال لا تقف بينها الجدران ولا يحول دونها سد النوافذ . نعم ان فاطمة حالت ما بين عينيها وبين رؤيتهِ ولكن اي حائل يحول بين اذنيها وبين صوتهِ الرخيم الذي كان يسري في سكون الليل بالالحان الشجية وهل من مانع يمنع فتى وحيداً منفرداً من ان يسرّي عن نفسه بشيء من الغناء واذن فلا بأس بغناء شكيب ولا محيص من ان تسمع فاطمة هذا الغناء ان طوعاً او كرهاً والا فكيف تستطيع ان تقيم سدّاً دون الهواء وفيهِ نبرات صوتهِ فلابد لها من استنشاق هذا الهواء بما حمله من الشجى والصبابة

وعادت فكرة المقارنة بين الفتى وعمهِ الى ذهن الفتاة ولكنها حاولت في هذه المرة ان تجعلها عديمة الاثر في نفسها فان صوت شكيب يشبه صوت زوجها كل الشبه فلا تفاضل بينهما الا ان في صوت الاول رقة ورخاوة وفي صوت الثاني رزانة ووقاراً

وهكذا تغلبت فاطمة مرة اخرى على تلك العاطفة المجهولة التي ثارت بين جنبيها عندما رأت شكيباً ووضعت في اذنيها سدّاً يشبه السد الذي اقامتهُ حيال عينيها

و بقيت النافذة مسدودة والفتى في حيز التناسي

ومضت ايام ثلاثة لم تسمع فيها غناء شكيب فاحست فراغاً في قلبها وانقباضاً لم تعرف سببهُ وهمت بسؤال سعيد عنهُ ثم امتنعت ثم همت وامتنعت وسعيد يلزم الصمت او يتعمدهُ الى ان خانها الجلد فسألتهُ فاجابها بلهجة فيها شيءٌ من التعب ان شكيباً مريض وانهُ يلازم سريرهُ منذ ثلاثة ايام وان وطأة المرض عليهِ اليوم شديدة

فوجمت فاطمة لهذا الخبر وقالت ما منعك ان تخبرني من اول يوم قال منعني اعراضك عنهُ وتجاهلك امرهُ واغفالك ذكرهُ مع ان سيدي اوصاك باكرام وفادتهِ واحسان ضيافتهِ فاطرقت فاطمة ولم تحر جواباً . فقال سعيد لا غضاضة عليك ان تصحبيني اليهِ فتواسيهِ بكلمة تخفف عنهُ فتناولت خمارها ولبستهُ وتبعت سعيداً الى غرفة المريض وما التقى لحظها بلحظهِ حتى احست كأن قلبها يريد الوثوب من صدرها فوضعت عليهِ يمينها ودخلت تتعثر حياءً واضطراباً فقام المريض يتوكأ على عماد سريرهِ واخذ بيدها فاجلسها

على كرسي بجانب سريرهِ و بدأَها بالتحية والشكر كانما هو العائد المواسي اما هي فبقيت على صمتها واطراقها واراد سعيد ان يقطع هذا السكوت فقال لشكيب : ان سيدتي لم تعلم بمرضك الاَّ اليوم وانا الملوم فقد كتمتهُ عنها حتى لا ازعج خاطرها ولكنها تفضلت بالسؤال عنك فلم اجد بدًّا من اخبارها ثم تركهما وانصرف

فقال شكيب لقد وجدت يا سيدتي العافية بوجودك وارى المرض يخرج من حيث دخلت

فقالت وقد انحلت عقدة من لسانها : لا بأس عليك ما الذي بك

قال لا ادري — قالت عجبًا تجهل علتك وانت طبيب — قال ان ما بي لا يعرفهُ الطب — قالت ولكنك تعرف السبب على الاقل — قال اني منذ دخلت هـذا البيت شعرت باضطراب في قلبي وهزة عنيفة في جسمي — قالت لقد حصل لي مثل ذلك عند دخولي ولكن لا عجب ان تضطرب الفتاة عند ما تخطو اول خطوة في منزل زوجها اما انت ... قال اما انا فقد دخلتهُ مطمئنًا كعادتي ولم ادر ما خبأَهُ القضاء لي . ثم سكت قليلاً وهو ينظر الى النافذة التي اطلت عليهِ منها فاطمة وقال والدمع يترقرق في عينيهِ: ليتني ما نظرت الى هذه النافذة اصل علتي ومنها خرج السهم الذي اصاب فؤادي ثم غطى وجههُ الجميل بكفيهِ والعبرات تخنقهُ

اما فاطمة فقد مادت بها الارض وزلزت وزاغ بصرها زيغة الذهول

ذلك انها ادركت ما في نفس شكيب وماذا في نفسهِ الاَّ الحب وهل كان في النافذة قوس غير حاجبها وسهم غير لحظها واذن فالامر لا يحتاج الى بيان وماذا تنتظر بعد هذا التلميح . انهُ اعلان صامت للحب واثارة لتلك العاطفة التي اخمدتها عند اول وهلة واطفأَتها عند شبوبها فليس لها الآن الاَّ ان تفرَّ قبل اندلاع اللهيب وهذا ما كان . فقد فرَّت فاطمة من غرفة شكيب . وخرجت تجمع اذيالها كأَن الشرر يتطاير تحت اقدامها

واقبل الليل وما ادراك ما ليل فتاة تتنازعها قوتان عنيفتان : العقل الذي يدعوها للوفاء لزوجها الشيخ والهوى الذي يدفعها الى ذراعي ذلك الشاب فما اشد شقاء القلوب التي يلقي بها القضاء في مهب العواطف المتعارضة

ولكن لفاطمة قلبًا تكسَّرت فيهِ السهام على السهام فقد فقدت امها طفلة فاصابهـا السهم الاول سهم اليُتم واليُتم مهانة واذلال ولم يندمل جرحها حتى رماها القضاء بزوج ابيها وزوجة الاب جعبة سهام لا نفاد لها فما زالت ترميها كل يوم بسهم حتى البست قلبها

غشاءٌ كاسياً وكان آخر سهم رُميت بهِ فاطمة تلك التضحية التي ارتضتها بقبول ذلك الشيخ زوجاً لها

فوق هذا الغشاء وقع سهم الحب الذي رماها بهِ شكيب فانكسرت حدتهُ ولم يجد منفذاً يصل منهُ الى القلب فانحدر الى الصدر فضاق بهِ وقضت ليلتها وهي تعالج اخراجهُ بالنفثات الحارة المتواصلة

حتى اذا طلع النهار اقبل سعيد يبكي وقال : سيدتي ادركي شكيباً فانهُ اليوم في الرمق الاخير وهو يريد ان يراك و يلهج باسمك في هذيانهِ

فنزلت مسرعة وسبقت سعيداً الى سرير المريض وتخلى عنهما سعيد كعادتهِ فلما رآها شكيب مد اليها بذراعيهِ وقال ادركيني يا فاطمة فلم اعد احتمل منك هذا الاعراض تعالي الي اعانقك وارشف ثغرك الجميل ثم اقنع بهذا واودع الدنيا وما فيها . فاحمرَّ وجه الفتاة وابتعدت قليلاً حتى لا تكون في متناول ذراعيهِ وقالت في تلطف وحنوّ

اذكر اني زوجة وان زوجي عمك الذي اكبرك في نفسي قبل ان اراك ووضعك مني موضع الاخ الصادق لا العاشق المختلس

قال لقد فكرت في ذلك فاذا بك زوجة مكسورة القلب مقهورة الشباب واذا عمي هو الجاني عليك فقد حمل ظلماً باغرائهِ اباك بالمال حتى قدمك ضحية لشيخ فانٍ لا لذة في عشرتهِ ولا امل. ثم ان الحب لا يعرف الانساب ولا الرحم بل هو قاطعها من قديم فلست ابالي اذا احببتك ان اقطع ما بيني و بين عمي والناس جميعاً

قلت ان عمك بريءٌ مما تقول فقد مدَّ الينا يداً لم يلوّثها المن والاذى فكفانا شر السقوط في هوة البؤس التي كنا على حافتها ولم يقتضِ على صنيعهِ العظيم اجراً الاَّ ان اكون لهُ فرفعني بذلك واعلى من قدري وسما بي الى مستوى عملهِ السامي واذا كنت قد ضحيت بشيءٍ ففي سبيل اسرتي لا في سبيل زوجي . اما شبابي الذي نعيتهُ فقد نعاهُ اليَّ الدهر من قبلك وسمعت رثاءهُ في طفولتي فاستقى عودي مرارة العيش منذ رطوبتهِ والآن وقد طمحت نفسك الى جناهُ فاعلم انك تبلو المرَّ من ثمرهِ فلا تغرنك نعومتهُ فان تحتها اشواك الاسى. ثم اني مدينة بنفسي لزوجي فقد اشتراها لا بمالهِ كما تتوهم بل بمروءَتهِ واحسانهِ مثواي وقد راودت هذه النفس فابت ان تستمتع بلذة الحياة وتستمرئ مرعى الشباب ولذائذهِ المشوبة بوخزات الضمير والحسرات واختارت عليها الوفاء لانهُ ازكى لها واظهر فانت ترى ان لا مجال للحب في قلب كقلبي فلأكن منك كالاخت اذا شئت والاَّ فلن اكون شيئاً

قال اني طبيب واعلم من بنية زوجك مالا تعلمين فهو مصاب بالبول السكري وسيقضى عليهِ قريباً . قالت ان هذا ادعى للعناية بهِ والاخلاص في خدمتهِ وفراغ نفسي لهُ

قال عديني على ان تكوني لي ان قضى نحبهُ قالت ولا بهذا اعدك فاني ان فعلت استعجلت منيتهُ وخفرت ذمتهُ من حيث لا اريد

قال اذاً اموت كمداً وسيقع دمي عليك

قالت اذا مت (واتوسل اليك ان لا تموت) فسأبكي شبابك كما بكيت شبابي واحمل وزر موتك ما دمت تريد ذلك ولكنهُ اخف من وزر الخيانة وكفران الجميل

واني استودعك الله الى الملتقى في الدنيا او الآخرة

قال اني اغادر هذه الدار من الغد وسأستمد من اليأس قوة فان لهُ قوة كقوة الرجاء ولن تسمعي بخبري بعد الآن

قالت ففي ذمة الله شبابك ان بقيت او قضيت

***

وترك شكيب دار عمه من الغداة ومرت الايام وحل الوقت الذي يعود فيهِ عمهُ

ففي مساء ذات يوم كانت العاصمة تضج بخبر الانقلاب العثماني الذي احدثهُ رجال حزب الاتحاد والترقي فملأ سعيد دار سيده هتافاً وفاطمة تسمعهُ ولا تعرف السبب وفيما هي تهمّ بسؤالهِ اقبل زوجها بلحيتهِ الشمطاء وانفهِ الاعوج وكانت تطل من النافذة فاذا كلا الرجلين يفتح ذراعيهِ للآخر ويتعانقان عناق اخوين ثم هم الزوج بالصعود للقاء زوجتهِ فوقف سعيد في طريقهِ وقال لا والله لا تصعد اليها وهذه اللحية المشئومة تعلو خديك وهذا الانف المضحك يركب شاربك فقد آن ان تلقي بهما في النار كما القت الحرية بجواسيس الاستانة الذين كانوا يتعقبونك في كل مكان . ثم نزع لحية سيدهِ المستعارة وقطعة من المطاط الملوّن كانت تعلو انفهُ والقى بهما وراء ظهره ونظرت فاطمة الى وجه زوجها فاذا هو شكيب بعينه

فحدّث عن دهشتها ما شئت ولكنها دهشة لم يطل امدها فقد انكشف لها الامر اذ علمت ان زوجها من كبار رجال تركيا الفتاة الذين هجروا وطنهم الى مصر ليكونوا في منجى من الظلم وانهُ استعار لحيتهُ وانفهُ لتضليل الجواسيس ثم مثّل دور شكيب ليستوثق من قلب الفتاة المصرية

حسن صبحي

علم الفلك في الخمسين سنة الاخيرة

(١)

لقد تقدم علم الفلك في جميع فروعهِ في الخمسين سنة الاخيرة تقدماً سريعاً مدهشاً فتتابعت الاكتشافات وتوالت الاختراعات وتعددت اساليب البحث والدرس والتنقيب واستنبطت الوسائل اللازمة للقيام بالارصاد المختلفة واصبحت اساليب البحث الجديدة التي كانت تحسب قبلاً من باب المستحيلات سهلة المنال واصبح تطبيقها والعمل بموجبها ميسورين ومألوفين . وجدير بنا الآن قبل الشروع في سرد مظاهر التقدم ووصفها ان نذكر العوامل الرئيسية التي آلت الى هذا النجاح الباهر وهي

(١) التراث العظيم الذي تناولهُ علماء العصر الحاضر عن اسلافهم اعني الارصاد التي دُوّنت منذ مئات السنين وبالاخص بما حفظ منها في القرنين الاخرين . فعلم الفلك العملي الحديث مثلاً مبني على ابحاث العلامة برادلي في تعيين مراكز النجوم الساطعة . لانها اصبحت بعد الاصلاح والتنقيح الاساس الراسخ لمعرفة حركة النجوم الذاتية والمجاري التي تسير فيها في السموات وعليها بنى كبار العلماء مثل كابتيين وأدنجتون الاحصاءات الفلكية التي قاموا بها حديثاً . فابناء الحاضر مدينون للسلف وهذا الدين يزداد ويتعاظم سنة فسنة لاننا نحصد الآن ما زرع قبلاً بشق النفس والعناء العظيم

(٢) تقوية التلسكوب التي تمت في اواخر القرن الماضي والاضافات التي اضيفت اليهِ لزيادة فائدتهِ . ففي سنة ١٨٨٤ نصب تلسكوب المرصد الامبراطوري في بلكوفا في روسيا وقطر عدسيتهِ ٣٠ بوصة وسنة ١٨٨٨ تلسكوب مرصد لك وقطر عدسيتهِ ٣٦ بوصة وسنة ١٨٩٧ تلسكوب مرصد يركيس وقطر عدسيتهِ ٤٠ بوصة وفي نفس الوقت سار العلماء سيراً حثيثاً في اتقان التلسكوب العاكس وتكللت مساعيهم بالفوز الباهر في صنع المرآة العاكسة لمرصد جبل ولسن في كاليفورنيا وقطرها ١٠٠ بوصة وهي ايضاً من حيث الاتقان والاناقة وحسن الصنع اجمل واحسن مرآة في العالم فثبت بذلك ان التلسكوب العاكس افضل من المكسر

وجرى تحسين كبير في السپكترسكوپ وعُوّض عن الموشور بالزجاجة المسطرة (Grating) فزاد تأثيرهُ وعظمت فائدتهُ وهذا مكّن العلماء من بلوغ الدقة الفائقة في

قياس حركة النجوم الشعاعية وسرعتها في خط النظر مبتعدة عنا كانت ام مقتربة منا. واخيراً وفقوا الى اختراع الآلة المعروفة بالانترفرومتر (Interferometer) التي نستطيع بها ان نقيس قطر النجوم الثوابت

واهم من هذه جميعها اكتشاف الطرق والاساليب الفوتغرافية واستعمالها في تصوير الاجرام السماوية . ففي سنة ١٨٧٥ اكتشفت طريقة صنع اللوح الفوتغرافي الجاف وسنة ١٨٧٦[1] استخدمهُ السر وليم هجنس في تصوير النجوم والسدم من جميع المقادير وانواع الطيوف المتعددة وهو بلا مراء وسيلة استخدمت في الابحاث الفلكية منذ اختراع التلسكوب حتى الوقت الحاضر فيرسم فيهِ شبح الجرم الضئيل النور بوقوع الاشعة عليهِ ساعات متتابعة فيتجمع تأثيرها ويظهر فعلها وعلى الضدّ من ذلك العين التي تكلُّ سريعاً اذا حدقت طويلاً فضلاً عن ان اللوح حساس بجانب من الطيف لا تشعر بهِ العين مطلقاً ناهيك عن اختراع آلة السبكتروهيليوغراف (Spectroheliograph) سنة ١٨٩١ التي بواسطتها نستطيع ان نصور الاجرام السموية بنور لون واحد ولا يقدر ما لهذا الامر من الشأن الكبير الاَّ المتخصصون بالابحاث الفلكية الحديثة

(٣) اختيار المكان المناسب لتشييد المراصد حيث الجو ساكن لا تعبث بهِ الارياح الشديدة والهواء صافٍ رائق موافق لنصب الآلات الكبيرة واستخدامها للارصاد . ففي النصف الاخير من القرن الماضي ادرك العلماءُ انهُ كلما عظم قطر عدسية التلسكوب وزاد مقدار النور الذي تجمعهُ قلت فاعليتها ونقصت فائدتها. واكثر المراصد التي تختص بالجامعات والكليات تبنى غالباً في المدن او بالقرب منها فلا تصلح للابحاث الحديثة ودرس الامور الدقيقة التي ترصع سطوح السيارات وتوابعها ورؤْية النجوم والسدم الضئيلة النور تتطلب احوالاً انسب واتم واكثر ملاءمة لان الاماكن الكثيرة الرطوبة والمعرضة للرياح وتقلبات الجو السريعة لا تلائم الآلات الكبيرة ولهذا كانت فائدة ما نُصب منها في الاماكن المشار اليها مما لا يُعتدُّ بهِ ولكن سنة ١٨٧٤ اوصى المستر لك احد كبار المتمولين في كاليفورنيا ببناء مرصد عظيم على جبل هملتون ووهب المال اللازم لذلك وسنة ١٨٨٨ فتحت ابواب المرصد للعمل فكانت النتائج باهرة جدًّا وتحقق العلماءُ لاول مرة ما لحالة الجو والطقس من الشأن العظيم في نجاح الارصاد والحصول على معظم النتائج واهمها

ثم قام الاستاذ ادورد بكرنج وبنى مرصداً في اركويبا على علو ٨٠٠٠ قدم عن سطح

(١) سنة تأسيس المقتطف واصداره

الجو حيث ثبات الهواء وشفافيتهُ تمكنان الناظر من رؤية ١٢ نجماً في الثريا بالعين المجردة وحيث انتظام الحرارة واعتدالها واطرادها وجفاف الهواء وندرة سقوط المطر — جميعها تجعل ذلك المكان اصلح الامكنة للارصاد الفلكية (١) وقد قال الاستاذ پكرنج ان فائدة تلك الاحوال تعادل تضعيف قطر العدسية

وسنة ١٩٠٢ انشئ المرصد الشمسي على جبل ولسن وجهز باعظم الآلات واثمنها وادقها واضبطها بفضل اموال كارنجي المشهور وهو بالنسبة الى ما حواه وما فيه من التسهيلات والمختبرات وما لهُ من المخصصات المالية اعظم مرصد على سطح البسيطة يقصده كبار العلماء من جميع البلدان للاقامة فيهِ ولو وقتاً قصيراً لتحقيق الاكتشافات واثبات النظريات التي توصلوا اليها

(٤) تخصص المراصد في العمل فالمراصد القديمة حصرت همها في الفلك العملي وابحاث العرض والطول ولكن الحديثة انشئت لمقاصد خاصة فمرصد لول مثلاً انشئ لرصد المريخ في الدرجة الاولى والسيارات في الدرجة الثانية ۰ ومرصد جبل ولسن لرصد الشمس ومرصد هارفرد للتصوير على اختلاف انواعهِ. واقتدت بها مراصد اوربا الحديثة وهكذا نرى ان ابحاث كل مرصد اقتصرت على قسم من اقسام علم الفلك الحديث

(٥) اتحاد الفلكيين من جميع الشعوب وتعاونهم على القيام بالعمل معاً فمنذ مائة سنة مثلاً كان كل مرصد منفرداً يسعى للقيام بجميع الابحاث الفلكية بنفسهِ لا علاقة لهُ بغيرهِ ولكن سنة ١٨٨٦ اجتمعت اول جمعية عمومية دولية لدرس الموقف وتوزيع العمل وسنة ١٩٠٥ وبعدها تنظمت الجمعية المعروفة « بالاتحاد الفلكي » فاصبح العمل بين جميع الجمعيات الفلكية والمراصد موزعاً بنظام عجيب يكفل خير النتائج

فنتيجة زيادة قيمة الارصاد القديمة واتقان التلسكوب والسبكترسكوب للنظر والتصوير وانتقاء اصلح الاماكن لانشاء المراصد والتخصص بالعمل وترتيب التعاون وتنظيم العمل وتوحيده فانها جعلت علم الفلك يتقدم تقدماً سريعاً مدهشاً في الاقسام الآتية

(ب)

النظام الشمسي . ففي علم الفلك الذي يتعلق بالنظام الشمسي كان التقدم بطيئاً

(١) اطلعني الدكتور شابلي مدير مرصد هارفرد حينما زرته منذ سنتين على الابحاث التي تجري في مرصدهم في اميركا الجنوبية واراني صورة المرصد الرئيسي وفرعه المشيد على قمة الجبل المجاور وارتفاعه نحو ١٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر

بالنسبة الى غيره وقد اقتصر على اكتشاف قمرين للمريخ (١) وخمسة اقمار للمشتري وقمرين لزحل. والمهم فيها ان خمسة منها اكتشفت بالتصوير الفوتوغرافي واثنين منها لا يُشاهدان البتة بالعين ولو باعظم التلسكوبات ولكنهما يظهران بالفوتوغراف

وكذلك اكتشاف السواد الاعظم من النجيمات او السيارات الصغيرة (وعددها الآن يزيد على الالف) بالاسلوب الفوتوغرافي الذي اكتشفهُ الدكتور مكس ولف سنة ١٨٩٢ وهذه النجيمات تقع في الفلك بين المريخ والمشتري وتختلف كثيراً في الحجم مما قطرهُ ٥٠٠ ميل الى الحجارة الصغيرة وربما كان بعضها بحجم حبة الرمل او اصغر. ودرس طبائعها وطبائع اقمار السيارات العليا يحملنا على الاعتقاد ان تلك الاقمار على نوعين الكبيرة منها نشأت من كتلة السيار الاصلية والصغيرة أُسرت من النجيمات. والمرجح الآن ان الجانب الاكبر من النجيمات اذا لم نقل كلها بقية مجرى من مجاري الشهب والنيازك اي بقية رأس مذنب توزعت اجزاؤُهُ في فلكهِ على مر السنين. وهو مؤيد للرأي الحديث ان منشأ معظم المذنبات في حيز النظام الشمسي لا خارجاً عنهُ كما اعتقد لابلاس وغيره قديماً

و بفضل ارصاد پكرنج ولول وسليفر اتسعت دائرة معرفتنا في ما يتعلق بسطح السيارات والقمر واحوالها ودرجة حرارتها و بالاخص سطح المريخ والتغيرات التي تطرأُ عليهِ وهبوب الرياح والعواصف وانعقاد الغيوم في جوّهِ وسقوط الثلوج على سطحهِ. فضلاً عن معرفة جو السيارات الخارجية وحرارتها وقياس دورانها على محورها

اما ما يتعلق بالشمس فان العلماء تمكنوا بواسطة اضطرابات القمر وعبور الزهرة والنجيمة ايروس على سطحها من قياس زاوية الاختلاف الى درجة تكاد تكون تامة الضبط و بذلك استطاعوا تعيين بعدها عن الارض وعرفوا بواسطة السبكترسكوب والتصوير السبكترسكوبي طبائع طبقات جو الشمس والمواد التي تتركب منها ودرجة حرارتها وسرعة المجاري التي تنشأ فيها صعوداً وهبوطاً وطبيعة الكلف التي ترصع سطحها — وهي ليست سوى دراديز مشبعة بالقوى المغنطيسية — وما لها من الاثر في مغنطيسية الارض والعواصف والانواء

ولا يتسع لي المجال في هذه العجالة لذكر ابحاث الاستاذ برون من جامعة يابيل في اضطرابات القمر والنظريات المتعلقة بها فهي تحسب في وقتنا الحاضر من اسمى الابحاث

(١) شاهدهما آصاف هول سنة ١٨٧٧ بتلسكوب مرصد واشنطن وقطر عدسيته ٣٦ بوصة

في العلوم الرياضية وتطبيقها . وقد ثبت ان قسماً من الاضطرابات شبيه باضطرابات الشمس والزهرة وعطارد وخطوطها البيانية متماثلة وهذا يحملنا على الاعتقاد انها مسببة من دورة الارض اليومية

(ت)

النجوم . وقد خطا علم الفلك الحديث خطوات كبيرة سريعة راسخة في ما يتعلق بالنجوم . ومعرفة العناصر التي تتركب منها واحوالها وطبائعها كما يظهر من بسط الامور الآتية :

(١) ساد في عقول العلماء واستمر حتى بداءة القرن العشرين ان حركة النجوم الخاصة لا نظام لها فكل نجم يسير في فلك لا علاقة لهُ بسواهُ ولكن العلامة كابتيين نشر سنة ١٩٠٤ رأيهُ المشهور وهو ان جميع النجوم المعروفة [او على الاقل ما كان ساطعاً منها] التابعة لكوننا او نظامنا النجمي المعروف بنظام المجرة تنحصر في مجريين عظيمين كل منهما يسير في جهة معاكسة للجهة التي يسير فيها الآخر وقد أيد هذا الرأي ادنجتون وديصن باتجاههما المشهورة ومعرفة هذه الحقيقة من الاهمية بمكان لكل من يبحث في ميكانيكية الكون وحركة الاجرام السماوية والقوى العاملة فيها

(٢) والمسلم بهِ الآن ان النجوم تقسم الى قسمين الاول افرادهُ كبيرة الحجم مادتها منتشرة في الفضاء وهي النجوم «الجبارة» والثاني تكون افرادهُ صغيرة الحجم كثيرة الكثافة لونها ضارب الى الحمرة او حمراء اللون وتدعى النجوم «القزمية» وشأن هذه القضية عظيم لانها تدل دلالة صريحة على الطريقة التي تتمشى عليها النجوم اثناء نشوئها لان حرارة الكرة الغازية التي اجزاؤُها متماسكة بعضها ببعض بفعل جاذبيتها ترتفع وتزداد كلما تقلصت الكرة بسبب الاشعاع وارتفاع الحرارة وتقلص الحجم يستمران طالما المادة نظيفة متوفرة فيها شروط الحالة الغازية ولكن حينما تبلغ الحرارة معظمها تتغير الحال فتأخذ تتناقص الى ان يتلاشى نور النجم وينطفئ تماماً فيمسي جرماً مظلماً . وعليهِ فالنجم يبلغ كل درجة من درجات سلم حرارتهِ ويجتازها مرتين الاولى حينما تكون الحرارة آخذة في الارتفاع في اثناء الدور الاول والثانية حينما تكون آخذة بالهبوط في الدور الثاني ولايضاح ذلك نقول ان حرارة سطح الشمس الآن نحو ٦٠٠٠ درجة بميزان سنتغراد . وبما انها في بداءة دور الانحطاط فقد بلغت هذه الدرجة قبلاً واجتازتها في دور النمو وذلك حينما كان قطرها نحو ١٠ اضعاف ما هو الآن وسطحها نحو ١٠٠ ضعف فكان نورها اذاً في

ذلك الوقت ١٠٠ ضعف اي انها كانت من نوع « اجبار » والآن هي آخذة بالانحطاط والتقلص حتى تصير « قزمة » واخيراً تنطفئ وتمسي جرماً اسود ككثير من الاجرام السوداء التي تملأ الفضاء

واول نجم قيس قطره بآلة الانترفرومتر منكب الجوزاء وذلك في شهر دسمبر سنة ١٩٢٠ فكان مئة ضعف قطر الشمس اي ان منكب الجوزاء هو في الدور الاول من درجات النشوء . ونعلم جيداً ان جرم شمسنا اقل من المعدل المتوسط لان جرم القسم الاكبر من النجوم نحو ١٧ ضعف جرم شمسنا وجرم اعظم نجم معروف الآن نحو ٥٠ ضعف جرم الشمس واصغر جرم نحو $\frac{١}{٦}$ او $\frac{١}{٨}$ جرم الشمس وكما ان الارض هي من السيارات الصغيرة كذلك الشمس هي من النجوم الصغيرة وجميعها نشأت من السدم المظلمة فكانت نجوماً جبارة في الدور الاول من حياتها ثم تقلصت واصبحت صغيرة الحجم في الدور الثاني او الاخير

(٣) وفي الخمسين سنة الاخيرة تمكن العلماء من معرفة ابعاد بعض النجوم بالاساليب المختلفة التي يستخدمونها لهذه الغاية . فقد عرفوا حتى الآن ابعاد ١٦٠٠ نجم باستخراج زاوية الاختلاف بطريقة علم المثلثات ولكن سنة ١٩١٦ اكتشف الدكتور ادمس في مرصد جبل ولسن طريقة سهلة لاستعلام زاوية الاختلاف بواسطة السبكترسكوب وفي مدة خمس سنوات عرف ابعاد ٢٠٠٠ نجم والظاهر ان لا حدّ أعلى لاستخدام هذه الطريقة . وفي بداءة القرن العشرين اهتدى كابتين الى طريقة لمعرفة ابعاد صفوف او فرق النجوم وفي السنوات العشر الاخيرة تمكن رسل وشابلي من تعيين ابعاد مئات والوف من النجوم المتغيرة على اختلاف انواعها وهذا مكّن شابلي من قياس ابعاد الاجرام السماوية التي هي في اطراف المجرة

(٤) وأعتقد ان فريقاً من قراء المقتطف يعلمون شيئاً من ابحاث شابلي المتعلقة بالقنوان الكروية وشكل الكون النجمي التي يحسبها العلماء من اهم ما توصل اليهِ العقل فانهُ بدأ بها سنة ١٩١٤ واستخرج اولاً بُعد القنوان الذي في كوكبة هرقل فكان ١٠٠,٠٠٠ (١) سنة من سني النور وحينما نشر ذلك اذهل العالم لانهُ فاق كثيراً البعد الذي تصوروهُ مع انهُ من اقرب القنوان ووجد ان ابعدها على مسافة ٢٢٠,٠٠٠ سنة من سني النور

(١) لقد نشر شابلي بعدئذ ان البعد الصحيح ٣٦٠٠٠ سنة نورية

وقياس شابلي لأبعاد المجرة تستدعي الدهشة والاعجاب . فقد وجد المجرة بشكل قرص طول قطرهِ ٣٠٠٠٠٠ سنة نورية وسمكهُ ٤٠٠ سنة اي انهُ اكثر مما تصورهُ العلماء قبلاً باربعمئة الف مرة وفيهِ مجريان كبيران متماكسان يحوطهما عدد من القنوان الكروية تابعة لهُ متعلقة بهِ فنسبتها اليهِ كنسبة الجزر في الاوقيانوس الى اليابسة ولهذا دعاها « العوالم الجزرية »

وفي السنة الماضية قاس شابلي بعد السديم اللولبي في كوكبة المرأة المسلسلة فكان مليون سنة نورية وقدّر انهُ لو أُبعد ذلك السديم ٢٠٠ مرة قدر بعدهِ الآن لبقيت صورتهُ الفوتغرافية ظاهرة في عدسية مرصد جبل ولسن المشهورة

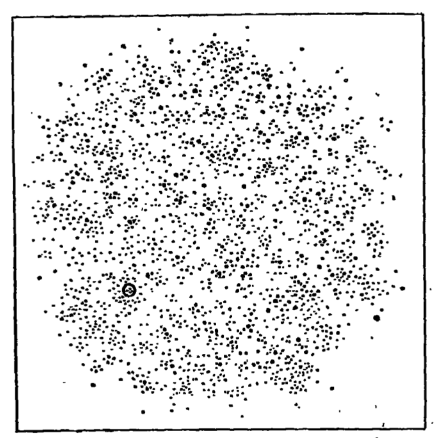
ويعوزني الوقت والمدى لو شئت ان اذكر ما عرف عن النجوم المتغيرة والجديدة والمزدوجة والسدم على اختلاف انواعها واشكالها وحركة اجزائها كما تظهر بالسبكترسكوب وسرعتها التي تبلغ عدة اميال في الثانية من الزمان كما هو الحال في السديم الكبير في كوكبة الجبار الذي هو غاز حام دائم الاضطراب والهيجان وكيفية نشوء الاجرام السماوية والابحاث الفلكية الحديثة وتطورها بالنسبة الى نظرية اينشتين او الرأي النسبي وتعليل سبب الحرارة الذي هو تحول المادة الى قوة واعمار النجوم [1] والسيارات .

وجل القصد مما ذكر ان الخمسين سنة التي مرت منذ انشئ المقتطف وبالاخص العشر الاخيرة منها هي العصر الذهبي في تاريخ علم الفلك والامل انهُ اذا استمر سير التقدم على هذا المنوال ففي وسع العقل البشري ان يمهد العقبات ويذلل الصعوبات ويتمكن من حل كثير من القضايا الخفية التي لا تزال مغلقة ويكشف اسرار الطبيعة ويقبض على ناصية النواميس والقوانين التي تسير بموجبها

منصور حنا جرداق
استاذ الرياضيات العالية
في الجامعة الاميركية في بيروت

---

(١) يعللون الآن حرارة النجوم بتفكك الجواهر وتحول المادة الى قوة ويحسبون بموجب هذا المبدأ ان مقدار حرارة الشمس تبقى آخذة بالاشعاع مدة خمسة عشر مليون مليون سنة (١٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة



المجرة كما رسمها الاستاذ شابلي وهي كالقرص . والدائرة الصغيرة
في جانبها الشمالي الاعلى تمثل كل النجوم التي ترى بالعين المجردة



المجرة منظورة عن حرفها وقطرها ٣٠٠٠٠٠ سنة نورية . والشكل الاسود المستطيل فيها
يمثل الدائرة المرسومة في الشكل السابق الدال على كل النجوم التي ترى بالعين والصلبان التي
حول المجرة تمثل المجاميع النجمية المعروفة بالقنوان الكروية المنتشرة في الكون

الشعر العربي في خمسين سنة

اذا اعتبرتَ الشعر العربي قبل خمسين سنة خَلَتْ (اي قبل انشاء المقتطف) وتأملتَ حليتهُ ومعرضهُ ونظرت في منهاجهِ وطريقتهِ وتصفحتَ معانيهُ واغراضهُ — لم ترَ منهُ الاَّ شبيهاً بما تراهُ من بقايا الورق الاخضر في شجرة ثقل عليها الظل فهو جامد مستَوْخَم ، وحم في ظلها شعاع الشمس فهو بارد يرتعد ، فالحياة فيها ضعيفة متهالكة لا هي تموت كالموت ولا هي تحيا كالحياة ، وما ثَمَّ الاَّ ماء ناشف وورنق عليل ومنظر من الشجرة الواهنة كأنهُ جسم الربيع المعتل بدت عروقهُ وعظامهُ

كان ذلك الشعر فاسد السبك متخلف المنزلة قليل الطلاوة بين مديح قد أُعيد كل معنى من معانيهِ في تاريخ هذه اللغة بما لا يحصيهِ الاَّ الملائكة الموكلون باحصاء الكذب ، وبين هجاء ساقط هو بعض المواد التي تشتعل بها نار الله يوم تطلع على الافئدة ، وبين غزل مسروق من القلوب التي كانت تحب وتعشق ، وبين وصف لا عيب لموصوفهِ سواهُ ، وشكوى من الدهر يشكو الدهرُ منها ، وتحزُّن ويأس وندب تجعل ديوان الشاعر كما سمَّى احد ظرفاء القرن الثاني عشر للهجرة ديوانَ احد اصحابه « باللطمة .... » ، ورثاء ، كقراءة القراء في جنازات الموتى لا فيها عظة السكوت ولا فائدة النطق . وتغمر كلَّ ذلك انواع من الصناعة بيّنة التعسف ضعيفة التقليد لا ترى المتأخرَ فيها مع المتقدم الاَّ قريباً مما يكون عمل اللص في اخذ المال ، من عمل صاحب المال في جمعهِ . والعجيب انك اذا اعترضت الشعر من القرن العاشر للهجرة الى القرن الثالث عشر (السادس عشر للميلاد الى التاسع عشر) رأيتهُ نازلاً من عصر الى عصر بتدريج من الضعيف الى الاضعف حتى كأنما يهبط بقوة طبيعية كقوة الجذب كلما هبطت شيئاً اسرعت شيئاً الى ان تلصق بالارض . وبعضهم يسمي هذه العصور بالعصور المظلمة ولم يتنبه احد الى ان في الادب ناموساً كناموس رد الفعل يخرج أضعف الضعف من اقوى القوة وان انحطاط الشعر في تلك العصور — على انهُ لم يكن الاَّ صناعة بديعية انما سببهُ القوة الصناعية العجيبة التي كانت للشعر منذ القرن السادس الى العاشر بعد ان نشأ القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) وكان رجلاً من الرجال الذين يخلقون حدوداً للحوادث تبدأ منها ازمنة وتنتهي عندها ازمنة . ففتن الناس بأدبهِ وصناعتهِ وصرف الشعر والكتابة الى أساليب

النكتة البديعية. وظهرت من بعدهِ عصابةٌ التي يسمونها العصابة الفاضلية وما منهم الاَّ امام في الادب وعلومهِ فكان في مصر القاضي بن سناء الملك وسراج الدين الوراق وابو الحسين الجزار واضرابهم ، وكان في الشام عبد العزيز الانصاري والامير مجير الدين بن تميم و بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي وامثالهم. فهذه العصابة هي التي تقابل في تاريخ الادب العربي عصابة البديع الاولى كمسلم وابي تمام وابن المعتز وغيرهم . وكلتا الفئتين استبدت بالشعر وصرَّفتهُ زمنًا واحدثت فيهِ انقلابًا تاريخيًّا متميزاً . بيد ان العصابة الفاضلية بلغت من الصنعة مبلغًا لا مطمع في مثلهِ لاحد من بعدها حتى كأنهم لم يدعوا كلمة في اللغة يجري فيها نوع من انواع البديع الاَّ جاؤُا بها وصنعوا فيها صنعة ، وكان بعضهم يأخذ من بعض و يزيد عليهِ الى آخر المائة الثامنة فلم يتركوا بابًا لمن يأتي بعدهم الاَّ باب السرقة باساليبها المعروفة عند علماء الادب . ولهذا لا تكاد تجد شعراً عربيًّا بعد القرن التاسع الى اول النهضة الحديثة الاَّ رأيتهُ صوراً ممسوخة مما قبلهُ وكل شعراء هذه القرون ليسوا ممن وراءهم الاَّ كالظل من الانسان لا وجود لهُ من نفسهِ وهو ممسوخ ابداً الاَّ في الندرة حين يسطع في مرآة صافية . ومتى كان الشعراء لا ينشأُون الاَّ على فنون البلاغة وصناعاتها وكانت هذه كلها قد فرغ منها المتقدمون فما ثمَّ جديد في الادب والفن الاَّ ولادة الشعراء وموتهم والا تغير تواريخ السنين . . . . وهذا اذا لم نعدَّ من الادب تلك الصناعات المستحدثة التي ابتدعها المتأخرون مما سنشير الى بعضهِ كالتاريخ الشعري وغيرهِ

***

ان الفكر الانساني لا يسيِّر التاريخ ولا يقدِّر قَدَراً فيهِ ولا ينقلهُ من رسم الى رسم لانهُ هو نفسهُ كما خلق مصلحًا خلق مفسداً وكما يستطيع ان يوجد يستطيع ان يفني وكما تطَّرد بهِ سبيل تلتوي بهِ سبيل اخرى . وما اشبه هذا الفكر في روعتهِ بقطار الحديد يطير كالعاصفة و يحمل كالجبل و يُدهش كالمعجزة وهو مع كل ذلك لا شيء لولا القضيبان الممتدان في سبيلهِ يحرفانهِ كيف انحرفا و يسيران بهِ أين ارتميا و يقفان بهِ حيث انتهيا . ثم هو بجملتهِ ينقلب لأوهى اختلال يقع فيهما . لا جرم كانت العصور مرسومة معينة النمط ذاهبة الى الكمال او منحدرة الى النقص حسب الغايات المحتومة التي يسير بها الفكر في طريق القدَر الذي يقودهُ

فهذه علوم البلاغة التي احدثت فنًّا طريفًا في الادب العربي وانشأَت الذوق الادبي نشأَتهُ الرابعة في تاريخ هذه اللغة بعد الذوق الجاهلي والمحدَث والمولَّد هي بعينها التي

أضعفت الادب وافسدت الذوق وأصارتهُ الى ما رأينا في شعر المتأخرين كانما انقلبت عليهم علوماً من الجهل حتى صار النمط العالي من الشعر كانهُ لا قيمة لهُ اذ لا رغبة فيهِ ولا تحفل بهِ لمباينتهِ لما ألفوا وخلوهِ من النكتة والصناعة وحتى كان في اهل الادب ومدرسيهِ من لا يعرف ديوان المتنبي

ولا يصف لك معنى الشعر في رأي ادباء ذلك العهد كقول الشيخ ناصيف اليازجي المتوفى سنة ١٨٧١

ملِلتُ من التمريض وقلت يكفي لامر شاب قوته بضعف
أحاول نكتة في كل بيت وذلك قد تقصر عنهُ كفي
أجلُّ الشعر ما في البيت منهُ غرابةُ نكتة او نوع لطف

يريد النكتة البلاغية وانواع البديع وذلك ما قصّرت عنهُ كفهُ وكف غيرهِ لانهُ شيء مفروغ منهُ حتى لا يأتي المتأخر بمثال فيهِ الاَّ وجدتهُ بعينهِ لمن تقدموهُ على صور مختلفة ينظر بعضها الى بعض وما يأتي اختلافها الا من ناحية الحذق في إخفاء السرقة بالزيادة والنقص والإلمام والملاحظة والتعريض والتصريح وغيرها مما يعرفهُ أئمة الصناعة ولا يتسبب اليهِ بأقوى اسبابهِ الاَّ من رزق القوة على التوليد والاختراع

اذا عرفت ذلك السر في سقوط الشعر واضطرابهِ وسفسفتهِ لم ترغريباً ما هو غريب في نفسهِ من ان بدء النهضة الشعرية الحديثة لم يكن العلم الذي يصحح الرأي ولا الاطلاع الذي يؤتي الفكر ولا الحضارة التي تهذب الشعور ولا نظام الحكم الذي يحدث الاخلاق ، وانما كان ضرباً من الجهل وقف حدّاً منيعاً بين زمن فنون البلاغة وبين زماننا وكان كالساحل لذلك الموج المتدفق الذي يتضرّب على مدِّ ثمانمائة سنة من القرن السادس الى الرابع عشر للهجرة . ولله اسرار عجيبة في تقليب الامور وخلق الاحداث ودفع الحياة الفكرية من نمط الى نمط واخراج العقل المبتدع من هيأة الى هيأة وجعل بعض النفوس كالينابيع للتيار الانساني في عصر واحد او عصور متعاقبة واقامة بعض الاشخاص حدوداً على الازمنة والتواريخ ، فكان الذي احدث الانقلاب الرابع في تاريخ الشعر العربي وانشأ الذوق نشأتهُ الخامسة هو الشاعر الفحل محمود باشا البارودي الذي لم يكن يعرف شيئاً البتة من علوم العربية او فنون البلاغة وانما سمت بهِ الهمة لانهُ حادثة مرسلة للقلب والتغيير فأبعده الله من تلك العلوم واخرجهُ لنا من دواوين العرب كما نشأ مثل ابن المقفع والجاحظ من فصحاء الاعراب ويسّر لهُ من اسباب ذلك ما لم يتفق لاحد غيرهُ

مما لا محل لبسطهِ هنا ، ولا تكاد تجد شعر أديب متأخر يستقيم لهُ ان يذكر في شعر كل عصر من لدن زمننا الى صدر الاسلام ثم لا تنحط مرتبتهُ غير كلام البارودي هذا . وهو وحده الذي يقابل القاضي الفاضل في ادوار التاريخ الادبي على بعد ما بينهما لان شعرهُ هو الذي نسخ آية الصناعة ودار في ألسنة الرواة وكان المثل المحتذى في القوة والجزالة ودقة التصوير وتصحيح اللغة ، ولم يشأ الله ان يسبقهُ الى ذلك احد لان النهضة الاجتماعية في هذا الشرق العربي كانت في علم الله مرهونة باوقاتها واسبابها ولولا ذلك لسبقهُ شاعر القرن الحادي عشر الامير منجك المتوفى سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) فقد اتفقت لهذا الامير نشأة كنشأة البارودي فكان كثير الحفظ من دواوين العصور الاولى وكان يقلد أبا فراس الحمداني ويحتذي على مثالهِ ولكن عصرهُ كان في العصور المالكة فخرج الشاعر ضعيفاً كما يخرج كل شيء في غير وقتهِ ولغير تمامهِ وبغير وسائلهِ الطبيعية

ونشأت العصابة البارودية وفيها اسماعيل صبري وشوقي وحافظ ومطران وغيرهم وادركوا ما لم يدركهُ البارودي وجاءوا بما لم يجيء بهِ . واتصل الشعر بعضهُ ببعض وسارت بهِ الصحف وتناقلتهُ الافواه وأُنسي ذكر البلاغة وفنونها بالنشأة المدرسية الحديثة التي جعلت من ترك البلاغة بلاغة لانها صادفت اوائل الانقلاب ليس غير . وبذلك بطل في مصر عصر ابي النصر والليثي والساعاتي والنديم وطبقتهم وفي الشام عصر اليازجي والكستي والانسي والاحدب واضرابهم وفي العراق عهد الفاروقي والموصلي والبزّاز والتميمي وسواهم واستقلّ الشعر عربيّاً عصريّاً وخرج كما يخرج الفكر المخترع ماضياً في سبيل غير محدودة

***

لا ريب في ان الطرق التي تتبع في تربية الامة وتكوين روحها العالمية لا بد ان يكون لها أثر بيّن في شعر شعرائها فانما الشعر فكر ينبض وعاطفة تختلج وما أرى الشاعر الحق من امتهِ الأ كالزهرة الصغيرة من شجرتها ان لم تكن خلاصة ما فيها من القوة فهي خلاصة ما في الشجرة من معنى الجمال ولونهِ وملمسهِ ولا تعدم مع هذه الصفة ان تكون وحدها الكوكبُ الساطع في هذا الافق الاخضر كلهِ . ولقد اطّردت النهضة منذ خمسين سنة او حولها في الادب والعلم وفي الفكر والفن والصناعة واستوى لنا من ذلك ما لم يتفق لهذه الامة في عصر من عصورها حتى بلغنا من ذلك ان صرنا كأنما فتحنا أرضاً من اوربا . وتغلبنا عليها او أنشأنا اوربا عربية وما نزال نعمرها وننقل اليها العلوم والفنون والآداب ونستخرج لها الامثلة والاساليب ، غير ان الشعر العربي مع هذا كلهِ لم يوفَّ قسطهُ ولم

يبلغ مبلغهُ في مجاراة هذه النهضة قوةَ ابتكار وسلامةَ اختراعٍ وحسن تنوع لسببين :
الاول انهُ لا يزال كما كان منذ فسدت اللغة العربية شعر فئة لا شعر امة فهو يوضع للخاصة لا للشعب و يدور مع الاغراض والحاجات لا مع الطبائع والاذواق ، وذلك لو تأملت هو من بعض الاسرار في سمو هذا الشعر وقوة إحكامهِ وابداع تنسيقهِ وجمال توشيحهِ منذ الدولة العباسية الى القرن الخامس ثم انحطاطهِ بعد ذلك وتدليهِ شيئاً فشيئاً حتى بلغ الدرك الاسفل في العصور المتأخرة اذ كانت الفئة التي يوضع لها ويصف اهواءها واغراضها وتتقبلهُ وتثيب عليهِ وتحسن وزنهُ ونقدهُ هي في الناحيتين كما ترى من طرفي المنظار الذي يقرب البعيد فهي بالنظر في اولهِ واضحة جلية مترامية الى الجهات وبالنظر في آخرهِ ضئيلة ممسوخة لا تكاد تُعرف . وما اقضى العجبَ من غفلة بعض الكتاب في هذا الزمن إذ يناهضون العربية ويزرون على الفصاحة ويعملون على انكماش سوادها وتقليل اهلها وما يدرون انهم بذلك يسقطون الشعر قبل الكتابة على خطأ او عمد وقلما تجد واحداً من هؤلاء يحسن معالجة الشعر فان اصبت لهُ شعراً وجدتهُ لا غناء فيهِ او في اكثرهِ وأين وضعت يدك منهُ لم تخطئ ان تقع على مثل مما يمثّل بهِ لعيب من عيوب البلاغة

وهذه النهضة التي نحن في صدد الكلام عنها أوسع مدى واوفر اسباباً من تلك التي كانت في الدولة العباسية بما دخلها من ادب كل امة وما اتصل بها من اساليب الفكر ولكن أين رجال الفصاحة المتمكنون منها المتعصبون لها العاملون على بثها في الالسنة مع ان عصرهم أوسع من عصر الرواة بكثرة ما اخرجت المطابع من امهات الكتب والدواوين حتى اغنت كل مطبعة ادبية روايةً من ائمة الرواة

والسبب الثاني الذي من اجلهِ لا يزال الشعر متخلفاً عن منزلتهِ الواجبة لهُ — سقوط فن النقد الادبي في هذه النهضة فان من اقوى الاسباب التي سمت بالشعر فيما بعد القرن الثاني وجعلت اهلهُ يبالغون في تجويده وتهذيبهِ كثرة النقاد والحفاظ وتتبعهم على الشعراء واعتبار اقوالهم وتدوين الكتب في نقدهم كالذي كان في دروس العلماء وحلقات الرواية ومجالس الادب وكالذي صنفهُ مهلهل بن يموت في نقد ابي نواس واحمد بن طاهر وابن عمار في ابي تمام وبشر بن تميم في البحتري والآمدي في الموازنة والحاتمي في رسالتهِ والجرجاني في الوساطة وما لا يحصى من مثل هذه الكتب والرسائل . وانت من النقد في هذه النهضة بين اثنين : صديق هو الصديق او عدو هو العدو . . . . فان ابتغيتَ لهما ثالثاً فكاتب لا تتعادل وسائل النقد فيهِ فلا خير في كلامهِ . اما الناقد الذي استعرض علم العربية

وآدابها وكان شاعراً كاتباً قوي العارضة دقيق الحس ثاقب الذهن مستوي الرأي بصيرا بمذاهب الادب متمكنًا من فلسفة النقد مبرّزا في ذلك كلهِ —فهذا الخيال يذكرني كلمة قلتها يومًا للبارودي اذ قلت لهُ : ان الشاعر لا يكون لسان زمنهِ حتى يوجد معهُ الناقد الذي هو عقل زمنهِ . فقال ومن ناقد الشعر في رأيك ؟ قلت الكاتب وهو شاعر والاديب وهو فيلسوف والمصلح وهو موفَّق فكأَنما هوّلت عليهِ حتى قال رحمهُ الله « فين دا كلهُ » قلت فلعلهُ لا ينشئ لنا هذا العقلَ الملتهب الاَّ العصر الذي يوجد لنا اسطولاً كاسطول انجلترا

***

وعلى ما نزل بالشعر العصري من هذين السببين فقد استقلت طريقتهُ وظهر فيهِ اثر التحول العلمي والانقلاب الفكري وعدل بهِ اهله الى صور الحياة بعد ان كان في اكثرهِ صوراً من اللغة واضافوا بهِ مادة حسنة الى مجموعة الافكار العربية ونوعوا منهُ انواعًا بعد ان كان كالشيء الواحد واتسعت فيهِ دائرة الخيال بما نقلوا اليهِ من المعاني المترجمة من لغات مختلفة وهو من هذه الناحية اوسع من شعر كل عصر في تاريخ هذه اللغة اذ كان الاولون انما يأخذون من اليونانية والفارسية ثم اخذ المتأَخرون قليلاً من التركية . اما في العهد الاخير فيكاد العقل الانساني كلهُ يكون مادة الشاعر العربي لولا ضعف اكثر المُحْدَثين من النشء الجديد في البيان واساليبهِ وبعدهم من ذوق اللغة واعتياص مرامها عليهم حتى حسبوا ان الشعر معنى وفكر وان كل كلام ادى المعنى فهو كلام ولا عليهم من اللغة وصناعتها والبيان وحقيقتهُ وحتى صرنا والله من بعض الغثاثة والركاكة والاختلال في شر من توعّر نظم الجاهلية وجفاء الفاظهِ وكزازة معانيهِ ، وهل ثمَّ فرق بين ان تنفر النفس من الشعر لانهُ وعر الالفاظ عسِر الاستخراج شديد التعسف وبين ان تمجهُ لانهُ ساقط اللفظ متسوّل المعنى مضطرب السياق ؟ ثم تراهم يجرون الشعر كلهُ على اختلاف اغراضهِ نمطًا واحداً من تسهيل اللفظ ونزولهِ حتى كأَن هذه اللغة لا تنوُّع في الفاظها واجراس الفاظها مع ان هذا التنوع من احسن محاسنها واخص خصائصها دون غيرها من اللغات كما أَن كل تنوع هو من ابدع اسباب الجمال والقوة في كل فن . ولا يدري اصحابنا ان كل ذلك من عملهم عبث في عبث اذاهم لم يعطوا الشعر حقهُ من صناعة اللغة ، وهذا شاعر الفرس الشهير مصلح الدين السعدي الشيرازي امام من أَئمة البلاغة في قومهِ لا يدفع مكانهُ وشعرهُ مثَل من اسمى الامثلة في جمال المنطق

الروحي وليس في الناس الاَّ من يسلم لهُ هذا المحل من النبوغ ، وهو مع ذلك حين نظم الشعر العربي لم تنفعهُ نافعة من حكمة او خيال او فكر وذهب في التعسف كل مذهب وحمل على كلامهِ من العيوب ما لم يسلم معهُ الاَّ صحة الوزن كقولهِ في وصف نكبة بغداد وتخريبها

فقد ثكلت ام القرى ولكعبة مدامعُ في الميزاب تسكب فى الحجر
على جدُر المستنصرية ندبةٌ على العلماء الراسخين ذوي الحجر
نوائب دهر ليتني مت قبلها ولم أرَ عدوان السفيه على الحبر
محابر تبكي بعدهم بسوادها وبعض قلوب الناس تألف بالغدر
لحى الله من تُسدي اليهِ بنعمة وعند هجوم اليأس احلك من حبر

فانظر اي شعر هذا في الركاكة والهذيان والسخف وفي خمود الفكر وضعف الروح وذهاب الرونق وتأمل كيف هوى بهِ السعدي من مكانتهِ التي بوَّأهُ إياها ادبهُ العالي وكيف سقط الى حيث ترى مع انهُ في محراب الفكر إمام ووراءهُ صفوف من عصور البلاغة

ومن ههنا نشأ في ايامنا ما يسمونهُ « الشعر المنثور » وهي تسمية تدل على جهل واضعها ومن يرضاها لنفسهِ فليس يضيق النثر بالمعاني الشعرية ولا هو قد خلا منها في تاريخ الادب ولكن سر هذه التسمية ان الشعر العربي صناعة موسيقية دقيقة يظهر فيها الاختلال لاوهى علة ولا يسر سبب ولا يوفق الى سبك المعاني فيها الاَّ من امدهُ الله باصح طبع واسلم ذوق وافصح بيان ، فمن اجل ذلك لا يحتمل شيئاً من سخف اللفظ او فساد العبارة او ضعف التأليف ولا تستوي فيهِ اسمى المعاني مع شيءٍ من هذه العلل واشباهها وتراهُ يلقي بمثل (السعدي) من الفلك الاعلى الى الحضيض لا يقيم لهُ وزناً ولا يرعى لهُ محلاً ولا يقبل فيهِ عذراً ولا رخصة . غير ان النثر يحتمل كل اسلوب وما من صورة فيهِ الاَّ ودونها صورة الى ان تنتهي الى العامي الساقط والسوقي البارد ، ومن شأنهِ أن ينبسط وينقبض على ما شئت منهُ ، وما يتفق فيهِ من الحسن الشعري فانما هو كالذي يتفق في صوت المطرب حين يتكلم لا حين يغنّي . فمن قال « الشعر المنثور » فاعلم ان معناهُ عجز الكاتب عن الشعر من ناحية وادعاؤُهُ من ناحية اخرى

***

والذي اراهُ جديداً في الشعر العربي مما ابدعتهُ هذه النهضة اشياء

(اولاً) هذا النوع القصصي الذي توضع فيهِ القصائد الطوال فان الآداب العربية خالية منهُ وكان العرب ومن بعدهم اذا ذكروا القصة ألمُّوا بها اقتضاباً وجاؤُوا بها في جملة

السياق على انها مثل مضروب او حكمة مرسلة او برهان قائم او احتجاج او تعليل وما جرى هذا المجرى مما لا ترد فيهِ القصة لذاتها ولا لتفصيل حوادثها وهو كثير في شعر الجاهليين والاسلاميين والجيّد منهُ قليل حتى في شعر الفحول فان طبيعة الشعر العربي تأباهُ. والذين جاؤُا بهِ من العصريين لا يجيدون منهُ الاَّ قطعاً تعرض في القصيدة وابياتاً تتفق في بعض معانيها واغراضها مما يجري على أَصلهِ في سائر الشعر طال او قصر . والسبب في ذلك ان القصة انما يتم تمامها بالتبسط في سردها وسياقة حوادثها وتسمية اشخاصها وذكر اوصافهم وحكاية افعالهم وما يداخل ذلك او يتصل بهِ ، وانما بني الشعر العربي في اوزانهِ وقوافيهِ على التأثير لا على السرد وعلى الشعور لا على الحكاية ولا يريدون منهُ حديث اللسان ولكن حديث النفس فهو في الحقيقة عندهم صناعة روحية يصنعون بها مقادير من الطرب والاهتزاز والفرح والحزن والغضب والحمية والفخر والاستطالة ونحوها من المعاني التي هي بسبب من اسباب الانفعال والنزعة فلا جرم كان سبيلهم الى ذلك هو التحديد لا الاطلاق وضبط المقادير لا الاسراف منها اذ كان من شأن هذه الامور في طبيعة النفس ان ما زاد منها عن مقدارهِ تحوَّل وانقلب في تأثيرهِ ، وذلك هو السبب ايضاً في ان هذا الشعر ما لم يكن قائماً على اختيار اللفظ وصنعة العبارة وتصفيتها وتهذيبها واختيار الوزن للمعنى وادارة الفكر على ما يلفت النفس من ضروب المجاز والاستعارة ونحوها — سقط وركَّ بمقدار ما ينقصهُ من ذلك. وليس الشأن في اطالة القصيد فمن الشعراء من نظم روياً واحداً فيهِ اربعة آلاف بيت ومنهم من نظم تفسير القرآن كله ولكن عيب مثل هذا الشعر في العربية انهُ شعر .... وما أَخمل ابن الرومي على جلالة محلهِ الاطول قصائدهِ وسياقة الكلام فيها مع ذلك على ما يشبهُ اسلوب الحكاية وخروجها مخرج المقالة يتحدث بها فلم تحيِ لهُ الامقطعات وابيات ومات سائر شعرهِ وهو حي وميت على السواء حتى قال فيهِ صاحب الوساطة : ونحن نستقري القصيدة من شعرهِ وهي تناهز المائة او تربي او تضعف فلا نعثر فيها الاَّ بالبيت الذي يروق او البيتين ثم قد تنسلخ قصائد منهُ وهي واقفة تحت ظلها جارية تحت رسلها لا يحصل منها السامع الاَّ على عدد القوافي ..... »والعجيب أَن بعض الكتاب في عصرنا ممن لا تحقيق لهم في مثل هذه المسائل يعدون احسن محاسن ابن الرومي ما هو اقبح عيوبهِ ،وقاتل الله صناعة الكتابة فكما انها لملءُ الفراغ هي كذلك لإفراغ الملآن...

(ثانياً) صياغة بعض الشعر على اصل من اصول التفكير في الانجليزية او الفرنسية او غيرهما من لغات الامم فيخرج الشعر عربياً واسلوبهُ في تأدية المعنى اجنبي . واكثر ما يأتي هذا

النوع من امريكا وانا اعجب بكثير منهُ لما فيهِ من الغرابة والحسن. وما زالت اجناس الامم يضيق بعضها باشياء و يتسع بعضها باشياء فلسنا مقيدين بالفكر العربي ولا بطريقتهِ وعلينا ان نضيف الى محاسن لغتنا محاسن اللغات الاخرى ولكن من غير ان نفسدها او نحيف عليها او نبيعها بيع الوكس. ومتى كان هذا النوع من الشعر رضيناً محكماً جيد السبك رشيق المعرض كان في النهاية من الرقة والابداع · ولم يأت التجديد في هذه اللغة الآ من هذه الناحية كالذي تراهُ فيما اخذ عبد الحميد وابن المقفع من نمط الاداء في اللغة الفارسية

(ثالثاً) الانصراف عن افساد الشعر بصناعة المديح والرثاء وذلك بتأثير الحرية الشخصية في هذا العصر. والمدح اذا لم يكن باباً من التاريخ الصحيح لم يدل على سمو نفس الممدوح بل على سقوط نفس المادح وتراهُ مدحاً حين يتلى على سامعهِ ولكنهُ ذم حين يُعزَى الى قائلهِ ، وما ابتليت لغة من لغات الدنيا بالمديح والرثاء والهجاء ما ابتليت هذه العربية ولذلك اسباب لا محل لتفصيلها

(رابعاً) الاكثار من الوصف والابداع في بعض مناحيهِ والتفنن في بعض اغراضهِ الحديثة وذلك من اسمى ضروب الشعر لا تتفق الاجادة فيهِ والاكثار منهُ الاَّ اذا كان الشعر حيًّا وكانت نزعة العصر اليهِ قوية وكان النظر فيهِ صحيحاً · ولما وصف الشيخ احمد الكردي من شعراء القرن الثاني عشر السفينة واستهل بهذا الوصف مدح الوزير راغب باشا عدوا ذلك حادثة من حوادث الادب في عصرهِ فتأمل

(خامساً) إهمال الصناعات البديعية التي كان يبنى عليها الشعر فينظم البيت ليكون جناساً او طباقاً او استخداماً او تورية الخ او ضرباً آخر من صناعة العدد والحساب كالتاريخ الشعري بانواعهِ او صناعة الحرف كالمقلوب والمهمل وغيرهما او صناعة الفكر كاللغز والمعمى أو صناعة الوضع كالتشجير والتطريز الى ما يلتحق بهذا الباب الذي ذهب اهلهُ فلا يتيسر لاحد من بعدهم ان يجاريهم فيهِ وكانت لهم في كل ذلك عجائب استقصيناها بالتدوين في موضعها من (تاريخ آداب العرب) . بيد أن اهمال صناعة البديع شيء واهمال فن البديع نفسه شيء آخر ومن هنا جاء ما نراهُ في بعض الشعر الحديث« والشعر المنثور »من الاغراق السخيف الذي لا يقوم على اصل ومن التعدي في ضروب الاستعارة والبعد في المجاز والإحالة في الوضع ونحوها مما يرجع الى الجهل بطبيعة البلاغة ومما لا نعدّهُ الاَّ ضرباً من الفساد يلتحق بما كان في العصور الماضية وان كان على الضد منهُ

(سادساً) النظم في الشؤُن الوطنية والحوادث الاجتماعية مما يجعل الشعر محيطاً

بروح العصر وفكرهِ وخيالهِ وهو باب لا ينهض بهِ الاَّ افراد قلائل ولا يزال ضعيفاً لم يستحكم . وقد قالوا ان للقاضي الفاضل اثني عشر الف بيت في مدح الوطن والحنين اليهِ ولكن لا احسب ان فيها مائة من نحو ما ينظم في هذا العصر مما ادى بالشعر الى ان يدخل في باب السياسة و يعدّ من وسائلها وفي طرق التربية و يعد من اسبابها

(سابعاً) استخراج بعض اوزان جديدة من الفارسية والتركية وهو قليل جاء بهِ شوقي في قصيدتين ولم يتابعهُ احد لافراط ذلك الوزن في الخفة حتى رجع الى الثقل . . . . ثم نظم بعض الشعر من اوزان مختلفة قريبة التناسق على قاعدة الموشح ولكنهُ شعر لا توشيح كما ينظم بعض شعراء امريكا وسوريا ولم يحدث مثل ذلك في العربية فان القصيدة كانت تنظم من بحر واحد وقد يخرج منهُ وزن آخر . ولا نعرف في تاريخ الادب قصيدة تتألف من وزنين الاَّ الذي قالوا ان حسين بن عبد الصمد المتوفى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦) م قد اخترعهُ ونظم فيهِ ابياتهُ التي مطلعها

فاح عرف الصبا وصاح الديك وانثنى البان يشتكي التحريك
قم بنا نجتلي مشعشعةً تاه من وصفهِ بها النسيك

وعارضها ولدهُ الامام الشهير بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول بابيات قالوا انها سارت في عصرهِ مسير المثل ونسج عليها شعراء ذلك العصر كالنابلسي وغيرهِ ومطلعها

يانديمي بمهجتي افديك قم وهات الكؤس من هاتيك
خمرة ان ضللت ساحتهـا فسنا نور كأسها يهديك

على ان هذا الوزن بشطريهِ مستخرج من الخفيف فليس باختراع كما زعموا وانما هو ابتداع في التأليف الشعري . وقد اجتزأنا بما مرت الاشارة اليهِ فانهُ كل ما تغير بهِ الرسم في هذه الصناعة وتركنا الامثلة تفادياً من الاطالة

***

وبعد فلا ريب ان النفس البشرية في حاجة ابداً مع دينها الروحي الى دين انساني يقوم فيها على الشعور والرغبة والتأثير فيفسر لها حقائق الحياة ويكون وسيلة من وسائل تغييرها ليجعلها الطف مما هي في اللطف وارق مما تكون في الرقة وابدع مما تتفق في الابداع . ذلك الذي يصل بظهوره وإبهامهِ بين الواضح والغامض والخالد والفاني ، ذلك الذي لا يجمل الجمال الا بهِ ولا تسكن النفس الا اليهِ ، ذلك هو الشعر

مصطفى صادق الرافعي

لم تمت عائشة

اصول النهضة النسوية في مصر

قضت التيمورية سنة ١٩٠٢ فكان بين ما قيل في رثائها قصيدة نشرت عامئذٍ في « المجلة المصرية » التي كان يصدرها خليل مطران ۰ وهذا مطلع القصيدة :

ألا يا موت ويحك لم تراعِ — حقوقًا للطروس وللبراعِ
تركتَ الكتب باكيةً بكاءً — يشيب الطفل في عهد الرضاعِ

ومنها : سنبقى بعد عائشة حيارى — كسربٍ في الفلاة بغير راعِ
لقد فقدت ولم تفقد علاها — وهل شمس تغيبُ بلا شعاعِ
هي الدرُّ المصون ببطن ارضٍ — وقد كانت كذلك في قناعِ

وهذا البيت يذكرني بقول المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة :

على المدفون قبل الترب صونًا — وقبل اللحد في كرم الخلالِ

ومن القصيدة المذكورة آنفًا :

فيا خير النساء بلا خلافٍ — وقدوتنا بلا أدنى نزاعِ
لقد أحييتِ ذكر نساء مصرٍ — وجدّدتِ العلا بعد انقطاعِ
وشدتِ صروح طهرٍ باذخاتٍ — محصّنةً كتحصين القلاعِ
ودوّنتِ الثلاث بنظم درٍّ — يزيدُ جمالها حسنُ اختراعِ
فمن للشعر والآداب يرعى — ومن للنثر يا فضلى يراع
بحار هداك أروت كلَّ صقعٍ — وطار علاكِ في كلّ البقاعِ
فربع العـلم أضحى في حدادٍ — لفقدك ، والمعارف في التياعِ

هذه الابيات التي لا تخرج عن كونها الفاظًا مرصوصة في قالب السجع والرويّ بقصد الندب والتعديد المطروق ، ما كانت لتستحق من الالتفات اكثر ممَّا تفوزُ بهِ مثيلاتها التي ما زلنا نراها احيانًا مهرولةً في أنهار الصحف فضلاً عن صحائف « الدواوين » ! على أنها تستوقفنا باسم ناظمتها. وناظمتها هي ملك حفني ناصف (باحثة البادية بعدئذٍ) الطالبة في ذلك الحين بالمدرسة السنية. طالبة يظهر من اقتحامها رثاء العلماء والعظماء انها تحلم بالكتابة اثناء عهد الدراسة، أو انها تجدُ من نفسها وممّا حولها بواعث تدعوها اليها. وخليل مطران

الذي كان قد رثى الشاعرة قبل ستة اشهر ، في العدد الاول من السنة الثالثة لمجلتهِ تلك (شهر يونيه ١٩٠٢) جعل لمرثاة ملك عنوانًا مع ما فيهِ من حب التشجيع والمجاملة لابنة صديقهِ الكبير ، فانَّ فيهِ كذلك لمحة الالهام تهفُّ على قلب شاعر يكتبُ ويتكلم احيانًا كمن يقرأ في صحيفة الغد . وهو العنوان الذي اقتبستهُ لهذا الفصل الختاميّ من درمي الشخصية التيمورية : « لم تَمُتْ عائشة »

***

والآن وقد تقضّى نحو ربع قرنٍ على ذلك اليوم، وطوت الارضُ الراثيةَ بعد المرثية من المرأتين ، نرى لكلمة خليل مطران معنى اوسع كثيراً مما هو اراد وابتغى

من المأثور عند الشرقيين قولهم « من خلَّف ما مات » وغرضهم من ذلك انَّ من يترك أبناء بعدهُ فهم يتممون عملهُ ويخلّدون ذكرهُ فيظلُّ حيًّا فيهم . واننا لنضمّن هذه الكلمة مزيداً من المغزى بتكاثر عدد البنين لاننا ما زلنا في جهالتنا نحصي الناس والاشياء ونقدّرهم بالكمية دون الكيفية . على ان هذا القول لا يجيءُ في موضع الاصابة وتقرير الواقع الاَّ اذا ظهرت في الابناء الميزة التي امتاز بها الوالدان او احدهما ، وإن لم تكن هي الميزة بعينها فما يوازيها من نوعها في الفضل والموهبة . وهو في غير ذلك سخرية بارزة واكذوبة صارخة تنفيها جميع الشواهد المثبتة من الناحية الاخرى ان صلة الرحم تحمل من التنابذ بقدر ما تحمل من التشابه ، وانَّ قرابة الدم تكنّ من المقت والنفور بمقدار ما تكنّ من العطف والمحبة ، وان كثيراً ما يكون الابناء للآباء والآباء للابناء علّة فناء في الحياة (وبعد الموت) واستشهادٍ منوّعٍ طويل

اما عائشة فكانت امًّا لبنين وبنات قضى جميعهم ولم يبق منهم على الارض احد . فهي لم « تخلّف » ورغم ذلك فلم تمت وستظلّ ابداً حيّةً بذاتها . وهي من الذين لهم ان يحيوا في الاشخاص المحبوبين منهم . فهي حيّة حياة العلم والفضل في شقيقها العلاّمة احمد تيمور باشا صاحب الخزانة التيمورية اغنى مكتبة خصوصية في القطر المصري ، وفي ما يخرجهُ من ضليع التواريخ والابحاث والمعاجم في العلوم التاريخية واللغوية الخطيرة

وهي كذلك حية في نجل شقيقها ، المرحوم محمد بك تيمور ، ذلك الروح الذي « ومض » في حياتهِ القصيرة فاوجد من الآثار في الشعر والادب والنقد والمسرح ما قد كان يكفي ليملأ حياةً طويلة نشيطة . ولقد جُمعت آثارهُ منسقة في ثلاثة اجزاء كبيرة

فجاءت في الجزء الاول منها « وميض الروح » مجموعة شعور الرفيق الحزين مصدَّرة بهذه المقدّمة : « إهداء الديوان

« لروح عائشة تيمور أرفع هذه النفثات

« ابن اخيها

« محمد تيمور »

حيّة ايضاً في ابن اخيها الآخر ، محمود بك تيمور ، الذي ظهر حسن ذوقهِ في الاختيار وإحكام التنسيق وربط الموضوعات فيا بينها في موَّلفات المرحوم شقيقهِ التي تولّى نشرها. وتظهر مقدرتهُ الشخصية في نصرتهِ لنزعة التجديد في الأدب الحديث ، وفي تلك الاقاصيص الريالستيّة التي يرسلها بفنّ حاذق مشوبة بمسٍ من الكآبة مع ارتياب في الحياة وامتهانٍ لانعامها وافراحها . وهو فنٌّ يكاد يتخصص لهُ دون سواه في مصر

***

ثم نتخطّى حدود العائلة الفردية التي يتخطّاها حتماً كلُّ متفوّق بمجرَّد تشعُّع شخصيتهِ فنجد التيمورية حية في الاسرة النسوية المصرية . ويذكر الذين تتبعوا مقالاتي عن عائشة انها كتبت بلهجة زمانها وقدر المستطاع في موضوعاتٍ نسوية واجتماعية ، منها التربية والزواج والطلاق . وملك حفني ناصف التي نالت شهادتها في السنة التالية لوفاة عائشة (١٩٠٣) تلقَّت فعلاً من التيمورية وراثةً لم تكن باهظة بكميتها ولكن بما يجب ان يضاف اليها وبالسبيل المحفوفة بالصعاب والاشواك التي كان عليها ان تتبعها . فحملت تلك النفحة النسوية الاولى واضافت اليها نفحاتها حتى توفيت ساعة اليقظة الوطنية في هذه الديار . فما غمضت عيناها وسكنت حركة قلبها الاَّ وقد انفتحت بفعل الظروف والوقت والمدارس عيون وتيقَّظت قلوب

لقد وضع قاسم امين برنامجاً لجميع المسائل النسوية الاجتماعية في هذا العصر . ولم يتكلّم كرجل نظريّ كما يقولون . بل كرجلٍ عرف امتهُ وعركها في المناصب التي شغلها وفي خبرة القضاء والاعمال ، وتأثر بخيرها وشرّها بسيطرتها على حياتهِ وبكلّ ما قاساهُ من الالم والعذاب . وكان يزيد فكره استنارة اطلاعهُ على مدنيَّة الغرب ومسايرة حركة الاصلاح فيها مع مقدرتهِ على تبيُّن الامور الصالحة من الطالحة وتلُّمس ما يحسن منهُ للمرأة الشرقية دون سواهُ . فاختطَّ لها برنامجاً حصيفاً ينيلها الحرية والكرامة والنبل دون ان

يخرجها عن سبيلها الطبيعيّ في الحياة . أتري لم يسمع قاسم صوت عائشة بينا هو كان يهيئ الخطة ؟ ألم يهمس لهُ ذلك الصوت شيئاً ما في تفكيرهِ وآمالهِ ؟

كانت إذن وراثة الباحثة مزدوجة لانها تلقتها من عائشة ومن قاسم . ولم يتكلم قاسم عن حاجتهِ الفردية فحسبُ يوم نادى بتعليم المرأة وتحريرها بل كان معبّراً عن رأي كثيرين من أصحابهِ ، كما ذكرتُ في كتابي عن « باحثة البادية » . فظلَّت هذه الحاجة تتطوّر في نفوس الرجال الذين زاد طلبهم من النساء ميزات ومواهب ومعارف لم يكونوا ليأبهوا لها من قبل . وزاد تشوّق النساء الى التعليم والاستنارة . ولئن لم تنتظم تلك الحركة بشكل جمعيات فانها كانت تنضج في سكون وهدوء شأن البذرة تحت الثرى تنتظر ساعتها لتظهر . وإذ عصفت النهضة الوطنية فجرفت كثيراً من تكتّم الماضي خطت المرأة المصرية مع الامة الى طور جرأةٍ واقتحام يتهيأ لها منذ اعوام بل منذ جيلين . فاتخذت الحركة النسوية الآن شكلاً هيوليًّا بعضهُ واضح منظَّم . والكتلة الباقية منهُ يجب ان ينظر فيها الى ما نحن في حاجةٍ مسيسة اليهِ دون نسخ ما تصنعهُ النساء في البلدان الاخرى

وليست الاصوات المعاكسة لتسكت صوت المرأة العادل او تخرسهُ . إذ ليس من يقوى على خنق تيار الحياة يسري في جذورٍ هي أعرق جذور الانسانية

***

لقد تألمت المرأة في العالم وفي الشرق ألماً صادقاً ليس فيهِ شيء من التعمُّل . وصمتت طويلاً وهي تحسب الفضل في الصمت كما كانوا يعلمونها ضلالاً . وككل من تألم وكظم اكتسبت خبرة تنبئها بأن من آلامها ما هو تضخم وتورُّم في حياتها وليس بالآلام الملازمة لجنسها كما يزعمون . فالآلام الناتجة عن طبيعة الاشياء لا قبَل لاحدٍ بها ، لها جبروت الناموس وطغيان العواصف وعنجهية الصواعق . ولكن علام تحتمل ما ليس في ذاتهِ الاّ تسخيراً لحريتها وانسانيتها واستغلالاً لشبابها وملاحتها وحقوقها الطبيعية ؟ أفي ذلك خير للمجتمع كما يقول المولولون ؟ وكيف تقوم سعادة المجتمع يا ترى على شقاء الافراد ؟ كيف يكون الجسم صحيحاً إذا كانت خلاياهُ عليلة ؟ كيف يرسخ البناء ويمكن اذا كان التشقق والانحلال قد دبّ في كلّ لبنةٍ من لبناتهِ ؟

لقد تألمت المرأة فتعلمت بآلامها ، وعرفت في وحدتها الداء فاهتدت في سكوتها على الدواء . وانبرت اليوم تنطق لا لتنازل الرجل وتكافحهُ بل لتتعاون وإياهُ على اصلاح المجتمع واجتثاث الفاسد من اصوله . وها هي تباشر الاصلاح في مكانها الطبيعيّ ، اي

في البيت والمدرسة والجمعية حيث تنمو الافراد وتتكيّف صورة المجتمع الآتي . وواجب الرجل اليوم ان يسمع هذا الصوت ويصلحهُ ان رآهُ ضالاً او ينفذ مطالبهُ حيث يراها على صواب . أما واجب المرأة الاكبر فهو ان تفهم نفسها وتتعرّف طبيعتها ، ومع تيسير العمل لكلّ امرأة تحتاج اليهِ لتعيش شريفةً ولا تبهظ الناس بتحمُّل نفقاتها ، يجب ان تدرك النساء فوق كل شيء ان وظيفتهن في الزوجية والامومة والمحبة العائلية التي تجعل الحياة فردوس هناء ونشاط وارتقاء

***

وكما يرجع الى محمد علي بدء تاريخ مصر الحديثة ونشأة تطوُّرها . وكما يبتدئ تيقُّظ الروح القومية عند جمال الدين الافغاني . وكما تهبُّ مع مصطفى كامل نزعةُ العاطفة الوطنية وحبّ الراية المصرية . وكما تتنسّم اخبار قاسم امين لنسمع من جانب الرجل اوّل صيحةٍ بوجوب تعليم المرأة وإنهاضها . كذلك جاء من التيمورية اول صوتٍ نسويّ تكلّم عاليًا في مصر الحديثة فانشد الحبّ على طريقتهِ ودعا في بابهِ الى الاصلاح والنهوض

خلال الدراري النسوية الخاملة المستعبدة لمعت صورة عائشة فكانت رائدة المرأة الجديدة . وسيظلّ شعرها يذكّرنا بنغمة القصب الساذج يشدو أناشيد الحبّ القديم الخالد . وستظل تلك الاناشيد لذيذة وان تقادم عليها العهد لانها اناشيد الجدّة الصالحة الناهضة الحنون . لذيذة لانها ابسط الاناشيد واصدقها . ولان صوت هذا القصب المترنم على ضفاف النيل في الظلام إنما هو يبشّر بقرب تفتُّق الاسحار وانبلاج النهار

***

امّا المرأة اليوم فاحوالها وممكناتها مختلفة وسط كلّ ما يؤيدها و يحدو بها . هي مسوقة حتماً في التيارات التي تكتسح الامم الشرقية ، بل جميع امم العالم على الاطلاق . وهي كالسهم ماضية ليس فقط في نيل حقها بل خصوصاً في تعرُّف واجبها والقيام بهِ لانهُ يستحيل ابتياع الحرية بغير ثمن المسؤولية . ولان الحقّ والواجب متلازمان متجاذبان متماسكان يسقط احدهما ان لم يقم الى جانبهِ الآخر

انشأت المرأة اليوم تعلم كما يعلم الرجل ان شأن الحقّ والواجب شأن اشجار النخيل التي لا تثمر إلاّ إذا قامت الواحدة منها بجوار الاخرى «مي»

(انتهى بهذا الفصل البحث في شخصية التيمورية ودرس آثارها)

الرحالة جورج شو ينفورت

ذكريات شخصية وشؤُون اخرى

قرأت في المقتطف جزء نوفمبر الماضي ترجمة هذا الرحالة الشهير الاستاذ النباتي المحقق جورج شو ينفورث الذي توفي في الايام الاخيرة مناهزاً التسعين من العمر

ولما كنت قد عرفت هذا الرجل عِرفة شخصية منذ بضع سنوات احببت ان اضم الى هذه الترجمة الكلمات الآتية

سنة ١٩١٨ وهي آخر سني الحرب العامة كنت ببرلين بمأمورية تتعلق بازالة بعض الخلافات بين الدولة العثمانية والدولة الالمانية . فاقمت اشهراً الى ان انتهت الحرب بما انتهت بهِ . وفي اثناء اقامتي ببرلين عرفت اناساً كثيرين من رجال الالمان ولاسيما العلماء والادباء والصحفيين والاخبار يين.ومن جملة هؤُلاء رجل من يهود المانية اسمهُ «روتايت» كان محرراً في جريدة « الفوسيشتي تسايتونغ » التي صاحبها جورج برنار وهو من معارفي ايضاً ٠ وكان روتايت هذا يتردد الى اخواننا المهاجرين المصريين الذين كانوا هناك الاستاذ العلامة الشيخ عبد العزيز جاويش والاستاذ عبـد الملك حمزه ورفاقهما فتعرفت بهِ عندهم . ودعانا مرة الى الشاي فوجدت في تلك الدعوة رهطًا من اهل الفضل منهم سيدة اديبة المانية قالت لي عند ما قدموني لمعرفتها : اي نعم انا اعرف بلادكم ولي خلطة تامة بعائلة ثريَّا بك . فقلت لها : واي ّ ثريَّابك ؟ فقالت لي : ثريَّا بك افلا تعرفهُ ؟ فانهُ من بلادكم.فخطر ببالي مثَل « فاطمة في سوق الغزل » وقلت لها : اتدرين لو سألتك قائلاً : الا تعرفين الهر ماكس من المانية ؟ فقولك ثريَّا بك في المملكة العثمانية كما لو قلنا الهر ماكس او الهر كونراد في المانية . وبعد الاستيضاح علمنا انها تريد ثريَّا بك الارناؤُوطي اخا فريد باشا الصدر الاعظم وانها تعرف البانية وتحسب ان البانيةوسورية وازمير والاستانة ومصر ومكة وربما الهند وفارس كلها بلاد واحدة بينها من الفروق ما بين برلين ومونيخ مثلاً ٠ وجرى معي من هذا القبيل ان كونتًا او على قول العرب كنداً المانيًا اقترح عليَّ هدية تنباك من الشرق واخبرني انهُ تعوَّد التدخين بالنارجيلة في بلادنا. فظننت انهُ وجد مرة في طرابلس الشام او في بيروت فقلت لهُ : وفي ايّ بلدة من بلادنا كنت ؟ قال لي : كنت في المرسك وهناك تعلمت شرب النارجيلة ٠ مع ان

المرسك هي في الواقع اقرب الى المانية مما هي الى سورية . ولكن الاوربي اينما وجد المسلم عدّ المكان شرقاً. هذه عقلية القوم استطردت الى ذكرها لانها مما يجب على الشرقيين علمهُ. ونعود الى موضوعنا وهو انني تعرفت عند روتايت بالاستاذ النباتي الكبير شوينفورث ورأيتهُ شيخاً ماجاً لا اقدر ان اقول شق مائل او لعاب سائل بالتمام ولكنهُ كان يختلج دائماً و يتكلم بنغمة من قد شبع من السنين وكان مع هذا حافظاً قواهُ العقلية . ومما اتذكرهُ عنهُ انهُ لم يعمل الرحلة في باطن افريقية فحسب بل ساح في بلاد اليمن وحقق هناك نباتات وتعاشيب كانت مجهولة . وقال لي روتايت امامهُ ان تآليفهُ في النبات مدرسية وانها لا تدرَّس في المانية فقط بل هي مترجمة الى الانكليزية والافرنسية وغيرها وانها تدرَّس في لندن و باريز كما تدرَّس في المانية. وكان في سكوت الاستاذ شوينفورث على كلام روتايت هذا علامة التصديق . فغبطت هذا الرجل على هذه الشهرة العظيمة وهذا الإخصاء الذي جعل كتبهُ تدرس في بلاد الاجانب الراقية وهو لا يزال حيًّا . وذلك اشبه بالامام الغزالي الذي عندما جاء الى دمشق واعتكف في صومعة من الجامع الاموي متنكراً كان يمر بحلقات الدروس و يسمع باذنهِ : قال الامام الغزالي .قال الامام الغزالي . وما احد يعلم انهُ هو الامام الغزالي . انا اقول هذا منتهى السعادة في الدنيا او على الاقل منتهى سعادة العالِم في العالَم

***

ومما اتذكرهُ من آثار جلستنا مع البروفسور شوينفورث او شفينفورث انهُ كان يخلع جلباب شيخوختهِ وتأخذهُ هزة الطرب كالشباب عندما يتحدث بدخول الالمان الى ريغا. وكان الالمان قد استولوا في ذلك الوقت على بلاد البلطيك كلها ومن جملتها ريغا مسقط رأس الاستاذ فكان يقول لي : الآن اموت مستريحاً لان ريغا دخلت في حوزة المانية . فكنت اقضي العجب من كون شيخ بلغ هذه الدرجة من السن يطرب هذا الطرب كلهُ كأنهُ شاب ابن ١٦ سنة لاخذ ابناء جلدتهِ البلدة التي ولد فيها . ولكن الوطنية امرٌ عظيم . ولا شيء اعلق بقلب الانسان من حب الارض التي اول ما مس جلدهُ ترابها . ولما زرت موسكو سنة ١٩٢١ ذهبت بحراً الى بلدة « ريفال » عاصمة « استونية » وركبنا من ريفال بقطار الحديد الى بتروغراد الى موسكو وقفلت من موسكو برًّا عن طريق « ليتونية » بالقطار فكنت ارى البلاد روسية الوسم حتى دخلت ريغا وشاهدت ما

شاهدت من انتظامها ونظافتها وسعة شوارعها ورونق فنادقها وحسن حدائقها خلت اني في قلب المانية . ومع ان اهل ريغا ليس اكثرهم من الجنس الالماني فان اللغة الالمانية فيها هي الغالبة وكل شيء هناك مسحتهُ المانية. وعندها تذكرت شغف الاستاذ شفينفورت باندماج ريغا في الوحدة الجرمانية

على اني احسب عمر الاستاذ المشار اليهِ اكثر مما ورد في الجرائد فان كانت لم تخني ذاكرتي اقول ان الذي سمعتهُ من روتايت عن عمرهِ كان ٨٦ او ٨٧ سنة وهذا سنة ١٩١٨ فيكون عمرهُ يوم ذهب الى ربهِ ٩٣ سنة بالاقل . ولو لم يكن كذلك لما كان سكت على قول روتايت عن عمرهِ وكان بادر الى تصحيحهِ او كان قال لهُ : بالغت . نعم ان الرجال اسمح في هذا الموضوع من النساء . وبعض السيدات يضمرن اشد الحقد لمن يقول الحقيقة عن عمرهنَّ فضلاً عمن يزيد فيهِ شاهدت سيدة في احدى مدن سويسرة اغرت الحكومة بسيدة اخرى وكانت سبب طردها من تلك المدينة فسألتها : ما سبب تلك العداوة ؟ فقالت لي وصلت الامور معها الى ان زعمت ان عمري ٤٠ سنة مع ان عمري ٢٨ . فلا شك ان الرجال ايضاً لا يريدون ان يعدوا شيوخاً فانين ولا يوجد احد يحب ان يزاد في عمرهِ او اذا زيد لهُ فيهِ سكت عن الاعتراض. وحسبك ان سيدنا احمد ابن حنبل رضي الله عنهُ سئل فيما اذكر عن عمرهِ فظهر الامتعاض في وجههِ وقال للسائل : لا تسأل عما لا يعنيك .

نعم انا كنت اعتقد ان الاستاذ شفينفورت مناهز الرابعة والتسعين وهيئتهُ يوم شاهدتهُ واختلاج شفتيهِ واضطراب جسمهِ وعدم تبيُّن جميع الفاظهِ كل ذلك كان يخبر عن التسعين او ما قاربها لكنني علمت بعد ذلك انهُ لم يتجاوز التاسعة والثمانين

بقي علينا ان رحلة هذا الاستاذ في قلب افريقية نقلت الى لغات عديدة من جملتها التركية وكاتب ترجمة شو ينفورت في المقتطف يقول انها نقلت الى التركية بعنوان « سياحتنامه مى دوقتور شوينفورتك افريقا » وما اعلم لماذا لم يقل كاتب الترجمة الاديب ان رحلة الاستاذ ترجمت الى التركية بعنوان « سياحة الدكتور او الدوقتور شوينفورت في افريقية » بل التزم ان ينقل العنوان بالاصل التركي على زعمهِ فجاء بهِ مقلوباً فهذه العبارة حقها ان تكون هكذا « دوقتور شوينفورتك افريقاده سياحتنامه مي» او سياحتنامهٔ دوقتور شوينفورت افريقاده » وما لنا وما للتركي الآن

برلين ١٥ نوفمبر شكيب ارسلان

استطراد

[المقتطف] نشكر الامير الجليل على ما اتحف المقتطف بهِ. وبعدُ فقد ذكرت مجلة ناتشر شوينفورت في السابع من نوفمبر فقالت ما ترجمتهُ

جورج اوغسط شوينفورت ولد في ريغا من والدين المانيين في ٢٩ دسمبر سنة ١٨٣٦ وتوفي في برلين في ٢٠ سبتمبر الماضي وقد كان من علماء الطبيعة الذين امتازوا برحلاتهم ومستكشفاتهم في الجانب الشرقي من اواسط افريقية. نشأ نباتيًّا مدرَّباً فاختير وهو في السابعة والعشرين من عمرهِ لكي يرتب مجاميع النباتات التي احضرها بارنم وهرتمن من السودان. واقام من سنة ١٨٦٣ الى ١٨٦٦ يبحث في نباتات مصر والبلاد المجاورة لها من الاسكندرية الى الخرطوم واسناد البحر الاحمر ومن جبال الحبشة الى البحر الازرق ثم الى بحر الغزال. وهذه الرحلة التي دامت ثلاث سنوات كانت اكثر الرحلات الافريقية ثمرةً. فقد كان غرضهُ الاول فيها البحث في نباتات البلاد لكنهُ لم يقتصر على ذلك بل بحث ايضاً في حيواناتها وجبالها واوضح ما يتعلق بانهارها مما كان امرهُ غامضاً فانهُ عبر النيل واتجه غرباً فكشف نهر ول(١) وحسب انهُ يصب في بحيرة شاد ونال باكتشافهِ هذا وسام مؤسس الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز. ودرس احوال السكان وهو اول من وصف قبائل الدوير والدنكا والبنجو والازندا او النيام نيام آكلي لحوم الناس وقد كشف ايضاً اقزام الاكا فاثبت وجود الاقزام في قلب افريقية بعد ان كان وجودهم في معرض الشك

اما في علم الحيوان فاهم ما كشفهُ نوع متنقل من الشمبانزي كشفهُ في بلاد الازندا ووجود الشمبانزي في وادي النيل لم يكن معروفاً هناك. وكشف ايضاً الببغاء الرمادي وغيرهُ في تلك الجهات. اما في علم النبات فكان عملهُ واسع النطاق فانهُ كشف ان الحراج الكبيرة التي في قلب افريقية تمتدُّ شرقاً ووصف انتساق اشجارها وصفاً شعريًّا وشبهها بالاعمدة في الهياكل المصرية ونشر ذلك في كتاب سماهُ قلب افريقية طبع اولاً سنة ١٨٧٣ مزداناً بكثير من الصور التي رسمها بيدهِ لانهُ كان رساماً ماهراً كما كان كاتباً بليغاً فوق ما اشتهر بهِ من شدة الانتباه والملاحظة. واذا اعتبرنا ما في هذا الكتاب

(١) نهر كبير في قلب افريقية يخرج من بلاد المنبتو ويجري غرباً الى الدرجة ١٩ من الطول الشرقي يميل جنوباً ويصب في نهر الكنجو وقد ظن شوينفورث لما كشفه انه يتصل بنهر شاري ويصب في بحيرة شاد فاخطأ في ظنه

من بلاغة الانشاء والاستيعاب في وصف البلاد وسكانها وما فيها من نبات وحيوان واضفنا الى ذلك ان الزمن الذي كان فيهِ كانت النخاسة في اوجها وتطلب العاج على اشده وجدنا كتابهُ « قلب افريقية » قلما فاقهُ كتاب آخر من كتب روّاد افريقية

بعد ذلك لم يعد الى قلب افريقية بل رحل رحلات اخرى الى جهات اخرى فمن سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٧٧٤ كان في صحراء ليبية مع رولفس وبين سنة ١٨٧٦ و١٨٨٨ ذهب مراراً الى الجنوب الغربي من جزيرة العرب وكان في غضون ذلك يقيم في القاهرة واسس فيها الجمعية الجغرافية سنة ١٨٧٥ تحت رعاية الخديوي اسمعيل وكان يبحث في نبات الجانب الاسفل من وادي النيل وجيولوجيتهِ . وسنة ١٨٨٦ جعل اقامتهُ في برلين ولم يغادرها الا حينما كان يذهب الى ارتريا بين سنة ١٨٩١ و١٨٩٤ . وطبع طبعة جديدة من كتابهِ في قلب افريقية سنة ١٩١٨ بعد ان اضاف اليهِ اضافات كثيرة . ومجموعتاهُ النباتية والجيولوجية معروضتان الآن في متحف برلين انتهى

***

اما نحن فقد لقينا شو ينفرث مرةً في بيت الدكتور غرانت بك بالقاهرة وكانت مسألة وادي الريان وجعلهِ خزاناً شاغلة الافكار وكان كوب هوَيتهوس يحاول اقناعنا بصحة مشروعهِ حتى يؤيدهُ المقطم والمهندس برَوْن من وزارة الاشغال يحاول اقناعنا بفسادهِ فسألنا شوينفرث عن رأيهِ في ذلك من باب جيولوجي فقال انهُ لا يشير بجعل وادي الريان خزاناً لانهُ يحتمل ان تكون في الحاجز الذي بينهُ وبين الفيوم شقوق او نقط ضعيفة فاذا زاد ضغط الماء في الوادي تحلب الى الفيوم واغرقها . ومنذ عهد قريب كنا نكلم سري باشا وزير الاشغال في هذا الموضوع فرأيناهُ يرى ما رآهُ شو ينفرث . اما نحن فبلغنا ان كوب هو يتهوس والسر وليم ولككس يقولان ان في وادي الريان آثار زراعة فاذا كان الامر كذلك فالماء كان فيهِ ولم يغرّق الفيوم حينئذٍ فجعلهُ خزاناً اسلم عاقبة من جعل الخزانات في اعالي النيل ومفتاحها ليس في يد مصر . والذي فهمناهُ من سري باشا انهُ يحسب الفاصل الذي بين وادي الريان والفيوم غير كاف لمقاومة ضغط الماء اذا مُلئَ وادي الريان وهذا لم يقل بهِ شو ينفورت ولا السر وليم ولككس ولذلك فالمسألة تستحق البحث ثانية حتى اذا وجدت آثار زراعة في وادي الريان كما قال كوب هو يتهوس انتفى كل محذور

ملوك البترول

وليم نكس دارسي — البترول والاسطول البريطاني

مهما تفنن الروائيون في ابتكار الحوادث الغريبة لا يستطيعون ان يبتكروا قصة اكثر غرابة من سيرة المستر وليم دارسي D'Arcy الذي بدأ حياتهُ محامياً صغيراً في استراليا فانتزع من قلب الارض ثروتين احداهما اصابها في مناجم الذهب والثانية في منابع البترول

كان صاحب الترجمة كما قدمنا محامياً في بلدة روكامبتن بمقاطعة كوينزلند المتوسطة في اواخر العقد التاسع من القرن الماضي وكان اكثر موكليهِ من اصحاب المزارع والقطعان و بينهم رجل معروف يُدعى سَنْدي مورغن يملك ارضاً بين الآكام المجاورة فجاء هذا الرجل مكتب موكلهِ ومعهُ قطعة من الحجر البرّاق اراهُ اياها وقال « ما هذه ان لديَّ جبلاً منها » قلَّبها المستر دارسي في يديهِ فعرف انها من الكوارتز الذي يوجد فيهِ الذهب ولكي يتحقق ذلك ارسلها الى مدينة سدني لتحليلها ولما جاءهُ تقرير المحلل عرف ان ثروة كبيرة كامنة في ذلك الجبل فاتفق مع المستر مورغن واسس شركة لتعدين الذهب رأسمالها مليون جنيه ونال لقاء عملهِ و بعض المال الذي وضعهُ في تأسيس الشركة ثلث الاسهم وقيمتها الاساسية ثلث مليون جنيه. وقد تبين بعدئذٍ ان هذا المنجم من غرائب مناجم الذهب في العالم لوفرة ذهبهِ

ومضى دارسي في عملهِ كمحامٍ نحو عشر سنوات ولما جمع من ايراد اسهمهِ مائة الف جنيه عزم ان يسيح مع زوجتهِ ليرى البلدان التي يتوق الى رؤيتها . وقبل مبارحتهِ استراليا طلب الى شركائهِ ان يبيعوا جانباً من اسهمهِ متى بلغ سعر السهم ٨ جنيهات مع ان سعرهُ الاساسي جنيه واحد

هبط مصر فراقهُ شتاؤها فبقي فيها نحو ستة اشهر ثم انتقل منها الى ايطاليا فالنمسا من غير ان يعرف شركاؤهُ عنوانهُ ومحل اقامتهِ لانهُ كان يبيت دائماً على سفر . ولما كان في فندق بفينا وقعت عينهُ اتفاقاً على عدد قديم من اعداد جريدة التيمس فاذا فيهِ اعلان من البنك الذي يتعامل معهُ في لندن يطلب فيهِ مديرهُ حضور المستر دارسي «ليعرف امراً يهمهُ » مع ذلك لم يعجل في الذهاب الى لندن لولا ان نفد صبر زوجتهِ فحثتهُ على الذهاب

فذهبا ولما دخل البنك قال لاحد الكتاب « انا دارسي وقد بلغني انكم تبحثون عني» وكان كل مستخدمي البنك يعرفون قصتهُ الغريبة فسار بهِ هذا الكاتب تواً الى المدير فاحسن وفادتهُ واراه رزمة من التلغرافات والرسائل علوها قدم بعثها البنك للبحث عنهُ وذلك ان اسعار الاسهم التي وكل بها شركاءهُ ارتفعت ارتفاعاً سريعاً حتى بلغ ثمن السهم ١٨ جنيهاً فباع لهُ شركاؤهُ جانباً من اسهمهِ بين ٨ جنيهات و١٨ جنيهاً وتجمع لهُ في هذا البنك مليون ومائتا الف جنيه وكان كل دقيقة يزداد ثروة . لو ذكرت هذه الحادثة في كتاب روائي لقلنا انها موضوعة لغرابتها ولكنها حقيقة واقعة

لم يقنع دارسي بما اصاب من ثروة في مناجم الذهب على اهون سبيل . ولم يحصر همهُ في الذهب بل حولهُ الى البترول فجعل يبحث عن ينبوع لهذا السائل الثمين قبل ان تشعر انكلترا بحاجتها اليهِ . نظر الى خريطة آبار البترول فوجد ان شركة برما وكانت شركة البترول الانكليزية الوحيدة في ذلك العهد قد حصرت آبار البترول التي في الهند تحت سيطرتها . وكانت شركة « شل » لا تزال تشتغل بنقل الزيت لا باستخراجهِ من منابعهِ وكان اكثر البترول الوارد على بلاد الانكليز من الولايات المتحدة وروسيا وجزائر الهند الغربية فجعل دارسي غايتهُ تأليف شركة بترول تكون انكليزية قلباً وقالباً

وكان من الامور المعروفة ان الاراضي المجاورة لخليج فارس تحوي بترولاً حتى قيل ان سكان البلاد كانوا يستعملونهُ في قضاء حاجاتهم منذ اقدم عصور التاريخ وقيل ايضاً ان الحمر الذي استعمل في بناء برج بابل بدل الطين هو القار المستخرج من منابع البترول .وقد جاء في هيرودوتوس ان القار استعمل طيناً في بناء بابل القديمة و يقال ان شاهات فارس وامبراطرة الارمن كانوا يستخرجون البترول في تلك الانحاء فادى بهم تنافسهم عليـهِ الى الحروب فكأَن التاريخ يعيد نفسهُ الآن فيما يمثَّل على مسرح السياسة من اختلاف الدول التي تشتبك مصالحها في بلاد ايران واهمها استخراج البترول

وفي سنة ١٨٧٢ منح البارون يوليس ده روتر وهو مثرٍ متجنس بالجنسية الانكليزية الحقَّ في بناء السكك الحديدية والتعدين في بلاد فارس فاعترضت على ذلك حكومة روسيا فالغيت هذه المنحة وهذا هو السبب في تأخر الشركات عن استخراج البترول من آبار ايران الغنية

وفي اوائل العقد العاشر من القرن الماضي بدأ بعض المهتمين بشؤُون البترول يحفرون آباراً منفردة في ايران هنا وهناك تحت اشراف البنك الامبراطوري الايراني الذي

انشأهُ البارون دهروتر ومن امتيازاتهِ النقب عن مصادر الثروة المعدنية في تلك البلاد. وكانت المصاعب في نقل ما يستخرج حينئذٍ كثيرة فحال ذلك دون التوسع في العمل وصيرورتهِ مشروعاً تجارياً كبيراً

وفي سنة ١٩٠٠ ظهر المستر دارسي على مسرح البترول وذلك حين كان عصر الفحم في ذروتهِ والناس لا يعلمون ما للبترول من الشأن العظيم في مستقبلهم القريب. وكأن دارسي كان يسمع صوتاً خفياً من الارض يدعوهُ للبحث فجعل يبحث عن مكان يحفر فيهِ آبار البترول وفاوض في ذلك كثيرين من الخبراء فلم يوفق الى ضالتهِ

واتفق حينئذٍ انهُ عرف شاباً ايرانياً يدعى كتابجي فاخبرهُ هذا انهُ يعرف اماكن تكثر فيها ينابيع البترول في شمال ايران فارسل دارسي للحال عالماً جيولوجياً خبيراً الى تلك البلاد للبحث العلمي فعيَّن لهُ بقعتين يكثر فيهما البترول احداهما الى شمال بغداد على مقربة من الحدود التركية الايرانية والثانية في ناحية شوستر على مقربة من نهر قارون . وكانتا طرفا منطقة طولها نحو ٣٠٠ ميل تكثر فيها ينابيع هذا السائل الثمين

وللحال عزم المستر دارسي ان يجعل ايران ميداناً لاعمالهِ المقبلة كما كانت استراليا ميداناً لاعمالهِ السابقة في مناجم الذهب فحصل من شاه ايران سنة ١٩٠٠ على امتياز باستنباط البترول والغاز الطبيعي والاسفلت من كل ايران عدا خمس ولايات في الشمال هي ولايات اذربيجان وغيلان ومازنداران واسدر باد وخراسان ومدة هذا الامتياز ستون سنة . ولا تزال هذه الولايات الى الآن موضع نزاع بين شركة الستندرد اويل الاميركية والانجلو برشن للاستيلاء على منابعها الغنية

وانشأ دارمي شركتهُ الاولى واكتتب بمعظم رأسمالها . وبدأ العمل على ١٠٠ ميل الى الشمال من بغداد فاصاب بئرين غنيتين ولكنهُ ادرك للحال مما لقيهُ من مصاعب النقل ان البترول في ايران لا يستطاع تحويلهُ الى مادة تجارية قبل ان تسهل وسائل نقلهِ باانابيب خاصة من آبارهِ الى خليج العجم ومنهُ ينقل بالناقلات البحرية . ولكن ذلك عمل كبير يقتضي نفقات طائلة لمد هذه الانابيب في الجبال والاودية

على ان عملهُ حوَّل ابصار شركات البترول من مختلف البلدان الى ايران وفي مقدمتها شركات الالمان الذين كان قد جعلوا استعمار تركيا الاقتصادي وبناء سكة حديد بغداد غايتهم الكبرى وكانوا حينئذٍ قد اشتروا امتياز سكة حديد الاناضول يعضدهم في ذلك بنك المانيا الذي حاول ان يشتري حقوق دارمي في بلاد العجم

على ان دارسي بدلاً من ان يبيعهم حقوقهُ في بلاد العجم شرع ينافسهم في الحصول على منابع الموصل و بغداد وكان العراق حينئذٍ لا يزال من ولايات السلطنة العثمانية . فنشأ عن ذلك نزاع بين الانكليز والالمان خاصة المولنديون بعدئذٍ . وتمكن دارسي على انفرادهِ في العمل من الاحتفاظ بحقوقهِ في ايران ومن الحصول على نصيب في شركة البترول العثمانية ساعدت الانكليز فيا بعد على السيطرة عليها

على انهُ ادرك انهُ يصعب عليهِ الاستمرار منفرداً في عملهِ وخصوصاً بعد ما انفق نحو ٣٠٠ الف جنيه من مالهِ في سنتين من غير ان يصيب سوى بئرين متوسطتين في مقدار ما يستخرج منهما من البترول

ولم يمض زمن طويل حتى ادركت قيادة الاسطول الانكليزية بزعامة لورد فشر ما للبترول من الشان العظيم في الاساطيل البحرية . رأى اللورد فشر ان اكثر ينابيع البترول في روسيا واميركا وغيرها تسيطر عليها شركات غير انكليزية وكان من الذين يعتقدون انهُ لابد من يوم تدور فيهِ رحى الحرب بين انكلترا والمانيا وان البترول في ذلك اليوم سيكون العامل الفاصل في احراز النصر . ولذلك حث قيادة الاسطول البريطاني على السيطرة على منابع للبترول تكفي الاسطول البريطاني . تلك كانت الخطوة الاولى في ما فعلتهُ وزارة البحرية البريطانية بعدئذ لما كان تشرشل وزيراً لها من شراء نصيب كبير من اسهم شركات الزيت الانكليزية

وزادت نفقات دارسي على آبارهِ من غير ان يصيب ربحاً يقابل تلك النفقات حتى كاد يعجز عن القيام بها فحاول ان يبيع امتيازهُ الى شركة الستندرد الاميركية . على ان قيادة الاسطول الانكليزي طلبت اليهِ ان يرجيء الاتفاق مع هذه الشركة الاجنبية حتى تتمكن شركة انكليزية من شراء امتيازهِ لتبقى آبار البترول الايرانية في حوزة الانكليز فقبل الطلب وتقدمت شركة بترول برما فالفت شركة جديدة حلت محل شركة دارسي الاولى. وكان لورد ستراثكونا اكبر رجالها وهو كلورد فشر يرى ضرورة سيطرة الامبرالية البريطانية على آبار من البترول يكفي بترولها لتجهيز الاسطول بكفايتهِ منهُ . ولكن تقلبات السياسة حالت دون موافقة الحكومة على هذا الرأي فبقيت المسألة في طي السكينة ست سنوات وبقيت الشركة الجديدة تعمل في ايران حتى اصابت سنة ١٩٠٧ في ميدان النفط بئراً بلغ من قوتها حين حفرها انها اغرقت الآلات التي حفرتها ولا يزال البترول ينبع منها بقوة الى الآن

وتلا ذلك ان انفقت الشركات المهتمة بآبار البترول الايرانية فتالفت شركة جديدة دعيت شركة الانجلو پرشن جعل اللورد ستراثكونا رئيساً لمجلس ادارتها والمستر دارسي مديراً وكان رأسمالها مليوني جنيه فصار الآن ٢٤ مليونًا او يزيد

ولا يهمنا في هذا المقام الاساس الذي بنيت عليهِ الشركة الجديدة ولا كيف يؤلف مجلس ادارتها بل يهمنا دخول الحكومة الانكليزية في شراء نصيب وافر من اسهمها لان ذلك من الامور التي لها اثر كبير في تاريخ الامم وقلما تذكر في كتب التاريخ. فمن الخطط المقررة في الحكومة الانكليزية انها لا تشترك في الاعمال المالية اشتراك تاجر الاّ اذا كان ذلك لسبب حيوي في حفظ الامبراطورية كما فعل دزرائيلي في شراء اسهم قنال السويس وكما فعل المستر ونستن تشرشل بعدئذٍ في شراء اسهم الشركة الانجلو پرشن

فقد تقدم معنا ان اللورد فشر اثبت للحكومة البريطانية ان السيطرة على آبار من البترول يكفي ما يستخرج منها للاسطول حين تشتبك في حرب مع المانيا لازم لها كل اللزوم. وكان قد مضى على هذهِ المسألة وهي معلقة ست سنوات لما تربع المستر تشرشل في منصب وزير البحرية الانكليزية . فادرك للحال بما اوتيهِ من الزكانة والذكاء صحة ما قال بهِ اللورد فشر وصرح ان امام الامبرالية البريطانية مشكلة كبيرة يجب ان تعالجها وهي مشكلة التلاعب في اسعار البترول الذي تقوم بهِ بعض الشركات لاحتكار هذه المادة الحيوية . وابان انهُ يتحتم على قيادة الاسطول البريطاني الحصول على مقدار وافٍ من البترول بسعر معقول وخصوصاً لان المستنبطات والمخترعات الحديثة في البوارج كانت متجهة نحو استعمالهِ للوقد بدل الفحم او بكلمة واحدة ادرك واعلن ان بريطانيا ستنافس المانيا في السيطرة على آبار البترول لان ذلك امر حيويٌّ لسيادتها البحرية

وكانت شركة الانجلو پرشن سائرة في عملها في ايران توسع نطاقهُ على قدر ما تسمح لها اموالها ثم اتضح لها ان هذه الاموال لا تكفي لتنفيذ خطة التوسع التي وضعتها فعرضت عليها بعض الشركات الهولندية ان تمدها بالمال . ومات في تلك الاثناء اللورد ستراثكونا وانتخب السر تشارلس غرينوي رئيساً لمجلس الادارة فخطر على بالهِ ان يحمل الحكومة الانكليزية على شراء بعض اسهم الشركة لتثق بالحصول على مقدار الزيت اللازم لها في الاسطول وفي مقابل ذلك تحصل الشركة على الاموال التي تساعدها على التوسع في اعمالها

ففعلت الحكومة الانكليزية ما يفعلهُ كل تاجر حذر في هذا المقام وارسلت لجنة من

الخبراء يرأسها الاميرال سلايد ومن اعضائها السر جون كادمن الذي صار بعدئذٍ خبير الحكومة البريطانية في مسائل البترول في مؤتمر فرسايل · بحثت هذه اللجنة في مقدار ما يخرج من الآبار التي تحت سيطرة الشركة وقررت انهُ اذا احسنت ادارتها وادارة غيرها مما ينتظر حفرهُ جعلت تموين الاسطول البريطاني بالبترول في حرز حريز

فبني المستر تشرشل حجتهُ في اقناع الحكومة على هذا التقرير لكنهُ لقي في ذلك معارضة شديدة من الحكومة الانكليزية نفسها ومن اصحاب الشركات الاخرى الذين كانوا يتطلعون الى الاشتراك مع الانجلو برشن في عملها· وكانت احدى شركات البترول الكبيرة المؤلفة من الشركة الهولندية الملكية وشركة شل قد عرضت ان تمدَّ شركة الانجلو برشن بالمال بدلاً من الحكومة الانكليزية وكُتب الاتفاق وكاد يوقع لما اخذهُ رؤَساءُ الانجلو برشن الى المستر تشرشل واطلعوهُ عليهِ وقالوا لهُ انهم اذا لم تمدّهم الحكومة الانكليزية بالمال على سبيل القرض او الشراء لجانب من اسهم الشركة اضطروا ان يوقعوا الاتفاق مع شركتي الدتش رويال وشركة الشل فتخرج آبار البترول من حوزة الانكليز حينئذٍ

ادرك تشرشل في الحال ما في ذلك الدليل من القوة واقنع السر ادورد غراي وزير الخارجية حينئذٍ بتأييدهِ ومضى جانب من سنة ١٩١٤ قبلما اقرَّ البرلمان الانكليزي قانون الاتفاق مع شركة الانجلو برشن لشراء جانب من اسهمها بحيث تسيطر عليها الحكومة الانكليزية ومن غرائب الاتفاق ان ملك الانكليز وقع هذا القانون في ١٠ اغسطس سنة ١٩١٤ اي بعد انقضاء ستة ايام على دخول انكلترا في الحرب فصح ما توقعهُ اللورد فشر بحذافيرهِ

واتسع نطاق شركة الانجلو برشن بعد الحرب فامتدت فروعها والشركات التي اتحدت معها الى فرنسا ورومانيا وترانسلفانيا باوربا واستراليا وزيلندا الجديدة وبورنيو وغينيا الجديدة وكندا والمكسيك وترنداد ونوفاسكوشا ونيوفوندلند وهندوراس البريطانية وبيرو وفنزويلا ومصر وغرب افريقية وشاطيء الذهب وشرق افريقيا البرتغالي واتحاد افريقية الجنوبية · بل قل ان لهذا الشركة الآن نصيباً كبيراً او صغيراً في كل البلدان التي فيها آبار للبترول وتقوم باعمالها هذه بواسطة ٦٠ شركة صغيرة منضوية تحت لوائها لها اعمال في ٢٧ بلاد مختلفة

الاستيو باثيا او الطب العظمي

OSTEOPATHY

رأينا بالاختبار الطويل ان الطبيب يكثر من وصف الادوية لمرضاهُ اذا كان حديثاً في ممارسة صناعة الطب ثم اذا طال عليهِ الزمان وكال رأسهُ الشيب فالغالب انهُ يقلل من استعمال الادوية او يطلّقها بتاتاً و يعتمد على التدابير الصحية وعلى فعل الطبيعة في مداواة العلة . والظاهر ان هذا رأي كثيرين من كبار الاطباء فقد قرأنا في مجلة الكونكوست الانكليزية مقالة لشارلس دمقلفيف اثبت فيها ان الدكتور ليل كومنس احد اساتذة مدرسة الطب في كاردف ومن مشاهير الاطباء قال عن علاج السل انهُ حان الوقت لكي يفهم الجمهور ان الادوية عاجزة عن شفاء هذا الداء الاَّ في احوال نادرة جدًّا وان افضل ما تفعلهُ الادوية انها تخفف اعراض المرض. والاطباء الذين يحاولون اقناع مرضاهم بان الادوية التي يصفونها لهم تشفيهم عددهم محدود وهو آخذ في القلة. وان السر فردرك ترڤس جراح ملك الانكليز واستاذ الباثولوجيا في مدرسة الطب الملكية قال ان الادوية واستعمالها لشفاء الامراض آخذان في الزوال . وان الدكتور فرنك بلنجس الذي كان رئيساً لمجمع الطب الاميركي قال ان لا فائدة من الادوية في الشفاء ما عدا اثنين منها . وان الدكتور وليم أُسلر استاذ الطب في جامعة اكسفرد قال ان افضل من الاطباء مَن يعرف ان لا فائدة من الادوية . وقال ايضاً اننا لا نعرف الاَّ القليل من فعل الادوية ومع ذلك ندخلها ابداننا ونحن نعرف عن ابداننا اقل مما نعرفهُ عن الادوية وان الدكتور ودس هتشنصن قال ان اعظم حرب يقوم بها الطب بعد محاربتهِ المرض هي الحرب التي يثيرها على الادوية وما لها من السلطة الفعالة على ثقة الطبيب والمريض. وقال ايضاً ان غرض الطب الحديث يجب ان يكون مساعدة الطبيعة في عملها مساعدة معقولة بدلاً من ضربها باول هراوة من الادوية تصل اليها يدنا

والمقالة المشار اليها آنفاً في وصف الأُستيو باثيا اي الطب العظمي كفرع من انفع فروع الطب وهو مذهب حديث وضعهُ الطبيب انجلو تيلر سنة ١٨٧٣ ومدارهُ على ان الجسم آلة ميكانيكية حية بناؤُهُ ووظائفهُ مرتبطة متكافئة وما المرض الاَّ خلل في بنائهِ او وظائفهِ فيكون علاجهُ ازالة هذا الخلل بتحريك اعضائهِ المختلفة من عظام وعضلات

واربطة ومفاصل . وقال الدكتور ولتون رئيس الجراحين في مستشفى نيوجرزي عن هذا النوع الجديد من العلاج ان الثيروبركتك (وهو فرع من الطب العظمي) هو اكثر الاساليب انطباقاً على العقل والعلم لشفاء الآفات لانهُ يفي بحاجة الانسان اكثر من كل اسلوب آخر من اساليب الطب

وطريقة المعالجة بهذا النوع من الطب تقوم بفحص المريض لاكتشاف مصدر المرض هل هو في العمود الفقري او في غيرهِ من العظام او الاربطة او العضلات و باعادة ما في مصدر العلة الى وضعهِ الطبيعي بالغمز والضغط والدلك وما اشبه من الحركات واجراء ذلك باللين والتكرار . واعمال مثل هذه لا تفي بالغاية المطلوبة الاَّ اذا قام بها طبيب تعلم قواعد هذه الصناعة نظريًّا وعمليًّا ولذلك فهذا النوع من التطبيب يعلَّم في مدارس خاصَّة . واول مدارسهِ انشئت في كركسفل بأميركا سنة ١٨٩٠ انشأها الدكتور ستل ومساعدهُ الدكتور وليم سمث خريج جامعة ادنبرج. وقد تخرج فيها حتى الآن مئات من الاطباء ثم انشئت لهُ مدارس اخرى واقيمت لهُ مستشفيات كثيرة في الولايات المتحدة وكندا وتجيز الحكومة الاميركية اطباءهُ كما تجيز غيرهم وعندها مجالس لامتحان اطبائهِ في هذا النوع من التطبيب قبلما تجيز لهم ممارستهُ. وانشئ لهُ مجمع علمي في البلاد الانكليزية سنة ١٩١٠ ومدرسة طبية سنة ١٩١٧ . وطلب اطباؤُهُ من الحكومة الانكليزية ان تعترف بهم فعين البارلمنت لجنة للبحث في هذا الموضوع اختار اعضاءها من كل الاحزاب السياسية ومن اطبائهِ

و يقال ان الذين يمارسون هذا النوع من التطبيب لا يدَّعون انهُ يشفي كل انواع الامراض والاسقام ولا انهُ يستغني عن كل الادوية والآلات الجراحية بل هو يوجب استعمال ما ثبتت فائدتهُ منها علميًّا ولكنهُ يجعل اعتمادهُ على اصلاح ما يقع في الجسم من الخلل بتحريك الاعضاء والعظام وردها الى وضعها الطبيعي حاسبًا ان هذا الخلل الموضعي هو المسبب لاكثر الامراض والاوصاب

و يظهر لنا ان الاطباء الاقدمين استعملوا هذا النوع من العلاج فقد افاض ابن سينا في فائدة الدلك وقال ان الغرض منهُ تكثيف الابدان المتخلخلة وتصليب اللينة وخلخلة الكثيفة الصلبة وتحليل الفضول المحتبسة في العضلة . وقال في الكلام على الفالج انهُ مما ينفع فيهِ الدلك بالزيت والنطرون والمياه الكبريتية وماء البحر والفضولات الملينة. واحال في علاج وجع الظهر وداء المفاصل وعرق النسا وامثالها على المروضات والادهان المختلفة ومعلوم ان اكثر الاعتماد في المروضات والادهان ليس على مادتها بل على استعمالها وسيلة للدلك

شذرات عن ابرهيم باشا المصري

رأيت اسم ابرهيم باشا على مناشيرهِ اولاً (ابرهيم ميرميران وسر عسكر مصر) ثم (الحاج ابرهيم والي جدّه والحبشة وسر عسكر عكا حالاً) ثم (سر عسكر عربستان)[1] وكتب الى عرب البادية في سورية يوم فرّوا من وجه جنودهِ: « فررتم الى البيداء وظننتم انها تحميكم والذي اوسعها لاضيّقنها عليكم »

واراد اتخاذ طرابلس او صيدا محجراً صحياً (كورنتينا) فابى السكان ورضي البيرونيون فبعد ان كان سكان بيروت قبل الدولة المصرية نحو ستة آلاف صاروا سنة ١٨٣٨ خمسة عشر الفاً. وصارت اسكلة تجارية منذ ذلك الحين

لما ودع محمد علي باشا ابنهُ ابرهيم باشا عند سفرهِ الى سورية ومعهُ حنا بك البحري الحمصي وضع محمد علي يدهُ على كتف البحري قائلاً: « بحري بك ان ابرهيم ذاهب الى بلادك .. » فانجلى بحري مطيعاً واخلص الولاء لهُ

وكانت نفوس مدينة حلب عند جلاء ابرهيم باشا عنها نحو ثمانين الفاً واستراح النصارى في حكم الدولة المصرية وكثير ممن فرّ منهم من ظلم الجزار وعبدالله باشا والحرافشة عادوا الى اماكنهم وراجت اعمالهم وفُتح باب التجارة بين اوربا وسورية ودخل المرسلون الاميركان وراقب سوق المعارف واسست المدارس واثرى كثيرون من التجار واتصلت سورية بمصر فنقل اليها كثيرون

جاء كثيرون مع ابرهيم باشا وتوطنوا البلاد منهم آل حماده السنيون في بيروت وبنو الخضيري وشورى والمصري في دمشق. وآل الشقيري في عكا. وغيرهم ممن هم اليوم من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين ولهم ذراري

وبقي كثيرون من العساكر المصرية ولاسيما في عكا ولبنان وحوران وجهات دير الزور والداخلية وهم الآن سوريون موطناً معروفون بملامحهم المصرية وبعضهم ينتسب الى مصر

نقل ابرهيم باشا كثيراً من سكان بلاد العلويين (جبال النصيرية واللاذقية) الى ادنه وطرسوس ومرسين فسكنوها وهم اليوم من اعيانها

---

(١) كان ختم ابراهيم بك بحجم الريال المجيدي ووسطه مربع فيه (سلام على ابراهيم) وحوله اربع فسحات في احداها (توكلت على الله)

بنى كثيراً من القلاع مثل ثكنة حمص (قشلتها) وهي مقابل قصر الحكومة (السراي) ونقل حجارتها من قلعة حمص القديمة وذلك سنة ١٨٣٢ عند ما انتقض اهلها عليهِ بزجوعهِ من موقعة (نزّب)[١]

وبنى ثكنة في حلب كان يعرف محلها بالجبل الاحمر سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) بعد دخولهِ حلب وقيل انهُ رممها فقط فهدم ما ابقتهُ الزلزلة من مباني قلعة حلب المتداعية وكل بناء متداع في المدينة ونقل حجارتها الى الثكنة وحمل الناس على العمل بها فاتمها في ثلاث سنوات وهي بمحلة الشيخ يبرق . وبنى ثكنة اخرى في اطراف الكلاسة لم يتمها . وبنى اسماعيل بك حكمدار حلب من قبَلهِ المدرسة الاسماعيلية في حلب سنة ١٨٣٩ . واسس ابرهيم باشا مطاحن هوائية في شمالي قلعة الشيخ يبرق بحلب عطلت بعدهُ ثم جددت وشيد مستشفى الرمضانية في محلة مدرسة باسمهِ وهو للعسكرية سخَّر لهُ الناس ونقل حجارتهُ من القلعة واسوار المدينة ورُمم بعد ذلك

واستجلب معهُ من مصر كتاباً واطباء وعلماء كثيرين مثل المعلم جرجس القبطي وحنا بك البحرى السوري الاصل وكلوت بك والدكتور صالح شورى واستخدم من الوطنيين الدكتور مخايل مشاقة والدكتور ابا سليمان الصليبي وبطرس كرامه الحمصي والشيخ امين الجندي. ومدحهُ الشعراء ومنهم الشيخ ناصيف اليازجي وغيرهُ

ونقل رجالاً من لبنان الى مصر لزرع التوت وتربية دود الحرير فتوطنوها ورأى مرة الامير بشيراً يشكو الماً ولا طبيب عندهُ فطلب منهُ من عمّهُ الطب في قصر العيني وكان اول طبيب داود باز من دير القمر ثم مملوكه سليم ويوسف الجلخ وغالب البعقليني بعد ذلك

ومن غريب ما وقفت عليهِ ان شيخين من بني الجندي في سورية احدهما الشاعر الشيخ امين الذي رافقهُ ومدحهُ بقصيدة مشهورة مطلعها :

عرّج اخا البأساء نحو بني العلى والثم ثرى اعتابهم متذللا
وابسط اكفّ رجاء كسرك نحوهم واجر الدموع على الخدود ترسُّلا

---

(١) ظنها كثير من المؤرخين تحريف نصيبين والصواب انها غيرها نزب هذه من اعمال قضاء البيرة (بيرجيك) في غرب خربة بلقيس وهي بلدة وافرة الخيرات عامرة حدثت فيها مواقع حربية منها موقعة سابور الفارسي وامبراطور الروم اما نصيبين فمن بلاد الجزيرة قرب سنجار اشتهرت بمدرستها الكبيرة

ونسيبهُ امين الجندي مفتي القره ودمشق نظم قصيدة هجاهُ فيها حين جلائهِ من البلاد مطلعها :

هجم السرور على الانام مبسملا والنصر جاء مكبّراً ومهلّلا

الى ان قال يمدح السلطان و يذم ابرهيم باشا :

واغاث هذا الدين من قوم بهم ملئت فجاج الارض ظلماً مذهلا

والقصيدتان طويلتان في خزانتي نسختاها النادرتان

ومدح ابرهيم باشا كثير من الشعراء وجمعت من اقوال الزجالين عندي في حروبهِ ما فيهِ فوائد كثيرة عن اخبار لم يذكر المؤرخون عنهُ

ومما يذكر من اعمال ابرهيم باشا ابطالهُ سلطة الاقطاعيين واستبدادهم وخضدشوكة الامراء ولاسيما الحرفوشيين الذين اشتهروا بمظالمهم وعمّم الزراعة وحض على اتقانها لانها من اخص اسباب العمران الاولية فادخل فيسورية زرع الارز والنيل وجلب دودة القرمز وحفر المعادن الحديدية والفحم الحجري وسخّر الناس لذلك . ورقى الصناعات والتجارات وامّنَ الطرق وسهّل اسباب النقل . وكان يرسل عمالهُ لاتمام هـذه الافكار وقرّر حق التملك وضرب على أيدي المرتشين والمحابين

وكان مع كل هذه الاحسانات لا يخلو من بدَوات خاصة فياوقات غضبهِ وساعات تأثرهِ ولهُ من ذلك اعمال كثيرة كان يحكم فيها بقتل من يكدّر منـهُ ومصادرتهِ . ومما يرويهِ الدمشقيون انهُ امر مرة بتحديد اسعار الحنطة لكثرة تلاعب التجار بها وعين اسعاراً وامر التجار ان يبيعوا كلهم بها وفي اليوم الثاني طاف في المدينة فرآهم ممتثلين ولكن حنَّاطاً منهم متخلف عن مخزنهِ فاستدعاهُ فرآه لا يريد البيع بالاسعار المعينة فسمّر أذنهُ على باب مخزنهِ كل النهار حتى خشي الجميع بأسهُ . وكان لهُ اوقات لا يُدنى منهُ فيها ولا يخاطب فانهُ في سنة ١٨٤٨ لدى عودتهِ من الاستانة امر باغراق جميع الضباط في سفينتهِ لانهُ تصوّر انهم اخّروا سيرها مع ان الانواء اخرتهُ فمنعهُ كاتم اسرارهِ نوبار باشا الارمني عن قتلهم بدراية غريبة . وهتف ابرهيم وهو يحتضر والدموع تجول في مآقيهِ « اللهم لا تقبض روحي قبل ان أتم عمل ابي واجعل مصر سعيدة وامتها غنية »

ومما يتعلق بعدد اللبنانيين في ايام الحكومة المصرية تقرير قدمهُ المعلم بطرس كرامة

الحمصي سنة ١٨٤١ م الى بعض رجال الاستانة لما كان فيها مع الامير بشير الكبير منفيين وهو نتيجة خدمة خمس وثلاثين سنة للامير قال فيهِ بالحرف

« ان البشر سكان هذا الجبل (اي لبنان) هم ثلاثة مذاهب مسلمون ونصارى ودروز فالمسلمون فرقتان سنة وشيعة والنصارى ثلث فرق موارنة وروم كاثوليك وروم غير كاثوليك والدروز فرقة واحدة . ومجموع عدد اهاليهِ ذكوراً من ذي عمر اربع عشرة سنة الى ذي عمر سبعين سنة هم ستون الف ذكر لاغير لأَن اهاليهُ المذكورة في المدة التي هي من سنة ١٢٤٨ اسلامية الى سنة خمس وخمسين[1] قد عدُّوا مرتين لاجل وضع الجمالة عليهم فاول مرة بلغ عددهم ثلاثين الفاً وكان العدد بدون ضبط واعتناء فلذلك بعد سنتين روجع العدد باكثر ضبط واعتناء فبلغ اربعين الفاً بموجب دفتر مشتمل على عدد القرى قرية قرية وعلى عدد الذكور في كل قرية نفراً نفراً بالاسماء ويضاف على الاربعين الفاً المذكورة عشرون الفاً ايضاً بالمقابلة الى ما فيهِ من انواع الاكليروس والامراء والمشايخ واتباعهم واحزابهم الذين ما دخلوا في العدد وبمقابلة ما حصل من الاغضاء عن العدد ترفقاً بالناس فالستون الفاً المحررة منهم موارنة ثلاثون الفاً منهم من يستطيع حمل السلاح عشرون الفاً . ومنهم روم كاثوليك تسعة آلاف منهم من يستطيع حمل السلاح سبعة آلاف .ومنهم روم غير كاثوليك سبعة آلاف منهم من يستطيع حمل السلاح خمسة آلاف . ومنهم دروز عشرة آلاف منهم من يستطيع حمل السلاح ثمانية آلاف. ومنهم مسلمون اهل سنَّة الف منهم من يستطيع حمل السلاح سبعمائة ومسلمون شيعة ثلاثة آلاف منهم من يستطيع حمل السلاح الفان وثلاثة مائة

فهذا عدد جميع الذكور فاذا فرضنا لكل ذكر اثنين من الاناث والاطفال فيكون جميع النفوس التي فيهِ مائة وثمانون الفاً ومع المبالغة يكون مائتا الف لا غير انتهى [2]

في ١١ نيسان سنة ١٨٤١ بالاستانة (محل الختم) بطرس كرامة

زحلة اسكندر عيسى المعلوف

---

(١) وهي توافق سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٣٩ مسيحية

(٢) نقلت هذا التقرير من كتاب (حوض الجداول) للمطران غريغوريوس عطا الزحلي رئيس اساقفة حمص وحماه ويبرود اذ ذاك وهو مخطوط فيه فوائد تاريخية كثيرة

الاحوال في فلسطين

من الاقوال الشائعة ان « الشكوى ليست قياس البلوى » بل قد تكون دليلاً على اليقظة بعد الرقاد وطلب الكثير بعد الاكتفاء بالقليل ولعل شكوى الفلسطينيين من هذا القبيل

زار المستر هرلد شبستون احد اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية الانكليزية بلاد فلسطين منذ بضعة اشهر و بحث في احوالها كما يبحث علماء الجغرافية ونشر خلاصة بحثهِ في مجلة « العالم اليوم » الانكليزية فرأينا فيما نشرهُ اموراً تستوقف النظر قال

«مما ادهشني نظافة اورشليم وما فيها من الانتظام وان نسبة الوفيات فيها صارت تماثل نسبة الوفيات في مدينة لندن» . فاذا كان الامر كذلك فنسبة الوفيات في اورشليم (بيت المقدس) اقل من عشرين في الالف او نحو نصف نسبة الوفيات في مدينة القاهرة. فهل كان الامر كذلك قبل الحرب . وانحطاط نسبة الوفيات الى هذا الحد لا يتم الاَّ بإتمام التدابير الصحية. وقال ايضاً « ان مصلحة الصحة تعنى بعملها لا يؤخرها عنهُ شكل المدينة الشرقي فتكنس شوارعها الضيقة كنساً تامًّا بانتظام . وقد كان سكانها يشربون من ماء المطر الذي يتجمع في ستة آلاف صهريج مرَّ على بعضها مائة سنة او اكثر ولم تنظف فكان من اول اعمال الادارة الانكليزية انها اهتمت بتنظيف هذه الصهاريج . وكان البعوض الذي يسبب الحمى الملارية آفة مدينة اورشليم في زمن الصيف فاستئصل منها الآن بصب البترول في كل البرك التي فيها ماءٌ راكد»

وذهب الى بحيرة لوط وقال «ان الحكومة الحاضرة حللت ماءها فوجدت فيهِ املاح البروم والبوتاس . والبوتاس من المواد الكثيرة الاستعمال في الصناعة وفي والطب . ويعتقد المستر بلاك جيولوجيُّ الحكومة وقد لقيتهُ في فلسطين انهُ يمكن ان يستخرج من ماء هذه البحيرة مائة الف طن من البوتاس كل سنة عدا املاحاً اخرى ثمينة . وثمن الطن من البوتاس ستة جنيهات الى سبعة فمن استخراجهِ ربح كبير» .فاذا تم ذلك وبلغت نفقات الاستخراج نصف الثمن فمنهُ ربح سنوي لا يقل عن ثلاثمائة الف جنيه

وقد وقفنا على تحليل جالون من ماء بحيرة لوط في الانسكلو بيذيا البريطانية للدكتور يونيس وهو كما يأتي بعد ترك الكسر العشري

كربونات الكلسيوم	١٦٣	قمحة	كلوريد الكلسيوم	٥٩٤	قمحة
كبريتات الكلسيوم	١٣٦	«	كلوريد المغنيسيوم	٧٣٨٨	«
نترات المغنيسيوم	١٧٥	«	بروميد المغنيسيوم	٣٤٦	«
كلوريد البوتاسيوم	١٠٨٩	«	اكسير الحديد والالومنيوم	١٠٠	«
كلوريد الصوديوم	٥١٠٦	«	مواد آلية وماء التبلور	٣١٨	«

ففي الجالون من ماء البحيرة نحو سبعين غراماً من كلوريد البوتاسيوم

وزار الكاتب مدينة تل ابيب وسمع البارون روشيلد يتكلم في كنيستها . وقال في وصفها ما خلاصتهُ ان سكانها يهود كلهم وكانت منذ سنوات قليلة كثباناً من الرمال وهي الآن مدينة زاهرة فيها ٣٥٠٠٠ نفس شوارعها واسعة نظيفة تحيط بها الاشجار والحدائق وتنار بالنور الكهربائي . وهي مثَلٌ لما يستطيعهُ التنظيم اليهودي. أُنشئ فيها في السنتين الاخيرتين اكثر من سبعين معملاً للنسج وعمل الجزم والبرانيط والغزل والفلين والمرايا والبطريات الكهربائية والاثاث وما اشبه . ومن اغرب ما رأيت هناك معمل للطوب (الآجر) من الرمل والكلس (الجير) وهو يعمل نهاراً وليلاً . ولما زرتهُ كان يصنع كل يوم من ستين الى سبعين الف طوبة . وهذا المعمل قائم على شاطئ البحر حيث الرمل الكثير ويأتي بالكلس او الطباشير من تلال اليهودية فيمزَج الرمل بالجير على نسبة معلومة ويضغط ويشوى عشر ساعات فيصير سلكات الكلسيوم بفعل كيماوي وهو صلب كالحجر. واقيم على مقربة من نهر العوجا اول بناء لاستخدام القوة المائية حسب الاساليب الحديثة وهو من مشروعات اليهود هناك ومنهُ تتولد القوة الكهربائية فترسل الى تل ابيب ويافا وما جاورهما للانارة ولادارة الآلات . وقد بدأ العمل هناك بآلتين قوة كلٍّ منهما ٥٠٠ حصان ثم اضيف اليهما آلة ثالثة قوتها ٢٥٠ حصاناً واقيمت الآن آلة رابعة قوتها ١٠٠٠ حصان . والحاجة تدعو الى آلات اخرى

وعلى الجهة الاخرى من يافا مستعمرة يهودية انشأها البارون روشيلد منذ خمسين سنة وهناك تعصر الخمر وقد يبلغ ما يخرج منها في السنة اكثر من مليون جالون

ثم تكلم عن نجاح اليهود في زراعتهم. فاذا اريد بالنجاح الزراعي ان تظهر المزروعات نامية يانعة فهم ناجحون ولكن اذا اريد بهذا النجاح ان ريع الزراعة يبلغ ستة او سبعة في المائة بالنسبة الى رأس المال بعد كل النفقات فلم نرَ في زيارتنا لفلسطين منذ ثلاث سنوات انهم كانوا ناجحين ولكنهم ابتاعوا الآن كثيراً من مرج ابن عامر بثمن بخس جداً

والارض هناك لا تقل عن اراضي المنوفية جودةً ومع ذلك ابتاعوا الفدان المصري منها بنحو ١٨ جنيهاً. نعم ان ايجارهُ كان اقل من نصف جنيه في السنة لجهل الذين كانوا يزرعونهُ ولكن اذا قام اليهود بزراعتهِ كما يجب واستطاعوا ان يرووهُ ريًّا صيفيًّا كما ينتظر فلا يبعد ان يصير ريع الفدان منهُ عشرة جنيهات او اكثر في السنة . وقد قال الكاتب ان اليهود يمتلكون الآن نحو خمسين ميلاً مربعاً من مرج ابن عامر (اي نحو ٣٢٠٠٠ فدان مصري) وقد نزحوا ما كان فيها من المستنقعات وصيروها صحية كلها

وزار حيفا وقال انها ستصير مرفأً فلسطين وان فيها الآن مطحنة مجهزة باحدث الآلات وهي تكفي لطحن كل ما ينتج في فلسطين وشرقي الاردن من الحنطة وبعض ما ينتج في سورية . ولهم هناك معاصر ومصابن ومعمل لعمل الاسمنت يستطيع ان يصنع في السنة ستين الف طن الى سبعين الفاً. وان اليهود ينفقون الآن نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات كل سنة من قبيل رأس المال وقد بلغ ما انفقوهُ حتى الآن نحو عشرين مليون جنيه

والتفت الى عدد السكان فقال انهُ عدد اليهود في فلسطين بلغ في شهر يونيو الماضي ١١٥١٥١ نفساً اي كما كانوا قبل الحرب ولكن لما دخلت انكلترا فلسطين كان عددهم قد قلَّ حتى بلغ ٥٥٠٠٠ فقط . وكانوا يملكون قبل الحرب ١٧٧ ميلاً مربعاً اي ١١٣٢٨٠ فداناً وهم يملكون الآن ٣١٩ ميلاً مربعاً اي ٢٠٤١٦٠ فداناً . وعدد سكان فلسطين الآن نحو ٨٠٠٠٠٠ فاليهود نحو سبع السكان . والتفت الى ما تحتملهُ فلسطين من السكان فقال انها كانت تمون نفسها في عهد التوراة وترسل الحبوب والاثمار الى البلاد المجاورة. ويقول الخبيرون انها اذا أُحسنت ادارتها فهي تكفي لخمسة ملايين من النفوس لانهُ لا يزرع منها الآن الاَّ سدس اراضيها الزراعية . ففي الميل المربع من البلاد الانكليزية ٤٢٢ نفساً واما في فلسطين فليس في الميل المربع سوى ٧٠ نفساً

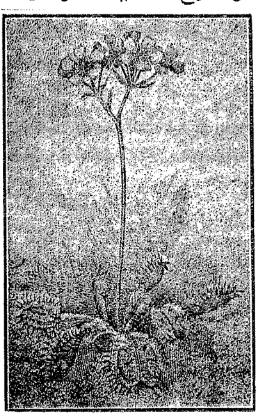
هذا ما رأينا اقتطافهُ من مقالة المستر شبستون فعسى ان ينظر فيهِ بعض اصدقائنا في فلسطين ويتحفوا المقتطف بما يرونهُ من تأييدهِ او نقضهِ . ولكن اذا كان كلهُ او اكثرهُ قرين الصحة وجب على اخواننا الفلسطينيين ان لا يشغلهم شاغل عن مجاراة الاسرائيليين في ميدان السباق والاَّ ضاعت البلاد من يدهم او امسوا فيها اقلية صغيرة لا شأن لها

ثم اننا قرأنا منذ شهر او شهرين ان احد المهندسين اقترح ان يستعمل كل ماء نهر الاردن للري وان تمد ترعة من بحر الروم بين عكا وحيفا الى ان تصل الى بحيرة لوط ويتحكم فيها في الطريق حتى لا يصل بها الى بحيرة لوط الاَّ مقدار ما يطير من البحر بالتبخر

ان يكون في طريقها درجات تهبط المياه فيها الى ان تصل الى البحيرة وتقام آلات عند كل درجة تدار بهبوط الماء وتحول قوتها الى كهربائية فيكون من ذلك قوة تقدر بنحو ٦٧١٠٠٠ حصان . فهل يليق ان لا يكون لسكان البلاد يد في هذا المشروع

الاسماك المنيرة

من الظواهر الطبيعية التي تسترعي انتباه الباحثين وجود طوائف من الحيوان او النبات تختلف كل الاختلاف في بناء جسمها عن الانواع المتصلة بها وينحصر وجودها في اماكن معينة دون غيرها . من ذلك النبات المعروف باسم Venus flytrap الذي يوجد في ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة وليس له اثر في غيرها ومن خصائصه ان ورقهُ شبيهٌ بفخ منصوب حتى اذا وقعت ذبابة عليهِ اطبق شقّا الورقة عليها فلا تفلت وتمصها النبتة غذاءً لها كما ترى في الصورة ش ١ . ان الباحث الطبيعي يقف حائراً امام العوامل التي ادت الى هذا التركيب الخاص وحصرها في بقعة خاصة . ومن هذا القبيل الاسماك المنيرة التي توجد في بحر بندا . و بندا اسم يطلق على جزائر صغيرة من جزائر الهند الشرقية . وهذه الاسماك نوعان اسم



ش ١ مذبنة زهرة
Venus - fllytrap

النوع الواحد منها Photoblepharon والثاني Anomalops ولكل منها عضو خاص تحت العين دائم الانارة . وقد كتب الدكتور نيوتن هرفي استاذ الفسيولوجيا بجامعة برنستن مقالة في وصف هذه الاسماك في مجلة التاريخ الطبيعي التي يصدرها متحف نيويورك نقتطف منها ما يأتي

النوع الاول من هذه الاسماك اي Photoblepharon لا يوجد سوى في بحر بندا

في وسط ارخبيل جزائر الهند الشرقية واما النوع الثاني فيكثر في بندا وقد نقلت منهُ امثلة الى جزائر سلبس وفيجي وهبريديز الجديدة وغيرها. والاسم الاول مركب من كلمتين معناهما نور وجفن والثاني مركب من كلمتين ايضاً معناهما عين غير منتظمة وكلا الاسمين يشير الى وجود عضوين منيرين تحت عيني السمكة (ش٢). وكان المظنون قبلاً ان الغاية من هذين العضوين وقاية عيني السمكة من الاذى الذي يصيبها من عروق المرجان التي تعيش بينها. وظن بعض الباحثين انها لوقاية عيون السمك من أشعة خاصة في النور. ولكن ثبت الآن انهُ عضو ينير سبيل السمكة امامها وعلى جانبيها. وسكان تلك الجزائر يعرفون ذلك ويستخرجون هذا العضو ويعلقونهُ بسنارات الصيد طعماً يصطادون بهِ الاسماك

والغريب من امر هذا النور انهُ مستمرّ فتختلف هذه الاسماك بهِ عن سائر الحيوانات



ش ٢ الاسماك المنيرة

المنيرة التي لا تنير الاَّ بمؤثر خارجي خاص. ولكنها تستطيع اخفاء اعضاء النور هذه متى شاءت ولذلك وسيلتان مختلفتان في النوعين المذكورين فالنوع الاول لهُ جفن اسود يغطي العضو المنير متى شاءت السمكة كأنهُ لها عين تغمضها والنوع الثاني لهُ جيبة تحت العضو يُسقطهُ فيها حين تريد السمكة اخفاءهُ

هنا يخطر للباحث سؤَال كبير الشأن وهو « لماذا اختلفت الوسيلة في هذين النوعين المتقاربين من السمك مع ان الغاية واحدة وما هي العوامل التي ادت الى ذلك ». ان مجال البحث في ذلك متسع لمن يبحث في تعليل النشوء وملابساتهِ

والعضو المنير في كل من هذين النوعين مؤَلف من صفوف من الانابيب الدقيقة فيها مادة منيرة وانابيب شعرية يجري فيها الدم. والعضو شديد الحسّ يظلم اذا قل جري

الدم فيهِ لان ذلك يقلل الاكسجين الذي يصل اليهِ. وقد دهشت دهشة عظيمة حينما اخذت هذه الانابيب وبدأت افحصها بالمكرسكوب فوجدت فيها نوعاً من المكروبات في شكل عصوي منحنٍ . والظاهر ان هذا العضو لنمو المكروبات المنيرة وهذا يعلل استمرار النور فيهِ لان هذه المكروبات ونوعاً من الفطر البحري ينيران نوراً مستقلاً عن اي تأثير خارجي . وعلى الضد من ذلك سائر الاجسام المنيرة . وقد حاولت ان ازرع هذه المكروبات فلم افلح مع ان معظم المكروبات المضيئة التي في البحر مستطاع زرعها ولعل السبب في ذلك ان هــذه المكروبات تعتمد في طعامها على مادة غذائية في جسم السمك لا توجد فيما تزرع فيهِ

ووجود هذه الاسماك دليل على تبادل المنفعة بين جسمين فالمكروبات تغتذي من جسم السمك والسمك يستفيد من نورها . اما كيف يستفيد السمك من نورها فذلك ما لم استطع معرفتهُ . ان سكان جزائر بندا يقولون انها تستعملهُ لانارة سبيلها ولا ريب في ان وجود هذين العضوين على جانبي الرأس تحت العينين يساعد على ذلك . ولكنني لا ازال في شك من صحة هذا الرأي . اذ لم ارَ في ذلك النور نفعاً عظيماً للسمك استدعى على مرّ الزمان تكوين هذا العضو المختص اختصاصاً دقيقاً بما فيهِ من التكوين الكامل كإمكان اخفائهِ ووُجود مجارٍ يجري فيها الدم فيبقى النور مستمرًّا بما يتصل بهِ من الاكسجين عن طريق الدم

الحية ذات الرأسين

يضرّب المثل بالحية ذات الرأسين . والذين يذكرونهُ يفهمون بهِ ان لهذه الحية رأساً في كل طرف من طرفي جسمها والحقيقة ان الحية قد تولد ولها رأسان في طرف واحد من جسمها اما منفصلان تماماً كالحية المرسومة هنا او احدهما لاصق بالآخر ولها غلصمة واحدة . اما الحية المرسومة في الصفحة المقابلة فقد كانت في حديقة الحيوانات بنيويورك . وهاك ما قيل في وصفها نقلاً عن مجلة التاريخ الطبيعي بقلم المستر هَيد . قال نقلاً عن المستر دتمارس رقيب الدبابات في بستان الحيوانات بنيويورك

« وُجدت هذه الحية في شارع جيروم بقلب المدينة وهذا من الغرابة بمكان والظاهر انها كانت تقتات بالخراطين ودود الخنافس ولما مسكت وضعت في بستان الحيوانات

وجُعل طعامها صغار الفيران وكان يحتمل ان تعمَّر طويلاً لو لم تسطُ الحشرات الصغيرة على بدنها وتميتها. والظاهر ان رأسيها لم يكونا يدركان انهما لحيوان واحد فكانا يتضاربان كأنهما لحيوانين مختلفين. ولما مُسكت كانت عمرها نحو سنة ونصف سنة وزاد نموها كثيراً وهي في البستان لاننا كنا نطعمها برأسيها فيأكل كلٌّ منهما ما يشبع حيةً. ولم نكن نطعم الرأسين معاً في وقت واحد مخافة ان يصل الطعام منهما الى المريء وهو واحد فتغص بهِ ولذلك كنا نضع قرطاساً سميكاً بين رأسيها حتى لا يحاول الرأسان معاً اختطاف الطعام في وقت واحد لان دماغ كل رأس كان يحسب انهُ هو الجائع وان الطعام لهُ»



الحية ذات الرأسين

والظاهر ان الافاعي ذوات الرأسين غير نادرة فقد ذكر بعضهم انهُ كان مع آخر يقطعان الحشيش فرأيا حيةمن ذوات الاطواق وحالما شعرت بهما حاولت الهرب فتبعاها وقتلاها ووجدا حيث كانت ثلاثة عشر فرخاً من فراخها ولواحد منها رأسان

وكان عند المستر دتمارس مدير بستان الحيوانات كثير من الحيات ذوات الرأسين ومنها حيتان من ذوات الاجراس احداهما رأسها الواحد عادي فيهِ فم ولسان وعينان والآخر فمهُ مطبوق ولا لسان لهُ. والحية الاخرى رأساها عاديان كاملان

والحيوانات التي تولد وللواحد منها رأسان قليلة فقد رأينا صوصاً برأسين وعجلاً برأسين وذلك نادر

رجال المال والاعمال

يعقوب كندلبرجر

نشرنا في مكان آخر من هذا الجزء ترجمة رجل من رجال المال والاعمال بدأ نجاحهُ بنوع من الصدف فاردنا ان نشفعها بترجمة رجل آخر افلح بسعيهِ واجتهادهِ وهو محوط بكل مثبطات الهمم جسداً ومالاً . وهو يعقوب كندلبرجر مدير اكبر معمل من معامل الورق في اميركا معملٍ يقصدهُ السياح من كل الاقطار ليروا ما فيهِ من البدائع الصناعية المبنية على احدث الاساليب العلمية . وحسبهُ وصفاً ان معمل الورق العادي تبلغ نفقات انشائهِ ثلاثين الف جنيه الى اربعين الفاً اما هذا المعمل فانشئ بمليون واربعمائة الف جنيه . وقد شرع مديرهُ هذا في العمل واجرتهُ خمسة غروش في اليوم

قال كاتب سيرتهِ زرت معملهُ وانا لا اعرفهُ فلقيني رجل قصير القامة على عينيهِ نظارة كبيرة لا شيء في وجههِ يستدعي انتباهك لهُ لكنهُ روح ذلك المعمل ودفة سفينتهِ فاراني رُبَّ الورق يأتي من ناحية كاللبن الخاثر بعد ان كان خرقاً قذرة بالية ويمرُّ في الآلة متدرجاً و بعد لحظة من الزمان يخرج منها ورقاً من افخر انواع ورق الكتابة وطول ما يخرج منهُ كذلك سبعمائة قدم في الدقيقة من الزمان وجعل يشرح لي كيفية ذلك ثم قال كان الرأي الشائع انهُ ليس في الامكان ان يُصنع من الورق الفاخر مثل هذا اكثر من ثلثمائة قدم في الدقيقة من الزمان اما نحن فقلنا ان ذلك في حيز الامكان وانفقنا اربعمائة الف ريال على هذه الآلة فضحك منا الناس لكننا لم نبالِ بل نلنا غرضنا والآن يقولون لنا انهُ يستحيل ان توجد آلة تصنع تسعمائة قدم في الدقيقة ولكننا سنقيم آلة تصنع الف قدم

ولد صاحب الترجمة في الالزاس وهاجر ابواهُ الى اميركا وعمرهُ خمس سنوات وكانا فقيرين جدًّا واتفق انهما سكنا بلداً فيهِ معامل لعمل الورق فوُضع في معمل منها وعملهُ فيهِ انتقاء الخرق ونزع ما فيها من الازرار والصوف والعيدان واذا بقي فيها شيء من ذلك عوقب بالرفس . وكان ضعيف العينين قصير البصر لا يميز الخرق الاَّ باللمس وجعلت اجرتهُ خمسة غروش في اليوم وهي مثل غرش او غرشين في مصر . ولضعف بصرهِ وفقر والديهِ لم يرسل الى مدرسة ليتعلَّم القراءة فبلغ الخامسة عشرة وهو لا يعرف حروف الهجاء . و بعد ثلاث سنوات رُقي الى محل الآلات وجُعلت اجرتهُ ستة غروش في اليوم

وقد قال لكاتب سيرتهِ ان ذلك جاء بحكم نظام المعمل لا بطلب منهُ ولا شفقة عليهِ لانهُ ما من احد انهض همتهُ او حثهُ على طلب التقدم ثم قال . « وكل ما كنتُ اعنى بهِ واهتم لهُ ان اعمل وقت العمل وآكل وقت الاكل وانام وقت النوم . وسمعت ذات يوم ان قساً من القسوس كان يعظ في احدى الكنائس ويحثُّ الناس على التجدُّد فقال بعض رفاقي هلمَّ نذهب الى كنيستهِ ونضحك عليهِ فذهبت معهم ولكنني لم اسمعهُ يوبخ الخطاة وينذرهم بنار جهنم بل سمعتهُ يتكلم بالرفق والتأني ويذكر كلمة « المستقبل » وهو يلتفت الينا كأنهُ يخاطب كل واحد منا يقول لهُ ما انت فاعل لمستقبلك وهل انت عائش كطائر في قفص او هل تنوي ان تكون بعد سنة احسن منك الآن وماذا يكون شأنك بعد عشر سنوات او عشرين سنة أتكون اصلح حالاً ويكون العالم قد استفاد منك . ما من احد يستطيع ان يجيب عن هذه المسائل سواك لان الاجابة عنها تتوقف على ما تنويهِ الآن

من تلك الساعة شرعت افتكر بحالي ومستقبلي فان ذلك القس دعا كل من يريد منا ان يقابلهُ ويطلب مساعدتهُ . فذهبت اليهِ ولقيت عندهُ اناساً من وجوه البلد وبينهم صاحب معمل الورق وكنت انظر اليهِ كاله معبود فبشَّ في وجهي حينئذٍ وصافحني فشعرت كأني صرت في عالم غير عالمي . لكن الذين لقيتهم هناك كانوا كلهم متعلمين حتى الاولاد الذين عمرهم مثل نصف عمري وانا امي لا اعرف حروف الهجاء فقامت في نفسي رغبة شديدة في ان اكون مثلهم وكرهت ان ينظروا اليَّ نظر الشفقة والحنان ولم ادرِ كيف اعمل وانا ضعيف البصر ولكن اذا كان لابد لي من ان اتعلم فسأتعلم . ولقد كان ضعف بصري وما لقيتهُ من العناء في تعلم القراءة بسببهِ من اكبر وسائل نجاحي لأنهُ علمني الاستخفاف بما لقيتهُ من المصاعب بعد ذلك وساعدني على اقتحامها والتغلُّب عليها

ولم يكن عندي كتاب ولا كنت قادراً على الذهاب الى المدرسة لان والديَّ كانا محتاجين الى اجرتي . وكنت كبير النفس لا يسعني التزلُّف الى مخلوق لكنَّ ولداً من رفاقي اكبر مني سناً ادرك ما بي واخذتهُ الشفقة عليَّ فتبرع لتعليمي واعارني كتب القراءة التي تعلم بها وجعل يعلمني في اوقات الفراغ

واخبر الكاتب انهُ ارى نفسهُ لطبيب العيون فوصف لهُ نظارات (عوينات) تسهل عليهِ الرؤْية فواظب على الدرس ست سنوات وعرض عليهِ وهو في معمل الورق ان يكون بواباً في مدرسة باجرة عشرين ريالاً في الشهر وذلك اقل من اجرتهِ حينئذٍ في المعمل وقيل لهُ انهُ يستطيع ان يحضر الدروس حينما لا يضطر ان يكون على باب المدرسة فترك

المعمل واتى المدرسة وكان قد بلغ الحادية والعشرين من العمر والتلامذة صغار السن قلما يزيد عمر الواحد منهم على نصف عمره لكن المدرسين ساعدوهُ كلهم لما رأوا رغبتهُ في الدرس وبعد اربع سنوات صار في درجة تؤهلهُ لدخول الجامعة الوسلية ولكن لما كان لابد لهُ من ان يساعد اهلهُ اشار عليهِ بعضهم ان يتعاطى بيع البضائع بالكومسيون وكان



المستر يعقوب كندلبرجر

يعرف كل ما يتعلق بالورق فجعل يبيعهُ ثم اضاف اليهِ بيع الكتب والمواقد ونحو ذلك من امتعة البيت وقضى ساعات الفراغ والسبوت وايام المسامحات في بيع هذه العروض فصار دخلهُ يزيد رويداً رويداً حتى فاق كل ما كان ينالهُ قبلاً . ثم زاد ضعف عينيهِ حتى اشار عليهِ الطبيب بترك الدرس والاَّ فقد بصرهُ تماماً فاقتصر على البيع ولاسيما بيع

المواقد . واتفق ذات يوم ان رآهُ مدير معمل الورق الذي كان فيهِ وقد انتهُ شحنة كبيرة من المواقد فنظر اليهِ وقال له ما شأنك وهذه المواقد فاجاب لقد بعتها كلها واحضرتها لكي اسلمها للذين اشتروها . فقال لهُ اذاً تعالى اليَّ لا لتعمل في المعمل بل لتبيع الورق ولك مني ١٥ ريالاً كل اسبوع أجرة . ولم يخبرهُ انهُ كان يكتسب مائة ريال في الاسبوع حاسباً ان للعمل عنده مستقبلاً كبيراً وقال لهُ اين تسمح لي ان ابيع ورقك فقال في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك

فقبل ما عرض عليهِ واقام ثلاث عشرة سنة يبيع الورق في كل هذه البلدان وكان يعرف رجلاً شيخاً حنكتهُ التجارب فقال لهُ ذات يوم اراك نطاطاً كالجندب ان الرجال الذين عملوا عملاً يذكر في المسكونة استقروا في عمل واحد ووسعوا دائرتهُ . فاثر هذا القول في نفسهِ وعزم ان يعمل بهِ

وتزوجت اختهُ برجل يشتغل بعمل الورق فاتفق معهُ على انشاء هذا المعمل ولقيا من المشاق في انشائهِ وادارتهِ ما يعجز القلم عن وصفهِ وتدرجا فيهِ من خمسين الف ريال دفعتها الشركة التي انشأها لذلك الى ان اتسع وصار رأس مالهِ سبعة ملايين ريال فانهما انشآهُ في بناء كان معملاً للبيرا وافلس وهو في قفر يكاد يكون مستنقعاً يغطيهِ الثلج شتاءً والوحل ربيعاً وخريفاً ويسردق فوقهُ الغبار صيفاً ولم يكن هناك بيوت لينااما فيها هما والعمال فنصبوا خياماً وكانوا يطبخون طعامهم بايديهم وكان هو يوقد نار المعمل بيدهِ لكي يقتصد اجرة وقاد ومرت سنتان على هذه الصورة ولم ييأس لأنهُ اعتقد بصحة عملهِ وان النجاح آتٍ لا محالة وجاءهُ اول بارق من بوارق النجاح عرضاً وقد وصفهُ بقولهِ

« كنت سائراً في مركبة ذات يوم وكان فيها امرأتان فقالت الواحدة للاخرى الى اين. فاجابتها انني ذاهبة لاشتري ورقاً اضعهُ على الارفف . فقالت الاولى انك لا تجدين ورقاً للارفف لان صانعي الورق لا يصنعونهُ وانا ابتاع ورقاً عادياً وهو عريض فاقصهُ حتى يصلح ولا ادري لماذا لا يصنعون ورقاً عرضهُ عرض الارفف

«فلما سمعت هذا الحديث قلت في نفسي انني سأصنع هذا الورق فصنعتهُ واعلنت عنهُ فراجت سوقهُ اي رواج . ومن ثم صرنا نفتش عن الانواع التي تحتاج اليها البلاد اكثر من غيرها فنصنعها فتروج حالاً ونكتسب منها ما سهل علينا عمل الانواع الكثيرة الاستعمال وتوالى نجاحنا فوسعنا المعمل وبنينا بيوتاً للعمال ومدرسة لاولادهم فصار عندنا بلد منتظم الشوارع يبلغ عدد سكانهِ ١٥٠٠ نفس وصار رأس مال المعمل سبعة ملايين ريال»

نظامنا الاجتماعى

روح الزمان

روح الزمان مظهر الحياة والحركة للامم وحركتها مملوءة بالاسرار فهى تنفذ فينا كما ينفذ الهواء الذى نتنفسهُ وقد تكون مثل جراثيم الاوباء القاتلة إذا خطت الامة الى الفناء

روح الزمان تحرك مجتمعات البشر العظيمة وتقوي في الحواضر ويضعف تأثيرها في القرى والدساكر

وهمّ رجال السياسة بعد هذا ان يبحثوا أولاً عن مقتضيات الزمان وطبيعتهِ الاساسية وجدير بهم ان ينتهزوا نهزة حلول الوقت لانفاذها — وكل عمل يكون بعد أوانه او قبله عاقبتهُ الخيبة والخسران .

واحزم الناس ما إن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا

ولما كان الساسة قد ولوا عملاً خطيراً هو قيادة الامم وإدارتها كان من واجبهم ان يعرفوا جهة هبوب الرياح ومبلغ اتساع الامواج فى البحر الذى تسير فيهِ سفينة الدولة والاَّ فقد تدخل المياه الى السفينة من ثقيبٍ فيها ثم تذهب بها و بمن عليها

فعلى رجال السياسة كالوزراء والصحفيين ورؤساء الاحزاب ان يجتهدوا فى تطبيق مبادئ الزمان الجديدة على الامة فى حينها فان الزمان يبدد القوى التى كانت منذ اجيال و يوقظ قوى اخرى لا تزال مجهولة تدور مع رياح السعد او النحس فى الصعود او الهبوط

وتتجلى روح الزمان في طبيعة العصور المختلفة وفى نزعات اهلها وميولها . واطوار التاريخ العظيمة هي الرسوم الواضحة فى صفحة الزمان . والآراء الجديدة فى آفاق العالم كالكواكب الدرية تطلع ثم تغيب إدالة بعد إدالة وما ارتفع من الآراء الجديدة اليوم قد يصير ساقطاً ومنبوذاً غداً . مثال ذلك الثورة الفكرية في أوربا في عهد الحروب الصليبية فقدطرأ عليها الوهن فانطفأ مصباحها بعد ان شاعت وانتشرت في ارجاء العالم ثم جاء عصر النهضة العلمية بعد الحروب الصليبية بقرن وتبعها الانتقاض [1]

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان الشيوخ اقل استئناساً بالآراء الحديثة من

(١) اى رد الفعل

الشبان فبينما الشاب يقتبس الفكرة الجديدة بسرعة اذا الشيخ لا يستطيع اقتباسها الا بجهد وعنت وحكمة ذلك ان الشيوخ قد ألفوا ما ألفوه من قبل وضعفت فيهم حركة المجموع العصبي حتى صارت لا تقاوم قوة الاعتياد القديم لتظهر عليه

ولم يكن للمشرّعين ان يضطروا أمة الى العمل بقانون جاءوا به من عند انفسهم حتى ان الفاتحين العظام لم يستطيعوا حمل الناس على الخضوع لأوضاع وانظمة لا تتفق هي وحاجتهم ولا تلبث بالقوة الا زمناً يسيراً .وان مثلهم في ذلك مثل الحيوان يُضطر الى ان يعمل عملاً يخالف غريزته فهو لا يقدر ان يصبر على هذا العمل الا دقائق معدودة بالضغط ومتى ارتفع عنه الضغط عاد الى غريزته وفطرته التي فطره الله عليها

وكذلك شأن الامم في أوضاعها ونظمها التي لا تنطبق على حاجاتها فإنهُ لا يمرّ زمن يسير حتى تعود الاوضاع الى ما كانت عليه قديماً ولا يبقى في الحقيقة من النظام الجديد إلاّ الاسم الجديد !

والتحول في نظام الامة لا يكون الا بالتدرّج الارتقى إذ الباعث الى نشوء الانظمة والاوضاع الاجتماعية هو الباعث الى نشوء كل كائن حيّ في العالم

ومن سنن النظام الاجتماعي ان يكون التغير فيه نتيجة مجموع التعديلات الخفية التي تحدثها اجيال الناس على تتابع العصور . بيد اننا نشعر بالتغير عندما تؤيده القوانين الوضعية فنظن انهُ نتيجة تلك القوانين غير عالمين انه نتيجة حركة متواصلة وعمل كبير فإذا روى المؤرخون ان الفراعنة كانوا امة ذات حضارة عظيمة جاز لنا الحكم بان حضارتها لم تكن الا ثمرة ماضٍ طويل ولو كان هذا الماضي مجهولاً لدينا . ومن الاوهام ان تحلم امة بأن ترتقي وتطير في جوّ الحضارة بسرعة ودول اوربا وامريكا لم تصل الى هـذا الرقيّ الا بعد ان اجتازت عقبات كأداء في سبلها وخطت الى العلم والصناعة والتجارة خطوات تدريجية وتاريخها العام ادل دليل على صدق ما نقول

واذا كان الانسان قد خضع لقاعدة التدرج والارتقاء فالدول كذلك وكلنا يعلم اننا انتقلنا من الحالة الهمجية الى الحالة المدنية ثم خضعنا لنظام دولة ابتدأت في حداثتها كما يبتدئ المتعلم في الهجاء ثم اخذت اطواراً بالتدريج وسيستمر الترقي اذا سرنا في مراقي الصعود وصادفنا عناية من القائمة وتوفيقاً من الله

وليس طراز الادارة السياسية في امة دليلاً على خيانتها الحاضرة لاغير بل هو أيضاً

دليل على الاطوار الادارية التى تقلبت على الامة فى ازمنتها الفائتة. ومن الغفلة أن نختار لادارة البلاد الطرق والانظمة والقوانين التى تدلنا النظريات على انها أرقى واحسن من غيرها وقد برهن التاريخ على ان المشرعين الذين وضعوا الشرائع الخالدة قد أصابوا مبلغ حاجات اممهم وما أصح قول سولون (انا لم اشرّع لاهل اثينا شريعة راقية مصدرها الخيال وإنما وضعت لهم شريعة توافق استعدادهم وتلائم حاجاتهم) لذلك كانت القوانين والنظم فى الامم تراجم احوالها النفسية والمدنية وليس فى التاريخ مثال واحد يدلنا على ان امة تغيرت قوانينها بالقوة القاهرة ولبثت اياماً تعمل بها وهذه جزيرة قرسقة التي تحكمها الجمهورية الفرنسية لا تزال مملوءة بقطاع الطريق وأهل الدعارة على الرغم من وجود محافظ وقضاة وقانون وشرطة فيها. وما برحت طبقاتها محتفظة بعادات القرون الوسطى

وهذه ايرلانده لم تقوَ يد الانكليز الحديدية على تغيير شيء فيها . ان لطبائع الامم سلطة على مرافقها وان تغير هذه مرتبط بتغير ما تربت عليهِ عقول تلك الامم

وان الوادي الذي حُفر في كثير من العصور لا يملأُ الا في كثير من العصور

ومن آيات الرقي الصحيح للامم الناهضة ان تأخذ بوسط بين طرفين من التمسك بالقديم والانتقال الى الجديد لأنّ الطفرة مضرة كما ان الجمود مضر والتقليد على الجملة مفيد إذا وافق البيئة واقترن بالاعتدال على يد حكماء بارعين واطباء ماهرين يعالجون امراضنا المزمنة بكل مهارة واناة وصبر

والامة الانجليزية هى المثل الاعلى لمراعاة التوازن بين الاحتفاظ بالقديم والاخذ بالحديث . كذلك الامة الرومانية من قبل . والسر في عظمة الانجليز وقوتهم إنما هو نتيجة ذلك التوازن المعتدل بين القديم والحديث — وحرية بلاد الانكليز وانظمتها وقوانينها ليست من أثر كروميل ولا من آثار انصار الجمهورية الانجليزية سنة ١٦٤٩ م بل هى بنت التاريخ الانكليزى المجيد من عهد بعيد

فلتعملنّ الامم الناهضة كأمتنا بهذه المبادىء الاجتماعية في نهضة التعليم والتربية والتشريع والقضاء والإدارة وغيرها شيئاً فشيئاً. فاعتبروا يا اولى الابصار . وبالله التوفيق؟

عبد الرحيم محمود

المدرس في مدرسة الجيزة الثانوية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة و اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاحتفال بذكرى باحثة البادية

احتفل اهل العلم والفضل بمصر مساء الثلاثاء ٢٤ نوفمبر الماضي احتفالاً فخماً بانقضاء سبع سنوات على موت الكاتبة المصلحة ملك حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية. فتليت فيه خطبة قيمة للسيدة هدى شعراوي والقى خليل بك مطران قصيدة عصماء من نظمه ثم تلاهُ مجد الدين افندي ناصف شقيق باحثة البادية فالقى خطبة بليغة في تاريخ الباحثة فتاة ومتزوجة ومصلحة وافاض في سرد النهضة النسائية في القرن التاسع عشر وقامت بعدهُ المربية الفاضلة نبوية موسى فالقت قصيدة عامرة من نظمها ثم ارتجلت حضرة الكاتبة الشهيرة الآنسة مي خطبة بليغة وقد رأينا ان ننقل في هذا الباب جانباً مما جاء في خطبتي السيدة هدى شعراوي والآنسة مي

من خطبة السيدة هدى شعراوي

ايها السادة :

اجتمعنا اليوم لنحيي ذكرى باحثة البادية ولست بحاجة الى ان أبين لكم مقدار الخسارة التي نالتنا بوفاتها في عنفوان شبابها وبدء جهادها وليس منكم من يجهل ما كان لها من فضل واسع واثر خالد في خدمة الادب والتربية والنهضة النسوية . وان في شهودكم هذه الحفلة لتعزية كبيرة لأَنهُ يجعلني عظيمة الرجاء في تأييدكم للمبادىء التي وضعت اساساً لحرية المرأة ورقيها

وكيف لا يكون لي هذا الرجاء وقد اخذ الشعب المصري يقنع غيره من الامم الاسلامية الراقية بان جهل المرأة وعزلتها في عقر دارها كان ولا يزال من اهم اسباب تأخره وانحطاطه واني لمغتبطة بهذا الشعور الذي يبتسم امامي ابتسام الفجر بعد الليل المظلم . والآن ارجو ان تسمحوا لي في ان اشرح لكم حقيقة ما تصبو اليه المرأة المصرية

وما فهمهُ بعض الناس خطأً من مطالبنا فاوّلها تأويلاً مشوشاً بعيداً عن الحقيقة المطلوبة

١ — مساواة المرأة بالرجل في فروع التعليم

لا نظن عاقلا ينكر علينا هذا المطلب لاننا انما نريد ان ندرأ عن انفسنا غائلة الجهل ولذلك رأت الحكومة اخيراً ان تصغي لشكوانا المستمرة منذ سنوات فاخذت تذلل العقبات التي كانت تحول دون مساواة المرأة بالرجل في التعليم فانصفتنا في ذلك بعض الانصاف ونرجو ان تتدرج بنا الى الكمال فيهِ

من الظلم البين ان يتحكم فريق في حياة المرأة وتكوينها تحكم المستبد كأنها لم تكن انساناً لها حقوق مثل حقوقهِ وعليها واجبات مثل واجباتهِ ولها شعور وعقل وارادة كشعورهِ وعقلهِ وارادتهِ

قد فات هذا الفريق ان العلم لكائنٍ من كان لا يكون اداة للفساد كما فاتهم ان تعليم الفتاة مع بقائها في غرفتها غير كاف لتكوينها وتهذيبها. لان العلم لا يظهر أثر فضلهِ الا وقت تطبيقهِ على العمل وشر آفة على الانسان — رجلاً كان او امرأة — اتساع معارفهِ وتضييق دائرة عملهِ . فامنحوا بناتكم حسن الثقة بهن وحببوا اليهن مكارم الاخلاق واطلقوهن يعملن في افق الحرية الكاملة . ولهن من حب العفاف خير واق واشرف حجاب

٢ — اصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية وجعلها منطبقة تمام الانطباق على روح التشريع الديني من اقامة العدل ونشر السلام بين الاسر واحكام روابط المصاهرة وذلك بان

(ا) يسن قانون لمنع تعدد الزوجات الا لضرورة كعقم الزوجة او مرض عضال يمنعها عن اداء وظيفتها الزوجية وفي هذه الحالة يجب ان يثبت ذلك الطبيب المختص

(ب) يسن قانون يحرم على الرجل ان يطلق زوجة الا امام القاضي الشرعي وعلى القاضي معالجة التوفيق بين الزوجين بحضور حكم من اهلها وحكم من اهلهِ قبل الحكم بالطلاق طبقاً لنص الدين الحنيف

اعتقد أننا في هذا المطلب لم نتجاوز الحكم الديني ولا الحكم العقلي اذ ليس منا من يجهل ان الطلاق مثار الاحقاد والاضغان بين المتصاهرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم (ابغض الحلال الى الله الطلاق)

وليس منا من يجهل مضار تعدد الزوجات وما لهُ من أثر سيء يوهن جلال الابوة في نفوس الابناء ويختلس حنان البنوة من الاباء وينقص رابطة الاخوة فتؤول الى مشاحنة

و بغضاء و يدفع الرجال الى الاسراف والتبذير وتغي الاثرة فينقادون الى شهواتهم غير حاسبين حساباً لما سيعقب ذلك من حسرات ونكبات

هذا الى القضاء على سرور المرأة في حياتها والحكم عليها بالشقاء الابدي وذلك ما لا يرضاه رجل شريف تتغلغل في نفسه العاطفة الانسانية ولا ترضاه امرأة رفيعة كانت او وضيعة

اذا كانت آثار تعدد الزوجات محسوسة ملموسة فلمَ لا نحاربهُ بكل قوانا ولمَ لا ينضم الى صفوفنا عقلاء الامة لتلافي شروره ومفاسده

٣—مساواة المرأة بالرجل في الحقوق النيابية والحقوق التشريعية

تريد المرأة ان تتبوأ مكانها في الهيئة الاجتماعية وان تنال قسطها كاملاً في جميع الحقوق لا لتزاحم الرجل كما يتوهم وانما في الحقيقة لتساعدهُ في تحمل اعباء الحياة

تعلمون ان الرجل والمرأة بحكم الشرائع السماوية والنواميس الطبيعية قد خلقا لا لينفرد كل منهما بنفسه بل ليمتزجا ويتكاملا ويتشاركا في الحقوق والمسئولية

ولا ينكر احد ان للمرأة على العموم تأثيراً محسوساً في الرجل تظهر نتيجتهُ في كل عمل من اعماله فمن الخطر الجسيم ان يكون لها ذلك التأثير العظيم وهي بمعزل عن الهيئة الاجتماعية وعلى جهل تام بمجرى الامور ومقتضيات المصلحة العامة واكبر دليل على ذلك الحوادث التاريخية الماضية التي دفعت رجلاً عظيماً من كبار مفكري فرنسا الى ان ينادي بأعلى صوته ابحثوا عن المرأة عند كل ملمة او كارثة

لم يقل ذلك الرجل هذا الا بعد وقائع مثبتة

والحقيقة ان المرأة مظلومة لان تحكم الرجل في حياتها و بعدها عن مواطن التفكير ومواقف المسئولية جعلتها تندفع بشعورها دون مراعاة للمصلحة العامة التي لا تعرف عنها شيئاً ومن الظلم البين ان يعيرنا الرجال بعيوب لا نقع تبعة وجودها فينا الا عليهم وحدهم

وليس هنا علاج لهذا الخطر المخيف الا مشاركة المرأة الرجل في المسئولية الحقيقية عن الاعمال الاجتماعية العامة

ايها السادة

هذه المطالب التي نرفع بها اليوم صوتنا عالياً ونلح في طلب تحقيقها كانت الشعار الاول لباحثة البادية وظلت تنادي بها منذ نعومة اظفارها وقد عاجلتها المنية قبل ان تنعم بتحقيق شيء منها فماتت في اول الطريق وها نحن اولاء اليوم نجاهد على اثرها ولنا بعض التعزية اذا متنا لاننا قد كوفئنا بتحقيق بعض الاماني التي حرمت باحثة البادية مشاهدتها

وهذا مصير كثير من المجاهدين الاولين في هذه الحياة . يغرسون الغرس الطيب ليجني ثماره خلفاؤهم

من خطبة الآنسة مي

مهدت لكلامها بقولها ان ثلاثة اسباب تدفعها للكلام في هذا الاحتفال هي الجاذب الذي طويت عليه شخصية الباحثة وفضلها عليها فضل كاتبة على قارئة اذ طالعت كتابها النسائيات فنبهها الى موضوعات خطيرة غريبة عن معرفتها وادراكها واهتمامها حينئذٍ وفضلها ايضاً عليها فضل كاتبة على كاتبة فان حزنها على فقدها دفعها الى الانعكاف على درس شخصيتها وتمحيص آرائها فاصدرت بذلك كتابها « باحثة البادية » وهو اول مؤلفاتها العربية . ثم قالت ما نصهُ :

هذه الاسباب الثلاثة التي تصلني بالباحثة هي بعينها التي تصل الجمهور بها ، ولو مع بعض الاختلاف . فكل من قرأها شعر بجاذبها من خلال الصحائف . وكلٌّ تأثر بكتاباتها وفقاً لاستعداده ، القارئ منا والقارئة . وكما كانت موحية اول كتاب عربي عن كاتبة عربية كذلك كانت اول امرأة مصرية — واكاد اقول شرقية — تعاون الرجال والنساء على الاحتفاء بتأبينها احتفاء رسمياً . فاقام الرجال حفلتهم بعد مرور اربعين يوماً على وفاتها . واقام النساء حفلتهن بعد مرور العام ، في دار الجامعة المصرية القديمة . وقد كان لي الشرف والسرور والحزن ان اكون من اعضاء اللجنة التي عنيت بتهيئة تلك الحفلة ومن الخطيبات اللائي تكلمن فيها . او تذكرون متى كان ذلك ? لقد كان ذلك في تلك الساعة المتلظية الطروب ساعة اليقظة المصرية . لان الباحثة سكتت للمرة الاخيرة عندما سارت الامة هاتفة تحت الاعلام الخافقات . ادرج جسم الباحثة في الاكفان عندما انبرت الامة تلقي عنها لفائف الموميات القديمة لتنتفض منها النفس القومية انتفاض الحياة المشرقة المنشورة في بعث جديد باهر !

للعمر ساعات ، ايها السادة والسيدات ، لا يسع المرء فيها حتى ولو كان حكيماً ، إلاَّ ان يعاتب القدر وينعتهُ بالجور والطغيان . لانهُ بينا هو يغدق النعم على الاحمق او الخبيث الاثيم من بني الانسان اذا بهِ يؤذي المحسن الكريم فيصعقهُ في لحظة واحدة بعد التعذيب الطويل . ذلك كان نصيب الباحثة من القدر . على اننا نعود الى الامتثال الجميل الذي هو من اسمى دروس الاسلام والمسيحية ، نعود الى الامتثال لعلمنا ان الزارع لا يتحول عن حقله الأ وقد نثر جميع البذور التي يحتم عليهِ ان ينثرها ، ومن يد بطلتنا المباركة كما من يد

قاسم امين ألقيت البذور الصالحة في الوادي الخصيب. فرأيتم اليوم، يا رجال مصر، هذا الحصاد البهيج من بنات واديكم ينهضن عاملات لكم ولنفوسهن ولاوطانهن وللانسانية !

ولا عجب في ذلك. بل قد كان يكون العجب واليأس ايضاً لو لم تتحرك المرأة المصرية. كيف ؟ او يغامر الرجل و يجاهد و يستبسل و ينادي وتظل المرأة حياله تمثالاً او دمية لا تسمع نداء الحياة، ولا تفقه عجيج الاماني وصيحة الاوطان ؟ كيف ؟ او يدوي العالم بصخب الشكايات والمطالب ولا تتأثر بذلك مصر، ومصر كالشرق باسره مطمح الانظار وسوق المصالح ومرمى المطامع ؟ او تنهض الامم بشطريها للسعي والاقتباس والتجديد وتظل هذه البلاد معرضة غافلة رغم كونها النقطة المسيطرة على طريق المشرقين، وملتقى القارات الثلاث، والبقعة التي تستقر فيها خلاصة كل حضارة وكل ازدهار ؟

كلا ! لم يكن ذلك بالميسور في بلاد قوية بماضيها، قوية بمستقبلها، قوية بحيويتها الحسية والادبية وبرسالتها الى العالم التي تحلها عن الانقراض والفناء ! فكانت الباحثة ساعة النهضة الوطنية، ومثل النهضة الوطنية، اول وسيلة يتفاهم عندها الشطران ويتعاونان. فهنيئاً لنابه يقضي بين قوم نابهين ! وهنيئاً للاحياء تدخر لهم القبور ودائع الفضل والذكاء!

ولقد شاء الاستاذ محد الدين ناصف استنهاض همة الرجل في هذا النادي فبسط له مظاهر ظلمه. وفعلت فعله استاذتي الجليلة السيدة نبويه موسى وهي المحقة في اخلاصها. ولكن للامر وجهاً آخر علي ان اذكره ليقوم التوازن حيث يجب ان يكون. وما انا قائلة الا كلمة حق توحيها روح العدالة ومعرفة الجميل ان انا شكرت للرجل عطفه على المرأة وعنايته بحركتها في هذه الديار

فالرجل في شخص قاسم اوجد اليقظة النسوية ودعا اليها. والرجل يتعهد هذه اليقظة بشخصكم ايها الآباء والفضلاء الذين تمنون بتعليم بناتكم وتثقيفهن. وما فتئ الرجل ينشط المرأة و يستحثها و يروج مصالحها باكرم المظاهر وانبل الوسائط. وهل من هو اولى بالذكر في هذا الموقف من ابي الباحثة ؟ بل هل هناك من هو اولي بالشكر منك، يا شقيق الباحثة، انت الذي نراك باذلاً ذكاءك وهمتك ومعرفتك وحماستك الفتية للاشادة بذكر قضية المرأة، وتفخيم اعمالها وبسط آرائها، وتشجيعها على مخاطبة الرجال في شؤونها باباء، وارغام الرجال على الاستحسان والتصفيق والموافقة ؟

وها كم الكتب، والاجتماعات، والاحاديث وها كم عطف الصحافة الكريم بوجه خاص. كل ذلك ناطق باهتمام الرجل وانصافه وسامي شعوره. وها هو كل شاعر وخطيب

هنا، وها هو كل حاضر منكم ايها السادة الرجال ، انما هو يعرب بطريقته الميسورة عن رغبتهِ في تفاهم الجنسين لاعلاء شأن الاوطان . لانكم تدركون انهُ لا خير في وطن يجري الرجال منهُ والنساء ومقعدات ! بل الخير كل الخير في وطن يتعاون الرجال منهُ والنساء على تنشئة الفرد الصالح تنشئة للعائلة ، فالمجتمع ، فالامة الزاخرة بتيارات الرفعة والكرامة !

ايها السادة والسيدات

اننا في طريقنا الى غايات خطيرة قومية وانسانية وروحية تحدو بنا جهود العاملين وتنير سبيلنا افكار الراحلين . ففاخرن يا اخواتي المصريات ، بان تكنَّ عاملات في هذا الموكب العظيم كما تفاخرن بان لكنَّ شعاعاً نسويًّا يزيد في النور الطاهر السني المنبعث من قبور الخالدين ! آه

***

ثم وقف الاستاذ مجد الدين ناصف فتلا ما وضعهُ الاتحاد النسائي المصري من مطالب المرأة ليوافق الجميع على رفعها الى ولاة الامور توطئة للسعي في تحقيقها وهي

١ — حماية العائلة من حرية الطلاق وتعدد الزوجات وفقاً للشرع الشريف

٢ — الزام المطلق بالنفقة حيثما كان

٣ — الاسراع في تعميم التعليم الالزامي للفتيات

٤ — فتح ابواب الامتحانات العليا لمن تستطيع ذلك منهنَّ

٥ — تخصيص غرفة في بناء الجامعة المصرية الجديد باسم باحثة البادية تصدَّر برسمها وتلقى فيها محاضرات نسائية واجتماعية

وعارض الحاضرون من الرجال في مطلب آخر يرمي الى المطالبة بحق الانتخاب لمجلس النواب لمن تحسن من النساء القراءة والكتابة فعُدِل عنهُ

الصحة وحالة القلب

كتب الدكتور جُد رد رئيس العيادة الطبية في كلية كورنل الاميركية عن سيدة جاءت اليهِ وهي واثقة انها مصابة بمرض القلب والذي حملها على هذا الاعتقاد انها كانت تشعر حين تستلقي على جنبها الشمالي كأن رأس قلبها ينقر على صدرها وحين

تصعد سلماً كانت تشعر ان اعضاء التنفس تكاد تخونها فلا تستطيع ان تستنشق الهواء ولا ان تزفره من رئتيها ولما روت هذه الاعراض لبعض اصدقائها قالوا لها هذه اعراض مرض القلب فدب الهم فيها

و بعد ما فحصها هذا الطبيب فحصاً مدققاً لم يجد اثراً لمرض القلب بل وجد ان ضيق نفسها سببهُ ضعف عام في جسمها ناجم عن قلة الحركة وعدم انتظام الاكل . واليك ما قالهُ في هذا الصدد. «هذه حادثة تشبه كثيراً من الحوادث التي نشاهدها فالمرضى يفدون على عياداتنا وهم يظنون انهم مصابون بمرض القلب لان بعض اصحابهم قال لهم ان ما يحدث لهم هو اعراض هذا المرض وهنا اشير على كل مريض يظن انهُ مصاب بمرض القلب او بغيرهِ ان يستشير في ذلك طبيباً ولا يستسلم لاقوال اصدقائهِ

اما الاعراض التي تدلُّ في الغالب على وجود خلل في عمل القلب فهي ثلاثة

اولاً — ضيق النفس — اذا شعر احد بضيق النفس بعد اجهاد قليل كصعود سلّم او المشي مسافة قصيرة مشياً سريعاً فيجب ان يستشير الطبيب في امرهِ

ثانياً — الالم — الالم الذي يدلُّ على ضعف القلب لا يشعر بهِ في القلب بل يشعرُ بهِ تحت القصّ ومن هناك يمتدُّ احياناً الى الذراعينْ . وقد يكون الماً حادّاً كوخز السكين او ضعيفاً مستطيلاً . وليست كل الآلام من هذا القبيل دليلاً على وجود مرض القلب ولكن اذا كثر حدوثها وجب اطلاع الطبيب عليها ليرى رأيهُ فيها

ثالثاً — خفقان القلب — وكثيراً ما يخطئُ الناس في معرفة سببهِ او دلالتهِ فمنهم من يحسب ان بهِ خفقاناً في قلبهِ اذا احسَّ بدقات قلبهِ حين يستلقي على جانبهِ الايسر وليس من الغريب ان يشعر الانسان بدقات قلبهِ في مثل هذه الحالة وليس لهذه الدقات دلالة على وجود مرض القلب . واما خفقان القلب غير المنتظم الذي يدل على وجود القلب في حالة مرضية فيحدث في حالتين الاولى حالة الغضب والتهيج العصبي فان الخفقان في هذه الحالة قد يدلّ على مرض القلب وقد لا يدلّ . والحالة الثانية حدوث الخفقان بعد تعب جسدي قليل كما تقدم فانهُ دليل من اكبر الادلة على وجوب الذهاب الى طبيب واستشارتهِ



الاطعمة وما تحويهِ من الفيتامين

ذكرنا في المقتطف غير مرة ان الفيتامين على ثلاثة انواع يدلُّ عليها بالحروف الافرنجية A و B و C وقد دللنا عليها بالحروف العربية . ا ، ب ، ج كما ترى في هذا الجدول ولكل منها فائدة خاصة في التغذية وفائدة هذه الانواع بوجهٍ عام ليس لما فيها من القوة الغذائية بل لما فيها من القوة على جعل الطعام صالحاً او لجعل الجسم قادراً على تناول الغذاء من الطعام · وقد اطلعنا في الجزء الاخير من السينتفك اميركان على جدول مطول لكثير من الاطعمة وما تحويهِ من انواع الفيتامين فآثرنا نقلهُ فيما يلي . وقد فسرنا ما استعملناهُ فيهِ من الاشارات في نهايتهِ

	ا	ب	ج
الخبز الابيض (بالماء)	?	*	—
« « (باللبن)	*	*	?
الخبز الاسمر (بالماء)	*	**	?
« « « (باللبن)	**	**	?
خبز الشعير	*	**	—
الذرة الصفراء	*	**	—
الاوتميل	*	**	—
اللحم الاحمر	— الى *	?*	?*
دهن البقر	*	—	—
دهن الغنم	*	—	—
الزبدة الصناعية	*	—	—
الكبد	**	**	*
الكلى	**	**	?*
النخاع	*	**	?*
الحلاوات	*	*	·
السمك غير المدهن	—	*	·
البيض	**	*	*?
اللوز	*	*	·
جوز الهند	*	**	·
الفول السوداني	*	**	·
الجوز	·	**	·
الطماطم (نيئة او مطبوخة)	**	***	***
الفاصوليا الناشفة	·	***	·
الفاصوليا الخضراء	**	**	**
الكرنب نيئاً	*	***	?*
الكرنب مطبوخاً	*	**	?*
الجزر نيئاً	**	**	**
الجزر مطبوخاً	**	*	*
القرنبيط	*	**	*
الكرفس	·	*	·
الخيار	·	*	·
السمك المدهن	*	*	·

	ا	ب	ج
البطرخ	*	**	*؟
اللبن الطازه	***	**	*م
اللبن المركز	***	**	*م
اللبن المجفف	***	**	*م
اللبن المخيض	*	**	*م
زبدة اللبن	*	**	*م
البطاطس الحلو	**	*	·
الفجل	·	*	·
القشدة	**	·	·
الزبدة	***	***	·
الجبن	**	·	·
السبانخ طازة	***	***	·
السبانخ مجففاً	***	**	·
الكومي	**	·	·
اللفت	؟—	**	·

	ا	ب	ج
الباذنجان	·	**	·
الخس	**	**	***
البصل	·	**	**
الفول	**	**	*؟
البطاطس بعد سلقها ١٥ دقيقة	·	**	؟*
« بعد سلقها ساعة	·	**	؟*
البطاطس مطبوخاً	·	**	*
التفاح	*	*	*
الموز	*؟	*؟	*
عصير العنب	·	*	*
الليمون الهندي	·	**	**
عصير الليمون الحامض	·	**	***
عصير البرتقال	·	**	***
الخوخ (البرقوق)	·	*	—
الفرمبواز	·	·	***

دلالة الاشارات في الجدول السابق

* تدل على وجود مقدار قليل من الفيتامين

** « « « مقدار متوسط « «

*** « « « مقدار كبير « «

— « « « مقدار لا يذكر من الفيتامين

؟ « « الريب في وجود فيتامين

· « « على عدم وجود دليل او ان الدليل غير كافٍ لاثبات وجود الفيتامين

م « « ان مقدار الفيتامين متغير

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

اغرب الغرائب

سيدي الاستاذ صاحب المقتطف الاغر

كان البحث في الارواح والكلام فيما هو من مساتير الكون — ليس من الامور المألوفة وكان الجدل في هذا الجو كالرجم بالغيب ومن قبيل المهاترة والمكابرة والمجاجة هراء وعبثاً كان هذا الى عهد قريب اما الآن فقد صارت الحال غير الحال فنزعت العقول الكبيرة الى معالجة هذه الموضوعات ونشط للبحث في ذلك اقطاب المادية وعمد الطبيعة امثال اولڤر لودج ووليم جيمس واديسون . وانت لا تفتح مجلة او رواية الا وقع نظرك على شيء محدث واثر بين من آثار هذا البحث فالعالم الجديد يسابق القديم في تعليل الحوادث وتفهم المذهب الروحاني . على ان المذهب المادي لا يزال واقفاً بالمرصاد يحارب كل ظاهرة من ظواهر الروح وينازع كل سر من اسرار هذا الكون

ولقد قرأت نتفاً كثيرة وحفظت لمعاً ايضاً من آثار الروح ولا ازال اعالج تفهّم ما يستعصي فهمهُ ويستغلق ويتعسر استيعابهُ فلا تستمرئهُ الافهام مهلاً ، مستعيناً بوجداني عاملاً على رقيهِ واصلاحهِ

ولقد اتيح لي ان اقرأ في مقتطفكم عن الرجل الالماني المدعو لدوغ كهن وما قيل عنهُ من انهُ يقرأ ما يكتب في ورقة ولو لم يرَ الكتابة وما جاء بهِ في باريس امام جماعة من فحول العلم وفطاحل العرفان اعضاء اكاديمية الطب فوقع بخاطري ان ادلي برأيي في تعليل تلك الظاهرة عسى ان اوفق في ذلك او اكون من المنصفين فاقول : اذا اطبقت جفني عينيك وضغطت باصبعك عليها ظهرت لك صورٌ متباينة الاشكال — منها ما هو مستدير ومنها ما

هو متشعب. واذا كنت قد خلوت بنفسك في مخدع مظلم وحولت نظرك فجاءة الى الطرف لاحت لك حلقات نورية متطايرة . اذن فما تعليل هذا ؟ انهم يعللون هذا بان شبكية العين المركبة من انبساط العصب البصري — ليس يتساوى الاحساس على سطحها فينتج ان الالياف الدقيقة التي تكوّن العصب ليست تهتز على حالة واحدة ووتيرة واحدة — فكلما كانت الواحدة منها اشد تأثراً كان اهتزازها بتموجات النور غيرما تنفعل بهِ الاخرى والعكس بالعكس . وانما يرجع ذلك الى خصائص ومميزات اجهزة الحواس واستعداد الالياف العصبية بحالة اهتزازية خاصة

والعين ما هي ؟ ان هي الا حجرة سوداء ترتسم فيها التأثيرات النورية — وتنفعل الشبكية بما يقع عليها النظر من المرئيات وتنقل الى الدماغ الاهتزازات النورية حيث تحول هذه الى احساسات معقولة من النفس الروحية . اما تمييز المخلوق للالوان وتفريقها بعضها عن بعض فقد شرحها بعض علماء الفزيولوجية بافتراضهم وجود اختلافات في سرعة تموجات الاثير المنتشر في الكون — قالوا : ان هذه التموجات انما تختلف اختلافاً نسبياً في السرعة فتختلف في ما تتركهُ من أثر في شبكة العين ويكون ان تأثيرها في شبكية يختلف عن غيره في شبكية أخرى . ويكون بعد ذلك ان نعلم نتيجة غائية هي ان التأثيرات الطارئة على شبكية العين تسبب العوارض النظرية . وان الظلمة مسببة عن عدم وصول التأثير اليها فاذا ذهبنا الى ابعد من ذلك في البحث وجدنا انهُ مما يؤيد وجود تغير يطرأ على شبكية العين عند وصول النور اليها صدور هذه التأثيرات فيها بمعزل عن عامل النور — اعني ان كل علة تنشيء تغيراً في غشاء العين العصبي تسبب احساسات نورية في باطنهِ

ولا يندّ عن ذهننا ان المائع العصبي من اخص الشروط لحسن وظيفة اجهزة الحواس فعلى قدر كثرتهِ او قلتهِ تزداد قوة الحاسة او تضعف . وانما تتوقف قوة الجهاز الحسيّ وحدتهُ على عدد الالياف العصبية المتمددة فيها وتعوّد كل منها حركةً اهتزازية معينة مناسبة لهُ وللعلل الخارجة الطارئة عليهِ . ان حاسة السمع تبلغ درجة عجيبة من الحدة في بعض الامراض وسبب ذلك تجمع كمية وافرة من المائع العصبي في هذه الحاسة على اثر اعتلال المريض وهو ما يعزز ما قلناهُ ويزكيه

ولنعد الى ما كنا فيهِ فنقول ما هي حدود الاهتزاز المؤثرة في القوة الباصرة وهي على حالتها الطبيعية فنقول : اذا اخذنا موشوراً زجاجياً وانفذنا فيهِ شعاع الشمس وجمعنا هذا الشعاع المنحرف على حاجز وجدناهُ مركبًا من سبعة الوان تسمى الطيف الشمسي ابتداؤها

الاحمر وانتهاؤُها البنفسجي ولا تجد العين احساسات نورية يستوعب بها ما وراء هذين اللونين . على حين اننا اذا اضفنا املاح الفضة من الناحية المجاورة للبنفسجي فاننا تراها تنحل وهو ما يؤيد وجود ما وراء البنفسجي اشعة خاصة لا تقوى الباصرة على رؤيتها وانما يظهر اثرها في فعلها الكيمائي فقط . هذا من جهة ومن جهة أُخرى قد ثبت وجود ما بعد اللون الاحمر تموجات حرارية غير منظورة . اذن فالطيف الشمسي الكامل يمتد الى ما بعد البنفسجي وما قبل الاحمر وان ما فينا من استعداد بصري لا يرى الا الجزء الاوسط من الطيف . وعلى هذا نقول انهُ يوجد اهتزازات نورية لا تؤثر في شبكية العين لسرعتها او لبطئها اي لقصرها او لطولها وقد قرر العلماء ان الباصرة لا تتأثر من التموجات الاثيرية التي تزيد اهتزازاتها على ٧٩٠ تريليون في الثانية اي (٧٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) او تنقص عن الاربعماية تريليون وما يقال في البصر يقال في السمع وباقي الحواس على اختلاف في الارقام — وهذا يدلنا على ان الجسم البشري آلة حيوانية مجهزة باجهزة ناقلة لا تتم وظائفها الا في حدود ضيقة جدًّا بالنسبة الى عدم تناهي الطبيعة . ولقد اجريت امتحانات اثبتت امكان تنقيص الحركة الاهتزازية من شعاع النور . ذلك بأنهم اخذوا قطعة من الزجاج الخاص الحاوي من سيليكات الاورانيوم ووضعوها في الناحية الواقعة ما وراء البنفسجي من الطيف الشمسي فظهرت عليها بسرعة تلك الاشعة غير المنظورة التي ظهر فعلها بحل املاح الفضة وانما خاصية الزجاج المذكور ان تقلل اهتزازات تلك الاشعة الواقعة ما بعد البنفسجية ويكون من ذلك ان يظهر لونها السري وتراها العين

وحاصل هذا كلهِ ان قوى الانسان تختلف باختلاف اجسام الناس واقدارهم وان من الناس من يحمل قنطاراً بين يديهِ ومنهم من لا يقوى على حمل عشر هذا القدر . وكذلك تتفاوت حساسيات المرء فمنهم من يرى او يسمع على ابعاد بعيدة ومنهم من لا يستطيع ذلك آية ذلك ان التنويم المغنطيسي يظهرنا على ان في الانسان قوى باطنة كثيرة مستورة فالنائم النوم المغنطيسي يأتي بامور واشياء ويحمل اثقالاً لا قبل لهُ عليها في صحوهِ وهو ما يؤيد المذهب الروحاني ويذهب بمزاعم المادية التي تنكر كل ما هو غير مشاهد قائم على الحس . فعسى ان يكون في ذلك الكفاية الآن ولعلنا نعود الى ذلك الموضوع مرة اخرى

حسن حسين

الطب العربي في الجاهلية

مواد جديدة للاحاطة بدرسهِ

حضرة الفاضل صاحب المقتطف الاغر

انشرف بان ارسل الى مجلتكم ترجمة المبلغة العلمية التي تليت في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب الملتئم في جنيف سويسرا من ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٥ الى ٢٥ منهُ وقد اعددتُ هذه المبلغة على اثر كتاب تلقيتهُ من الدكتور شارل غرين كومستول رئيس المؤتمر هذا نصهُ

سيدي حضرة الرصيف الكلي الاعتبار

اني اكتب اليكم شخصياً لارجوكم ان تحضروا المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب وتتلوا فيهِ مبلغة بموضوع يتعلق بتاريخ الطب العربي لان هذا مما يسبب لي سروراً عظيماً وعلى رجاء ان يصادف اقتراحي قبولاً لديكم تقبلوا الخ

فاجبت بما مؤداهُ

سيدي حضرة رئيس المؤتمر الكلي الاعتبار

تلقيت دعوتكم للمشاركة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب المنعقد في جنيف تحت رآستكم وشكرت لكم حسن ظنكم بي. اما حضوري المؤتمر بنفسي فذاك امر تمنعني اشغالي الطبية في باريس عن القيام بهِ. واما ان ارسل مبلغة بموضوع يتعلق بتاريخ الطب عند العرب فهذا اقوم بهِ مع الشكر الجزيل لحضراتكم وتقبلوا . . .

ترجمة المبلغة

لقد اتيح لي ان طرقت باب هذا الموضوع المتسع المناحي في مبلَّغة قريبة العهد في باريس ذُيِّلت باسم الدكتور موريس فيلاريت نائب استاذ في كلية العاصمة الفرنسوية الطبية وباسمي وظهرت في مجلات علمية مختلفة (انظر الجمعية الاسيوية وجمعية تاريخ الطب الفرنسوية)

اجل ان درس الطب العربي قبل الاسلام موضوع لا تجاب انحاؤهُ وزواياهُ في مبلغة او مبلغتين فان معارف العرب الطبية قبل القرن السابع للميلاد انما هي بالحقيقة بعض معلومات فن الشفاء التي كانت شائعة بين معاصريهم تلك الايام

وللعثور على هذه الفوائد يجب على الباحث ان ينقب بين مخطوطات ومطبوعات عديدة حتى اذا ثابر ولم يتطرق الى عزيمتهِ ضعف كشف بين ركام من الاصداف

يحيط بهِ حجراً فريداً اقل ما يقال فيهِ انهُ ان لم يكن بالحجر الفلسفي فانهُ ثمن محصول لا يجار بهِ في نفاسته مجار وعليهِ نقول :

لقد سبق لنا ان ذكرنا في مبلغةٍ خلت بعض اطباء وجراحين في العصر الجاهلي . والآن نضيف اليهم النطاسي ابن حزيم من قبيلة تيم الرباب وقد اشار الى وجوده الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بدليل ما قالهُ اوس بن حجر فيهِ

فهل لكم فيها اليَّ فانني بصير بما اعيا النطاسي حزيما

ولقد عرف العرب القوباء او (الحزازة) او ما يقرب منها من الامراض الجلدية وعالجها بعضهم بالريقة وهي رضاب الصباح وقبل تناول الطعام . على ان هذا العلاج لم يرق شاعراً ذكيَّ الفؤاد فقال وهو يتميز غيظاً :

واهًا لهذه النكبة الفليقة هل تذهبنَّ القوباء الريقة

(والبيت احد شواهد الارجوزة لليازجي) ولعلَّ هذه العادة لا تزال متبعة في بعض قرى مصر وسوريا والعراق ودساكرها

وذكر العرب البرص في كثير من اشعارهم الجاهلية ووصفوهُ واشاروا بعزلة المصاب . واغرب ما يؤْثر عنهم معرفتهم الحمى المتقطعة وعلى الاخص حمى الربع معرفة لا تبقي مجالاً للريب فان الشاعر الجاهلي الكبير والعدَّاء الشهير المعروف بالشنفرى وهو ممن عاش في القرن الخامس للميلاد كان اول من ذكر حمى الربع في كلامٍ لهُ ولا نذكر ذلك لقائل قبلهُ وقد ورد ذلك في قصيدتهِ المشهورة بلامية العرب والتي مطلعها

اميلوا بني أُمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأَميلُ

جاء منها في وصف حالهِ

وإلفُ همومٍ ما تزال تعودهُ عياداً كحمى الربع او هي اثقلُ

***

وعلى ذكر حمى الربع وهي ضرب من ضروب الحمى المتقطعة او الملاريا فاني استميح القارىء الكريم ان انتقل بهِ من الجاهلية الى صدر الاسلام هنيهة بقصد التوسع في هذا البحث وسردِ ما يوافق سردهُ في هذا المقام . فان ابن ميادة وهو من شعراء العصر الاموي رمى بكلمتين في موضوع مسببات الحمى المتقطعة لمعت فيهما العبقرية واجتازها الالهام . واليك ما جاء بهذا الصدد نقلاً عن كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ج ٢ ص ١٠٤ و١٠٥ طبع القاهرة

كان ابن ميادة بحضرة الوليد بن يزيد الاموي وذكر الهجمة في ابيات لهُ انشدها بين يدي الخليفة يستجدي بها فقال الوليد : كم الهجمة قلت مائة ناقة قال قدصدرت بها كلها عشراء قال ابن ميادة فذكرت ولداناً لي بنجد اذا استطعموا الله عزّ وجلّ اطعمهم وانا واذا استسقوهُ سقاهم الله وانا واذا استكسوهُ كساهم الله وانا فقال يا ابن ميادة وكم ولدانك فقلت سبعة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة فذكرت ذلك منهم فاخذ بقلبي فقال يا ابن ميادة قد اطعمهم الله وامير المؤمنين وسقاهم الله وامير المؤمنين وكساهم الله وامير المؤمنين فاما النساء فاربع حلل مختلفات الالوان واما الرجال فثلاث حلل مختلفات الالوان واما السقي فلا ارى مائة لقحة الا ستروبهم فان لم تروهم زدتهم عينين من الحجاز. قلت يا امير المؤمنين لسنا باصحاب عيون يأكلنا بها البعوض وتأخذنا بها الحميات. قال قد اخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما اعطيتك العام مائة لقحة وفحلها وجارية بكر وفرس عتيق .انتهى بالحرف

الا ترى بان ابن ميادة قد ذهب شوطاً في هذا المضمار وانهُ ممن سبق فاشار الى تواطوء البعوض والمستنقعات على ايجاد الحميات حتى اقبل لاقران فاظهر ذلك للعيان

وكأني بابي الطيب المتنبي لا يصف غير نوبة من نوبات الملاريا عند ما قال وهو في مصر

وزائرتي كأن بها حياءً فليس تزور الاّ في الظلام

الى اخر هذه الابيات التي تتضمن وصفاً دقيقاً للشعور بحصول النوبة وارتفاع درجة الحرارة والعرق الغزير الذي يصحبها و يعقبها

وقد ذكر العرب في الجاهلية الشقيقة وهو وجع الرأس على ان فارسهم وشاعرهم عنترة ارتأى على عادتهِ لهذا الداء علاجاً لا يبقي ولا يذر

قال من قصيدتهِ المعروفة بيوم المصانع والتي مطلعها

اذا كشف الزمان لك القناعا ومدَّ إليك صرف الدهر باعا

فقد جاء فيها قولهُ

وسيفي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

هذا ما اردت تدوينهُ الآن واني لعامل على طرق باب هذا الموضوع في سانحة أُخرى

الدكتور يوسف فرج حريز
لوريا كلية الطب بباريس

باب الزراعة

كيف يحفظ سعر القطن المصري

والبن البرازيلي

ان محصول القطن في مصر هو اكبر محصولات القطر كلها واعظمها قيمة فهو من هذا القبيل مثل محصول البن في البرازيل . فلننظر في ما تتخذهُ حكومتنا وحكومة البرازيل من الوسائل لحماية هذين المحصولين

ان الوسائل التي تتوسل بها حكومتنا لصون محصول القطن ومنع ايدي التلاعب من ان تمتد اليهِ تقتصر على امرين هما دخولها في ازمات القطن الشديدة في سوق البضاعة الحاضرة فتبتاع منها مقادير صغيرة لا تفيد الفائدة المطلوبة وتقييد زمام زراعة القطن بالثلث. هذا كل ما فعلتهُ الحكومة المصرية في حماية ركن ثروة البلاد

اما في البرازيل فان محصول البن يقدر باربعة اخماس محصول العالم كلهِ ويبلغ متوسطهُ اثني عشر مليون كيس زنة كل منها ٦٠ كيلو غراماً او نحو ١٣٣ ١/٣ رطل مصري غير ان مقدار المحصول الحقيقي الذي تجنيهِ في كل سنة يختلف عنها في السنة التي قبلها او بعدها باختلاف الاحوال الجوية فيزيد او ينقص كثيراً كما يتضح من الجدول التالي : —

السنة	المحصول بالكيس	قيمة المحصول بالجنيه
١٩١٥	١٧٠٦١٣٩٨	٣٢ ١٩٠٠٥٤٧
١٩١٦	١٣٠٣٩١٤٥	٢٩ ٢٨٠٦٩٤
١٩١٧	١٠٦٠٦٠١٤	٢٣ ٠٥٤٢٨٠
١٩١٨	٧٤٣٣٠٤٨	١٩ ٠٤٠٧٦٤
١٩١٩	١٢٩٦٣٢٥٠	٧٢ ٦٠٧٢٠٨

ويرى مما تقدم ان قيمة المحصول لا تتوقف على كبرهِ او صغرهِ فانهُ في السنوات التي كان فيها كبيراً كانت قيمتهُ اقل كثيراً منها في السنوات التي كان فيها صغيراً . وقد رأت حكومة البرازيل ان تتلافى هذه الحال بعدما خبرت شدة ضررها بالبلاد وزارعي البن فاستقر قرارها بعد الدرس والبحث والتنقيب على وجوب الاحتفاظ بسعر البن في مستوى

متوسط قد يتجاوز السعر احياناً هذا المتوسط ولكنهُ لا ينقص عنهُ في حال من الاحوال ولكي تضمن ذلك فرضت ضريبة اضافية على الصادرات من البن اذا تعدت حداً محدوداً وعمدت في الوقت عينهِ الى بث الدعوة بكل وسيلة لترويج استعمال البن في البلدان الخارجية وزيادة المقطوعية منهُ ومنعت توسيع زراعة البن في ولاية سان باولو التي فيها اكبر مزارعهِ . ومع ذلك لم تفِ هذه الوسائل كلها بالغاية المرومة في بعض السنوات حتى ان حكومة سان باولو اضطرت في سنة ١٩٠٧ ـ لما استهدف اصحاب مزارع البن في تلك الولاية للخراب من جراء زيادة الانتاج ـ الى وضع مشروع يقضي عليها بابتياع كل ما يزيد من الموجود في السوق على متوسط الصادرات السنوية حتى تتعادل كفتا العرض والطلب وخزن الزائد لبيعهِ في الفرصة الملائمة او اتلافهِ اذا لم تسنح مثل هذه الفرصة . واقترضت لتنفيذ هذا المشروع اموالاً طائلة معظمها من بنوك اجنبية ضمنتها فيها حكومة الاتحاد البرازيلية وابتاعت بها ثمانية ملايين كيس او اكثر من نصف المحصول كلهِ وخزنتها في شون واسعة اعدتها لهذا الغرض لبيعها بعد ما تحسن السوق . ولما شبت الحرب العظمى كان المخزون من البن في بلدان اوربا نحو ثلاثة ملايين كيس ابتاعتها حكومات الدول المحاربة كلها فلم يبقَ ثمت مخزون فى الاسواق الاجنبية فجاء ذلك في مصلحة البرازيل ودخل محصول البن فيها في دور جديد

غير انهُ لم ينقضِ على ذلك اربع سنوات حتى اضطرت الحكومة الى الالتجاء الى هذا المشروع مرة اخرى في سنة ١٩١٧ فابتاعت ثلاثة ملايين كيس او نحو ثلث المحصول كلهِ لتقرير السعر تلافياً لهبوطهِ من جراء زيادة الانتاج وضيق الاسواق في زمن الحرب مما ادى الى قلة المقطوعية . وقد خدم الحظ حكومة ساو باولو في هذه المرة ايضاً فان الصقيع الذي اشتد في سنة ١٩١٨ اتلف جانباً كبيراً من محصول البن في تلك السنة فنجت الحكومة بذلك من مأزق حرج

هذا ما فعلتهُ حكومة ساو باولو بمساعدة حكومة الاتحاد البرازيلية لحماية محصول البن فيها فربحت منهُ ارباحاً طائلة وانقذت اعظم محصولاتها من البوار ونفعت زارعيهِ نفعاً لا يقوم بقيمة

فهل تحذو حكومتنا حذو حكومة ساو باولو في درء الضرر عن محصول القطن في هذه البلاد وتعزيز مكانتهِ وتقرير اسعارهِ في المستوى الذي يفي بنفقات انتاجهِ ويترك ربحاً لمنتجيهِ يشجعهم على مواصلة زراعتهِ . واذا كانت حكومة ولاية من ولايات البرازيل

وهي لا تقاس بحكومتنا في الغنى وحسن النظام تعمل مثل هذه الاعمال لحماية اكبر محصول فيها ولكنهُ ليس عماد ثروتها فكم يطلب من حكومتنا ان تبذل في سبيل محصول القطن في بلادها من الجهود والمساعي وترصد لهُ من الاموال وهو مصدر غناها الاكبر ومورد ثروة البلاد وسبب رخائها

***

وقد خطر لي وانا ابحث في الموضوع المتقدم ان المنافس الذي يجب ان تحسب لهُ مصر حساباً في انتاج اجود اصناف القطن وارفع رتبة في المستقبل ليس السودان ولا العراق ولا أوغندا ولا بلاد من البلدان التي تتجه اليها الانظار الآن بل البرازيل نفسها . فان القطن من نباتاتها الاصلية وهو ينمو في كل مكان فيها غير ان اصلح الجهات لزرعهِ هي السهول الواسعة في قلب البلاد وسواحلها الشمالية الشرقية الى مصب نهر الامازون فانها صالحة لانتاج رتبة رفيعة من القطن تحاكي قطن السي ايلند والقطن المصري في طول تيلتها ونعومتها ولمعانها . ويقدر محصول القطن في البرازيل في الوقت الحاضر بنحو ١٢٠ الف طن او ما يعادل ٢٦٤٣٠٠٠ قنطار او ٥٢٨٦٠٠ بالة من التي زنتها ٥ قناطير . ويستهلك معظم المحصول في البرازيل نفسها في مصانع الغزل والنسج التي فيها ومن اكبرها واشهرها مصانع آل يافث اللبنانيين وقد كان احد اصحابها المرحوم نعمة يافث الذي زار القطر المصري سنة ١٩٢٠ اول من نبهَ الاذهان الى منزلة القطن المصري الحقيقية في الغزل والنسج وانهُ يمدُّ ثلاثة اضعاف ما يمدهُ القطن الاميركي كما ثبت لهُ ذلك بالاختبار والى ما فعلتهُ حكومة البرازيل لحماية محصول البن في بلادها وقد كان لرأيهِ هذا وقع عظيم رددت صداه الجرائد والكتاب والهيئات النيابية والزراعية حتى حملوا الحكومة في ذلك الوقت على دخول سوق القطن شارية

ويصدر معظم ما يفيض عن حاجة المغازل والانوال البرازيلية الى انكلترا وهو يبلغ عادةً ٥٠٠٠ طن او نحو ١١٠ آلاف قنطار في السنة ولكنهُ يزيد في بعض السنوات على هذا الرقم وقد اتفق انهُ بلغ في سنة ١٩١٣ نحو ٣٧٥٠٠ طن او نحو ٨٣٤ الف قنطار

وفي ٢٧ مارس سنة ١٩٢٠ اصدر رئيس جمهورية البرازيل امراً بانشاء مصلحة خاصة لاجل البحث في تربة الارض الصالحة لزراعة القطن ودرس الاحوال الجوية فيها وانشاء حقول تجارب ومد زراع القطن بثمن الآلات والمعدات والاسمدة اللازمة تشجيعاً لهم على توسيع زراعتهِ

ومن رأي كثيرين من العارفين بمستقبل زراعة القطن ان المساعدة التي تبذلها حكومة البرازيل لزراع القطن وازدياد اهتمام الافراد والشركات بتحسين وسائل الانتاج وزيادة انتقاء التيلة الجيدة وتعميم زراعتها في البلاد — ان ذلك كلهُ سيجعل البرازيل يوماً من الايام اكبر مورد في العالم للأصناف الرفيعة من القطن «ر.ث»

(المقتطف) لما زار المرحوم نعمة يافث القطر المصري كما ذكر في هذه الرسالة سألناهُ عن نوع القطن البرازيلي فقال انهُ احط من نوع القطن الاميركي ومعاملهم تكتفي بهِ ولا تستعمل القطن المصري . ولكن هذا لا يمنع ان تكون في بلاد البرازيل الواسعة اراض تصلح لزرع القطن الجيد كالقطن المصري

وزارة الزراعة وانتقاء التقاوي

رأينا بالامس دليلاً على صحة الطريقة التي جرت عليها وزارة الزراعة في انتقاء تقاوي القطن. فان اطياناً متوسطة الجودة في مديرية الفيوم زُرعت من تقاوي القطن الاشموني التي انتقتها وزارة الزراعة فبلغ متوسط حاصل الفدان منها خمسة قناطير كبيرة . ورآها بعض التجار قبلما جني قطنها فعرض واحد منهم ان يدفع ستة ريالات في القنطار فوق سعر الكنترانات وعرض آخر سبعة ريالات ونصف ريال لما قدراهُ من زيادة التصافي في قطن مثل هذا وزيادة ثمن بزرتهِ اذا ابتيعت للتقاوي

واخبرنا مزارع كبيرة انهُ زرع قمحاً في العام الماضي في ارض متوسطة الجودة من تقاوي هندية منتقاة فبلغ حاصل الفدان منها اثني عشر اردباً

في هذين المثلين دليل على الفائدة الكبيرة التي تجنيها البلاد من اهتمام وزارة الزراعة بتأصيل المزروعات المختلفة لاجل الوصول الى اجود الاصناف واوفرها غلةً فاننا نعرف الاطيان الاولى ولم نكن ننتظر ان يزيد حاصل الفدان منها على قنطارين او ثلاثة من القطن . ونعرف الاطيان الثانية ولم نكن ننتظر ان تزيد غلة الفدان منها على خمسة ارادب من الحنطة . واذا صار عند وزارة الزراعة من تقاوي القطن والقمح ما يكفي لزراعة القطر كلهِ فلا عجب اذا تضاعف ما يجنى منهُ

عمل السباخ البلدي والمخمر

رأينا بالامس دواراً للمواشي وامام بابهِ كوماً صغيرة متفرقة من السباخ البلدي

(زبل المواشي) كانها نشرت للشمس لكي تجف و يزول فعلها المفيد في الزراعة تخطر على بالنا حادثة حدثت منذ نحو اربعين سنة . ذلك اننا زرنا رياض باشا في ابعديتهِ بمحلة روح وكان الشهر مايو او يونيو وقد افرك القمح فركب وركبنا وطفنا على اطيان واسعة مزروعة قمحاً وهو في اقصى درجات الخصب لا تقل غلة الفدان منهُ عن سبعة ارادب او ثمانية ثم عاد بنا الى قرب دوار المواشي واراناً كومتين كبيرتين من السباخ البلدي وقال لنا ان الفضل في خصب هذا القمح يعود الى هذا السباخ . والفضل في عمل هذا السباخ يعود الى المقتطف الى ما كتبتم فيهِ عن عمل المخمر . اشار بذلك الى ما كتبناهُ في المجلد الثاني من المقتطف منذ تسع واربعين سنة في نبذة موضوعها « الزبل والمخمر» وقد رأينا ان نعيد الآن بعض ما نشرناهُ عن المخمر حينئذٍ .

يكثر الفلاحون في هذا القطر من وضع الركش تحت المواشي ويسمون ما يتولد من ذلك سباخاً بلديًّا وهذا لا يفعلهُ الفلاحون في سورية بل يكتفون بفرش فرشة من القش والتبن تحت المواشي فتختلط ببراز المواشي و بولها و يسمون مجموع ذلك زبلاً وفي الحالين تختمر المواد النباتية من القش والتبن و يمتص التراب ما يتولد منها من الغازات وقت اختمارها لان في هذه الغازات مواد كيماوية لازمة للنبات .و يحسن ان يضاف اليها كل ما تمكن اضافتهُ من المواد الآلية كالجيف والاسماك والبراز وفضلات المسالخ والرماد

اما المخمر المشار اليهِ فكتبنا حينئذٍ انهُ يصنع هكذا : تفرش طبقة من المواد النباتية كالقش والجذور واوراق الاشجار وفوقها طبقة من المواد الحيوانية وفوقها طبقة من التراب ثم طبقة من المواد النباتية فاخرى من المواد الحيوانية فاخرى من المواد الترابية وهلمَّ جرًّا الى ان يصير من ذلك اكمة كبيرة مستطيلة ويصب عليها بول او ماء وتغطى بتراب ممزوج بالجير او بالجبس . وفي اقل من ستة اسابيع يختمر كل ذلك ويصير سماداً فيقلَّب برفش حتى يصير اعلاهُ اسفلهُ وتمزج اجزاؤُهُ بعضها ببعض مزجاً تاماً . واذا كان فيهِ ما يكفي من المواد الحيوانية فقلبة واحدة تكفي والاَّ فيقلب مرتين او اكثر حتى يختمر جيداً

وهذا الاختمار فعل كيماوي يتولد بهِ ملح البارود . وكل فلاح يجد فرصاً كثيرة لجمع مواد مختلفة لا تصلح وحدها لتسميد الارض اما لقلتها او لاسباب أُخرى فعليهِ ان يجمعها حتى تصير كافية لان يصنع منها مخمراً واخص هذه المواد ما يعزل من المراوي والمصارف وقت تطهيرها وما ينزح من المراحيض وما يكنس من الطرق وما يطرح من المطابخ والمسالخ وما يمكن الحصول عليهِ من العظام والريش والشعر والخرق الصوفية وهلمَّ جرًّا فانها كلها

تصلح لعمل الخمر · ومن اول ما يجب على الفلاح المدبر ان لا يدع شيئاً يذهب سدًى ولاسيما لان ما يذهب سدًى يضر الناس غالباً كاوساخ الاسواق

سبب هبوط القطن

وتحديد الزمام

بلغنا ان سبب هبوط سعر القطن في الايام الاخيرة ان بعض البنوك التي سلفت اصحاب الاقطان على اقطانهم مبالغ كبيرة عرضت هذه الاقطان للبيع فهبط السعر بسبب ذلك لان كل معروض يهان . فاخطأت في الحالين اخطأت لما سلفت مبلغاً كبيراً على القنطار واخطأت في عرضه للبيع وكان الواجب عليها ان لا تسلف على القنطار اكثر من اربعة جنيهات او خمسة اي مبلغاً لا يحتمل ان يهبط اليهِ السعر · وكان الاولى باصحاب هذه الاقطان ان يبيعوا جانباً منها يفي ثمنهُ بحاجتهم ولا يستلفوا عليها

اما وقد تحدد زمام زراعة القطن فعلاً بالثلث فقط كما اقر مجلس الوزراء الذي عقد ١٦ دسمبر الماضي برآسة جلالة الملك بعد ما وافق على ذلك مجلس الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة اي بسريان هذا التحديد على الاجانب كما يسري على الوطنيين فسيكون المحصول المقبل قليلاً جدًّا معها جاد لان نسبة النصف الى الثلث كنسبة ٣ الى ٢ فاذا كان موسم هذه السنة قد بلغ ثمانية ملايين قنطار على اكبر تقدير فالموسم المقبل سيبلغ خمسة ملايين وثلث مليون اذا اقبل كل الاقبال ولم تعتره آفة من الآفات المعهودة فتستغرقهُ المقطوعية العادية وتستغرق اكثر ما يفيض من المحصول الحالي

أما ما يهول بهِ حزب النزول من ان زرَّاع القطن في المستعمرات الافريقية سوف يكثرون من زرع القطن الجيد المماثل للقطن المصري فينقضهُ ما جاء في مذكرة رفعتها لجنة عينتها نقابة زرع القطن في الامبراطورية البريطانية وخلاصتها ان بعد المسافات في تلك المستعمرات وقلة السكان يمنع مد سكك الحديد فيها واذا مهدت الطرق لتسيير السيارات الكبيرة عليها لنقل القطن وجب ان تكون اطارات عجلها من الحديد فتحفر السكك حالاً وتتلفها . وقد يحتمل ان تصنع سيارات من نوع الدبابات فلا تتلف بها الطرق . وكيفما كانت الحال تبقى صعوبة النقل مانعاً كبيراً في سبيل التوسع في زرع القطن بتلك المستعمرات واذا نجحت بعد السنين الطوال فتكون زيادة السكان مع ازدياد تعود لبس الثياب في قبائل افريقية وغيرها كفيلة باستهلاك ما يزيد من القطن

باب التقريظ والانتقاد

كلمة في اللغة العربية

قدم الاستاذ اسعاف النشاشيبي بك القاهرة والقى في دار الرابطة الشرقية خطبة نفيسة بل مقامة بليغة في اللغة العربية قال من سمعهُ انهُ « تدفق في القائها تدفقاً استمرّ اكثر من ساعة تخلب الالباب بمتانة اسلوبهِ وجزالة تركيبهِ و بديع بيانهِ » وقال غيرهُ في جريدة السياسة « لقد كانت الالفاظ الشائقة التي اختارها الاستاذ لمحاضرتهِ النفيسة والتراكيب القوية البنيان الانيقة الوصف في غير ما كلفة ولا صنعة دليلاً ناطقاً على ان الاحاطة بلسان العرب والاخذ باساليبهم المصفاة من شوائب اللكنة والحصر، والضرب في كل غرض من الاغراض البعيدة بسهم لا ينحرف عن المعنى المقصود قيد شعرة كل اولئك لا تتوافر لاحد الاَّ بعد الكدح الطويل والعمل الدائب »

وقد طبعت هذه الخطبة طبعاً متقناً يليق بها على ورق من اجود انواع الورق بعد ان اضاف اليها المؤلف فصلاً ممتعاً جمع فيهِ حقائق في ادب اللغة يودُّ كل اديب ومتأدب الاطلاع عليها مثال ذلك قولهُ عن نهج البلاغة المنسوب الى الامام علي

«وما النهجُ إلاَّ جمعٌ من هنا وهناك كخطبة لقطريّ بن ابي الفُجاءة في ذم الدنيا ذكرها ابن عبد ربهِ في عقدهِ وخطب لطائفة من المحدَثين يؤيد ذلك الفاظُها المولدة كالأَزل والأَزليَّة ومباحثُها التوحيدية الكلاميَّة التي لم تدر بها العرب إلاَّ في القرن الثاني او الثالث وقد ضلّ ابن ابي الحديد اذ قال: « ان علياً كان يعرف آراءَ المتقدمين والمتأَخرين و يعلم العلوم كلها ». وخطبٌ لجامعهِ عزاها الى علي لتقوية نحلتهِ وخطبة لاعرابي ذكرها صاحب العقد وهي التي اولها « اما بعد فان الدنيا دار ممر . والآخرة دار مقر » . وخطبة لعمر بن عبد العزيز رواها ابو علي في اماليهِ وهي التي اولها : « ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيهِ المنايا ». واقوال للحسن البصريّ وحذيفة رواها المبرد والجاحظ منها : « لسان العاقل من وراء قلبهِ ولسان الاحمق امام قلبهِ وكن في الفتنة كابن لبون لاظهر فيركب ولا لبن فيحلب » . وكلام لابن المقفع في آخر (ادبهِ الكبير) أولهُ « اني

مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني وكان رأس ما اعظمهُ عندي صغرَ الدنيا في عينهِ » . وقد بدّل بعض عباراتهِ .وخطبة لمعاوية وهي التي اولها « ايها الناس انا اصبحنا في دهر عنود.وزمن كنود » ذكرها ابن عبد ربهِ في العقد والجاحظ في البيان والتبيين وقفَّاها هذا بكلمات تشكك ان الخطبة لمعاوية فسارع الرضيّ الى عصبها بصاحبهِ .وخطبة لاعرابي جاءَت في الامالي واولها : « انما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار »

«وإنّ كتب العلم لتنبئنا بان الرواة كانوا يتقربون الى الخلفاء والسلاطين والنبهاء في الدولة برواياتهم فكانوا يضعون الاحاديث ويختلقون ما لم يكن ابتغاء خير يأملونهُ عند من يحملون سلعتهم الأدبية اليهِ اوأَجْلَ تبريزهم على اقرانهم برواية قول او شعر استبدوا هم بمعرفتهِ »

هذا وليسمح لنا الاستاذ النشاشيبي بك ان نخالفهُ في السطر الذي استهلّ بهِ خطبتهُ حيث قال « الاّ انهُ لم يشقَ احد في هذا الوجود شقاء هذه اللغة العربية » فانهُ ما من لغة من اللغات المعروفة قاومت الدهر القاوار بمائة من السنين ولا تزال في جدتها يكتب بها النشاشيبي كما كان اسلافهُ يكتبون في كل القرون الغابرة. وما يُكتَب ويُنشَر بها في يوم واحد يزيد على ما كان يكتب وينشر بها في عام كامل في عهد الامويين والعباسيين . واللغة وسيلة لا غاية فاذا عبّرت عن الغاية المقصودة فقد وفت بما يطلب منها.هذا وحسب العربية ان جريدة او مجلة تطبع في مصر فيبتاعها ابناء العربية في مصر والشام والعراق والهند وتونس والجزائر والمغرب الاقصى وبلدان اميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وزيلندا الجديدة وفي كل بلد هاجر السوريون اليهِ

الذكرى In Memoriam

« وهي النشائد الخالدة التي نظمها شاعر العرش الانكليزي الفرد تنسون تذكاراً لحياة صديقهِ ارثرهلم » وقد نقلها الى العربية نظماً الاستاذ انيس الخوري المقدسي استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية

ترجمة الشعر من اصعب ما يتوخاهُ المترجمون ولو كانت الترجمة نثراً ولاسيما اذا كانت اللغتان مختلفتين في اصولها وعمران اصحابهما كالعربية والانكليزية. وتزيد هذه الصعوبة اذا كانت الترجمة نظماً واريد الاحتفاظ بالمعاني الاصلية وما فيها من ضروب الاستعارات وتبلغ حد الاعجاز اذا كان الشعر الذي تراد ترجمتهُ في درجة عالية من البلاغة . ولذلك

عجز الفرنسويون عن ترجمة اشعار شكسبير ترجمة يصحُّ ان نقابل باصلها معاً بين اللغتين وافكار الامتين من التشابه ومع كثرة النوابغ من شعراء الفرنسويين . ولذلك اكبرنا همة الاستاذ المقدسي لما وقع نظرنا على كتابهِ ورأينا انهُ تطلع الى ابلغ ما نظمهُ ابلغ شعراء الانكليز بل ابلغ شعراء اوربا واميركا في عهدهِ . والشعر كما بيّن الاستاذ في المقدمة الوجيزة التي قدمها لترجمتهِ يجب « ان يكون موسيقياً » . وهذا لا يطمح احد الى مجاراة تنسون فيهِ ترجمةً وقلما جاراهُ احد فيهِ من المبرزين من ابناء لغتهِ ولذلك لا نطالب الاستاذ المقدسي بهِ . والشعر يجب ان يكون لهُ موضوع يحوم حولهُ و يبسطهُ وقد قال المترجم في هذا الصدد . « اما الموضوع فهو مرمى الفكر ومستمد الالهام . واني لم اقــدم على تعريب شعر تنسون مع شعوري بعظم المسؤولية في ذلك الاَّ لرغبتي الشديدة في ان اوجه انظار ادبائنا الى ان في الشعر الحقيقي غير الشاعرية وترصيع الكلام » الى ان قال « ومتى سمت مرامينا الشعرية وقام فينا شعراء انبياء يقودون الرأي العام الى مواطن الفضيلة و يولدون منهُ قوة فعالة في تهذيب الامة وترقية عواطفها — متى قلَّ فينا الادعاء العلمي ومات النظم السخيف لاجل الشهرة — متى رجح الشعر العامل الاكبر في بناء قوميتنا ورفع مستوانا الاخلاقي فحينئذٍ يحق لنا ان نفاخر بشعرنا الحديث ونبني لشعرائنا هيكل مجد يقيمون فيها الى الابد » قرأنا هذه السطور وفتحنا الكتاب وتلونا ادواراً كثيرة منهُ فرأينا الاستاذ قد نجح في نقل مقاصد الشاعر وهي نعم المقاصد وعسى ان يكون لها في نفوس ابناء العربية ما لها في نفوس قراء تنسون من الامة الانكليزية ولو قصرت انغامها الشعرية عن انغام تنسون . وقد زاد معاني الشاعر وضوحاً بما قدم للادوار من البيان وما علق عليها من الحواشي

المرأة في ادوارها الثلاث

فتاة وزوجاً واماً

وهو كتاب عصري يبحث في آداب المرأة وواجباتها وحقوقها في جميع ادوار حياتها نحو اعضاء الاسرة على اختلاف درجاتهم وغيرهم ممن تربطها بهم روابط المعاملات في الحياة وضعهُ الكاتب المجيد الاستاذ محمد مسعود بك مدير قلم المطبوعات سابقاً . واليك جانباً من فصل التزين والتجمل نتبين منهُ اسلوب الكاتب وروحهُ

— « يهمل بعض الزوجات العناية بالزينة والتجمل عقب التزوج ، اعتماداً على ارتفاع الكلفة

ووثوق عرى الالفة . ولكن الازواج يفسرون خطتهن على غير هذا الوجه ، لاسيما اذا رأوا منهن العناية بالتجمل والتفرغ للتبرج ، كلما هممن بزيارة قريبة او حبيبة

« ومما لا محيد للمرأة عن رعايته والعمل به ان يكون تجملها لزوجها فقط إذ هو حق له لا يسقط ، ولو بمضي الشطر الاعظم من العمر

« والتجمل للزوج من خير الوسائل لمداراته ، إذا تحركت في نفسه عوامل الانانية وحب الذات . ولما كان الزوج جنوحاً بطبيعته الى التسلط على فؤاد زوجته والقبض على زمامها ، بل والى حب الاستئثار بحلوله فيه المنزلة الرفيعة منهُ ، فان هذه الحاجة لن تقضى له الاَّ اذا برزت اليه في أحسن المظاهر واجلاها . وحسبها ان تأنس منهُ عندئذٍ الميل الصادق الى معاملتها بمثل ما يجب ان تعاملهُ به ، خصوصاً اذا بلغت من السن حدّاً تخشى عنده سقوط دولتها من قلبه

«ولسنا نطلب من المرأة ، إذا زينا لها التجمل للبعل وحضضناها عليه ، ان تضيع صفوة الوقت امام المرآة لتعجب بجمال صورتها وطول شعرها واعتدال قدها ، بل نريد استنفارها الى التمسك بتلك المزايا التي تتناول تسوية الشعر وتنسيق الملابس على وجه خال من أثر التصنع

«وما اكرم سجايا الزوجة التي إذا طرق زوجها عليها الباب، تهب للقائه بأبهى مظاهرها نظافةَ ثيابٍ وطلاقةَ محيا وبسامةَ ثغرٍ . وما من امرأة تلقت بعلها بهذه المظاهر ، الاَّ وقد هبطت من قلبه المكان الارفع والمرتبة التي لا مطمع بعدها لطامع »

مبادىء الرئيس ولسن الدمقراطية

كان الرئيس ولسن قبلما خاض غمار السياسة وانتخب حاكماً لولاية نيوجرزي ثم رئيساً للولايات المتحدة الاميركية استاذاً لعلم السياسة فرئيساً لجامعة برنستن وفي كلا هذين المنصبين رسخت في نفسه عقيدة سياسية بناها على ما عرفهُ بدرس التاريخ والتأمل في احوال الشعوب تلخص في كلمتي « الدمقراطية الصحيحة » وبرع في الكتابة والخطابة حتى قيل عنهُ انهُ يستطيع ان يلبس الفكر المبهم عبارة بليغة يخيل للسامع او القارئ ان الفكر فيها واضح كل الوضوح . لذلك جاءت خطبهُ وهو في دست الرآسة يشرف منهُ على اعظم معترك في التاريخ آية في البلاغة وقوة العارضة والاخلاص تتجلى فيها عقائدهُ الدمقراطية الصحيحة التي رفعتهُ الى زعامة الحزب الدمقراطي الاميركي والنزول في البيت الابيض

فلما مرَّ المستر تشارلس كراين في مصر سنة ١٩٢٢ سمع بجمعية الرابطة الشرقية

فزارها ولقي في زيارتهِ هذه من « كرم الضيافة ورحابة الصدر ما زادهُ عطفاً على الامم الشرقية» ولما عاد الى الولايات المتحدة حدث صديقهُ الرئيس ولسن عنها فاحب ان ينشطها في اعمالها فانتخب من خطبهِ ورسائلهِ العامة طائفة مختارة وكلف المستر كراين ان يوصلها الى الجمعية لكي تترجم وتنشر ووعد بوضع مقدمة لها لكنهُ توفي قبل ان تمكن من ذلك

والكتاب الذي بين ايدينا الآن هو ترجمة هذه الخطب والرسائل وقد ضمّت اليها المحاضرة النفيسة التي القاها الدكتور الدرمن رئيس جامعة وست فرجينيا في الكنغرس الاميركي وهي من ابلغ ما قالهُ رجل في رجل آخر والظاهر ان هذا كان رأي الصحافة الاميركية حين ظهورها

والكتاب يقع في ١١٦ من قطع المقتطف وحرف اكبر من حرفهِ وقد ترجم ونشر باشراف جمعية الرابطة الشرقية بمصر وطبع بمطبعة المقتطف والمقطم

اصول التربية والتعليم

من اوضح معالم النهضة المصرية الحديثة كثرة ما يكتب وينشر في اصول التربية والتعليم لرجال تلقوا فن التعليم في الجامعات الاوربية وقرنوا العلم بالعمل مثل صاحب هذا الكتاب الاستاذ احمد عبده خير الدين مدرس فن التربية في مدرسة المعلمين العليا والمنطق في مدرسة الحقوق الملكية · فانهُ شرح فيهِ اصول التربية شرح عالم خبير اي التربية الجسمية والعقلية حتى يبلغ جسم المربّى كمالهُ في النمو والقوة وترهف قواهُ العقلية ويصير من العلماء الذين لا يريدون الاَّ الخير ولا يفعلون الاَّ ما كان جديراً بمن كملت اخلاقهُ · والكتاب نظري وعملي فمن النظري قولهُ الاعمال المدرسية قسمان اعمال عقلية تشتغل بها القوى العقلية واعمال ترويحية يقصد بها اراحة المخ من عناء الاعمال التي قام بها العقل ببذل مجهود اتعبهُ . ومن العملي قولهُ يجب على المدرس ان يمدح من احسن الاجابة كما يجب ان يشجع من حاول الاجابة واجهد فكرهُ فاجاب بعض الشيء وان يرفض الاجوبة التي ليس فيها شيء من الصواب وليحذر ان يوبخ المجيب او يهزأ بهِ و يضحك اخوانهُ منهُ . والكتاب كبير يقع في ٤٠٠ صفحة ولم ننظر في صفحة منهُ الاَّ وجدنا فيها فوائد في علم التعليم .وحبذا لو اطلع المؤلف على الفصول الممتعة التي نشرناها في المجلد السابع والخمسين من المقتطف في « التربية والتعليم عند القدماء » بقلم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ولاسيما ما فيها عن تاريخ التعليم والتربية عند العرب وما قالوهُ فيها

تدبير الصحة المدرسي

هذا ايضاً من تأليف الاستاذ احمدعبده خير الدين وموضوعهُ مهم كموضوع الكتاب الاول ان لم يكن اهم لان الاول يكادلزومهُ يقتصرعلى المدرسين واما الثاني فلازم للمدرسين وللوالدين وللتلاميذ انفسهم لانهُ في مبادىء التشريح او الفسيولوجيا والهيجين

كشف الستار عن الاسرار

وهو فصول في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية ويقال انها بقلم المغفور لهُ السيد احمد عرابي المشهور باسم عرابي باشا.والظاهر ان هذه المذكرات ستملأ اكثر من كتاب واحد فصدر منها الآن الجزء الاول وهو مفتتح بمقدمة لحضرة الدكتور محمد صبري خريج السربون ضمَّنها طائفة من العوامل التي انتجت تلك الثورة القومية.و يظهر انهُ كان كثير الاعتماد على المصادر الفرنسوية والالمانية وما يقولهُ السيد جمال الدين الافغاني عازياً الى الحكومة الانكليزية سوء القصد مع انهُ لو قرأ كتاب لورد كرومر عن مصر لوجد فيهِ ادلة قاطعة على ان الحكومة الانكليزية كانت ترغب رغبة حقيقية في عدم التعرض لشؤُون مصر السياسية بل كانت تسعى لتبقى مصر تحت سيادة تركيا . وقد اعطانا المرحوم منشاوي باشا رسالة مسهبة بخط عرابي باشا بعثبها اليهِ من منفاهُ في عهد لورد كرومر يقول لهُ فيها ان ما كان يتمناهُ لمصر قد نالتهُ في عهد الاحتلال البريطاني. وفي هذا الجزء ما يدلُّ على ان عرابي باشا لم يكن يسيء الظن بالسياسة الانكليزية . وكل ما قرأناهُ في هذا الجزء يدل على ان سبب الثورة داخلي لا خارجي وقد وزرنا القطر المصري سنة ١٨٨٠ اي قبل الثورة بأكثر من سنتين وقابلنا سمو الخديوي توفيق باشا وكل الوزراء وكثيرين من الرجال الذين صاروا زعماء الثورة وبعض الاجانب وتتبعنا سير الحوادث يوماً بعد يومٍ ولم يخامرنا ادنى ريب في ان سبب الثورة داخلي وان الماليين اصحاب الدين المصري اكرهوا الحكومة الانكليزية اكراهاً على احتلال مصر . ولما عزمنا على انشاء المقطم زرنا رياض باشا في ابعديتهِ بمحلة روح واستشرناهُ في السياسة التي نجري عليها فاشار علينا بمصادقة انكلترا وما من احد يطعن على وطنية رياض باشا . والذين تلقوا دروسهم في مدارس معادية لانكلترا وبثوا روح العداء لها فيما كتبوهُ ونشروهُ اضروا ببلادهم من حيث لا يدرون

الموجز في الاجتماع

كتاب بليغ العبارة حسن التنسيق والتبويب استخلصهُ الاستاذ عارف النكدي من المحاضرات التي القاها في هذا الموضوع في معهد الحقوق بدمشق الشام واليك ما جاء في مقدمتهِ تستدل منهُ على منهج الكتاب واسلوبهِ قال: «وليس التأليف في علم الاجتماع بالمطلب السهل بل هو خطة صعبة لا يؤمن فيها العثار . من حيث ان هذا العلم حديث الوضع لا يزال في جملتهِ مذهباً اجتهاديًّا على الرغم مما كان من السعي في تثبيت بنيانهِ ، واخراجهِ علماً ذا قواعد مطردة . لذلك كثرت فيهِ الانظار[1] وعارض بعضها بعضاً ، بل تعددت الموضوعات وخالف الكثير منها الكثير . . . . . . فتخيرت تلك الابحاث التي تشتد اليها حاجة امة بدأت تطلع الى حياتها الاجتماعية وتخلت من الآراء ما اتصل نسبهُ بعلم الحقوق وتعرضت للشؤُون التي لها علاقة بنا بامثال ضربتها وانظار بسطتها حتى لا يجيء الكتاب غريباً عن الامة التي وضع فيها بعيداً عن الغرض الذي من اجلهِ انشئ معهد الحقوق

والكتاب مدرسي في ترتيبهِ وسياقهِ وهو في ٢٠٨ صفحات وقد طبع بمطبعة المفيد بدمشق وسيتلوهُ الجزء الثاني فيتناول فيهِ المؤَلف تطور الهيأة الاجتماعية وتفسخها

العالم الجديد

رواية وضعها الكاتب المعروف نقولا افندي حداد محرر مجلة السيدات والرجال وصاحب المؤَلفات العديدة واحدثها كتاب علم الاجتماع وقد ذكرناهُ في حينهِ

قرأنا هذه الرواية فاذا حوادثها تدور في الولايات المتحدة الاميركية وقد وصف فيها المؤَلف ابهة المدنية الاميركية وفخامتها وسلطة المال وبسط في فصولها الاولى باسلوب يستهوي القارئ الاشتراكية ومبادئها . وقد جعل حوادث الرواية مستحكمة الحلقات فلا يبدأ القارىء مطالعتها حتى يتطلع الى معرفة الوجه الذي تنتهي عليهِ . على انهُ خطر على بالنا امران حين ختمنا قراءتها الاول —هل من المحتمل ان يوجد في حلقة من الناس اشخاص كاشخاص الرواية لكل منهم سرٌّ وجميع اسرارهم متداخل بعضها ببعض وهم لا يعرفون شيئاً عنها ثم تنتهي كلها على ما يرومهُ اصحابها ؟ والامر الثاني الذي خطر لنا هو ان المؤَلف سرد لنا في فصول الرواية الاولى مشكلة الاشتراكية وحبب الينا زعيمها الدكتور هيمان ثم لما انكشفت الاسرار وظهر ان الدكتور هيمان ابن احد اصحاب الشركات سكت

(١) استعملها ابن خلدون لما يعرف الآن بالنظريات

عن الاشتراكية ودعاتها ولم يبين لنا شيئاً عن تقدمها او تقهقرها فهل كان ذكرها في الرواية عرضاً ؟ والاَّ فما كان يجدر السكوت عن سيرها . نوجه هاتين الملاحظتين الى حضرة المؤلف مع شديد اعجابنا بنشاطهِ وجادهِ على البحث والتأليف

عرش الحب والجمال

ديوان من الشعر المنثور تدور اناشيدهُ على الحب والجمال والفضيلة نظم عقدهُ الاديب منير الحسامي وقدم لهُ الكاتب الكبير امين افندي الريحاني مقدمة نفيسة في حقيقة الشعر واوصاف الجيد من الشعر المنثور . ولا يخفى ان كبار الشعراء من الانكليز اطلقوا بعض الشعر من قيود الروي ولكنهم لم يطلقوهُ — الاَّ فئة قليلة من اتباع ولت هوتمن الاميركي — من قيود الوزن والروي . واما اصحاب الشعر المنثور العربي فقد جاروا هوتمن فاطلقوهُ من الرويّ والوزن معاً وهذا الاطلاق لا يجعل كتابة الشعر المنثور البليغ من الامور السهلة فالريحاني يرى وهو من ائمة هذه الطريقة « ان في هذا النوع من الشعر (اي الشعر المنثور) صناعة لا تقل دقة واتقاناً عن صناعة الشعر المنظوم ».وفي هذا الديوان امثلة بليغة عليها . والديوان في ١٧٦ صفحة من القطع الوسط وقد طبع بمطبعة الارز ببيروت

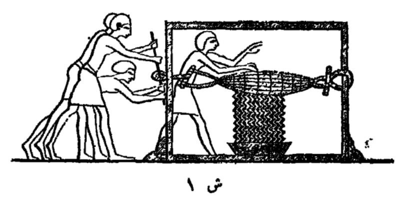
انشاء المقالات

علوم الصروف والنحو والبيان الغرض الرئيسي منها الانشاء الصحيح بعد الوقوف على المعاني التي يراد التعبير عنها . وعلى صحة الانشاء و بلاغتهِ يتوقف ايضاح تلك المعاني ووقعها في النفس ولذلك احسن حضرات الاساتذة محمود عابدين ومصطفى السقا وعلي السباعي في وضع هذا الكتاب وجعلهِ نظرياً وعملياً وقد توسعوا في القسم العملي حتى يزيد تمرُّن الطالب وترسيخ اساليب الانشاء الصحيح في نفسهِ .وحبذا لو جاروا العصر في استعمال ما شاع تعريبهُ كالتلفون والتلغراف كما استعملوا الكهرباء والكهرمان والبطارية وما اشبه

❊ ماجدولين او تحت ظلال الزيزفون ❊ رواية فرنسوية شهيرة لالفونس كار نقلها الى العربية المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وقد صنفها رواية تمثيلية الاديب الياس ابي شبكة . وحبذا لو عني المصنف بوضع الروايات التمثيلية التي تصور احوال البلاد بدلاً من الاعتماد على روايات وضعت في الغرب لاهل الغرب ولو كانت مفيدة ومن الطبقة الاولى في البلاغة والشهرة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ، ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كاف



ش ١

(١) الخمر وصنعها

مصر . الشيخ احمد حامد مصطفى . كيف تصنع الخمور في هذه الايام وما انواعها واسماؤها ونسبة الكحول في كل واحد منها وممَّ تستخرج من انواع الحبوب والفواكه وغيرها وهل للطبخ دخل في صنعها واي الانواع يصنع بطريق الطبخ وايها يصنع بطريق التخمير فان الحنفية قد فرقوا بين المتخذ من العنب وغيره وبين المطبوخ وغيره ورتبوا على ذلك احكاماً مختلفة فنريد ان نعرف هل يشهد لهم العلم الحديث ام لا ثم ما الفرق بين الخمر والنبيذ الآن

ج . اذا اريد بالخمور الخمر بانواعها كالخمر اللبنانية بنوعيها النوع الذي يغلى والنوع الذي لا يغلى والخمر الفرنسوية مثل خمر جيرون وخمر مدوك والاسبانية مثل الشري خمر الاندلس والبرتغالية مثل البورت والالمانية مثل خمر الموسل والايطالية والامركية والقبرصية وخمور المستعمرات البريطانية فكلها تصنع من العنب بعصره اما دوساً (تخبيصاً) بالاقدام كما كان المصريون الاقدمون يفعلون ولا تزال هذه الطريقة متبعة في بعض قرى لبنان او عصراً بآلات كبيرة معدة لذلك . وعصير العنب يختمر من نفسهِ بوقوع جراثيم الاختمار عليهِ من الهواء او باتصالها بهِ من الدنان التي يوضع

فيها . ويختلف مقدار الالكحول في هذه الخمور من نحو عشرين في المائة كما في الشري و١٥ في المائة كما في الشمبانيا الجافة الى عشرة في المائة كما في بعض خمور بوردو . ويظهر لنا من كتب متن اللغة وغيرها من كتب الادب ان العرب لم يفرقوا عند الاطلاق بين الخمر والنبيذ ففي لسان العرب يقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر. ولكن عند التخصيص يحصر الخمر

ش ٢

بعصير العنب والنبيذ بما يختمر من نقيع الحبوب وسائر الاثمار. وفيها كلها الكحول يختلف مقدارهُ من ٨٢ في المائة في بعض انواع الروم المستخرج من السكر الى نحو ٢ في المائة في البيرة المستخرجة من الشعير . وكلها تصنع بالنقع وشيء من الطبخ وكلها مسكرة ولكن يختلف فعلها باختلاف مقدار ما فيها من الالكحول اي المادة المسكرة وباختلاف اعتيادها

جاء في محاضرات الادباء «استحضر عيسى بنُ موسى بنَ عباس وابنَ ادريس فسألهما عن النبيذ فقال ابنُ عباس حلال وقال ابنُ ادريس حرام فقال ابنُ عباس ادركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولائم حلالاً كانت او حراماً وبكاؤُنا على اصل الدين اشد من بكائنا على النبيذ» فهل يحسن ان يكرَّر هذا القول الآن

وترى في الشكلين السابقين كيف كان المصريون الاقدمون يعصرون الخمر . الاول بوضع العنب في شبكة وفتلها حتى ينغضط ويخرج عصيرهُ منهُ والثاني بالدوس بالاقدام

(٢) المجلات العلمية الشهرية

غزة بفلسطين . سائل . هل توجد مجلة انكليزية علمية شهرية تفيدنا كالمقتطف وما هو عنوانها وقيمة اشتراكها السنوي

ج . لكل فرع من فروع العلم مجلات خاصة باللغة الانكليزية ومع ذلك فان مجلة السنتفك اميركان الاميركية تشبه المقتطف في نوع مواضيعها العلمية وهي الآن شهرية وقيمة الاشتراك فيها خمسة ريالات اميركية في الخارج وعنوانها

Scientific American
Munn & Co.
233 Braodway New York

(٣) ابقاء الجسم نحيفاً

ومنهُ . ماذا يستعمل لابقاء الجسم النحيف على حالهِ

ج . الاقلال من الطعام

(٤) شفاء الكساح

بغداد . سليم افندي محمد . اجبتم على السؤَال السابع في الصفحة ١٩٩ من المجلد الحادي الستين ان الاقلاع عن العادة التي اعتادها السائل قد يزيل الاعراض التي اصابت جسمهُ .هذا بعد ان ذكرتم موضوع السؤَال الدمامل والكساح وارشدتم السائل الى ان يترك العادة التي اعتادها ويتناول غذاء مقوياً يكثر فيهِ الفيتامين كاللبن والزبدة والبيض والخضر . فهل تزول هذه الدمامل من تناول الغذاء المقوي او بعملية جراحية بسيطة

ج . يظهر انكم اطلعتم على السؤَال ولو لم ننشرهُ في المقتطف ويظهر منهُ ان الدمامل والكساح نتجا عن العادة التي اعتادها المصاب بالدمامل والكساح واذا كان الامر كذلك فقد نتجا من الضعف الذي تولَّى الجسم بتلك العادة فابطالها وتقوية الجسم بالمآكل المغذية ولاسيما التي فيها فيتامين مضاد للكساح تفيد السائل وقد يشفى.ونزيد الآن على ذلك ان زيت السمك من انفع ما يكون لشفاء الكساح وكذلك نور الشمس الذي وراء البنفسجي. وتجدون في باب تدبير المنزل في هذا الجزء قائمة المآكل التي يكثر فيها فيتامين حرف ا وكلها تفيد في شفاء الكساح

(٥) ما هو مرض الكساح

ومنهُ ما هو مرض الكساح ومن اي شيء يحصل وما هي علامتهُ وما هو علاجهُ

ج . في باثولوجية الدكتور ڤان ديك انهُ مرض من امراض البنية فيهِ تنحرف الصحة عموماً مدة اسابيع او اشهر قبل ظهورهِ على هيئة علة خصوصية في العظام وبعض الاحشاء فيختل نمو العظام ويظهر في الاحشاء كالكبد والطحال حالة من النوع النشائي . وانفع علاج لهُ زيت السمك ونور الشمس

(٦) ترجمة كلمة

نيويورك باميركا . احد القراء بماذا تترجمون كلمة duplicate الانكليزية

ج . تترجم هنا في دوائر الحكومة بثلاث كلمات وهي « صورة طبق الاصل » ونرى انهُ يحسن ان تترجم بكلمة شَفْع ففي القاموس والتاج « الشفع يوم الاضحى اي من حيث ان لهُ نظيراً يليهِ» وفي الاساس « كان وتراً فشفعتهُ بآخر » فالشفع تصلح ترجمة لكلمة duplicate وقلما تستعمل لمعنى آخر فلا يقع التباس

(٧) مؤلفات في الجبر

الزبير بالعراق س . ا . ر . الرجاء ان تفيدونا هل توجد مؤَلفات في الجبر العالي الحديث باللغة العربية وما هي

اسماؤُها واين تباع وايضاً نرجو افادتنا عن الكتب المطبوعة بالجبر القديم واين توجد

ج . في العربية كتاب الروضة الزهرية في الاصول الجبرية للدكتور كرنيليوس ڤان ديك طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٨٥٣ وهو ليس في الجبر العالي تماماً ولكنهُ يتناول بعض مسائلهِ . ولشفيق بك منصور كتاب في حساب التفاضل والتكامل طبع في مطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٩٩ هجرية . ولا نعرف كتاباً عربياً آخر طبع في هذا الموضوع . وكان الاستاذ الشرتوني قد بعث الينا بشرح الشمسية في الجبر لننشرهُ في المقتطف وتعذر علينا نشرهُ لطولهِ ولان في كتاب الدكتور ڤان ديك غنًى عنهُ . وان كنتم تعنون بالجبر القديم اي الجبر كما كان معروفاً عند العرب فقد ذكرنا خلاصة قواعدهِ في خطبة لنا نشرناها في المجلد السابع من المقتطف موضوعها تاريخ الجبر والمقابلة

(٨) كتب في الطباعة

دمنهور . محمد افندي سالم . نرجو الافادة عما اذا كان يوجد مؤلفات في فن الطباعة والتجليد عربية او افرنجية واين توجد

ج . لا نعلم انهُ توجد كتب عربية في هذين الفنين اما الافرنجية فالكتب فيها كثيرة وها كم بعضها بالانكليزية ففي الطباعة كتاب Practical Printing تأليف J. Southward و A. Powell طبع لندن سنة ١٩٠٠ مجلدان وكتاب Modern Printing by J. Southward طبع لندن وكتاب Printing تأليف T. Jacobi طبع لندن سنة ١٩٠٨ وكتاب Press Work by W. G. Kelly طبع شيكاغو سنة ١٩٠٢ وفي التجليد كتاب The Binding of Books تأليف H, P. Horn وكتاب The Art of BookBinding تأليف J. W. Zaehnsporf

(٩) فعل الحشيش

ومنهُ . هل الحشيشة تسكر وهل يضر قليلها بالبدن والعقل وهل لديكم احصاء بمن جنَّ من تعاطيها

ج . نعم تسكر . قال ابن البيطار في مفرداتهِ الطبية « ومن القنب نوع ثالث يقال لهُ القنب الهندي ولم ارهُ بغير مصر ويزرع في البساتين و يسمَّى بالحشيشة عندهم وهو يسكر جدًّا اذا تناول منهُ انسان يسيراً قدر درهم او درهمين حتى ان مَن اكثر منهُ يخرجهُ الى حد الرعونة وقد استعملهُ قوم فاختلت عقولهم وادى بهم الحال الى الجنون » وقد توفي ابن البيطار سنة ٦٤٦ هجرية اي منذ سبعمائة سنة فمن عصرهِ كانت خواص الحشيش معروفة . الاَّ ان الجنون فنون فقد

قال محمد بن الاعمى الدمشقي في وصف الحشيش

دع الخمر واشرب من مدامة حيدرِ
معنبرةً خضراء مثل الزبرجدِ
وفيها معانٍ ليس في الخمر مثلها
فلا تستمع فيها مقال مفنّدِ
ولا نصٌ في تحريمها عند مالكٍ
ولا حدٌ عند الشافعي واحمدِ
ولا اثبت النعمان تنجيس عينها
فخذها بجد المشرفي المهندِ
وكفٌ اكف الهم بالكف واسترح
ولا تطَّرح يوم السرور الى غدِ

واذا شئتم زيادة تفصيل عن الحشيش فطالعوا ما كتبناهُ عنهُ في المجلد السابع عشر من المقتطف صفحة ٥٨٣ وما بعدها

واكثر الذين جنوا ودخلوا بيمارستان العباسية سبب جنونهم المسكرات على اختلاف انواعها ولكننا لا نعلم بالضبط نسبة الذين سبب جنونهم الحشيش الى غيرهم

(١٠) تأثير الكوكايين

ومنهُ . ما تأثير الكوكايين على البدن والعقل وهل يسكر ام يخدر فقط

ج . انهُ يخدر وينوم اذا استعمل طبيًّا ولكن اذا اسيءَ استعمالهُ اضرَّ بالجسم والعقل معًا

(١١) التربية عند قدماء المصريين

الموصل . حزين عراقي . ماهي مظاهر التربية الادبية عند قدماء المصريين ونتائجها

ج . يظهر من الكتابات والنقوش والمباني المصرية ان الملوك والوزراء والكهنة كانوا متمتعين بالراحة والامن وان الرعية كانت تكرمهم اكراماً يقرب من العبادة ولعلهم كانوا عادلين منصفين ولا دليل على انهم كانوا يجورون في احكامهم لان ديانتهم كانت تخيفهم من العقاب ومع ذلك كانوا يسخرون الرعية في بناء المباني العظيمة كالاهرام والهياكل الكثيرة وكانوا يترفون في معيشتهم ولا يظهر ان الرعية كانت تشعر انها مظلومة مقهورة لانها اعتادت الذل « وما لجرح بميت ايلام »

(١٢) الحمام الشمسي

ومنهُ . ما هي النقط التي تجب مراعاتها في اثناء الحمام الشمسي

ج . ان يبقى الراس في الظل وان لا يبهر النور العينين وان لا تشتد الحرارة على الجسم لان اكثر الفائدة من الاشعة الكيماوية التي فوق البنفسجي لا من الاشعة الكثيرة الحرارة كالاشعة الحمراء وما تحتها فان هذه قد يصاب المتعرض لها بالرعن اي ضربة الشمس

(١٣) سبب الزكام وعلاجه

ومنهُ . ما سبب الزكام وما احسن علاج لهُ

ج . سببهُ نوع او انواع من المكروبات

واحسن علاج لهُ الدفء ومما يفيد فيهِ الاسبرين فانهُ يزيل الم الظهر والاطراف. و يفيد فيهِ ايضاً سعوط مؤلف من جزء من المنثول وثلاثة اجزاء من كلوريد الامونيوم وجزئين من الحامض البوريك

(١٤) مجلات الطب الباطني

ورزبورغ بالمانيا. زغيب افندي ميخائيل

ما هي اشهر المجلات التي تبحث في الطب الباطني في انكلترا

ج . مجلة اللانسث Lancet وهي اسبوعية وقيمة الاشتراك فيها جنيهان وعشرة شلنات والبركتشنر Practioner وهو شهري والاشتراك فيهِ جنيهان وشلنان

(١٥) مجلة الفنون

ومنهُ . ما هو عنوان مجلة الفنون التي تصدر في نيو يورك باللغة العربية

ج . لقد بطل اصدارها فلم يبقَ لها عنوان

(١٦) مؤلفات جبران جبران

ومنهُ . ما هي مؤلفات جبران خليل جبران في العربية والانكليزية

ج . في العربية الاجنحة المكسرة — والارواح المتمردة . وعرائس المروج . والمواكب . والعواصف . والمجنون وهو مترجم عن الانكليزية . وفي الانكليزية

The Forerunner, The Madman, The Prophet, Twenty Drawings.

(١٧) كتاب لماكس نوردو

بغداد . السيد يوسف كاكوز . عرَّب حافظ افندي نجيب كتاباً لماكس نوردو وسماهُ الغرور ولدى التحقيق لم نعثر على نسخة اصلية من هذا الكتاب في مكتبات العراق. لذلك نطلب اليكم ان تعرفونا عن اسم الكتاب في لغتهِ الافرنجية وعن محل بيعهِ

ج . نظن انهُ الكتاب المسمى Die Konventionellen Lügen der Kulturmenschheit, واصحاب المكاتب يستطيعون ان يجلبوهُ لكم من المانيا

(١٨) عدد متكلمي العربية

جولاكا بالبيرو. الخواجه بطرس هاني.

كم عدد الشعوب التي تتكلم اللغة العربية بوجه عام وعدد الشعب العربي بوجه خاص

ج . يقدر عدد سكان البلدان التي لغتها العربية كبلاد العرب وسورية والعراق ومصر وتونس والجزائر والمغرب الاقصى الخ. بنحو ستين مليوناً . و يعسر جدًّا معرفة عدد الذين اصلهم عربي لان العرب الذين استوطنوا البلاد التي فتحوها امتزجوا باهلها بالزواج امتزاجاً تامًّا حتى لا يعرف كم في الواحد من السكان من الدم العربي الاَّ الذين حفظوا انسابهم من اهل البيت

(١٩) السنها والسل

ومنهُ . قرأت في احدى جرائد هذه

البلاد ان السنا تساعد على انتشار مرض السل بسرعة واسندت هذا الخبر الى تجارب قام بها بعض الاطباء في ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل. فالرجاء ان تشرحوا لنا اسباب هذا الانتشار اذا كان لهذا الخبر بعض الصحة

ج . نرجح صحة الخبر ولو لم نقف على التجارب التي اشرتم اليها فان السل مرض مكروبي معدٍ ومكروبهُ (باشلس كوخ) يخرج من رئتي المسلول مع نفسهِ و بصاقهِ والرشاش الذي يخرج من فيهِ وقتما يسعل . وقلما يتفق ان يجتمع جمهور كبير في مكان كاماكن السنا ولا يكون بينهم بعض المسلولين فيكثر مكروب السل في هواء المكان و يتنفسهُ كثيرون. والانسان معرض لهذه المكروبات في اماكن كثيرة ولكن جسمهُ يتغلب عليها الاَّ اذا كانت كثيرة جداً او كانت بنيتهُ ضعيفة معدة لهذا المرض . فترون من ذلك ان اماكن السنا من اصلح الاماكن لانتشار عدوى السل

(٢٠) السل وكبار السن

اميركا . فولرفر ماستشوستس .
الخواجه سليم الياس . نسمع ان المصابين بالسل يكون عمرهم غالباً دون الخامسة والثلاثين ومتى زاد عمر الانسان لا يعود يصاب بهِ . فكيف ذلك والمعروف ان السل ضعف دمٍ والشبان دمهم قوي بخلاف الشيوخ فكيف يصاب بالسل اصحاب الدم القوي ولا يصاب بهِ اصحاب الدم الضعيف

ج . السل مرض مكروبي اي لهُ مكروب خاص بهِ وكل انسان معرَّض لهُ لان هذا المكروب كثير الانتشار ولكن اكثر الاجسام تتغلب عليهِ لسبب غير معروف والتي لا تتغلب عليهِ بل يتغلب عليها يميتها في الغالب ولذلك اذا جمعنا جماعة من الرجال والنساء عددها مائة نفس وعمر كل منهم اكثر من خمسين سنة فهؤلاء تعرضوا لمكروب السل ولم يفعل بهم وكان لهم اخوة واخوات ورفاق ماتوا قبلهم بعد ما تعرضوا ايضاً لمكروب السل مثلهم والمرجح ان بعضهم ماتوا بهِ وعليهِ فالذين يعمرون طويلاً هم البقية الباقية التي لم يفعل بها مكروب السل. ومن المحتمل ايضاً ان الجسم الذي يقاوم مرضاً مكروبيًّا و يتغلب عليهِ يكتسب شيئاً من المناعة فلا يعود ذلك المكروب قادراً عليهِ كما ترون في من يصاب بمرض الجدري او الحصبة او التيفويد فانهُ اذا شفي منهُ لم يصب بهِ ثانيةً الاَّ نادراً جداً

(٢١) اصل كذبة ابريل

ومنهُ . ما اصل كذبة ابريل (نيسان) وكيف نشأت واين وفي اي سنة

ج . لا يعلم منشأها تماماً وقد ارتأى قوم انها تشير الى ما حدث قبل الصلب من ارسال السيد المسيح من بيلاطس الى هيرودس ومن هيرودس الى بيلاطس وكان الصلب

في ابريل . والمرجح انها عادة قديمة متصلة بالحفلات الدينية التي كانت تقام في بداءة السنة عند الاعتدال الربيعي لان لها مثيلاً في بلاد الهند فان الهنود يقيمون الحفلات وقت الاعتدال الربيعي و يرسلون بعضهم الى بعض لاسباب كاذبة قصد التسلية والضحك.ولها تعليل آخر في اوربا وهو ان فرنسا كانت اول البلدان التي جعلت شهر يناير بداءة العام وذلك سنة ١٥٦٤ في عهد الملك كارلس التاسع فصار من الواجب ان تنقل هدايا رأس السنة من اول ابريل الى اول يناير فالذين لم يرق لهم ذلك صاروا مضحكة للذين راق لهم وصاروا يرسلون اليهم هدايا كاذبة و يزورونهم على سبيل المزاح فصار ذلك عادة انتشرت في اوربا

(٢٢) زيت السمك والكساح

محمد افندي عبد الواحد . ذكرتم في مقتطف مايو صفحة ٤٧٨ ان زيت السمك يشفي من الكساح الذي يصيب الصغار فهلاً تفضلتم بذكر المقدار الذي يتناول في اليوم وكيفية التعاطي

ج . لا يحسن معالجة احد بغير رأي الطبيب ومع ذلك فالزيت يعطى اولاً بمقادير قليلة ثم يزاد رويداً رويداً فللصغار يعطى ثلاث مرات في اليوم وكل مرة ملعقة شاي صغيرة ثم يزاد رويداً رويداً حتى يصير يعطى ملعقة كبيرة.واذا كره الصغير ابتلاعهُ صرفاً فليوضع مع اللبن او في كأس من الماء اضيف اليهِ مادة تزيل طعمهُ الكريه او يصنع مستحلباً

(٢٣) القطن المصري وسعره

مصر . احد المزارعين . نرى بعض الكتاب ينشرون في المقطم مقالات يقولون فيها ان علم الاقتصاد السياسي لا يبيح للحكومة المصرية الدخول في سوق. القطن مشترية وان ارتفاع الاسعار وهبوطها امرٌ طبيعي مبني على ناموس العرض والطلب فدخول الحكومة لا يجدي نفعاً وانهُ ليس من الحكمة تقييد مساحة القطن بالثلث لان الموسم المصري مهما زاد يبقى جزءًا صغيراً جدًّا بالنسبة الى موسم اميركا وموسم الهند فنقصهُ بتنقيص المساحة لا يؤثر في الاسعار فما قولكم في ذلك

ج . ان كل ما اشرتم اليهِ مغالطات وسفسطات فعلم الاقتصاد السياسي لا يمنع الحكومة من حفظ ثروة بلادها بل يوجب عليها ذلك بكل وسيلة ممكنة وعلى هذا المبدإ تجري الحكومات حتى انها تثير الحروب وتقتل النفوس وتخرب البلدان لحفظ ثروة شعبها.وناموس العرض والطلب يقضي على كل بائع ان لا يعرض من بضاعته للبيع ما يزيد على طلب المشترين والاَّ كسدت بضاعتهُ حتى انهُ يحل اتلاف الزائد من البضاعة بتغريقها او حرقها ليعلو سعر ما

يطلب منها . وحصر الزمام بالثلث او باقل من الثلث من افضل الوسائل لتقليل العرض وجعلهِ مساوياً للطلب وحينئذٍ يرتفع السعر. وما لا يزرع قطناً يزرع زراعة أخرى كالقمح والفول والذرة ومنها ربح كبير فوق الربح الناتج من ارتفاع سعر القطن بقلة ما يعرض منهُ للبيع . ولا عبرة بصغر الموسم المصري في جنب موسم اميركا وموسم الهند لان للقطن المصري مغازل خاصة وانوالاً خاصة واستعمالاً خاصًّا فلا يقوم مقامهُ قطن الهند ولا قطن اميركا ولو قاما مقامهُ لما ابتاعهُ الغزالون بمضاعف ما يبتاعون بهِ القطن الاميركي وباكثر من مضاعف الهندي



مقتطف يناير

افتتحنا مقتطف يناير بمقالة عنوانها «مستقبل القطن المصري مرتبط بقطنهِ» ابنَّا فيها الوسيلة التي يجب ان يتوسل بها لحفظ اسعار القطن المصري في المقام الذي تستحقهُ

ويليها قصيدة بليغة لامير الشعراء احمد شوقي بك يصف فيها حضارة مصر في عهد الاسرة الثامنة عشرة وقد اوحتها اليهِ التحف النفيسة التي اخرجت حديثاً من مدفن توت عنخ امون

ثم قصة مصرية عنوانها « فاطمة » وهي القصة التي نالت جائزة المقتطف الاولى في السنة الماضية وقدرها ثلاثون جنيهاً مصريًّا

وبعدها بحث علمي ممتع موضوعهُ « علم الفلك في خمسين سنة » للاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضيات العالية في جامعة بيروت الاميركية . وهذه المقالة حلقة من سلسلة مقالات سننشرها ونسرد فيها تاريخ تقدم العلوم والمعارف في نصف القرن المنقضي وفيها صورتان للمجرة

ويليهِ حلقة اخرى من هذه السلسلة وهي رسالة بليغة للاستاذ مصطفى صادق الرافعي عنوانها « الشعر العربي في خمسين سنة » اي مدة انتشار المقتطف

ثم الفصل الختامي مما تنشئهُ النابغة الآنسة مي في عائشة عصمت تيمور وعنوانهُ « لم تمت عائشة » وقد تناولت فيهِ ما للتيمورية وقاسم امين وباحثة البادية من الاثر في

النهضة النسائية في مصر

وبعده كلام على الرحالة شوينفورت الالماني للامير شكيب ارسلان وقد شفعناهُ بخلاصة ما جاءَ في مجلة نانشر عن مباحثهِ الجغرافية والنباتية

ويلي ذلك مقالة عن ملوك البترول فيها سيرة واحد منهم وكيف اشتركت الحكومة الانكليزية في اقتناء اسهم احدى شركات البترول الكبيرة لتضمن الحصول على مقدار كافٍ منهُ لتموين الاسطول البريطاني

ثم مقالة علمية طبية عنوانها الاستيوباثيا او الطب العظمي . وهو مذهب حديث في الطب وُضع سنة ١٨٧٣ يعتمد في معالجة الامراض على الغمز والضغط والدلك وما اشبه

وبعدها مقالة للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف جمع فيها حقائق كثيرة متفرقة عن ابرهيم باشا لما كان في سورية

ويليها مقالة علمية عمرانية عن « الاحوال في فلسطين » وقد بنيناها على مقتطفات من رسالة لمستر هرلد شبستون احد اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز كتبها بعد زيارتهِ لفلسطين حديثاً

ثم فصلان من التاريخ الطبيعي عنوان الاول الاسماك المنيرة والثاني الحية ذات الرأسين وفيها صورتاهما

وبعدها سيرة يعقوب كندلبرجر وهو احد رجال المال والاعمال الذين ارتقوا من ادنى دركات الفقر والامية الى اعلى ذرى الثروة والنجاح وفيها صورتهُ

ويليها حلقة اخرى من مقالات الاستاذ عبد الرحيم محمود البليغة في نظامنا الاجتماعي وعنوانها روح الزمان

وابواب المقتطف كعادتها حافلة بالمقالات والنبذ المفيدة فباب المراسلة يحوي رسالتين نفيستين الاولى يبدي فيها كاتبها رأياً في تعليل ما كتبناهُ في الجزء الماضي من المقتطف عن كهن وقراءتهِ للافكار. والاخرى عن مواد جديدة للاحاطة بدرس الطب العربي في الجاهلية . وباب تدبير المنزل فيهِ وصف للاحتفال بذكرى باحثة البادية وجانب من خطبتي السيدة هدى شعراوي والآنسة مي زياده . وقائمة لكثير من الاطعمة وما تحـويهِ من الفيتامين . وبابا التقريظ والزراعة حافلان بما يتعلق بالمطبوعات العربية الجديدة وازمة القطن المصري الحاضرة . وبابا المسائل والاخبار يحويان كثيراً من طريف الآراء والانباء العلمية والعمرانية

اتحاد العلماء الدولي

نشرنا في مقتطف مايو سنة ١٩٢٤ مقالها عنوانها « العلم والعمران » ابنَّا فيها ان العلم الصحيح هو القوة الفعالة في تقريب الامم بعضها

من بعض لان جميع الشعوب اشتركت في وضع اصوله وتشترك الآن في الفائدة التي تنجم عنهُ. فما يكتشفهُ طبيب روسي في معالجة احد الامراض مثلاً لا ينحصر في روسيا بل يهتم بهِ العلماء في مختلف الاقطار ويجعلونهُ قاعدة لمباحث جديدة منها فائدة عامة · وعلى هذا قس غيرهُ من المباحث العلمية. وقد قرأنا الآن في جزء دسمبر من مجلة التاريخ الجاري الاميركية ان جمعية الامم انشأت معهداً جديداً للعلماء والمفكرين دعتهُ المعهد الدولي للتعاون الفكري وغايتهُ كما يستدل من اسمهِ بثروح التعاون بين العلماء والمفكرين في مختلف الاقطار وقد فتح في باريس في اول نوفمبر الماضي · والمجلس الذي يدير هذا المعهد مؤلف من لجنة انتخبتها جمعية الامم لتنظيم التعاون الفكري ومن اعضائها العالم اينشتين والفيلسوف برغسن والاستاذ ملكن العالم الطبيعي الاميركي ونائل جائزة نوبل للطبيعيات ومدام كوري والاستاذ جلبرت مري احد اساتذة جامعة اكسفرد والاستاذ لورنتز العالم الطبيعي الهولندي وغيرهم من اركان العلوم والفنون. وينتظر ان يكون لهذا المعهد شأن كبير في تبادل المعلومات والحقائق العلمية والقانونية والادبية والفنية والصحافية وغيرها بين الامم المختلفة· وقد وعدت الحكومة الفرنساوية ان تخصص مليوني فرنك سنويًا لنفقاتهِ ومع ذلك ليس بين رجالهِ سوى رجل فرنسوي واحد هو المسيو ليشور مديرهُ

وقد قسم المعهد الى اقسام عدة فعيّن الاستاذ فون شولتز جايفدنتز الالماني رئيساً لقسم « المظان » والآنسة غبريل مسترال مديرة مدرسة التربية في سنتياغو بشيلي ناظرة لقسم « العلاقات الادبية » والاستاذ زمرن احد اساتذة التاريخ بجامعة اكسفرد رئيساً لقسم «العلاقات العامة» والاستاذ هكلي من جامعة ڤرسوڤيا رئيساً لقسم « علاقات الجامعات » والسنيور فيلالونغا الاسباني رئيساً لقسم «العلاقات القانونية الدستورية» والاستاذ دوبريه من اكادمية الفنون الجميلة في انفرس رئيساً لقسم « العلاقات الفنية» والسنيور جوسبي برتسوليني الصحافي الايطالي رئيساً لقسم « الاخبار»

وقد تألفت لجنة تضم اكبر العلماء الاميركيين برآسة الاستاذ ملكن لتتعاون مع هذا المعهد الجديد

شيوع مذهب النشوء

كتب المستر جوزف مكابب في الكتاب السنوي لجمع النشر العقلي يقول « انهُ لم يقم منذ اكثر من عشرين سنة الى الآن شخص يوثق بعلمهِ وهو يرتاب في صحة مذهب النشوء · انظر الى كل فروع العلم الطبيعي التي لها ارتباط بالحياة وبالانسان كالجيولوجيا والبيولوجيا والزولوجيا

والفسيولوجيا وعلم النبات وعلم التشريح وعلم الاجنَّة وعلم النفس وعلم الانسان فلا تجد في جامعة من الجامعات استاذاً لعلم من هذه العلوم او مديراً لمتحف مهم من متاحفها في العالم كلهِ لا يحسب مذهب النشوء من اثبت المذاهب العلمية واصحها. وبعض هؤُلاء الاساتذة والمديرين يذهب الى ابعد من ذلك ويقول ان هذا المذهب اهم الحقائق العلمية التي كشفها الانسان واكثرها تنويراً للاذهان. واقول بكلمة واحدة ان العلم الحديث كلهُ اقرَّ هذا المذهب ولم يبقَ فيهِ مجال للشك. ثم ان كل الكتب والرسائل التي كتبت في نقضهِ كتبها رجال السياسة او الدين او الصحافة اي اناس لا يعتمد على قولهم في العلوم الطبيعية ومع ذلك ترى عشرات الملايين من الناس يأخذون بقولهم. واكبر حجة لهؤُلاء الكتاب المناقضين لمذهب النشوء اننا لم نجد حلقة تربط الانسان بالحيوان الاعجم. وجوابنا عن ذلك انهُ اذا اريد بالحيوان الاعجم مثل الشمبانزي فبينهُ وبين اعلى طوائف الناس حلقات كثيرة ولا تزال الحلقات تكشف كما في الجمجمة التي كشفت في جنوب افريقية فانها جمجمة حيوان ارقى من كل انواع القرود المعروفة. والعظام التي وجدت في جاوى وفي بلتدون كلها حلقات تربط الانسان بالحيوان»

العلوم الطبيعية في المدارس الكاثوليكية

كتب المستر مارا عن اخاء وستمنستر الكاثوليكي الى محرر مجلة المجلات الانكليزية يبرئ الكنيسة الكاثوليكية من تهمة مقاومتها للعلوم الطبيعية مستشهداً بما امر بهِ البابا لاون الثالث عشر وهو قولهُ « اعكفوا بهمة على درس العلوم الطبيعية التي كُشفت فيها حقائق عظيمة كبيرة النفع » وقول البابا بيوس العاشر « اننا نوصي اذاً ان يتبع درس العلوم الطبيعية في المدارس الاكليركية طبقاً لهذا الامر» وعليهِ فالكنيسة الكاثوليكية لا تمنع درس العلوم الطبيعية بل تأمر بهِ

برنز المكسيك

البرنز (القلز) هو النحاس الذي اضيف اليهِ قليل من القصدير حتى يصير كالصلب. وقد كان سكان المكسيك الاقدمون يعرفون كيفية عملهِ. فقد وُجد بين آثارهم اجراس من البرنز حللت كيماوياً وبحث الدكتور اكسل هلتجرن في بنائها بالمكرسكوب فوجد فيها نحو ستة في المائة من القصدير وقليلاً جداً من الرصاص والفصفور والانتيمون والحديد والالومنيوم وما بقي وهو ٩٢ في المائة واربعة اعشار من النحاس ويدل بناؤُها على ان هذه المعادن كانت تصهر معاً وتسبك اجراساً

الملكة الكسندرا

نعت الينا التلغرافات في ٢٢ نوفمبر الماضي جلالة الملكة الكسندرا عن ثمانين عاماً عرفت في اثنائها بابنة ملك وزوجة ملك وام ملك واخت ملك وعمة ملك وخالة ملك. فهي ابنة كرستيان التاسع ملك الدنمرك واخوها كان ملك اليونان وابن اخيها ملك نروج. واختها والدة نقولا الثاني قيصر الروس السابق وزوجها ادورد السابع ملك انكلترا السابق ونجلها جلالة جورج الخامس الملك الحالي

وُلدت الملكة الكسندرا سنة ١٨٤٤ ولم يكن ابوها ملكاً ولا قريباً من سرير الملك بل لم يكن نسبهُ متصلاً بنسب ملك الدنمارك الاَّ اسلافهما في القرن الخامس عشر. ثم ترجَّح ان الملك سيموت بلا عقب فيخلفهُ ابوها اذ لا اقرب منهُ اليهِ ويقال انهُ لم يكن على شيءٍ من الثروة في ذلك الحين ولكن لما ظهر انهُ ولي العهد حسنت حالهُ حتى اذا صارت البرنسس الكسندرا في السادسة عشرة من عمرها كان قادراً على السياحة معها في مدائن اوربا. واتفق ان برنس اوف ويلس لقيها اكثر من مرَّة في سياحتهِ فوقعت عندهُ موقعاً عظيماً وخطبها الى ابيها سنة ١٨٦٢ فسرَّ اهالي انكلترا واهالي الدنمارك بهذه الخطبة ولاسيما ان البرنس خطبها حبًّا بها لا لغرض سياسي كما يحدث كثيراً في زيجة الملوك. ولما حان الوقت المعين للزيجة جاءَ بها ابوها وامها واخوتها الى البلاد الانكليزية فبلغوها في السابع من شهر مارس سنة ١٨٦٣ فرحبت بها البلاد اعظم ترحيب واحتفل بالزيجة في العاشر من مارس في كنيسة قصر وندزور ولم تحضر الملكة فكتوريا الاحتفال رسميًّا لحدادها على زوجها بل اقامت وراء مشبَّك ترَى منهُ الاحتفال ولا تُرَى

ومن ذلك الحين امتزجت حياتها بحياة زوجها واولادها فلا يراها الانكليز الاَّ معهُ او مهتمة باعمال البر. وقد احبوها حبًّا صادقاً لجمالها ودعتها وفضائلها الكثيرة حتى قال احد اساقفة الكنيسة الانكليزية «انها مقيمة في قلوب شعبها»

واصيب المرحوم الملك ادورد السابع في سنة ١٨٧١ بمرض عضال فلازمت سريرهُ ليلاً ونهاراً تمرضهُ بنفسها حتى اذا منَّ الله عليهِ بالشفاء اجتمع الناس في الكنائس الوفاً مؤلفة ليشكروا الله على ذلك وقد ازدادوا احتراماً لها واكراماً لما بدا منها من الحب لهُ والاهتمام بهِ وعدوها منقذة احب ملك اليهم

وكانت النساء الانكليزيات ينظرن اليها كمثال الكمال في حسن المنظر والجمال والدعة واللطف والعطف على البائسين



الملكة الكسندرا حين كان عمرها ١٩ سنة



الملكة الكسندرا في كهولتها

مقتطف يناير ١٩٢٦

امام الصفحة ١١٢

ولم ينشأ مقام خيري او عمومي في البلاد الانكليزية الاَّ اشتركت فيهِ هي او زوجها اما بوضع حجر زوايتهِ او بتشجيع القائمين بامرهِ ومساعدتهِ ادبيًّا وماديًّا

و يعزى اليها الفضل في التغيير الذي طرأَ على ازياء النساء في انكلترا في ايامها وتحري البساطة واللياقة فيها مقترنتين الى الحشمة والوقار

وفقدت وهي لا تزال ولية للعهد اكبر انجالها الدوق اوف كلارنس وارث عرش انكلترا بعد والدهِ وهو في شرخ الشباب فاحتملت مصيبتها بالصبر الجميل ودفعها ذلك الى الاستزادة من اعمال البر والاحسان ومؤاساة الفقراء وتعزية المحزونين

زارت مصر مع قرينها في سنة ١٨٦٩ اي بعد ست سنوات من زواجهما وصعدا في النيل الى الوجه القبلي

وقد خصصت الامة البريطانية لذكر فضائل هذه الملكة وفواضلها عيداً سمته « عيد الكسندرا » تباع فيهِ الورود لاعانة الفقراء والمعوزين ومساعدة الاعمال الخيرية

وظلت في حياة زوجها تشرف على اعمال شعبها وتعطي المثل الصالح فلما توفي التزمت قصرها وطلقت بهارج الحياة وزخرفها واقتصرت على اعمال البر والاحسان وزادت منزلتها رفعة في قلوب شعبها بما اظهرتهُ في الحرب الاخيرة من الاهتمام الشديد بالجرحى وعائلات القتلى ومساعدة المنكوبين وتعزيتهم فكانت اعمالها واقوالها بلسماً لجراحهم

فلا بدع اذا حزن البريطانيون على ملكة هذه اخلاقها وصفاتها ولا غرو اذا اقاموا لها مأتماً في كل بيت من بيوتهم ونقشوا ذكرى فضائلها على صفحات قلوبهم وربوا بناتهم على مثالها الصالح

القمر والرتسا (التوتيا)

الحيوان البحري المسمَّى رتسا في القطر المصري وتوتيا في القطر الشامي يدَّعي صيادو السمك ان نور القمر يؤَثر فيهِ وفي غيرهِ من الاسماك . وهذه الدعوى قديمة متوارثة من عهد المصريين الاقدمين وقد كثر البحث فيها حديثاً الى ان اثبت المستر منرو فوكس من البحث في السويس انها صحيحة في حيوان الرتسا او التوتيا السويسية (Diadema setosum) وغير صحيحة في غيرهِ

والرتسا كما تسمى في مصر او التوتيا كما تسمى في سواحل سورية حيوان كروي كالتفاحة جلدهُ صدفي تبرز منهُ اشواك كثيرة والصنف الموجود منها في السويس كبير طويل الشوك فيبلغ قطرهُ من طرف احدى شوكاتهِ الى طرف الشوكة المقابلة لها اكثر من قدم ورؤُوس الشوك دقيقة

جدًّا وسامةً كوبر القريص · وهو ذكور واناث والذي يؤْكل منهُ البيض البرتقالي اللون الذي في باطن الانثى في خمس جيوب. وقد ثبت للمستر فوكس بالبحث ان البيض الذي في باطن الانثى وما يقابلهُ في باطن الذكر يزيد نموهُ في الاسبوع السابق للبدر وان المزاوجة بين الذكر والانثى تتم في الخمسة الايام السابقة للبدر والخمسة الايام التالية لهُ وبعد ذلك تصغر اعضاء التأنيث والتذكير وتخلو من البيض واللقاح .وحينما يهلُّ القمر تشرع البيوض تتكون في الاناث ويشرع اللقاح يتكون في الذكور الى ان تبلغ اشدها قبيل البدر وهلمَّ جرًّا. ويحدث ذلك ست دفعات من ابريل الى سبتمبر ولا تقع المزاوجة في سائر الشهور. ومن رأْي المستر فوكس ان الاقدمين رأَوا ذلك في هذا الحيوان فحسبوا انهُ يشمل كل الحيوانات البحرية مع انهُ خاص بهِ لان السرطان الذي يعيش على مقربة منهُ لا تشملهُ هذه الخاصة

وقد حاول المستر فوكس تعليل ذلك بحدوث المد والجزر في ماء البحر الاحمر وهما تابعان للقمر. اما نحن فنعللهُ كما عللنا حدوث حيض النساء كل اربعة اسابيع بان الاقدمين كانوا يحتفلون بالبدر ويرقصون ذكوراً واناثاً رقصاً يثير الميل الجنسي كما يرقص زنوج افريقية الآن. فان الرتسا حيوان ليلي في الاماكن الساطعة النور كالبحر الاحمر فيختفي نهاراً ويسهل اهتداؤُهُ بعضهُ الى بعض في الليالي المقمرة فيقع التزاوج فيها

اقوال الملكة اليصابات

الملكة اليصابات اعظم من رقي العرش الانكليزي قبل الملكة فكتوريا وينسب اليها الانكليز اقوالاً كثيرة من جوامع الكلم ومنها قولها للفنلون وكان قد جاءها بهدية من ملكة اسكتلندا « قُل للملكة الاسكتلنديين اني اكبر منها سناً ومتى بلغ المرء سني (٤١) جعل يأْخذ بيديهِ ويعطي بخنصرهِ»

وقالت لرئيس اساقفة سنت اندرو اني اجزع من ان ارتكب خطأً في اللاتينية اكثر مما اجزع من ملوك اسبانيا وفرنسا واسكتلندا وكل آل غيز وانصارهم

وقالت لسفير فرنسا ان مملكتي صغيرة ولكن صغرها يسهل عليَّ حمايتها

وأَشار عليها أَعضاء البارلمنت بان تتزوَّج فقالت اعنوا بما يجب عليكم وأَنا أُعنى بما يجب عليَّ

وقالت لهم في وقت آخر ان ادمغتكم كادمغة الارانب فلا تصلحون لادارة شؤُون المملكة

وخاطبها السفراء مرارًا في أَمر زواجها فكانت تجيبهم بالأَقوال التالية

ان خاتم الزيجة نير في العنق

اني أحب العزوبة لا عن تعصب بل عن ميل طبيعي

اني أحب صديقي كنفسي ولكن يجب أن أحب زوجي اكثر مما أحب نفسي

اذا علمت ان احداً من رعيتي أخذ منهُ الغرور حتى يطلب الاقتران بي أبيت أن أراهُ ويكون لي معهُ شأن لا يرضاهُ

اذا تزوجت فلا أتزوج من يقضي أوقاته جالساً يصطلي بل من يركب ويصيد ويحارب

لا أتزوج من يكرمني كملكة بل من يحبني كامرأة

وأشار عليها رئيس اساقفة يورك أن تقترن بدوق النسون . فقالت اذا لم اقترن بهِ فقد افقد صداقتهُ ولكنني اذا اقترنت بهِ فقدت حريتي في السلطة على بلادي

وتوسل اليها ارل اسكس ان ترد اليهِ احتكاراً دخلهُ خمسون الف جنيه فقالت لهُ اذا جمحت الخيل فدواؤُها ان يقلَّ علفها

وقالت للورد لستر اذا كان عطفي عليك صيرك وقحاً فسأُصلحك لانني سأحطك كما رفعتك

التشتية في الثلج

لقد يستغرب المرءُ اذا قيل لهُ ان جبال سويسرا يقصدها الناس لقضاء فصل الشتاء كما يقصدونها في الصيف . فان هذه الجبال التي يغطيها الثلج على مدار السنة ترتفع درجة الحرارة فيها شتاءً في الخلاء المعرَّض لاشعة الشمس الى ٤١ درجة بميزان سنتغراد وهي في الظل المجاور لهُ تحت درجة الجليد . ومن أغرب ما يذكر عنها ان المصابين بداء السل يقصدونها ويقيمون فيها فيشفى اكثرهم لنقاوة هوائها. وأول من انتبه لذلك طبيب اسمهُ سبلنجر وذلك سنة ١٨٥٣ فانهُ دخل وادياً بين الجبال المغطاة بالثلج الدائم ارتفاعهُ عن سطح البحر خمسة آلاف قدم فوجد سكانهُ خالين من داء السل مع انهُ يكون كثيراً في الاودية التي تكثر فيها رطوبة الهواء فجعل يشير على المسلولين بالانتقال الى هذا الوادي ليستشفوا بهوائهِ وان لا يكتفوا بالاقامة فيهِ في فصل الصيف بل حضهم على الاقامة فيهِ على مدار السنة مهما اشتد برد الشتاء. فعارضهُ الاطباء في اول الامر وبعد جهاد طويل ثبتت لهم صحة رأيهِ فجعلوا يؤَيدونهُ. ويظهر لنا ان المرحومة الدكتورة ماري ادي اقتدت بهِ لما اقامت مستشفى السل في وادي حمانا . ونحن نعرف شاباً اميركياً اصيب بالسل في القاهرة فعاد الى اميركا وجعل اقامتهُ في جبال عالية باردة يغطيها الثلج واقام في العراء معرضاً لاشعة الشمس فشفي . ولا شبهة في فعل هذه

الاشعة الشفائي و يكون فعلها على اتمهِ قبلما تمرُّ في طبقات الهواء السفلى الكثيرة الرطوبة والغبار والمكروبات كما قال الدكتور روليه الذي اتقن المعالجة بنور الشمس فعسى ان تصير جبال لبنان مباءة لطالبي الصحة صيفًا وشتاءً كما هي مباءة لطالبي الراحة صيفًا ولاسيا لان اوديتها العالية غير معرضة لانقداد الثلج من الجبال ووقوعهِ عليها بدحاريج كبيرة تخرب البيوت كاودية سويسرا

ابعد سديم

السديم لطخة سحابية تظهر في السماءِ بين النجوم والمرجح انها مادة تتولد النجوم منها . وابعد سديم قيس بعدهُ حتى الآن سديم المرأَة المسلسلة فان بعدهُ يساوي ٩٥٠٠٠٠ سنة نورية اي لو سار النور منهُ الينا بسرعتهِ المعروفة لما وصل الينا في اقل من ٩٥٠ الف سنة او ان النور الذي نراهُ بهِ الآن قد سار منهُ الينا منذ ٩٥٠ الف سنة. وقد يحتمل ان يكون هذا السديم تلاشى من الكون منذ ٩٠٠ الف سنة ولكنهُ لا يزال منظوراً بالنور الذي صدر منهُ قبلما تلاشى وسيبقى منظوراً خمسين الف سنة. وليس ما يمنع ان يكون في الكون اجرام ابعد من هذا السديم ولكن اذا وجدت اجرام كذلك فالمرجح ان بعدها لا يتجاوز اربعة ملايين سنة نورية وهناك نهاية الكون . ولو فرضنا اننا مثَّلنا الكون كلهُ بكرة كالكرة الارضية حجماً لكان النظام الشمسي كلهُ فيها مثل حبة الرمل ولكانت الارض اصغر من ان ترى باقوى انواع المكرسكوب

الطعام الطبيعي

كتب السر اربطنت لاين في مجلة الفورتنيتلي الانكليزية ان امراضاً كثيرة ابتلي بها المتمدنون سببها تركهم الاطعمة الطبيعية واذا سئلت ما هي الاطعمة الطبيعية التي اشير بها قلت ان الانسان اقام قروناً كثيرة يقتات بالاثمار يأكل اكثرها نيئًا لان طبخ الطعام كان نادراً كثير النفقة . ثم شاع طبخ الطعام واشير بطبخ كل ما يؤكل خوفاً من المكروبات . ومن المؤكد ان الطعام المحفوظ في العلب والطعام الذي يعالج كيماويًا ليحفظ من الفساد والطعام الذي يزاد طبخهُ حتى ينضج جيداً والحبوب التي نُزعت اجنتها بالطحن والنخل وينزع غلافها الظاهر كل ذلك قليل النفع والاقتصار عليهِ ضار

البوهيميوم

كشف الدكتور هيروسكي عنصراً جديداً في براغ وجدهُ في املاح المنغنيس وسماهُ باسم بوهيميوم نسبة الى بوهيميا وطنهِ وقال ان عددهُ الجوهري ٧٥

سمك الامازون

الامازون اكبر نهر في اميركا الجنوبية واوسع نهر في المسكونة تسير السفن مسافة ٣٠٠٠٠ كيلومتر فيهِ وفي فروعهِ .وهو كثير السمك الغريب فقد احصوا في بحيرة صغيرة من بحيراتهِ ١٢٠٠ نوع من السمك،اغربها السمك المفترس (بيرَنها) وهو يقيم حيث الماء اسود لان احد فروع الامازون اسود الماء ولذلك يسمى ريو نغرو وهــذا السمك ويسمى احياناً ذئب النهر لونهُ رمادي الي الزرقة واسنانهُ كبيرة حادة يهجم على كل من يخوض الماء من الناس والحيوانات وهو صغير فيكتفي بما ينالهُ منها ولذلك تجــد كثيرين من السكان في بلد على شاطئ النهر الاسود فقد كلٌّ منهم اصبعاً او اصبعين من يديهِ ورجليهِ ومنذ بضع سنوات كانت سفينة نهرية مشحونة بقراً فافرغت شحنها على نحو مائة قدم من الشاطئ لان الماء ضحضاح هناك . فاستروح هذا السمك رائحتها واجتمع سرباً كبيراً وهجم على البقر ومزق لحمها تمزيقاً قبل وصولها الي الشاطئ. وكان رجلان انكليزيان سائرين بقارب صغير فثار النوء وقلب القارب فيهما وكان هناك قارب يسير بالبنزين فاسرع اليهما وانقذ احدهما واما الآخر فعسر عليهِ انقاذهُ حالاً فهجم عليهِ هذا السمك واكل جانباً من لحمهِ . وكان احد علماء الحيوان مرافقاً للرئيس روزفلت في سياحتهِ بالبرازيل فنزل الى النهر ليغتسل فهجم السمك عليهِ واكل جانباً من بطنهِ ورجلهِ قبلما تمكن من النجــاة

وهناك سمك من نوع النقم او انسان البحر يرضع اطفالهُ فترى الواحدة منهُ ممسكة طفلها بيديها وقد ضمتهُ الى صدرها وهي ترضعهُ .ولعلَّ اقاصيص عرائس البحر مبنية على مثل ذلك .وهو حاد السمع فيعسر الدنو منهُ لانهُ يهرب ويختفي حالاً

وفيهِ ايضاً الانكليس(الثعبان) الكهربائي وهو يقتل فريستهُ بكهربائيتهِ ويشل ايادي السابحين وارجلهم

حقائق عن البحر الاسود

ان ادارة المباحث المائية في روسيا بحثت في احوال البحر الاسود سنة ١٨٩٠ و١٨٩١ واستأنفت البحث من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٢٥ فوجدت الامور التالية : وهي ان ملوحة البحر الاسود تزيد بالغور فيهِ فعند سطحهِ تبلغ ١٨ في الالف وتصير ٢٢ الى ٢٣ في الالف على عمق ٢٠٠٠ متر . ومقدار الملوحة السطحية يختلف باختلاف الفصول ولكن هذا الاختلاف سطحي لا يصل الى اكثر من ١٠٠ متر . وثقل الماء النوعي يختلف باختلاف الملوحة . ودرجة الحرارة

التي تختلف باختلاف الفصول سطحية ايضاً فعلى عمق ٢٠٠ متر تبقى درجة الحرارة واحدة صيفاً وشتاء اي نحو ٨ درجات وسبعة اعشار الدرجة بميزان سنتغراد ثم تزيد قليلاً حتى تبلغ نحو تسع درجات في قاع البحر. وتوجد الاحياء قرب الشاطئ الى عمق ٢٠٠ متر وبعد ذلك يقل العمق الذي توجد فيهِ رويداً رويداً حتى يبلغ ١١٠ امتار

يظهر من ذلك وامثالهِ ان علماء الروس لا يزالون دائبين على المباحث العلمية المحضة

حفظ نور الشمس

اكتشف الدكتور ستينبك احد اساتذة جامعة وسكنسن بالولايات المتحدة والدكتور هس احد مشهوري الاطباء بنيو يورك انهُ يستطاع تعريض زيت كبد الحوت (زيت السمك) للاشعة التي فوق البنفسجي فتمتصها وتحفظها حتى اذا شربها الطفل بعد الطعام نال منها الفائدة التي ينالها من التعرض لنور الشمس اي ساعدتهُ على مقاومة مرض الكساح الذي يصيب من يسكن من الاطفال في احياء مظلمة لا ينفذ نور الشمس اليها

لغة القرود

اهتم اثنان من العلماء بالبحث في لغة القرود اي في تدوين الاصوات التي تصوت القرود بها وما تدل عليهِ فاختارا اثنين صغيرين من الشمبانزي ودونا كل ما سمعاهُ من اصواتهما فوجدا ان لبعضها دلالة محدودة يتلفظان بها لاغراض مقصودة فاللفظة غاك يراد بها الطعام واللفظة كاه هاها الضحك واللفظة هو أوه الخوف. وقد وضعا كتاباً في هذا الموضوع جمعا فيهِ خلاصة بحثهما. ومن رأي احدهما وهو الدكتور يركس ان في فم الشمبانزي من اعضاء النطق ما يشبه اعضاء النطق في الانسان وفيهِ من الذكاء ما يكفي لجعلهِ يستعمل الالفاظ للدلالة على المعاني او لتعليمهِ شيئاً من النطق

الشيب الفجائي

روى كثيرون عن اناس شابوا في يوم واحد او ليلة واحدة. رأينا سنة ١٨٧٠ رجلاً جليل القدر في مدينة صيداء شعر رأسهِ ولحيتهِ ابيض كلهُ ويدل منظر وجههِ على انهُ لم يتجاوز الاربعين وقيل لنا انهُ شاب كذلك في ليلة واحدة لسبب من الاسباب فصدقنا قول مخبرنا لانهُ كان يتعاطى صناعة الطب ولم نشأ ان نسأل الرجل عن سبب شيبهِ. وقد اطلعنا الآن على مقالة لعالم عملهُ البحث في الشعر فرأيناهُ يقول ان حدوث الشيب في ليلة واحدة او يوم واحد ضرب من المحال وكل ما روي من هذا القبيل مأخوذ بالسماع ولا دليل على صحتهِ

الحشرات والامراض

في باب المراسلة في هذا الجزء اشارة صريحة الى ان العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون علاقة البعوض بالحمى الملاريَة. ولم يثبت ذلك علميًّا الاّ منذ سنوات قليلة ومن ثم اتجهت الانظار الى فعل الحشرات اللاسعة في نقل عدوى الامراض فثبت فعلها في الحمّى الصفراء والتيفوس والطاعون وهذه الحشرات هي البعوض والقمل والبراغيث وقد رافقت الانسان من اول عهدهِ ولا تزال ترافقهُ ولعلها كانت افتك اعدائهِ بهِ فحان لهُ ان يتخلص منها

جزائر ارمسترنج

هي جزائر صناعية تصنع من الفولاذ (الصلب) والسمنت طول الجزيرة منها ١٢٠٠ قدم وعرضها ٤٠٠ قدم وتعلو عن سطح البحر ٧٠ قدماً وتغرق في الماء ٩٥ في المائة من ثقلها وتربط بمراسٍ تبقيها في مكانها. استنبط هذه الجزائر مهندس اميركي اسمهُ ارمسترنج لكي تكون محطات للطيارات التي تطير فوق البحور الواسعة

الاتصال بين مصر وكريت

خطب السر ارثر افانس خطبة هكسلي في المجمع الانثربولوجي الملكي ببلاد الانكليز وموضوعها الاتصال القديم بين مصر وكريت اثبت فيها بادلة كثيرة ان هذا الاتصال يمتد الى عهد الدولة الرابعة المصرية اي الى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة. وكان الاتصال اما بحراً من مصر الى كريت مباشرة واما بطريق سورية فالاناضول. ولما اتم خطبتهُ قلدهُ الاستاذ سلجمن رئيس المجمع وسام هكسلي

العلم واللذة العقلية

خطب الاستاذ فندلي من اساتذة جامعة ابردين في الولايات المتحدة خطبة موضوعها «فائدة العلم للجمهور» ابان فيها ان للعلم فائدة اخرى غير فوائدهِ المادية وهي فائدة عقلية مدارها الوقوف على الحقائق. نقول وهذا ما يدعونا الى نشر المباحث الفلكية والطبيعية كابعاد النجوم ونشوء الحيوانات وتولد طبقات الارض فان حقائق هذه العلوم مما يرتاح اليهِ العقل ولو لم يكن منها فائدة عملية كفائدة البحث في الادوية والاصباغ والاسمدة

الشمس واخوتها

شمسنا احد نجوم المجرة (درب التبان) ولها فيها اخوات يبلغ عددهن من الفي مليون شمس الى ثلاثة آلاف مليون. وهذا النظام من الشموس محدود ولولا ذلك لرأينا الجو ليلاً نوراً متصلاً لا بقعة سوداء فيهِ

الجزء الاول من المجلد الثامن والستين

صفحة

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والستين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٨ رجب سنة ١٣٤٤

البيولوجيا في خمسين سنة

ان ارتقاء البيولوجيا في الخمسين سنة الاخيرة يدور على البحث في بناء الخلية ونموها والتجارب في مذهب النشوء والارتقاء . وقد كان للبحث في بناء الخلية ونموها اثر كبير في التجارب المتعلقة بمذهب النشوء يربط هذين الوجهين من وجوه ارتقاء البيولوجيا ربطاً وثيقاً

ولا نستطيع ان نقدر الارتقاء الذي تمَّ في نصف القرن الماضي من غير ان ننظر فيما تمَّ قبل ذلك . فمنذ مائتين وستين سنة اي سنة ١٦٦٥ اخذ روبرت هوك قطعة رقيقة من الفلين ونظر اليها بمكرسكو بهِ البسيط فوجد فيها كثيراً من الثقوب الصغيرة او الخلايا التي تشبه خلايا قفير النحل تفصل بينها فواصل دقيقة . ولما كان الفلين نسيجاً ميتاً لم يجد فيهِ المادة الحية التي دعيت بعدئذٍ بروتوبلازم ، فان امر البروتوبلازم لم يعرف الاَّ بعد تجربة هوك بزمن غير قصير . ففي سنة ١٧٥٥ وجد روزنهوف هـذه المادة الحية (البروتوبلازم) في الاميبا ، ووجدها كورتي في الكارا سنة ١٧٧٢ ، وماين في الفالسنيريا سنة ١٨٢٧ وروبرت برون في الترادسكانشا سنة ١٨٣١ . وكان ديجوردان اول من وصفها وصفاً دقيقاً جليًّا سنة ١٨٣٥ بعدما درسها درساً دقيقاً في فصيلة الانفوزوريا ودُعاها (سار كود) على ان فون موهل وصفها كما توجد في خلايا النبات سنة ١٨٤٦ ووضع لها اسم بروتوبلازم (اي المكوّن الاول) ومضت نحو خمس عشرة سنة قبلما اثبت شولتز ان السر كود التي وصفها ديجوردان والبروتو بلازم الذي كشفهُ فون موهل هما مادة واحدة. وجاء الاستاذ هكسلي بعد ذلك ببضع سنوات فوصف هذه المادة بقولهِ انها « اساس الحياة المادي ». كذلك اشار شولتز الى ان البروتو بلازم ونواتهُ اهمُّ ما في الخلية من المواد

في تلك الاثناء ظهر في عالم التأليف كتاب دارون العظيم المعروف «باصل الانواع» وذلك سنة ١٨٥٩ . لم يكن دارون اول من ابتكر مذهب النشوء ولكن مباحثهُ جعلت هذا المذهب مقبولاً عند العلماء . فاذا ذكر العلماء المذهب الداروني الآن ارادوا بذلك مذهب الانتخاب الطبيعي . على ان اسم دارون مرتبط اكثر من اسم اي عالم آخر بمذهب النشوء حتى يظن العامة ان مذهب دارون ومذهب النشوء لفظان مترادفان

واذا حوَّلنا أنظارنا الى مطلع العهد الذي حصرنا بحثنا فيهِ أي منذ خمسين سنة وجدنا جماعة من اكبر العلماء يوسعون نطاق البيولوجيا بمباحثهم العلميـة بينهم أقطابٌ مثل لورد لستر و باستور و كوخ وفركو وفوستر و بلفور و كولكر وغيرهم . وكان المستنبطون قد اخذوا يتقنون المكرسكوب و الكيماويون يكشفون اصباغاً تُصبغ بها نوى الخلايا حتى يميز احدها عن الآخر ، فنجم عن هذا التقدم اكتشاف من اعظم المكتشفات التي تمت في الخمسين سنة الماضية وهو اكتشاف الكروموسوم[١] في نواة الخلية وما لهُ من الشأن في الوراثة . ذلك ان كولكر وغيرهُ ادرك حوالي سنة ١٨٧٥ ان عوامل الوراثة قائمة في نوى الخلايا وتلاهم في العشرين سنة التالية جيش من الباحثين وقفوا قواهم وجهودهم على البحث في الخلية ونواتها فاثبتوا ان نواة الخلية فيها عدد من الاجسام التي تصطبغ بلون اغمق من اللون الذي تصطبغ بهِ النواة ودعيت هذه الاجسام كروموسومات (اي الاجسام الملونة) . كذلك ثبت لهم ان هذه الاجسام تظهر وقت التزاوج وتتغير تغيرات غريبة وان عددها في كل نواة لنوع واحد من انواع الحيوان والنبات عدد شفع صغير لا يتغير . فاذا ذكرنا هذه المكتشفات الاولى في طبائع النواة والكروموسوم ذكرنا العالمين فلنغ وولدَير ثم جاء بعدهم نفر من العلماء المحدثين مثل رو وهربست ولوب ومورغن وولي وولسن الذين وقفوا وقتهم وجهدهم على توسيع نطاقها

الاسلوب الذي يجري عليهِ كل نموٍّ هو تكثير الخلايا بانقسام كل منها الى خليتين ثم تنقسم الاثنتان الى اربع خلايا وهلمَّ جراً. فالكروموسومات تكون متحدة في نواة الخلية ولا تظهر متفرقة الا حينما تتهيأ الخلية للانقسام. عندئذٍ ينقسم كل كروموسوم منها الى اثنين فيتضاعف عدد الكروموسومات في الخلية و يجتمع نصف هذا العدد في جانب من الخلية

---

(١) الكروموسوم جسم صغير مستطيل يكون في نواة الخلايا التي تتألف منها اجسام الحيوانات والنباتات وهو في غالب الاحيان لا يرى الا قبيل انقسام الخلية. وعدد الكروموسومات في نوع واحد من الحيوانات او النباتات واحد لا يتغير

والنصف الآخر في الجانب الآخر ثم تتحد كروموسومات كل جانب من هذين الجانبين فيتألف من اتحادها نواة لكل خلية من الخليتين الجديدتين

وقد أثبت الباحثون انهُ حينما يتم الاتحاد بين جرثومة الذكر وجرثومة الأنثى ينقص عدد الكروموسومات في كل منهما الى نصف العدد الاصلي في ذلك النوع ولذلك متى تمَّ الاتحاد تولدت خلية جديدة فيها عدد الكروموسومات كاملٌ ولكنَّ نصفهُ جاء من ناحية الأب والنصف الآخر جاء من ناحية الأم

***

ونشر الاب غرغور مندل النمساوي سنتي ١٨٦٦ و١٨٦٧ خلاصة تجارب جربها في تضريب البازلاَّ في اعمال جمعية التاريخ الطبيعي في بلدتهِ برن . وابان فيها انهُ بعد ما لقح بازلاَّ طويلة ببازلا قصيرة وجد النسل في الجيل الاول كلهُ من النوع الطويل . ولما لقح النسل الجديد بعضهُ من بعض انتج نسلاً بعضهُ طويل وبعضهُ قصير بنسبة ٣ الى ١ . ثم لقح النسل القصير بعضهُ من بعض فانتج نسلاً كلهُ من النوع القصير ولكن لما لقح النسل الطويل بعضهُ من بعض انتج نسلاً ثلثهُ من النوع الطويل واستمرَّت هذه الصفة في نسلهِ والباقي متى لقح بعضهُ من بعض انتج نسلاً مختلطاً بنسبة ٣ من الطويل الى واحد من القصير

نشر مندل اكتشافهُ هـذا في مجلة علمية غير مشهورة فلم ينتبه لهُ العلماء او الباحثون في حياتهِ ولكن العالِم هينو ده ڤريس مدير الحدائق النباتية في امستردام كشف سنة ١٩٠٠ ما كشفهُ مندل قبلاً وكان اذ ذاك يجرب تجاربهُ في نبات evening primrose ولما بحث فيما كُتب قبلهُ في هذا الموضوع عثر على ما كتبهُ مندل فعُرف مندل بعدئذٍ بانهُ اول من كشف حقيقة من اهم حقائق الوراثة

ووجد ده ڤريس وغيرهُ من الباحثين ان السبب الحقيقي الذي يسبب ما كشفهُ مندل من حقائق الوراثة قائم على فعل الكروموسومات في جرثومتي الذكر والانثى وقت التلقيح . فاذا رجعنا الى البازلاَّ التي جرب مندل تجاربهُ فيها وجدنا ان الطول صفة متغلبة (٢) والقصر صفة مغلوبة (٣) . فاذا لقحنا نوعاً من البازلاَّ فيهِ صفة الطول وهي صفة متغلبة من نوع آخر فيهِ صفة القصر وهي صفة مغلوبة ظهرت الصفة المتغلبة في نسل الجيل الاول كلهِ . ولكنها لا تظهر الاَّ في ثلاثة ارباع النسل في الجيل الثاني . وظهرت

(٢) ترجمة dominant ويراد بها الصفة المتأصلة في النوع
(٣) ترجمة recessive ويراد بها الصفة المحدثة فهي ضعيفة لقرب العهد بها

الصفة المغلوبة — اي القصر — في الربع الباقي . وهذا الربع وثلث النسل الذي تظهر فيهِ الصفة المتغلبة في الجيل الثاني ينتج نتاجاً من نوعهِ اذا لقح بعضهُ من بعض . اي تجد عند التحقيق ان ربع النسل في الجيل الثاني تظهر فيهِ الصفة المتغلبة حقيقة والربع الآخر تظهر فيهِ الصفة المغلوبة حقيقة واما النصف الباقي فرغماً عن ظهور الصفات المتغلبة فيهِ الاَّ انهُ يحوي مزيجاً من الصفتين تظهر في نسلهِ

وقد اثبت ايضاً انهُ حين لقّح النوعان احدهما من الآخر كان في البيوض الملقحة بعض كروموسومات تحوي الصفات المتغلبة في احد الوالدين وكروموسومات اخرى تحوي الصفات المغلوبة في الوالد الاخر فظهر في النسل الصفات المتغلبة وبقيت الصفات المغلوبة كامنة غير ظاهرة . فلما تزاوج افراد هذا النسل جاء ربع البيوض الملقحة حاوياً كروموسومات فيها صفات متغلبة وربع آخر يحوي كروموسومات فيها صفات مغلوبة ونصف الباقي يحوي كروموسومات فيها صفات متغلبة ومغلوبة معاً . ومع ان بيوض الاخير تنمو نسلاً جديداً تظهر فيهِ الصفات المتغلبة الاَّ ان الكروموسومات التي فيها الصفات المغلوبة تكون كامنة في هذا النسل وتظهر صفاتها المغلوبة في الاجيال التالية

وقد ظهر ان كثيراً من النباتات والحيوانات فيها صفات متغلبة واخرى مغلوبة فجاءت الاكتشافات التي بسطناها سابقاً في حقيقة الوراثة ذات شأن نظري كبير في درس الوراثة وملابساتها وشأن عملي في تربية النباتات والحيوانات

***

واثار كتابُ دارون في اصل الانواع عجاجة من المناقشة والجدال كان كثير منها حادًّا وكانت النتيجة ان كلّ من يؤبهُ لهُ في العالم العلمي قَبِل مذهب النشوء . فلما كشف العلماء طبيعة النواة واحوال الكروموسوم اتخذها العالم وَيسمن وبني عليها مذهباً معقداً في استمرار مادة الجرثومة الحية من جيل الى جيل اكمل بهِ مذهب دارون في الانتخاب الطبيعي . وحارب بما اوتيه من قوة العارضة رأي لامرك في وراثة الصفات المكتسبة

وعرض للعالم ده ڤريس في تجاربهِ في النباتات والحيوانات تغيرات أو تحولات فجائية كبيرة الشأن ظهر فيها ميل الى الثبوت والظهور في النسل جيلاً بعد جيل فدعا هذه التغيرات (mutations) او التحولات الفجائية . وكان دارون قد عرف وجود هذه التحولات الفجائية الا انهُ لم يعلق عليها شأناً كبيراً بل جعل المقام الاول في النشوء للانتخاب

الطبيعي الذي يقوم على تحولات بطيئة متتابعة . فقام اتباع ده فريس يحطون من قيمة مذهب دارون لان التحولات البطيئة في رأيهم تضيع في التزاوج فنتج عن الجدال الذي ثار حول الاسلوب الذي جرى عليهِ النشوء — لا حقيقة النشوء ذاتها — ان بعض الناس المتعصبين على مذهب النشوء والذين لا يعرفون سوى القليل عن حقائقهِ اخذوا يشيعون ان العلماء شرعوا يتحولون عن تأييدهِ . ما من قول ابعد من قول هؤُلاء عن الحق . ان مذهب النشوء لم يكن في زمن من الازمان اقوى اتباعاً واكثر تأييداً منهُ اليوم . وقد صار لهُ اثر كبير في كل فروع العلم والفلسفة . فقد كان من اثرهِ في الخمسين سنة الماضية ان جعل درس علوم الحيوان والنبات والتشريح ووظائف الاعضاء والاجنة وطبقات الارض والفلك سهل التناول واضح الدلالة والاسلوب وقد استخلص العلماء من هذه العلوم ادلة جديدة تؤيد مذهب النشوء

اما عن موقف مذهب دارون في الانتخاب الطبيعي فاننا نعلق شأناً كبيراً على الرأي التالي لانهُ رأي الفرد رسل ولس الذي خطر لهُ مبدأ الانتخاب الطبيعي حين كان دارون يستعد لنشر آرائهِ ومباحثهِ التي اجراها مدى عشرين سنة سابقة لذلك العهد . وقد قُدمت رسالتا دارون وولس الى الجمعية اللينوسية بواسطة صديقيهما ليل وهوكر . وهاك ما قالهُ ولس « ان نظرية الانتخاب الطبيعي اي زوال ما لا يصلح للبقاء من الاحياء و بقاء ما يصلح لهُ تعليل معقول لصيرورة كل الانواع الموجودة صالحة للاحوال التي هي فيها وتولُّدها من انواع اخرى مشابهة لها كانت في الارض في العصور الغابرة. فهي بهذا المعنى تعلل اصل الانواع وبها نستطيع ان نتصور كيف نشأت الانواع كلها من نوع واحد او انواع اولية قليلة وذلك بالرجوع الى ما نجدهُ من احافير الاحياء في العصور الجيولوجية وتطبيق هذا التعليل عليهِ. فالانتخاب الطبيعي يتناول سبب التغير في الاحياء وتطبيقهُ وهذا ما كانت النظريات التي سبقتهُ تفتقر اليهِ ولذلك قبلهُ كل العلماء الطبيعيين وجمهور المفكرين من رجال العلم »

الفرد داي
استاذ العلوم الطبيعية
في جامعة بيروت الاميركية

العربية والتعريب

[عاد المجمع اللغوي المصري الى الاجتماع بعد غيبة طويلة وسيعالج مسألة التعريب كما عالجها في جلساته السابقة. وكما يعالجها المجمع العلمي العربي في دمشق فرأينا ان ننشر جانباً من خطبة نفيسة خطبها النابغة المرحوم احمد فتحي زغلول باشا شقيق الزعيم الكبير صاحب الدولة سعد زغلول باشا القاها في نادي دار العلوم سنة ١٩٠٨ ونشرت كلها في مقتطف ابريل تلك السنة . قال بعد مقدمة فلسفية مسهبة ما نصهُ]

سمعت في الاجتماعين الماضيين كلاماً كثيراً في اللغات الاجنبية وان لها اصلاً او اصولاً ترجع اليها وتستمد روح التجدد منها فاهلها في حلٍ مما يفعلون واما نحن فلا اصل للغتنا ويبنون على هذه المقدمة نتيجة هي انهُ يجب علينا ان لا نعرب كلمة اعجميّة لنضيفها الى لغتنا العربية

الحق اني ما فهمت النسبة بين تلك المقدّمة وهذه النتيجة فاني انظر الى اللغة اللاتينية التي هي اصل لغات ام اوربا المعروفة بهذا الاسم من فرنساوية وتليانية واسبانية وغيرها فاجدها لغات ممتازة تماماً عن ذلك الاصل بل اجد الفرنساوي من حيث هو لا يعرف كلمة واحدة من اصل لغتهِ وكذلك بقية من ذكرنا وارى ان كل لغة حية هي لغة مستقلة قائمة بنفسها لها قواعد خاصة بها وتراكيب وصيغ تميزها عن اصلها تماماً فاذا استعاروا لمحدَث جديدٍ اسماً من ذلك الاصل فانما هم يستعيرونهُ من لغة اعجميَّة بالنظر الى لغتهم . الا ترون انهم لا يقصرون الاستعارة على اللغة اللاتينية بل يتعدونها الى اليونانية القديمة واحياناً يستعيرون كلمتين من كل لغة كلمة وينحتونهما ويصقلونهما ويدمجون هذا المزيج في لغتهم فيصير جزءاً منها ويفسحون لهُ في كتب اللغة محلاً بين كلمتين اصليتين بحسب ترتيب حروفهِ الابجدية . .

انهم يعملون اكثر من هذا. ان لكل بلد عادات في اكلها وسكناها ولباسها واطوارها ويتبع ذلك وجود اسماءٍ عند قوم لمسميات لا يعرفها قوم آخرون الآن التجارة وطرق المواصلات تنقل هذه المسميات او تجعلها تشاهد في اماكنها من النازحين اليها فيرى اهل البلد ما يروقهم من بعض تلك الخصوصيات لاهل البلد الآخر ولا يجدون من لغتهم نصيراً على التعبير عنهُ تماماً لكنهم لا يحتارون ولا يقصدون الاجتماع تلو الاجتماع ولا يفترقون شيعاً واحزاباً بل يقدمون على تناول المسمى واسمهِ ويدرجون عليهِ من ساعتهم

فيمتزج بلغتهم و يعرفهُ الكل و يتحرّون في حديثهم ان يلفظوهُ كأنهم في نطقهم بهِ من اهلهِ . والامثلة على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم فترى الحكيم الفرنساوي وهو يقرر مذهبهُ عند ما يأتي على ما يخالفهُ من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنهُ بغير لفظهِ الالماني وهكذا ثم يذكر بهامش كتابهِ معناهُ

ما كان هذا ليفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الحنان والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الاَّ طلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربية عادة لتكون الالفاظ الغربية عن لغتهم برهاناً على سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمتهِ

قالوا ان ذلك جائز عندهم لتماثل احرف هجائهم واتحاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبَل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست ارى في هذا الاعتراض الاَّ انهُ دليل احد امرين فاما شعور بعجزنا عن المجاراة لفتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي ايضاً الى الاصلاح لنتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجعلنا ننطق بكلماتهم كما ينطقون وننقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن إما عرب او مستعربون وإما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما نقتضيهِ مصلحتنا . وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة و بكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا فليس من لهُ ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فمن لهُ ان يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم و يحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان

اخذ العرب العلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوهُ واخضعوا الغريب عنها لاحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسينا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والانزواء ، على انهم في عزهم و بُعد نخارهم وتمكنهم من انفسهم

لم يعتزوا بلغتهم فنفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيناً للغتهم وحذراً من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيهِ وخوفاً من ان يعيقهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تعاصرهم. أيجوز لنا ان نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة انهم انقرضوا و بادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نخطو بعدهم خطوة الى الامام. لكن من الذي استأجرنا حراساً من الحرس على هذه الوديعة و باي قوة اخضعنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال العزائم؟ انقص في الافهام ام قصر في الاجسام ام جهل باننا من البشر لنا كل حقوق الانسان

ليس لنا ان نتمسك بالقديم لقدمهِ وان اصبح عديم الجدوى والاَّ فاولى بنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا عن الآباء لنعيش كما عاش الاولون. غير اني ارجوكم ان تتعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابتكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم ولا تحزنوا اذا هصرتكم عوامل الرقي فنيتم بمن يقف متفرجاً عليكم وانتم كالصور المتحركة الناطقة لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانهُ وتنطق بلغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على السنة المتفرجين

جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربية وحسبوها طعاماً سهل التناول والهضم في معد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا اننا لا نطيق اسماً اعجمياً يدخل عليها

اليست هي تلك اللغة الحافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول الفصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسولهِ صلى عليهِ وسلم وهي لم تتأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها و يشد ازرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطمع الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابهُ المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلستم وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الاَّ بلغتكم فاعتنوا بها واصلحوها وهيئوها لتكون آلة صالحة فيما تبتغون لكن لا تكثروا من الاشتقاق الخارج عن حد القياس المعقول. ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجمةُ تهددها على السنة العامة وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل الجارف سدّاً من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند الضرورة لتكونوا من الناجحين.

الصراع

القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية

١

امين باشا هو الرجل ذو الثراء الكبير والمركز الادبي العظيم ، ورث عن اجدادهِ الاسم العريق والمجد الاثيل علاوة على الثروة الطائلة ، وكان شفوقاً سريع التأثر حسن النية . نشأ في مهد العز والدلال ، فشب محروماً من نعمة الشجاعة الحازمة ، التي تصحب من عرك الدهر، وذاق حلوه ومرّه . فكان حذراً الى حدّ الجبن ، متردّداً الى حدّ الضعف ، متأنياً الى حد التباطوء — وهدى ! ومن لا يعرف هدى بنتهُ الوحيدة ومناط آمالهِ ومسرة نفسهِ ، حوت الى الجمال الساحر واللطف الفتان ظرفاً عذباً وأدباً رائعاً وورثت العزيمة القوية عن بيت امها والعواطف الرقيقة عن بيت ابيها فنشأت ثابتة في غير عناد ، حازمة في غير عسف ، مترفعة في غير كبر ، شفوقاً في غير ضعف .... تراها فلا ينفرك منها تعاظل الشرقيات ولا تغريك بها خفة الغربيات . فهي لعوب في حصانة ، طروب في عفاف ، تبهجك منها الابتسامة الملازمة للثغر الشهي ، و ينزهها امامك الصون المسطور على الجبين الجميل فهي من نفس رائيها كأملهِ في الجنة ... حلو .... مقدس

٢

جلال بك هو العظامي الكبير الرجل القوي البأس المرهوب الجانب المطاع الأمر العزيز النفر . ورث عن آبائهِ الاتراك صفات ذلك الشعب الباسل الذي يحسبهُ اعداؤهُ ضعيفاً حتى ليلفوهُ في اكفانهِ و يدرجوهُ في نفسهِ ، فاذا بهِ يمزق من تلك الاكفان ضمائد الجراحهِ ، و يشقق من ذلك النعش عصياً يدفع بها عن حوضهِ ، واذا بهِ كما كان فتيٌّ قويّ ، بينهُ وبين الموت ما بين اعدائهِ واملهم في القضاء عليهِ .... ورث عنهم الارادة حتى ليسير الى غرضهِ و يدهُ في يد الموت — والقسوة حتى ليمزج الخمرة بالدماء — والمجازفة حتى ليقامر على رأسهِ — والتمرد حتى ليضع نفسهُ فوق القدر ..... لا يزال الناس يتهامسون فيما بينهم بقصة زواجهِ يوم ان لحظ الفتاة (جميلة)فاعجبتهُ فخطبها من ابيها الشريف الفقير فاكبر الرجل الامر وقدّر ان جلالاً بن كمال باشا ما كان ليخطب بنت فقير مثلهُ الاَّ لشهوة ساعة لا تلبث ان تمرّ وتتركها بين يديهِ كالثوب البالي يرمى في

مهانة وضعة . فرفض طلب جلال بك وفي المساء التالي كانت جرونهُ طعمة لنار شبت (قضاءً وقدراً) !! . فنصح الناس للرجل الاَّ ينطح برأسهِ الصخر فاستسلم ووضع حمامة بين مخالب الصقر وعاش بعد ذلك سنوات عشراً ولم يشهد ما كان ينتظر من اعراض جلال بك عن ابنتهِ . . . لان الذي لا تستطيع ان تجرهُ من عنقهِ تستطيع ان تقودهُ من قلبهِ والذي لا ينحني امام العاصفة يذوب امام العاطفة — اذن فما بين ضلوع جلال بك لم يكن القسوة التي يتحدث عنها اهل اسيوط . ولا الاجرام الذي كان اشجعهم يجسر ان يهمس بهِ لنفسهِ اذا ادخلهُ سوء الحظ في مسار جلال بك فاخرجتهُ يد جلال محطماً مهشماً ، ولا الشهوة التي تختطف الصبايا لتعتصر جمالهن ، وتسكر بذلك الرحيق فتحطمهن في نشوتها . . . ولا هو ذلك الطغيان الذي يسير الى غرضهِ فوق الرقاب ، و يمشي دائساً القصور والقبور غير مكترث ان كان سبيلهُ مفروشاً بالازاهر ام مرشوشاً بالدماء ، كل ما هنالك ان الرجل قوي... قويٌّ في جورهِ وفي رحمتهِ،جبار في سخطهِ وفي رضاهُ،حادٌ في نقمتهِ وفي نعمتهِ ، متطرف في كراهتهِ وفي حبهِ،فهو فلذة من العواطف تضرب في مناكب الارض من ذلك النوع من البشر ذي القامة المتعالية الدقيقة التي تحمل وجهاً أسمر حاداً وشفاهاً رقيقة متضامة وعيوناً غائرة متقدة وجبيناً شريفاً مقطباً ورأساً اشمط مرفوعاً. ذلك النوع الذي يهبط الارض ليحكم الارض و يسير بين الناس ليسود على الناس . وخير ملخص لاخلاق هذا الرجل هو قصة زواجهِ ففيها النقمة والنار وفيها الحب والسلام ، فيها النفس المهتاجة الغضوب المستبيحة وفيها الروح الوديع الهادي البرئ .واثمر هذا الزواج فتى قصتنا عصاماً

عصام هو ذلك الشاب القوي البنية المتين التركيب الصبيح الوجه ، الراجح العقل، السريع الخاطر الواسع الصدر ، ورث عن ابيهِ الارادة الحديدية ، وورث عن امهِ الصبر والرصانة ، فنشأ جماعا .. فيهِ عُدة القويّ عن ابيهِ وعُدة الضعيف عن امهِ وشبَّ عصام ابن ابيهِ فكان في صباهُ سيد عشرائهِ وزعيمهم يقودهم في ألعابهم و يرأس لهم سهراتهم ، وكانت عينا هدى النجلاو ين الجميلتين لا تشبعان من النظر الى عصام وقلبها لا يرتوي من الاعجاب بهِ كما كانت كل اعمال عصام ترمي الى ارضاء هدى واحراز اعجابها — وكثيراً ما كانت تشفع لديهِ فيمن يوقعهم عصيانهم لامرهِ تحت طائلة غضبهِ ، فكانت تلقي اليهِ رجاءها باسمة ، فيسرع الى اجابتهِ طروباً .وكثيراً ما كان يعمد الى التظاهر فتدرك حيلتهُ وتعرض ، فلا يلبث تغاضبهُ ان ينقلب غضباً ، و ينهال على الولد ضرباً ولكماً ، فتسرع الى الرجاء في اذعان مدلٍ متجنٍ ، و يسرع الى التلبية في غضب منتصر مكبوح ،

وكلاهما معجب بصاحبه، عاطف عليه. وان لم تكن هذه هي بذرة الحب فماتكون بذرته ؟؟
ونمت هذه العاطفة المبهمة في ذينك القلبين الصغيرين فاذا بها حبٌ جبار، لا توهنهُ آلام الفراق، ولا تصدهُ قيود الحجاب

٣

لا حديث للناس الاَّ الترشيحات والانتخابات ولا همَّ لهم الاَّ ما سمعوهُ من ان يوسف افندي بدر الدين مُرشَح ليزاحم امين باشا في دائرة مركز اسيوط وان جلال بك اكبر الملاَّك في الدائرة وسيد مزارعيها وقائد رأيهم لا يزال متردداً لا يدري الى اي جانب ينحاز
وفي مساء ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٣ كان جلال بك مدعواً للعشاء في منزل امين باشا وبعد ان فرغا من تناول العشاء انتقلا الى غرفة السهرات وكلٌّ منهما ينتظر ان يكون صاحبهُ البادىء بفتح موضوع الانتخابات وكان جلال بك يحمل قصبة النارجيلة وهو متكىءٌ في مقعدهِ وعلى وجههِ ملامح فروغ الصبر وكان امين باشا غارقاً في مقعدهِ وعلى وجههِ ملامح الجزع والتردد . اخيراً استجمع امين باشا كل ما فيهِ من قوة ثم قال : ان الطقس في هذه الايام سيء جداً . فقال جلال بك وهو يمسح فاهُ بيدهِ ليخفي ابتسامة سخرية كانت تلعب على شفتيهِ : نعم خاصة لمن هم مثل سعادتك ممن ألفوا ظلال القصور والمكاتب ثم قامت الانتخابات على ساقها فوجدوا انفسهم مضطرين للتجول في القرى والدساكر تحت اشعة الشمس المحرقة وبين الروائح العفنة المتصاعدة

— نعم . . . فإن . . . . نعم . . . .
نعم ان الامر شاق ولكن مركز سعادتكم الادبي كفيل بتوفير الجانب الاكبر من هذه المشقة واي الناس لا يسرهُ ان تتاح لهُ فرصة ليظهر ودادهُ واعجابهُ بامين باشا ادامكم الله — انَّا لم يطمعنا في الانتخابات الاَّ ما ذكرتم وثقتنا التامة انكم . . . . ان عزتكم لا بدَّ معضدونا بنفوذكم في الدائرة . . . . !
اما نفوذي في الدائرة فامرهُ معلَّق لانك تعلم ان خصمك لم يدخل في الانتخابات الاَّ ارتكاناً على نفوذي في دائرتكما . بل أمعن من ذلك اني قد يخطر ببالي أنا ايضاً ان أزج بنفسي في الانتخابات فأختص نفسي بهذا النفوذ بدل ان ابقيهُ ميداناً لتقاتلك وخصمك. ثم خفض من صوتهِ وقال: ولكن لا يخفى على سعادتك ان المعاملة هي تبادل المنفعة
— ان كل ما ملكت يداي تحت مطلق . . .
— ان كل ما تملك يداك مكتوب على سلامتك خالد لك بخلودها بأذن الله وليس لي

في شيء من ذلك مطمع الاَّ اني يا ابا هدى معجب بفتاتك

— انها ابنتكم على كل حال — اني أريدها زوجة لا ابنة

— ان عصاماً من .. وهنا وثب جلال بك عن مقعدهِ وهو يقول

— عصمت ووُقيت.وما حشرَ عصاماً بيننا ؟؟ اني أحدثك عن نفسي لا عن عصام اني اريدها زوجة لي لا لعصام

وكان امين باشا قد وقف وهو ينتفض بين يدي هذا الرجل القوي كما تنتفض الشجرة الغضة امام العاصفة الجتاحة لكنهُ استجمع بقية جهد مفرق فيهِ وقال

— اني لم افطن الى ما تريد من اول الامر بل ظننت

— دعنا مما ظننت وحدثنا فيما تظن الآن ... ثم طرح جلال طربوشهُ في غضب على طرف مقعدهِ واشار الى رأسهِ وقال

— ايغرك ما انتثر من بياض بين هذا السواد ؟ لا فوالله ما توجَّتْ هذه اللمة الاَّ عزمة تأكل النار ولا تأكلها النار—وبأساً يغرق البحر ولا يغرقهُ البحر ... ما شاء الله أتراني عجوزاً تمجني الصبايا ؟ ان كانت بنتك تطمع في القوة فانا رجل او في الهمة فأنا بطل أو في الرونق والهندام فانا لست بالدميم الزريّ بل انا ... انا ... انا ما ترى ... وليس ما ترى بضئيل . وان كان مطمعها في المال فلأنثرنَّ الذهب تحت اقدامها حتى ليستوي لديها التراب بالنضار — وان كان في العظمة والنفوذ فوالله لافرشنَّ لها بساطاً من رقاب الناس وآماقهم . وان شكّت في شيء من هذا فلتسألنَّ اباها وهو خبير عليم

— تنزه كلامك عن الشك يا بك

— وتنزه كلامك عن المواربة ياباشا ، فما لك تداورني ولا تظفرني بجواب. الامر واضح جلي فانت امين باشا بن سامي باشا بن عبد الحميد رشيد باشا وانت وانت وانت اما خصمك فهو فتى محامٍ كان يدفع نفقة المدرسة من جيوب المحسنين ، ابوهُ حائك ، وامهُ بنت خائط ثياب فهو حقير زريٌّ لحمةً وسدىً . ولكنهُ ، والحق على مضاضتهِ يقال ، أحب الى قلوب الناس وأدنى الى اوساطهم واقرب الى عقلياتهم ، فهو ، ان لم تتدخل في الامر عوامل غريبة ، قاهرك لا محالة ، وهادم الصرح الفخم من العزة الذي ابتناهُ اجدادك بجهادهم القرون الطوال ، فانت ترى ان الموقف دقيق والمركز حرج ، لا يحتمل التردد او المطاولة.فعجل واختر لنفسك ما يحلو

وقد توالت الحوادث على امين باشا توالياً سريعاً مزعجاً يخالف ما ألفهُ من بطء وتأنٍ

فهو الآن مأخوذ مدهوش كالفارس المبتدئ جمح به الجواد الحرون، فتراهُ مضطرباً مرتاعاً يفتح فاهُ ليتحدث، فيأخذ عليهِ جلال الطريق، فتبقى كلمتهُ بين شفتيهِ، حائرة كالريشة، مترنحة كالسكران، ميتة كأوراق الخريف ولكن جلالاً قد سدّ عليهِ حتى طريق التلكؤ، وزجّ بهِ في مفترق لا بد فيهِ من الاختيار، فاما ان يحتمل مرارة الهزيمة، ويهرب امام فتى وضيع، او ان يضع فتاتهُ بين ذراعي جلال بك، وهو في سن أبيها فينسج ثياب زفافها من بياض رأسهِ، ويصطنع لشبابها نعشاً من عظام شيخوختهِ — يا للقدر الظالم

أخيراً فتح امين باشا شفتيهِ وقال

— ان هذا الشرف .... نعم شرف عظيم ولكن لا بأس من مراجعتها ؟

— مراجعتها !!! مراجعتها !! ما شاء الله ! كأني لا أحدث امين باشا. من هي تلك التي تراجعها ! افتاتك ؟ وان كنت لا تستطيع ان تجعل بنتك التي انت مانحها الحياة تثق بك في اختيار زوجٍ لها، فكيف تريد ان اغتصب لك ثقة الالوف من الناس؟..... قبل ان تطلب من الناس ان يكونوا سادة خارج منازلهم كن انت اولاً سيداً داخل دارك. — اسمع يا امين باشا. ان الله الذي اطلق الأسد في الغابات، هو الذي ارسل لها الظباء طرائد واقواتاً — والله الذي خلقنا بحيث ينشأ الابناء بارادة الآباء، بل امعن من ذلك بحيث يقتطع الابن من ابيه، قصد ان يجعل من الابناء توابع للآباء لا اكثر ولا اقل — والله الذي فرش الارض بساطاً للكسول العاجز ومدّها ميداناً للنشيط القوي قصد ان يجعل بعضنا ارباباً لبعض

بل الا ترى في استوائهِ، جل وعلا، في عرشهِ، واستئثارهِ بالسلطة دون من اسكنهم الارض والسماء والجحيم، مظهراً رائعاً اخاذاً من مظاهر السلطة والجبروت ؟ ولو شاء الله لما اعجزهُ ان يجعل الغاب مرتعاً للظباء فقط، او مقيلاً للآساد فقط ولما ارهقهُ ان يجعلنا كلنا بشراً متساوين، لا أبوّة فينا ولا بنوّة، ولا مقدرة ولا عجز، بل لما استأثر هو « قدوة الكل وقبلة انظارهم » بعرشهِ دون خلقهِ

نظام السيادة سيطر ويسيطر وسيسيطر على الناس، الى ان ترفع الشمس جاذبيتها عن الكواكب، وتبطل العاصفة غضبها على الاشجار، وتسحب الكفاءات من النوابغ حتى يستووا مع المجموع الضعيف، الى ان تسمل العيون حتى يصبح الكل عمياناً كالاعمى، وتصلم الاذان حتى يصير الجميع صمّاً كالاصم — ان الى ذلك الزمن فسيستوي الجميع امّا اليوم فالحكم للقوة رغم الانوف وانا متوسم فيك انك لست الرجل الذي يعجزهُ ان ينتقي

لفتاتهِ الزوج الذي يراهُ اصلح لها ثم يقنعها بقولهِ ...... انك تستطيع ان تثق ثقة مطلقة انك فائز في الانتخابات لان الامر موقوف كما تعلم بعد ارادة الله على ارادتي

ــ اني اعلم ذلك حق العلم ، واني مقتنع انك خير زوجٍ لابنتي ، بل انا راضٍ عن زواجك بها ، وان شاء الله بعد ثلاثة ايام ، استطيع ان اخبرك ان الامر في حيز المقضي

ــ وانا لا اريد احراجك فلنفترق على هذا الاتفاق . ثم وقف ومدَّ يدهُ لامين باشا فوضع امين باشا فيها يداً باردة مرتجفة . واستأنف جلال بك حديثهُ ، وهو يشد بيدهِ على يد امين باشا قائلاً بتمهل واقناع ــ في مثل هذه الساعة بعد ثلاثة ايام ، انتظر ان اسمع منك ما يدلني انك قد اعتزمت ان تفوز على ذلك الصعلوك واني اذكرك للمرة الثانية ان الامر بيد الله ويدي... السلام عليكم يا باشا . ــ السلام عليكم يا بك ورحمة الله وبركاتهُ ــ مع السلامة ....

٤

اصبح امين باشا محطماً من آثار معركة الامس ، وها هو غارق في مقعدهِ معتمداً رأسهُ المكدود بيديهِ ، مفكراً في فتاتهِ الحلوة ، التي كان يمني نفسهُ ان يزفها الى الشاب الذي يعشقهُ قلبها ، الذي يسد الفراغ الناشئ عن انخرامهِ من نسل الذكور ، الشاب السعيد الذي سينال الى قلب هدى عطف ابيها وبركة روح امها . هذا الشاب الذي كان امين يحبهُ قبل ان يراهُ ، وقبل ان يعرف من هو قد حذف اسمهُ من جدول العائلة قبل ان يكتب وعاد محلهُ فراغاً ــ وانتزع رسمهُ من خيالات امين الحلوة قبل ان تتحقق تلك الخيالات ــ وامتلأ محلهُ بالغصة ــ وكان امين باشا يرتعد وهو يسمع شيئاً في قرارة نفسهِ يصيح فيهِ « ايها المجرم انك لست اهلاً لابوة ذلك الملاك » ...... اخيراً رفع رأسهُ ودق الجرس . ــ استدعِ سيدتك هدى

دخلت المليحة في ثوب ابيض فضفاض ، وعلى وجهها ابتسامة ملائكية زادت هدير اللعنة في اذان امين باشا ، وعلا صوت ضميره يناديهِ « ايها المجرم انك لست اهلاً لابوة ذلك الملاك » .....

ولكن امين باشا اقتطع من ضعفهِ قوة حرك بها اعصاب وجههِ بما يشبه الابتسامة ، ثم امسك معصمها واجلسها الى جانبهِ وقبل جبينها قبلة كلها عاطفة ، واستشعرت هي ان في الامر شيئاً غريباً ولكنهُ اعجم عليها . فتح الباشا شفتيهِ في الم خائر وقال

ــ اني قد انتقيت لك زوجاً ملائماً يا هدى

اجتهدت الفتاة ان تقنع نفسها ان اباها هازل لا جادّ ، ولكنها رغم ذلك ضحكت مرتاعة مذهولة وهي تقول « هذا غريب يا ابتاهُ »

— وهنا جال بخاطر الباشا ان الفتاة تقهقه وهي تتلقى من فم القدر الحكم على روحها بالاعدام فلِمَ لا يتجلد هو ايضاً وهو يسمع قاضي الضمير يأمر بتجريدهِ من ابوتهِ ····· شجعهُ الفكر ، فاستقوى ، وضغط على اصابعها قائلاً :

— جدي ايتها الشقية الصغيرة فليس ابوك هازلاً . اني قد اخترت لك رجلاً لا كالرجال واسع النفوذ — مرهوب الجانب — طائل الباع وهو فوق كل ذلك حكيم خبير لا تفوتهُ فائتة ولا ·····

— يا لله ، يا لله ، كانك تصف لي نمراً عجوزاً يا ابتاه لافتى ظريفاً رشيقاً كامين باشا ، حلواً مدللاً كابنتهِ هدى

— نعم — فاني انتقيت لك رجلاً لا مهذاراً ، وزوجاً لا دُمية نعم رجلاً ذا ارادة حديدية ، وعزم متوقد كالجمر ، ومهابة رائعة كابطال الخيال ، ونفوذ كبير يملأ العين . رأسهُ مرتفع فوق الرؤُوس وصوتهُ مسموع بين الاصوات وهو فوق ذلك ذو رونق وابهة

وقفت هدى ووجهها يلمع ، وعيناها تقدحان شرراً من نفسها الملتهبة ، وصدرها يعلو وينخفض تحت ضغط عواطفها الثائرة . وقالت — الفولاذ قوي ولكني لا احب الفولاذ — والنار متقدة ملتهبة ولكني لا اعشق النار . وقمم الجبال العالية مهيبة رائعة ولكني لا اتزوج قمم الجبال ، والموت نافذ الكلمة مسموع الامر ولكنني امقت الموت — والشفق ذو رونق وبهاء ولكني لا اطمع في الشفق ····· انا لا احب القوة ولا التلهب ولا المهابة ولا الرونق ، ولكني احب حبيبي الذي اختارتهُ روحي وانتقتهُ نفسي ، واحبهُ هو وحدهُ ، احب نقائصهُ قبل فضائلهِ ، واعشق ضعفهُ قبل كمالهِ ، وملءُ الارض من القوة والتلهب والمهابة والنفوذ والرونق لا تستطيع ان تستغويني لارفع بصري عن حبيبي الضعيف الناقص ثانية واحدة لانظر اليها ثم اعود لانغمس في حبهِ ..

ثم رفعت صوتها بحيث تستطيع ان تتبين فيهِ نواح الروح . قائلة — انت لا تشتري لي حذائي فلماذا تنتقي لي زوجي ؟ انك لم تلج مقادس روحي فكيف تستطيع ان تعرف اللائق بسكناها ؟

— اسمعي يا ابنتي انك لا تستطيعين ان تجدي زوجاً احسن من الذي انتقيتهُ لك — على وجه الارض فتيات كثيرات اجمل واعقل والطف من بنتك هدى ، فلِمَ

تحب هدى من دونهن ؟ وفي بطن الارض رموس كثيرة هي صناديق لذكريات اعطر عن نساء اجمل واكمل ، وربما اعف وابر من أمي زوجتك التي اختطفها الموت من بين يديك — فلماذا لا تسكب عصير قلبك الآن على قبرها ولا تهتز اوتار روحك الآن لذكراها ؟ ذلك لاننا لا نحب الافضل ولكننا نحب الذي نحبهُ

ــ هدى ... هدى ... اقتربي لنتفاهم ... حكمي عقلك ...

ــ العقل يحكم في المصلحة والقلب يحكم في الحب ، فموازين عقلي لا تستطيع ان تزن عواطف قلبي كما لا تستطيع عيناك ان تقدر الشذي في النسيم المعطر. هذه قسوة يا ابتاهُ

ــ هدى لا تلوميني اذا رفعت يدي لانك لا تعلمين ان كنت ساضربك ام ساباركك ، ولا تصدري حكمك على ما في يدي وهي مطبقة لانك لا تعرفين ان كان ما فيها عقرب ام زهرة ــ ان الزوج الذي اقدمهُ لك يرضيك بلا شك ... هو جلال بك ــ

ــ وثبت هدى على قدميها ثم تهالكت على كرسيها و يدها مبسوطة الى الامام كأنها تدفع بها شرًّا غير منظور وصاحت ــ ابوهُ . ابوهُ . ثم غطت عينيها براحتيها وصاحت « انك تبيعني في سبيل الانتخابات يا ابي »

وهكذا وقعت الضربة في مواطن الضعف ومزقت المدية غشاء الجرح القديم وانتصب لرجل البائس الحزين المتألم مخلاً كعمود من الدخان ثم سقط مترنحًا كنخلة نخرة .... سقط امين باشا مغميًا عليهِ ...

وثبت هدى عن كرسيها ، وقد ضعفت روحها لانها انقسمت على بعضها ، وتلاشت قوة نفسها لان العاطفة فيها وقفت في وجه العاطفة فقامت البنوة تحارب الحب ، والتضحية تقاوم الثبات ووسط معامع هذا الصراع الهائل كانت الفتاة مشتغلة عن روحها وثورتها بجسد ابيها الساقط بين ذراعيها ــ فكانت تصرخ وتصيح وتدق الجرس بيأس وجنون

ــ احضروا المأذون ــ استدعوا جلال بك ــ كلا ــ بل استدعوا الطبيب اولاً ، اذهبوا ايها الخشب المسندة ــ ساتزوجهُ يا ابتاهُ ساتزوجهُ يا ابتي ... يا ابتي ...

فتح امين باشا عينيه وهما اشبه بعيني الغريق الذي يمسك التعبان مما بعيني الآباء ، موارد الرحمة والحب وسمع كلمات هدى الاخيرة « استدعوا المأذون وجلال بك.... سأتزوجهُ يا ابتاهُ ساتزوجهُ » فرفع رأسهُ ومد يدهُ المرتعشة ليباركها كما كان رئيس الكهنة في الماضي يبارك الذبيحة المرفوعة عن خطية الشعب (التتمة في الجزء التالي)

ملوي سليم شحاته

اسلوب الفكر العلمي

نشوءهُ وتطورهُ في مصر خلال نصف قرن

نشوء اساليب الفكر، سواء اكانت علمية ام ادبية، وتغير نزعات الفن، واختلاف السبل التي تنحيها الآمال او تمشي فيها العواطف او تثور من اجلها الانفعالات، كلها منازع لا تدل على شيء بمقدار دلالتها على ان للامم حياة كامنة، تختفي وراء الظواهر الاجتماعية التي نقع آثارها تحت حسنا. على اننا ان مضينا في بحثنا هذا مؤْمنين بان لاساليب الفكر نشوءًا وان لنزعات النفس مناهج تتغير وتتحول، وان للآمال التي تجيش في الصدور والعواطف والانفعالات التي تمتلئُ بها المشاعر مناحي خاصة ومنازع تتبدل ولا تثبت على حال، فانما نمضي في ذلك مقتنعين كل الاقتناع بان للاساليب الفكرية وما اليها من مظاهر الحياة الكامنة حياة تنقضي، كحياة الافراد، وان نشوءها وتطورها خاضع جهد الخضوع لسنن الحياة وان كان من الصعب ان نعرف من حقيقة تلك السنن شيئاً او نستبين من خوافيها امراً

تتكون الحياة الكامنة في الامم من مجموع تلك «الآمال الغامضة المبهمة التي تجيش في صدور الآلاف المؤلفة من ابناء آدم وهم عاجزون على اقناع شهوتها او التعبير عن حقيقتها، والسقطات والهزائم التي تمرُّ في عالم الحياة من غير ان يعرفها احد أو يهتم بها انسان، والرغبات التي تعيش في صدور الناس ممتدة في سلسلة من التواصل والتتابع غير متناهية، او تتشكل في صورة ما من صور حياتهم، والمحاولات التي يتشبث بها الناس ابتغاء الوصول الى حل المشكلات العملية التي يمليها الطمع عليهم، او تبعث بها الحاجة في النفوس، وتلك الساعات الطويلة التي ينفقها محبو العلم سدى، طمعاً في الوقوف على اسرار الطبيعة — جماع هذه المجهودات المخبوءة وراء استار الحياة، هي التي تكوّن ذلك الهيكل الذي نسميهِ «فكر الامة»، ولا يطفو منهُ ظاهراً على سطح الحياة الأجزء ضئيل بارز في صورٍ من الادب او العلم او الشعر او الفن او المنتجات المادية»[1]

اذن ففي مشاعر الناس وآمالهم وانفعالاتهم وعواطفهم، وفي اعماق تصوراتهم يجب

---

(١) راجع الاستاذ مرتز في مقالة نزعة الفكر الاوروبي في القرن التاسع عشر ص ١٥و١٦ من الطبعة العربية

عليك أن تتغلغل مسترشداً بمصباح ديوجنيس (١) لتفتش في تلك الاغوار عن ضالتك ، اذا اردت ان تتكلم في اساليب الفكر او تعبر عن شيء من اسرار الحياة الكامنة في تضاعيف الام، على انك لا محالة عاجز عن ان تبلغ من التغلغل في صميم تلك الاغوار الى نهاية تلمس فيها الحقيقة العلمية ، او تبلغ عندها الى الاسباب التي تحرك الجماعات وتقسرها على ان تتبع من الحياة طريقاً ما

من هنا نعلم علماً حقاً ان الوقوع على نقطة ابتداء نبدأ منها سفرنا في تقصي الاسباب التي تغير من اساليب الفكر امر بعيد مناله ان نحن بحثنا وراءه في حياة الام الكامنة . لهذا يجب علينا ان نرجع الى ظواهر الحياة الملموسة لنتخذ منها نقطة ابتداء نتقصى بها شيئاً عن المتجه الذي يتمشى فيه الفكر، وان ندرس الاسباب الظاهرة التي حدت بالجموع البشرية الى اتباع سبيل دون غيرها او الاستنامة لفكرة او مذهب او مبدأ دون ان نتصور يوماً ان في مستطاعنا معرفة الاسباب الحقيقية المستترة وراء تلك الظواهر

«خُصّت بعض عصور التاريخ بقيام حركات فاصلة ، وحوادث عظيمة امتصت كل القوى العاملة النشيطة ، واندمجت فيها كل العناصر العقلية والتخيلية ، حتى انك تجد ان تلك الحركات قد مضت مستبدة بامرها إما لتخضع كل القوى المنيعة في عصر ما للعمل في سبيل ابراز غرض معين ، او تثبيت فكرة بذاتها ، وإما ان تلفيها وقد جرفت امامها كل شيء الى جو من التنازع والجلاد ، يوجه بكل ما فيه من مختلف الصور والقوى الى تزكية الحادث الرئيسي الذي تلتف من حوله قوة الفكر والعناصر . والامثال التي يرويها التاريخ كثيرة منها تلك القرون الطويلة التي يقص اخبارها تاريخ اليهودية ، والعصور الاولى التي أينعت فيها الكنيسة النصرانية ، والزمان الذي تقشعت فيه عن المدنية سلطة اللاهوت ، وزمان الاصلاح البروتستانتي ، وعهد الثورة الفرنسوية »(٢)

في مثل هذه العصور لا يعوزك البحث ان تعنت نفسك باحثاً وراء نقطة ابتداء ترتكز عليها وتتخذها لبحثك اساساً . في حين انك تمر على قرون أخرى من الزمان مرّاً سراعاً فلا تجد فيها من حادث يلتئم من حوله الفكر او اشخاص يجذبون بقوة عقولهم او ثورة مشاعرهم او قوة انفعالاتهم او تأجج عواطفهم عقول الناس حول فكرة او مذهب او مبدإ تتخذ منه نقطة ارتكاز ترتكز عليها . قد تعجز عن ان تجد نقطة ارتكاز ترتكز عليها في عصر برمته

(١) فيلسوف يوناني من المدرسة الكلبية Cynics كان يمشي في وضح النهار وبيده مصباح منار فاذا سئل عن ذلك اجاب افتش عن انسان (٢) عن مرتز

من عصور التاريخ . وقد نعجز عن ان نقع على ذلك في تاريخ امة ، وقد تفوز بامنيتك في تاريخ امة اخرى . فهل نقع في تاريخ مصر الحديث ، لا في تاريخها القريب منذ نصف قرن ، بل منذ قرن ونيف من الزمان ، منذ ان غزا نابليون ارض مصر الى اليوم ، على حادث التأم من حوله الفكر التئاماً يكفي لان يغير من اساليب الفكرة العلمية او الادبية ؟

لم يترك فتح نابليون لمصر من اثر بين في تغير اساليب الفكر . فقد وطئت اقدام الجيش الفرنسوي مصر وتركتها واهل مصر في فجوة من كهف الزمان ، بل في اعمق نجواته ، ما تحركت فيهم شاعرية ولا انفجر فيهم انفعال ولا اهتزت لهم مشاعر

لا يعوزنا لاثبات هذه النظرية من دليل . فان اكبر علماء الازهر ، كانوا اذ ذاك اكبر عون لنابوليون وتحقيق مطامعهِ ولم يهتز في مصر عرق ولا نبَضَ لها قلب . السبب في كل هذا ان الحياة الكامنة او الفكر الكامن كان اذ ذاك مفكك الاوصال مشتت العناصر ضعيف الاثر ، فلم يلتئم حول فكرة معينة او مبدإٍ بذاتهِ فينوء بقوة التئامهِ على تلك العقبة التي تصدهُ عن الانصراف في السبيل التي تخطها لهُ الطبيعة

كذلك لا نستطيع ان نتخذ من عهد محمد علي الكبير نقطة ارتكاز قد يقال فيها انها السبب في تغير اسلوب الفكر في مصر . فهنالك سيقت الجماعات المصرية سوقاً نحو غايات لم نعرف يوماً انها مسوقة في سبيلها ولم تشعر بما ينتظرها وراء تلك الغايات من المقاصد التي كانت تجول في رؤُوس زعمائها. نجد هذا جلياً واضحاً، لا في غزوات الجيش وحدهُ ، بل في ميدان العلم والمعرفة . فان ذلك العهد على كثرة ما اخرج من نوابغ المتعلمين الذين اوفدهم المصلح الكبير الى اوربا لم يخرج شخصٌ واحد استطاع ان يجمع شيئاً مما بددتهُ مظالم الحكومات السابقة من قوة الفكر الكامن في المجتمع المصري حول غاية ما

فاذا تركنا الحوادث التي انتابت مصر في اواخر القرن التاسع عشر ورجعنا الى الاشخاص لم نقع في طول ذلك العهد على مصري واحد استطاع ان يحرك كوامن الفكر ويجمع شتاتها حول مذهب او مبدإٍ ما. ولكننا نقع على رجل واحد خرج من جوف آسيا ليلعب على مسرح مصر دوراً نستطيع اذا تبينا طبيعتهُ ان نقع فيهِ على نقطة ارتكاز نرتكز عليها . على اننا لا نمضي في ذلك البحث قانعين بان ما احدث ذلك الزعيم من اثر هو نقطة ارتكازنا، بل طبيعتهُ نزعة في تمثيل القديم، الذي لا يزال قائماً بيننا بكل ما اوتي من قوة التقليد وحكم العادة، هي التي نستطيع ان نتخذ منها نقطة ابتداء ننظر من ناحيتها في تغيير اساليب الفكر العلمي في مصر ، ان جاز لنا ان نقول بأن في مصر فكراً علمياً وان لهُ اسلوباً تغير او تبدل

السيد جمال الدين الافغاني هو ذلك الزعيم . وهو لا يمتاز على غيرهِ من زعماء المتدينين الاَّ بانهُ اراد ان يتخذ من قوة الدين سبيلاً للتأثير السياسي والدعوة السياسية القائمة حول فكرة استقلال الشعوب الاسلامية ، واعداد العدة لمقاومة النفوذ الاوربي في الشرق الاسلامي

تعلَّم السيد جمال الدين الافغاني منتحياً الاساليب العلمية العتيقة التي عكف عليها العرب منذ القرون الوسطى. فهو بذلك صورة مصغرة او مكبرة لعصر من العصور البائدة في تاريخ الفكر . وهو بنزعتهِ السياسية اشبه الاشياء في عصرهِ بالميا كل الحفرية التي تعيش بيننا بجثمانها وان رجعت في تاريخها الى ابعد العصور ايغالاً في احشاء الزمان . لهذا نرجع بانظارنا الماماً الى نزعات العرب العلمية التي مثَّلها السيد الافغاني في القرن التاسع عشر لنتخذ من ذلك سبيلاً الى المقارنة والاستنتاج

السيد الافغاني وريث العرب بحق في علومهم وفلسفتهم . وقف من الرقي الفكري حيث وقفوا . وقف عند النظر الغيبي. فكان في كل ما دبجت يراعتهُ أو تحرك بهِ لسانه مثالاً حيًّا لما اختلط من مباحث آبائهِ ولما تناثر خلال كتبهم من مختلف الابحاث ، وما تضمنت مجلداتهم من متنافر الوضع الذي اتصفت بهِ تآليفهم . وحدُّ النظر الغيبي الذي انتهى عندهُ العرب جدير بابراز امثال ما ابرزوا من كتب اختلط فيها العلم بالفن ليخرج من مجموعها فلسفة، هي عنوان على ما بلغ الفكر الانساني من تهوش وانحلال في القرون الوسطى

اذا كان ناموس جاذبية الثقل اعظم استكشاف وصل اليهِ العقل البشري في عالم الكون والفساد ، فان قانون « الدرجات الثلاث » الذي كشف عنهُ الفيلسوف الكبير « اوغست كونت » أكبر استكشاف وصل اليهِ العقل البشري في الطبيعة الانسانية . وان متابعتنا لشرح هذا القانون لهي النواة التي تدور حولها ابحاثنا. لذلك نتابع الكلام فيهِ بايجاز اتماماً لفائدة البحث

إن درس الادراك الانساني من كل ناحياتهِ ، وخلال كل الازمان ، يدلنا على وجود قانون ضروري يخضع لهُ العقل ،نستبينهُ من حقائق النظام الاجتماعي، والتجاريب التاريخية الثابتة . فان كل فكراتنا الاولية ومدركاتنا ، وكل فرع من فروع معرفتنا ، لا بد من ان يمر على التوالي في ثلاث حالات مختلفة . الاولى اللاهوتية او التصورية التخيلية . والثانية الميتافيزيقية الغيبية ، او المجردة . والثالثة اليقينية الواقعة . هذا هو قانون الدرجات الثلاث . ويمكننا ان نحصر القول في هذا القانون بان العقل الانساني

فيهِ بطبيعتهِ كفاءة لان ينحي ثلاث طرق للتأمل من حقائق الاشياء . وطبيعتهُ في كل من تلك الطرق تختلف عن الاخرى تمام الاختلاف. بل اننا لا نبالغ اذا قلنا انها تتضاد تمام التضاد . من هنا ينتج ثلاثة ضروب من الفلسفة او بالاحرى ثلاثة اساليب للتفكير في اكتناه حقيقة الظواهر ، كل منها تنافي الاخرى . اما الاسلوب الاول فخطوة ضرورية يبدأ بها العقل في سبيل تفهم الحقائق او البحث عن مصادرها . واما الاسلوب الثالث فيمثل العقل في آخر حالات ارتكازهِ على الحقائق البارزة الملموسة. وليس الاسلوب الثاني الأ خطوة انتقالية تتوسط بين الاسلوبين .

اما العقل في الدرجة اللاهوتية فانهُ يبحث في طبيعة الاشياء وحقائقها ، وفي الاسباب الاولى والعلل الكاملة ، يبحث في الاصل والماهية والقصد من كل الاشياء التي تقع تحت الحس . وعلى الجملة يبحث في « المعرفة المطلقة » وهناك يفرض او يسلم بان كل ظواهر الطبيعة ترجع الى الفعل المباشر الصادر عن كائنات تختفي وراء الطبيعة المرئية

أما في الدرجة الثانية ، اي في الحالة الميتافيزيقية الغيبية ، وهي ليست الأ صورة معدَّلة عن الدرجة الاولى ، فان العقل يستبدل فرض الكائنات السائدة على الطبيعة ، بفرض قوات مجردة أو شخصيات محققة الوجود في نظرهِ ، في مستطاعها احداث مختلف الظواهر . وليس ما يعنى في هذه الدرجة من تفسير الظواهر الأ نسبة كل منها الى مصدرهِ الاول

اما في الدرجة الاخيرة ، وهي الدرجة اليقينية ، فان العقل يكون قد اطَّرح طريقة البحث العقيم وراء الاسباب المجردة ، واصل الوجود الكوني ومنقلبهِ ، والعلل الاخيرة التي تعود اليها الظواهر ، والتي بجهودهِ في سبيل معرفة السنن التي تحكمها . هنالك يتحد العقل والمشاهدة ، ليكونا اساس المعرفة . فاذا تكلمنا في هذه الحال في تفسير حقائق الكون ، فلا نخرج عن ايجاد صلة بين ظاهرة من الظواهر ، و بين مجموعة من الحقائق العامة التي يقل عددها تدرجاً بحسب تقدم العلم اليقيني

فاذا نظرت بعد هذا فيما ابرز العرب من نتائج الفكر ، من علم او ادب او فلسفة او فن ، وجدت ان فيها من آثار التخلخل والتشعب ما هو جدير بان يبرز في عصر عكف فيهِ الفكر على طريقة الشك الغيبي لم يعدها الى طريقة التحليل والنقد . ذاعت بينهم مذاهب فلسفية نقلها المترجمون ، وجلُّهم من النساطرة واليهود ووثنيي حرَّان ، عن اليونانية . ولكنك لا تجد عندهم مدارس فلسفية ينسب اليهم ابتكارها . فليس لهم

مدرسة تعزى الى الفارابي او ابن رشد او ابن سينا مثلاً . بل ان ابن رشد على الاخص لم تصبح لهُ مدرسة تعتنق مذهبهُ الفلسفي الذي ذهب اليهِ في تفسير ارسطوطاليس وتشيد بذكرهِ وتذود عن حياضهِ ، الاَّ بعد ان انتقلت كتبهُ الى جامعات اوربا في القرون الوسطى . فالمذهب الفلسفي ظل رأياً فردياً عند العرب ، وانقلب مدرسة فلسفية في اوربا عند بدء نهضتها العلمية ، بل ان شئت فقل عند بدء عكوفها على الاسلوب اليقيني . ذلك فرق جلي بين درجتين معينتين يمر بهما العقل الانساني . الدرجة الغيبية والدرجة اليقينية

وقد يخطئ بعض الناس اذ يقولون بان للسنيين او للاشاعرة او المعتزلين مدارس فلسفية . إن جماع هذه وما يجري مجراها مذاهب لاهوتية استعانت بالفلسفة و ببعض ضروبها دون بعض ، على بث افكارها . وقد يصح ان يكون من افرادها من غلب عليهِ النظر الفلسفي . فواصل بنُ عطاء مثلاً قد نعتبرهُ مجدداً من جهة ما يدعو اليهِ من حرية الرأي واتباع ما يرشد اليهِ العقل في النظر العلمي والفلسفي والديني . ولكن مدرسة المعتزلين ، ان صحَّ ان تدعى مدرسة بحق ، ترجع في اصلها ونشأتها الى النظر الديني المشوب بالفلسفة ، أكثر من رجوعها الى الفلسفة الصرفة . وكذلك الباطنيون — « المتصوفون » — قد نقول انهم فلاسفة يقولون بوحدة الوجود ، كما كان يقول الذين اخذوا هم عنهم من الفرس واساتذتهم اصحاب الافلاطونية الجديدة في مدرسة الاسكندرية ، ولكن لم يكن لاحدهم مدرسة تنسب اليهِ ذاع رأيها وكان لها اثر في تطور الفكرة الفلسفية في المجردات خلال عصر من العصور

وانك لو نظرت نظرة اخرى في المؤلفات العلمية الصرفة عند العرب لوجدتها قليلة، اللهمَّ الاَّ بعضاً منها في الطب والكيمياء وخصائص النباتات . وهي مؤلفات وسمت بطابع لا تراهُ يختلف كثيراً عن الطابع الذي وسمت بهِ مؤلفاتهم في فروع المعرفة التي كانت ذائعة لعهدهم . كذلك اذا نظرت فيما كتبوا في النبات او الحيوان ، تجد ان المؤلف إن تحرر من الخلط بين فروع من التاريخ والادب ، لم يتخطَّ حد الوصف . فمن الكلام في صفات النبات او الحيوان الى نفعهِ في الطب . وهنالك بعض مؤلفين ارادوا أن يوسعوا في دائرة تآليفهم فتناولوا الكلام في خصائص النباتات السحرية او الطلسمات ونفعها في التمائم وتفسير الغيب . بل تراهم في حين آخر قد مزجوا بين الفلسفة والفن فوضعوا الموسيقى في الفلسفة اعتماداً في الغالب على كلمة نقلت اليهم عن فيثاغورس لدى قولهِ « العالم عدد، العالم موسيقى »

هذه العقلية بذاتها هي التي ورثها السيد الافغاني عن العرب . عقلية وقفت عند حد الاسلوب الغيبي لم تتعده ُ وتنكبت كل سبيل كان من الممكن ان يصل بها الى الاسلوب اليقيني . ولقد كان من السهل الهين ان يستطيع السيد الافغاني ان يجمع ما تبدد من قوى الفكر حول هذا الاسلوب كما كان من المتعذر ان يجمع قوة الفكر حول مبدإٍ جديد في العلم او الفلسفة تلتئم من حولهِ شعب المجتمع المبددة لتدفع بقوتها نحو غاية ابعدمدى مما انتهت اليهِ افكار آبائهم . لهذا نقول ، ونقول بحق ، ان ما استجمع السيد الافغاني من عناصر الفكر القديم القائم على الاسلوب الغيبي قد ناء بجماعهِ على تلك النواة الحية التي كانت تتجمع حول الاسلوب اليقيني في افكار الامة فلم تقوَ على محوها ولكن عاقت خطاها ولا تزال تعوقها عن الانبعاث في سبيل الحرية الصحيحة . إذن فاثر السيد الافغاني في حياة الفكر في مصر وان شئت فقل في الشرق أثر سلبي صرف ، لا يذكر في تاريخ الفكر الأ كأداة رجعية تلقت الجماعات قوة صدمتها باسلوب حديث ، هو الاسلوب اليقيني والنزعة الاثباتية ، تتنكب بهما سبيل الغيب ، لتتبع سبيل الشهادة

على ان قوة ذلك الاسلوب الرجعي لا تزال قائمة بقوُّمسها ومعاولها . ولكنها تهدم ما تحت قدمها وتقطع بمعولها الجذع الذي ترتكز عليهِ قدماها لتنهار في النهاية وتذهب بدداً . فالمدرسة القديمة قائمة بين ظهرانينا تتبع سبيل النظر الغيبي بل غالب ما ترجع سعياً الى النظر اللاهوتي. ذلك في حين ان المدرسة الجديدة اخذت تبني على النظر اليقني اساس نهضة كبرى سوف نري عما قليل بوادرها تنجلي لاعيننا ظاهرة من وراء حجب الغيب الكثيفة

***

طالما سمعنا من الذين لا يقوون على إنعام النظر طويلاً في مقدمات الاشياء ونتائجها ان الثورة العرابية بدء نهضة فكرية حديثة وان ثورة ١٩١٩ قد تعدت حد البدء بنهضة لتكون خاتمة تطور عظيم في الافكار لا في ميدان السياسة وحده ُ، بل في عالم العلم وميدان الاقتصاد . على اننا لا نسوق أنفسنا مع الذين يسوقون أنفسهم في هذه المغامر الوعرة المتعسرة ، حذر ان تطوح بنا اقدامنا في رمالها اللينة التي تبتلعنا غير شاعرين الأ بليونتها ونعومة ملمسها. فان مواجهة الحقائق على خشونتها لأقوم طريقاً واهدى سبيلاً . ان نظرةً واحدة في الثورة العرابية كافية لان تثبت لنا ان هذه الثورة ، كثورة ١٩١٩ ، لم تمس من الحياة الكامنة في الامة شيئاً ، وانها لم تتناول الأ ظاهر الحياة بآثار سريعة الزوال ، كتلك الآثار التي تخطها يد الصبية فوق الرمال على شاطئ البحر ، يكفي للذهاب

بآثارها مذ موجة واحدة من موجاتهِ

لم تتناول الثورتان شيئاً من تلك القواعد التي ترتكز عليها الحياة الكامنة في اغوار عقلية الجماعات . فان اتجاه الفكرة في الثورة العرابية نحو المساواة بين فئتين من ضباط الجيش ، واندلاع لهيب التحطيم والهياج في الثورة الاخيرة فجاءةً و بلا سابقة، ظاهرتان تكفيان وحدهما لاثبات ما نذهب اليهِ

قامت الثورة الفرنسوية على دعاية الانسيكلوبيذيين ، ديدرو واصحابه ، لاميتر وهولباخ وهلفيتوس ، وعلى عقد روسو الاجتماعي ، وعلى آداب ڤولتير الوضاحة ، بل على مجهود سلسلة من العظماء تعهدوا الفكر الكامن في طبقات الامة المنتقاة منذ عهد ديكارت بتلك الفكرات الثابتة التي يذهب اثرها الى أبعد اغوار الحياة الخفية في نفس الافراد والجماعات ، فاخذت عناصر الثورة تتكون في الفترة ما بين ١٥٩٦ الى سنة ١٧٨٩ اي منذ ان تنفس ديكارت نسيم هذه الحياة الى اليوم خرج فيهِ اهل باريس يصيحون الى السلاح — الى السلاح

استُجمعت عناصر الثورة الفرنسوية في قرنين من الزمان دأبت فيها الجامعات على بث المذاهب العلمية والفلسفية ، وقام فيها فحول من الرجال اعطوا للجماهير أرقى المُثل، كما تحكم في رقاب الشعب المستنيم لحكم الفرد ، مستبدون تعهدوهُ باقسى المثلات

وما انت في كل ذلك ، إن اردت ان تضع تاريخاً صحيحاً ، بناظر الى عدد المتعلمين. فمن الجائز ان يكون في مصر اليوم من المتعلمين عدد يربي على عدد المتعلمين في فرنسا عندما قامت بثورتها ، او على عددهم في انجلترا عندما انتزع زعماء الشعب وثيقة الماغنا كارتا من يد الطاغية المستبد . فان المسألة هنا مسألة كَيْفٍ لا مسألة كَمٍّ . انظر في القواعد التي قامت عليها ثورة فرنسا ثم انظر في القواعد التي قامت عليها اية حركة من الحركات العنيفة في مصر فانك هنالك تستبين الفرق جليًّا ، بين حركة اساسها نهضة ادبية فكرية تكوّن عناصرها، و بين حركة قائمة على لا شيء. على ان الحركتين قد تتفقان من حيث نبالة القصد وسمو المبدإ .ولكننا نقيس هنا بين الآثار التي تخلفهما كلتيهما لا بين الاسباب الباعثة عليها

***

لقد مضينا حتى الآن نفتش في جنبات التاريخ المصري الحديث على حادث يلتئم من حولهِ الفكر لنتخذهُ نقطة ابتداء نبدأ منها ، و يكون في ذاتهِ سبباً في تغير اساليب الفكر

في مصر . ولا مشاحة في اننا اخفقنا فيما صبونا اليهِ حتى الآن

على انك اينما وليت وجهك في تاريخ مصر الحديث وقعت على آثار نهضة ادبية علمية تشربت الروح الحديثة في البحث ،وسعت جادةً في سبيل المكافأة بين قوة الذكاء الكامنة في حياة الشعب الفردية والاجتماعية و بين حاجات العصر الحديث .فهل شبت هذه النهضة بلا بذر كالطفيليات ؟ ام كان لها اساس من الجهد المشترك ، ودعامة من جهود الافراد ؟

إن عجزنا عن ان نقع على حادث يلتئم من حولهِ الفكر في ثمانية العقود الاولى من القرن التاسع عشر في مصر، ومعتقدنا في ان الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ لم تمسّ الاّ ظاهر حياة الامة ، كلاهما يسوقنا الى البحث وراء السبب الحقيقي الذي قام عليهِ ما ندعوهُ « نهضة العلم والادب » كما يقول بعض الكتّاب وأن كنا لا نجاريهم على صلاحية هذا الاستعمال الاّ تجاوزاً

اما اذا رجعنا الى نهضة الصحف والمجلات العلمية والادبية فانا نقع في مصر على عصر شبيه بالعصر الذي بدأت فيهِ نهضة انجلترا الادبيةِ في اوائل القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. فان العصرين يتشابهان كثيراً . على اننا لا نستطيع ان نمضي في هذه المقارنة ، او نُخرج من صلب هذا المقال كتاباً . الاّ ان هذا لا يحول بيننا و بين القول بان تطور الفكر العلمي في مصر كان اكثر تأثراً بالمجلات منهُ بالجرائد السياسية .فالمجلات ذوات الخطر الاول فيما نحن من نقدم ندعوهُ « نهضة العلم والادب » . المجلات وحدها هي التي اخذت بيدنا وافسحت امامنا سبيل الخوض في عباب الاسلوب اليقيني الحديث ، وهي التي قادت دفة الفكر في مصر وهو يجتاز بحر الاسلوب الغيبي العميق لتتكيف « النهضة » على صورة بددت سحب الحياة القديمة بما فيها من ظلمات الفكرة المجردة ، لتكشف لنا عن شمس الاسلوب اليقيني الذي لم يصل الينا من اشعتها الاّ قدر ضئيل

على انك لا تقع في كل هذا على حادث يلتئم من حولهِ الفكر . غير انني اتوقع ، وعسى ان يكون ذلك قريباً ، ان الخطوة التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الاسلوب الغيبي الى وضح الاسلوب اليقيني ، سوف تقودنا سعياً الى ميدان يتصادم فيهِ الاسلوبان تصادماً يثير في جو الفكر عجاجة ينكشف غبارها عن الاسلوب الغيبي وقد تحطمت جوانبه واندكت قوائمهُ ، وتترك الاسلوب اليقيني قائماً بهامة الجبار القوي الاصلاب مشرفاً على الشرق وقد هبَّ من رقاد القرون ليسير في الدرب الذي مهدت سبلهُ للانام نواميس النشوء والارتقاء برقين اسماعيل مظهر

العرب في التاريخ

١ معنى اسم العرب

اختلف لغويو الناطقين بالضاد ، كما اختلف علماء الغرب ، في معنى اسم العَرَب . وحسبك ان تفتح اي كتاب شئت من مصنفات اللغة والتاريخ لتقف على تضارب الآراء في هذا الصدد . على اننا نجمل هنا بعض هذه المذاهب وهي اقربها الى الحق

قال بعضهم بان العرب مشتق من مادة هي غ ر ب وذلك ان الغَرْب بمعنى غروب الشمس اصلها العَرْب بفتح العين المهملة واسكان الراء . والغين محدثة في العربية ، اذ لا تُرى في سائر اللغات السامية اخوات العربية . وكل كلمة عَدْنانيةٍ فيها غين معجمة ، تقابلها كلمة اخرى هي بالعين المهملة في سائر اللغات الاخوات . نعم قد يقابلها حرف آخر ، لكن الحكم على الاغلبية فمعنى العرب سكان البلاد الغَرْبية بالنسبة الى ارض الفراتَيْن التي يذهب بعضهم الى انها مهد البشر

ومعنى العرب ايضاً الأمة السمراء اللون او السوداء اللون لان لون المغرب بعد زوال الشمس السواد ، كما ان لون مطلع الشمس البياض . والعَرَب كثيراً ما تسمّي اللون الاسود بلفظ مشتق من الغرَب ، قالوا : غَرِب الشيء (بكسر الراء) يغرب غَرَبًا (بالتحريك) : اسودَّ . والغُراب للطائر الاسود والغُربة عن الوطن سواد من باب التشاؤم واسود غربيب اسود حالك . ولون السواد اي السمرة ظاهر في كلمة العربيّ اللوْن اي اسمرهُ . فقد قالوا : اعرب الرجل : وُلِد لهُ ولدٌ عربي اللون

وكثيرون من علماء الالمان وفي مقدمتهم جسنيوس يقولون ان العرب لفظ مشتق من عرب المكان بمعنى محل واجدب او خرب ومادة ع ر ب بهذا المعنى قد ماتت في العربية لكنها موجودة في الارمية والعبرية . والعَرَبة في هاتين اللغتين : الصحراء والبيداء فقولك : العرب كقولك ساكن العرَبة كما قالوا البدْو وهم يريدون سكان البدْو اي البادية على مثل هذا القياس

على ان عرِبَ يعرَبُ كعلِم يعلم موجود في قولهم عربت المعدة تعرب اي تغيّرت وفسدت . واظن ان معناها الاول كان للمكان ثم نقل الى مكان الطعام من الانسان اي الى معدته . واذا اصاب الانسانَ العَرَبُ فرغت معدتهُ . وقد اثبت العلماء اليوم ان بلاد

العرب كانت في سابق العهد كثيرة الخيرات والارزاق تحل بها من نوائب الزمن بتغير الهواء وتقلب حالات الجو من بردٍ وحرٍ، ما اكتسح عمرانها فصارت فيها تلك الفلوات والقفار . فبلاد العرب هي البلاد المتغيرة من حالة الخصب الى حالة المحل كما سترى ذلك. وهذا التأويل لاثبات حقيقة لم تنجلِ الاَّ في هذه السنين مما يدل على ان اللغة الضادية حفظت لنا اصول الفاظ لا ترى في اي لغة سواها . فرأينا اذاً رأي العلماء المتأخرين في هذه الايام اي ان معنى العرب : « سكان البلاد القفرة » وقد نشأ محلها من تقلبات الحالة الجوية »(١)

٢ً من هم العرب ؟

من هم العرب ؟ — هم قوم من الساميين مسكنهم بلاد العرب، وتسمى جزيرة العرب او عَرَبَة ، بلفظة واحدة ، على ما ذكرها ياقوت واللغويون اي Arabie

وقولنا قوم من الساميين يدفعنا الى ان نعرّف هؤلاء الناس الذين منهم اجدادنا . واحسن من عرفهم الاب لغرنج الدومنكي P. M. J. Lagrange وقد اتفق العلماء على استصوابهِ واستحسانهِ . قال ما هذا معناهُ :

« يمتاز الساميون في التاريخ بانهم كتلة بيّنة ظاهرة وقد اجمع حملة العلم على عدّها اليوم عدًّا يميزها عن غيرها . وهي تشمل الاشوريين البابليين والكنعانيين والارميين والعرب . وكذا قل عن قبائل تارح واسرئيل واخيهِ ادوم وعمون وموآب وُلد الاعمام. هذا فضلاً عن الطُّراء الفنيقيين المنبثين في الربوع المجاورة للبحر المتوسط والمستعمرين الذين اقاموا في البلاد الكوشية (وتسمى اليوم اثيوبية) واذا قلنا قوم كذا وقوم كذا فلا نريد ان ذلك القوم لا يشوبهُ خليط من قوم آخر وذلك باتفاق المؤرخين الاثبات كلهم . — والتاريخ لا يعرف اليوم ان يقول ان الشعب الفلاني انحدر من صُلب فلان من غير ان يمتزج بنسل صُلب آخر . . . بل و يصعب على ابناء الفخذ الواحد ان ينتمي كلهُ اجمع الى دم واحد . فقبائل العرب ذات الإباء والنسب الصريح المحض لا تخلو من غربان (اي اناس سود)... والايطالي والاسباني والفرنسي هم بقايا لا ريب فيها من الوحدة الرومانية. فالالسنة المعروفة بالسامية في عهدنا هذا هي : الاشورية البابلية ، والارمية ، والعربية

(١) راجع المجلة الفرنسية Revue de Synthèse Historique XXXIV, No 100—102 ومعجم جسنيوس العبري اللاتيني في مادة ع ر ب . ومعجم التوراة لفيكورو F. Vigouroux Dict. de la Bible ومعجم باين سمث السرياني اللاتيني

والكوشية (الاثيوبية) والكنعانية (وتنطوي على العبرية والفنيقية والموآبية) ويشابهُ بعضها بعضاً اي مشابهة حتى انهُ يجوز لك ان تنظر اليها نظرك الى شظايا متطايرة من لغة واحدة . وعليهِ عاش الساميون معاً في عهد من العهود واتصل بعضهم ببعض اكثر مما تذكرهُ لنا الانباء المدوَّنة التي بلغتنا . ولذلك اذا قلنا « الساميَّة » فهذا اللفظ يقع على جماعة او طائفة من اللغات ، وليس على جموع اقوامٍ . » اه كلام العلامة الدومنكي (١)

٣ً خصائص الساميين وموطنهم

لا تعرف هذه العشيرة الكبرى بوحدة لغاتها وحدها ، بل بنوع اخص بحضارتها ومزاياها للابتداع وبمأثوراتها

وموطنها الحقيقي ، على ما يذهب اليهِ علماء هذا العصر ، جزيرة العرب . فقد كانت مصدر أمم شتى في دهور مترامية الآفاق . والروايات القديمة المأثورة عن السلف والمدوَّنة في صُحُف الآجرّ تنقل لنا ان الساميين طرأوا من تلك الجزيرة فكأن تلك الارجاء كانت بحراً خضمًّا تقذف امواجهُ بالامم ، فتمتدّ وتنبثّ على التمادي شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً

فالذين اكتسحوا ديار كلدية ، والعراق ، واشور ، وفنيقية ، وفلسطين ، خرجوا من عربة ، كما خرج بعدهم في صدر الاسلام ، تلك الاقوام التي مدَّت ظلّ سطوتها في العصور المتوسطة من سواحل الاوقيانوس الاتلنتيّ المعروف عند العرب ببحر لبلاَية (٢) الى بحر الهند

واول من صرح بهذا الرأي من المحدثين ، ودافع عنهُ ، الدكتور هوغو ونكلر (٣) فقال ما محصَّلهُ :

---

(١) راجع كتابه Le Père Marie Joseph Lagraunge O. P. - Etudes Sur les Religions Sémitiques 2e Edition pag. 4I — 42.
وقد اشرنا الى ما حذفناه من كلامهِ بنقط ثلاث اكتفاء بالزبدة منه

(٢) اختلف المعربون في نقل اسم هذا المحيط فمنهم من قال البحر او الاوقيانوس الاتلانتيك منهم الاتلانتيكي وطائفة الاطلانتيني الى غيرها . والصواب ما رويناه نسبة الى أتلاس او اتلانتوس من آلهة خرافات اليونانيين . والعرب صحفوا اللفظة بصورة غريبة هي لبلاية او ما يشابه هذه الصورة من الالفاظ في الكتابة والاصل (اتلانت) فكتبوها في صدر الاسلام (اتلانة) بهاء كما كانوا يجوزون ذلك في العهد المذكور . ولم يكتفوا بهذا بل اهملوا تنقيط اللفظة فاختلطت الالف بما يليها فاصبحت بهذه الصورة (للانه) وحينئذ كثرت القراءات على مأنوف العادة فوردت في الكتب العصرية في طبعها والقديمة في تآليفها كما ترى : لبلابة ولبلاية وابلابة وابلاية وابلابة ولبلانة والبلابة الى ما لا يحصى ضبطه . لهذا يحسن ان يقال المحيط الاتلنتي او الاتلانتي اذ يقرب من الاصل المعرب عنه ومن التعريب القديم الذي وضع في اول العهد به

(٣) Die Völker Vorderasiens Von Dr, Hugo Winckler

« عربة (اي شبه جزيرة بلاد العرب) واقعة في وسط العالم السامي » وقوع كتلة فائرة يتقاذف ما فيها على اطرافها . والفلوات لا تُمكّن من ان تُطعم سكنًا تدفعهم حياتهم البدوية الى الظعن بعيداً . ففي عهدنا في غرة المائة التاسعة عشرة صعدت عنزة وشمّر الى الشمال الى تخوم بادية الشام ، وجميعنا نعلم تاريخ الاسلام وانتشارهِ وكانت قد تقدمتهُ دولة الانباط والغساسنة . وهذا التدافع والتظاعن من عربة يقع بين الف سنة والف وخمسمائة سنة . وعليهِ يحق لنا ان نضع رحلة الارميين من موطن في عربة نجهلهُ اليوم ، في نحو سنة ١٥٠٠ قبل المسيح . وكان الظاعنون الكلديين او الكلدان. وكانت الطارئة الكنعانية اشدّ واقوى فاجتاحت ديار مصر وامعنت في فتوحاتها حتى هبطت إسبانية (في نحو سنة ٢٥٠٠ ق م) وهذا اصدق مثال كما انهُ اول مثال لما حدث بعد ذلك من الفتوحات الاسلامية . وكذا يقال عن الاشوريين البابليين ، فان الموجة البشرية اندفقت بين سنة ٣٥٠٠ و٢٥٠٠ من عرَبة واغرقت الحضارة[1] القديمة الشمرية [2] ، بعد ان اقتبست عنها اسلوبها في الكتابة . وهنا نتيهُ في ظلمات مدلهمة ، إذ ما سبق ذيَّالك العهد لا يعود الى التاريخ ، ولو بالتكهن والرجم بالغيب

وهذا الرأي الذي يتبعهُ اليوم عدد غير يسير من جهابذة العلم . مخالف لفكرٍ اقدَم يسندهُ جبابرة التاريخ ، وفي مقدّمتهم اليوم المؤرخ والكاتب الضليع الاب لغرنج الدومنكي Lagrange . فقد قال ما معناهُ : [3]

---

(١) الحضارة هي ما يسميه اليوم بعض ضعفة النقله بالثقافة اي culture والفصحاء لم يعرفوا هذه الكلمة بالمعنى الذي نشير اليه انما قالوا الحضارة (٢) شمر وزان زفر اي بضم ففتح . هكذا قرأها العلماء العصريون عن الرقم المسمارية الا ان نقلة التاريخ من المعربين رووا لنا الحرف المذكور بصورة « سومر » (بالسين المهملة ومنهم « سومار » بزيادة الف قبل الراء . وتحذلق بعضهم فرووهُ « صومر وصومار وصومير » الى ما لا نهاية له . والافرنج (لاسيما الانكليز) كانوا يكتبون اللفظ المذكور هكذا Shumer ولما اتفق المستشرقون على مقابلة كل حرف من الهجاء السامي بحرف من الهجاء الافرنجي اصطلحوا لكتابة الشين المثلثة النقط بحرف السين الافرنجية بعلامة تعلوهُ تشبه الرقم ٧ العربي . ولما كانت بعض المطابع الافرنجية خالية من العلامة ٧ فوق السين اهملوها ، فاخذ أغلب القراء يلفظونها (سومر) Sumer على ان علماءهم لا يزالون يلفظونها بالشين. والحرف u ليس في اللفظة ممدوداً بل مقصوراً اي ان الشين محركة بالضم على ما في لغتنا وليس بالواو

وكذلك القول في (اكد) فانها على وزن (بقم) اي بفتح الاول وفتح الثاني المشدد وليس اكاد او أقاد او أقد او نحو هذه المختلقات

(٣) راجع الكتاب المذكور للاب لغرنج « مباحث في الاديان السامية » الذي ذكرناه سابقاً . ص ٥٤ وما يليها

قد يقع الريب وقوعاً صادقاً في المبدإ نفسهِ مبدإ النظرية [التي يشير اليها الدكتور هوغو ونكلر] ان المعيشة البدوية لا تأتي بنتاج الاَّ اذا كانت الارض خصبةً . ومن المبادئ المثبتة اثباتاً كافياً في الاقتصاد السياسي ، ان الناس لا يزدادون او ينمون ، في الفقر المدقع . وجانب عظيم من عَرَبة ، لا يصلح للعيشة البدوية نفسها ، من ذلك فلوات الجنوب المعروفة بالدهناء ، والبوادي الفاصلة ديار الشام عن الجوف فانها لا تكاد تعبرها وصحراء الشام مشهورة بانها "حَمَادٌ" اي بانها صحراء كثيرة الحجارة وقاحلة ، الا انها دون غيرها يُبوسة ، ويأوي اليها قبائل جمَّة ؟ ومع ذلك لم يقم منها جماعة طارئة . واذا وقع بعض الاحيان ما يثبت خروج اقوام من ديار العرب ، فانهُ كان نتيجة ضغط حلَّ بهم ، لا نتيجة تدفق ، فلقد ظَعَنَ بَدْو كثيرون بعد ان عضتهم السنة بأنيابها ، فاقتحموا الربوع الخضرة ، ولم يكن في امكان المتمدنين من دفعهم عنهم على الدوام ، فاحتلوها واقاموا فيها . فالاسلام نهض من الحجاز ومن الواجب علينا ان نحسب حساباً للدّين لما فيهِ من الدافع المتين ، ولِمَا كان لتجارة قريش من التفوق فضلاً عن انها كانت على جانب عظيم من السياسة والثبات . فكان اذاً يومئذٍ لجزيرة العرب ذلك الدافع محثاثاً متيناً دينياً ورؤساء : فالفتوحات الاسلامية لا تماثل في شيءٍ غزوات الجرمان اذ كانت اشبه شيءٍ بالامواج البشرية المتدفقة ...

واذا كان لابد من القول بمندفق من البشر ، فيجب علينا ان نبحث عنهُ في العراق العربي ... الذي تعتبرهُ المدوّنات التاريخية مهداً للساميين . ففي بدء التاريخ ، نرى الساميين قد احتلّوهُ احتلالاً مكيناً . فهل هبطوا اليهِ من عربة ، وهل بيدنا ادلة تنبئنا بانهم خلفوا فيهِ جيلاً اقدم منهم ؟ — تلك هي معضلة الشمريين [١] اه

(لهُ تِلو) فِهر الجابريّ

(١) كان سكان العراق الحالي بقسم الى قسمين كبيرين : شمالي وجنوبي ولكل قسم منهما امارة مستقلة . واسم النصيف الشمالي : أكد واسم النصيف الجنوبي شمر . ومن مدن الجنوب : (اورو) أي (اور) وأريدو (واسم بقاياها اليوم هو أبو شهرين) وكانت مشهورة بمبادتها للمعبود (آعة) وباب سايماني وهو ثغر كلدية في الجنوب
ومن مدن الشمال : أورك (وكان اسمها في اول الامر « اونو » ثم « اونج » وهي ارك المذكورة في التوراة وتعرف اطلالها في عهدنا هذا باسم الوركاء) ولرسم (هي سنكرة الحالية) ولجش (وهي تلو الحالية). وقيل اصل الكلمة تل اللوح ثم مسخها منقبو الافرنج اصعوبة تلفظهم بالحاء فاسقطوها . ثم حذفوا منها لام التعريف فصارت تلو واا وم لا تعرف الا بهذا اللفظ المشوه (ملخص عن خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه الى يومنا هذا للاب انستاس ماري الكرملي) .

كنوز البحار وغرائب انتشالها

١

« كلها لعب بين يديك يا بحر تخفضها وتعليها»
«تعزها وتذلها تتلاعب بها كما تشاء لا فرق عندك»
« بين سفن الارمادا واساطيل طرف الغار »
الشاعر بيرون

فكم سفينة مرفوعة الاعلام بنيت على احدث الاساليب واكفلها لسلامة المسافرين وراحتهم تلقفتها الامواج المائجة واللجج المتلاطمة او اصابتها قنابل العدو او اصطدمت بباخرة اخرى او صخر ناتئ او ركام من الجليد تحت سرادق من الضباب الكثيف فغرقت بمن عليها وما تحويه من بضائع ونقود . فهل يرضى الانسان ان ينتزع البحر منهُ هذه الاموال من غير ان يحاول انتشالها ؟

ان قراء الصحف اليومية في مصر لا يزالون يذكرون ما تناقلتهُ الجرائد عن الغواصين اليابانيين الذين انتشلوا في الصيف الماضي نحو مائة الف جنيه ذهباً بعد ما مضى عليها عشر سنين في قاع البحر بين منارة البرلّس و بورت سعيد، غرقت في سفينة يابانية اصابتها طرابيد الالمان

و يقول العارفون ان كنوزاً تساوي خمسة ملايين جنيه غرقت حول الجزائر البريطانية وحدها. وعندهم ان جانباً كبيراً منها لا امل في انتشالهِ الآن وانهُ اذا لم يُنتَشل الباقي في وقت قريب فُقد الى الابد لان لمياهِ البحر فعلاً يتلف الاشياء حتى حديد البواخر وفولاذها فلا يبقى سليماً من فعل ماء البحر سوى الذهب والفضة وهما ما يهتم بهِ الغواصون فينشلونهُ اذا ساعدتهم الاقدار

نقول اذا ساعدتهم الاقدار لان كلَّ باخرة يقصد انتشالها تختلف احوالها عن احوال البواخر التي اهتموا قبلاً بانتشالها او نشل كنوزها . فالمد والجزر والمجاري المائية العميقة وهبوب الرياح وثورة العواصف وهياج البحر عوامل لها شأن كبير في نجاح الغواص او فشلهِ . فتراهُ يضع الخطة الكاملة لنشل احدى السفن الغارقة او على الاقل لنشل ما فيها من الاموال ولكنهُ لا يجزم بمقدرتهِ على تنفيذها لانهُ يعلم عن

خبرة ان الغواصين قد يبدأُون عملهم في احوال جوية موافقة ويسير العمل على ما يرومونهُ فيهِ من السهولة والاقبال ثم تمضي ايام فاذا هم امام عاصفة ثائرة وبحر هائج متلاطم الامواج فيكفّون عن العمل والنجاح اقرب اليهم من حبل الوريد يتوقعون الفرص حتى تسكن الرياح وتهدأ اللجج فيعيدوا الكرة يحدوهم الامل بالتوفيق ويدفعهم العزم على الاقدام والمثابرة

لذلك ترى ان الرجال الذين يعالجون هذه الاعمال قد اتصفوا ببعد النظر وقلة الكلام والصبر الذي لا يثنيهِ الفشل عن السعي المتواصل . انهم يحسبون حساباً لكل امر علمي وعملي دقيق فيما يعزمون عليهِ ولكن حالة الجو فوق طاقة حسابهم . انهم يتمنون ان يتاح لهم جو رائق وبحر هادئ ولكن متى ثارت العاصفة حار بوها جهدهم الى ان يروا ان الجهد ذاهب عبثاً فيكفوا

واليك حادثة جرت منذ سنتين او ثلاث سنين تدل على ما للقدر من نصيب في اعمال الغواصين . غرقت باخرة فاستقرت على قمة صخر ناتئ من قاع البحر تحيط بهِ من كل الجوانب اغوار بعيدة المدى . فاسرع الغواصون الى المكان الذي غرقت فيهِ فوجدوها مستقرة على ذلك الصخر ولكنها غير ثابتة القرار . ولذلك عزموا ان يبدأُوا عملهم بتدعيمها حتى تثبت في مكانها فيستطيعوا مباشرة السعي لانتشالها . فعلقوا بها من كل الجهات سلاسل متينة من الحديد وفي اطراف السلاسل ربطوا مراسي تثبت السفينة في مكانها

ثم شرعوا في عملهم يسرعون فيهِ ما يستطيعون وهم يراقبون الجو والبحر وكلُّ خوفهم ان تثورَ اللجج وتتلاطم الامواج قبل ان يتم النجاح . ومضى عليهم شهر والجو والبحر يواليانهم وفي احد الايام اخذ النسيم العليل يتحول ريحاً شديدة والبحر الساكن يرغي ويزبد فداخلهم الخوف من قرب هبوب العاصفة وهياج البحر ولكن الريح لم تلبث ان همدت فضاعفوا الجهد مدى اسبوعين آخرين تم لهم في نهايتهما الاستعداد لدفع الماء من داخل السفينة واحلال الهواء محلهُ حتى يخفَّ وزنها ويسهل تعويمها وامَّ الغواصون سفينتهم ليبيتوا ليلتهم وهم فرحون بنجاح مساعيهم مؤملون الحصول على جزاء اتعابهم في الغد

ولكن الليل لم ينقض حتى كان الهواء الذي والاهم ستة اسابيع متوالية اخذ يخونهم في آخر لحظة فهبَّ في الليل عاصفاً شديداً وتعالت الامواج وانخفضت وهي في تعاليها وانخفاضها تضرب جوانب السفينة وتلطمها فتقطعت السلاسل التي تثبتها في مكانها

واحدة واحدة كأنها خيوط العنكبوت وما زالت الامواج تضربها على هذا المنوال حتى قطعتها كلها فلطمتها حينئذٍ موجة عنيفة هوت بها من قمة ذلك الصخر الى غور في البحر لا قرارة له

تأمل شعور هؤلاء الغواصين حينئذٍ وقد انتزع البحر من قبضتهم كنزاً ثميناً وافقدهم فوق ذلك كثيراً من السلاسل والمرامي وما بذلوهُ من الجهد ستة اسابيع متوالية. ولكنهم ماذا فعلوا — ولّوا وجوههم شطر اقرب مرفإٍ اليهم يحدوهم الامل بان التوفيق يسير في ركابهم في المستقبل

ان كثيراً من الناس كانوا يتحدثون في الصيف الماضي عن انتشال النقود اليابانية من قاع البحر وكان في حديثهم ميل الى الاعتقاد بان هؤلاء الغواصين نالوا بغيتهم على اهون سبيل. والحقيقة ان عمل الغواص من اصعب الاعمال واشقها حافل بالمخاطر الاهوال ولكن البحارة الذين يجوبون البحار عموماً والغواصين الذين غالبوا اللجة فغلبوها تارة وغلبتهم اخرى، رجال لا يحفلون بما في عملهم من المخاطر التي تحيق بهم ولكنهم لا ينسون ان يحسبوا لها حساباً في خططهم لانهم كثيراً ما رأوا سفناً تفريغ الواحدة منها ١٠ آلاف طن اواكثر ترفعها الامواج وتخفضها ثم تضربها على صخر من الصخور فتحطمها تحطيماً وكثيراً ما شاهدوا آلات بخارية قوتها ٧٠ الف حصان تجاهد عبثاً لكي تثبت امام قوى الامواج والامواج « تتلاعب بها كما تشاء »

لذلك يجب ان يكون الغواصون والمشتغلون بانتشال الكنوز او نشل السفن رجالاً ذوي عزم واقدام لا يتطرق الى عزائمهم القنوط. بل يحدوهم الامل. يجب ان لا يكتفوا بالشجاعة الجسدية التي يقتحمون بها اهوال البحار بل يجب ان يدّرعوا بالشجاعة الادبية التي تقيهم من اليأس والارتباك فيقتنصوا النصر من مخالب الفشل

ان رجالاً كهؤلاء استطاعوا ان ينشلوا الباخرة « هيباشا » التي غرقت قرب جبل طارق. حاولوا اربع مرات متتابعة ان ينشلوها وكانوا كلما رفعوها الى سطح الماء تعود فتغرق كانما بسحر ساحر. على انهم لم يقنطوا من النجاح بل فعلوا ما فعلهُ روبرت بروس ملك اسكتلندا من قبلهم، اعادوا الكرة عليها مرة خامسة فكان النجاح حليفهم

وسنورد في اجزاء المقتطف التالية اشهر ما ذكر عن نشل السفن من قاع البحر او انتشال ما فيها من الكنوز اذا تعذر نشلها برمتها فانها جمعت الى الفكاهة العلمية والتاريخية دروساً بليغة في الصبر والاقدام

آثار قصر الشمع

في مصر القديمة

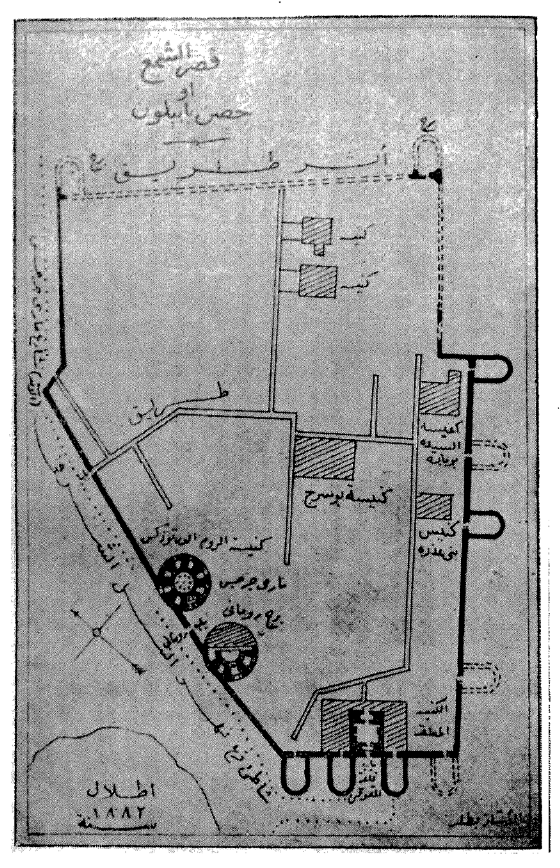
اذا ركب احد قطار السكة الحديد من باب اللوق الى حلوان رأى على يساره عند محطة ماري جرجس ابراجاً عظيمة مستديرة الشكل وآكاماً علت امام بعضها حتى تساوت بارتفاعها تقريباً . هذه الابراج بقايا ابراج اخرى كانت في حصن كبير بناه الرومان على شاطئ النيل ايام حكمهم في مصر وسمّوه حصن بابيلون نسبة الى مدينة بابيلون التي بنوها في الفضاء الى جنوب ذلك الحصن وهو المكان الذي عرف في زمن العرب بالشرف مقابل ساحل اثر النبي الآن

اما مدينة بابيلون هذه فبناها الرومان بحجارة معابد منف المصرية القديمة لانهم بعد اعتناقهم الديانة المسيحية كرهوا رؤية هذه المعابد فاخذوا يهدمونها ويكسرون تماثيلها وينقلون حجارتها الى حيث شاءوا ولم يتركوا منها في مدينة منف الا القليل كالبيت الاخضر الذي وصفهُ عبد اللطيف البغدادي الرحالة في رحلتهِ المشهورة الى مصر . ومما ساعدهم ايضاً على اهمال مدينة منف جعل الاسكندرية عاصمة ثانية للديار المصرية

فلما اتمّ الرومان بناء مدينة بابيلون ارادوا ان يجعلوا لها حصناً لدفع غارة المغيرين عليها فوجدوا خير مكان لذلك المكان الذي فيهِ قصر الشمع فاقاموا الحصن عليهِ واستعملوا في بناء مدينة بابيلون والحصن عدا حجارة معابد منف الطوب الاخضر والآجر على جاري عادتهم في بناء المدن التي لم تزل آثار بعضها باقية الى الآن في الوجه البحري واقليم الفيوم

وكانوا يأخذون الطين اللازم لعمل هذا الطوب من الاراضي التي في جنوبها حيث ما يسمى بالبساتين الآن وبذلك انحط منسوب تلك الارض عن مستوى ما حولها من الاراضي فرشح اليها الماء وصارت بركة عرفت ببركة الحبش ولها تاريخ طويل لا محلّ لذكرهِ هنا

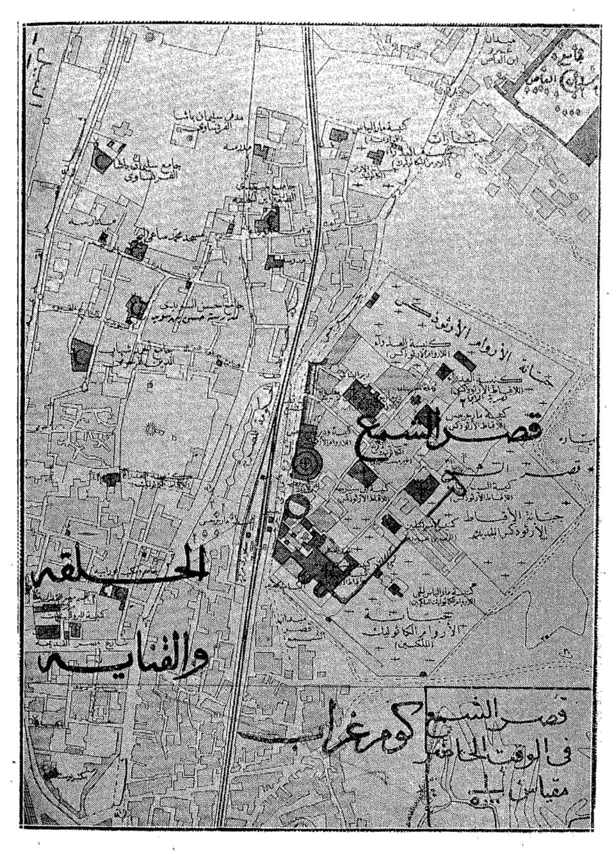
اما قصر الشمع فكان معبداً للنار في مكان حصن بابيلون المذكور بناهُ الفرس ايام حكمهم في مصر وكان يشرف على مدينة منف فاذا انتقلت الشمس من برج الى برج في كل شهر أُوقد خدمة ذلك القصر الشموع على سطحهِ اعلاناً بالشهر الجديد وكان اهل منف وما حولها يترقبون ايقاد الشمع لدفع المرتبات وترتيب انظمتهم الزراعية ومواسمهم الدينية وغيرها كما يرقب المسلمون الهلال



قصر الشمع او حصن بابيلون كما رسمت آثاره منذ ٢٥ سنة

مقتطف فبراير ١٩٢٦

امام الصفحة ١٥٤



قصر الشمع الآن وما يجاوره كما رسمت حديثاً

مقتطف فبراير ١٩٢٦
امام الصفحة ١٥٥

وكان في القصر برج فيهِ هيكل للنار فوقهُ قبة يقال لها قبة الدخان لم يمسها الرومان بسوء بل بقيت الى ما بعد الفتح الاسلامي فاتخذها العرب مسجداً سموهُ مسجد الدخان نسبة الى اسمها الاصلي. وكان الفرع الاكبر من النيل في ذلك العهد هو الواقع بين حصن بابيلون وجزيرة الروضة وكان عليهِ جسر بين الجزيرة والحصن

ومن يتأمل في الاجزاء الباقية من بناء هذا الحصن يرى على كثير من حجارتها نقوشاً هيروغليفية والحجارة موضوعة على غير انتظام مما يدل على انها مجلوبة من اماكن مصرية قديمة ثم استعملت في بناء الحصن كما تقدم

وكان لهذا الحصن اسوار من الآجر والحجر كاسوار مدينة بابيلون وهو ما جعل كثيرين من المؤرخين يخلطون بين اسمهِ وبين مدينة بابيلون

ولما دخل العرب مصر عن طريق رفح فالعريش فالفرما فبلبيس فقرية ام دنين (باب الحديد الآن) تحصن الرومان الذين انهزموا امامهم مع من والاهم من القبط في حصن بابيلون فحصرهُ العرب سبعة اشهر فلم يقووا على فتحهِ وكانت الميرة تأتي الى حامية الحصن عن طريق النيل وتدخل من ابوابهِ المشرفة عليهِ ومنها الباب الذي مكانهُ الآن فم الطريق الموصل الى كنيسة بومرج من جهة شارع ماري جرجس . ولولا صبر العرب وقوة ايمانهم وثقتهم بالنصر لوهنت عزائمهم امام هذا الحصن المنيع وافلوا راجعين . واخيراً قر رأيهم على تسلق الحصن ليلاً فتسلقوهُ وهربت حاميتهُ من بابهِ الجنوبي الى جزيرة الروضة عابرين من فوق الجسر الذي كان بين الحصن والجزيرة ثم كسروا الجسر حتى لا تتبعهم العرب

دخل العرب الحصن وتسلموهُ ثم وقفهُ سيدنا عمرو ولم يقسمهُ مع ما قسم من الغنائم الاخرى

وفي اوائل حكم الدولة العباسية جعل الوالي على مصر جميع دواوين الحكومة ومصالحها في هذا الحصن ثم انحسر ماء النيل عنهُ تدريجيًا الى جهة الغرب وتخلفت الاراضي التي بينهُ وبين النيل الآن . وعلى مضي السنين والاعوام خرب هذا الحصن وتم خرابهُ بعد حرق الفسطاط في آخر ايام الدولة الفاطمية واعتدى الناس على ما تخلف من انقاضهِ فاستعملوهُ في مبانيهم وقد شوهد بعضها في آثار مباني الفسطاط وفي جدران المباني القديمة بمدينة القاهرة ايضاً ولم يبقَ منهُ الاَّ ثلاثة ابراج وبعض اجزاء من سورهِ الغربي عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية كما عثرت ايضاً على زاويتهِ الغربية الجنوبية الى الجنوب من جامع سيدنا عمرو

وكان الحصن ينتهي من الجنوب الى الباب الذي يقال ان المقوقس فرَّ منهُ هو وامراؤُهُ ومن الشمال الى قرب مسجد سيدنا عمرو ومن الغرب الى النيل حيث شارع ماري جرجس الآن ومن الشرق الى حيث كنيسة السيدة بربارة وقد علت ارض الطرق الموصلة اليهِ عن مستواه الاصلي نحو ثمانية امتار تقريباً وهو ما دعا الى عمل السلم الموصل الى بابهِ الجنوبي المذكور

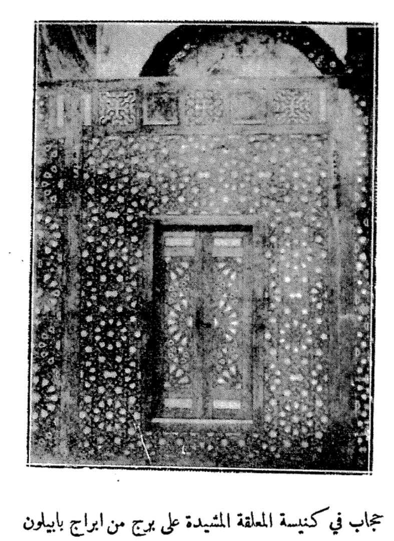
وقد اشغل الحصن بالكنائس والاديرة الموجودة فيهِ الآن وهي الكنيسة المعلقة وكنيسة بوسرج وبها مغارة قديمة وكنيسة ماري جرجس للروم الارثوذكس وكنيس بني عذرة للاسرائيليين وكنيسة السيدة بربارة وكنيسة العذراء وكنيسة ماري جرجس للاقباط وكلها حادثة بعد الفتح الاسلامي

والذي ينعم النظر في حالة الحصن الحاضرة وما بقي منهُ بعد تخريبهِ يرى ان الاجزاء الباقية منهُ الآن تقع في جهتهِ الغربية حيث كانت ثكنات الجند قديماً وذلك لقربها من النيل واما الميادين والحيشان التي كانت داخل الحصن على مثال ميادين قصر النيل وثكناتهِ الآن فكانت شمال الحصن وشرقيهُ وهي التي اتخذها الاقباط الارثوذكس — والاروام والارثوذكس والكاثوليك مدافن لموتاهم الى الآن

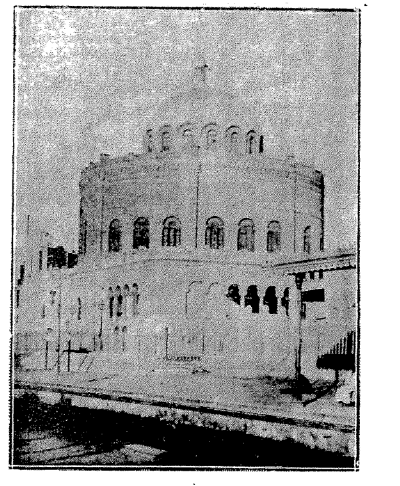
اما البرج الذي الى جنوب الحصن والباب الذي فيهِ والبدنتان اللتان على جانبيهِ فينزل اليها الآن بسلم حديثة كثيرة الدرجات في فناء الكنيسة المعلقة ويقال لهذا البرج برج المقوقس وعليهِ كنيستان احداها تعرف بكنيسة ماري مرقس والثانية بكنيسة تكلا هيكانوت الحبشي ولا يمكن الصعود اليهما لتخرب سلمها وترى على بعض احجار هذا البرج نقوشاً هيروغليفية قديمة دلالة على انها مجلوبة من معابد مصرية قديمة وهذا مما يؤيد القول بانها مأخوذة من مدينة منف كما تقدم

اما الباب ويقال لهُ باب قلعة المقوقس فشكلهُ روماني ويعلوهُ عقد مقنطر وعتبتهُ ليست من قطعة واحدة وخلف هذا الباب دهليز يقع هو وما يتبعهُ من المباني في عرض الباب وعرض البدنتين المذكورتين ويزيد . وفي وسط الدهليز اعمدة مربعة الشكل من عدة قطع من الحجر يعلو بعضها اعمدة من الرخام وفوقها اعمدة اخرى من الرخام ايضاً هي اعمدة الكنيسة المعلقة المشيدة فوق سقف ذلك الدهليز مع ملحقاتها ولذلك سميت المعلقة

وهي مبنية على الطراز العربي من حيث ما فيها من فسيفساء الرخام والخشب المخروط والمعشق والمطعم بالعاج والابنوس ولها ثلاثة اجنحة اثنان نحو اليسار والثالث جهة اليمين



حجاب في كنيسة المعلقة المشيدة على برج من ابراج بابيلون



البرج الروماني وعليهِ كنيسة ماري جرجس للروم الارثوذكس

مقتطف فبراير ١٩٢٦
امام الصفحة ١٥٦

وفيها منبر من الرخام دقيق الصنع مركب على اعمدة من الرخام ايضاً متقاربة بعضها من بعض في الوضع و يقال انها هي الكنيسة الوحيدة التي لها ثلاثة اجنحة

وسقف هذه الكنيسة مركب من اربعة منحنيات من الخشب الخالي من الزخرفة وممتدة على طول الكنيسة ومحمولة على اربعة صفوف من اعمدة الرخام وقد جددها المغفور له نخله بك الباراتي

وفي الشمال الغربي لحوش الكنيسة المعلقة برج ثانٍ اسطواني الشكل من ابراج الحصن القديمة الباقية الى الآن و يقال له برج المقوقس ايضاً . و يشرف بعضهُ على شارع ماري جرجس وقد أُشغل نصفهُ الشمالي بالمباني المحدثة وترك نصفهُ الجنوبي على اصلهِ

وتنتهي هذه المباني المحدثة الى طريق ضيق يفصلها عن برج روماني آخر يشبه برج المقوقس المذكور بنى عليهِ الروم الارثوذكس كنيسة فخمة باسم ماري جرجس بعد ما احاطوا هذا البرج ببرج آخر و بنوا فيهِ سلّماً يصعد عليهِ الى الكنيسة التي احدثوها وتركوا المسافة من اعلى بين محيط البرج الحديث ومحيط الكنيسة على هيئة ممشى مكشوف يشرف على حصن بابيلون وما حولهُ تبعاً لما كان عليهِ الحال ايام الرومان حيث كان الحراس يقيمون . وهو مما زاد في حسن الكنيسة وشكلها ثم اقاموا في شمال ذلك البرج مدفناً صغيراً لدفن موتاهم اسمهُ دير الرهبان وهو من المدافن المعتنى بها جداً في مصر

وفي شمال هذا الدير باب قديم علا عليهِ شارع ماري جرجس حتى اصبح لا يتوصل اليهِ الاَّ بسلم ويدخل من هذا الباب الى طريق ضيق عليهِ منازل صغيرة حقيرة محدثة و ينتهي الى كنيسة السيدة بربارة ومدافن قديمة للاقباط والى كنيس بني عذره لليهود وكثيرون منهم ساكنون حولهُ . ثم تجد وانت في هذا الطريق من جهة اليسار مجازاً ضيقاً تدخل منهُ الى ممر وترى عن يمينك ديراً قديماً لدفن موتى الافرنج الكاثوليك ثم تنتهي الى فضاء فيهِ على اليسار دير للراهبات الاقباط باسم ماري جرجس وفي آخرهِ من الشمال الشرقي سكة تنتهي الى كنيسة العذراء المعروفة بقصرية الريحان وفي غربها دير لموتى الاقباط وفي شمالها دير للروم الارثوذكس و يراد بالدير في كل ما تقدم المقبرة

اما الطريق الفاصل بين برج المقوقس والبرج الذي عليهِ كنيسة الروم الارثوذكس فكثير التعاريج وضيق ويتوصل منهُ الى كنيسة بوسرج و يقال انهُ كان للحصن باب بين هذين البرجين . هذا ما آل اليهِ حال قصر الشمع وما اصبح عليهِ الآن قد فصلناهُ على قدر ما سمح بهِ المقام

مصطفى منير ادهم

الكتب والرسائل والتذاكر

المؤلفة في ابراهيم باشا

وقفتُ في بعض الخزائن وعند الامراء والمشايخ والاعيان على آثار كثيرة اقتنيت بعضها واستنسخت الآخر او اقتطفتهُ او سمعت عنهُ وكلها مما لم ينشر فلخصت من هذه المفكرات هذه المقالة وها انذا ابين الآن تلك المباحث ليعرفها المطالعون. فمن المخطوطات

مذكرات ابرهيم العورا — موَّلف تاريخ سليمان باشا والي عكا وهي يومية تاريخية

حرب ابرهيم باشا — بقلم النسابة المؤرخ البطريرك بولس مسعد الماروني الشهير في بضع عشرة صفحة بقطع صغير

مفكرات القس انطون مارون — من الرهبنة الحلبية المارونية في نحو ١٥٠ صفحة عن حالة السوريين خصوصاً والمصريين عموماً وفيها اشياء مهمة عن حوادث ابرهيم باشا ووالدهِ محمد علي اخبرني عنها الاب بولس قرألي انها من مخطوطاتهِ

رسائل الخوري ارسانيوس الفاخوري — من غزير الى البطريركية المارونية عن ابرهيم باشا ورتشرد وُود المعتمد الانكليزي الذي جاء لبنان ودرس العربية على هذا الاب وسعى باخراج الدولة المصرية

حوادث لبنان من سنة ١٨٤٠ فصاعداً — هي رسالة ابتاعتها مني جامعة بيروت الاميركية ارجح انها بخط الخوري الفاخوري الآنف ذكرهُ وفي اولها تفاصيل مهمة عن حرب عامية لبنان لابرهيم باشا وانتقاضها عليهِ ووصف مواقع لبنان التي عقبت اخراجهُ من سورية في ٧٦ صفحة بقطع ربع عريض وخط كنسي محشّي كأَنها مسودة المؤلف

ذيل لتاريخ الامير حيدر الشهابي — في ابرهيم باشا وحوادثهِ المفصلة كأنهُ من خزانة المرحوم الامير حيدر اسمعيل اللمعي وفيهِ اشياء نادرة عن الدولة المصرية

رحلة الامير بشير الشهابي الى حوران واخبار ابرهيم باشا في سورية — وهي اخبار عيانية لاحد رجال الامير بشير الذي اتصل بابرهيم باشا وهو المرحوم منصور ابو دبس الارثوذكسي من بسكنتا املاها على ولدهِ صديقي جرجس افندي الدبس في معلقة زحلة استنسختها بخطي وهي في ٢١ صفحة بقطع الربع

ذيل تاريخ الخوري مخايل بريك — في ابرهيم باشا وحرو بيد الخوري قسطنطين الباشا

الامير بشير وابرهيم باشا في القرن الماضي — مجموعة بخطي اقتطفتها من اوراق كثيرة ومناشير ومحررات وهوامش كتب في اخبار اوائل القرن الماضي بعهد الامير بشير والحكومة المصرية في بضع عشرة صفحة

تاريخ زحلة — للمطران غريغوريوس عطا الزحلي وهو كبير الحجم عندي مختصره

حوادث ابرهيم باشا والامراء الحرافشة — وهي رسالة بخط نعمة مراد من سكان بلاد بعلبك جمعها من مشاهداته لتلك الحوادث استنسختها لتاريخ الأمير وتاريخ سوريا المخوفة

ابراهيم باشا والحرافشة — هي قصة باللغة العامية والازجال على نمط قصص بني هلال وعنترة رتبها ضاهر رحيمة من بلاد النبك في جبل القلمون وفيها يعدّد المواقع والحوادث بالنثر والشعر العاميين في اكثر من مائة صفحة بقطع الربع

مواقع ابرهيم باشا — الفها الشيخ صالح المرتيني الادلبي من افاضل حلب مسجّعة وصف فيها مواقع ابرهيم باشا من حين خروجه على الدولة العثمانية واستيلائه على سورية وتونية الى مغادرته هذه البلاد وعودته الى مصر . نشر صديقي الشيخ راغب الطباخ ملخصها في تاريخ حلب

حوادث سنة ١٢٥٣ و١٢٥٤ هـ — وهي تقابل سنة ١٨٣٧ و١٨٣٨ م فيها تفصيل حوادث ابرهيم باشا في حلب واعاناته واعماله من خزانة صديقي اسعد افندي العينتابي الحلبي ذكرها الشيخ الطباخ في تاريخ حلب ايضاً (٣ : ٤٣٤) واخبرني مقتنيها عنها في دمشق اذ وصف لي مخطوطاته

تعاليق تاريخية — بخط المرحوم انطون الشرّ الحلبي رأيتها عند ولده في دمشق وفيها بعض افادات عن ابرهيم باشا في حلب

مجموعة اوراق ومناشير — في خزانة الجامعة الاميركية في بيروت جمعت بعناية بعض اساتذتها واصدقائهم ولاسيما الاستاذ اسد افندي رستم مدرس تاريخ محمد علي واولاده وناشر مخطوطة نوفل عنهُ في مجلة الكلية .و بعض تلك المجاميع مما اخبرتهُ عنهُ ومرّ وصفهُ

مفكرات المرحوم رستم باز — والد المرحوم القانوني سليم باز والدكتور الصديق جرجي بك باز دونها لولده الطبيب المذكور بخطه في اكثر من خمسين صفحة بقطع النصف وخط دقيق وفيها اشياء عن الامير بشير الكبير في سورية والاستانة وعن

ابرهيم باشا مما شاهدهُ بعينهِ لانهُ رافق الامير وكان من خاصتهِ

كشف اللثام عن محيا الحكومة والاحكام — وهي مخطوطة كبيرة الحجم بخط مؤلفها المرحوم نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي في الجامعة الاميركية وعندي نسخة منها ذكر في الفصل الثامن منها مصادر هذا المؤلف التي استقى منها حوادثهُ وهي كثيرة بعضها تركي مثل تاريخي جودت باشا وخيرالله افندي شيخ الاسلام اذ ذاك ومحررات محمد علي باشا ومعروضاتهِ التركية الى الدولة العثمانية بقلم خيرة افندي طبع مصر سنة ١٨٢٦ م باسم (روض الكتبا وحياض الادبا). والكشف ينشرهُ الاستاذ رستم في مجلة الكلية بتعاليق وحواشٍ كثيرة و يجمعهُ على حدةٍ مختاراً منهُ ما يتعلق بالدولة المصرية في سورية خاصة

تعاليق الشيخ طنوس الشدياق ومفكراتهُ — ولم نظفر منها بالنسخة التي بخطهِ مما اعتمد عليهِ في تاريخهِ (اخبار الاعيان المطبوع في بيروت سنة ١٨٥٩ م) ولكنني عثرتُ على (مفكرة لهُ) بخطهِ في نفقاتهِ ودخلهِ نحو عشر سنوات حتى اول الدولة المصرية في سورية اطرفني بها صديقي القانوني الكبير جرجس بك صفا وهي الآن في خزانة الجامعة الاميركية بين مخطوطاتي التي ابتاعتها

آثار الحقب في تاريخ لاذقية العرب — للمرحوم الياس صالح اللاذقي وهو مخطوط فيهِ نخبة صالحة عن حروب ابرهيم باشا في جبل العلويين

تنهدات سورية — للمرحوم جبرائيل شحاده الصباغ الارثوذكسي الدمشقي المتوفى بعد سنة ١٨٦٠ م وهو رسالة نادرة من مخطوطاتي المتصلة بالجامعة الاميركية

ثورة العامية على ابرهيم باشا — في خزانتي نسخة منها بخط المرحوم المعلم منصور الحكيم الغوسطاوي رواية شيوخ كسروان عنها وفيها ثورة العامة على المشايخ الخوازنة ايضاً

هذا عدا اوراقاً كثيرة ومناشير وتعاليق استنسختها لجاميعي ومفكراتي التاريخية ولاسيما لكتابي (تاريخ الامير) و(تاريخ سورية المجوفة)

اما المصادر المطبوعة التي ذكرت ابرهيم باشا المصري وحروبهُ فهي كثيرة منها : (تقرير صحي للجيش المصري في سورية) لكلوت بك سنة ١٨٣٣ م (وتاريخ الاعيان في جبل لبنان) للشيخ طنوس الشدياق (وتاريخ الامير حيدر) الشهابي الشملاني ٠ (ورحلة ابرهيم بك النجار الطبيب) الى مصر والاستانة باسم (مصباح الساري) ٠ و (المناقب الابراهيمية) لاسكندر بك ابكاريوس وقد طبع بمصر قديماً وفي حمص قبل الحرب العامة

وهو في وصف حروبهِ ولكنهُ كثير السجع مما افسد بعض معانيهِ . و (المرآة الوضية) للدكتور ڤانديك الاميركي . و (الروضة الغنّاء) لنعمان قساطلي الدمشقي . و (تاريخ مصر الحديث) لجرجي زيدان . و (مشهد العيان في حوادث سورية ولبنان) للدكتور مخايل مشاقة وهو من كتابهِ (التحفة المشاقية) تصرَّف طابعوهُ فيهِ فوقعت فيهِ اغلاط والتباسات و (الجزء الثامن من تاريخ سورية) للمطران يوسف الدبس و (ذخائر لبنان) لابرهيم بك الاسود و (المحررات السياسية) للشيخين فيليب وفريد الخازن . و (المقاطعة الكسروانية) للخوري منصور الحتوني . و (دوالي القطوف) و (تاريخ زحلة) لكاتب هذه المقالة . وتواريخ المدن مثل (خطط الشام) للاستاذ محمد كرد علي و (تاريخ حلب) للشيخين كامل الغزي وراغب الطباخ و (تاريخ الناصرة) للقس اسعد منصور و (بنو معروف) لعبدالله افندي النجار . واقربها عهداً (لبنان و يوسف كرم) للخوري اسطفان البشعلاني وفيهِ ذكر مفكرات لكرم ورجالهِ لا تزال مخطوطة

ذلك عدا ما ذكر عنهُ في دائرة المعارف العربية وآثار الادهار وتواريخ مصر والدولة العثمانية والمجلات والجرائد والرحلات المطبوعة . وما بقي من المفكرات والحواشي التاريخية في مكاتب العامة والخاصة وسجلات الاديار ونحوها

اما ما أُلِّف عنهُ باللغات الاجنبية فهو كثير نشر معظمهُ مطبوعاً و بقي الآخر مخطوطاً مما ربما افردتُ لهُ مقالة خاصة ابيّن فيها تلك المؤَلفات وما جاء فيها احياناً من المجازفات والاوهام والهفوات وما اختلف فيهِ الراوون من المنقولات

وفي كثير مما مرَّ ذكرهُ هنا من المؤَلفات والرسائل مبالغات او تنديدات بعضها بغير محلها يحتاج الى تمحيص وتحقيق ومعرفة الاصول التي نقل عنها والراوين الذين نقلوها فان لبعضهم آراء خاصة ومآرب شخصية من تزلفاتٍ او عداوات او سقطات اقلام واختلاف روايات . فنحن اليوم بامس حاجةٍ الى تمحيص مثل هذه الحوادث والكتب تمحيصاً مبنيًّا على النقد التاريخي الباحث على العلل والاسباب واراد الاخبار موافقة للعقل والنقل . فما احرانا بعقد مجمع تاريخي لهذه الغاية ليكون تاريخنا الشرقي وحوادثنا الوطنية صحيحة الروايات يعوّل عليها الآتون ولا يتكرر الخطأ بالنقل المجرّد الذي هو آفة التاريخ و باعادة حوادثهِ بلا فائدة تذكر او شاردة تقيّد . وفقنا الله الى التحقيق وارشدنا الى السداد بمنهِ وكرمهِ

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

الاشعة السموية

مهما كان النورساطعاً وسواءٌ كان نور الشمس او نور مصباح فان ورقة رقيقة تحجبهُ. ومنذ عهد غير بعيد كُشف النور المسمَّى باشعة اكس او اشعة رنتجن وثبت انهُ اقوى من نور الشمس نفوذاً ينفذ مواد كثيرة لا ينفذها نور الشمس ونستطيع ان نرى بهِ عظام الانسان لانهُ ينفذ اللحم ولا ينفذ العظم ونرى بهِ ما في صندوق من النقود لانهُ ينفذ الخشب ولا ينفذ المعدن . وقد ظهر الآن انهُ يصل الى الارض اشعة من السماء اشد نفوذاً من اشعة اكس لانها تنفذ لوحاً من الرصاص ثخنهُ نحو مترين مع ان اشعة اكس لا تستطيع ان تنفذ لوحاً ثخنهُ اكثر من سنتيمتر. وفيما يلي تاريخ هذا الاكتشاف

انتبه بعض علماء الطبيعة من الانكليز سنة ١٩٠٣ الى ان الالكتروسكوب (دليل الكهربائية) ترشح الكهربائية منهُ ولو كان مسدوداً سدًّا محكماً لا يدخلهُ الهواء ومحوطاً بورقة من الرصاص . ورشح الكهربائية منهُ يدل على ان اشعة كهربائية ايجابية او سلبية دخلتهُ واتحدت ببعض الكهربائية التي فيهِ فعدَّلتها اي ازالتها. ففسَّروا ذلك بان في الارض مواد تشعُّ اشعة كهربائية اخترقت الرصاص ووصلت الى الكهربائية التي في الالكترسكوب واتحدت بها

وسنة ١٩١٠ صعد بعض علماء الالمان ببلون واخذوا معهم الكتروسكوباً حتى يبعدوا بهِ عن الارض و يروا هل زوال كهربائتهِ ناتج من كهربائيتها فوجدوا ان الكهربائية ترشح منهُ كما ترشح على سطح الارض بل يزيد رشحها هناك. ثم نشبت الحرب الكبرى فمنعت اولئك العلماء وغيرهم عن مواصلة البحث في هذا الموضوع

وسنة ١٩٢٢ جعل الدكتور مليكان العالم الطبيعي المشهور يضع الالكترسكوب في بلون مقيَّد ويطلقهُ في الجو حتى يبلغ ارتفاعهُ عن سطح الارض اكثر من خمسين الف قدم ثم يرجعهُ فوجد ان رشح الكهربائية يزيد في تلك الاعالي زيادة كبيرة دلالة على كثرة هذه الاشعة الكهربائية هناك

واعيدت التجارب على قمة جبل سنة ١٩٢٣ ثم فوق بحيرة تعلو عن سطح البحر ١١٨٠٠ قدماً ماؤُها كلهُ من ذوب الثلج لم يختلط بمياه الينابيع التي قد يكون فيها شيءٌ من اشعة الراديوم فثبت وجود اشعة كهربائية جديدة غير صادرة من الارض بل آتية من السماء

اي من الفضاء حول الارض . ثم اتضح ان هذه الاشعة تنفذ لوحاً من الرصاص سمكهُ ست اقدام كما تقدم وطبقة من الماء سمكها ٦٨ قدماً . وقوة نفوذ الاشعة تزيد على نسبة قصر امواجها فاقصرها امواجاً اشدها نفوذاً ولذلك يكون طول الموجة من امواج هذه الاشعة جزءًا من عشرة ملايين جزءٍ من طول امواج النور العادية

ومما ظهر من صفات هذه الاشعة انها اذا اصطدمت بشيءٍ تتشعب وتصير شعبها حينئذٍ اضعف منها نفوذاً اي ان قوة نفوذها تضعف بتشعُّبها

وتدل الدلائل على ان هذه الاشعة منتشرة في الفضاء دواماً في كل ساعة من ساعات النهار والليل وانها تأتي الى الارض من كل الجهات ولا يعلم حتى الآن ما هو مصدرها. ومن رأي الاستاذ ملكان انها ناتجة من تحول جواهر الهدروجين الى هليوم

يظهر من ذلك ان الفضاء مشحون بهذه الاشعة وهي تشعُّ فيهِ في كل الجهات بسرعة النور و بقوة عظيمة جداً تخترق بها صفيحة من الرصاص سمكها ست اقدام او طبقة من الماء سمكها ٦٨ قدماً . ومن المحتمل او المرجح الآن انها ناتجة من تغير في جواهر المادة حادث في سديم لولبي من السدم المنتشرة في الكون . وقد ارتأى بعضهم انها متولدة في طبقات الهواء العليا من كهارب تتحرك في الفضاء بسرعة النور لكن الاستاذ ملكان لا يؤيد هذا الرأي . ولذلك لم يجمع العلماء على رأي واحد في مصدرها فلا يزال هذا المصدر في معرض البحث هو وسائر خواصها . فان الاشعة المعروفة متدرجة كلها في اطوال امواجها من اطولها الى اقصرها بفروق قليلة بينها واما هذه الاشعة فامواجها اقصر كثيراً من اقصر الامواج المعروفة لا يزيد طولها على جزءٍ من خمسين جزءًا من طول اقصر الامواج وينتظر ايضاً ان يكشف من الاشعة ما يملأُ الفراغ الذي بينهما

المجهولات في الطبيعة اكثر كثيراً من المعلومات نرى هذه المجهولات في نواميس الجماد وفي خواص الحيوان والنبات واذا قسنا ما نعلمهُ بما لا نعلمهُ وجدنا اننا لا نعلم شيئاً يذكر واننا لسنا سوى مشاهدين وواصفين . مَن منا يعلم لماذا تنوعت العناصر في اشكالها والوانها وخواصها . مَن منا يعلم كيف انواع النبات والحيوان التي تعدُّ بمئات الالوف وكيف تختلف افراد كل نوع منها واصنافهُ ؟ فهل يكون لهذه الاشعة يد في كشف بعض المجهولات وتعليل ما نجهل علتهُ ؟ ذلك مما تصبو العقول الى معرفتهِ ونتوقع الوصول اليهِ بين آونة واخرى

الفيوم والماء والنور

زار المندوب السامي البريطاني مديرية الفيوم في اواسط دسمبر بدعوة من اهاليها فلقي فيها كل تجلَّة . وتلا الدكتور اسكرن الاميركي خطبة ترحيب بهِ باللغة الانكليزية نيابة عن المجلس البلدي جاء فيها على طرف من تاريخ تلك المديرية وما بُذل من الهمة حديثًا في انارة عاصمتها مدينة الفيوم بالنور الكهربائي المتولد بقوة انحدار الماء وتوزيع ماء الشرب فيها بآلة تربين تدار بالماء لان الفيوم المديرية الوحيدة في القطر المصري بعد اصوان التي يحدر فيها الماء انحداراً تكفي قوتهُ لادارة الآلات اي ان فيها ما يسمَّى الآن بالفحم الابيض . وقد ترجمنا هذه الخطبة بما يلي

يا صاحب الفخامة

اني واخواني اعضاء المجلس البلدي نتشرف بان نرحّب بزيارتكم لمدينتنا التي هي من احدث مدن القطر المصري القديمة لان ذكر هذه المديرية و بنوع خاص ذكر هذه المدينة لم يرد في التاريخ القديم الاَّ في بداءة عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية القديمة اي منذ خمسة آلاف سنة . والمرجح انهُ قبل ذلك كانت مديرية الفيوم بحيرة يصب فيها ماء النيل من غير قيد فرسب طميهُ فيها سنة بعد سنة الى ان صارت ارضاً زراعية بل جنَّة من جنان القطر المصري من حيث ما ينع فيها من الاشجار المثمرة

ومن اول ما ظهر فوق سطح البحيرة البقعة التي أُنشئت فيها مدينة الفيوم وكانت تسمَّى في العصر القديم كروكوديلوبولس اي مدينة التمساح لان التمساح كان يعبد فيها . ثم ابدل اسمها في عهد البطالسة وسميت ارسنوي وأُبدل اخيراً بالاسم الحالي بعد سقوط الامبراطورية الرومانية على ما يرجح

وفي اصل الاسم الاخير قولان الاول وهو المرجح انهُ مركب من لفظين مصريين فا ايوما معناهما البحيرة لان فا بمثابة التعريف و يوما معناها يم اي بحر . والقول الثاني عربي الاصل وخلاصتهُ انهُ لما شاخ يوسف أُقنع فرعون ان يمتحنهُ وذلك بان يحيي ارض الفيوم وكانت مستنقعاً مواتاً ففعل يوسف ذلك بان حفر الترعة المسماة بحر يوسف ليجري بها الماء الى الفيوم وقت الفيضان و بنى لها قناطر موازنة في اللاهون وهوارة لتحديد الماء حين الحاجة اليهِ في الوجه البحري . وقد اقتضى حفر بحر يوسف هذا الف يوم فسميت

المديرية الفيوم اي الف يوم وهو تعليل جميل ولكنهُ لا ينطبق على الحقيقة

اننا نرحب بمجيئكم الى مديرية من اجمل مديريات مصر وهي المديرية الوحيدة التي ارضها غير منبسطة ولكننا نأسف لان بعدها عن خط سكة الحديد الطوالي بين الوجه البحري والوجه القبلي اعاق اصلاحها

لقد كانت الفيوم دائماً ارض المياه ومسرة المهندس المائي وسيكون من اقصى ما يسرنا عصر هذا النهار ان نريكم المكان الذي تتولد فيهِ القوة لانارة مدينة الفيوم وتوزيع ماء الشرب فيها

مضى على هذا المشروع عشرون سنة ولم يقر القرار عليهِ الاَّ منذ سنتين ومن ثم ابتدأ العمل فيهِ الى ان قارب التمام. ولكننا نقول بالاسف انهُ لا يراد اتمامهُ الآن على اصلهِ ليكون كافياً لخمس بلاد احدها مدينة سكانها اكثر من خمسة وعشرين الف نفس مع ما انفق من النفقات الطائلة على الاعمال الابتدائية والآلات بدعوى ان المواسير اللازمة لايصال المياه الى تلك البلاد يبلغ ثمنها نحو ثلاثين الف جنيه . وهذا المبلغ لا تستطيع بلدية الفيوم القيام بهِ الآن . والظاهر ان الحكومة لم ترَ سبيلاً لاقراضنا هذا المبلغ حتى تصل مياه الشرب النقية الى نحو اربعين الفاً من سكان هذه المديرية زيادة على سكان مدينة الفيوم

هذا المشروع وحيد في كونهِ اول عمل كهربائي في مصر تأتيهِ القوة من انحدار الماء . لان ليس في القطر المصري مكان آخر تنحدر فيهِ المياه انحداراً فيهِ قوة كافية للاستعمال الاَّ في اصوان حيث ينحدر الماء من الخزان فتتولد منهُ قوة عظيمة جداً وفي بعض القناطر حيث يمكن توليد قوة ضعيفة ولكن القوة التي تتولد هناك وتكون كافية لادارة التربين ليست دائمة على مدار السنة

والمشروع الذي وضعنا اساسهُ يكفي في المستقبل كما نرجو لانارة كل مديرية الفيوم وتجهيزها بماء الشرب النقي حينما يتيسر المال اللازم لذلك

هذا ونتوسل الى فخامتكم ان لا تستاؤوا من منظر شوارع مدينتنا وانتم مارون فيها بالاتومبيل لاننا اضطررنا ان نحفرها حديثاً لوضع مواسير الماء والكهربائية . وقلنا انهُ ليس من الحكمة ردم هذه الحفر قبلما يتم العمل ونجربهُ ونراه طبق المرام

وفي الختام كرر شكر المجلس البلدي لفخامة المندوب السامي لاجابة طلبهِ في زيارة مديرية الفيوم

سيرة عالم عصري كبير

ميكلصن وقياس النور — استنباط الانترفرومتر — اساس مذهب اينشتين

في الولايات المتحدة الآن عالمان طبيعيان من علماء الطبقة الاولى في هذا العصر هما الاميركيان الوحيدان اللذان نالا جائزة نوبل للطبيعيات احدهما الاستاذ روبرت ملكان صاحب المباحث المبتكرة في بناء الجوهر الفرد وقياسهِ والثاني الاستاذ البرت ميكلصن موضوع مقالتنا هذه وهو اقدمهما عهداً بالعلم والمفاخر العلمية . قاس سرعة النور قبل بلوغهِ الثلاثين من العمر فجاء قياسهُ ادق من كل قياس سبقهُ فاعترف لهُ بهِ جميع العلماء . واستنبط الانترفرومتر وهو من ادق الآلات الفلكية والطبيعية المعروفة وقاس بهِ قطر منكب الجوزاء في كوكبة الجبار فاذا هو ٢٦٠ مليوناً من الاميال اي لو وضعناهُ في مركز النظام الشمسي للامست اطرافهُ فلك المريخ تقريباً . واستعملهُ مع الاستاذ مورلي في تجربة علمية دقيقة الغاية منها معرفة سرعة حركة الارض في الفضاء من مقابلتها بسرعة النور فجاءت نتيجتها اساساً بنى عليهِ العالم اينشتين مذهبهُ العام في النسبية . وقد اتم حديثاً تجربة جديدة خرج منها بدليل جديد يؤيد مذهب اينشتين

وُلد في بلدة سترنلو ببولونيا سنة ١٨٥٢ فهو في الثالثة والسبعين من عمرهِ الآن وهاجر والداهُ الى الولايات المتحدة لما كان في السنة الثانية من عمرهِ فقطنا بلدة في ولاية نفادا وهي من الولايات الغربية وتلقى مبادىء القراءة والكتابة في مدارسها ثم انتقل الى مدرسة عالية في سان فرنسسكو وكان رئيس تلك المدرسة ممن عرفوا بتوخي الدقة التامة في كل ما يفعلهُ شديد الوطأة على تلاميذهِ فيما يتعلق بدروسهم . على انهُ مال بكليتهِ الى الفتى ميكلصن اذ توسم فيهِ النجابة والذكاء فوجه عناية خاصة الى تعليمهِ مبادئ العلوم وخصوصاً مبادئ الرياضيات

وجاءهُ في احد الايام كتاب من ابيهِ ينبئهُ فيهِ ان لولاية نفادا حقًّا في ارسال واحد من ابنائها لتلقي العلوم في المدرسة البحرية بوشنطن وان هذا يتم للمتفوق في امتحانات وضعت خاصة لذلك وطلب الى ابنهِ ان يجيء نفادا و يتقدم لاجتياز هذه الامتحانات

لكنَّ الفتى لم يهمهُ هذا الامر فكتب الى ابيهِ كتاباً بسط فيهِ رأيهُ فكان جواب الوالد تلغرافاً موجزاً يأمرهُ فيهِ بالحضور الى نفادا حالاً

تقدم ميكلصن الى الامتحانات وتفوق فيها مع فتى آخر فلم يستطع اولو الامر ان يعينوا احدهما اعتماداً على نتيجة الامتحان لانهما كانا متعادلين فنظروا في الامر من وجهٍ آخر. ذلك ان والد الفتى ند ميكلصن كان قد خاض غمار الحرب الاهلية ولم يكن في بسطة من العيش تمكنهُ من الانفاق على تعليم ابنهِ التعليم العالي فعين ابنهُ في المدرسة البحرية

على ان والد ميكلصن كان قد وطن نفسهُ على تعيين ابنهِ ايضاً فزار عضو ولاية نفادا في مجلس الشيوخ وكان تعيين الطالب من تلك الولاية في يدهِ فقال لهُ هذا ان التعيين قد تمَّ وليس في مستطاعهِ تعيين طالبٍ آخر تلك السنة. لكنهُ عرض عليهِ ان يكتب رسالة الى رئيس الولايات المتحدة وفي يدهِ تعيين عشرة من الطلبة، فيحملها اليهِ ابنهُ لعلها تعود بفائدة ما

كان الجنرال غرانت رئيساً حينئذٍ فحمل ميكلصن اليهِ الرسالة بعد ان قطع بها الولايات المتحدة من غربها الى شرقها فاحسن الرئيس وفادتهُ ولكنهُ قال لهُ ان الاماكن التي في يديهِ تعيين الطلبة فيها قد وعد بها عشرة من الطلبة. لكنهُ لم يقطع للفتى حبل الامل فبعث بهِ الى وزير البحرية لعلَّهُ يجد لهُ طريقة تمكنهُ من دخول المدرسة فقال لهُ الوزير انتظر ريثما يُتم احد الطلبة امتحانهُ فاذا لم يجزهُ عينتَ مكانهُ فبقي في وشنطن ينتظر ما يكون من امر الطالب وبلغهُ في احد الايام انهُ رسب في الامتحان لكن المسؤولين اجازوا لهُ ان يتقدم لامتحان ملحق فجازهُ وثبت تعيينهُ. فلم يبقَ لدى ميكلصن الآن يحزم امتعتهُ ويعود ادراجهُ. وفيما هو يستعدُّ للرحيل وقد ارسل صندوق امتعتهِ الى المحطة جاءهُ ضابط من ضباط وزارة البحرية وانبأهُ ان الرئيس قد خرج على التقليد الذي جرى عليهِ اسلافهُ وامر بتعيينهِ

ترى من يستطيع ان يقيس خسارة العلم لو ان القطار سافر قبل وصول هذا الضابط او لو امتنع الجنرال غرانت عن مخالفة ما جرى عليهِ اسلافهُ ؟

درس ميكلصن في المدرسة البحرية سنتين اتم فيهما دروسهُ. وكانت المدرسة حينئذٍ في حاجة الى مدرس يدرّس فيها مبادئ الطبيعيات. فوقع اختيار الاميرال سمبسون عليهِ فكان شأنهُ في تدريس هذا العلم شأن كل معلم مبتدئ يعيّن لتدريس فرع من فروع العلم لم يختص بدرسهِ او لم يهتم بهِ اهتماماً خاصاً. عرف ميكلصن موطن الضعف فيهِ فكان يدرس الدرس كما يدرسهُ التلاميذ ويقرأ بضع صفحات تالية لهُ حتى يكون عارفاً بما سيجيء. ولما كان نظام التدريس قائماً على توجيه الاسئلة الى التلاميذ عن محتويات

الدرس المعين لم سَهُلَ عليهِ السير في عملهِ . ثم تغير اسلوب التدريس فطُلب اليهِ ان يعدّ خطباً يلقيها على الطلبة ويذكر فيها ما لم يكن مذكوراً في الكتاب الذي يدرسونهُ لحثهُ هذا الطلب على التوسع في البحث . وفيما هو يعدّ خطبةُ هذه استرعت اهتمامهُ الاساليب التي يستخدمها العلماء لقياس سرعة النور فخطر لهُ ان يجرّب احداها امام الطلبة قرناً للعلم بالعمل . ولكن لم يخطر لهُ على الاطلاق مباراة العلماء في ذلك . فانفق جنيهين من مالهِ لشراء بعض المواد لان ميزانية المدرسة لم يكن فيها مخصصات لمثل هذه التجارب

جرّب اسلوب فوكولت بعد ما غير فيهِ تغييراً طفيفاً فوجد ان قياسهُ هو للنور اكثر ضبطاً ودقة من القياس الذي كان مقبولاً لدى العلماء حينئذٍ . ونشر نتيجة تجاربهِ فاذا بهِ بين ليلة وضحاها قد ذاع اسمهُ بين العلماء وقبلت نتيجة تجاربهِ عندهم . فشجعهُ هذا على المضي في عملهِ وكان البحث في النور قد فتنهُ فعزم ان ينقطع لهُ وقد مضى عليهِ الآن خمسون سنة في هذا العمل

واستقال من التدريس في المدرسة البحرية سنة ١٨٧٩ وبقي في وشنطن يشتغل بالروزنامة البحرية ثم سافر الى اوربا في اوائل سنة ١٨٨٢ فقضى سنتين يدرس ويبحث في كليات برلين وهيدلبرج وباريس . ولما عاد من اوربا عين استاذاً للطبيعيات في مدرسة كايس للعلوم العملية وبقي في منصبهِ هذا ست سنوات ثم انتقل الى جامعة كلارك فبقي فيها ثلاث سنوات استاذاً للطبيعيات ايضاً ثم دعي الى جامعة شيكاغو ليرأس دائرة العلوم الطبيعية فيها ولا يزال في منصبهِ هذا الى الآن

وعين سنة ١٨٩٢ عضواً في مكتب الموازين والمقاييس الدولي في باريس . وسنة ١٨٩٧ عضواً في لجنة الموازين والمقاييس وسنة ١٩٠١ رئيساً للجمعية الاميركية الطبيعية وسنة ١٩١٠ رئيساً لمجمع تقدم العلوم الاميركي ونال جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٠٧ وهو اول اميركي نالها ومدالية كوبلي من الجمعية الملكية ببلاد الانكليز . ونال الوسام الذهبي من جمعية الفنون بلندن سنة ١٩٢١ والوسام الذهبي من الجمعية الفلكية الملكية بلندن سنة ١٩٢٣

***

ذكرنا في صدر هذا الكلام ان الاستاذ ميكلصن اشترك مع الاستاذ مورلي في تجربةٍ بنى اينشتين مذهبهُ في النسبية على نتائجها . ولما كان مذهب النسبية اشهر المذاهب العلمية الحديثة آثرنا ان نصف تجربة مورلي وميكلصن لما لها من الشأن في مذهب اينشتين

تدور الارض على محورها مرة كل يوم وتدور في فلكها حول الشمس مرة كل سنة



الاستاذ ميكلصن في معملهِ الطبيعي

مقتطف فبراير ١٩٢٦

امام الصفحة ١٦٨

وسرعة دورانها اليومي والسنوي معروفة لدى العلماء لكن علماء الهيئة يقولون ان الارض والشمس وكلّ نظامنا الشمسي سائرة في الفضاء سيراً سريعاً وسرعة هذا السير هي ما حاول الاستاذ ميكلصن تحقيقها في تجربتهِ الشهيرة . خطر لهُ انهُ اذا كان النظام الشمسي سائراً مع النور في متجهٍ واحد ظهرت سرعة النور اكبر مما هي وانهُ اذا كان النور سائراً في الجهة المقابلة لسير النظام الشمسي ظهرت سرعتهُ اقل مماهي . فابتكر تجربة بسيطة الاركان واستنبط لها آلة الانترفرومتر ليقيس بها الفرق بين سرعة النظام الشمسي اذا كان سائراً مع اتجاهِ النور او عكسهُ فثبت لهُ ان سرعة النور واحدة في الحالين · اي تعذّر عليهِ رغم الدقة العظيمة التي توخاها معرفة سرعة النظام الشمسي في الفضاء . فكانت هذه النتيجة مخالفة لكل ما عرف قبلاً وكان لابدّ من تعليلها اذا كانت صحيحة

وابان العالِم فتزجرلد سنة ١٨٩٣ والعالِم لورنتز الهولندي سنة ١٨٩٥ انهُ يمكن تعليل هذه النتيجة الغريبة اذا حسبنا انالحركة في الاثير تغير اطوال الاجسام المتحركة وجاء بعدهما اينشتين واستنبط مذهبهُ في النسبية سنة ١٩٠٥

قال ميكلصن للكاتب الذي اقتطفنا منهُ ما تقدم « يحسب الناسُ ان تجربتي هذه هي اعظم اعمالي ولكنني اعتقد ان استنباط الانترفرومتر اعظم منها لانهُ لولا الانترفرومتر لما استطعنا اجراء التجربة وفوق ذلك قد استعملناهُ في امور علمية اخرى· لانهُ يساعدنا على عمل قياسات دقيقة لا نستطيعها بغيرهِ من الآلات المعروفة »

ومن الغريب ان صاحب الترجمة عاد في السنة الماضية الى التجربة التي بدأَ بها مباحثهُ العلمية واذاعت اسمهُ بين العلماء نريد تجربة قياس النور .ولكنهُ بدلاً من ان يجربها في غرفة ضيقة الجوانب جربها بين قمتي جبلين البعد بينهما اثنان وعشرون ميلاً وذلك انهُ اقام على احدى القمتين مرآة ثابتة وعلى القمة الاخرى مرآة مثمنة اي ذات ثمانية وجوهٍ تدور ٥٣٠ دورة في الثانية . ثم صوّب شعاعةً من النور الى المرآة الدائرة فانعكست عن احد وجوهها الى المرآة الثابتة على القمة الاخرى وعادت الى المرآة الدائرة فاصابت الوجه التالي للوجه الذي عكست عنهُ اولاً · فاذا عرفت سرعة المرآة والمسافة بين القمتين استخرجت سرعة النور . وقد فعل الاستاذ ميكلصن ذلك فاذا سرعة النور ٠٠ ٨٦٣ ١ ميل في الثانية . ويحتمل وجود خطإٍ في هذا الرقم يعادل عشرين ميلاً اكثر اواقل · وهو يعدّ عدتهُ ليعيد هذه التجربة بين قمتين تكون المسافة بينهما مائة ميل فيقلل الخطأَ الذي يحتمل وقوعهُ الى ميل واحد

ارتقاء الشرق وطمع الغرب

ووصية سبنسر لليابان

لما وضعت الحرب اوزارها ووضع الحلفاء نظام الانتداب للبلدان التي فصلوها عن تركيا والمانيا زاعمين انهُ يفي بشروط اميركا لما دخلت الحرب وهي « لا فتح ولا ضم» اوجسنا شرًّا لعلمنا ان الظلم من شيم النفوس وان القوي يأكل الضعيف اذا تضاربت المصالح وكيف لا تتضارب في هذا العصر والمال معبود الانسان يتوسل اليهِ بكل وسيلة ودليلنا في ذلك وصية سبنسر لليابان. وقلنا اذا كان لا بد من الانتداب فليختر اخف الشرين واشرنا بطلب اميركا لانها احسنت في احتلالها لكوبا ثم خروجها منها وفي احتلالها لجزائر فيلبين ومساعدة سكانها . ولكن ابت المصالح المالية والطائفية الاَّ ان تسيّر الامور كما تشاء

وقد رأينا ان نعيد نشر وصية سبنسر وما كتبناهُ تمهيداً لها وتعقيباً عليها منذ اثنتين وعشرين سنة لما فيها من الحقائق والنصائح التي يجب ان تكرَّر دواماً لئلاَّ تنسى . وهاك نص الوصية والتمهيد والتعليق

لقد وفقت اليابان اكثر مما وفقت دولة شرقية اخرى الى تعليم بعض ابنائها في مدارس اميركا وانكلترا والمانيا حيث قرأوا كتب كبار الفلاسفة فخرجوا منها واسعي المدارك احرار الافكار يسعون في مصلحة بلادهم على اسلوب يفيدها ولا يضرُّ بها . ومن هؤُلاء الرجال رجل اسمهُ البارون كنتارو كانيكو وقد أُعطي لقب بارون بعدئذٍ مكافأَةً لهُ . فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة باميركا ولما عاد الى بلادهِ تقلَّب في كثير من مناصبها وكان اليد اليمنى للمركيز ايتو وزير اليابان الاعظم ولهُ الشأن الاكبر في تنظيم البارلمان الياباني . وانتخب سنة ١٨٩٠ عضواً في مجمع الشرائع الدولية او حقوق الدول الذي يعقد عادة في مدينة جنيفا بسويسرا وكانت اليابان ترقب هذا المجمع لترى ما يكون رأيهُ في اشتراكها مع الدول الاوربية . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للسر ترافرس توس المعدود في الطبقة الاولى بين علماء القوانين الدولية اشار فيها على الممالك الشرقية ان تبقى منفصلة عن الممالك الاوربية. فقصد البارون كانيكو ان يناضلهُ ويبين لهُ ولعلماء القوانين المجتمعين هناك ان اليابان حرية بان تعامَل معاملة خاصة فتنتظم في سلك الدول الاوربية وتعطي حقوقها . واستأذن حكومتهُ في المجيء الى جنيفا لهذه الغاية ليحضر

اجتماع هذا المجمع سنة ١٨٩٢ . وكان قد قرأ كتب هربرت سبنسر واستقى من معين فلسفتهِ وودَّ ان يراهُ وجهاً لوجه ويسألهُ رأيهُ في بعض المسائل الهامة . ومرَّ باميركا في طريقهِ الى اوربا وطلب من الاستاذ جون فسك الاميركي كتاباً الى الفيلسوف هربرت سبنسر ليقابلهُ بهِ فابى فسك لعلمهِ بانقطاع سبنسر عن مقابلة الناس لكن البارون لجَّ عليهِ في الطلب فاجابهُ الى طلبهِ وسلمهُ الكتاب فسار بهِ الى انكلترا وارسلهُ الى سبنسر مع كتاب آخر منهُ بيَّن لهُ فيهِ غرضهُ من طلب زيارتهِ فجاءهُ الجواب من سبنسر حالاً يدعوهُ الى بيتهِ واستمرَّت المقابلة الاولى ساعتين فان سبنسر كان قد جمع اموراً كثيرة متعلقة بتاريخ اليابان وسياستها وعادات اهلها واديانهم واخلاقهم فجعل يسأل البارون كانيكو عن كل صغيرة وكبيرة منها وسرَّ بذلك جدًّا حتى انهُ ركب معهُ واعادهُ الى النزل الذي كان فيهِ وعرض عليهِ ان ينتظم في عضوية نادي الاثينيوم لكي يراهُ كل يوم لانهُ كان عضواً في ذلك النادي وكان يتغدَّى فيهِ . وبعد قليل أعلن البارون كانيكو انهُ قُبل عضواً في ذلك النادي ودعاهُ سبنسر للغداء في اليوم التالي

وذهب البارون كانيكو الى جنيفا وتلا مقالة بليغة في مجمع الشرائع الدولية طلب فيها ان تعطى اليابان حقوق الدول الاوربية وذاكر اعضاءهُ واقنع كثيرين منهم بصحة طلبهِ وعاد الى انكلترا يسعى لدى رجال الحكومة الانكليزية في تحقيق امنيتهِ وقابل سبنسر وهو ينتظر منهُ كل تعضيد فرآهُ على ضد ما انتظر يشير عليهِ بان تبقى اليابان منفصلة عن الدول الاوربية جهدها . واحتدمت نار الجدال بين الاثنين لكن الغلبة كانت لسبنسر لانهُ جمع من اخبار الممالك وحوادث الامم ما تضيق بهِ الكتب وعرف من اخلاق الناس وعاداتهم ومعتقداتهم ما اوصلهُ الى احكام مقررة لا تتغير . ثم كتب لهُ الكتاب التالي جامعاً فيهِ زبدة ما اشار بهِ عليهِ وارشدهُ اليهِ وهذا تعريبهُ

« سيدي العزيز . اني اجيبك الى ما طلبتهُ وهو ان ترسل ترجمة كتابيَّ الى الكونت ايتو وزير اليابان الجديد فافعل ما تريد . اما من جهة المسائل الاخرى التي سألتنيها فاقول بوجه عام ان سياسة اليابان يجب ان تكون إبعاد الاميركيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع . فان موقفكم حرج والخطر المحدق بكم مزمن لوجود امم اخرى اقوى منكم فابذلوا اقصى جهدكم في منع الاجانب من ان يتمكنوا في بلادكم

« ويظهر لي ان المعاملات التي تقيدكم ولا تضرُّ بكم انما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات . فلا تمنحوا امتيازات لامم

اجنبية وخصوصاً الامم التي هي اقوى منكم الاَّ ما كان لازماً منها لهذه المعاملات. فاني اري انكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم و بين دول اوربا واميركا ان تفتحوا سلطنتكم كلها للاجانب ولاموالهم فساءتني هذه السياسة لانها الضربة القاضية عليكم. فاذا اردتم ان تعلموا ما سيحل بكم فاقرأوا تاريخ الهند. انيلوا احدى الدول القوية موطئ قدم في بلادكم ومسنداً تستند اليهِ فتتحول الى الاعتداء عليكم بمر الزمن و يفضي الامر الى وقوع النزاع بينها و بينكم فتشيع ان ذلك النزاع انما هو اعتداء منكم عليها فيجب ان تثأر لنفسها منكم. فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمرهُ بابنائها وتتخذهُ قاعدة تحمل منها عليكم لاخضاع سائر السلطنة اليابانية. نعم انكم تجدون المصاعب العظيمة في تجنُّب هذا الخطر ولكن اذا منحتم الاجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهَّلتم عليهم ما يسعون اليهِ

« ولتفصيل هذا الاجمال اقول جواباً عن سوءالكم الاول انهُ يجب ان تمنعوا الاجانب من امتلاك ارض في بلادكم ومن استئجارها الى مدة طويلة وانما تسمحون لهم باستئجارها سنةً فسنة

« واقول جواباً عن السوءال الثاني امنعوا الاجانب من التعدين في مناجم حكومتكم منعاً تامًّا لان ذلك قد يفضي الى وقوع النزاع بين الاوربيين او الاميركيين الذين التزموا المعادن و بين الحكومة فيستنجد الملتزمون بدولهم و يطلبون منها ان ترسل الجنود لانصافهم وانالتهم ما يطلبونهُ مهما جاروا في طلبهم. والعادة عند الاوربيين ان يصدقوا جميع ما يقول وكلاوُهم وعملاوُهم الذين في الخارج

« واقول جواباً عن السوءال الثالث انهُ يجب عليكم ان تبقوا تجارة سواحلكم في ايديكم ولا تجعلوا للاجانب يداً فيها اما الاصناف التي تأتيكم من الخارج و يباح للاجانب ان يأتوكم بها فليكن موزعوها والمتاجرون بها في البلاد منكم لا من الاجانب الذين يأتون بها الى بلادكم لئلاَّ يفضي ذلك ايضاً الى خصومات كثيرة تجرُّ التعدي على املاككم

« اما سوءالكم الاخير المتعلق بالتزوُّج من الاجانب وهو السوءال الذي يشغل علماءكم وساستكم وتعدونهُ من اصعب المسائل كما قلتم في كتابكم فليس بالصعب حقيقة وجوابي عنهُ ان تمنعوا مزاوجة اليابانيين والاجانب. وهذه المسألة ليست من شأن الفلسفة الاجتماعية بل من شأن علم الحياة (البيولوجيا). فانهُ ثبت من تزاوج اصناف البشر المختلفة وتزاوج اصناف الحيوانات المختلفة انهُ اذا زاد الاختلاف بين الاصناف المتزاوجة عن حد معين كان النتاج ضعيفاً وقد سمعتِ ما يوءيد هذا الامر منذ نصف ساعة فقط فاني نازل هذه

الايام ضيفاً على رجل معروف في الجبل وخبير بتربية المواشي وقد اكد لي انهُ اذا تزاوج صنفان من الغنم يختلف احدهما كثيراً عن الآخر كان نتاجها ضعيفاً جدًّا وخصوصاً في العقب الثاني . وهكذا يحدث بين البشر كما ترون في المتولدين بين الهنود والاوربيين . والسبب الفسيولوجي في ذلك هو على ما يظهر ان كل صنف من الاصناف يكتسب على مر الايام مزايا وصفات تؤهلهُ لحالة خصوصية من حالات الحياة فاذا تزاوج صنفان مختلفان اختلافاً عظيماً في اصلها وفي احوال الحياة التي اعتاداها جاء نتاجهما فاقداً لمزايا كلٍّ منهما غير صالح لحال من احوال حياتهما . ومهما يكن من ذلك كلهِ فوصيتي لكم ان تمنعوا تزاوج اليابانيين والاجانب

« وبناء على ما تقدَّم استصوبتُ القوانين التي سنتها اميركا لتقليل مهاجرة الصينيين اليها ولو استطعتُ لقللت مهاجرتهم اليها ما امكن وذلك لانهم اذا استمروا على المهاجرة فاما ان يحافظوا على قوميتهم ولا يزاوجوا الاميركيين فيكونوا كالعبيد بينهم. واما ان يزاوجوهم فيأتي نسلهم ضعيفاً فالنتيجة ضرر على الاجتماع الانساني في الحالين وبالتالي صيرورة هذا الاجتماع فوضى وهذا ما يحدث اذا ترك الاوربيون والاميركيين يزاوجون اليابانيين . فترى من ذلك ان وصيتي تقضي العزلة من كل وجه . واختم كتابي بما بدأتهُ وهو ان تبعدوا الامم الاخرى عنكم ما استطعتم . هذه هي نصيحتي اسرُّها اليكم راجياً ان لا تذاع في حياتي لاني لا احب ان اهيج ابناء وطني ولا ان اسخطهم عليَّ «هربرت سبنسر»

« صح قلت اني اروم ان يبقى كتابي هذا سرًّا ما دمت حيًّا ولكن لا يخفى عليكم اني لا أريد بهذا القول ان تكتموهُ عن الكونت ايتو بل اريد ان تطلعوهُ عليهِ ليجعلهُ محل النظر والاعتبار

تاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ ويقول المطَّلعون على احوال اليابان انها جعلتهُ قاعدة لسياستها وجرت عليهِ تماماً فلم تشارك الدول الاوربية في شيء الاَّ بعد ان قوي ساعدها وصارت لا تخشى اعتداءهم عليها . ثم لما رأت ان هذه المشاركة قد توقعها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها النائية وهي انكلترا سيدة البحار فخالفتها ووقفت في اقاصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتتحدَّاها

وخلاصة وصية سبنسر ان الضعيف يجب ان يتعلم من القوي ويتجنبهُ الى ان يقوى ويصير

بأمن منهُ . ولكن لو عمّت حقوق الدول لصارت الممالك الضعيفة في غنىً عن هذه الوصية وهذا التجنُّب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تُجنب الممالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرَف بقانون حقوق الدول

هنود اميركا والاهتمام بهم

لا يُعدَمُ الحقُّ انصاراً . وانصارهُ في الغالب العلماء والمجلات العلمية

جاءنا عدد يناير من مجلة السينفك اميركان فرأينا فيهِ مقالةً موضوعها « مأساة الهنود » اي هنود اميركا حملت فيها على الحكومة الاميركية والشعب الاميركي لانهم ظلموا اولئك الهنود ووصفت ما اصابهم وصفاً ينطبق على ما اشار اليهِ الفيلسوف هربرت سبنسر في المقالة السابقة . قالت السينتفك اميركان

ان معاملتنا للهنود عارٌ على الشعب الاميركي فانهم اذا قيسوا بمقياس الآداب الاوربي فقد كانوا اعلى اداباً من كل الشعوب التي عرفها التاريخ . لكن قسوس المستعمرات حسبوهم من نتاج جهنم وقالوا انهُ يجب استئصالهم كما أمر بنو اسرائيل ان يستأصلوا شعوب فلسطين في العهد القديم . فان الاميركيين الذين سكنوا اطراف البلاد استنبطوا خرافة مفادها ان الاقوام الذين سكنوا بلاداً منذ عهد متوغل في القدَم هم اقوام رُحَّل لا يملكون ارضاً . فلما اخذت الولايات المتحدة ما كان لبريطانيا من الحقوق على رعاياها حسب الاميركيون الذين في اطراف البلاد ان هنود اميركا وجواميسها من قبيل واحد . قال بعضهم سنة ١٧٨٢ وهو من كتَّاب الحدود انني اقرب الى الاعتراف بحق الجواميس لامتلاك الارض مني الى الاعتراف بحق الهنود لامتلاكها .وقال ايضاً « ان الذين تسميهم العامة هنوداً هم حيوانات مطبوعة على الشراسة والقسوة وعندي ان استئصالهم مفيد للعالم و يعود بالفخر على الذين يستأصلونهم »

هذا كان رأي اولئك البيض الذين يحسبون متمدنين في الهنود سكان البلاد الاصليين ولذلك لا عجب اذا لجأ الهنود الى العنف في الدفاع عن انفسهم وعن ارضهم

ان وشنطون كان يعرف قومهُ فحاول حماية الهنود ومنع الاعتداء عليهم فجاء في الدستور الاميركي انهُ لا يجوز اخذ ارض من الهنود الاَّ بموجب معاهدة بينهم و بين حكومة اميركا . لكن ولاية نيويورك تجاهلت الدستور و بنودهُ .وولاية جيورجيا نقضت

مرتين حكم المجلس الاعلى وهددتهُ بالحرب اذا اصرَّ على تنفيذ حكمهِ . وشعب الاباما هدَّد الحكومة بالانفصال عن الاتحاد الاميركي اذا اصرَّت على العمل بموجب ما تقتضيهِ البنود المتعلقة بالهنود

وسنة ١٨٢٤ رأى الرئيس منرو انهُ يجب العمل بالرأي الحكيم العادل رأي وشنطون ومرشال فاراد ان يعطي الاراضي للهنود افراداً لكي يخلصوا من الحالة السوأى التي كانوا فيها و يجاروا سائر السكان في عمرانهم . فلم يقرهُ الاميركيون على ذلك فاشار باسكان الهنود ولايةً واحدة . فتم بعض ذلك في رآسة جكسن لابعادهم عن طريق البيض . ولكنهم لم يتمتعوا بحريتهم هناك بل بقوا عرضة للاعتداء عليهم

ثم جاء عصر الظلم الفاحش في الاصقاع الغربية من الولايات المتحدة حيث مناجم الذهب في كليفورنيا فصيد الهنود كما تصاد الجواميس البرية وطلب سكان كليفورنيا وسكان اورغون ابعادهم عنهم . ووافق الكنغرس على ابعادهم بمعاهدات حسب شروط الدستور ووُعدوا باعطائهم ارضاً بدل البلاد التي أُريد اخراجهم منها ثم أُخرجوا منها قبلما صادق مجلس الشيوخ على تلك المعاهدات ومَنَعت الحيل السياسية المصادقة عليها . وكان عدد اولئك الهنود مائتين وخمسين الفاً فخدعوا واغتصبت ارضهم منهم خيانةً مع ان الاسبانيين كانوا قد علموهم ونصروهم ومدَّنوهم على نوع ما وكانت حقوقهم محفوظة بحسب شرائع اسبانيا والمكسيك وكان يجب ان تبقى محفوظة حسب المعاهدة مع المكسيك لكنهم طُردوا من مكان الى آخر وتركوا لا ملجأ لهم ولا مأوى وهم الآن يعيشون على الصدقات

ان ما تقدَّم كان سببهُ طلب الذهب في مناجم كليفورنيا . ثم ظهرت علة اخرى للتنكيل بالهنود وهي اغراء الشركات بمد سكك الحديد فمنحت الحكومة الاميركية اصحاب هذه الشركات ١٥٥ مليون فدان غير ناظرة الى حقوق الهنود فيها . وتلا ذلك تقسيم الارض الباقية للهنود على الذين يريدون استيطانها من البيض فامسى الهنود مشرَّدين في كل البلاد

واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان تولَّى غرانت الرآسة فاقرَّت حكومتهُ سنة ١٨٧٥ على تقسيم الاراضي واعطائها للهنود واعتبار الامة مسؤُولة عمَّا اصابهم من الضيم ومطالبتها بمعاملتهم بالانصاف . فاقرت الحكومة تمليكهم الاراضي سنة ١٨٧٥ وتدرجت الى جعلهم مساوين لغيرهم من سكان البلاد فيما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات وذلك سنة ١٨٨٧ وهذه المساواة يجب ان يُتوسَّل اليها بتعليم الهنود لكن وسائل

تعليمهم لم تكن كافية وتقسيم الاراضي لهم سار سيراً بطيئاً ومع ذلك فانهم دعوا الى الانتظام في سلك الجيش الاميركي سنة ١٩١٧ للحرب في اوربا فلبوا الدعوة بغيرة وهمة لم يفقهم البيض فيهما وانتظم منهم ١٧٠٠٠ في سلك الجيش الاميركي . ولم يطلب المعافاة من الخدمة العسكرية من كل الهنود سوى ٢٥٠ رجلاً . ومع ذلك كله لا يزال ١٥٠٠٠٠ نفس من الهنود في حالة الاستعباد لم يمنحوا من الحقوق القومية ما مُنحهُ الزنوج الذين في اميركا ولا ما مُنحهُ سكان جزائر الفيلبين وسكان جزائر هواي

وتاريخ هنود اميركا في الولايات المتحدة من حين دخلها البيض سنة ١٤٩٢ يتلخص في ان عدد اولئك الهنود كان حينئذٍ ٩١٨٠٠٠ فقل رويداً رويداً حتى بلغ ٤٠٣٠٠٠ سنة ١٩١٠ اي نقص عددهم ٦٠ في المائة في اربعة قرون واسباب هذا النقص كثيرة القتل والجدري والسل والوسكي والزهري والجوع . وسنة ١٩٢٠ دلّ الاحصاء على انهُ لم يبقَ من الهنود في الولايات المتحدة سوى ٢٦٥٦٧٣ نفساً ويعلل الفرق الكبير بين عددهم سنة ١٩١٠ وعددهم سنه ١٩٢٠ بأن النقص نتج من ان كثيرين منهم امتزجوا بالبيض وابطلوا حسبان انفسهم من الهنود

ولا شبهة في ان الهنود مساوون للبيض في الآداب. وقد ظهر في الحرب الاخيرة انهُ من انواع الشعوب الاربعة البيض والحمر والصفر والسود ان الشعب الاحمر ومنهُ هنود اميركا يمتاز على الشعب الابيض بان قواهُ النفسية تقاوم اسباب الضعف والخلل. ومن رأي احد كبار الباحثين في هذا الموضوع ان سبب ذلك ان نفوس الحمر تنظر الى الخالق لا كالهٍ متجسد محدود بل كقوة مالئة الكون وهذا النظر يشدد عزائم الهنود ويقوي ايمانهم ويزيد ثقتهم واحترامهم لانفسهم

فاذا كان هنود اميركا كما ذكرنا فمسألتهم تحل على اسهل سبيل بان يعاملوا مثل سائر افراد الامة الاميركية كأنهم عنصر حي من عناصرها ولا ينظر اليهم بشيء من الازدراء بل تدرس احوالهم درساً علمياً مدققاً خالياً من الغرض على يد لجان من افاضل المحققين ويُعطوا كل ما يحتاجون اليهِ اقتصادياً واجتماعياً حتى لا يبقى للبيض اقل امتياز عليهم . وهذا ما يطلب من كل حكومة تنصف شعبها. انتهى بتصرف

ولا نظن ان قارئاً يقرأ ما تقدم وينعم نظرهُ فيهِ الاَّ و يرى ان الامم المستعمرة نجحت او فشلت في استعمارها على حسب معاملتها للشعوب التي استعمرتها او تولت حكمها. ويخطىء من يظن ان الغطرسة تمتلك النفوس او تشرّف الامم

كيف اريد الرجل ان يكون

[جمعية الشبان المسيحية في القاهرة من اصلح الاندية التي يختلف اليها الشبان المصريون اذ يجتمع لهم فيها ما يروّض اجسامهم ويرقي عقولهم ونفوسهم . فمن مختلف الالعاب الرياضية خارج النادي وداخلهُ الى الرحلات العلمية التاريخية الى المكتبة التي تحوي طائفة من خيرة الكتب والمجلات الى الخطب والمحاضرات العلمية والاجتماعية التي يلقيها في منتداها افاضل الغربيين والشرقيين امور اقل ما يقال فيها انها اركان لتكوين الرجولة الحقة والخلق المتين . وقد دعيت النابغة الآنسة (مي) الى القاء خطبة اجتماعية فيها مساء يوم الجمعة في ٢ يناير سنة ١٩٢٦ فاختارت «كيف اريد الرجل ان يكون» موضوعاً لخطبتها . وقد حضر هذه الخطبة النفيسة جمع غفير من السيدات والادباء والصحافيين والطلبة حتى غصّ المنتدى بالحضور واستغرق القاؤها نحو ثلثي الساعة . وقوطعت مراراً كثيرة بالتصفيق الحادّ وهذا نصّها]

أيها السادة والسيدات

لئن انا أثنيتُ على هذه الجمعية النبيلة التي تسعى للتفاهم والاخاء بين مختلف الشعوب، وتحسن إلى الشبّان فتقدّم لهم الاصدقاء والوسط والمنزل أينما حلوا — فاني كذلك اشكرها لدرجها اسماء النساء في سجلّ خطبائها ولأنها مكنتني الليلة من مناجاتكم والاتصال بأفكاركم ومساجلة عواطفكم

نحن ابناء الجيل الحائر بين وراثة الماضي ، ومشاكل الحاضر ، ومهاجمة المستقبل . نحن نحمل في نفوسنا نفحة العطور ، وطهارة اللهيب ، وحرارة الشباب وغموم الشيوخ . فما أحرانا بالاجتماع وتبادل الآراء لنسمو إلى ما فوق هـذا الافق المفعم بالارتباك والضوضاء إلى حيث نستمدُّ وحياً وقوّةً ونشاطاً !

عندما دُعيتُ إلى محادثتكم في هذا المساء قيل لي ان وقفتي هذه بمثابة التدشين لهذا المنبر من الجانب النسويّ . وان هذه القاعة الجميلة التي تعالت فيها اصوات كثيرين من فضلاء الشرق والغرب لم ينطلق بعد بين جدرانها بلاغٌ من امرأة أو فتاة . كذلك فهمت ان اللجنة تفضّل مني اليوم الموضوع الاجتماعيّ على أيّ موضوع سواهُ . فكأنّ جميع المؤثرات تعاونت على تشجيعي لأرسل هذه الصيحة التي هي في صيغتها المبهمة دون

شرح ولا تعليق إنما هي عنوان لعهد جديد. صيحة عظيمة هي خطبة في ذاتها لانها تقدّم وإعلان واستحثاث ومصالحة واستفهام وجواب « كيف اريد الرجل ان يكون »

هوذا الرجل في ضلالهِ وغوايتهِ (ليس انتم)... في ملاهيه وملذاته ، في خصوماتهِ وجهلهِ . ها هوذا على موائد الميسر والشراب والمخدّرات ، وها هوذا في تلك السبل المظلمة المتلوّية التي يعرفها هو ونجهل نحن كيفية وجودها ... هوذا الرجل الذليل الاحمق (ليس انتم) السخيف الجاحد الخائن الذي هو حشرةٌ مضخّمة تبهظ البشرية وتمتصّ دماءها. وها هوذا من ناحية أخرى الرجل، ذو الشمم والاباء والعزّة والاخلاص، ربُّ الحكمة ، وربّ القوّة ، ورب الابداع و بطل الجهاد الذي يثير الاعجاب والرجاء و يشرّف بني الانسان !

انظرُ الى هاتين الصورتين فتتولّد فيَّ اطياف التمني و بينهما اقف انا وانتم وكل باحث واودُّ ان استجلي الصورة امامكم وامام نفسي فأعلم كيف اريد الرجل ان يكون

لعلّ هذا البيان الموجز يرضي الذين منكم ينعتون موضوعي بالجريء المتطرّف، اولئك المتشائمين من تحرير المرأة المتأففين من إطلاق العنان لفكرها وقلمها . وربما كان بينكم من يقول : لقد رضينا بالموضوعات التهذيبية والاخلاقية والادبية والوطنية . وسكتنا عن تلك الموضوعات المزعومة بالسياسية وما هي الا مماحكات ومشاحنات يصيح فيها الجميع ولا يفهم احد شيئاً . وأصغينا متفكّهين الى الكلام عن المساواة الجنسية ، وعن الجلوس في مقاعد النيابة ، وتقلّد الوظائف والنطق بالاحكام . وشجعنا ما هو فوق ذلك جميعاً ، اي الموضوعات العمرانية والعلمية والنظرية والفلسفية . أفما بقي للمرأة الا ان تجيء فتصوّر الرجل وتحدّد شخصيتهُ وتنبئهُ بما عليهِ ان يكون ؟ أليس هنا مجال الاستشهاد بالمثل القائل :

« قلنا لصاحبنا البيت بيتك ، قال طيب اتفضّل سعادتك اطلع منهُ » ؟

وجوابي ، ايها السادة ، ان هذه الكلمة كانت خلاصة حياة المرأة سواء أكانت عالمة بأنها تقولها ام كانت جاهلة . انَّ كلَّ امرأة قالت لكلّ رجل كيف تريد ان يكون . قالت ذلك في حديث فرديّ جليّ او في الفاظٍ مبهمة غامضة ، او في اعمالٍ وامثالٍ وإغراء وايحاء . قالت لهُ ذلك قريبة وغريبة ، محبوبةً وممقوتة ، محترمةً ومحتقرة ، مخلصة ومخادعة ، راقيةً ومتقهقرة . تمرُّ المرأة بالرجل فتلقي اليهِ بالنظرة التي تمتحن نسيج مواهبهِ وخصائصهِ فتقول لهُ « كنْ ! » فيكون . هي التي اثارت حرب طروادة وهي التي كان لها يدٌ في النهضة بعد القرون الوسطى بالهام دانتي وبتراركا وتهيئة نفوس الاقوام . هي

التي دفعت بلوثير الى اثارة الحروب الدينية . هي التي أفهمت هملت كيف تكون الامومة والزوجية خائنة غادرة فسلحت يدهُ بسيف الانتقام . هي الأمّ التي ملأت قلب ميرابو يأساً ، وهي الحبيبة التي رفعتهُ بعدئذٍ وخلقت منهُ رجلاً جديداً . وجميع هؤلاء الرجال الذين يسوسون الشعوب و يديرون شؤون العالم ، وجميع اولئك الرجال الذين يقومون بالاعمال الوضيعة ، والمجرمون في الليانات والسجون ، والثوّار والفوضويون والمتآمرون كلهم ، كلهم ، فتّش وراء اعمالهم عن المرأة تجد امرها نافذاً وتأثيرها فعّالاً

بل قد يكفي ان تعرف ايّ رجل لتعلم ابن ايّ امٍّ هو . لستُ اعني امّ الجسد فحسبُ فتلك قد يتفلّت من تأثيرها إذا كان ذا شخصية حيوية فعّالة ، ولكن عنيتُ امهُ بالمعنى . إذ في كلّ امرأة تعطف على الرجل شيء من الامومة . و يكفي ان ترى سلوك رجل لتعلم ايّ نوع من النساء خالط وإلى ايّ التأثرات هو استسلم

كلّ ذلك كان إلى اليوم خفيًّا محصوراً في دائرة معيّنة . وقد آن الوقت لتقول المرأة كلمتها صريحةً عالية . فالرجل ينتقدنا و يمتدحنا ، يهجوها و يدلّلنا و يبدي رأيهُ في زينتنا وفي ثقافتنا وفي تربيتنا وفي شعرنا المجزوز ، وما فتئ يصوّر لنا شخصيتنا منذ ابتداء العالم . يفعل ذلك شاعراً وناثراً ، مشطراً ومخمساً ، عالماً قانونيًّا وعالماً اخلاقيًّا ، رجلاً عاديًّا وسوبرماناً عليًّا . فلماذا لا يكون لنا نحن كذلك رأينا الصريح في اخلاقهِ وأساليبهِ وسلوكهِ وهندامهِ ؟ لماذا لا نبدي لهُ ملحوظاتنا فيما يتعلّق بكلماتهِ ونظراتهِ ، و بالدبوس الذي يضجّ بالضياء في ربطة عنقهِ ، و بالمنديل الذي تشرئبّ زواياهُ الحادّة الاربع من الجيب الصغير الانيق أو غير الانيق ؟ إنّ رجل اليوم صنيعة المرأة في الاجيال الماضية ، ورجل الغد سيكون خلاصة جميع هذه الاجيال مصقولاً بتأثير الحاضر . ولئن كان أثر كثيرات من النساء المسكينات الجاهلات مهدّماً لشخصيات الرجال ، غاضًّا من كرامتهم ، فهذا لا ينفي أن الجيل بأسرهِ تَوّاق إلى صوت المرأة يحدو شاديًا ، و يستحثّ متحمساً ، و يسوق في السبيل الموصلة إلى معارج الارتقاء

***

ايها السادة والسيدات ،

منذ اربعة وعشرين قرناً طاف فيلسوف يوناني احياء اثينا يبحث عن رجلٍ ليس على نور الشمس المشرقة ولكن على نور مصباح يحملهُ بيدهِ . ذلك كان ديوجينوس اشهر اهل مذهبهِ الذين بلغ احتقارهم للنوع الانساني واللياقة الاجتماعية انهم نعتوا نفوسهم

بالكلبيين نسبة الى الكلاب . والمصباح يدلُّ على انَّ في ذهن الفيلسوف صورةً للرجل الامثل لا يستطيع ان يعثر عليها بين صنوف البشر المعروضة امامهُ . واذكروا ان هذا السخر بالطبيعة الانسانية واشهار افلاسها حدث في القرن الرابع قبل المسيح ، اي في العصر الذي ازدهرت فيهِ حضارة اليونان فبلغت اوجها في فنون السياسة والتشريع والحرب والآداب والفنون والفلسفة

على ان اليونان كانوا ابداً متصعبين في تعريف الرجل الامثل . فانكم تذكرون ان بين الاسماء العظيمة التي كانت وما زالت اقوالها وآراؤُها توحي الى العالم ، لم يجودوا بنعت الحكيم الأعلى سبعة من رجالهم لا نجد بينهم اسم سقراط ولا اسم فيثاغورس، ولكننا نجد صولون المشرّع وواضع قواعد الدستور الدمقراطي الذي تفرّع منهُ بعدئذٍ شتى النظم الدمقراطية المعروفة . وعليهِ يكون جميعُ المتحدثين اليوم بالدمقراطية والدستور ، مدينين لذلك الحكيم القديم ، ووجب عليهم ان يهتفوا الوقت بعد الوقت لارهاف قرائحهم وتشديد عزائمهم : فليحيى صولون !

امَّا انا فابلغ صورة اعرفها للرجال واقدارهم ومراتبهم اجدها في اللغة العربية . وهي صورة خالدة لانها لا تقتصر على الرجل في جيل دون جيل ، بل يتطوَّر معناها مع تطوُّر الجماعات فيتسع او يضيق ويظلُّ دواماً محكماً صادقاً بليغاً

فقد قالت العرب انَّ الرجال ثلاثة :رجل هو كلُّ الرجل ، ورجل هو نصف الرجل ، ورجل هو لا رجل . واردفوا هذا التلخيص البديع بهذا البيان البديع : فالرجل الرجل هو الذي يعلم ويعلم انهُ يعلم ، والرجل نصف الرجل هو الذي لا يعلم و يعلم انهُ لا يعلم ، والرجل لا رجل هو الذي لا يعلم ولا يعلم انهُ لا يعلم

لست أدري هل هذا ما قالتهُ العرب بالحرف ، ولكنني مستعدّة ان انتحل هذا القول وان أزيد عليهِ بأن العلم هنا ليس بمعنى العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها . بل هو يجمع في تقديري بين المعرفة المطلوبة في وسَط الرجل و بين مقدرة هذا الرجل على تطبيق معرفتهِ على حاجات وسطهِ واستثمار تلك المعرفة بأكرم الاساليب وأليق المساعي لخيرهِ وخير محيطهِ جميعاً

ومع التسليم بأن هذه الصنوف الثلاثة وما يتخللها من مختلف الشخصيات ضرورية لتشكيل النوع الانساني وليكون هناك مجال للتحسن والتقدم والتطوُّر ، فانَّ كل إعجابي وعطفي يتجه نحو الرجل الذي هو كلُّ الرجل ، الذي يعلم و يعلمُ بسيطاً سعيداً انهُ يعلم

ويحقق عمله في عمله . الرجل الذي تمتزج فيه مواهب العقل ومواهب الشعور ومواهب التنفيذ . ليس هو بالرجل الذي يبحث عنهُ ذلك الكلبي الساخر ، ولا هو سوبرمان نيتشه، ولا هو بالمعصوم من الزلل ، فالكمال مستحيل في الطبيعة البشرية . ولكنهُ الرجل الكامل كمالاً نسبيًّا في ذاته ، الذي تكفّر محاسنهُ عن مساوئهِ لانك اذا احصيتَ لهُ نقصاً وجدت لهُ فضلاً يقابلهُ . الرجل الذي يكون فعلهُ حلاً للمشاكل لا عقدة فيها ، نوراً في الظلام لا ظلاماً في النور ، تعزية في الالم لا ألماً في التعزية ، نشاطاً في اليأس لا يأساً في النشاط . الرجل الشهم الكريم الجميل جمال الرجولة المهيب . الرجل المرىء الحصيف ، وفي نفسهِ ذلك الحنان الواسع الذي ليس من خصائص الضعفاء كما يزعمون ، بل هو من أنفس مواهب الاقوياء . الرجل الذي يمرُّ في زمانهِ وقومهِ فينتفع بجميع الممكنات المقدَّمة لهُ ، ولكنهُ يترك على ذلك الزمان وذاك القوم طابعهُ المبين !

كلُّ موهبة من مواهب الرجل الرجل يستغرق بسطها وشرحها ليس محاضرات ومؤلفات ضخمة فحسبُ ، بل حياة ذلك الرجل في مختلف اطوارها . لانهُ لا يفتأُ يصقلها وينميها ، وكلٌّ منها تمتدُّ وتتسع حتى تمتزج بالمواهب الاخرى . على اني لا بدَّ ان اذكر أنَّ فكرة الرجولة في نفسي كفكرة الانوثة ، بل كفكرة الانسانية ، قائمة على محور أخلاقيّ لا استطيع تعريفهُ . ولكنهُ ككل سحرٍ وكل عظمةٍ وكلّ فنٍ ، نهتدي اليهِ بالبداهة إن خانتنا الشروح ، ونعلم انهُ المصدر الذي تستوحيهِ الانسانية المخلصة في سنّ أنظمتها وقوانينها . وانَّ ذلك المحور ، ذلك الاساس الاخلاقي هو كالحقيقة في تطوُّرٍ متتابع . ليس في الجوهر ولكن في الاعراض . فيظلّ متعدّداً ، متنوّعاً ، متلوناً في كلّ عصرٍ وكلّ جيل وفي كلّ امة !

إنَّ فكرة الخير والشر التي هي الفارق الاوَّل في الجوهر الاخلاقي ليست بالفكرة الجلية . إنها مستحيلة على كثيرين وهي على الجميع عسيرة . فكم من مرّةٍ في حياتنا لا يكون رأينا في الاخلاق خيراً من رأي ذلك الآكل لحوم البشر . وبيان ذلك انَّ احد المبشّرين أقام اعواماً بين اولئك القوم يتعهّدهم بعطفهِ ويحاول توسيع إدراكهما استطاع . واذ مضى يوماً لزيارة احدهم وسألهُ عن زوجتهِ ، أجاب الرجل انها غير موجودة . فقال المبشّر : مفهوم انها غير موجودة ولكن اين هي إذ لا بدّ لي ان أراها . فقال الزوج الامين : لقد تعشيتها البارحة — وكيف تعشيتها ؟ — فقال الزوج : كنتُ على شيء من التعب ، لا ميل لي الى الصيد ، فشويتها واكلتها . فقال المبشّر مشمئزًّا حانقاً : ولكن

هذا شيء ردىء ! هذا شيء ممقوت ! فأجاب الزوج المنصف : كلاَّ ! لم ألاحظ شيئاً من ذلك . بل بالعكس كان اللحم في غاية اللذّة !

هذا هو ايها السادة والسيدات ، رأي الرجل الذي هو لا رجل ، وهو ليس بالنادر بين بني الانسان . ومن اسخف مظالم الحياة ان تضع العلاقات بين مثل هذا العقل و بين الطبائع الحارّة النقية الجميلة ، بل وان تجعل لهُ عليها الامر وحق السيطرة

***

وهنا يعترضنا مشكل كبير ، لابدَّ انهُ يجول الآن في خواطركم — ذلك اننا كثيراً ما نرى ان النجاح وما يحالفهُ من ثروةٍ وجاهٍ وهناءٍ واحترامٍ واكرام ليس دواماً من نصيب اهل الاخلاق والضمائر . فاذا قدِّر النجاح والظفر للكذب والمراوغة والاحتيال وقلب الحقائق بينما قُدِّر الفاقة والشقاء وربما السخرية والاحتقار ايضاً — للفضل ، فكيف لا ينزعُ الفاضل الى تغيير خطتهِ ؟ وهل حالتهُ هذه تشجع المتحمسين سبل الحياة فيختارون الصدق والاستقامة ام هم يتجهون الى حيث تكون جهودهم مزهرة مثمرة فتكون الواسطة مبرَّرة بالنتيجة ؟

اكرّر ان هذا مشكل خطير . لاننا ان نحن احتقرنا اولئك المتطفلين الخاملين الذين لا يأتون عملاً بل يترفّهون على حساب العاملين فاننا نعترف بحق المجاهد والموهوب على ان يُكافأ بمواهبهِ وجهودهِ . والنجاح مرهف للعزائم العظيمة ، منشط للطبائع الصادقة الحارّة . بل اقول اننا لا نتصوّر الرجل الرجل الاَّ في حالة من النجاح والظفر ، لاننا قلنا انهُ يطبق معرفتهُ وخبرتهُ و براعتهُ على الاحوال المحيطة بهِ فيستثمرها خير استثمار . فحلُّ هذا المشكل إذن هو من بعض مواهب الرجل الرجل . ومع الاعتراف بان للحظِّ يداً قويةً في تكييف الاحوال ، وانَّ الدهر امواجٌ والحياة اطوار ، فاننا نقرّر للنجاح ابواباً كثيرة وصوراً عديدة . والرجل الرجل هو البارع القوي الذي يتشدّد في الاندحار و يخلق من الشجاعة والكرامة والتدبير مظاهر جديدة بينا أنصاف الرجال وار باعهم يباهون بنجاحهم الحائل الضئيل . إنَّ النجاح المالي والاجتماعي زينة المسرح واثاث التمثيل ، ولكنَّ النجاح الاخلاقي والادبي ثروة الانسانية الخالدة تطمح اليها بكلّ قواها وراء الظواهر الخلاَّبة التي يطلبها جميع الافراد وجميع الشعوب . وقوة الرجل الرجل تستمدُّ من قوة تلك الفكرة الابدية العظيمة ولها منها حصن حصين

ايها السادة والسيدات ،

منذ ثلاثة اعوام وقفت مثل هذا الموقف تقريباً في الجامعة الامريكية ببيروت وذلك في منتدى « وست هول » حيث تشرّفتُ بان اكون على منبرهِ اوّل فتاةٍ تكلمت في الاجتماع الذي يضمُّ الاساتذة والطلبة كلّ اسبوع . يومئذٍ حدّثتُ شبابنا هناك عن كولمبس مكتشف امريكا وناديت بهم ان يكون كلٌّ منهم كولمبساً في بابهِ مع مراعاة مواهبهِ وممكناتهِ . إذ ليس لاحدٍ ان يتخطَّى حدود شخصيتهِ ولكنَّ لكلٍّ ان يهتدي اليها و يتبيّن معالمها

واليوم التي بمثل ذلك الصوت لاقول ان ذلك الذي يكتشف نفسهُ وسط المجتمع الصاخب ، و يتغلّب على آلام اليأس والانفراد ليهدي الى العالم ثمرة معرفتهِ واختبارهِ فذلك هو الرجل الرجل

ولكن لستم وحدكم ، ايها العاملون ! فكم من مرّةٍ حيال ثمرة الرقي والانتاج نقول لنفوسنا : هذا العمل يشبه وجهاً يجلي الآن في نفسي وكان من قبل غامضاً . وهذا الصوت شبيهٌ بصرخةٍ كانت تفطر وجداني وظلّت الى اليوم بكاء . وهذه الشجاعة العظيمة إنما هي التحقيق الذي يطلبهُ قلق شبيبتي المعذّبة الحائرة !

اننا اليوم في حاجةٍ إلى الشخصيات الكبيرة لتنهض بنا وتلقي علينا من حكمتها وانوارها . لم اصوّر لكم صورة الرجل كاملة وذلك عمل لا يفيد اذ للنفوس اقاليم وامزجة وممكنات هي مرٌّ بين الفرد ونفسهِ . ولكن حسبي ان اكون قد ذكّرتكم بذلك ليكون فلاحي عظيماً . حسبي ان اكون قد بثثتُ فيكم الرغبة في البحث عن مواهب الرجل الذي هو كل الرجل ، واثرتُ بينكم ، ايها الرجال والشبان ، موضوعاً تراجعونهُ في اجتماعاتكم ومنتدياتكم لأكون قد قمت بأجمل قسط من دوري النسوي · فعلى المرأة ان توحي وتستحثّ وعلى الرجل ان يبحث ويحقق . ورائدي في كلّ ذلك رأي الحكيم الصينيّ القائل : لئن حملتُ فرداً واحداً على البحث في موضوع يرفع نفسهُ ، ويرهف اخلاقهُ ويتعدّى فيه حدود شخصيتهِ المألوفة ، فذلك خير لي الف مرّة من ان اخضع ملايين الشخصيات لرأيٍ واحدٍ ومذهب فرد . لان اخضاع الالوف عبودية · اما كسر قيود الفرديّة فثروة وعظمة وحريّة !

(ميّ)

ملوك البترول

مرقس صموئيل او لورد بيرستد

فيما ننشرهُ من ترجمات هؤلاء الرجال شيء من الفكاهة لكنها ليست مقصودة بالذات وانما المقصود منها ما فيها من العبرة والحث على السعي والاجتهاد واغتنام الفرص

كيفما سرت في شوارع القاهرة رأيت اعمدة حمراء قائمة الى جانب الارصفة ارتفاع كلّ منها نحو مترين وقد كُتب على كل منها كلمة Shell اي صدف تفتح فينصبُّ البنزين منها في خزّانات السيارات على قدر معلوم . واذا وقع نظرك على صفائح البترول رأيت على الكثير منها رسم صدفة مضلّعة . فالبترول الذي فيها هو بترول الصدف. ولهذا الاسم تاريخ من اغرب تواريخ الاعمال الكبيرة

حدث في اوائل القرن الماضي ان يهوديًّا اسمهُ مرقس صموئيل استأجر بيتاً صغيراً في حيّ من افقر احياء مدينة لندن وجعل واجهتهُ دكاناً لبيع اللعب ونحوها ومؤخرهُ مسكناً لعائلتهِ . وذات يوم ذهب اولادهُ الى شاطئ البحر للنزهة فرأوا عليهِ كثيراً من الاصداف والحلازين المختلفة الاشكال والالوان وكان معهم صندوق صغير فيهِ طعامهم فلما اكلوا الطعام جمعوا الاصداف ووضعوها في الصندوق ثم الصقوها بظاهرهِ لما عادوا الى البيت . فرآهُ والدهم فسرَّ بمنظرهِ وخطر على بالهِ حينئذٍ ما لا يخطر الاَّ في بال رجل مستيقظ لاغتنام الفرص وهو ان يجعلهُ سبيلاً لعمل رابح . فجعل يصنع الصناديق الصغيرة و يلصق بها انواعاً مختلفة من الاصداف الجميلة ويبيعها فراجت سوقها وجعل الناس يشترونها ويتهادون بها ولكنهُ لم يكتفِ بذلك بل جعل يوزعها على الباعة في كل احياء لندن واقترن اسمها باسمهِ فالَّف شركة لعملها وجعل يجلب الاصداف من بحار الشرق . ثم وسع نطاق هذه التجارة واضاف اليها جلب مصنوعات اليابان التي من هذا القبيل. ولما نشأ ابنهُ مرقس صموئيل الذي صار لورداً باسم لورد بيرستد كانت اعمال شركة بيت صموئيل قد اتسعت وانتشرت في كل البلدان وصار لها فروع في الهند الشرقية الهولندية وغيرها ومعاملات مالية كبيرة مع حكومة اليابان وصارت تتجر بالبترول تبتاعهُ وتبيعهُ وكان كلهُ من البترول الروسي الذي يستخرجهُ بيت روشيلد من باكو . لكن صاحب الترجمة لم يكتفِ بان يكون شارياً وبائعاً بل تطالَّ الى ان يكون مستخرجاً للبترول اي صاحب آبار يستخرج منها

وسنة ١٨٨٠ انال رجل هولندي اسمهُ مَنْتن امتيازاً في بلاد بورنيو باستخراج البترول والفحم الحجري . وكانت تعوزهُ النقود فلجأ الى مرقس صموئيل هذا فرأى فيهِ ضالتهُ التي كان ينشدها والف شركة هندية هولندية بمعاضدة بيت روشيلد لاستعمال هذا الامتياز فاتسع نطاقهُ رويداً رويداً حتى شمل ٥٠٠ ميل مربع اي اكثر من ٣١٧ الف فدان وجد فيها البترول غزيراً ووجد فيها ايضاً التليوين وهو من اقوى المتفجرات التي استعملت في الحرب العالمية . وصار في طاقة مرقس صموئيل ان يناظر شركة ركفلر (ستندرد اويل كمبني) في البلدان الشرقية اذ صار في يدهِ زمام البترول الروسي والبترول الهندي واهتم حينئذٍ بامر النقل لان البترول كان ينقل في البحار بالبراميل والبرميل الذي يسع مائة اقة يبلغ ثقلهُ ٢٥ اقة فتضاف اجرة نقلهِ الى ثمن البترول . وخطر على بال رجل الماني ان يستعمل لنقل البترول سفينة فيها حوض كبير يملأ بترولاً ولم يسجل ذلك فاقتبس صموئيل وشركاؤهُ هذا الفكر وبنوا سفينة كبيرة لهذا الغرض سنة ١٨٩٢ وكانت اول سفينة ذات حوض للبترول مرّت في ترعة السويس. ومن ثمّ اكثرت شركة صموئيل من بناء السفن ذات الحياض التي تنقل البترول وانشأت لذلك شركة خاصة سنة ١٨٩٧ سمتها شركة الصدف للنقل والتجارة

وكان في تجارة البترول رجل همام اسمهُ دِتردنج كان مديراً لشركة البترول الهولندية الملكية في سنقافورة وقد ناظر شركة الستندرد الاميركية ولكن كانت تعوزهُ وسائل النقل فلما بنى مرقس صموئيل هذه السفن اتفق معهُ على نقل بترولهِ من سومطرة وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان المشرق ومن ثم اتسع نطاق شركة الصدف الهولندية الملكية وعمّ البلدان الشرقية فناظرت شركة ركفلر قبلما تمكنت هذه من انشاء السفن الكثيرة لنقل بترولها . وكانت بلاد الصين ميدان المناظرة الاّ ان بيت روشيلد بادر لمعاضدة دتردنج كما عاضد مرقس صموئيل وانضم اليهم اغنياء اليهود في فرنسا والمانيا وساعدتهم الحكومة الانكليزية فامتدّ عمل شركة الصدف الى اميركا فانشئت شركتين جديدتين ضمتا شركات كثيرة اشترتها شركة الصدف الهولندية . وقد كانت شركة الصدف هذه تملك في اميركا متذعامين ٢٤١ الف فدان من الارض فيها ٤١١٤ بئراً يخرج منها ٤٦٠٠٠٠٠٠ برميل من البترول في السنة ولها هناك خمسة معامل لتكريره

والخلاصة ان امراً طفيفاً مثل الصاق الاصداف على صندوق صغير اوحى الى رجل واسع الحيلة فانشأ هو ونسلهُ عملاً من اوسع الاعمال التجارية والصناعية واوفرها ربحاً

ميثاق لوكارنو

اسبابهُ ونتائجهُ

قليل من قراء العربية مَن تتبع خطوات السياسة الاوربية منذ انتهاء الحرب العظمى حتى التئام موتمر لوكارنو. واقل من هذا القليل من قرأ ميثاق لوكارنو واطلع على بنودهِ ذلك لان الشرقيين اصبحوا لا يؤمنون بما تبشر بهِ السياسية الاوربية

على ان عبء الوزر — ان كان هناك وزر ما — واقع على الشرقيين وقوعهُ على اوربا حذوك النعل بالنعل

فليس منا سياسيٌّ عامل يدرك روح العالم الحالي ويقود شعبهُ في سبيل الحضارة الراهنة بل تراانا مشبعين من ميراث الماضي لا نكيفهُ تكييفاً يتفق مع تيّار المدنية الجارف. وخلو بلادنا من هذا السيامي لا يضارعهُ الاَّ العقم الذي شاهدهُ العالم في رجال السياسة الاوربيين الى ان اتيح لبعضهم عقد موتمر لوكارنو لا نبوغاً منهم بل انقياداً لحكم الرأي العام وما لهُ من السطوة على رجال الحكومات

وما هو ميثاق لوكارنو ؟

دع عنك نصّ موادّهِ واحكامهِ . فهو اتفاق بين حكومات اوربا يقرّر ان السلم خير من الحرب واربح . وان لا سلام للعالم الاَّ اذا سارت حكوماتهُ في علاقاتها بعضها مع البعض الآخر سيرَ الافراد في مملكة متحضرة في علاقاتهم بعضهم مع بعض . وبعبارة اخرى ان ميثاق لوكارنو بدءُ عهد جديد يضع الشورى والتسامح بين الشعوب كما وضعتها الثورات الماضية بين الافراد — هو اتجاه الى العقل وتبادل الآراء بتنازل كل فريق للفريق الآخر عن جانب من مطالبهِ بدلاً من ان يتشدد فيها ويتعصب لها . وهو في ذلك ليس لهُ شبيه في كل ما تقدمهُ من المعاهدات بين الدول. فانهُ ليس محالفة فريق من دول الارض على فريق آخر . وليس استعداداً لحرب يتوقعها فريق من فريق آخر بل هو عهد بالاتجاه الى العقل والشورى عند اشتداد الازمات . فما الذي حدا بالدول الاوربية الى هذا العمل ؟

ان البحث عن جميع الاسباب عمل طويل يستغرق كثيراً من وقت القارئ

وعندي ان سبب الاسباب هو هذه الروح التي اخذت تدبّ في الحضارة الاوربية

منذ نصف قرن ونيف وقد اشرنا اليها مليًّا في مقالات سبق لنا نشرها في غير هذا المكان . اعني الروح الشعبية او الامية او الدولية (Internationalism) التي يقول فريق كبير من علماء القانون باحلالها محلّ الروح القومية (Nationalism) فكأَن الشعوب الاوربية بعدما استكمل كل شعب منها قوميتهُ اي شخصيتهُ اخذ يسعى في تكوين شخصية اوسع واعمّ هي الشخصية او القومية الاوربية . ومن مظاهرها الشاذة الاشتراكية المتطرفة والشيوعية ومن مظاهرها المعتدلة العاقلة جمعية الامم . وليس الظاهرتان الأَحكاماً على القومية بانها لم تعد الاداة الفعالة لقضاء ما بين الامم من المصالح

فكما ان اختلاف الناس في عقيدتهم الدينية لم يعد لهُ اثر في حلّ ما استعصل من مشاكل اوربا السياسية كذلك سيأتي يوم تزول فيهِ هذه النعرة القومية اذ يفهم الناس انهم يسعون في هذه الحياة لغرض واحد ولمصلحة واحدة . ولا يأتي ذلك اليوم قبلما تستكمل كلّ امة قوميتها اولاً ثم تدخل في النظام الشعبي العام

كالافراد مثلاً فانهم لا يملكون حقًّا من حقوقهم السياسية الاَّ اذا بلغوا سنّ الرشد. فاذا بلغوه دخلوا الحظيرة السياسية فافادوا واستفادوا

ولا يسع المجال تفسير هذا الرأي ولكن يكفي في صدد مقالتنا هذه ان نقول انهُ العامل الروحي الا كبر في ابراز ميثاق لوكارنو الى حيز الوجود

بقيت اسباب اخرى عجلت ظهور هذا العهد . اولها ضغط الشعوب على الحكومات وعلى رجال السياسة

فقد ملّ الشعب الحرب ولم يعد يطيق ان يساق الى الذبح والنهب سوق الاغنام وقد ادرك ان الحرب آية دمارهِ ان غالبًا او مغلوبًا فما كان من رجال السياسة في اوربا الاَّ ان دونوا هذا الادراك في عهد لوكارنو

ثانيها العامل الاقتصادي. فالخراب الذي عمّ معظم اوربا والعبء الذي جعل ميزانيات دولها تنوء بالضرائب وتعجز عن مساواة الدخل بالانفاق حرّك فيهم غريزة الدفاع عن الكيان فرأوا ان اوربا كلها وحدة اقتصادية تصعب تجزئتها وان لا بقاء لدولة اذا ظلت منفردة اقتصاديًا عن الدول الاخرى . فمهما عظمت الدولة فانها بحكم القاصر لا غنى لها عن سواها في الامور الاقتصادية . فاذا عرف الناس كيف ينظمون هذه الحقائق امنوا شرّ الحرب

والقول بان اوربا كلها وحدة اقتصادية بل القول بعبارة اصحّ ان العالم كلهُ وحدة اقتصادية قول لا غبار عليهِ ولكن كيف تنتظم هذه الحقائق في هذا الوسط العالمي

المملوء من الماضي وذكرياته وما فيها من انقسام وتحزب وتشيع ديني وقومي

أبَعد النظر في هذه الاعتبارات يزول معظم التنافس بين الشعوب

ان مؤتمر لوكارنولم يفعل سوى وضع اول حجر في بناء هذا البناء العتيد. فان النظر الى اوربا او الى العالم وحدة اقتصادية واحدة لم يأخذ بها جميع الاقتصاديين بل ان فريقاً كبيراً منهم لا يزال يقول باستقلال كل دولة في امورها الاقتصادية تكيفها حسب مصلحتها اما بضرب رسوم جمركية او باحتكار او بتشجيع صناعة دون اخرى وما الى ذلك من المبادئ الاقتصادية المعمول بها الآن. وعلى هذا الرأي معظم رجال السياسة الحاكمين الآن

يقابل ذلك الفكرة الاولى التي اشرنا اليها فانها لا تزال في حيز رجال التأليف واصحاب النظريات المجردة عن الهوى السياسي ولكن عقبى الحرب قد قدمتها فاخرجتها من الكتب الى سياسة عملية لم يُبدأ بها بعد ولكن روحها مستقرة في ميثاق لوكارنو

بقي عامل ثالث قد يكون هو العامل المعجّل في مباشرة عقد المؤتمر ولكنهُ ليس بالعامل الاساسي في ركن الحضارة المطلقة وهذا العامل هو الخطر الرومي . وليس في نظري الخطر من روسيا لانها بلشفية الآن بل ان خطرها يبقى كبيراً ولو اصبحت قيصرية

فالخطر روسي* . لان روسيا بعد الحرب اصبحت بحكم ما اقتطعوا منها من دويلات اضيفتْ الى الاسرة الدولية الاوربية شرقيةً اكثر منها غربية بكثير . فكأن روسيا اختارت الآن ان لا تدخل في الاسرة الاوربية او كأنَّ اوربا لم تقبل ان تدخلها الآن وصبغتها بلشفية

فالخطر الرومي جعل من اوربا شبه كتلة واحدة تقوم في وجهه

وقد قرأت في بعض المجلات لوزير اميركي ان تشيشرين وزير خارجية روسيا عرض على المانيا قبيل مؤتمر لوكارنو عقد تحالف معها فاصبحت المانيا وامامها ان تختار احد الطريقين اما الشرق او الغرب فقرَّ قرارها على السير مع الحضارة الاوربية. ونعم الخيار

***

قلت في بدء هذا المقال ان شرقنا مصاب بعقم برجال السياسة العاملين (statesmen) الذين يبنون للمستقبل لا لانفسهم ذلك لاني ارى ان لا قيام للدول الشرقية الاَّ اذا ادركت ان سيرها في سبيل الحضارة الغربية ابقى لها فاذا تنكبتها عثرت ولا تقال عثرتها

وطريق هذه الحضارة السياسي مرسوم لنا في تاريخها فهو الاخذ بروح القومية في سياسة الشعوب واستكمال هذه الروح بكل ما في بناء القوميات من اسس ثم الدخول

بقوميتنا التامة — شخصيتنا المستقلة — في مجمع القوميات الاخرى . شأننا شأن كل دول العالم الغربي الطريق وعر شاق طويل . ولكنّ تركيا بمصطفى كمالها قد فهمت هذه الاولية السياسية الحديثة واخذت تسير في معراج الحضارة الغربية . فانهُ ان اقتنعنا بان الغلبة في هذا العالم هي اليوم للحضارة الغربية فما علينا الاّ ان نحكّم هذه الحضارة فينا فنستقل . اذا تغلبت الحضارة الغربية على عقليتنا فمشينا في سبيلها غلبنا الغربيين على امرهم في بلادنا واصبحنا فيها مثلهم في بلادهم

وما سبيل الحضارة الغربية السياسية الاَّ نظام القوميات مدمجاً في نظام شعبي عام

سامي الجريديني المحامي

[ختم مؤتمر لوكارنو جلساتهِ في ١٦ اكتوبر الماضي بعد ان وضع رؤساؤهُ سبع معاهدات اذا نفذت بالروح التي حدت الى وضعها كانت بدء عهد جديد من السلام والرخاء في اوربا. واول هذه المعاهدات ميثاق ضمانة الرينلند (ارض الرين) وقد عقدت بين المانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وبلجكا وايطاليا ويتصل بهذا الميثاق اربع معاهدات تحكيم احداها بين المانيا وبلجكا والثانية بين فرنسا والمانيا وقد وقع عليهما مندوبو الدول التي وقعت ميثاق الضمان. واما المعاهدتان الاخريان من معاهدات التحكيم فاحداهما بين المانيا وبولونيا والاخرى بين المانيا وتشكوسلوفاكيا . بقيت معاهدتان عقدتا بين فرنسا وبولونيا وفرنسا وتشكوسلوفاكيا وفيهما ان فرنسا تسرع الى نجدة احداهما اذا اعتدت عليها المانيا اعتداءً لما يستطع مجلس جمعية الامم من وضع حدٍّ لهُ . وقد اجتمع مندوبو الحلفاء في اول دسمبر بلندن فوقعوا رسميًّا ميثاق ضمان الرينلند

هذا ما تم بين هذه الدول على مصالحها الاوربية . وابن الشرق يودُّ ان يعرف ما تمّ بينها على مصالحها في الشرق الادنى وفي الشرق الاقصى وحيث لها مستعمرات. أوَلم تعقد معاهدات سرية . يخيَّل الينا انها فعلت ذلك فاننا نقرأ في مجلاتها السياسية ما يدلُّ على اهتمامها الشديد بالمعاهدة التي عقدت بين روسيا والصين واليابان . وبالقلق السائد في تونس والجزائر والمغرب الاقصى ومصر والشام والعراق والهند وافغانستان . وعسى ان تكون التجارب قد علمتها ان البغي مرتعهُ وخيم وان الامم اذا استيقظت من رقدتها فلا تقنع باقل من الاستقلال والمساواة . وان موائد العلم صارت مباحة في هذا العصر فلا يضطر ابن الشرق ان يلبث قرنين حتى يصل الى ما بلغهُ الاوربيون في قرنين بل يصل في بضع سنوات الى ما وصل اليهِ الاوربيون في مائتي سنة وحسبنا اليابان شاهداً على ذلك]

الكواكب وسكانها

الشمس من اصغر النجوم والارض من اصغر الكواكب التي تدور حولها ومع ذلك هي وطن للانسان العاقل ولمآت الالوف من انواع الحيوان والنبات. فهل ارضنا على صغرها هي الوطن الوحيد للعقلاء وللاحياء عموماً

اذا اريد بالاحياء الاحياء الارضية التي تعيش بين درجتين من البرد والحر لا تهبط الأولى عن مائة درجة تحت الصفر ولا تعلو الثانية عن مائة درجة فوقهُ وقوام اجسامها مركبات الكربون والاكسجين والهيدروجين ولا بدَّ لها من الهواء والماء فليس من النجوم كلها التي عُرفت طبائعها ولا من السيارات التي تشارك الارض في الدوران حول الشمس ما يحتمل ان تعيش فيهِ هذه الاحياء ما عدا المريخ والزهرة. وهذا لا ينفي ان يكون للنجوم التي هي شموس كبيرة مثل شمسنا او اكبر منها كثيراً توابع من السيارات التي تدور حولها كما تدور ارضنا حول شمسنا ويكون في تلك التوابع احياء مثل الاحياء الارضية. لكن كل ما لدينا من وسائل الرصد لا يكفي لان نثبت بهِ وجود تلك التوابع او ننفيهُ ولذلك نحصر بحثنا في نظامنا الشمسي اي في الشمس وسياراتها

فالشمس حرها اشد من ان يوجد فيها شيءٌ من الاجسام الارضية المركبة. واذا دنا منها جسم من الاجسام الحية انحلَّ حالاً الى عناصرهِ التي تركب منها. فلا أحياء فيها

فاذا كانت الشمس المصدر الوحيد للنور والحرارة في سياراتها ووجد سكان في المشتري وزحل واورانوس ونبتون فهم في حالة اسوأ جدًّا من حالة الاسكيمو سكان الاصقاع الشمالية لان الحرارة هناك قلما تهبط اكثر من خمسين درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت. اما المشتري وحرارتهُ اعلى من حرارة غيرهِ فدرجتها فيهِ ٢٧٠ تحت الصفر كما ترى في الجدول التالي. وهذا برد لا يعيش فيهِ حيٌّ ارضي ولذلك لا يحتمل ان تعيش احياء مثل الاحياء الارضية في المشتري وزحل واورانوس ونبتون. وما قيل عن الشمس يقال عن النجوم التي هي شموس مثل شمسنا ولكن ان كان لها توابع من السيارات التي تدور حولها فامرها لا نستطيع الحكم فيهِ ومع ذلك يصعب على العقل ان يصدق انها كلها خالية من السكان وان المسكون من كل اجرام السماء التي تعدُّ بالوف الملايين انما هو هذه الارض الصغيرة. والارض لم تصر صالحة لسكن الانسان الاَّ بعد الملايين الكثيرة من السنين فهل مرَّت تلك القرون ولا احياء في العالم كلهِ

	القطر بالاميال	الكثافة	البعد عن الشمس	طول اليوم	طول السنة	درجة الحرارة[1]
الشمس	٨٦٥ ٠٠٠	١٦٤		٦٠٠ ساعة		+ ١٢٠٠٠
عطارد	٣ ٠٣٠	٤٦٤	٣٦٠٠٠ ٠٠٠	؟	٨٨ يوماً	+ ٤٦٠
الزهرة	٧ ٧٠٠	٤٦٩	٦٧٢٠٠ ٠٠٠	؟	٢٢٥ »	+ ٠٦٨
الارض	٧ ٩١٨	٥٦٥	٩٢٩٠٠ ٠٠٠	٢٤ »	٣٦٥ »	+ ٠٥٩
المريخ	٤ ٢٣٠	٣٦٩	١٤١٠٠٠ ٠٠٠	٢٤٦٦ »	٦٨٧ »	— ٠٦٠
المشتري	٨٦ ٥٠٠	١٦٣	٤٨٣٣٠٠ ٠٠٠	٩٦٨ »	٤٣٣٢ »	— ٢٧٠
زحل	٧٠ ٠٠٠	٠٦٧	٨٨٦٠٠٠ ٠٠٠	١٠٦٣ »	١٠٧٥٩ »	— ٣٣٠
اورانوس	٣١ ٥٠٠	١٦٢	١٧٨١٩٠٠ ٠٠٠	؟	٣٠٦٨٧ «	— ٣٨٠
نبتون	٣٤ ٨٠٠	١٦١	٢٧٩١٠٠٠ ٠٠٠	؟	٦٠١٨١ »	— ٤٠٠

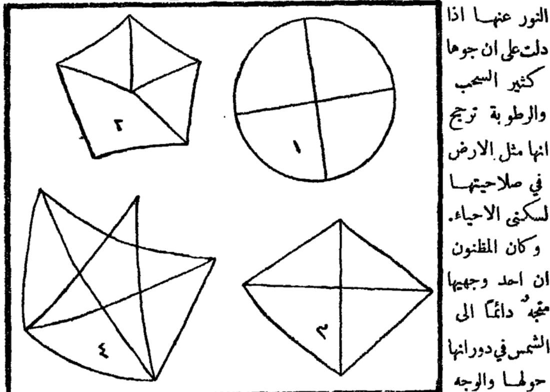
نعود الى السيارات التي تشبه الارض على نوع ما وهي عطارد والزهرة والمريخ وقبل ذلك نقول ان الحيوان يعيش على النبات والنبات يحتاج لمعيشتهِ الى الحرارة والنور والماء ومركبات الكربون وبعض الاملاح . فالماء لا يصلح للحياة اذا كان دائماً في حالة جليدية من شدة البرد . ومركَّبات الكربون من الزم لوازم الحياة واكثرها لا يحتمل الحرارة التي يغلي الماء عندها ولا البرد الذي يجلد الماء عندهُ . ولكن درجة الحرارة في عطارد ٤٦٠ فلا يحتمل ان يعيش فيهِ حي من الاحياء الارضية وهذه حرارتهُ ويظهر من انعكاس النور عنهُ ان جوَّهُ خالٍ من الهواء ومن بخار الماء

واذا التفتنا الى المريخ وجدنا ان طول يومهِ مثل طول يومنا تقريباً ولكن حرارتهُ اقل من حرارة ارضنا فانها ٦٠ درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت لبعدهِ الشاسع عن الشمس . والخطوط التي ترى على سطحِهِ وتسمَّى ترعاً تتغير اشكالها واوضاعها من وقت الى آخر فقد كتب الاستاذ بكرنج في عدد يناير من السينتفك اميركان انهُ لما اقترب المريخ من الارض سنة ١٨٧٩ رأى فيهِ شيابرلي الفلكي الايطالي على بقعة واسعة منهُ صليباً كما ترى في الشكل الاول ثم تغير منظرهذا الصليب وصار خطاً متمحاً ولما اقترب المريخ سنة ١٨٩٢ ظهرت ترعهُ في جانب آخر منهُ بشكل مخمس كما ترى في الشكل الثاني وقطر هذا الشكل ٨٠٠ ميل وقطر الشكل الاول ٩٠٠ ميل . وسنة ١٩٠٩ ظهرت ترع المريخ

(١) فالكثافة او الثقل النوعي هي بالنسبة الى الماء . ودرجة الحرارة بميزان فارنهيت

في شكل لهُ اربع اضلاع غير متساوية يصل بين زواياهُ قطران كما ترى في الشكل الثالث . وسنة ١٩٢٤ لما كان المريخ اقرب الينا مما كان في اي وقت آخر منذ مائة سنة الى الآن ومما سيكون من الآن الى مائة سنة اتخذت ترعهُ شكلاً مثل الشكل المخمس المسمَّى خاتم سليمان يصل بين اربع من زواياهُ قوسان وخط مستقيم كما ترى في الشكل الرابع . وهذه الاشكال لم تظهر الأ حينما كان المريخ قريباً من الارض

فعطارد لا يُسكن والمريخ لا يصلح ان يكون مسكناً للاحياء الارضية . بقيت الزهرة وهي اصلح من غيرها لسكن الاحياء الارضية فانها اقرب الى الشمس من الارض ولكن متوسط حرارتها لا يزيد على متوسط حرارة الارض الأ تسع درجات . وشدَّة انعكاس النور عنها اذا دلت على ان جوها كثير السحب والرطوبة ترجح انها مثل الارض في صلاحيتها لسكنى الاحياء . وكان المظنون ان احد وجهيها متجهٌ دائماً الى الشمس في دورانها حولها والوجه



الآخر لا يرى الشمس فيكون الاول شديد الحر والثاني شديد البرد ولكن الارصاد الحديثة كادت تنفي ذلك وتدل على ان يوم الزهرة طويل يبلغ نحو عشرة ايام من ايامنا ولكن اذا ثبت ان بخار الماء غير موجود في غيومها صارت مثل غيرها غير صالحة لسكنى الاحياء الارضية

بقي القمر وهو ليس من السيارات بل تابع للارض لكن يظهر من رصدهِ انهُ خالٍ من الماء والهواء وان وجدا فيهِ فهما طفيفان جدًّا كما ذكرنا في مقتطف مارس سنة ١٩٢٠ لا يكفيان لمعيشة الانسان

آكل المكروبات

The Bacteriophage

ما اصدق من قال ان الليالي يلدن كل عجيبة فكل يوم نرى ما لا يكاد يصدق لغرابته قد أصبح بين عشيَّةٍ وضحاها من الحقائق الراهنة المثبتة بالتجارب والاختبار

فمنذ اقل من نصف قرن كانت تنسب كل الامراض الى مختلف الامزجة وما هي الا سنوات قلائل حتى ظهرت المكروبات وعلاقتها بالامراض واصبح علم البكتريولوجيا الشغل الشاغل لجماعة الاطباء ومن جرى مجراهم من الباحثين وراء الحقيقة حتى يكاد الآن ينسب كل مرض الى جرثومة خاصة بهِ واهتم الباحثون بمعالجة هذه الامراض بواسطة قتل هذه الجراثيم في اجسام المرضى او مقاومتها وان لم يوفقوا الى النجاح في اكثر الاحوال

ولكن لكل شيءٍ آفة من نوعهِ فبينما كان البكتريولوجي الانكليزي تورت (Twort) يجرب بعض تجاربهِ في مصل الجدري لاحظ عرضاً ان بعض مستعمرات الجراثيم في مزارع الأجارأجار تظهر للعين كأَنها متآكلة ثم لاحظ ايضاً انهُ اذا ترك هذه المزارع في المستنبت (Incubator) يوماً آخر فان المستعمرات المتآكلة التي فيها تصبح شفافة كالزجاج او كأَنها لم تكن مطلقاً. وقد نشر ملاحظتهُ هذه في مجلة اللانست الطبية سنة ١٩١٥

وفي سنة ١٩١٧ نشر دي‌رل (D'Herelle) البكتريولوجيُّ الكندي في معهد باستور في باريس سلسلة مقالات عن ملاحظات لهُ تشبه ما نشرهُ تورت. فقدوجد دي‌رل انهُ اذا استحلب براز احد المصابين بالدوسنطاريا في مرق ورشح هذا المستحلب بواسطة شمعة بركفلد ثم وضع قليلاً من هـذا المرشح على مزرعة مكروبات شيجا (B. Dysenteriae Shiga) فان هذه المزرعة تصبح بعد قليل شفافة بعد ان كانت عكرة. فما الذي اذاب هذه المكروبات؟ يعتقد بعض الباحثين ان المادة الفعالة هنا هي من نوع الخمائر ويعتقد البعض الآخر وبينهم دي رل نفسهُ انها من نوع المكروبات التي لا ترى بالمكروسكوب العادي وبناء على هذا الاعتقاد سماها آكلة المكروبات (Bacteriophage)

وقد اخذ جمهور البكتريولوجيين في البحث عن علاقة البكتريوفاج بالمكروبات

الاخرى فوجدوا انواعاً مختلفة منهُ كلٌّ منها يكاد يكون نوعيًّا اي خاصًّا بنوع خاص من المكروبات. فلكلٍّ من الدوسنطاريا والطاعون والتيفويد الخ مذوب خاص بهِ ولو انهُ ليس نوعيًا صرفًا

ولكن هل يمكن الاستفادة في العلاج من هذا الاكتشاف وهل لهُ فائدة في تخفيف آلام المرضى والتفريج عنهم ؟ هذا ما سيظهرهُ لنا المستقبل لان آراء الباحثين تضاربت في نتائج تطبيقهِ فبعضهم انكر فائدتهُ العلاجية بتاتًا والبعض الآخر حبذهُ جدًّا وقد نشر دي رل اخيراً نتيجة ابحاثهِ في اربع اصابات طاعون دملي عالجها بواسطة حقن الاورام بالبكتريوفاج فقال ان فائدتهُ لا جدال فيها

القاهرة الدكتور جورج قصيري

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

كيف اريد المرأة ان تكون

نشرنا بين مقالات هذا الجزء من المقتطف الخطبة النفيسة التي القتها الآنسة (مي) في جمعية الشبان المسيحية وعنوانها « كيف اريد الرجل ان يكون » وقد رأينا ان نعيد هنا نشر مقالة مفيدة للدكتور فرنك كراين الاميركي عنوانها « كيف اريد المرأة ان تكون » كنا قد ترجمناها ونشرناها في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٣ قال :

اني لا اعرف اسرار الجمال ولا انواع المساحيق (البودرات) ولا فلسفة الالوان ولا ازياء الثياب وذلك ما حملني على كتابة مابلي لاني انظر الى المرأة كمرأة . وسأذكر الصفات التي اود ان تتصف بها ويودها جمهور الرجال . وقد استعنت في كتابة هذه المقالة ببعض سيداتٍ بسطتُ ارائي امامهنَّ لارى رايهنَّ فيها وبينهنَّ رئيسة مدرسة تعلم النساء بالمراسلة كيف يجب ان يلبسن بذوقٍ واخرى تعلمهنَّ كيف يعتنين ببشرتهنَّ وشعرهنَّ وجمال منظرهنَّ بوجهٍ عام

١ — اود ان ارى في المرأة عدم التصنُّع

يجب ان يكون جمالها طبيعيًّا لا مستعاراً . والامر الذي يجب ان تدركهُ كل فتاة وامراة هو ان في نفسها ما يستحسن وما يحترم وان لكل شخصية جاذبًا خاصًّا بها وان ما من امراة وُلدت الاَّ وقد خُصَّت بصفات تزينها وتمتاز بها على غيرها فعليها اذاً ان تعرف ما هي تلك الصفات التي تميزها وتحبوها بجاذب خاص وحينما تعرف ذلك تجري على مقتضى طبعها في كل اعمالها فينتفي التكلف والتصنع من حركاتها وسكناتها

ثم ارغب في ان ارى ماري مثلاً ترتدي ثوبًا يناسبها و يتفق مع قامتها ومقامها ولا اريدها ان ترتدي ثوبًا ما لان سيدة جميلة ارتدتهُ فكان عليها جميلاً . فالمرآة من هذا القبيل اصدق صديق للمرأة اذ بواسطتها تقدر ان تقف على ما يناسبها وما لا يناسبها واي الالوان يزيدها رونقًا وبهاءً وايها ينقص من جمالها

تعتقد بعض السيدات ان السمن قبيح فيلبسن المشدات لاخفائهِ لكن السمن ليس قبيحًا اذا لبست المراة السمينة ما يناسب قامتها ولونها . اعرف سيدة سمينة ترتدي ثوبًا لطيفًا يناسبها تمامًا فتستلفت الانظار حينما تدخل غرفة الاستقبال اكثر من كثيرات من النحيفات . كانت ساره برنار الممثلة الفرنسوية الشهيرة ترتدي ثيابًا تناسب قامتها وحركاتها حتى لقد صنعت اردانًا (اكامًا) لاثوابها لم يصنع مثلها من قبل وهي الاردان الطويلة الضيقة وذلك لانها رأت ان هذه الاردان تزيدها رشاقة حين تحرك يديها

وحينما تظهر الغضون والتجعدات في وجهِ المرأة يجب ان لا تلبس برنيطة واسعة تتدلى منها الشرائط والازهار فتلقي على وجهها خيالات تزيد التجعدات ظهوراً

٢ — اود ان تظهر المرأة بمظهر يتفق مع سنها

اني احب الصدق في الجمال ولا جمال حيث الغش والخداع . كل امراة تستطيع ان تكون جميلة في الستين ولكن يجب ان تظهر بمظهر ابنة الستين لا بمظهر فتاة لا تزال في العشرين من العمر . فالتقدم في السن لهُ رونق كرونق الفتوة والصبا . ولكن حينما ارى امرأة جاوزت الخمسين تحاول ان تلبس وتتزين وتتكلم كفتاة لا تزال في زهرة الصبا ارى ان عملها غير طبيعي وبدلاً من ان يزيدها حسنًا ورشاقة يزيدها تصنعًا وتكلفًا

لا شك في ان للصبا رونقًا يفوق رونق الكهولة اذا تساوت بقية الصفات ولكن ما من امرأة تفقد رونقها حين تشيب لان للمرأة صفات أخرى تهمُّ الرجال وتسترعي منهم الاحترام والاعجاب غير رونق الصبا ورشاقتهِ . وكلما تقدَّم الرجل في السن قلَّ اعجابهُ بالفتوة المجردة

وازداد اعجابهُ بصفات المرأة التي تجعلها امراةً اي بعقلها واخلاقها وهذه الصفات تستطيع كلُّ امرأة ان تحافظ عليها بل وتزيدها في الستين وبعد الستين

٣ — اود ان ارى في المراة النظافة التامة

لا اريد ان احكم حكماً جائراً على المساحيق والمحسنات واللواتي يستعملنها لانني اعلم انهُ اذا استعملتها المرأة بحكمة واعتدال زادتها جمالاً ولكن اذا خرجت في استعمالها عن حد الاعتدال كان ذلك خداعاً ظاهراً . بعض النساء يحاولن ان يعتضن بالمساحيق والاصباغ عن النظافة لان الانسان يحتاج الى عمل شاق ليبقى نظيفاً.فقد تستسهل امرأة ان ترش على وجهها البودرة وعلى ثيابها قليلاً من الكولونيا بدلاً من الذهاب الى الحمام واغلاء الماء وتنظيف الجسم

واود في المرأة ان تهتم بلبسها البسيط وزينتها البيتية كما تهتم بهما اذا كانت مدعوة الى سهرة حافلة. اود ان يكون شعرها نظيفاً ومرتباً ولا اعترض ابداً على مسحة خفيفة من البودرة والحمرة اذا كان وضعهما يزيدها رونقاً من غير ان يدل على انها تحاول الاعتياض بهما عن جمالها الطبيعي . وارى ان ازياء الاثواب الآن اجمل جداً من الازياء التي كانت قبلاً . كذلك تمشيط الشعر تمشيطاً بسيطاً وعقصهُ بعياقة اجمل جداً في نظري من تضفير الغدائر ونفش الشعر كما كانت النساء تفعل منذ سنوات لان الجمال في البساطة (ولعلهُ لو كتب الآن لفضل جز الشعر على ارساله)

٤ — اود في المرأة ان تتناسب مع بيئتها

ولا اريد بذلك ان تلبس لبساً يليق بمقامها او طبقتها الاجتماعية لانني اميركي لا اعترف بوجود الطبقات ولانني ارى ان للصدف يداً كبيرة في تكوين هذه الطبقات الاجتماعية ولكن اقول البسي لكل حالة لبوسها

فالالماس مثلاً امير الجواهر وغريزة المرأة تدفعها للتزين والتحلي بهِ وبغيره من الجواهر ولكنني أكره ان ارى سيدة تتناول طعام الغذاء وعقد الالماس في عنقها وخواتمهُ في اصابعها فان جمال الجواهر يزداد حين يكون النور اصطناعياً فيعكس عنها ويزيدها سناء ولذلك فالالماس يجب ان يلبس في السهرات.وهناك كثيرات من الفتيات الخادمات اللواتي يستطعن ان يضاهين سيداتهن جمالاً ورشاقة لكنهن لن يفعلن ذلك اذا ارتدين ثياب السيدات وتزين بزينتهن حين قيامهن باعمال البيت من كنس وغسل وتنظيف وترتيب . كذلك بعض النساء يلبسن ثياب الرجال حين ذهابهن الى الصيد

و يكون منظر تلك الاثواب عليهن جميلاً حينئذٍ لانها تناسب المقام ولكن من يستحسنهن اذا ارتدين تلك الثياب في سهرة او ذهبن فيها الى كنيسة

الخلاصة ان مما يزيد المرأة رونقاً وجمالاً لبسها الثوب الذي يناسب ما يستدعيه المقام

٥ — اود في المرأة ان تظهر كأنها تريد ان تسر الرجال

المرأة بغريزتها تميل الى استمالة الرجال واستلفات انظارهم وانا اود ان ارى كل امراة اقابلها تهتم باستمالتي اليها . نعم يجب ان تحذر وان تحذر كل فتاة وامرأة من التطرف في هذا الامر وعليهن ان يقيّدن هذه الغريزة بما يقتضيه شرف النفس وآداب السلوك . ولكن هذا لا ينفي ان هذه الغريزة في المرأة هي التي تحبوها بجاذبها الخاص . فمن الطبيعي اذاً ان تظهر اهتماماً بكل رجلٍ يزور بيتها وذلك مستحسن فيها

٦ — اود البشاشة في المرأة

المناه اسر ما في العالم ولكن ترى كثيرات من النساء على استعداد تام لبذل كل شيء في سبيل ازواجهن سوى بسمة لطيفة وبشاشةٍ في الوجه تخفف عن الرجل اعباء الحياة

أتخافين يا سيدتي من مناظرة تناظرك في زوجك ؟ فمن هي ، ليست مناظرتك المرأة الجميلة ولا المتعلمة ولا السريعة الخاطر ولا الحسنة الهندام بل مزاحمتك الحقيقية هي المرأة البشوش . لان من اهم ما يتطلبهُ الرجل في زوجتهِ بشاشة الوجه

قد تتعجبين لماذا يهتم زوجك بهذه الفتاة او بتلك اكثر من اهتمامهِ بكِ والتفاتهِ اليك . هل تذكرين انك لا تحدثينهُ الاَّ فيما يقلقك و يكربك و يثقل صدرك فتفرجي همومك امامهُ ولكن حينما يأتيكم زائر ما تهشين لهُ وتبشين وتبسمين وتنسين كل همومك . فالرجل يبذل جهدهُ لكي يسر زوجتهُ و يريد ان يرى منها ما يدل على انهُ هو سبب سرورها و بشرها فاذا علم انك مسرورة فعلاً زادهُ ذلك سروراً وقوة وافعمت حياتهُ بشراً وسعادة ولكن حينما تقتصرين في حديثك معهُ على بث همومك واشجانك فقط فماذا ينتظر منهُ ان يفعل ؟ انهُ يشرع في البحث عن فتاة او امرأة اخرى تبش لهُ وتبتسم . هذه هي المناظرة التي يجب ان تخشيها ولكي تنتصري عليها يجب ان تبسمي انتِ لهُ وتبشي في وجههِ وان تجعلي اكثر احاديثك معهُ فيما يسرهُ و يفرحهُ

هذه بعض آرائي في اهم الصفات التي اود ان تتصف بها المرأة فبعض السيدات يوافقنني عليها وبعضهن لا يوافقنني ولكن اريدهن ان يعلمن ان هنالك رجالاً كثيرين امثالي يرون فيهن هذا الرأي وينظرون اليهن هذا النظر

الرياضة البدنية

ما يضرُّ منها وما يفيد

المشهور ان الرياضة البدنية لازمة للجسم لذلك ترى المدارس قد افسحت مجالاً في برامجها للرياضة البدنية سواء كانت من انواع الجري والقفز ورمي الحديد او من العاب الكرة على اختلافها ككرة القدم (الفوتبول) والباسكتبول والهكي والكركت والبايسبول وما اليها او من انواع الدرل والسباحة . والزمت كل تلميذ من تلاميذها انهُ يروّض جسمهُ ساعات معينة كل اسبوع. ولا شك ان الجسم يحتاج الى الرياضة لانها تقوي العضلات والمفاصل وتحفظ الدورة الدموية في حالة صحية وتهيئ الاجهزة المختلفة لافراز الفضلات اما عرقاً او بولاً او مع زفير الرئتين ولكنها ان تعدت الحد المعقول اضعفت الجسم بدلاً من ان تقويهُ فهي بذلك ابلغ مثل على ان الاعتدال خير شعار يسير عليهِ الناس في اقوالهم وافعالهم

وقد اطلعنا الآن على مقالة لرجل من كبار مروضي الاجسام الاميركيين بسط فيها فوائد الرياضة البدنية ومضارها فاقتطفنا منها يلي قال

منذ ستة اشهر جاء في طبيب نيويوركي معروف بصحبهُ رجل في الثالثة والثلاثين من عمرهِ كان في ايام تلمذتهِ من ابطال الطلبة في الالعاب الرياضية ولما غادر المدرسة وانضم الى ابيهِ في تجارتهِ وجد ان لا بدَّ لهُ من الرياضة البدنية فانتظم في سلك فريق من اللاعبين لعبة الهوكي فكان يقضي نحو ١٠ ساعات كل اسبوع في التمرن مع رفاقهِ واللعب ضد الفريق الذي يطلبهم للمباراة

على انهُ لم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى اخذ يلاحظ انحطاطاً في وزنهِ ، وضعفاً في حماستهِ للعب وقزازة من الاكل واصيب بسعال خفيف احسَّ معهُ ان ضعفاً عاماً قد استولى على جميع قواهُ فذهب الى طبيبهِ يستشيرهُ في امرهِ . ففحصهُ الطبيب فحصاً مدققاً فثبت لهُ من الفحص ان ضغط دمهِ اقلّ من الضغط الطبيعي لمن كان في عمرهِ وظهر من فحص رئتيهِ باشعة اكس وجود بقع عليها دلالة على تعرضهِ للاصابة بالسل (التدرن الرئوي) وكان قلبهُ متضخماً ضعيفاً فامرهُ الطبيب بترك اللعب والانصراف عن كل رياضة بدنية عنيفة ووضع لهُ نظاماً خاصاً للطعام والراحة يجري عليهِ . فعاد ضغط دمهِ الى المستوى الطبيعي واقام مدة في ولاية ارزونا الجافة الهواء فشفيت رئتاهُ مما المَّ بهما . واذا نظر

اليهِ احد بغير عين الطبيب النقادة قال ان صحتهُ حسنة ولكن الامر الذي اريد ان الفت نظر القراء اليهِ هو ان هذا الرجل كان قد انفق من قوتهِ ونشاطهِ في ٣٣ سنة ما كان يجب ان يكفيهُ الى ان يبلغ الستين او السبعين من العمر

واذا سار هذا الرجل على النظام الغذائي والرياضي الذي وضعهُ لهُ طبيبهُ فالمحتمل انهُ يعيش الى ان يبلغ ذلك العمر ولكن لا بدَّ لهُ من ان يحرم في المستقبل كلَّ الالعاب الرياضية التي نشأ على الاهتمام بها وانفق فيها خلاصة قوتهِ . فطبيبهُ لا يسمح لهُ الآن بان يمشي اكثر من ميل على الاكثر او ان يتمرن في احد دور الجمناز اكثر من ثلاث مرات في الاسبوع عشرين دقيقة كل مرة تحت مراقبةٍ شديدةٍ وان لا يأكل الاَّ ما يسمح لهُ بهِ طبيًّا

فالامر الذي الزم هذا الشاب القوي البنية ان يسير على نظام لا ينطبق الاَّ على المرضى هو خطأَهُ في فهم الغاية من الرياضة البدنية واصلح اساليبها . فقد كان يعتقد كما يعتقد كثيرون من الشبان انهُ ما زال يتمرن تمريناً يومياً فالرياضة البدنية مهما طالت وشقت لا تضرُّ . لم يدرك ان قليلاً من الرياضة البدنية اليومية كافية لحفظ الجسم في حالة صحية تامة وانهُ اذا تعدى حدَّ الاعتدال كان بمثابة من ينفق قوة في سنةٍ نحت لهُ لتكفيهِ في خمسين سنة

نعم بين الناس افراد قلائل من الذين يتطرفون في الاجهاد الرياضي كما تطرف صاحبنا ولكن ما حدث لهُ يجب ان يكون عبرة لغيرهِ . فاني عرفت كثيرين من ابطال اللاعبين فاذاهم اصحاب قلوب متضخمة ضعيفة ورئات معرضة للسل بل ان كثيرين منهم اصيبوا بالسل او بضعف عام اقعدهم عن العمل وانتهى بموتهم في زهرة الشباب وهذا ما اريد ان اوجه اليهِ انظار القراء — اولاً ان الرياضية البدنية لازمة للجسم ولكن يجب ان يحذر كل احدٍ من تعدي حد الاعتدال فيها لان مضار التطرف في الرياضة البدنية واجهاد القوى كبيرة جدًّا وحافلة بالاخطار

فبعض الناس يحسبون انهُ اذا لم تُتح لهم اعمالهم وقتاً للرياضة البدنية كل يوم جربوا ان يعوضوا ذلك النقص باجهاد نفوسهم يومي السبت بعد الظهر والاحد . وهذا مضر جدًّا بالصحة . ومنهم من يحسب انهُ اذا لم يتمكن من المشي ميلين كل يوم عوَّض ذلك يوم السبت او الاحد بمشيهِ خمسة عشر ميلاً . وهذا خطأٌ ومضرٌ لان فائدة التمرين الرياضي لا تقوم على مقدارهِ بل على انتظامهِ يوماً بعد يوم

فوائد بيتية

علاج قشرة الراس — علاج القشرة التي تكون في الرأس اما علاج للوقاية واما للشفاء وهو في الحالين اوقية من البورق تذاب في اثنتي عشرة اوقية من الماء فاذا اريد العلاج الواقي يفرك الرأس بهذا السائل مرةً في الاسبوع واذا اريد العلاج الشفائي يفرك بهِ مرتين في اليوم · واذا كانت القشرة كثيرة ولم تزل بهذا العلاج يستعمل لها علاج آخر وهو مذوَّب نصف اوقية من الغليسرين في رطل من الماء يغسل بهِ الرأس جيداً مرةً كل يوم

علاج الاغماء — اذا اغمي على احد فضعهُ على ظهرهِ امام نافذة او باب مفتوح حتى يهبَّ الهواء على وجههِ فالغالب انهُ يستفيق من نفسهِ من غير واسطة اخرى واذا كان طوقهُ ضيقاً وثيابهُ مزررة فحلَّها لكي يسهل عليهِ التنفس . ويحسن ان ترشَّ وجههُ بالماء البارد وتدهن يديهِ وصدرهُ بهِ وان تشممهُ رائحة الكافور او الامونيا وحالما يصير يستطيع ان يبلع اسقهِ قليلاً من الماء

وسخ الاظافر — أُستخرج الوسخ من تحت ٦٨ ظفراً وبحث فيهِ بحثاً بكتر يولوجيًّا فوجد فيهِ ٧٥ نوعاً من المكروبات فلا يليق بمن يمرض مريضاً او يؤاسي جريحاً ان يفعل ذلك مالم ينظف اظافرهُ تنظيفاً تامًّا . وعلاوة على ذلك ان للاظافر الوسخة منظرا قبيحاً تشمئز منهُ النفوس

فائدة الغليسرين — اذا اضيفت نقط قليلة من الغليسرين الى الدقيق في عمل الكعك بمعدل ملعقة شاي الى كل رطل من الدقيق صار العجين اسفنجيًّا خفيفاً · واذا اضيفت ثلاث ملاعق صغيرة من الغليسرين الى كل رطل من الاثمار حينما تعمل المربيات منها حفظتها من الاختمار ومن عود السكر الى التبلور اذا لم يغلَ جيداً

تليين كفوف الجلد — اذا رأيت كفوف الجلد جافة صلبة فبلَّ منشفة بقليل من الماء وضع الكفوف بين طياتها واتركها فيها ساعة من الزمان فترطب قليلاً وتلين ويسهل لبسها من غير ان تتمزق

الطرطير والاسنان — اذا فركت لثة اسنانك بقطعة من الليمون الحامض امتنع تكون الطرطير على الاسنان وزال ما كان متكوناً منهُ

باب الزراعة

الجمعية الزراعية الملكية وقطن المرض

جاءنا منها ما يلي :—

انشئت الجمعية الزراعية عام ١٨٩٨ على يد المغفور لهُ السلطان حسين كامل ايام كان اميراً من امراء مصر الاجلاء وهي الآن برآسة حضرة صاحب السمو السلطاني الامير كمال الدين حسين

فالجمعية من غرس المغفور لهُ السلطان حسين ونعمة من نعمهِ انشأها ليحقق بها امنيةً طالما اجهد نفسهُ الكريمة لبلوغها وهي السعي لرفع مصر الى مستوى ارقى الامم وذلك بترقية اهم ركن من شئون حياتها وهو الزراعة

ولم تلبث الجمعية بفضل نفوذهِ السامي واشرافهِ على ادارتها ان حظيت بعناية الحكومة وحسن رعايتها واكتسبت بذلك ثقة زراع القطن وتشجيعهم اياها فاخذت تمدهم بنصائحها الغالية ومهدت لهم سبل النجاح باتباع افضل الطرق العلمية الحديثة

ثم اتخذت غيطاناً للتجارب في الجيزة اولاً ثم في ميت الديبة ثانياً ثم في بهتيم وانشأت فيها المعامل واجرت ابحاثاً فنية عظيمة الشأن لمقاومة الآفات التي تضر بالمزروعات وايجاد الطرق الموصلة لتحسين انواع حاصلات مصر الزراعية وتسميدها بالاسمدة الكيماوية وكيفية استعمالها

وتمكنت بفضل لجانها واقسامها الفنية ومطبوعاتها من نشرات ومجلات ورسائل ومحاضرات كان يلقيها مندوبها على المزارعين في جميع انحاء القطر من فحص كل المسائل التي عرضت عليها

وهي التي اوجدت روح التعاون بين المزارعين فافضى ذلك الى انشاء النقابات الزراعية (شركات التعاون الزراعي) القائمة الآن في جميع انحاء القطر

وهي التي اختطت طرق الوقاية للاحتفاظ بالقطن وعرضتها على الحكومة فوافقت عليها ونخص بالذكر منها القانون نمرة ١٣ لسنة ١٩١٥

وهي التي خطت الخطوة الاولى في سبيل انتقاء بذرة القطن وتوزيعها الامر الذي

عهد بهِ فيما بعد لوزارة الزراعة . وبفضل عنايتها انتجت بذرة للقطن سمتها (قطن المعرض) وستوزعها هذا العام على المزارعين كتقاوٍ لتكثير صنفهِ

ويرجع الى مسعاها وجهدها الفضل في تعميم استعمال الاسمدة الكيماوية فقد كان الوارد منها الى القطر المصري في سنة ١٩٠٢ (٢١٥٠) طناً فقط ثم اخذ بعد ذلك في الازدياد حتى بلغ ما استورد الى القطر في عام سنة ١٩٢٤ (١٧٤٠٠٠) طن وزعت منهُ الجمعية (٨٠٠٠٠) طن اي ما يقرب من النصف

اما توزيع الاسمدة الكيماوية فمعهود بهِ الى :—

ادارة الجمعية بارض المعرض بالجزيرة ووكلائها بالاسكندرية (اباظه وشركاه) وتفاتيشها بالمديريات وعددها اثنا عشر . ومخازنها في المديريات وعددها ٨٤ . وحلقات الاقطان في الجهات وعددها ٣٨ . ومخازن عملائها بالفروع وعددها ٨٣

وقد اقامت معارض عديدة منها ١١ معرضاً في القاهرة و١٠ في الاقاليم وستقيم معرضاً فخماً هذا العام في ارض الجمعية بالجزيرة يفتتحهُ حضرة صاحب الجلالة الملك ويبقى مفتوحاً للوافدين مدة شهر كامل من ٢٠ فبراير لغاية ٢٠ مارس سنة ١٩٢٦ ولا يخفى ما لهذه المعارض من الفائدة في تشجيع المزارعين وتمكينهم من ادراك مبلغ تقدم الطرق والآلات الزراعية الحديثة والاستفادة من ذلك

وقد عهد الى الجمعية سنة ١٩٠٨ بادارة قسم تربية الحيوانات بعد ان كان تحت اشراف لجنة تابعة لوزارة الداخلية . وغرض هذا القسم هو التوصل بواسطة الطرق العلمية الى تحسين انواع الخيل والمواشي والحمير ولهُ خيول للطلوقة ترسلها كل سنة الى الاقاليم فتبقى هناك من اول اكتوبر الى آخر ابريل لتكون تحت طلب اصحاب الافراس ويبلغ متوسط عدد وثباتها في السنة ١٣٠٠ وثبة

وفي سنة ١٩١٢ انشأت قسماً لتربية الطيور الداجنة جعلت مقرهُ في غيطان تجار بها بهتيم . والجمعية خاضعة لقانون عُدّل مراراً وكان آخر تعديل ادخل عليهِ في ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٤

ويدير شئُونها مجلس ادارة مكون من ٣٢ عضواً منهم اربعة عشر عضواً يجب انتخابهم من بين اصحاب الاطيان عضو واحد من كل مديرية . اما الباقون فينتخبون من اصحاب المعرفة والاختبار

وقد اتفقت الجمعية مع الخواجات رولو وشركائهِ على توزيع تقاوي قطن المعرض بالشروط التالية وهي

اتفق حضرة فؤاد بك اباظه بصفتهِ مدير الجمعية الزراعية الملكية الكائن مركزها بسراي المعرض بالجزيرة طرف اول

مع حضرات الخواجات ج.رولو وشركاه التجار بالاسكندرية طرف ثانٍ على ما يأتي :

اولاً — حيث ان الجمعية الزراعية الملكية قد انتجت نوعاً خاصاً من القطن معروفاً باسم « المعرض » ويهمها جداً استكثارهُ والمحافظة على نقاوتهِ من كل خلط كما يهمها تعريفهُ للغازل العالمية لانتشار استعمالهِ فيها وكل ذلك توخياً لمصلحة الزراع المصريين فقد قبلت ما عرضهُ عليها الطرف الثاني من التزام توزيع تقاوي هذا الصنف وشراء القطن الناتج منها في سنتي ١٩٢٦ و١٩٢٧ بالشروط والقيود المذكورة بعد

ثانياً — قبل الطرف الثاني ان يأخذ جميع الموجود الآن عند الجمعية من بذرة هذا القطن (المعرض) و يبيعهُ للمزارعين في سنة ١٩٢٦ لزراعتهِ في المناطق والاراضي التي تعينها لهُ الجمعية و بالثمن الذي تحددهُ لهُ .وقد تعهد باخبارها عن اسماء المزارعين الذين يشترون منهُ ليتولى القسم الفني بالجمعية مراقبة زراعتهِ كما تعهد ان يشترط على المشترين تمكين مندوب القسم المذكور من المراقبة وتنفيذ ما يطلب عملهُ منهم .

ثالثاً — لا يجوز للطرف الثاني ان يبيع بذرة تقاوي المعرض لمزارع يزرع منها اقل من مائة فدان الاَّ اذا حصل على تصريح كتابي بذلك من القسم الفني بالجمعية

رابعاً — الجمعية الزراعية الملكية هي صاحبة الحق في تحديد الثمن الذي يبيع بهِ الطرف الثاني تقاوي المعرض . ولهذا الاخير في نظير قيامهِ بهذا البيع الحصول ٢٠ ٪ من صافي الارباح الباقية للجمعية بعد خصم الثمن الاصلي للبذرة محتسباً بسعر كنتراتات البذرة في البورصة الملكية في اليوم الذي تختارهُ الجمعية لغاية ٢٠ يناير سنة ١٩٢٦ وبعد خصم ٢٠ قرشاً مقابل مصاريف المراقبة وخصم ثمن الزكيبة وقيمة النولون والنقل وتلاحظ الجمعية الزراعية عند تحديد الثمن الاَّ يتجاوز ١٥٠ قرشاً فوق كنتراتات بذرة السكلاريدس بما في ذلك جميع المصاريف

خامساً — يجب على الطرف الثاني عند بيع تقاوي المعرض ان يشترط على المشترين زرع كل هذه التقاوي في اطيانهم وتوريد جميع القطن الزهر الناتج منها الى محلجهِ وان يشترط عليهم في حالة اعطاء بعض هذه التقاوي للغير او عدم توريدهم القطن الزهر بأكملهِ الى محلجهِ دفع غرامة قدرها ستة جنيهات عن كل اردب يعطيهِ للغير وثلاثة جنيهات عن كل قنطار لا يوردونهُ اليهِ . وعلى الطرف الثاني ايضاً ان يبادر باخطار

الجمعية عن كل مخالفة من هذا النوع وان يستجمع الادلة المثبتة لها وان يرفع الدعاوي على المخالفين باسمهِ لدى طلب الجمعية ذلك منهُ . وتكون مصاريف تلك القضايا على حسابها والغرامات التي تحكم المحاكم بها للجمعية وحدها

سادساً — يعطي الطرف الثاني للجمعية الزراعية منذ الآن تعهداً بأن يشتري من المزارعين القطن الناتج من زراعة البذرة المذكورة بثمن لا يقل في حال من الاحوال عن ثمن السكلاريدس الذي يضاهيهِ رتبة ومنطقة ويتعهد باخبار الجمعية اولاً فاولاً عما يشتريهِ مع ارسال ملخص شروط عقود الشراء التي يعقدها بهذا الخصوص وللجمعية ايضاً حق الاطلاع في كل وقت على اصول العقود نفسها

سابعاً — يتعهد الطرف الثاني بان يقوم بحلج القطن (المعرض) في قسم خاص من محلجهِ منعزل عن اي قسم آخر وذلك بعد تنظيف دواليبهِ وملحقاتها بارشاد القسم الفني للجمعية وتحت اشرافهِ من غير ان يطلب الطرف الثاني اجراً من الجمعية عن ذلك باي وجهٍ

ثامناً — تعهد الطرف الثاني ان يكون حلج جميع القطن المذكور قد تمَّ قبل ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ وكذلك يكون قد تم فرز بذرة التقاوي من البذرة الناتجة منهُ في الميعاد المذكور واما البذرة التي لا تصلح للتقاوي فتخلط مع بذرة السكلاريدس او غيرهِ من قبل الطرف الثاني بحضور مندوب الجمعية وتباع تجارياً في المعاصر على حسابهِ

تاسعاً — التزم الطرف الثاني ان يدفع للجمعية الزراعية مبلغ ٧٢٥ قرش عن كل قنطار من القطن الناتج من زراعة بذرة المعرض في مدة هذا العقد

عاشراً — يتعهد الطرف الثاني منذ الآن بان يأخذ على الاقل نصف تقاوي قطن المعرض الناتجة من زراعة سنة ١٩٢٦ لتوزيعها على المزارعين للاستكثار بنفس الشروط الموضوعة لسنة ١٩٢٦ اما عن النصف الآخر فيجوز لهُ ان يتخلى عنهُ او عن جزءٍ منهُ بشرط اخطار الجمعية بذلك قبل يوم ١٥ دسمبر سنة ١٩٢٦ بحيث اذا لم يقم بابداء هذه الرغبة لغاية اليوم المذكور يسقط حقهُ في التخلي عن هذا النصف حتماً وبدون تنبيه ولا انذار اما في حالة الاخطار في الميعاد فيكون الطرف الثاني ملزماً بدفع تعويض للجمعية قدرهُ اربعون قرشاً صاغاً عن كل اردب يتركهُ من النصف الثاني وتكون الجمعية حرَّة التصرف في التقاوي المتروكة توزعها على ما تشاء وكما تشاء

ومن المفهوم ان التعويض المذكور لا يحق للجمعية الاَّ عن المقدار الذي يتبقى لديها من التوزيع في المدة الباقية من السنة في الموسم

حادي عشر — للطرف الثاني الحق في ان يأخذ كل او بعض التقاوي الناتجة من زراعة سنة ١٩٢٧ لتوزيعهِ بالشروط المقررة من السنتين السابقتين بشرط ان يعلن رغبتهُ للجمعية قبل يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٧ والاَّ يكون للجمعية حق التصرف فيها او في كل مقدار لم يطلبهُ للتاريخ المذكور من غير حاجة الى تنبيه او انذار

ثاني عشر — من المفهوم ان الطرف الثاني يدفع للجمعية مبلغ السبعة قروش صاغ ونصف عن كل قنطار من القطن الناتج من زراعة البذرة التي يأخذها في سنتي ٢٧و٢٨ كما تكون هي ملزمة بان تدفع ٢٠ ./. من صافي ارباح البذرة التي يوزعها في السنتين المذكورتين طبقًا للشروط والمواعيد المذكورة في البند الرابع من هذا العقد

ثالث عشر — اذا طرأت ظروف تسبب عدم رغبة المزارعين في زرع هذا القطن او تسبب عدم رغبة الغزالين في مشتراه ولم تكن ناشئة عن عمل الطرف الثاني فيكون هذا العقد ملغى من نفسهِ

رابع عشر — وعلى العموم يتعهد الطرف الثاني باتباع كافة التعليمات الفنية التي تعطى لهُ من قسم فني الجمعية الزراعية الملكية والتي من شأنها المحافظة على تقاوي قطن المعرض

البدولوجيا اي علم التربة

ان من اهم ما يجب على مدارس الزراعة ان تشتغل بهِ البحث في علم التربة وهو علم حديث ولكنهُ على اكبر جانب من الاهمية. نعرف وجيهين من المشتغلين بالزراعة اشتريا اراضي بوراً وعنيا باصلاحها فالاول ابتدأ يصلح ارضهُ منذ نحو ١٤ سنة اصلح منها نحو ٧٠٠ فدان لا غير قضى اكثر من عشر سنوات في اصلاح اربعمائة فدان منها ولا يزال يعمل في اصلاحها وزرعها وحتى الآن لم تجُدْ كلها بل لا يزال مضطرًّا ان يزرعها ارزاً مرةً كل سنتين . والثلثمائة الباقية شرع في اصلاحها منذ ثلاث سنوات وهي الآن اجود من التي قضى ١٤ سنة يصلحها و يزرعها . واذا مررت الآن في هذه الاطيان كلها وفيما يجاورها وجدت اختلافاً كبيراً بين بقعة واخرى فقد تجد هنا فداناً يكسوهُ البرسيم كلهُ وهو نامٍ نضر كاجود ما يكون والى جانبهِ فدان آخر برسيمهُ ضعيف او هو نامٍ في بقع وغير نامٍ في بقع اخرى مجاورة لها

والاختلاف الكبير بين الاربعمائة فدان الاولى والثلثمائة الثانية ان الاولى كانت مصارفها غير عميقة فلم تكن تصرف جيداً على مدار السنة والثانية جعلت مصارفها اعمق

من مصارف الاولى واستعين بآلة رافعة على صرفها . وهذا فاعل كبير في الاصلاح ولكن الارض الاولى عوملت معاملة واحدة من قبيل الصرف فجاد بعضها اكثر مما جاد البعض الآخر . فالعلة الجوهرية في التربة نفسها والصرف يصلح هذه العلة ولكنهُ لا يزيلها تماماً لانها متصلة بما في التربة من الاملاح والحوامض والمكروبات والغرويات وهذه لا يعرف مقدارها وعلاجها الأ الكيماوي المجرّب

والوجيه الثاني قصّب ارضهُ البور وعمّق مصارفها كثيراً وركّب عليها آلات رافعة للري وللصرف فجادت في سنة واحدة وهي الآن اجود من الاطيان التي شرع الاول في اصلاحها وزرعها منذ ١٤ سنة . فلا شبهة اذاً ان العلة الكبرى في معدن الارض . ويجب ان تهتم مدارسنا الزراعية بتعليم تلاميذها علم البدولوجيا للتميز بين معدن ومعدن ومعالجة كل ارض بما تحتاج اليهِ من العلاج

وهذا العلم اي البدولوجيا حديث وهو مبني على الجيولوجيا وعلم الكيمياء وعلم الطبيعة وعلم المكروبات . ولما التأم المؤتمر الزراعي الدولي في رومية سنة ١٩٢٤ قرّ القرار فيهِ على انشاء جمعية دولية لدرس علم التربة وانشاء مجلة تنشر بالانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية والاسبانية تبحث في هذا الموضوع. ومقر هذه الجمعية في المعهد الزراعي الدولي برومية . وحبذا لو بعثت الحكومة المصرية ببعض الطلبة المتخرجين في مدرستها الزراعية العليا الى رومية للاشتغال مع اعضاء هذه الجمعية حتى يكون منهم اساتذة في هذا القطر

ويظهر لنا من المقابلة بين انواع الاراضي في القطر المصري ان البحث فيها علمياً سهل لانبساطها وقلة اعتمادها على المطر فتدرس في حالة الجفاف وفي احوال محدودة من الرطوبة كما يشاء الباحث وقد يكون من هذا الدرس فائدة كبيرة لسائر البلدان

مثال ذلك ان عبارة ما تحويهِ الارض من الرطوبة المعروفة بعبارة برغس شنتس وهي م = ٤٦٣ + ٢١ اي معظم ما تستطيع التربة احتواءه من الرطوبة يعدل ٤٦٣ معدّل امتصاص الرطوبة مع ٢١ اي اذا كانت الرطوبة العادية في مقدار معلوم من التربة عشرة دراهم فهذا المقدار من التربة يحتمل فوقها ٢٥ درهماً وثلث درهم من الماء . وهذه العبارة يسهل تأييدها او نقضها او اصلاحها في هذا القطر

الفيتامين وعلف المواشي

ثبت من البحث ان ڤيتامين حرف ا الذي يوجد في لبن البقر وهي ترعى العشب

الاخضر كالبرسيم يقلّ جداً اذا صار علفها يابساً كالتبن والفول . وقد يصير في قلته عشر ما كان وهي ترعى . وهذا النوع من الفيتامين لازم لنمو العجول كما هو لازم لنمو الاطفال. والظاهر ان هذا هو السبب الطبيعي لولادة الحيوانات آكلة العشب في الوقت الذي تكون فيهِ المراعي على اتمها . ولكن اذا كان علف البقر الحلاَّبة يابساً من التبن والفول واضيف اليهِ قليل من زيت السمك زاد الفيتامين ا في لبنها حالاً .ولا بدَّ من ان يكون هذا الفيتامين كثيراً في زيت السمك والاَّ فلا فائدة منهُ . ولا يحسن الاكثار من زيت السمك لئلاَّ تقل الزبدة في اللبن

طبخ العلف

اختلف علماء الزراعة في فائدة الطبخ لعلف المواشي.وليس المراد طبخ العلف الاخضر بل طبخ اليابس كالفول والشعير والذرة ويراد بالطبخ النقع او الاغلاء او القشر . فثبت البحث في تعليف المواشي بالذرة ان ما يهضم منها يختلف باختلاف الذرة حسب كونها أُطعمت كما هي او منقوعة او مغلية او مقشورة.وهذا الاختلاف يتناول كل جزء من اجزاء الذرة اي المادة الجافة والمادة الآلية والبروتين والزيت والكربوهدرات (اي النشا والسكر) والالياف كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيهِ ما يهضم منها في الالف

	ذرة يابسة	ذرة منقوعة	ذرة مسلوقة	ذرة مقشورة
المادة الجافة	٨٥٩	٨٦٩	٨٨٠	٩٥٣
المادة الآلية	٨٧١	٨٧٨	٨٩٠	٩٥٤
البروتيين	٧٨٤	٨٠١	٨٦١	٩٥٥
الزيت	٦٣٥	٦٠٥	٦٣٦	٤٤٨
الكربوهدرات	٩١٥	٩٢٠	٩٢٤	٩٧١
الالياف	٢٣١	٣٥٣	٢٢٦	٣٠٥

يظهر من ذلك ان السلق لا يفيد فائدة تزيد على نفقاتهِ وقد يقل بهِ الفيتامين الذي في الحبوب . ولكن النقع يفيد بعض الفائدة ويقلل تعب الحيوان بالمضغ وتزيد الفائدة بنقع الشعير للخنازير كما تزيد لو طبخ طبخاً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

اغرب الغرائب

٢

كاتب شهير يكمل رواية من مؤلفاته وهو في العالم الثاني — العلة في عدم وجود وسيط يقنع علماء اوربا والعالم الجديد ليربح ما وضعوه من المكافئة

اسلفنا القول في الكلمة الاولى — في الكلام على الوساطة البصرية واسبابها وتأثيرها فجئنا بطائفة من الآراء وبعض الفكر نزكي بها قولنا ونعزز موقفنا ، ولكن الناس الأ قليل ممن عصم الله مأخوذون باللجاجة — بحق وبغير حق ، شغفون بالمحاورة والجدل والمكابرة ، لا يريدون ان يؤمنوا بما تقول بهِ حتى يروا الروح جهرة، او تأتيهم آية فتهبط عليهم مائدة من السماء يكون لهم فيها ما يشتهون ، وحتى هم بعد كل ذلك لا يزالون مختلفين حتى يقضي الله امراً كان مفعولا

على حين ان نظم العالم واسباب هذا الوجود ، ترتبط بعلل وتسير بقوانين ونواميس عبثاً يحاول المخلوق الضعيف (المسمى انساناً) ان يجعلها لا تكون الا على قدر ما يفهم ، و بمقتضى ما يريد ويستحب ، ولقد زعمت طائفة المنكرين انها اذا وضعت مكافأة اوجائزة ان يبرهن على صحة وجود الوساطة — فانها تجهز بذلك على المذهب الروحاني وتنقض هيكل بنائهِ حجراً بعد حجر ، ذلك بانهم يظنون انهُ اذا لم ينجح احد من طلاب هذه المكافآت ، قضي على المذهب وانهار بنيانهُ واصبح صعيقاً بدداً . ولعمري لو كنت وسيطاً لترفعت عن مثل هذا العمل ار بأ بنفسي ان اكون من المغامرين المقامرين المراهنين . الا انها للعبة

تهزأ بها الارواح الطاهرة المحلقة في اجواء القداسة ونعيم الحياة . وليعلم الذين يصفقون و يتهللون ان الناس معادن والارواح صنوف واشكال — فمنها الشريرة العابثة وهي القريبة منا ومثلها يكذب ويلهو ويلعب ويعبث بافكار الناس، ومثلها من يستحب المراهنات والمكافآت ويميل الى اللعب واللهو والعبث ومثلها كاذب مهاتر ومخادع

اما الارواح الطاهرة فانها تسبح في ملكوت السعادة تحتقر المادة وتهزأ بمثل هذه الالعاب ولا تسير باهوائنا ولا يهمها ان نؤمن بوجودها او نجحد ، وهي بعيدة عن متاعب هذا العالم وشروره كبيرة لا تتنزل الى مثل هذه المواقف من اجل تصديق او ربح . اذن فقد خاب ظن اصحابنا المراهنين — خاب ظن الذين الفوا منهم جماعة في المجلة العلمية (سينتفك اميريكان Sientific American) ولبثوا ينتظرون مجيء روح تحل على وسيط وكذلك اصحابهم في فرنسا . لانهم لا يظفرون ولن يظفروا ابداً الا باحد اثنين لا ثالث لهما — فاما ان يجيئهم روح من الارواح الشريرة وهذا الصنف كاذب عابث يستحب اللعب و ينزع الى اللهو ضال مضل ، واما ان يجيئهم من شياطين الانس نفر ليس لهم ذمة ولا ضمير يتطفلون على موائد المذهب الروحاني — وهم علم الله ليس لهم فيه جمل ولا ناقة ، ولا يذكرون منه في مقدمة ولا ساقة . ما اكثر المدعين وما اشد وابلغ ضررهم تولاهم الله بما يستحقون جزاء ما يفسدون على هذا المذهب و يعبثون بعقول الناس ويلعبون بالبابهم

بقي ان يقول الذين لا يؤمنون اذن فما بالكم تجهدون انفسكم تريدوننا على التصديق والايمان بالعالم الروحاني وليس من سبيل الى ذلك الا بالبرهنة والتدليل وهذا هو ما نقصد اليه من المكافأة استفزازاً للنفوس وشحذاً للهمم واستيعاباً للموضوع ، (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) (ما كان من عند الله يثبت وما كان من عند الشيطان يزول) فان كنتم من اهل البحث احقاقاً لحق واجهازاً على كل جائحة فالحقيقة نور ونار تنير بصائر وتبهر ابصاراً وسبيل الهداية هينة لينة لا تحتاج الا الى قلوب نيرة وآيات الحق ظاهرة بينة لا يجحدها الا كل جاحد او مكابر او مهاتر ، ولا ينكرها الا من يجعل الربوة روبة والسبت عروبة ، وانتم تدعون وانتم تفترون. هل جاءكم حديث شارلس دكنز « Charles Dickens » وكيف انهُ بدأ تأليف روايته المشهورة — اسرار ادوين درود « The Mystery of Edwin Drood » ثم مات قبل ان يتمها وظهرت روحهُ على يد وسيط عامل بسيط قليل العلم والمعرفة غلام اسمهُ

جايمس « James » في احدى ليالي شهر اكتوبر سنة ١٨٧٢ بينما كان يحضر مجلساً روحانيًّا في مدينة بوسطون من اعمال امريكا !

اجل . لقد اراد دِكنز ان يتم روايتهُ هاتهِ فظهرت روحهُ على يد هذا الوسيط الغلام واعرب الكاتب الانكليزي اذا ذاك عن رغبتهِ في انجاز الرواية . ولما ان انتابت جايمس هذا — هذه النوبة وظهرت لهُ هذه الظاهرة خاف لحادث بعض العلماء واستطلع رأي العارفين والفهماء— فشجعوهُ وقووا فيهِ الايمان وطلبوا اليهِ ان يستمر و يطاوع الروح و يأتمر بأمرها و يكون حيالها كآلة ناقلة صماء لا قوة لها ولا حول

اما الغلام فصدع بالامر وكان يجلس الى نضد في ساعة معينة كل يوم وامامهُ ورقة بيضاء وفي يمناهُ يراعة تتحرك بغير ارادتهِ وتكتب ما تريدهُ روح دِكنز ، ولقد اختارت روح الكاتب الانكليزي ان يبدأ العمل كل يوم من الساعة السابعة مساء — فكان اذا حانت هذه الساعة او اقتربت هرول جايمس الى منضدتهِ وامسك بيراعتهِ وجلس ثابتاً ينتظر الروح المحرك

ولقد لبث على هذه الحال سبعة اشهر حتى تمت الرواية . ولقد كان شبح دِكنز يتجلى ثم يضع يدهُ السيالة على يده فتتحرك هذه وتأخذ في الكتابة تملأ القرطاس آراء واقوالاً لا علم للوسيط بها ولا قبَل لهُ عليها ، ولقد ملأ الروح نحو الف ومائتي صحيفة شهدها جماعة من العلماء والصحفيين فاعترفوا جميعاً بانهُ يستحيل على من يقرأ الرواية ان يميز بين ما كتبهُ دِكنز بخطهِ وقبل موتهِ و بين ما كتبهُ الوسيط الغلام الصانع جايمس بعد موتهِ ولا يجد اي اختلاف—لا في الانشاء ولا في الخط ولا في نسق الرواية حتى ولا في بعض اغلاط من الاملاء كان يتورط فيها المؤلف

قامت ضجة صحفية عام ١٨٧٣ واكثرت الصحف الامريكية والاوربية من الكتابة في هذا الموضوع واهتم العالم القديم والجديد بهذا الحادث ولقد طبعت الرواية ونشرت وتداولتها الايدي وهي موجودة في المكتبات دليل حي على صدق ما نقول بهِ ، و برهان ناطق على صحة الوساطة وصحة المذهب الروحاني فمن شاء فليرجع الى هذه الرواية ليظهر لهُ الحق والصواب وليعلم مقدار قولنا من الصواب وقيمتهُ من الحق ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

وليس دِكنز اول من كان لهُ اثر في مثل هذه المواقف ولا آخر من وسّط الوسطاء قضاء مآربهِ ورغباتهِ ، وانما الوساطة موجودة في كل مكان وزمان والوسطاء الحقيقيون

كثيرون ولكنهم بغير ارادتهم واهواء غيرهم من الناس يسيرون فهم مسيرون لا مخيرون في اتباع ما يجب اتباعهُ ولقد وقفت الى بعض هؤُلاء ورأَيت العجب العجاب من امرهم وانا ان شاء الله ذاكر بعضهُ في موقف آخر حسن حسين

[المقتطف] من هم العلماء الذين شهدوا جميعاً بصحة ذلك !

بعض الأوهام الشائعة

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

كنت اقرأُ الآن في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٠ فرأَيت في باب الاخبار العلمية تحت عنوان بعض الاوهام الشائعة صحيفة ٥٤٩ ما يأْتي

كتب الدكتور سمث في احدى المجلات العلمية المشهورة مقالة عدد فيها بعض الاوهام والخرافات الشائعة بين العوام حتى الخواص في كثير من البلدان وعللها منها الاعتقاد بان القنفذ يطلق ريشهُ على اعدائهِ وطالبي اذيتهِ وان بعض انواع السنجاب والسمك تطير طيراناً وان الافاعي تبتلع صغارها ساعة الخطر الخ

وقد علقتم على ذلك بقولكم ما يأْتي : اما خرافة اطلاق القنفذ لريشهِ فقديمة بين العامة في الشرق على ان كتب اللغة لم تقع فيها فقد جاء في تعريف القنفذ قولها انهُ حيوان ذو ريش حاد يقي بهِ نفسهُ اذ يجمع مستديراً تحتهُ و يوجه رؤُوسهُ لمن يريد ايذاءهُ

وقولكم واما كون الافاعي تبتلع صغارها وقاية لها من الخطر فلم نسمع بهِ الخ

وعليهِ اردت برسالتي هذه ايضاح ما التبس في هذه النبذة بما استنتجتهُ منها وببعض المعلومات والمشاهدات

(١) اما خرافة اطلاق القنفذ ريشهُ على اعدائهِ فالمعروف عندي ان هذه الخرافة في سوريا لا تنسب للقنفذ بل للحيوان المعروف باسم نيص وهو الذي يؤْخذ ريشهُ الطويل و يستعمل لاقلام الكتابة عند بعض الاقوام ويبلغ طول الريشة من ريشهِ اكثر من ثلاثين سنتيمتراً لونها مرقط اسود وابيض ورأْسها من خارج الجسم شايك يؤْذي لامسهُ واظن ان هذه الخرافة منتشرة بين الكثيرين من قرّاء العربية والاَّ فمن اين جاء اصطلاحهم (راشتهُ بسهام عينيها) او قولهم (نزع لهُ بسهم) الاَّ اذا طبقنا اقتناعهم بصحة خرافة نزع النيص لريشهِ من جلدهِ وتسديدهُ الى اعدائهِ

ولا شك عندي ان هذا الاعتقاد مجرد خرافة لانني التقيت في صغري بهذا الحيوان في احد ادغال سوريا فلما رآني انتفش كما يفعل الديك الرومي وقف ريشهُ كالسهام لاذيتي ولكنهُ لم يطلق عليَّ شيئاً من ريشهِ فضربتهُ بعصا كانت في يدي قتلتهُ بها وذهبت بهِ فرحاً واتذكر ان حجمهُ كان مثل حجم الديك الرومي ورأسهُ صغير يشبه رأس القنفذ وربما كان من فصيلتهِ

اما السمك الطيار فاصغر هذه الخرافات لانني شاهدت هذا السمك بين بيروت وبورت سعيد في احد اسفاري يطير ويحرك زعانفهُ بقصد الاستعانة بها في الهواء كما يفعل الطائر تماماً فيجوز ان يقال لهُ السمك الطيار بدلاً من ان نقول انهُ يقفز قفزاً

وكذلك خرافة ابتلاع الافاعي لصغارها في ساعة الخطر لا يلامسها من الخرافة الاَّ الكلمة الاخيرة (ساعة الخطر) لان الافاعي تأكل بنات جنسها ابتلاعاً وقد قتلت منها افعى ابتلعت نصف اخرى وكانت ساعة قتلها تتخبط وكذلك جسم المبتلعة يتخبط من داخل بطنها

ويستنتج من ذلك ان للقوم بعض العذر في تصديق مثل هذه الخرافات التي تعتبر احياناً من ضمن الحقائق ابو حماد ايرهيم مرشاق

ناس يأكلون بيض الذباب

شرقي مدينة المكسيك على مسافة ساعة تقطعها السيارة المسرعة على طريق معبَّد مارة بسهول منبسطة يرى المسافر قرًى صغيرة منتشرة هنا وهناك على ضفاف مستنقع كبير يشبه البحيرة

وقد يستغرب الانسان كيف تطيب الاقامة للناس في هذه القرى الصغيرة والحقيرة مع شدة رداءة الطقس وتقلُّبات الهواء في تلك الاماكن. ومن يقف في احدى مرتفعات هذه القرى ويسرّح نظرهُ ليشاهد ما يحدُّها يرى إن الجانب الشمالي الغربي مغطى بمياه المستنقعات المملوءة بالحشرات والافاعي غير المؤذية وكذلك قسماً من الشمال الشرقي . اما الجهة الجنوبية فيحدُّها جبل عالٍ أجرد وفي سفحهِ الطريق المؤدية الى عاصمة « المكسيك » ومعظم الاهالي في تلك الانحاء صفر الوجوه شديدو السمرة ينبت في وجوههم قليل من الشعر كاكثر هنود هذه البلاد

اما محصولاتهم وما يعولون عليهِ في معيشتهم فهي الذباب المائي ففي كل صباح يذهب

رجال القرية الى شواطئ المستنقعات و يلتقطون ما تقذفهُ المياه من ذباب مائت وحيّ وهو كثير جدًّا و بعد ان ينشفوا ما يلتقونهُ في الشمس على الرمال المنبسطة يأتون بهِ الى العاصمة و يبيعونهُ لسكانها باثمان باهظة مأكلاً للعصافير البيتية و يبلغ ثمن الكيلوغرام ما توازي قيمتهُ عملة مصرية عشرة غروش (صاغ) ومنهم من يذهب بقارب صغير ذو مجذاف واحد فلا يعود الاَّ وفلكه مملوءًا ذبابًا حيًّا وقد يصيدونهُ بشباك تصنع خصيصاً لذلك . وقد شاهدت احد الهنود آتيًا من وسط البحيرة وقاربهُ مملوءٌ من هذا الصنف حتى زواياهُ العليا

وقد يصفون صفوفًا مستطيلة من القش مشكوكة في المياه ورؤوسها ترتفع عن سطح الماء نحو نصف متر فيأتي الذباب في كل مساء ويبيت على القش اليابس بحيث لا تمضي مدة من الزمن الاَّ وتكون ملأت القشَّ من بيضها الابيض الصغير الذي يشبهُ بزر (دود الحرير) فينتزع القش المذكور حينئذٍ من مكانهِ و يُبدل بغيرهِ وقد نظرت قشة عريضة فاذا هي مكسوَّة من اعلاها الى اسفلها ببيض الذباب الملتصق عليها وهذا البيض بعد ان يجففونهُ في الشمس بوضعهِ على شراشف بيضاء اي عندما يصير صالحًا للطحن يطحنونهُ حتى لا يعود يميز عن الدقيق (الطحين) و بعد ان يمزجوهُ عجنًا مع دقيق الذرة والبيض التيء يصنعون منهُ اقراصًا مستديرة و يبيعونها باسعار مرتفعة جدًّا وقد اكلت قرصًا منها فاذا طعمهُ يشابه طعم السمك وهذا الذباب موجود بكثرة حتى انهُ في بعض الاماكن يغطي الرمال وشواطئ المياه. اماحجم الواحدة منهُ فيختلف عن الذباب العادي فهي اكبر منهُ جسمًا واصغر جناحًا ولولا الذباب لما اقام سكان هذه القرى يومًا واحداً نظراً لرداءة هواء المستنقعات ورطوبتهِ . غير ان وجود ما يرتزقون منهُ جعلهم يألفون السكنى في قراهم هذه . . . وليس من المستغرب ان نجد من الهنود من يأكل بيض الذباب طالما نجد الشعوب الاوربية الراقية تأكل الضفادع والجرذان و بعض حشرات غريبة . وفي فريقية الجنوبية يأكلون الافاعي الكبيرة وقد يبيعون لحمها بالوزن

وقد كان الطرف الغربي لهذه المستنقعات فيما مضى يشمل نفس المكان القائمة عليهِ مدينة مكسيكو (العاصمة) البالغ عدد سكانها مليون نفس. غير ان الحكومة مهتمة بتجفيف هذه المستنقعات الآن

مكسيكو انطون كامل

رواية العالم الجديد

حضرة العلاَّمة منشئ المقتطف الاغر

اشكر لكم عظيم الشكر عنايتكم بمطالعة روايتي الاخيرة «العالم الجديد» واطراءها في الجزء الاول من مجلة المقتطف الحالي . وكذلك اشكر ملاحظتيكم الدقيقتين وحسن ظنكم في توجيهها الى هذا العاجز

في الملاحظة الاولى تسألون : « هل من المحتمل ان يوجد في حلقة من الناس اشخاص كأشخاص رواية العالم الجديد ، لكلٍ منهم سرٌّ وجميع اسرارهم متداخل بعضها ببعض وهم لا يعرفون شيئاً عنها ، ثم تنتهي كلها على ما يرومهُ اصحابها ! »

فاجيب : لقد قرأتم الرواية.فهل وجدتم في حوادثها حادثاً غير معقول او خارقاً للعادة او مخالفاً لسنن الطبيعة ؟ او هل رأيتم الحوادث مجموعة مصادفات ؟ فاذا كانت حوادث الرواية غير مخالفة للعادات وللسنن الطبيعية والاجتماعية ولا هي مجرد مصادفات بل هي سلسلة حوادث بعضها مرشحٌ لبعض فهي اذاً محتملة

وانما يبقى لحضرتكم ان تسألوا هل وقع او يقع شيءٌ كهذا ؟ فاقول : اذا لم تحدث بالفعل سلسلة حوادث طويلة متشعّبة كسلسلة رواية العالم الجديد فلا بد ان تكون قد وقعت حوادث قليلة التسلسل والتشعب ولكنها من الغرابة بمكان . وان كان التاريخ لا يروي كثيراً من امثال هذه الغرائب فلأن امثال هذه الحوادث تندر جدًّا في عالم السياسة الذي يقتصر التاريخ عليهِ . ولكن كل يوم تحدث في العالم حوادث مستغربة ومعظمها تتلاشى اخبارها في مكانها . و بعضها ترويها الجرائد

ولا يخفى على حضرتكم ان فنَّ الروايات فرع من فروع الفنون الجميلة التي يخرج فيها الفنَّان عن دائرة الحقيقة الى عالم الخيال . ولولا هذا الخروج لما كانت الروايات تستحق ان تكتب وتطبع وتقرأ ولا كانت تروج هذا الرواج

وفي ملاحظتكم الثانية تقولون: « ان المؤلف سرد لنا في فصول الرواية الاولى مشكلة الاشتراكية وحبَّب الينا زعيمها الدكتور هيمان . ثم لما انكشفت الاسرار وظهر ابن الدكتور هيمان ابن احد اصحاب الشركات سكت (المؤلف) عن الاشتراكية ودعاتها ولم يبين لنا شيئاً عن تقدُّمها او تقهقرها . فهل كان ذكرها في الرواية عرضاً . والاَّ فما كان مجدر السكوت عن سيرها ؟ »

فاقول ان من اغراض الرواية بيان نظرية الاشتراكية العمومية لكي يفهمها جمهور قرائنا الذين لا يزالون حتى اليوم يظنون انها اغتصاب املاك الاغنياء وأموالهم وتوزيعها على الفقراء . وما هي كذلك البتة . ثم بيان ما بلغت اليهِ الدعاية الاشتراكية في الولايات المتحدة الاميركية · وهو اقل جدًّا من مبلغها في اوربا ، لان العامل الاميركي لم يتعس ولم يشق كالعامل الاوربي حتى يصيح ويصخب في طلب النظام الاشتراكي بل هو اكثر تمتعًا ورضى. فما ورد في رواية العالم الجديد من تمثيل الحركة الاشتراكية في ذلك العالم الاميركي هو كل ما بلغت الاشتراكية اليهِ هناك

نعم ان الاغراض الاجتماعية المختلفة التي ترمي اليها الروايات مقصودة في الرواية ولكن الفنّ لا يسمح بان تظهر مقصودة بالذات بل يوهم انها عرض وان القصة هي الجوهر والاَّ فلا تكون الرواية رواية بل تكون بحثًا في موضوع · فلذلك كان من الطبيعي ان تنتهي الرواية حيث انكشفت اسرارها .واما مصير الاشتراكية تقدُّمًا او تقهقرًا فباقٍ في قلم الزمان الذي هو المؤلف الاعظم لرواية المجتمع الانساني ولما ينتهِ بعد من تأليف روايتهِ

واقبلوا فائق احترامي وجزيل امتناني نقولا الحداد

الشيب الفجائي

سيدي الاستاذ صاحب المقتطف الاغر

قرأت في باب الاخبار العلمية من المقتطف الاغر عدد يناير سنة ١٩٢٦ « ان اناسًا كثيرين رووا عن اناس انهم شابوا في ليلة واحدة او يوم واحد . وانكم رأيتم سنة ١٨٧٠ رجلاً جليل القدر في مدينة صيدا شعر رأسهِ ابيض ولحيتهُ كذلك وانهُ لم يتجاوز الاربعين وقد قيل لكم انهُ شاب في ليلة واحدة لسبب من الاسباب · وقد اطلعتم الآن على مقالة لعالم قال ان هذا ضرب من المحال وكل ما روي من هذا القبيل مأخوذ بالسماع»

وما قولكم في من رأى ذلك بعينهِ في شبان يتراوح عمرهم بين الثلاثين والخمسة والثلاثين ابيضَّ شعر رأسهم في ليلة واحدة لسبب الخوف · وان الخائف وضع يدهُ على رأسهِ في حالة الخوف فابيض كل الشعر الذي تحت يدهِ !! فاذا لم يكن ما روي حقيقة فلماذا ابيض جميع الشعر الذي وضعت عليهِ اليد اثناء الحالة مرة واحدة

محمود عبد القادر

مدرس بمدرسة ادفو الاولية

باب التقريظ والانتقاد

فتح مصر الحديث

للاستاذ المحقق احمد حافظ بك عوض صاحب كوكب الشرق

اننا نظلم بعض الكتب التي نتكلم عليها في باب التقريظ والانتقاد لاننا لا نوفيها حقها من الوصف لضيق هذا الباب ولقصر الوقت الذي نخصهُ بها . وهناك سبب آخر يشغل وقتنا وهو الكتاب نفسهُ فقد نرى فيهِ من الطلاوة والتحقيق ما يقيدنا بمطالعتهِ او بمطالعة جانب كبير منهُ كهذا الكتاب فنشتغل عنهُ بهِ ونضطر ان نوجز الكلام عليهِ حتى نتمكن من الالتفات الى غيرهِ .وهذا ما وقع لنا الآن فعلاً فقد قضينا ساعتين في قراءة المقدمة وما يليها . ساعتي فكاهة ووقوف على تفاصيل جديدة وآراء سديدة الى ان صمم نبوليون على فتح مصر اذ قال في رسالة بعث بها الى الوزير تاليران «اذا قضى علينا الصلح مع انكلترا بالتنازل عن رأس الرجاء الصالح فلا بدَّ لنا من ان نعتاض عنهُ بالديار المصرية التي لم تقع ابداً في حيازة دولة اوربية » فاجابهُ تاليران « انهُ موافق على فكرة الحملة على مصر التي يعوض احتلالها على فرنسا خسارتها في جزائر الانتيل وتفتح لنا طريق التجارة للهند» . هذا بعد ان شرح حافظ بك « الاسباب التي حملت حكومة الجمهورية الفرنسية على القيام بهذه الحملة »معتمداً على كتاب شارل رو في « اسباب الحملة الفرنسية على مصر» . ومنهُ يظهر ان فرنسا عزمت على امتلاك مصر قبل الثورة في عهد لويس السادس عشر اذ قال وزير بحريتها حينئذٍ «ان احتلال مصر هو الطريقة الوحيدة لحفظ تجارتنا في البحر الابيض ومتى توطدت قدمنا فيها صرنا اصحاب السيادة على البحر الاحمر وصرنا نستطيع ان نهاجم انكلترا في الهند او ننشئ في تلك الاصقاع متاجر تنافس بها انكلترا » .واستطرد المؤلف الى ما كان نبوليون يفعلهُ تمهيداً لفتح مصر قال « روى المؤرخون ان نبوليون كان يجمع قوادهُ في حديقة باسيريانو في شمال ايطاليا ويصوّر لهم فتح مصر واتخاذ هذه الديار قاعدة حربية لارسال قوة كبيرة الى الهند للقضاء على سلطة انكلترا فيها »

ثم لم نستطع ان نتصفح بقية الكتاب في هذه النوبة ولكننا القينا النظر على كثير من

صفحاتهِ فوجدناها حافلة بالاخبار التاريخية الممحصة المبنية على ما رآهُ المؤلف في تاريخ الجبرتي وتاريخ نقولا الترك وكثير من كتب المؤرخين المحققين من الفرنسويين والانكليز

ويقع الكتاب في ٤٥٠ صفحة وهي نصف الجزء الاول من اجزاء اربعة وضع المؤلف هيكلها لتكون تاريخ مصر في القرن التاسع عشر لكنهُ قال «هل مَن يقدم على اتمام الاجزاء الباقية على هذا النمط واحسن منهُ . اما انا فلا أؤمل ان اوفق للزيادة على هذا الذي فعلت الاّ ان شاء الله غير ذلك»

واول ما تبادر الى ذهننا بعد قراءة هذه السطور هو حض الحكومة على بذل كل مرتخص وغالٍ لجعل المؤلف يتم هذا التاريخ الذي لا غنى لمصر عنهُ ويعاب عليها ان لا يكون فيها تاريخ مثلهُ ولم يكد هذا الفكر يلوح ببالنا حتى استهجناهُ لان الحكومات تميل غالبًا الى تحويل اخبار عن جادة الحق . وخير من ذلك ان يقبل كل اديب ومتأدب على اقتناء هذا الكتاب وان تتألف لجنة لمعاضدة المؤلف على اتمامهِ ونشرهِ فيكون ذخراً يرجع اليهِ ابناء هذا العصر وابناء العصور التالية

هذا واننا نهنيء رصيفنا الاستاذ احمد حافظ عوض بك بتأليفهِ هذا التاريخ على هذا النمط من التحقيق والتدقيق ورد المسببات الى اسبابها الحقيقية

Tamer

هذا عنوان رواية شعرية انكليزية نظم قلائدها الدكتور رحمت بك حكيمباشي محافظة مصر

اما القصة التي تدور عليها اناشيد الرواية فتتلخص في ان تامراً وهو ضابط شجاع في الجيش المصري من اصل سوري احبَّ ست الملك اخت الحاكم بامر الله خليفة مصر الفاطمي في القرن الحادي عشر وهي احبّتهُ . على ان تضييق اخيها منعها من الاجتماع بهِ كما كانت تروم . وترامى الى سمع تامر خبر مختلق مؤداهُ ان ست الملك تهوى غيرهُ فيئس من الحياة . وفيما هو يفكر في الخطة التي ينتهجها بلغهُ ان اباهُ توفي فبرح مصر الى برّ الشام ليشاهد امهُ واخوتهُ وكانت المعارك دائرة حينئذٍ بين المصريين والبزنطيين (الروم) في شمال سورية فانضمَّ الى الجيش المصري وحارب في صفوفهِ حرب الابطال

وكان في احد الايام سائراً في حدائق طرابلس فاخذهُ كمين من البزنطيين على حين غرّة وقيد اسيراً ذليلاً الى القسطنطينية . وكان في القسطنطينية اميرة خليعة بنت

اخي الامبراطور باسيليوس الثاني فلما رأت تامراً بين الاسرى وقع من نفسها موقعاً عظيماً فامرت ان يعيّن في حرمها لتسهل عليها مراودتها لهُ عن نفسهِ ثم اقامت عيداً فخماً دعت اليهِ كل وصيفاتها واخلائها السابقين . وجيءَ بتامر اليها وقد ارتدى حلة فاخرة وكانت هي قد اكثرت من معاقرة الخمر فاتقدت في رأسها نار الشهوة وشعلة الحب . الاَّ ان تامراً رفض ان يجيب طلبها لان حبَّ ست الملك كان قد افعم فؤَادهُ فحقدت عليهِ وامرت بقطع رأسهِ . اما اخلاؤُها السابقون فارادوا ان ينتقموا منها لاعراضها عنهم فعملوا على فك اسر تامر بعد ما وقع بينها و بينهُ

عاد تامر الى مصر وكان الحاكم بامر الله قد توفي وتولت اختهُ ست الملك الوصاية على ابنهِ ووريثهِ القاصر . وكان لها اعداء يحاولون اغتيالها فعرفت بهم الاَّ انها لم تشأ ان تقتلهم فامرت وزيرها ان يبعدهم لانها تريد ان تعيش في سلام

وذهب تامر في احد الى الايام حيث كان يجتمع بست الملك قبل سفرهِ واختفى في دغل من اشجار الياسمين فسمعها عن قرب تنشد اناشيد غرامها لهُ. وانهُ لكذلك ابصر رجلاً يحمل خنجراً وقد اقترب من سيدتهِ تحت سربال الظلام فهجم تامر عليهِ وضربهُ على يدهِ قبل ان يطعنها. وكانت هي لا تعلم بوجود تامر في مصر ولم تستطع ان تتبين وجههُ تحت ستر الليل فظنتهُ المعتدي الاثيم فالتقطت الخنجر وطعنتهُ طعنة نجلاء . ثم عرفت انهُ تامر فحاولت ان تقتل نفسها الاَّ ان وصيفتها منعتها من ذلك وجيءَ بالطبيب فعالج تامراً حتى شفي فاقترن بها

هذا موجز الرواية وقد فصَّل فيها الناظم العادات المتبعة في ذلك العصر تفصيلاً دقيقاً وعلق على اناشيدها بحواشٍ ضافية كتبت بنثرٍ انكليزي بليغ تفسّر ما جاء فيها من الاشارات التاريخية وغيرها. وغايتهُ من وضع هذه الرواية على ما جاء في تقديمها الى المستر شليزنغر وزوجتهِ « ان الفضيلة والحب الصحيح كما ظهرا في خلق تامر يستطيعان ان يمرَّا بالرذيلة من غير ان يتلوثا بها . وما كانت التجاريب التي واجهها تامر وانتصر عليها الاَّ اذكاءٌ لطهارة حبهِ »

هذا والرواية في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط اضيف اليها ما يزيد على ٥٠ صفحة من الشروح والحواشي وقد طبعت طبعاً متقناً بمطبعة الاعتماد بمصر

كتاب عيون الاخبار

تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدينوري جاء في مقدمتهِ انهُ عشرة

كتب او اجزاء هي كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب السؤدد وكتاب الطبائع والاخلاق وكتاب العلم وكتاب الزهد وكتاب الاخوان وكتاب الحوائج وكتاب الطعام وكتاب النساء. والمجلد الاول الذي بين ايدينا يجمع الكتب الثلاثة الاولى واليك وصفها على ما جاء في المقدمة

«فالكتاب الاول من الكتب العشرة المجموعة «كتاب السلطان» وفيهِ الاخبار عن محل السلطان واختلاف احواله وعن سيرتهِ وعما يحتاج صاحبهُ الى استعمالهِ من الآداب في صحبته وفي مخاطبتهِ ومعاملتهِ ومشاورتهِ لهُ وما يجب على السلطان ان يأخذ بهِ في اختيار عمّالهِ وقضاتهِ وحجّابهِ وكتّابهِ وما على الحكّام ان يمتثلوهُ في احكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

«والكتاب الثاني «كتاب الحرب» وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممتهُ اليهِ وجعلتهما جزءًا واحداً وفيهِ الاخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش وعن العدد والسلاح والكراع وما جاء في السفر والطيرة والفأل وما يؤمر بهِ الغزاة والمسافرون، واخبار الجبناء والشجعاء وحيل الحرب وغيرها وشيء من اخبار الدولة والطالبيين واخبار الامصار وما جاء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

«والكتاب الثالث «كتاب السؤدد» وفيهِ الاخبار عن مخايل السؤدد في الحدث واسبابهِ في الكبير وعن الهمة السامية والخطار بالنفس لطلب المعالي واختلاف الارادات والاماني والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمزاح وترك التصنع والتوسط في الاشياء وما يكره من الغلوّ والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمداينة والشريف من افعال الاشراف والسادة وما جاء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار»

وقد عنيت ادارة دار الكتب المصرية بنشر هذا الكتاب بعد ما قارن رجالها بين نسخهِ المشهورة ودونوا اشهر وجوه الاختلاف بينها في حواش تزيد قيمة المتن . وقد طبع طبعاً متقناً جدًّا على ورق من اجود انواع الورق بمطبعة دار الكتب المصرية فلدار الكتب المصرية جزيل الشكر على اهتمامها بنشر الكتب القيمة وهي من الكنوز الثمينة التي تركها السلف للخلف

نهاية الارب في فنون الادب

وضع هذا الكتاب شهاب الدين بن عبد الوهاب المعروف بالنويري من رجال القرن الثامن الهجري فاجاد فيها جمعهُ من اقوال الشعراء في مواضيعهِ المختلفة. وقد اشرنا اليهِ في المقتطف حين ظهر السفران الاولان من اسفارهِ . وامامنا الآن ثلاثة اسفار اخرى هي مثل كلّ ما تخرجهُ مطبعة دار الكتب المصرية في اتقان الطبع وجودة الورق

خص السفر الثالث بالامثال المشهورة عن النبي وجماعة من الصحابة والمشهور من امثال العرب وما يتمثل بهِ من اشعار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمتقدمين في صدر الاسلام والمحدثين والمولدين

فمن كلام ابي بكر الصديق قولهُ لخالد بن الوليد « احرص على الموت توهب الحياة » وهو شبيه بقول روزفلت في فاتحة مقالة لهُ كتبها في اثناء الحرب الكبرى يحضُّ بها ابناء وطنهِ على خوض غمارها غير هيّابين قال « لا يستحقُّ الحياة الأ من لايهاب الموت »

ومن كلام عُمَر بن الخطاب « اعقل الناس اعذرهم للناس » ومن كلام عثمان بن عفان « انتم الى امام فعّال احوج منكم الى امام قوّال » قالهُ يوم صعد المنبر فارتج عليهِ وهو قول ينطبق الآن على الشرق النازع الى الاستقلال كما كان ينطبق منذ ١٣٠٠ سنة

وثمن الجزء من اجزاء الكتاب ١٥ غرشاً مصريًّا يخصم منها ٢٠ في المائة لباعة الكتب ولمن يشتري اكثر من عشر نسخ

المجلة السورية

اصدر حضرة الاب الخوري بولس قرألي مجلة شهرية مصورة تبحث في المواضيع الادبية والعلمية وتهتم بشؤُون الطوائف السورية المسيحية في مصر وسورية والمهاجر وفي العدد الاول الذي صدر منها صورة غبطة السيد كيرلس مغبغب بطريرك الروم الكاثوليك وكلام على السور بين الارثوذكس في مصر ومسأَلة انتخاب بطريرك لهم ويلي ذلك وصف لما صُوّر بهِ السوريون في معرض الفاتيكان. قرأْنا بعضهُ فدهشنا ان ابناء سورية مهد الديانة المسيحية يحسبون « متدنسين بادناس البدع » وابناء ايطاليا يهدونهم الى الايمان القويم ويردون الشمس من الغرب الى الشرق في سبيل ذلك . ثم فصلٌ من تاريخ السوريين في مصر من عهد المماليك واسماء الاسر السورية التي هاجرت اليها وغير ذلك من الفصول التاريخية والاخبار التي تهم السوريين خصوصاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج من دائرة بحث المقتطف ، ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) الصحف العربية في القاهرة

بيروت . ع . ح . ق . نرجو الافادة عن عدد الجرائد والمجلات العربية والافرنجية من نسائية ورجالية التي تصدر في القاهرة مع بيان اسمائها واسماء اصحابها وذكر الاسلامية والمسيحية منها وهل هي علمية او سياسية او تجارية او زراعية او هزلية

ج . بلغ عدد الصحف والنشرات الدورية المنتظمة التي كانت تصدر في القاهرة سنة ١٩٢٤ نحو ١١٤ صحيفة اكثرها عربي ولذلك يتعذر علينا ان ننشر بياناً مسهباً عنها في هذا الباب حسب طلبكم انما نشير عليكم ان تراجعوا دليل القطر المصري لسنة ١٩٢٤ فتجدوا فيه بياناً وافياً عما تريدون

(٢) كتاب عربي في القانون الدولي الخاص

يافا . امين عقل . أفي اللغة العربية كتاب يبحث في القانون الدولي الخاص واين يوجد مثل هذا الكتاب

ج . لا نعلم بوجود كتاب عربي في هذا العلم ولكن المرحوم الدكتور ابا هيف مدير دار الكتب المصرية الذي توفي في ٢٠ يناير الماضي ومدير مدرسة الحقوق الملكية سابقاً كان يشتغل باعداد كتاب وافٍ فيهِ وطبع الجزء الاول منهُ وقد كان من خير من يتصدى لهذا البحث لانهُ درسهُ والَّف فيهِ بالانكليزية فقد جاء في ترجمتهِ المنشورة في مقطم ٢٢ يناير ان مدرسة الحقوق افتقرت سنة ١٩١٧ الى من يدرس القانون الدولي بقسميهِ العام والخاص لان الاساتذة الانكليز والفرنسيين لبوا داعي الوطن في اثناء الحرب العظمى فطلب اليهِ تدريس هذا العلم فكان فيهِ ابرع من اهلهِ وظهر لهُ في عالم التأليف سفر نفيس في القانون الدولي الخاص باللغة الانكليزية تفوق بهِ على المؤلفين الاجانب وشهد لهُ بذلك كبار العارفين في مصر مثل الاستاذ ايرمانجون الذي كان مدرساً لهذا العلم في مدرسة الحقوق الملكية والسر موريس اموس المستشار القضائي السابق الذي كان ناظراً لمدرسة الحقوق والمستر والتون الذي تولى نظارتها بعدهُ

(٣) الاحلام واسبابها

المحلة الكبرى . مشترك . من اي شيء تتأتى الاحلام ولا يخفى انها على نوعين نوع يبقى في الذاكرة ونوع يزول منها وهذا يقال انهُ مسبب عن المعدة اي عن سوء الهضم فهل ذلك صحيح وهل هناك اسباب اخرى لها . ولما كانت مزعجة لراحة النائم فما هو الدواء الذي يمنعها او يخففها

ج . الانسان معرض للمؤثرات وهو نائم كما هو معرَّض لها وهو مستيقظ ولكن تأثرهُ بها يختلف حسب كونهِ مستغرقًا في النوم او غير مستغرق فاذا كان مستغرقًا فقد لا يتأثر بالمؤثرات الاَّ اذا كانت شديدة واذا كان غير مستغرق تأثر بها فاذا نخستهُ بابرة في يدهِ ابعد يدهُ عن الابرة واذا صببت ماء على رجلهِ حرَّكها او رفس بها. وهذه المؤثرات الخارجية تؤثر في نفس النائم ايضًا كما تؤثر في نفس اليقظان وقد يكون تأثيرها اشد لان قوة الحكم التي تردُّ المعلولات الى عللها لا تكون منتبهة حينئذٍ فاذا سمع وقع حجر صغير ظنهُ صوت مدفع واتصل منهُ بائتلاف الافكار الى ما يتعلق باطلاق المدافع من الاحتفال بالمواسم او من شبوب نيران الحرب

والمؤثرات الداخلية تفعل بهِ ايضًا فعل المؤثرات الخارجية او تزيد فعل المؤثرات الخارجية فاذا كانت معدتهُ متعبة او كثر توارد الدم الى رأسهِ بسبب مرض اشتدَّ تنبه بعض العقد العصبية في الدماغ وتأثرها فيحسُّ العقل كما يحسُّ لو كان ذلك التأثير صادراً عن مؤثر خارجي . وقد قلنا ان الاحلام تقلُّ بالاستغراق في النوم فاذا نام الانسان وجسمهُ محتاج الى النوم ومعدتهُ سليمة واكلهُ خفيف والمؤثرات الخارجية قليلة فالغالب انهُ لا يحلم ابداً او لا يحلم احلامًا مزعجة

(٤) صحة الاحلام

ومنهُ . هل تصحُّ الاحلام وهل هناك من يفسرها كما فسرها يوسف الصديق عليهِ السلام

ج . يقول العلماء ان لا علاقة للاحلام بما يحدث في المستقبل الاَّ مثل ما تكون علاقة الافكار بالحوادث المستقبلة . فقد تخطر للانسان خواطر كثيرة في اليقظة ويتم بعضها كما لو فكَّر في احد اقاربهِ وخطر على بالهِ انهُ سيأتي لزيارتهِ بعد يوم او يومين ثم تمَّ لهُ ذلك كما فكَّر تمامًا . وكذلك قد يحلم الانسان ان احد اقاربهِ سيأتي في الغد لزيارتهِ فيأتي ويصدق الخاطر او الحلم اما اتفاقًا واما استنتاجًا. اما الاتفاق فكثير لكثرة الخواطر والاحلام . واما الاستنتاج فيصح متى كان في الخواطر والاحلام مقدمات تنتج النتيجة المطلوبة كما لو فكَّر انسان في قريب لهُ اعتاد ان يزورهُ مرة

كل شهر وحان وقت زيارته حينئذٍ وحدثت حوادث تدعو الى زيارته ايضاً فيستنتج من هذه المقدمات ان القريب يزوره حتماً فيكون كما استنتج

(٥) فائدة الدوش

الاسكندرية . الخواجه س . س . ما فائدة استعمال الدوش يومياً وهل يحسن بالانسان ان يجعل الماء ينصب على رأسهِ واي وقت اصلح لاستعمالهِ

ج . الاغتسال بالماء البارد يدفع الدم من ظاهر الجسم الى باطنهِ فيندفع ثم يرتد الى الجلد والعضلات . فاذا اندفع من الظاهر الى الباطن تهيج منهُ القلب وقوي عملهُ واسرع فيندفع الدم منهُ بسرعة وقوة الى كل الاعضاء فتقوى من توارد الدم اليها . هذه فائدة الاغتسال بالماء البارد عموماً وكلما كان سكب الماء اسرع كان فعلهُ هذا اشدّ. وهذه هي فائدة الدوش. ولكن فعل الدوش شديد لا يحتملهُ الاَّ الاقوياء واما الضعفاء فلا يصلح لهم بل يصلح لهم مسح الجسم باسفنجة مبلولة بالماء. ووقت هذا الاغتسال في الصباح حال القيام من النوم. ولا ضرر من صب الماء على الرأس اذا كان الانسان قوي البنية

(٦) سمك الامازون وكيف يحمل اولاده

بئر السبع . عبد الخطيب افندي التميمي. ذكرتم في العدد الجديد من المقتطف ان سمكاً في نهر الامازون من نوع الفقم يرضع اطفالهُ وتكون الواحدة ممسكةً طفلها بيديها وقد ضمتهُ الى صدرها وهي ترضعهُ. فهل ضمها وامساكها للاطفال يكونان عند الرضاعة فقط او تحمل الاطفال وتحوم بها كالكنغرو وما الفرق بينها وبين الحيتان ذوات المصفاة من جهة الولادة وتربية الاطفال

ج. لم نرَ عن هذا النوع من الفقم غير ما ذكرنا والظاهر انهُ كُشف هناك حديثاً واذا كانت الوالدة منهُ تحمل ولدها حينما ترضعهُ فلا ما يمنع حملها اياهُ وهي لا ترضعهُ اذا تعذرت عليهِ السباحة معها. ولكن لا يحتمل ان تحملهُ كما تحمل القنقرة اطفالها لان لهذه كيساً او جراباً يقيم اطفالها فيهِ ولا نعلم ان للحيتان كيساً مثلهُ

(٧) طريقة تجفيف الازهار

ومنهُ . ماذا تعلمون من الطرق الحديثة التي تستعمل لتجفيف الازهار والاغصان لعمل مجموعة من النبات

ج . لما كنا ندرس علم النبات منذ نحو ٥٧ سنة كنا نقتلع النبات بجذرهِ وزهرهِ ونبسطهُ على ورقة ونضع ورقة اخرى فوقهُ ونرصف الاوراق التي فيها النباتات بعضها فوق بعض ونضع عليها لوحاً حتى تنضغط قليلاً ثم نتعهدها من يوم الى آخر الى ان تجف فنلصق كل نباتٍ منها بالورقة التي

مُحنةُ . ولا نظن ان هذا الاسلوب قد تغير الآن في جوهرهِ

(٨) افضل انسكلوبيذيا افرنسية

بور سعيد . شفيق افندي فضول . ما افضل انسكلوبيذيا افرنسية ومن اين يمكن الحصول عليها

ج . نرجح ان انسكلوبيذيا لاروس Nouveau Larousse illustré dictionnaire universel encyclopédique (7 vols. 1901-1904) افضلها لانها احدثها الآن والانسكلوبيذية السابقة لهُ في ٥ مجلدات صارت قديمة (١٨٦٦ - ١٨٧٦) وباعة الكتب في مصر يستطيعون جلبها من فرنسا ان لم تكن عندهم نسخة منها

(٩) افضل انسكلوبيذيا انكليزية

ومنهُ . ما هي افضل انسكلوبيذيا انكليزية ومن اين يمكن جلبها

ج . الانسكلوبيذيا البريطانية Encyclopœdia Britannica وقد طبعت منها طبعة حديثة نرى اعلانات عنها في كثير من الجرائد والمجلات الانكليزية ويقال ان ثمنها خفض ٤٦ في المائة وليس امامنا الآن عنوان المكان الذي تطلب منهُ في بلاد الانكليز اما في اميركا فالعنوان

342 Madison Avenue New York N. Y.

(١٠) التفريق بين المتزوجين وغير المتزوجين

نيو يورك . الخواجه الياس الطويل . تدخل بيتاً سيدات واوانس فتقول صاحبة البيت وقت تعريف الحضور بعضهم ببعض السيدة فلانة والآنسة فلانة فيفهم من ذلك ان الاولى متزوجة والثانية عزباء وهذا الاختلاف بين المتزوجة والعزباء موجود في الانكليزية وفي الفرنسوية ولكن ليس لهُ مثيل في القاب الرجال للتفريق بين المتزوج وغير المتزوج افلا تقترحون سبيلاً للتفريق بين المتزوج وغير المتزوج من الرجال وقت التعارف

ج. اذا كان لا بد من هذا التفريق فيحسن ان تخص الالقاب العادية مثل افندي وخواجه وبك وباشا بالمتزوج ويترك اسم العزب بغير لقب لعلَّ ذلك يكون من المرغبات في الزواج

(١٠) صبغة نباتية للشعر

دمياط . احد القراء . اذكروا لنا صبغة نباتية للشعر لا تضرُّ بهِ

ج . خذ اربع اواقٍ من قشر الجوز الاخضر ودقها حتى تصير ربًّا وامزجها بستة عشر اوقية من السبيرتو المركز فيكون من ذلك صباغ خالٍ من الضرر . او خذ نقاعة الحنا وسخنها حتى لا يبقى منها الاَّ ثمنها واضف اليها الكحولَ وقليلاً من ماء النشادر ورشح ذلك فيكون المرشح صبغاً للشعر



مقتطف فبراير

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بمقالة موضوعها «البيولوجيا (اي علوم الحياة) في خمسين سنة» وهي ترجمة مقالة للاستاذ الفرد داي استاذ العلوم الطبيعية في جامعة بيروت الاميركية . واهم وجوه التقدّم في رأيهِ هي توسيع نطاق ما يعرف عن الخلية وبنائها ونموها والتجارب التي جربت في مذهب النشوء والارتقاء

ثم جانب من خطبة نفيسة للمغفور لهُ فتحي زغلول باشا عنوانها «العربية والتعريب» تحوي اراء صائبة في هذا الموضوع لابدّ ان تحلّ المحل اللائق بها لانها صادرة عن عالم كبير اشتغل بالتأليف والترجمة سنين كثيرة وقد اعدنا نشرها على ذكر تجديد الاهتمام بالمجمع اللغوي

ويلي ذلك جانب من القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية وقدرها ١٥ جنيهاً عنوانها «الصراع» وهي من قلم الاديب سليم افندي شحاته

وبعدهُ مقالة مسهبة لاسماعيل مظهر بك بحث فيها بحثاً مستفيضاً في «اسلوب الفكر العلمي في مصر : تطورهُ وارتقاؤهُ من نصف قرن الى الآن»

ثم مقالة تاريخية لعالم عراقي كبير عنوانها «العرب في التاريخ» بحث فيها في معنى اسم العرب ، ومن هم العرب ، وخصائص الساميين وموطنهم ، واشهر الآراء في ذلك

ويليها كلام علمي فكاهي على كنوز البحار وغرائب انتشالها وما يقاسيهِ الغواصون من الاهوال في سبيل رفع سفينة او نشل ما فيها من الذهب والفضة . وهو مقدمة لبضعة فصول نورد فيها اشهر ما ذكر عن نشل السفن او انتشال كنوزها

وبعدهُ مقالة تاريخية اثرية لمصطفى منير ادهم بك عن قصر الشمع في مصر القديمة وما قام على انقاضهِ من الآثار . وفيها اربع صور

ثم مقال للمؤلف المحقق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ذكر فيهِ الكتب والرسائل والتذاكر المخطوطة والمطبوعة التي أُلفت في ابرهيم باشا

ويليهِ كلام على «الاشعة السموية» وهي اشعة جديدة لم نعرف ماهيتها تماماً بعد

ولكنها تفوق اشعة اكس كثيراً في قوتها على اختراق الاجسام فقد ثبت انها تستطيع ان تخترق لوحاً من الرصاص ثخنهُ خومترين مع ان اشعة اكس لا تستطيع ان تخترق لوحاً ثخنهُ اكثر من سنتمتر

وبعدهُ خلاصة خطبة القاها الدكتور اسكرن الاميركي في حضرة اللورد لويد المندوب السامي في مصر لما زار الفيوم وعنوانها « الفيوم والماء والنور »

ثم سيرة عالم عصري كبير هو الاستاذ ميكلصن رئيس دائرة العلوم الطبيعية في جامعة شيكاغو مستنبط الانترفرومتر ادق الآلات الطبيعية والفلكية المعروفة وصاحب التجربة التي بنى اينشتين مذهبهُ على نتيجتها. وفيها صورتهُ

ويلي ذلك مقالة عنوانها « ارتقاء الشرق وطمع الغرب » نشرنا فيها وصية سبنسر لليابان وما اشار بهِ عليها ازاء الدول الغربية وهو ما يصح ان تتخذهُ الدول الشرقية النازعة الى الاستقلال شعاراً لها

وبعدها كلام على هنود اميركا والاهتمام بامورهم

ثم نص الخطبة البليغة التي القتها النابغة الآنسة مي زياده في نادي جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة وعنوانها « كيف اريد الرجل ان يكون»

ففصل آخر من الفصول التي نشرناها عن ملوك البترول وهذا الفصل خاص بنشوء « شركة شل » التي يستعمل بنزينها كثيراً لتسيير الاتوموبيلات في مصر

وبعدها مقالة في ميثاق لوكارنو والاسباب التي دعت اليهِ للاستاذ سامي الجريديني المحامي

ثم مقالة علمية عنوانها الكواكب وسكانها جمعنا فيها زبدة ما يُعرف عن السكنى في الكواكب وخصوصاً السيارات التي تدور حول الشمس وفيها اربعة رسوم للاشكال التي شوهدت على سطح المريخ لما اقترب من الارض وكيف تغيرت هذه الاشكال حسب بعده عنها

ويليها كلام على الباكتيريوفاج او آكل المكروبات وفائدتهِ في معالجة الامراض للدكتور جورج قصيري

وبعد ذلك ابواب المقتطف. فباب تدبير المنزل يحوي مقالة للدكتور فرانك كراين الاميركي عنوانها « كيف اريد المرأة ان تكون » ومما يحويهِ باب المراسلة مقالة للاستاذ حسن حسين عن « اغرب الغرائب وجائزة مناجاة الارواح التي وضعتها السينتفك اميركان » . وباب الزراعة يحوي كلاماً على « البدولوجيا او علم التربة » . وبابا المسائل والاخبار العلمية حافلان بكل مختار من الآراء والاخبار العلمية والعمرانية

حديث لاديصن

كان المخترع اديصن يكتفي بثلاث ساعات من النوم كلَّ يوم اما الآن وقد بلغ التاسعة والسبعين من عمرهِ فقد رأى ان ثلاث ساعات لا تكفيهِ للقيام باعمالهِ على ما يروم من الدقة والنشاط فينام خمس ساعات او ستًا ويشتغل كل يوم من ١٦ الى ١٨ ساعة . همة في هذا الشيخ الجليل تخجل الشبان ! لذلك لا يجد نفسهُ في متسع من الوقت لمقابلة الكتاب والصحافيين ليفضي اليهم بما يجول في خاطرهِ او للاجابة عما يوجهونهُ اليهِ من المسائل . الاَّ ان المستر مكاهون من محرري مجلة العلم العام الشهرية صديق قديم لاديصن وقد قابلهُ مراراً ونشر ما دار بينهما من الاحاديث على صفحات المجلات العلمية .وقد قابلهُ منذ عهد قريب فدار بينهما حديث نقتطف منهُ ما يأتي .

قال الكاتب

اخترع اديصن ما يزيد على الف مخترعٍ بينها كثير من اعظم المخترعات الحديثة وابعدها اثراً في العمران كالمصباح الكهربائي والفونغراف والصور المتحركة . وقد مضى عليهِ زمن لم يخرج للناس اختراعاً كبيراً فهل هو يستعدّ ليطلع عليهم بعجيبة من عجائبهِ تدهشهم بغرابتها وتعود عليهم بالنفع الجزيل

هذا ما جال في خاطري فوجهت السؤَال اليهِ ولكنهُ لم يجب عنهُ جواباً صريحًا. فسألتهُ اي مخترعاتك احبُّ اليك . فقال الفونغراف والصور المتحركة .اما الفونغراف فلانهُ يحب الموسيقى واما الصور المتحركة فلانها سلواهُ المسرحية الوحيدة اذ هو على جانب من الصمم كما لا يخفى

وسألتهُ عما تمَّ في « الآلة الشمسية » اريد بذلك الآلة التي كان يهتم بصنعها ليستعمل بها قوة الشمس مباشرة فقال هذه الآلة لا بدَّ من استنباطها وقد لا تستنبط قبل ان تدعو الحاجة اليها اي متى ارتفعت اسعار الوقود كثيراً

فقلت وماذا تمَّ في البيت المُفرَغ اردت بذلك افراغ الكونكريت في قالب خاص بني على شكل بيت فيتمُّ افراغهُ وتجمدهُ في ٢٤ ساعة . فقال من المستطاع بناء بيت كامل على هذا النمط في يوم واحد . انما تعميم ذلك يتوقف على وجود متمولين بعيدي النظر يمدون مشروعاً كهذا المشروع باموالهم لاخراجهِ من حيز التجربة الى حيز العمل

وقد بنى المستر اديصن قالباً من الحديد على شكل بيت تام بجدرانهِ ونوافذهِ وابوابهِ يُصبُّ فيهِ الكونكريت من اعلاه فيمتلأ و يتجمد في ٢٤ ساعة . ثم تفك اجزاء القالب فاذا هو بيت كامل امامك. وهو يتمنى ان يصحَّ عملهُ هذا و ينتشر فيكون هديتهُ

الخاصة الى جماعة العمال

فسألتهُ هل يحتاج الناس الى مخترعات جديدة وما هي فقال

لا يحتاج العالم الى مخترعات جديدة قبلما يرتفع المستوى العقلي بين الناس فيصير لدينا اناس أكفاء لادارة الآلات الموجودة الآن

ووجهت اليهِ سؤَالاً عن طعامهِ فقال انهُ يكتفي بقليل من الطعام كسرة من الخبز المحمَّر وكأْس من اللبن او كأْس ونصف كأْس . وملعقة شاي من الاوتميل المطبوخ وقطعة سردين واحدة. وعلى قلة ما يأْكلهُ ترى وزنهُ ١٨٦ رطلاً لا يتغير

وقد يتناول هذه المآكل ثلاث مرَّات كل يوم اسبوعاً كاملاً

وسأَلتهُ عن رأْيهِ في التعليم العالي في اميركا فقال انهُ غير عملي . ثم سأَلتهُ هل ارتقى الانسان ارتقاءً عقليًّا منذ خمسين سنة فقال نعم ان نسبة العقلاء والفضلاء الى باقي الناس تزداد وعدد هؤُلاء هو مقياس ارتقائنا

فقلت وهل يصل الانسان الى يوم يستغني فيهِ عن العمل بما يستنبطهُ من الآلات التي يستعمل فيها القوى المخزونة في الشمس والجوهر الفرد والمد والجزر

فاجاب لا حدَّ لما يمكن اختراعهُ من الآلات ولا اشكَّ في ان حاجة الانسان الى العمل تقلُّ رويداً رويداً

حرارة السيارات

اوردنا في مقالة في هذا الجزء موضوعها سكنى السيارات جدولاً ذكرنا فيهِ درجات حرارة السيارات بميزان فارنهيت كما كانت محسوبة منذ سنتين ثم رأَينا ان الدكتور كوبلنتز قاس هذه الحرارة فعلاً في مرصد لول باميركا فاذا هي اعلى مما لو كانت آتية من الشمس فقط كما ترى في هذا الجدول

القمر	٥٠ +	٢٥٧ ف +
الزهرة	٦٨ +	١٤٠ « +
المريخ	٦٠—	٢٢ « —
المشتري	٢٧٠—	٢١١ « —
زحل	٣٣٠—	٢٣٨ « —
اورانوس	٣٨٠—	٣٠١ « —

فالعمود الاول يدلُّ على الحرارة كما لو كان مصدرها الشمس فقط والثاني كما هي فعلاً دلالة على ان في هذه الاجرام حرارة ذاتية اما من وجود مواد فيها تشع الحرارة كالراديوم او لان حرارتها الاصلية التي كانت فيها لما انفصلت عن الشمس لم تنفد كلها من سطحها حتى الآن كما نفدت حرارة الارض من سطحها وعليهِ فالقمر والزهرة لا يصلحان لوجود الاحياء الارضية لشدة حرارتهما واما المريخ فبردهُ لا يمنع وجود الاحياء الارضية التي تعيش قرب قطبي الارض

السمريون والهند

نشرنا في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٤ مقالة موضوعها «اصول الحضارة الهندية القديمة» ونشرنا فيها صور بعض الآثار التي كشفت في البنجاب والسند من بلاد الهند وذكرنا رأي الاستاذ سايس فيها وهو انها تشبه ما وجده ده مورغن في شوشن عاصمة فارس القديمة واستنتج من ذلك ان بلاد الهند و بلاد فارس كانتا على اتصال تجاري قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة. ثم اطلعنا على مقالة لمستر مكاي في جرنال الجمعية الاسيوية الملكية موضوعها اتصال السمريين[1] بالهندالقديمةاثبت فيها الاتصال القديم بين العراق والهند وقال ان الخاتم الذي وجد في كشن وفيه صورة ثور واقف على عرمة من الحبوب لا شبهة في انهُ سمري وانهُ يشبه الخاتم الذي وجد في الهند . وهنالك ادلة اخرى على هذا الاتصال فيما يرى من الشبه بين عقود العقيق واللازورد التي وجدت في المكانين. اما اللازورد فيحتمل ان يكون قد جيء بهِ من بلاد فارس واما العقيق فمن رأي السرجون مرشال انهُ أُتي بهِ من بلاد الهند لان خرزهُ يشبه ما وجد فيها من الخرز القديم. وصناعة الخرز الذي وجد في كشن مثل صناعة الخرز الذي وجد في بلاد الهند . وكل الدلائل تدل على ان ذلك الخرز أُتي بهِ من بلاد الهند إما من اتصال الهند بالعراق تجارةً او لان امة اخرى كانت تتصل بالهندوالعراق معاً وتنقل البضائع بينهما.اما خرز اللازورد فغير متقن في صنعهِ ولذلك يرجح انهُ ليس من صنع الهند

(١) اعترض علينا كاتب عراقي محقق في مقالة نشرناها في هذا الجزء لاننا نكتب السمريين بالسين لا بالشين واثبت ان اصل الكلمة بالشين فكتابتها بالسين خطأ . اما نحن فعذرنا اننا نقلنا الكلمة بالسين عن اشهر الباحثين في آثار السمريين مثل سايس ومسبرو وبدج ومكاي وكتاباتهم المطبوعة امامنا وعتد تاريخها من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٢٦ الحاضرة وما منهم من كتبها بالشين . وقد قالوا قديماً ان الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور .ومع ذلك لو كنا نرى في مخالفة المشهور فائدة لخالفناه لكننا نخاف ان مخالفته تربك القراء الذين الفوا رؤية الكلمة بالسين ولم يروها في الكتابات التي اشرنا اليها الا بالسين

كسوف ١٤ يناير الكلي

كسفت الشمس كسوفاً كلياً يوم الخميس ١٤ يناير الماضي كالكسوف الكلي الذي كسفتهُ يوم ٢٤ يناير من السنة الماضية ولكنهُ يختلف عنهُ في ان كسوف سنة ١٩٢٥ كان في العالم الجديد في منطقة آهلة بالسكان فشاهدهُ مئات الوف من الناس ورصده علماء كثيرون بجميع الوسائل العلمية المعروفة واذاعوا اخبارهُ باللاسلكي

اما كسوف ١٤ ينايرسنة ١٩٢٦ فبدأ في نقطة في اواسط افريقية الى جنوب السودان

وشمال بحيرة فكتوريا نيانزا وامتد في منطقة فوق الاوقيانس الهندي طولها اربعة آلاف ميل ثم فوق جزيرة سومطرى فجزيرة بورنيو فجزيرة مندانو من جزر الفليبين فالاوقيانس الباسفيكي

وعند ما كان الكسوف الكلي على اطولهِ استغرق اربع دقائق وعشر ثوان ولم يكن في طاقة الفلكيين رصده حينئذٍ لانهُ كان فوق الاوقيانس الهندي . غير ان البعثات العلمية اعدت معداتها لرصدهِ في جزيرة سومطرى وفي جزيرة جاوى حيث استغرق الكسوف الكلي ثلاث دقائق وعشرين ثانية

وكان المفهوم ان العلماء سيهمتون اهتماماً خاصاً برصد ما تنبأ بهِ العالم اينشتين صاحب مذهب النسبية من انحراف اشعة الكواكب التي تمرُّ قرب الشمس وهو ما اثبتهُ رصد العلماء للكسوف الذي شوهد في استراليا من سنوات

وقد شوهد هذا الكسوف جزئياً في النصف الشرقي من افريقية وبلاد العرب والهند والصين وشمال استراليا

جائزة نوبل الطبيعية

اعطي الاستاذ سيجبهن Siegbahn من اساتذة جامعة أبسالا جائزة نوبل للطبيعيات لسنة ١٩٢٥

حالة مصر المالية

عقدت الجمعية العمومية للبنك العقاري المصري لسماع تقرير مجلس ادارة البنك عن احوال مصر الاقتصادية عامة وعن اعمال البنك وحساباتهِ خاصة في سنة البنك المالية التي تنتهي في ٣١ اكتوبر سنة ١٩٢٥ ومما جاء في هذا التقرير

ان محصول القطن في موسم سنة ١٩٢٤ بلغ ما يزيد على ٧ ملايين قنطار بيعت بلا عناء باسعار مرضية فبيع السكلار يدس من ٤٢ الى ٧٠ ريالاً القنطار والاشموني من ٣٠ الى ٣٨ ريالاً فربحت البلاد اموالاً ضمت الى ارباحها التي جنتها في السنوات العديدة الممتازة فزاد بها اليسر والرفاهية وهبط سعر الفائدة على «توظيف» رؤوس الاموال في اوراق الدين المصري والاوراق المالية التي من الطبقة الاولى الى اقل من خمسة في المائة وظلت عمليات الرهن على الاراضي الزراعية نادرة وانحصرت الرهون في العقارات المبنية وانفقت اموال كبيرة منها على اقامة العمائر وتشييد المباني في معظم المدن المصرية ولا سيما في القاهرة والاسكندرية

اما محصول القطن في ١٩٢٥ فليست حالتهُ باعثة على ارتياح كثير فان اتساع مساحة الاراضي التي زرعت قطناً زاد مقدار المحصول الى ما يقرب من ٨ ملايين

قنطار مقابل ٧ ملايين في السنة السابقة وجاءت في الوقت عينهِ زيادة المحصول الاميركي فتدهورت الاسعار تدهوراً هبط بسعر السكلارديس من ٥٠ ريالاً في شهر سبتمبر الى ٣٥ ريالاً في ٣٠ نوفمبر وسعر الاشموني من ٣٢ الى ٢٧ ريالاً

ولكن مالية الحكومة تحسنت هذه السنة ايضاً تحسناً ذا شأن اذ بلغ المال الاحتياطي العام ٧٥ ٥٧١ ٢٥٥ جنيهاً في ٣١ مارس سنة سنة ١٩٢٥ وهو مال يمكّن الحكومة من تحسين وسائل المواصلات والنقل وشؤون الري والصرف تحقيقاً لامنية اعربت عنها البلاد من زمان طويل

تابوت توت عنخ آمون الذهبي

ليس بين كنوز القياصرة والاكاسرة ما يضاهي ما امتازت بهِ دار الآثار المصرية. تابوت من الذهب الوهاج يقدَّر ثمن ذهبهِ بستين الفاً من الجنيهات اما قيمتهُ الفنية والتاريخية فتفوق كل حدّ . وصفهُ المستر هورد كارتر مكتشفهُ في مقتطف اغسطس الماضي وصورناهُ قبلما جيء بهِ الى القاهرة وقد رأيناهُ بالامس فاذا هو يمثل الملك توت عنخ امون بثيابهِ وملامح وجههِ كأن نقاشاً مثل فيدياس من مهرة نقاشي اليونان قصد ان يمثلهُ تمثيلاً . ولم يكتفِ الصانع المصري بذلك بل رسم لهُ ثياب التمثال نقوشاً بديعة وجعل لهُ رأساً آخر من الذهب. ولعلَّ الوجه والانف والشفتين في الراس الثاني اشد اتقاناً منها في التمثال . والاثنان معروضان الآن في المتحف المصري

عصر البترول

ابتدأ العصر الذي صار فيهِ البترول من الحاجيات منذ ٢٥ سنة . ومنذ ست سنوات قال فريق كبير من علماء الجيولوجيا ان مقدار البترول المخزون في الارض قارب النفاد لكن قولهم لم يُحقَّق بل كُشفت منابع جديدة لهُ وزاد مقدارهُ بزيادة التعمق في الارض فقد بلغ عمق بعض آبارهِ ٢٠٠٠ قدم او ٣٠٠٠ قدم . والباحثون عنهُ يظنون انهم سيتعمقون الى ٥٠٠٠ قدم

وقد ظهر حديثاً تقرير جديد عن البترول ومستقبلهِ موقع باسماء احد عشر من اشهر المعروفين باستخراج البترول في اميركا مفادهُ ان الاراضي التي فيها بترول في الولايات المتحدة مساحتها الف ومائة مليون فدان . والارض التي حفرت فيها آبار البترول وخرج البترول منها هي نحو مليوني فدان والارض التي حفرت فيها آبار ولم يوجد فيها بترول كانت مساحتها نحو مليون فدان . وعدد آبار البترول في اميركا الآن ٣٠٠ ٠٠٠ يخرج منها يومياً نحو ٣٠٠ ٠٠٠ طن . وما

يستخرج من البترول الآن سنويًّا في المسكونة كلها ١٣٦ مليون طن سبعون في المائة منها من اميركا ويمكن ان يزاد ما يستخرج من البترول من كل آباره خمسة اضعاف

قبة تمثل السماء

اقيمت في متحف مونخ قبة كبيرة تمثل السماء بكواكبها ونجومها وحركاتها المختلفة. وارض هذه القبة تسع ٧٠٠ نفس وقطرها ٨٣ قدماً ويمكن ان يزاد حتى يبلغ ١٣٠ قدماً . وتظهر في القبة صورة الشمس والقمر والسيارات و٤٥٠٠ من النجوم الثوابت اي ما يرى بالعين من القدر الاول الى القدر السادس . ولكن الحركة فيها سريعة فحركة اليوم العادي تتم في اربع دقائق ونصف دقيقة ويمكن ان تسرع اكثر من ذلك فتتم في دقيقتين او في ٥٠ ثانية . وحركة النظام الشمسي وحدهُ اي حركة الارض وسائر السيارات حول الشمس يمكن ان تتم في سبع ثوانٍ

التدفئة في الشتاء

اكثر البلدان التي يقرأ فيها المقتطف لا تحتاج مساكنها الى الدفء صيفاً ولكنها تحتاج الى الدفء شتاء . وقد ظهر بالبحث ان افضل درجة من الحرارة يرتاح اليها الانسان ويستفيد منها هي الدرجة ٦٥ بميزان فارنهيت ($18\frac{1}{3}$ بميزان سنتغراد) فانها كافية لجعل الحرارة في هواء الغرف وجدرانها مما يرتاح اليهِ الانسان. هذا اذا لم تدخل اشعة الشمس الى الغرف مباشرة ولكن اذا زادت حرارة جدران الغرفة درجتين وجب ان تخفض حرارة هوائها اربع درجات . واذا كان الانسان جالساً فخير لهُ ان تدخل غرفتهُ اشعة الشمس ولو كانت حرارة الغرفة ٥٥ درجة بدل ٦٥ واذا كانت حرارة الهواء ٤٥ درجة فقط شعر بحر شديد في جانبهِ المعرض للنار وببرد شديد في الجانب الآخر ولذلك اذا طالت ايام البرد وجبت تدفئة الغرف بما يسخن الهواء . والدرجات المذكورة هنا هي بميزان فارنهيت

التقدم في صنع البلونات

وصف السر سفتن برنكر في نادي جماعة ماوراء البحار البلونات التي يحتمل في المستقبل القريب جداً ان ينقل كل منها ١٠٠ راكب مع امتعتهم من انكلترا الى استراليا بطريق الهند وتقطع المسافة في ١٠ ايام او ١٢ يوماً طائرة بسرعة نحو ٦٥ ميلاً في الساعة ويكون فيها غرف للنوم في كل منها سريران وفيها غرفة للمائدة ومكان للرياضة . قال « وقد بدأنا بتسيير الطيارات على الخط بين القاهرة وكراشي . وستبدأ استراليا بطيارات تلتقي بطياراتنا على الراجح في سنغافوره »

آثار الكلف الشمسية

من الذ الموضوعات التي يبحث فيها الفلكيون والمترولوجيون في الوقت الحاضر هي الكلف التي ترى على سطح الشمس في اوقات مختلفة وما لها من التأثير في ارضنا وجوها . وقد حار العلماء في تعليل هـذه الكلف غير ان الاراء مجمعة الآن على انها دوامات عظيمة في جو مؤلف من بخار حار يحيط بالشمس و يتصاعد من المعادن المصهورة فيها . وهذه الدوامات مؤلفة من ذرات مكهربة تدور على نفسها بسرعة عظيمة جدًّا وترسل مجاري من القوة الكهربائية الى جميع الجهات

والمعروف ان بين كلف الشمس و بعض الظواهر التي تظهر في ارضنا علاقة غريبة خفية ومن اظهرها التأثير الكبير الذي يحدثهُ هذه الكلف في الابرة المغنطيسية وقد انشئ لذلك مراصد مغنطيسية مجهزة بادق الآلات لرصد مغنطيسية الارض وتدوين الاختلاف والتغيير اللذين يطرأان عليها وقد ثبت من هـذه الارصاد ان ابرة الحك المغنطيسي (البوصلة) لا تتجه دائمًا الى الشمال الحقيقي بل تنحرف انحرافًا يسيرًا الى اليمين او اليسار اي شرقَ النقطة الشمالية او غربها ووجد ايضاً انّ هذا الاختلاف في الابرة المغنطيسية يدوم مدة تزيد على احدى عشرة سنة قليلاً

و يزيد عدد الكلف التي تظهر على سطح الشمس زيادة مطردة و يقل على هذا المنوال ايضاً فلا يرى احيانًا سوى كلف قليلة وقد لا ترى كلفة ما على الاطلاق ثم تزيد هذه الكلف تدريجًا الى ان تبلغ اشدها ثم تأخذ في النقصان دواليك . والمدة التي يزيد فيها عدد الكلف تعرف في التعبير الفلكي «بدَوْر الكلف» وهو يستغرق اكثر من احدى عشرة سنة قليلاً

واذا انفجرت كلفة من الكلف الكبيرة احدث انفجارها انحرافًا كبيراً في الابرة المغنطيسية عن اتجاهها الشمالي الى الشرق او الغرب وقد يعترض ذلك احيانًا المواصلات التلغرافية فيتعذر ارسال الرسائل عليها ساعات وهذه الظاهرة تعرف « بالعاصفة المغنطيسية »

وللكلف علاقة شديدة بمقدار المطر الذي يهطل سنويًا على ارضنا كما يستدل من درس نمو الحلقات في جذوع الاشجار . و يؤخذ من ابحاث الاستاذ دوجلاس في هذا الصدد ان الامطار تتباين بين القلة والكثرة كل احدى عشرة سنة

و يظن بعض العلماء ان هناك علاقة بين المجاعات التي تنتاب ارضنا و بين الكلف الشمسية و يقول بعض الاحصائيين ان في الوسع اثبات ما للكلف من التأثير في بوار

التجارة واضطرابات العمال وكثرة حوادث الانتحار من درس الاحصائيات

ومع ان هذه الامور لم تثبت صحتها كلها بعد فانهُ يتعذر على رجال العلم ان ينبئوا بما سيحملهُ المستقبل في طياتهِ

الدكتور ابو هيف

ولد المرحوم الدكتور عبد الحميد ابو هيف بالاسكندرية في ٣ فبراير سنة ١٨٨٨ وتلقى مبادئ العلوم في مدرسة الاقباط بالاسكندرية ففي مدرسة العروة الوثقى فمدرسة رأس التين الاميرية الثانوية ونال شهادتهُ الثانوية منها سنة ١٩٠٥ ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية فحصل على شهادة الليسانس عام ١٩٠٦ فاستدعاهُ وزير المعارف حينئذٍ سعد زغلول باشا وطلب اليهِ ان يسافر الى فرنسا ليعدَّ نفسهُ فيها ليكون مدرساً في مدرسة الحقوق فسافر الى تولوز من اعمال فرنسا ودرس في جامعتها القانون والعلوم الجنائية وعلم المعاقبات وساح في ممالك اوربا وبعدما حاز لقب الدكتوراه عاد الى مصر فعين في مدرسة الحقوق وعهد اليهِ في تدريس المرافعات المدنية والتجارية فاخرج فيها اول كتاب من تأليفهِ

وسنة ١٩١٧ افتقرت مدرسة الحقوق الى من يدرس القانون الدولي العام والخاص لان الاساتذة الانكليز والفرنسويين لبوا داعي الوطن في اثناء الحرب الكبرى فطلب اليهِ تدريس هذا العلم ففعل ووضع كتاباً في القانون الدولي الخاص باللغة الانكليزية شهد لهُ العارفون بقيمتهِ الكبيرة

وعُيّن في اكتوبر سنة ١٩٢٢ مديراً لمدرسة الحقوق الملكية وهو اول مصري تقلد هذا المنصب فكان اول همهِ جعل التدريس فيها باللغة العربية فنجح في ذلك واصبحت كل العلوم تدرس بها عدا القانون الروماني

ثم انشأ فيها القسم الليلي ليتلقى فيهِ الطلبة الخارجون دروسهم على اساتذة المدرسة بعد العصر من كل يوم واكثر طلبة هذا القسم من الموظفين الناجحين في اعمالهم والطامحين الى الرقي العلمي والمادي

ولما نقل الاستاذ احمد لطفي السيد بك من ادارة دار الكتب المصرية الى ادارة الجامعة المصرية عيّن الدكتور ابو هيف مكانهُ مديراً لدار الكتب . ولم يُفسح لهُ الوقت في عملهِ الجديد حتى يتم فيهِ الاصلاح الذي كان ينويهِ

ولهُ مؤلفات قانونية كثيرة اهمها « المرافعات المدنية والتجارية والنظام القضائي في مصر » وكتاب « طرق التنفيذ والتحفظ في المواد المدنية والتجارية في مصر » وكتاب « القانون الدولي الخاص » باللغة الانكليزية .

وكتاب «القانون الدولي الخاص في اوربا وفي مصر» طبع الجزء الاول منهُ. وكانت وفاتهُ في ١٩ يناير الماضي

رجوع الارواح واختلاف الوسطاء

ذكرنا في مقتطف نوفمبر الماضي ان عالماً من العلماء الاميركيين يدعى الدكتور غلبرت وضع جائزة قيمتها مائة جنيه تعطى لمن يستطيع ان يعرف عن طريق مناجاة الارواح اشارةً خاصة اتفق عليها مع زوجتهِ قبل وفاتها تعطيها للوسطاء دليلاً على انها خاطبتهم وهم خاطبوها وقد كتبت هذه الاشارة على ورقة ووضعت في ظرف ختم وحفظ في خزينة ادارة السينتفك اميركان. وذكرنا ايضاً انهُ ورد عليهِ نحو ١٤٠ جواباً متضارباً لم يصب واحد منها الحقيقة. وقد اطلعنا الآن على تفصيل ذلك في عدد يناير من السينتفك اميركان قالت: ان الاجوبة الواردة على ادارة السينتفك اميركان بلغت يوم ١٢ نوفمبر الماضي ٢٨٤ جواباً وردت من بلدان مختلفة من اليابان و بولونيا والمانيا وفرنسا واستراليا وقد كتب بعضها بلغات اجنبية لم يكن الدكتور غلبرت ولا زوجتهُ من العارفين بها. وجاء في بعضها ان مسز غلبرت لا تريد ان تعطي الاشارة المتفق عليها لانها اذا اعطتها خسر زوجها مائة جنيه وهي قيمة الجائزة التي وعد بنجها

واجتمعت اللجنة المعينة للنظر في هذه الاجوبة في ١٢ نوفمبر بادارة السينتفك اميركان وفضت الرسائل فاذا محتوياتها تختلف من رسوم بسيطة كرسم الصليب او حرف × الى عبارات طويلة منها «الحب الحقيقي يبقى خالداً وراء القبر» و«لدي كاس من البلور فيها ورود بيضاء وحمراء يا عزيزي جون» و«الكل على ما يرام. الكل على ما يرام في نفسي» او «جيمس جيمس جيمس انني بعيدة جداً ولكن ما اعجب الموت» ومنها كلمة آمين و«دعني انام» و«انا معك» الخ

ولما فتح الظرف المختوم وجد ان الاشارة المتفق عليها هي اعطاء تاريخ ميلاد مسز غلبرت والدكتور غلبرت وابنتهما. ولم تذكر المجلة هذه التواريخ الثلاثة حتى اذا ادعى احد الوسطاء انهُ خاطب روح مسز غلبرت حقًّا طُلب اليهِ ان يعرف هذه التواريخ وهذا مما تتعذر معرفتهُ قبل بحث دقيق شاق. وقد اعيدت الورقة التي كتبت عليها الاشارة الى ظرف خُتم ووضع في خزينة ادارة المجلة

القرود في مسارحها

نشرنا في مقتطف يوليو الماضي نبذةً في هذا الموضوع منقولة عمَّا كتبهُ الدكتور كهلر الالماني استاذ الفلسفة في جامعة برلين عما خبرهُ من افعال الشمبانزي الدالة على واسع حيلتهِ في حل المشاكل التي يقع فيها

كادنائهِ الطعام اليهِ بعصاً اذا لم يستطع ان يطالهُ بيدهِ واذا وجد العصا قصيرة ورآى على بعدٍ منهُ عصاً طويلة ادناها بالعصا القصيرة ثم استعملها لادناء طعامهِ منهُ وكوضعهِ الصناديق بعضها فوق بعض والصعود عليها ليصل الى موزة علقت في سقف قفصهِ. وقد وقفنا الآن على ما اخبرهُ الاستاذ يركس وهو خبير بافعال الحيوانات فانهُ راقب افعال ذكر وانثى من نوع الشمبانزي وكان الذكر قوي البدن كثير الحركة ذكياً جسوراً مغامراً يثق بنفسهِ وكانت الانثى زوجتهُ ضعيفة جبانة بليدة شديدة الحذر. ولذلك كان الذكر يحاول الابتعاد عن الرجل الذي يراقبهُ واما الانثى فكانت تستأنس بهِ وتحاول ان تجلس على يديهِ. وذات يوم قطف الذكر زهرة وقدمها الى زوجتهِ. وكان يرقص على نغم الموسيقى واما زوجتهُ فكانت تكتفي باظهار استماعها للموسيقى ولكنها لم تكن ترقص. وكان الذكر يبني عشاشاً في الاشجار لانهُ يقيم في عش وهو مطلق واما زوجتهُ فلم تشاركهُ في بنائها ولكنها صعدت مرة الى شجرة ورأت العش الذي بناهُ فيها. وفي الجملة كان الذكر اذكى من الانثى واشد انتباهاً الى ما حولهُ. قدمت اليهِ برتقالة مقصوصة نصفين والسكين يقطع حصوصها كلها فنظر فيها مليًّا واخيراً اكل لبها كلهُ من غير ان ينضح شيئاً من عصارها. واما زوجتهُ فاكلت حصوص برتقالة مثلها بهمجية اضاعت نصف عصارها. ومن رأي الدكتور يركس ان ذلك الشمبانزي يفكر ويعمل اكثر اعمالهِ بعد اعمال النظر واذا جرب طريقة ولم تفلح تركها وجرب غيرها وكثيراً ما تراهُ يقف كانهُ يفكر ليجد اسلوباً يجري عليهِ

تغيير التقويم

كثر البحث في تغيير التقويم حتى تقع اوائل كل شهر في يوم معلوم من الاسبوع سنة بعد سنة كما ابنا مراراً وكان بعضهم قد اشار بان تجعل ايام السنة التي تدخل في الاسابيع ٣٦٤ يوماً فقط اي ٥٢ اسبوعاً واليوم الزائد في السنة العادية لا يدخل في ايام الاسبوع وكذا اليومان الزائدان في السنة الكبيسة. وقد اقرت ذلك لجنة اصلاح التقويم حينما اجتمع المجمع الفلكي في رومية سنة ١٩٢٢ ولكن مجمع اصلاح التقويم رفض قرارها لان النظام المتبع مضى عليهِ الآن ثلاثة آلاف سنة فليس من الحكمة العدول عنهُ واشار بعضهم الآن ان تجعل السنة ٥٢ اسبوعاً مدة اربع سنوات متوالية وتجعل السنة الخامسة ٥٣ اسبوعاً ولكن يعترض على ذلك بانهُ يستلزم تغيير النظام المتبع في اجور العمال ورجال الحكومات

توزيع الاطيان في القطر المصري

كانت مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري في سنة ١٩١٥ خمسة ملايين و٤٥٧٩٨٤ فداناً موزعة على ٧٢٣ ٥٦٣ ١ مالكاً نخص كلٌّ مالك منها ٣ افدنة و ١١ قيراطاً و١٨ سهماً . وكان عدد الملاك المصريين ٥٠٣ ٥٥٥ ١ ومساحة ما يملكونهُ ٠٨٨ ٧٦٣ ٤ فداناً نخص كلٌّ مالك منها ٣ افدنة وقيراط واحد و١٢ سهماً . وكان عدد الملاك الاجانب ٨٢٢٠ ومساحة ما يملكون ٨٩٦ ٦٩٤ فداناً نخص كل مالك منها ٨٤ فداناً و١٢ قيراطاً و ٢١ سهماً

وقد زادت مساحة الاطيان الزراعية في السنوات العشر الماضية ١٣٩٠٤٩ فداناً وزاد عدد الملاك في هذه المدة ١٦٥ ٤٧٦ اي بمتوسط ٦١٦ ٤٧ مالكاً في السنة تقريباً وقد ادت هذه الزيادة العظيمة في عدد الملاك الى انقلاب كبير في توزيع الاطيان فصار عدد الملاك المصريين في السنة الماضية (١٩٢٥) ٢٠٣٣١١٤ يملكون ٥٠٤٧١١٣ فداناً فنقص ما يخص كل مالك من الاطيان الى فدانين و ١١ قيراطاً و١٤ سهماً ومما يستحق الذكر ان عدد الملاك الاجانب نقص في هذه المدة ١٤٤٦ ونقصت كذلك مساحة الاطيان التي يملكونها ٩٧٦ ١٤٤ فداناً فصار ما يخص الواحد منهم في الاطيان الزراعية ٨١ فداناً واربعة قراريط و ٨ اسهم . وعلى ذلك بات ما يخص كل مالك من الاطيان الزراعية في مصر في العام الماضي فدانين و١٧ قيراطاً و٢٠ سهماً

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم مجمع تقدم العلوم البريطاني في اكسفرد من ٤ — ١١ اغسطس القادم برآسة البرنس اوف ويلس وقد عين الاستاذ فولر استاذ الطبيعيات الفلكية في الكلية الامبراطورية للعلم والفن بلندن رئيساً لقسم الرياضيات والطبيعيات والدكتور ثورب الاستاذ بالجمعية الملكية والكلية الامبراطورية للعلم والفن رئيساً لقسم الكيمياء والاستاذ رينلدز استاذ الجيولوجيا في جامعة برستول رئيساً لقسم الجيولوجيا والاستاذ جراهم كار استاذ الحيوان في جامعة جلاسجو رئيساً لقسم علم الحيوان والمستر اورمسبي جور عضو مجلس النواب ومن كبار موظفي وزارة المستعمرات رئيساً لقسم الجغرافية والسر يوشياستامب رئيساً لقسم الاقتصاد والاستاذ فلور رئيساً لقسم الانثربولوجيا والاستاذ ليذس استاذ الفسيولوجيا في جامعة شفيلد رئيساً لقسم الفسيولوجيا والدكتور درڤر من اساتذة علم النفس في جامعة ايدنبرج رئيساً لقسم علم النفس والدكتور باتسن رئيساً لقسم النبات والسر توماس هُلند

رئيس الكلية الامبراطورية للعلم والفن رئيساً لقسم التربية والسر دانيال هول رئيس مستشاري وزارة الزراعة بلندن رئيساً لقسم الزراعة . ولم يعيّن بعد رئيس قسم الهندسة

الطيران الى القطب الشمالي

عزم امندصن على محاولة الوصول الى القطب الشمالي بالبالون ثانية بعد ان فشل بالطيارة في النوبة الاولى فاشترى من الحكومة الايطالية بلوناً يسع ٦٧٠٠٠٠ قدماً مكعبة من الغاز فيهِ ثلاث آلات قوتها معاً ٧٥٠ حصاناً يسير بها ٤٥ ميلاً في الساعة فيقطع مسافة طولها ٣٧٢٥ ميلاً والمسافة الى القطب لا تزيد على ٢٢٣٥ ميلاً وسيكون مع امندصن اربعة عشر رجلاً ومنهم السنيور نوبلي صانع هذا البلون

التجارة الانكليزية في الهند

كتب السر رجينلد كردوك في مجلة القرن التاسع عشر شاكياً من ان التجارة الانكليزية مع بلاد الهند آخذة في التقلص سنة بعد سنة فقد كانت قيمتها ١٦٦ مليون جنيه سنة ١٩٢١ فهبطت الى ١٣٦ مليوناً سنة ١٩٢٢ والى ١١٧ مليوناً سنة ١٩٢٣ والى ١١٠ ملايين سنة ١٩٢٤ ومن اسباب ذلك مزاحمة البلدان الاجنبية للبلاد الانكليزية فسنة ١٩١٠ ورد الى بلاد الهند ٢٠٠٠ مليون يرد من المنسوجات القطنية الانكليزية و٤٩ مليون يرد من المنسوجات الاجنبية وسنة ١٩١٤ ورد اليها ٣٠٠٠ مليون يرد من المنسوجات الانكليزية و٩٠ مليون يرد من المنسوجات الاجنبية وسنة ١٩٢٤ ورد اليها ١٣١٩ مليون يرد من المنسوجات الانكليزية و١٦٣ مليون يرد من المنسوجات الاجنبية اي كانت المنسوجات الاجنبية ٢ في المائة فصارت ١١ في المائة ولعلها كلها من اليابان

المصنوع من السفن والبواخر

يؤخذ من الخلاصة السنوية التي نشرتها شركة لويد للملاحة ان ٨٥٥ سفينة حمولتها ٢١٩٣٠٠٠ طن تمّ صنعها وانزلت الى البحار في سنة ١٩٢٥ وان ٤٩ ½ في المائة منها وحمولتها ١٠٨٥٠٠٠ طن بنيت في الجزر البريطانية

وتأتي المانيا في المنزلة الثانية فقد اتمت صنع سفن حمولتها ٤٠٦٠٠٠ طن وتليها ايطاليا بـ ١٤٢٠٠٠ طن والولايات المتحدة ١٢٩٠٠٠ طن واليابان هي الثامنة في الترتيب بـ ٥٦٠٠٠ طن وقد نقص مجموع السفن التي تمت بما حمولته ٥٤٠٠٠ طن عن سفن سنة ١٩٢٤ على ان النقص في سفن الجزر البريطانية كان ٣٥٥٠٠٠ طن والزيادة

في البلدان الاخرى ٣٠١٠٠٠ طن وتم في بريطانيا العظمى بناء سفن للاجانب حمولتها ١٧٨٠٠٠ طن

انتشار التلفون

يظهر من دفتر التلفون عندنا ان عدد المشتركين فيهِ في القاهرة صاروا نحو ثمانية آلاف وتزيد الشكوى بزيادة المشتركين فما يقول مدير هذه المصلحة وفي نيو يورك مليون وتسعمائة الف مشترك بالتلفون وينتظر ان يبلغ عددهم اربعة ملايين بعد عشرين سنة

ولكل الف نفس في اميركا نحو ١٣٧ تلفوناً

وفي كندا	١١٠	تلفونات
وفي الدنمارك	٠٨٧	تلفوناً
وفي اسوج	٠٦٧	«
وفي نروج	٠٦١	«
وفي المانيا	٠٣٨	«
وفي بريطانيا	٠٢٥	«
وفي فرنسا	٠١٥	«
وفي القاهرة	٠١٠	«

واما في القطر المصري كلهِ فليس اكثر من واحد في الالف

متحف الاستانة

يظهر ان خليل بك مدير متحف الاستانة لم يدع ايدي التخريب تصل اليهِ بل احتفظ بهِ واعاد النقب عن الآثار القديمة فوجد بعضها في قاضي كوي وهي خلقيدون القديمة فاظهر اساس بناء كبير طولهُ ٩٠ قدماً مبنياً بحجارة كبيرة ووجد حجراً عليهِ صليب والمظنون ان هذا البناء هو كنيسة القديسة اوفيميا التي اجتمع فيها المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ للميلاد

الزواج بين الاقارب

اذا كان في الاقارب علة كفقر الدم وسرعة تهيج الاعصاب فالزواج بينهم يقويها في نسلهم واذا لم يكن فيهم علة بل فيهم ميل مفيد كالميل الى العلوم والفنون فالزواج بينهم يقويها ايضاً في نسلهم وامثلة ذلك كثيرة جداً

عدد الاتوموبيلات في اميركا

يبلغ عدد الاتوموبيلات في اميركا الآن نحو ١٥ مليوناً وسيبلغ ٤٥ مليوناً سنة ١٩٥٠ ويصنع الآن فيها ثلاثة ملايين وستمائة الف اوتوموبيل في السنة

علاج الجذام بالراديوم

جاء في جريدة التيمس ان اشعة الراديوم استعملت في معالجة المجذومين في مستشفى هونولولو فظهرت منها فائدة

السمك والبعوض

ثبت ان تربية السمك في البرك من افعل الوسائل لاستئصال البعوض منها لان السمك يأكل بيوض البعوض وعوَمهُ

الجزء الثاني من المجلد الثامن والستين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والستين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٦ شعبان سنة ١٣٤٤

اللباس وارتباطه بمصالح الناس

«كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة»

ابن عباس

لما نزلنا القطر المصري منذ اربعين سنة لقينا رجلاً وجيهاً كبير السن من اقدم الاسر السورية التي سكنت هذا القطر . ودار الحديث مرةً على ازياء الناس في اللباس فذكر لنا السبب الذي حملهُ على لبس الثياب الافرنجية من سترة و بنطلون بعد ان كان يلبس اللباس البلدي من قفطان وجبة مثل سائر التجار معاصريهِ .قال«كنت تاجراً في بولاق ولي تجارة واسعة بين مصر والسودان وكان عندي خادم اوربي الاصل يلبس الثياب الافرنجية و يقضي اشغالي في الحكومة . جاءني ذات يوم وقال انهُ تعذَّر عليهِ قضاء شغل لي في المحافظة ولا بدَّ من ذهابي بنفسي لقضائهِ .فركبت دابتي وسار معي الى ان وصلنا الى باب المحافظة فترجلت ودخل هو امامي ومررت وراءهُ فمنعني الحاجب من الدخول فاستغربت ذلك وقلت لهُ كيف تمنعني من الدخول وهذا الذي دخل امامي خادمي. وعاد الخادم وحاول اقناعهُ بانني سيدهُ فلم يقنع بل شتمني بالتركية وهو يقول بالعربية المكسرة هذا خواجه وانت فلاح .فعدت ادراجي واسرعت الى محل ميرس بائع الثياب الافرنجية وجعلت اخلع ثيابي البلدية واقول لهُ هات ما عندك من الثياب»

هذه القصة على بساطتها تبين اهم الاسباب التي تدعو الى تغيير اللباس وهو اما جلب نفع او درء ضرر ماديًّا كان كلٌّ منهما او ادبيًّا

وكاتب هذه السطور واكثر الذين من سنهِ كانوا في صباهم يلبسون الثياب التي

يلبسها ابناء بلدهم في ذلك العصر ولم يغيروا لباسهم عن هوى بل لانهم رأوا في تغييرهِ فائدة لهم مادية او ادبية ولو حاول احد صرفهم عن هذا التغيير لحسبوهُ معتدياً على حق طبيعي وهو طلب النفع من حيث لا يقع ضرر على الغير

و بعدُ فقد نشرنا في مقتطف مارس سنة ١٩٠٤ مقالة في مثل هذا الموضوع لعالم محقق وهو السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق الآن فرأينا ان نعيد بعض فقراتها هنا . قال

« لغط بعضهم هذه الآونة في مصر والشام بفتوى استصدرها احد سكان الترنسفال في الرخصة بلبس المسلمين القُبَّعة مجاراةً لمواطنيهم من الافرنج وتفادياً من ان ينالهم اذًى اذا ظلوا محتفظين بشعار رأسهم حتى كاد يوقن من لا يعرف الاسلام ان لبس القُبَّعات من الطامات وان ما تواطأ اهل هذا العصر على ستر رؤُوسهم بهِ من الصوف او الفرو او القش او الحرير او القطن على اختلاف اشكالهِ هو هو عماد الدين وأُسُّ اساس اليقين . على ان الامر اقل مما توهموهُ واكبروهُ يناقضهُ ما ورد في الحديث الصحيح من ان الشارع الاعظم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة. وقال ابن عباس كلْ ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة

« وقد ثبت انهُ عليهِ الصلاة والسلام لبس الجبة الرومية مع انها من لباس النصارى واكتسى الطيلسان الكسروي وهو لبوس مجوس الفرس . وكذلك الصحابة لم يتحرجوا من لبس اهل البلاد التي افتتحوها نصارى كان اهلها ام مجوساً . وصحَّ ان الناس نساءً ورجالاً لبسوا البرانس اول الفتح من غير نكير مع انها من لبوس اهل النصرانية . وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس بهِ. قيل لهُ فانهُ من لبوس النصارى قال كان يلبس ههنا . وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الاَّ لهُ برنس رواهُ بن حجر . وجاء في سفر السعادة للفيروزابادي انهُ صلى الله عليهِ وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيهِ في اكثر الاحوال . قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافهِ بالسندس وكان لهُ جبة خسروانية مفرَّجة عليها مجف من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانهُ كان يلبسهُ حال الحرّ كما في اليوم الذي امر فيهِ بالهجرة فانهُ جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطيلس واما

حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيراً فحمله بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

« ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزيّ خاص في الملبس ليُعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا اينما حلّوا فتباعد على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرّر هذا التجوز ويجعل له مأخذاً من الدين . قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قوله تعالى « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الأكمام والعمة ولبس الطيلسان حسنٌ وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزاً لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم . قال السبكي ومنهُ يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضاً انتهى

« واقول ما ابعد هذا الاستنباط وما ابعده وما اقلّ نفعهُ وجدواه لا سيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس وإطالته وقد منع من ذلك سلف الامة وائمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قبيحة شنيعة مردودة على صاحبها احدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال عليّ القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عمائم كالابراج وكمائم كالاخراج . وما ذكرهُ من ان زيّ العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة ردّهُ ابن الحاج في المدخل بانهُ مخالف لزيهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين و بعدهم من خير القرون فان قيل انهم به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزيّ الاول لعرفوا به ايضاً لمخالفته لما عليه غيرهم الآن اه

« وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لا عهد للمصري به ولهذا من الازياء الخاصة ما يباين لباس العراقي والشاميّ • وللفارسي والطاغستاني ازياء يختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك البلوخستاني والافغاني والصيني والهندي والبخاريّ والجاويّ والياباني والزنجباريّ والسوداني والصومالي فلكل من هؤلاء الاجناس زيّ خاص برؤوسهم وابدانهم فمن برنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى عقال وكوفية الى لبادة وقبعة قش او صوف الى قلنسوة وعرقية وكلها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر ونافح البرد

« وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسه والبلد الواحد ولا يُعلّل ذلك الاّ بتشتت الاهواء واختلاف التربية والملكات خصوصاً في اهل قطر قضي عليه ان يكون مزيجاً من

اجيال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظنّ مرة احد سياح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازيائهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفعاً (كرنفال) لبس لهُ كلٌّ ما يغشٌ بهِ صاحبهُ لتنقلب سحنتهُ وسيمتهُ لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلادهِ في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستضحاك والمزاح في ايام معلومة من السنة

« سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد خصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لفواعل الزمن وعوامل الحكام والاعاظم . ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنّ علية الناس العادات ويتشبّه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير و يزعمون الخير في تقليدهِ. وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعارهِ وزيهِ ونحلتهِ وسائر احوالهِ وعوائدهِ فما قالهُ فيهِ « وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهلهِ زيّ الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انهُ اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من امم الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

« لا جرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضتهُ حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان . فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأت المدنية تدبّ في اعصاب أُمتهِ ودولتهِ الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلانس الدنّية مشبهة بالدن في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قريبة الشبهِ من الشربوش . قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

وكنا نرجي من إمام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلانسِ
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جُلِّلت بالاطالسِ

« ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العمائم الحمراء والقواويق بالطرابيش استصدر فتوى من باب المشيخة الاسلامية

«وبعد فان تغيير العادات من شاق الاعمال لا يعمل فيها الا الأسوة والقدوة وحبّ الزينة فلا تؤثر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت . قال منتسكيو في كتابهِ روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة بهِ اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة . وضع بطرس الاكبر احد اعاظم قياصرة الروس قانوناً قضى بهِ على امتهِ ان يحلقوا لحاهم ويلبسوا ثياباً قصيرة كالاوربيين فاقام الجند تكمن في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر وتقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة . قال مونتسكيو وتلك طريقة مجحفة لانهُ لم يكن من حاجة لهذا الملك أن يضع قانوناً توصلاً الى هذا التغيير بل كان يأتي لهُ الاكتفاء بفعلهِ هو بنفسهِ ليتخذهُ الناس مثالاً » انتهى محمد كردعلي

***

يرى القارئ فيما تقدم كأننا نشير الى ما فعلتهُ حكومة الجمهورية التركية من اجبارها الشعب التركي على لبس الزي الاوربي حتى في لباس الراس وما فعلتهُ الحكومة المصرية من اجبارها طلبة دار العلوم على عدم تغيير اللباس البلدي لباس المشايخ . اما الحكومة التركية فجرت مجرى بطرس الاكبر وربما كان الاجدر بها ان تفعل كما فعل السلطان محمود ومحمد علي باشا وخلفاؤهُ اي ان تقتبس الازياء الاوربية مبتدئة بالجند ورجال الحكومة وتجعل ذلك من قبيل الامتياز فيتبعها الشعب رويداً رويداً . واما الحكومة المصرية او وزارة المعارف فلها ان تسن القانون الذي تختارهُ للبس الطلبة وعلى الطلبة ان لا يخالفوا قانونها ما داموا في مدارسها وما دامت اكثر نفقات التعليم من الحكومة لا من الطلبة. ولكن لا يحسن بالحكومة ان تشترط على الطلبة الاحتفاظ بالقديم اذا كان الاحتفاظ بهِ يمنع نفعاً او لا يدرأ ضرراً كما لا يحسن بها ان تجبرهم على الاكتفاء بالآراء القديمة في الجغرافية والفلك والكيمياء والطب بل يجب عليها ان تعلمهم احدث ما وصلت اليهِ فروع العلم وتخرّجهم فيما يؤهلهم لمسابقة امثالهم من الاوربيين وغيرهم من طلبة المدارس الاخرى . ولا يخفى ان ملك البلاد ووزراءهُ ورجال حكومتهِ وجمهوراً كبيراً من الاعيان رأوا من المصلحة ان يبدلوا اللباس الوطني باللباس الاوربي فهل من الحكمة ان يسن قانون يمنع الاقتداء بهم ولاسيما اذا لم يكن في ذلك اسراف ولا خيلاء

النور وفعلهُ في الاحياء

لا يرتاب احد فيما يجدهُ الناس من قوة وانتعاش في نور الشمس عند الصباح ولكننا حينما نحاول تعيين الاعضاء التي يفعل بها نور الشمس وهل هذا الفعل كيماوي او كهربائي نجد امامنا مسألة لا تحلّ الاَّ اذا تعاون علماء الفسيولوجيا والكيمياء والطبيعيات على درسها

اذا وقع خط من نور الشمس على موشور زجاجي ونفذ منهُ ظهر بعد نفوذهِ في سبعة الوان مرصوفة الواحد فوق الآخر اسفلها الاحمر وفوقهُ البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي اي ان نورالشمس الابيض يُحلُّ الى سبعة انواع من الاشعة المختلفة الالوان وهي التي ترى في قوس قزح من انحلال نور الشمس بنقط المطر . و يظهر لدى التحقيق ان نور الشمس لا ينحل الى هذه الاشعة السبعة فقط بل الى غيرها مما لا يرى بالعين بعضها تحت الاشعة الحمراء و بعضها فوق الاشعة البنفسجية . كل ذلك امواج تسير في الفضاء بسرعة واحدة هي سرعة النور فتستطيع الموجة منها ان تدور حول الارض نحو ثماني مرات في ثانية من الزمان. فالاشعة التي تحت اللون الاحمر في الطيف لشمسي اشعة حرارة لا تُرى ولكن تشعر بها اعضاء الحس في الوجه والجلد عموماً .هذه هي الاشعة التي تحت الاحمر او الاشعة المظلمة ومنها يتألف جانب كبير من القوة التي تجيئنا من الشمس. اما الاشعة البنفسجية ففوقها اشعة قصيرة الامواج جداً لا ترى تعرف بالاشعة التي فوق البنفسجي او الاشعة الكيماوية وانما يعرف فعلها بما لها من الاثر في الواح الفوتغراف مثلاً . هذه الاشعة قليلة في نور الشمس الذي يصلنا عادة لان جانباً كبيراً منها يمتصهُ الهواء ولذلك تجدها في الاماكن العالية اكثر منها في الاماكن الواطئة. والزجاج العادي الذي يوضع في نوافذ البيوت يحجبها لذلك تجدها قليلة جداً في البيوت متى اقفلت النوافذ الزجاجية. وقد وجد العلماء حديثاً ان الزجاج المصنوع من الكوارتز المصهور لا يحجب الاَّ جانباً قليلاً منها ولذلك ينتظر ان تصنع منهُ شبابيك المستشفيات والمصاح .

يستطيع الانسان ان يتعرض للاشعة المنظورة من الطيف الشمسي من غير ان يصاب بضرر ما ولكن متى زاد مقدار الاشعة التي تحت الاحمر او الاشعة التي فوق البنفسجي عن المعتاد لسبب ما طلب الظلّ لان الاشعة التي تحت الاحمر تحدث ضربة الشمس والاشعة التي فوق البنفسجي تسبب حروقاً تعرف بحروق الشمس . و يستطاع

التدليل على ان الاشعة التي فوق البنفسجي هي التي تحدث هذه الحروق بتعريض بقعة من الجلد لاشعة من مصباح بخار الزئبق في انبوب من الكوارتز . فتُحجَب كل الاشعة التي يتالف منها نور هذا المصباح ببطرية من الماء ولوح من الكوبلت والكوارتز ولا تُحجَب الاشعة التي فوق البنفسجي فتصوَّب الى الجلد فتحدث فيهِ حروقاً

ومن الغريب انهُ متى شفي حرقٌ احدثتهُ هذه الاشعة يتلون الجلد مكانهُ في الغالب بلون اغمق من لون الجلد. فاذا عرضت البقعة الملونة من جديد للاشعة التي فوق البنفسجي لم تحدث فيها حرقاً وانما تحدث حرقاً فيما حولها من الجلد الذي لم يتلون بلونها فكأنَّ وجود هذا التلوين يمنع عن الجلد الضرر الناجم من التعرض لتلك الاشعة . ولعلَّ في ذلك تعليلاً لنشوء الاجناس السوداء في المناطق الاستوائية . ولا يعلم حتى الآن فعل هذه المادة الملونة في دفع فعل الاشعة الكياوية وخصوصاً لان علماء الطبيعيات اثبتوا ان الالوان المقفولة يسهل عليها امتصاص اشعة الشمس اكثر مما يسهل على الالوان المفتوحة

والاشعة التي فوق البنفسجي او الكياوية تقتل البكتيريا وقد طُبِّقت هذه الخاصة تطبيقاً عملياً فصار الماء يُعقَّم في بعض الاماكن بامرارهِ فوق اسطوانات من الكوارتز فيها مصابيح بخار الزئبق . ولا يخفى ان الكوارتز لا يحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فيسهل نفوذها واتصالها بالماء فتميت ما فيهِ من المكروبات

وقد ثبت للعلماء والاطباء ان لهذه الاشعة شأناً كبيراً في نمو الاطفال وقد تصير من اقوى العوامل التي يُعتمد عليها في معالجة داء الكساح الذي يصاب بهِ الاطفال الساكنين في الاحياء المظلمة. وتدل التجارب التي يجربونها الآن على ان الاشعة التي فوق البنفسجي اذا فعلت وحدها كان فعلها اقوى مما لو كانت ممتزجة مع الاشعة الاخرى التي يتألف منها الطيف المنظور

ومشابهة الاشعة التي فوق البنفسجي لاشعة اكس في الطيف الكهربائي المغنطيسي يجعل الامل كبيراً في حلّ ما يتعلق بفعلها البيولوجي . انما بينهما فرقان كبيران فالاشعة التي فوق البنفسجي تفعل فعلها في بضع دقائق وفعلها هذا لا يتعدى الطبقات العليا من البشرة . واما اشعة اكس فلا تفعل فعلها الاَّ في مدة اسبوع او اكثر وفعلها يخترق الجسم لا يوقفهُ الاَّ اجسام كثيفة كالعظام. والاشعة التي تنطلق من الراديوم لها فعل يشبهُ فعل اشعة اكس

ولنا ملء الامل ان البحث في هذه الاشعة يؤدي الى معرفة فائدة نور الشمس على طريقة علمية عملية. ومتى عرفنا ذلك فقد يهتم اولو الشأن بازالة ما في هواء المدن من الهباء الذي يمتصُّ الاشعة التي فوق البنفسجي المفيدة لتبقى فائدة النور تامَّة

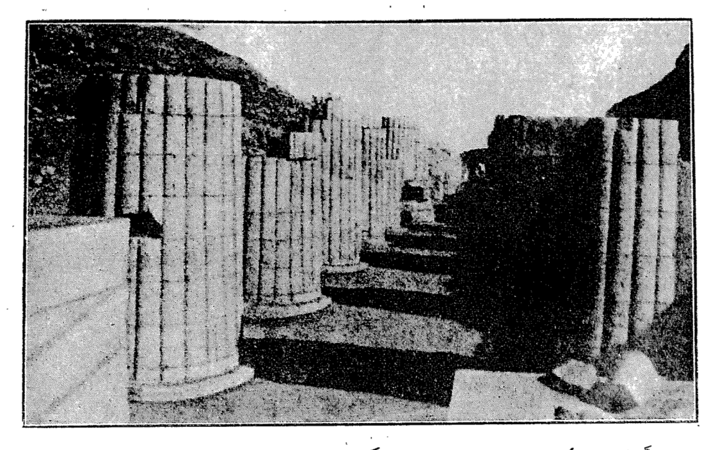
آثار سقارة المكتشفة حديثاً

لا يخفى ان هرم سقارة المدرج اقدم بناء حجري فانهُ بني قبل المسيح بنحو ٣٩٠٠ سنة مدفناً للملك زوسر اوتشوزر من الاسرة الثالثة المصرية . وقد ظهر حديثاً ان البقعة التي هو فيها كانت مسوّرة وطولها ١٥٠٠ قدم وعرضها ٩٠٠ قدم . وقد كلف المستر فرث من مصلحة الآثار المصرية منذ ثلاث سنوات ان ينقب في كل هذه البقعة فكشف فيها في السنة الماضية الهيكل الذي بني تذكاراً ليوبيل السنة الثلاثين لجلوس الملك زوسر على العرش وتمثالاً حجرياً لهُ وكشف الآن صفاً من الاعمدة الجميلة طولهُ ٢٥٥ قدماً وعدد هذه الاعمدة ٤٨ وهي من الحجر الجيري الابيض مصفوفة اثنين اثنين وكان ارتفاع كلٍّ منها اصلاً خمسة امتار وجذوعها مضلعة كأنها حزم من نبات البردي كما ترى في الشكل المقابل لا كالاعمدة التي كشفت قبلاً فان اضلاع تلك كالاقنية. وفي آخر صف الاعمدة من الشرق ومن الغرب ابواب منحوتة في الجدار قلدت بها الابواب الخشبية

ويرجح ان ارتفاع السور كان ٢٣ قدماً وفيهِ نوافذ وكوى لرمي السهام وهناك برجان يشبهان الابراج التي تبنى في اسوار الحصون لتتمكن الحامية من صب مقذوفاتها على رؤُوس العدو . ووجد هناك اربعة رؤُوس منحوتة شكلها مثل شكل التماثيل المنسوبة الى ملوك الرعاة (الهكسوس) مع ان المكان الذي وجدت فيهِ خاص بالاسرة الثالثة وآثار الهكسوس معدودة الآن من آثار المملكة الوسطى. وهذا الصف من الاعمدة اقامهُ المهندس امحوتب وهو اول مهندس معماري عُرف وقد ألّههُ المصريون وعبدوهُ كحامٍ للعلماء والكتبة

ووجد في ارض احدى الغرف الى شمال صف الاعمدة رسالة يرجح انها من عهد الاسرة السادسة اذ وجدت معها شقف فيها حساب خاص ببناء هرمي مبرنر و ببي الثاني والرسالة مكتوبة على قرطاس من البردي وفيها شكوى رفعها مكتب الوزير من الضابط المكلف قيادة الجنود في طره وقد جاء في هذه الشكوى ان رجالاً من اتباع الوزير ذهبوا الى طره لكي يستلموا ملابسهم فأُهمل امرهم واضطروا ان ينتظروا ستة ايام قبلما تمكنوا من استلامها . وقد مضى على هذه الشكوى خمسة واربعون قرناً ولها امثالها في عصرنا هذا

ووجد على جدار قرب هذا المكان دفتر تركهُ زائر قبل المسيح باحد عشر قرناً وفيهِ انهُ اتى ليشاهد غرائب سقارة بعد ما قضى سنوات كثيرة في الحروب ولم يبقَ حيًّا من فرقتهِ غيرهُ



صفَّا الاعمدة الكلسية (الجيرية) المضلعة التي كشفت في سقارة حديثًا قرب هرم زوسر المدرَّج

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٢٤٨

اسلوب المؤرخين العرب
في كتابة التاريخ

لو دققنا النظر في دراستنا للأساليب التي نهجها بعض المؤرخين المعاصرين من العلماء الغربيين في تآليفهم تحققنا انهم يعتقدون أنّ التاريخ سلسلةُ حركات مستديمة متصلة يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يعتبرون السنةَ مركزاً لابحاثهم كما فعل الطبري وابو الفدا ولا يجعلون كلامهم على الخلفاء والامراء والوزراء والسلاطين كابن الطقطقي في كتابهِ الفخري او المقري او اليعقوبي ولا ينظمون عقد مؤلفاتهم في البحث على الامكنة كابن عساكر في كتابهِ المشهور عن دمشق او الازرقي في كتابهِ عن مكة ولا يجمعون الاخبار والروايات التي تصف الحادثات والوقائع والفتوح ولا يرتّبون الحقائق التاريخية حول المواضيع المختلفة التي لا علاقة علية ولا منطقية تربطها بعضها ببعض

١ — الكتابة حول المواضيع المختلفة

فالمسعودي بينا تراهُ يصف هيئة الارض وجغرافيتها الطبيعية إذا بهِ يُسهبُ في ذكر الآثار القديمة من الابنية والمساكن ثم يتطرق إلى البحث عن الامم السالفة من المصريين والفارسيين والاغريقيين و يستطرد خلال ذلك الى الكلام على الانبياء والرسل حتى يصل الى حياة الرسول (ص) والصحابة والخلفاء وهو يُقرّ علنًا بذلك في مقدمتهِ فيقول

« أما بعد فانَّا صنفنا كتابنا في « اخبار الزمان » وقدمنا القول فيهِ في هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وانهارها و بدائع معادنها وأصناف مناهلها واخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار واخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرّفة وذكر شأن المبدإ واصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهراً فصار بحراً وما كان بحراً فصار برًّا وما كان برًّا فصار بحراً على مرور الايام وكرور الدهور وعلة ذلك وسببهُ الفلكي والطبيعي وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحي والآفاق وتباين الناس في التاريخ القديم واختلافهم في بدئهِ واوليتهِ من الهند واصناف الملحدين وما ورد في ذلك عن الشرعيين وما نطقت بهِ الكتب وورد على الديانيين ثم اتبعنا ذلك باخبار الملوك الغابرة والامم الداثرة والقرون الخالية والطوائف

البائدة على مرّ سيرهم في تغيّر اوقاتهم وتصيف اعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم واخبار ملوكهم واخبار العناصر الى ما في تضاعيف ذلك من اخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى ان افضى الله بكرامته وشرّف برسالته محمداً نبيهُ صلى الله عليهِ وسلم فذكرنا مولدهُ ومنشأهُ و بعثتهُ وهجرتهُ ومغازيهُ وسراياهُ الى اوان وفاتهِ واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذي شرعنا فيهِ تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله امير المؤمنين وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة »[1]

والمطالع المدقق في كتاب الكامل لابن الاثير يشهد انّ المؤلف حذا حذو المسعودي فجعل مواضيع الوقائع والحادثات نقطةَ الدائرة في ترتيبهِ لتأريخهِ وهو ينتقد الذين يذكرون الحوادث حسب السنين اذ تأتي مُقَطَّعَةً لا تُفهَم الاَّ بعد الروية وامعان الفكر فيظهر لقارئهِ في مقدمتهِ الاسلوب الذي اتبعهُ في تأليفهِ فيقول

« ... اما بعد فاني لم ازل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها مائلاً الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطوَّلٍ قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد أخلَّ بكثير مما هو آتٍ ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسوّد كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التي الاعراض عنها اولى وترك تسطيرها احرى كقولهم خلع فلان الذمي صاحب العيار وزاد رطلاً في الاسعار واكرم فلان واهين فلان وقد ارخ كل منهم الى زمانهِ وجاء بعدهُ من ذيل عليهِ واضاف المتجددات بعد تاريخهِ اليهِ والشرقي منهم قد اخلَّ بذكر اخبار الغرب والغربي قد اهمل احوال الشرق فكان الطالب اذا اراد ان يطالع تاريخاً احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت كذلك شرعتُ في تأليف تاريخ جامع لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرةً لي اراجعهُ خوف النسيان وآتي فيهِ بالحوادث والكائنات من اول الزمان متتابعةً يتلو بعضها بعضاً الى وقتنا هذا . . . . ورأيتهم ايضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين و يذكرون منها في كل شهر اشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض

(١) مقدمة مروج الذهب ومعادن الجوهر ص ٢ — ٣

ولا تُفهَم الاَّ بعد إمعان النظر فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في اي شهر او سنةٍ كانت فأتت متناسقة متتابعة قد اخذ بعضها برقاب بعض وذكرت في كل سنة لكلّ حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فانني افردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من تَبِعَ ومَلَكَ في قطرٍ من البلاد ولم تطل ايامهُ فانني اذكر جميع حالهِ من اولهِ الى آخرهِ عند ابتداء امرهِ لانهُ اذا تفرق خبرهُ لم يعرف للجهل بهِ وذكرت في آخر كلّ سنةٍ من تُوفي فيها من مشهور العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيهِ بالحروف ضبطاً يزيل الاشكال ويغني عن الانقاط والاشكال»[١]

وكان الدينوري صاحب «الاخبار الطوال» قد بدأ بذكر الانبياء من لدن أدم حتى توصل الى البحث عن الملوك العجم والخلفاء المسلمين وفتوحاتهم والفتن التي اشتعلت نيرانها في عصورهم فهو يبني تاريخه على كل ما جرى من الحادثات المشهورة والايام المنظورة فيفصلها تحت عنوانين الاكاسرة والسلاطين والامراء فيشبه بذلك ابن الاثير في الاسلوب الذي انتهجهُ والطريقة التي تمشى عليها وتنبئنا مقدمتهُ بخطتهِ فيقول

«... فيهِ ذكر ملوك الارض من لدن آدم عليهِ السلام الى انقضاء ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز وذكر من ملَكَ من ملوك قحطان وملوك الروم وملوك الترك في كل عصر واوان وذكر الائمة والخلفاء والحروب التي كانت مثل يوم القادسية وفتوح العراق وانصرام دولة العجم وحرب الجمل وصفين ويوم النهروان ومقتل الحسين بن علي عليهِ السلام وفتنة ابن الزبير وخروج الازارقة وحروبهم وايامهم وخبر المختار بن ابي عبيد وقصتهِ وسبب خروجهِ وخروج عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج وما كان بينهما وذكر خلافة عبد الملك والوليد ابن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز الى انقضاء ملك بني اميّة وخبر الدولة العباسية وقصة ابي مسلم الى خلافة المنصور وبنائهِ مدينة بغداد وايام الخلفاء من بعدهِ الى انقضاء امر محمد الامين وخبر المأمون الى آخر ايام المعتصم وخبر بابك وحروبهِ مختصراً من اليهِ مقتصراً على الاقتصاد.» [٢]

(١) مقدمة الكامل لابن الاثير ص ٢ — ٣

(٢) مقدمة الاخبار الطوال للدينوري ص ٢

اما الامام الفقيه ابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة صاحب كتاب « المعارف » « وأدب الكاتب » فكان يظن ان التاريخ يشتمل على فنون متنوعة من الآداب والمعارف فيروي لنا في كتابهِ (المعارف) شيئاً عن مبتدإِ الخلق وقصص الانبياء وأعقابهم ومنازلهم في المغرب والمشرق وأخبار الرسول واحوال ازواجهِ وأقاربهِ ومغازيهِ ثم لا يلبث ان يتكلم عن الصحابة والمهاجرين وخلفاء بني امية والخلفاء العباسيين والمحدثين والحكماء والنسّابين والنحويين والاخباريين ورواة الشعر واصحاب القراآت في ايامهم و يصف اشهر المساجد في الحجاز والعراق والشام و يتطرق بعد ذلك الى البحث عن جغرافية بلاد العرب وما بين النهرين والسودان وعن الفتوح العربية وأديان العرب في الجاهلية وصناعات أشرافهم واصحاب العاهات فيهم وايامهم والاقوام التي جرى المثل باسمائهم و يخبرنا اخيراً عن الاكاسرة وعلاقة العرب اللخميين بهم . فترى ان الرجل لم يكن يضع خطةً معلومة امامهُ حينما يكتب التاريخ بل يجمع ما تيسر لهُ عن كل المواضيع التي يدعونها « معارف » دون ان يكون ثمة علاقة بينها فكتابهُ اشبهُ شيء بكشكول اخبار وهو يمثل لنا الجماع في التاريخ فبينا تراهُ منهمكاً بذكر بني العباس اذا بهِ يرجع فيصبح جغرافيًّا فيصف بلاد العرب ثم اخباريًّا فيقص علينا ما شاء الله أن يفعل من قصص البرص والعرج والصم والجدع والصلع والعور الخ حتى يتساءل قارئهُ « تُرى اي علاقة لهؤلاء بمجاري التاريخ التي تصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل » ولماذا لم يعطف على اصحاب الظرف والفكاهة وارباب الجمال والدعابة فيُفرح قارئهُ بأخبارهم و يسر خاطرهُ باطايب احاديثهم بدلاً من ان يحزنهُ بتذكيرهِ بأصحاب العاهات. والحاصل انَّ ابن قتيبة أراد ان يكتب التاريخ فكتب كل شيء وقعت عيناهُ عليهِ او سمعهُ او درسهُ على مشايخهِ او ظفر بهِ حين الدرس والمطالعة فهو يمثل لنا ذلك الجماع من المؤرخين الذين يهضمون كل حقيقة و يأتون على كل شاردة وواردة

وهاك جانباً من مقدمتهِ التي يصف لك بها خطتهُ في كتابة التاريخ

« يشتمل على فنون كثيرة من المعارف اولها مبتدأ الخلق وقصص الانبياء وازمانهم واعمارهم وأعقابهم وافتراق ذراريهم ونزولهم بمشارق الارض ومغاربها واسياف البحار والفلوات والرمال الى ان بلغت زمن المسيح والفترة بعدهُ . ووصلت ذلك بذكر انساب العرب مختصراً ومقتصراً على العمائر ومشهور البطون ثم اتبعتهُ

أخبار رسول الله في نسبهِ وذكر عمومتهِ وعماتهِ وجداتهِ لابيهِ وامهِ واظآرهِ وازواجهِ واولادهِ ومواليهِ واحوالهِ في مولدهِ ومبعثهِ ومغازيهِ الى ان قُبض واخبار العشرة من المهاجرين ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء من لدن معاوية بن ابي سفيان الى احمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله والمشهور من صحابة السلطان والخارجين عليهم من الخوارج ثم التابعين ومن بعدهم من حملة الحديث واصحاب الرأي ومن عُرف منهم بالترفض والتشيع والارجاء والقدر واصحاب القراآت من اهل الحجاز ومكة والعراق والشام والنسّابين وأصحاب الاخبار ورواة الاشعار واصحاب النحو والمعلمين والمتهاجرين من الصحابة والتابعين وأول من احدث شيئًا بقي على مرور الايام . وذكرت المساجد المشهورة كالكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد البصرة ومسجد الكوفة ومسجد دمشق ومتى ابتنيت وعلى يد من اسست ودللتُ على جزيرة العرب وحدود السودان والجزيرة بين دجلة والفرات وحدود نجد والحجاز وتهامة — واخبرت عن الفتوح وما كان منها عنوةً وما كان عن صلح وعمن جُمع لهُ العراقان وعن فرق ما بين المهاجرين الاولين والمهاجرين الآخرين وعن المخضرمين وعن سبب اضعاف الصدقة على نصارى بني تغلب وعن اديان العرب في الجاهلية وعن صناعات الاشراف في الجاهلية وعن أهل العاهات الذين كثرت فيهم وعن البرص والعرج والصم والجدع والجذمى والحول والزرق والعُقم والكواسج والصلع والبخر والعور والمكافيف وعن المنسوبين الى غير عشائرهم وآبائهم وعن المسمين بكناهم وعن ذكر الطواعين واوقاتها وعن الايام المشهورة مثل يوم ذي قار والفجارين وحلف الفضول وحلف المطيبين وحرب بكر وتغلب او حرب داحس والغبراء وعن قصص قوم جرى المثل باسمائهم مثل قوس حاجب وباقل وقرطا مارية وخريم الناعم وحجام ساباط وشقائق النعمان وحديث خرافة ويوجان العص ومحبان ودائل الخطيب وطفيل الذي يُنسب اليهِ الطفيليون .... ومواعيد عرقوب وخفي حنين وعطر منشم وأخبرت عن ملوك الجبرة والردافة وعن ملوك فارس ملكاً ملكاً ومددهم وجمل من سيرهم[1] »

دار المعلمين — بغداد انيس زكريا النصولي

(١) مقدمة كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ١ — ٢ — ٣ — ٤

الصراع

تتمة القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية

٥

الليل مرخٍ سدوله القاتمة والطبيعة ممسكةٌ انفاسها وماء النيل العظيم يتوارد في سكون مترقِّب والقمر مرهف ينصت من بين الغيوم الى حديث شاب وشابة قد اتخذا من احجار خزّان اسيوط مقعداً رأيا احجاره الصلدة ارقّ من قلوب البشر وطمعا من صمتهِ الخالد في حارس امين على اسرار سلطان الهوى يتحكم في الارواح و يتصرف في القلوب

وكانت الشابة مثالاً للجمال الشرقي الاسمر الجذّاب الذي يوقظ نفوسنا ويستثير فينا ذكريات مبهمة عذبة جميلة عن الغواني الحسان اللواتي انسيْنَ سليمان حكمتهُ وضيَّعن على شمشون قوتهُ وسلبنَ انطونيوس نفوذهُ وسلطتهُ ..... تلك الدمى من البلُّور اللدن والعاج البض المزينة بشفاه مصبوغة بدماء الحياة وخمرها واسنان بهية كصخور الشواطئ البيضاء غسلتها الامواج وسكبت تحت اقدامها كل ما كان فيها من عزم وابهة وجلال — او عيون مسكرة ترى في نعاسها ليالي ساهرة نشوى مملوءَة باللذات كليالي الف ليلة وليلة، وحواجب اشرفت على العيون فابتليت بغرامها فتراها دقيقة كالمضنى يبسط ذراعيهِ ليطوّق محبوبهُ ثم يرجعهُ التنزيه والتقديس ويمنعهُ الخجل والضعة فيبقيها مبسوطتين رمزاً للحب الابدي اليائس ، وفوق الجميع تاج من الشعر الاسود تسكنهُ الاحلام والاماني حالك طويل كليل الصب لدن متثنٍ كالنسيم المعطَّر الراقص بين الاودية مهيب عزيز كلبدة الاسد، ورثت من امها حواء السحر والفتنة اللتين غلبت بهما ربها على امره يوم ان استلبت من يده ذلك المخلوق الذي براه على صورتهِ ومثالهِ ليجعلهُ بهجة نفسهِ وقرة عينهِ ، يوم ان استدرجت الرجل وخرجت بهِ الى العالم المتسع تاركةً الجنة بحراسها ذوي السيوف النارية المتقلبة مظهر الغضب الجبار بعد ان كان بالرجل والمرأة العريانين مظهراً لحب اللطيف ورحمتهِ : فتاة من ذلك الجنس الغريب الذي ضعفهُ مظهر قوتهِ وتجنيه دليل ودادهِ وتملقهُ برهان كراهتهِ — صوتهُ يحدثك بصوت اعلى من ضجيج العاصفة ، وحديثهُ غرّار كالسراب مبهم كالصدى خوّان كالقصبة المرضوضة . وكان رأسها الجميل مستقرًّا على صدر الشاب كالامل العذب في صدر الفتوة

وكانت ذراعهُ القوية تمنطق عنقها اللدن كما تمنطق التميمة الفعالة عنق الصبي المدلل — اما الشاب فقد كان رمز الرجولة .. قوام ممتلئ ممشوق ، وعنق قوي غليظ ، يحمل وجهاً كتبت عليهِ آية العزم الذي لا يلين والصبر الذي لا ينفد والشجاعة التي لا تعرف الخوف تستطيع ان تستشف من ملامحهِ سماة الشعب التركي الباسل

طال الصمت وضجر القمر المنصت من بين الغيوم فبرز والقى على الحبيبين تلك الغلالة الرقيقة المسحورة التي تظهر خفايا متسربلها ورفعت الفتاة رأسها عن صدر رفيقها ، كأنها استأنست بشبيها ، وارسلت زفرة حرّى نقطعت لها نياط قلب الشاب ، فاختطف اصابعها اللدنة ، وابقاها بين يديهِ القويتين كأنهُ يحميها من خطر يراهُ بعيني روحهِ ، وقال وهو يتكلف رسم صورة الجلد والاستخفاف على وجههِ المتعب المضعضع ـ ما لك واي الناس تصفو مشاربهُ ؟

ادارت الفتاة رأسها ببطء ، وعيناها تبحثان عن عيني رفيقها ثم قالت ـ انت تريد ان تغسل كلوم قلبي بدماء قلبك التي اسالتها السكين ، التي تطعننا معاً . وان تطفئ لهب روحي برماد روحك الذي خلفتهُ النار التي تحرقنا معاً ..... لكن الميت لا يحيي الميت والسمُّ لا يشفي من السم

وقف الشاب تمثالاً للغضب اليائس وصاح بصوت كزئير الاسد المحبوس ـ لو كان الرجل جرؤ ان يرفع بصرهُ الى بهائك ، رجلاً غير أبي اذن لاعتصرت قلبهُ بيدي الى ان ازيل حتى ذكريات حبك من نفسهِ ، ولسحقت رأسهُ بقدمي الى ان امحو حتى رسمك من مخيلتهِ . . . ولكنهُ ابي — ابي الذي احبني ويحبني فلا استطيع ان اكرههُ .... انهُ ابي .... ابي .... ابي !!!

— نعم هو ابوك ابوك الذي تحبهُ اما انا فما انا ..... انا المراة التي فتحت اذنيها لصوت قلبها ، فاحبت الرجل الذي عينهُ ، فعُدَّ هذا جرماً عليها تعاقب من اجلهِ بان تدفع الى ذراعي الاب بدلاً ان ترتمي على صدر الابن ، وان تكره على لثم الرأس الاشمط ببياضهِ الشائع بين سوادهِ كخناجر مشهرة في الظلام ستغمد في قلبها ، بدل ان تتمتع بالتهالك على تقبيل الشفاه التي اسمعت قلبها النشيد الذي لقنهُ الله لآدم يوم ان سلمهُ حواء ، الذي يردده العصفور لاليفتهِ وهما مختبئان بين اوراق الربيع ، النشيد الحلو الذي يربط الرجل بالمرأة ... فاذا هما كلٌّ لا يقبل التجزئة وبعضٌ يكملهُ الله

— هدى.... حياتي ... لا تعذبيني انت تعلمين اني احبك بمجموع قلبي .. — ..

وهل شككتُ انا في حبكَ ؟ لا ولن اشك لكن اسمع خطتي ... فان اجبتك قبلني. سأكون عروسك او عروس القبر

— وسأكون عريسك او عريس الابدية

وكانت قبل خرساء وعهد مكتوب بالدموع المنسجمة في اسيً صابر معتزم

٦

الساعة العاشرة مساءً والليل ساجٍ ساكن لا يسمع فيهِ الأ صوت المقرئ الحلو يرتل آي الذكر الحكيم . وكان قصر جلال بك منتصباً في الظلام كمارد طويل يظهر النور من خلال نافذتين متجاورتين فيهِ . الاولى نافذة جلال بك والثانية نافذة ابنهِ عصام — وكان جلال بك جالساً امام مكتبهِ وبيدهِ ورقة طويلة بها اسماء مزارعي الناحية وامام ثلاثة اسماء منها علامات خطت بمداد احمر — هؤلاء الثلاثة هم الذين كان يخشى جلال بك ان تبلغ بهم الجسارة حدًّا يخرجون فيهِ عن ارادتهِ في الاجماع على انتخاب امين باشا ... رفع جلال بك نظره عن الورقة وحوّلهُ الى سقف الغرفة ثم قرع الجرس قرعاً شديداً متواصلاً . . .

استدع سيدك عصاماً

وكان عصام امام مكتبهِ معتمداً رأسهُ بيديهِ وفي عينيهِ بريق مرعب وقد ارتسم على جبينهِ القنوط الميت جنباً الى جنب مع العزم المستميت

— سيدي البك يريد مقابلتك   طيب

— وقف عصام ويدهُ على جبهتهِ الملتهبة وهو يقول .. أيتها السماء ادخري قوتك لي ، ايتها الارض اعيريني ثباتك واستقرارك ، ايها الجحيم اخلع عليَّ استارك وتلهبك

— عم مساء يا ابتاه — نعمت مساء يا عصام .. اجلس . تهالك عصام على اقرب كرسي اليهِ وقلبه مضطرب خافق لانهُ احس بعصا القدر تسوقهُ الى مصير مجهول . رآها تقلب العاصفة لتقيمها في وجه العاصفة، وتدير رأس الموجة لتسوقها الى الاصطدام بالموجة، وتحول الاسد عن طريقهِ لتحملهُ على الاصطدام مع الاسد

وأحس عصام في تلك الساعة انهُ بطل ، لانهُ كان يدافع عن الحرية التي تعلم ان قدسها و يعبدها ، وعن الحب الذي كرّس حياتهُ لهُ ، وعن البنوة التي تحملهُ ان

تدفع الطعنة الموجهة الى صدر امه، امهِ التي كان رأسهُ الملتهب ملقى على صدرها المضطرب من ساعة واحدة وينظر الى وجهها الجميل الحزين كورود الضريح ، البهي المختنق كشمس الغروب ، الثابت المتألم كايمان الشهيد ، يسمع صوتها الحلو تقطعهُ الزفرات والقبل، يهمس في اذنهِ « قلبي معك يا عصام والضربة الموجهة الى رجولتك ستمر اولاً على انوثتي . ابوك زوجي رأى فتاة هي حبيتك فاعجبتهُ ، وانت رأيت رجلاً هو ابوك يسطو على حمامتك فانت ستنقض عليهِ ويد القدر سلحت الاب بالشهوة وسلحت الابن بالغيرة وساقتهما في الظلام ليقتتلا ، واخشى ان يرفع الستار فاذا مدية الاب في قلب الابن ومدية الابن في قلب الآب وتبقى الام الزوجة وحدها ، تدعو لقاتل ابنها وتترحم على الفاتك بزوجها. انا لا استطيع ولا اريد ان اقف في وجهِ ابيك ومع ذلك فان الخمس وعشرين سنة التي قضتها روحي في التفاهم مع روح ابيك تمكنني من ان اقول بثقة ان اباك ليس شريراً. انهُ يثور حتى لتحسبهُ سيحرقك حيًّا ، ثم يذوب حتى لتراهُ سيغرقك رأفة ، وكثيراً ما استنزل بهول غضبهِ دموعي ، ثم مسح بقبلات ندمهِ عبراتي . . . . . . نعم ابوك ليس شريراً وفوق ذلك هل نسيت وجود الله ؟ »

انتبه عصام فجأة من احلامهِ على صوت ابيهِ يقول في عزم :

— انك سترافع غداً في قضية احمد محمد عسران ؟

— نعم

اذاً فلا تذهب بل كلف من يطلب التأجيل . لكن . . . لماذا ؟

وقف جلال بك و يداهُ وراء ظهره واخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً ووقف عصام صابراً متلهفاً مستعدًّا ـ استدار جلال بك فجأة وقال ـ سينجح امين باشا في الانتخابات لاني اعاونهُ ، وانت تعلم ان عسراناً قد تبلغ بهِ القحة حدًّا قد يفكر معهُ في الخروج على امري في انتخاب امين باشا فانا اريد ان تكون قضيتهُ لجاماً يضمن لي تسييرهُ وفق ارادتي

ـ لكن هذا لا يتفق مع مبادئ الحق والعدل وانا . . . . . .

هاج هائج جلال بك فضرب المنضدة بقبضة يدهِ ثم قال ـ الحق والعدل !!! . . .

ثم استطرد في غضب مكظوم ـ اعبد حقك وعدلك كما تشاء لك نفسك الطائشة وعقلك الفج ولكن بعد هذه المرة . . . . اسمع ، اني عازم على الزواج بهدى ابنة امين باشا ومقابل ذلك سينجح أمين باشا في الانتخابات . . . . وانا واثق انك لا تريد ان تقف في سبيل مسرة نفسي . . . . ايه ؟؟؟ . . . .

أني اضحي بحياتي لاطبع ابتسامة على شفتيك ، واسفك دمي لا غسل كدراً عن قلبك ، ولكن المسرة التي تطلبها ستجتاح في وجهها حرية الوف من البشر لهم حق في الحرية ، وستسلب من زوجتك امي حباً استحقتهُ بتضحيتها ووادادها واحتمالها خمساً وعشرين سنة

— ايها الكلب اخرس . . . اخرس . . .

— وفوق ذلك فهي لا تعوضك عن قلب امي قلباً آخر لان هدى حبيبتي وانا حبيبها وقلبها لي وحدي

اخرس أخرس ايها الكلب . . . اقتلك . . .

برح عصام غرفة ابيهِ رافع الرأس هائل المنظر واغلق الباب وهو يتمتم « انا لست كلباً »

٧

مرت على جلال بك ساعتان طويلتان وهو يذرع غرفتهُ جيئةً وذهاباً كالاسد المحبوس ينقل يدهُ من رأسهِ الملتهب بنار الغضب والشهوة ليضعها على قلبهِ الخافق بعواطف الابوة والحب . تركض امامهُ في الغرفة الضيقة ثلاثة خيالات غريبة الاول عصام شبلهُ برأسهِ المرتفع وعينيهِ القويتين يصيح فيهِ « ستخسر قلب زوجتك وقلب ابنك وستكسب فقط كراهة الالوف من الناس ، اما قلب هدى فلي وحدي » والثاني خيال « جميلة » الزوجة الوفية بوجهها الجميل الصابر المؤمن تهمس في اذنهِ « ارجع اليَّ يازوجي » الخيال الاول يستثير فيهِ عاطفة الابوة والخيال الثاني يزكي فيهِ عاطفة الزوجية . . . . اما الخيال الثالث فلفتاة فتانة ساحرة تحيط برسمها الغيوم الزهية يستثير فيهِ عاطفة الشهوة ان صح ان نسميها عاطفة .. فكان وجه الرجل مسرحاً لصراع الشر مع الخير . . . . . : لصراع الشهوة التي ستأسر قلبهُ وستأسر من ورائهِ ارادة الوف ، مع الزوجية والبنوة وما يتلوهما من سعادة وحرية ، وكان صراعاً قوياً في نفس قوية وان لم تتصارع العواطف في نفس جلال ففي اي ميدان تتصارع

— هو يقول انهُ يضحى بحياتهِ ليطبع ابتسامة على شفتيَّ ويسفك دمهُ ليغسل همّاً عن قلبي . . . . ما اكذبهُ !!! ألم يقف في وجهي انا ابوهُ . . . . ألم يثُرْ على ابيهِ في سبيل فتاة ؟ . . . . . لكن ان كنت انا وانا الكهل قد دست في سبيل الشهوة التي موضوعها هذه الفتاة زوجتي وابوتي فلماذا الومهُ لانهُ في سبيل حبهِ للفتاة عينها وبنوتهِ لامهِ قد ثار على ابوتهِ ؟ . . . . . لكن هل استطيع ان اصفح عن وقاحتهِ . . . . . . ؟

ارتمى جلال بك على المقعد الاقرب مجهوداً وهو يغمغم « انهما متحابان » ثم وثب فجأة لفكر هائل طرأ عليهِ وهو يصيح عشيق زوجة ابيه ، الفاجر ، الفاجر ...... ثم ارتمى على مقعده مرة ثانية وهو يقول ولكنها ليست زوجة أبيهِ ..... ومن قال انهُ عشيقها قد يكون حبيبها فقط وهل تزوجت انا جميلة الاَّ بعد ان احببتها اولاً ؟ ثم وقف ورأسهُ ملتهب طافح بالخيالات والهواجس وفتح النافذة وهو يقول

«ايتها السماء انقذيني من هذه الافكار »

دخل هواء الليل البليل يحمل على اجنحتهِ الخفية صوت المقرئ الرنان يرتل من القرآن الكريم

«وان خفتم الاَّ تعدلوا فواحدة »

وهكذا استجابت السماء دعوة جلال بك في اسرع مما كان ينتظر

٨

عاد عصام الى المنزل في الساعة التاسعة مساءً فانبأهُ البواب ان اباهُ ينتظرهُ بمنزل امين باشا وكان عصام يعرف ان هذا المساء هو آخر المهلة بين جلال بك وامين باشا ولكنهُ مع ذلك سار الى منزل امين باشا وهو يقول «اذن سأكون شاهداً في حفلة زواج ابي بحبيبتي .... ولمَ لا ؟ ! ما دام الانتحار سيخلصني من آلامي كلها فلأشرب الكأس حتى الثمالة

وكان جلال بك قد وصل الى منزل امين باشا قبل وصول عصام فاستقبلهُ الباشا في بشر ضعيف مستخر

— خير ان شاء الله يا باشا — كلهُ خير يا بك —

— عظيم لكن هل حضر العريس ؟

رفع امين باشا رأسهُ وهو لا يفهم ماذا يقصد جلال من التعمية ولكن قال وهو يشير اليهِ في انحناء خفيف

— أجل حضر محفوفاً باليمن والاقبال

— اذاً اين هو . اني لا أراهُ ؟

امتلأت عينا امين باشا دهشة ورأى ان هناك شيئاً غير التعمية

وساءل نفسهُ « هل جنَّ جلال بك ؟ » ثم سألهُ في لهفة « عمن تتكلم ؟ »

— عن العريس عصام ، عصام الذي ستزف اليهِ ابنتك بعد ان ارتبط قلباهما برباط الحب

— عصام !! عصام !! ولكننا . . . .

— نعم عصام ٠هل ترفض عصاماً زوجاً لابنتك ؟ . . . . انني قوي ولكن قوتي قد خانتني لما حاولت ان اسلب ابني وزوجتي سعادتهما . . . . . .قد عدلت عن كل افكاري . . . . . هل ترفض عصاماً ؟

— انا . . . . . . انا لا ارفض ولا هدى ايضاً ترفض

— اذن فليتمتع الشباب بالشباب

— ارتمى امين باشا على مقعدهِ وهو يرتجف غبطة ثم وقف وقال « فليتمتع الناس بحرية الانتخاب » وفي تلك اللحظة دخل عصام وحيّا وظل واقفاً فقال ابوه اجلس٠ لا ٠ هنا قريباً مني .مالك نافر الست راضياً عن عروسك

رفع عصام عينيهِ الى عيني ابيهِ وفيهما من الالم والغضب اكثر مما فيهما من الدهشة والذهول ثم ارخاهما في يأس حزين وهو يكرر

« ما دام الانتحار سيخلصني من كل آلامي فلأشرب الكأس حتى الثمالة ولاحتمل حتى السخرية المرة »

جلال بك ــ مالك متهدل هكذا ؟ ألم تصرح لي البارحة انك تحب هدى وان هدى تحبك وها قد قبل سعادة الباشا ان يزفها اليك فما لك تتلقى الخبر بهذا البرود ؟ ثم استطرد مداعباً : وأين حماس الامس ؟!!

رفع عصام عينيهِ الى امين باشا فرآهُ يبتسم وفي تلك اللحظة سمع تأوهاً اعقبهُ سقوط جسم شخص كان ينصت من ثقب الباب وعلم عصام صوت المتأوهة وادرك الحقيقة كاملة فوثب الى الباب كالمجنون وتبعهُ الرجلان فاذا هدى مغمى عليها بين ذراعي عصام واذا عصام يوسعها قبلاً واذا الرجلان يبكيان بصوت عالٍ . . . .

وهكذا تنحت الشيخوخة وبرز الشباب فاندحرت الشهوة وانتصر الحب وسقط الاستعباد وقامت الحرية

وانتهتِ المعركة كالاعصار ٠٠ جبار قصير الاجل

وكانت الملائكة تصفق في السماء وكان الحق يبتسم على العرش

ملوي سليم شحاته

النثر العربي في نصف قرن

الرأي الشائع بين المحافظين من اهل الادب العربي واصحاب العلم بهِ ان النثر ايسر من الشعر وان اصطناعهُ شيء سهل لا يكلف صاحبهُ عناء ولا مشقة ، وهم من هذه الناحية يقدمون الشعر على النثر ولهم في ذلك مباحث طوال وكلام كثير تستطيع ان تلهو بهِ اذا نظرت في كتاب العمدة لابن رشيق وما يشبههُ من الكتب . وما اظن ان رأي الادباء تغيَّر في هذا الموضوع فهم ما يزالون يعتقدون ان الشعر اعسر من النثر وابعد منهُ متناولاً ، ثم ما يزالون يعتقدون ان النثر اقدم من الشعر وجوداً ، وهم معذورون فظواهر الاشياء كلها توهم ذلك وتحمل على الجزم بهِ . فالنثر مطلق لا قيد فيهِ والشعر مقيد بالوزن والقافية والنثر مشبه في اطلاقهِ لكلام الناس في حياتهم اليومية وحوارهم المألوف. واذن فالناس يتكلمون نثراً وهم يتكلمون قبل ان يشعروا وهم لا يجدون مشقة في الكلام وهم يجدون في نظم الشعر مشقة وعناء واذن فالنثر اقدم من الشعر وايسر وادنى منالاً .

ومن هنا يقسم مؤرخو الآداب العربية كلام العرب الى منظوم ومنثور ومسجوع ، وهم يرون ان النثر كان في العصور القديمة اكثر من الشعر ولكن ما حفظ من قديم الشعر اكثر جدًّا مما حفظ من قديم النثر ، وتعليل هذه الظاهرة لاعسر فيهِ فالشعر اشد عسراً من النثر في الانشاء ولكن الشعر ادنى الى الحافظة واسلس لها قياداً من النثر ، اليست القيود التي تأتيهِ من العروض والقافية تقربهُ من الحافظة وتجعل في استظهارهِ لذة وراحة لا نجدهما في استظهار النثر ؟ فاذا كان ما نرويهِ من نثر العرب قبل الاسلام قليلاً فليس ذلك لانهم لم ينثروا بل هو لانهم لم يكونوا يكتبون ولان حافظتهم لم تكن تطاوعهم الى حفظ النثر واستظهارهِ فضاع نثر العرب الجاهليين الا اقله و بقي شعر العرب الجاهليين الا اقله

كذلك كان يقول القدماء وكذلك ما يزال يقول المحدثون . ولكن شيئاً من التفكير والنظر في آداب الامم المختلفة يضطرنا الى ان نعدل عن هذا الرأي القديم ، فمن العجيب ان تتفق الامم كلها على ان تحفظ من شعرها القديم اكثر مما تحفظ من نثرها في عصورها الاولى ، ومن العجيب ايضاً ان تتفق الامم كلها في ضعف الذاكرة عن النثر وقوتها على الشعر . ومن العجيب بعد هذا وذاك الاَّ تضعف ذاكرة هذه الامم الاَّ عن النثر القديم ، فاما النثر الذي يظهر بعد ان تبلغ الامة من الرقي العقلي والمدني طوراً ما فان ذاكرتها

تقوى عليهِ وتنهض باستظهارهِ كما تقوى على الشعر وتستظهرهُ . الحق ان الامم اذا لم ترو شيئاً من نثرها القديم فليس لذلك سبب الاَّ انها لم يكن لها نثر في اطوار حياتها الادبية الاولى واذا روت كثيراً من شعرها القديم فلانها كان لها شعر في اطوار حياتها الاولى هذه اي ان الشعر اسبق الى الوجود من النثر وانهُ ايسر منهُ وادنى منالاً . وانت اذا نظرت في تاريخ الامم القديمة والحديثة واذا نظرت في حياة الامم التي لم تكد تتحضر بعد فسترى انها كلها تسبق الى الشعر ولا تهتدي الى النثر ولا تظفر بهِ الاَّ بعد زمن طويل وجد غير قليل ورقي في الحضارة وتقدم في الحياة العقلية لا بأس بهما ، تجد ذلك عند اليونان وتجدهُ عند الرومان وتجدهُ عند العرب وتجدهُ عند الامم الاوربية الحديثة

وحيثما وجهت في القبائل التي لم تستقر بعد فسترى كلاماً منظوماً لهُ اوزانهُ وقوافيهِ دون ان تجد لها هذا النثر الذي يظن رجال الادب انهُ اقرب من الشعر منالاً . ذلك ان النثر ليس اقرب من الشعر منالاً في حقيقة الامر ولعل حظهُ من العسر ليس اقل من حظ الشعر ان لم يكن اكثر منهُ . فالنثر لغة العقل والشعر لغة الخيال ، والخيال اسبق الى النمو في حياة الافراد والجماعات من العقل ، خيال الصبي والشاب اقوى من عقلهِ وخيال الجماعات غير المتحضرة اقوى من عقلها فليس عجيباً ان يتكلم الخيال قبل ان يتكلم العقل وليس عجيباً ان يوجد الشعر قبل ان يوجد النثر وليس عجيباً ان يكون الشعر ايسر تعاطياً وادنى تناولاً من النثر . فالخيال ، إنْ يتقيَّد بالوزن والقافية حين يتكلم فهو لا يتقيد بشيء آخر . هو حر طلق يمضي حيث يشاء ويصور الاشياء كما يشاء لا كما تشاء الاشياء او لا كما تشاء الطبيعة ، اما العقل فقد يطلق نفسهُ من قيود الوزن والقافية ولكن ما اثقل القيود والاغلال التي تأخذهُ وتعوقهُ عن الحركة ولا تأذن لهُ بالتقدم الاَّ في بطءٍ واناة ، هو لا يطير ولا يحسن ان يطير وهو لا يعدو ولا يستطيع ان يعدو فاذا حاول الطيران او العدو فليس هو العقل الخالص وانما هو العقل قد غلب عليهِ الخيال ، هو لا يطير ولا يعدو ولكنهُ يسعى في هدوء ، وهو لا يصور الاشياء كما يشاء ولكنهُ يقبل صورها كما هي ، هو مقيد والخيال مطلق وهو بطيء والخيال سريع ، فليس عجيباً ان يتأخر نموّه عن نموّ الخيال وليس عجيباً ان يكون انتاجهُ اعسر واقل من انتاج الخيال وليس عجيباً آخر الامر ان يكون النثر الذي هو لغة العقل احدث وجوداً من الشعر الذي هو لغة الخيال

ولكن مالي ولهذا كلهِ واين انا من الموضوع الذي اريد ان اكتب فيهِ وهو النثر العربي في هذا العصر الذي نحن فيهِ ؟ وما هذه المقدمات الطويلة ؟

اليس القارىء يحسّ اني اطيل عليهِ واثقل في غير نفع ولا جدوى ؟ بلي . ولو كنت من اصحاب الخيال لما اطلت ولا اثقلت ولا احتجت الى مقدمات فالخيال كما قلنا خفيف حر يأتي حيث شاء وكيف شاء ولكني اريد ان اكتب نثراً اي اريد ان احمل عقلي على ان يتحدث الى عقل القارىء وقد قلنا ان العقل رزين بطيء لا يطير ولا يعدو ولكنهُ يسعى في اناة فليسعَ القارىء معي في اناة ايضاً ولينتقل معي من كل هذه المقدمات الى حيث اريد ان انتقل بهِ ليلاحظ ان هناك صلة قوية جداً بين الحياة العقلية وحظ النثر من القوة والضعف، من الرقي والانحطاط، من البرد والحر والفتور . متى بلغ النثر اليوناني اقصى ما استطاع ان يبلغ من الرقي ؟ في عصر سقراط وافلاطون . ومتى بلغ النثر العربي اقصى ما كان يستطيع ان يبلغ من الرقي؟ في عصر ابن المقفع والجاحظ واشباههما اي ان رقى النثر كان عند اليونان والعرب رهيناً برقي الحياة العقلية وانبساط سلطان الفلسفة على العقول وهو كذلك عند الرومان وهو كذلك في امم اوروبا الحديثة وهو كذلك في مصر

ان الذين يريدون ان يؤَرخوا الآداب العربية في هذا العصر الحديث خليقون الاَّ يقطعوا الصلة بين الادب والعلم والا يظنوا ان الحياة الادبية تستطيع ان تستقل استقلالاً تامًّا عن الحياة العلمية بل هم خليقون ان يعتقدوا ان ليست هناك حياة ادبية وحياة علمية وانما هناك حياة عقلية واحدة تظهر مرّة في شكل ادبي هو النثر الفني وتظهر مرة اخرى في شكل علمي هو هذا النثر الذي نجدهُ في كتب العلم الخالص . اقول ان الذين يدرسون تاريخ الادب في هذا العصر الحديث خليقون ان يقدروا تأْثير العلم والفلسفة في هذا الادب وفي النثر بنوع خاص ، فليس يمكن ان يكون من اثر المصادفة وحدها ان تطّرد الصلة بين الرقي العلمي والفلسفي ورقي الآداب عامة والنثر منها بنوع خاص، .

وفي الحق انك حين تقرأ هذا النثر الذي كان يكتب في الشرق العربي في اول القرن الماضي لن تشعر بالفساد الفني الادبي وحدهُ ولكنك ستشعر قبل هذا بخلو ما تقرأ من المعنى القيم وباعدام هذه العقول التي يترجم عنها هذا النثر وستشعر بعد هذا بما ينتج عن اعدام هذه العقول وفقرها من الفساد الفني الذي يتصف بهِ النثر العربي في كل العصور التي ضعفت فيها الحياة العقلية الفلسفية

لا يخدعنك ما ترى من هذه الزينة اللفظية والبهرج البديعي والبياني من سجع وتكلف في الاستعارة والمجاز وفي التشبيه والكناية والتورية وما اليها فليس هذا كله الاَّ تكلف المعدم البائس يريد ان يظهر مظهر الغنيّ المثري . انما مثل هؤُلاء الكتاب

الذين يتكلفون الوان البديع والبيان في غير فائدة ولا جدوى مثل هذه المرأة اعوزها الجمال الفطري فهي تتكلف الزينة ، واعوزها حرّ الحلى فهي تخدع الناس ببهرجة زائفة.
ومن هنا تستطيع ان تلاحظ ان النتيجة القيمة التي جاء بها القرن الماضي في النثر العربي انما هي اطلاق النثر من هذه القيود البديعية والبيانية وهو لم يطلقهُ من هذه القيود عبثاً وانما اطلقهُ منها لان منحهُ هذا الروح القوي الذي مكنهُ من ان يستقل بنفسهِ ويستهوي العقول والالباب قليلاً قليلاً وهـذا الروح القيم الذي بث الحياة في النثر العربي والقى عنهُ هذه اللفائف البالية التي كانت تثقلهُ وتعوقهُ عن الحركة انما هو المعنى وهذا المعنى انما جاء من الحياة العقلية التي انشطها العلم والفلسفة في القرن الماضي . وليس ادلّ على صدق ما نقول من انك تنظر فترى انطلاق النثر من هذه القيود وبراءتهُ من هذه الاغلال لم يأتيا عفواً ولم يتما فجاءة وانما كانا رهينين بوجود الصلة ونموها بين الشرق والغرب اي بين العقل المعدم والعقل الغني . مؤلم جداً هذا الشعور الذي تجدهُ حين تقرأ الجبرتي وامثالهُ من الذين كانوا يكتبون في اول هذا العصر الحديث ولكن توسط القرن الماضي واقرأ ما كان يكتب في مصر والشام فستجد شيئاً من اللذة يشوبهُ شيء من الالم كثير ذلك لانك تقرأ كلاماً يدل على شيء ويريد بنوع خاص ان يدل على شيء ولكنهُ لا يكاد يبلغ ما يريد لان حظهُ من المعنى قليل من جهة ولانهُ لم يستطع بعد ان يخلص من تلك القيود والاغلال من جهة اخرى . ثم صل الى الثلث الاخير من القرن الماضي واقرأ ما كان يكتب في مصر والشام ايضاً فسيعظم حظك من اللذة وستشعر بشيء من الالم ولكنهُ ليس هذا الالم الذي تجدهُ حين تشهد البؤس والاعدام وانما هو نوع آخر من الالم تجدهُ حين تشهد التكلف والتصنع وحين تحس ان هذه المعاني لو اطلقت من قيودها وارسلت على سجيتها لاحدثت في نفسك من البهجة واللذة ما لا تستطيع ان تحدثهُ وهي مثقلة بما يحيط بها من لفائف البديع والبيان . كل هذا يدل على ان النثر العربي قد كان ثقيلاً بغيضاً اول القرن الماضي لانهُ كان قليل الحظ من الحياة العقلية لا اثر فيهِ لشخصية الكاتب ولا لتفكيرهِ او قل لانهُ كان فقراً كلهُ ثم اثرى العقل الشرقي شيئاً فشيئاً فدبت الحياة في النثر بمقدار هذه الثروة العقلية واخذ هذا النثر كلما احس حياتهُ وقوتهُ يجتهد في ان يخلص نفسهُ من قيود الفقر واغلال البؤس حتى انتهى الى حيث هو الآن من حرية وانطلاق . فالنثر اذن مدين في هذا العصر بحريتهِ وانطلاقهِ ورقيهِ الفني كما كان مديناً في غير هذا العصر بهذه الاشياء كلها للعلم

والفلسفة وما احدثا من تنشيط العقل وردهِ الى اليقظة بعد النوم والى الحركة بعد الجمود. ومن الحق على الكتاب المجيدين ان يعرفوا ما للعلماء والفلاسفة عليهم من فضل وان يقدروا ما للذين نقلوا اليهم العلم والفلسفة عندهم من يد ، فلولا المترجمون في العصر العباسي ما عرفت العربية نثر ابن المقفع والجاحظ، ولولا المترجمون في هذا العصر الحديث ما عادت للنثر العربي حياتهُ القوية النشيطة التي نريد ان نتحدث عنها بعض الحديث

اخشى ان اكون مسرفاً بعض الشيء . فان حياة النثر العربي في هذا العصر لم تأت كلها من قبل العلم الحديث والفلسفة الحديثة وانما جاءت من قبلهما ومن قبل شيء آخر هو الادب العربي القديم في عصورهِ الراقية. فقد كان الكتاب واهل العلم في اوائل القرن الماضي يجهلون او يكادون يجهلون قديم العرب وما كان لهم من شعر جيد ونثر رائع، وكان الذين يلمون منهم بهذا الادب القديم لا يكادون يفهمون ما يلمون بهِ على وجههِ وكانوا لا يحاولون ان يتأثروهُ او يحتذوهُ. اما الآن فقد تغير هذا كلهُ وعرف الادب العربي القديم وعادت الحياة الى الشعر العربي والنثر العربي فنحن نقرأهما ونحفظها وننقدهما ونتأثرهما ولهذا كلهِ حظ عظيم من التأثير في جودة ما نكتب من نثر وما ننظم من شعر . ولكن ما الذي ردَّ الحياة الى الادب العربي القديم وما الذي ذكَّر كتاب الشرق وشعراءهُ بهذا الادب وما الذي حملهم على قراءتهِ وروايتهِ ونقدهِ واحتذائهِ ؟ انما هو هذا الروح العلمي الذي جاءنا من الغرب ونقلهُ الينا المترجمون . هذا الروح العلمي هو الذي أنشط العقول وحملها على ان تفكر في القديم والحديث وعلى ان تغذو نفسها بهما معاً. واذن فانا لم اسرف ولم اتجاوز الحق حين رأيت اننا مدينون بحياة النثر لهؤلاء المترجمين الذين اوجدوا الصلة بين الشرق النائم والغرب اليقظ . ولقد احب ان اعرف حظ البلاد الشرقية في ايجاد هذه الصلة الخصبة القيمة بين الشرق والغرب فلا اجد في ذلك مشقة ولا عسراً . فالبلاد التي ردَّت الى الشرق حياتهُ العقلية والادبية في هذا العصر هي بعينها البلاد التي احيت الشرق في العصور الاولى حياة قوية مطردة لا عارضة ولا متكلفة. نعم لم يستمد الشرق العربي حياتهُ قديماً من شمال افريقية ولا من جزيرة العرب بل لم يستمدها من العراق وانما استمدَّ حياتهُ الصالحة الخصبة في نظام واطراد من مصر والشام . من هذين القطرين ازهرت الحضارة الشرقية الخاصة ، ومن هذين القطرين انبعثت الحضارة الى اطراف الشرق وفي هذين القطرين اثمرت الحضارات الاخرى التي نشأت من غيرهما وسيطرت على الشرق حيناً طويلاً او قصيراً كحضارة اليونان والرومان والعرب،

والى هذين القطرين لجأت الحضارات الشرقية وغير الشرقية حين ضاقت بهــا البلاد الاخرى فوجدت فيهما ملجأً امينًا ومأوى حصينًا . نعم وفي هذين القطرين نشأت النهضة الشرقية في هذا العصر الاخير . نشأت في مصر ونشأت في الشام اوائل القرن الماضي واستبق القطران فيها استباقًا عظيمًا حتى اصبح من العسير ان نحدد الحظ الذي ظفر بهِ كل منهما في هذه النهضة . فبينما كان امراء مصر من الاسرة العلوية يجدّون في انهاض مصر وتقوية الصلة بينها و بين الغرب وارسال الوفود العلمية الى اوربا واستقدام العلماء الاوربيين الى مصر واقامة المعاهد العلمية المختلفة ونقل الكتب في الوان العلوم والفنون كان المسيحيون من اهل الشام يتصلون باوربا اتصالاً قويًّا لاسباب مختلفة منها السياسة ومنها الدين ومنها العلم . وكانت تحدث في بلاد الشام حركة مشبهة جدًّا لهذه الحركة التي كان يستحدثها الامراء في مصر وكانت تنتج عن هاتين الحركتين في مصر والشام نتيجة واحدة هي نشاط العقل الشرقي واستئنافهُ الحركة والحياة . ولكن من الحق ان نلاحظ ان مظهر النهضة كان في مصر علميًّا عمليًّا او اقرب الى العلم والعمل منهُ الى اي شيء آخر بينما كان مظهر الحركة في الشام اقرب الى الادب واللغة وادنى اليهما منهُ الى اي شيء آخر . فانت تستطيع ان تجد في مصر في اثناء القرن الماضي العلماء اللذين تفوقوا في الطب والرياضة والطبيعة ولكنك لا تكاد تظفر فيها باديب يعدل هؤلاء الادباء الذين كثروا في الشام . وانت تستطيع ان تجد في الشام ادباء تفوقوا في الادب واللغة واستحدثوا فيها الجديد النافع ولكنك لا تجد في الشام مثل من تجد في مصر من العلماء . ومهما يكن من شيء فقد ارادت ظروف الحياة التي احاطت بالقطرين ان يلجأ النشاط السوري في الادب واللغة الى مصر منذ اواخر القرن الماضي وان تكون القاهرة مستقر الحركة العقلية القوية في الشرق كله فانتقل ادباء السوريين وعلماؤهم الى مصر ووجد نشاطهم فيها ما لم يكن يجدهُ في الشام من القوة والتشجيع فآتى ثمرتهُ الباقية الخالدة واصبح النثر العربي الآن اصدق مزاج التأم فيهِ الروحان السوري والمصري التئامًا لا سبيل الى تفريقهِ . ولست اقول هذا الكلام عبثًا ولا اطلقهُ من غير دليل فليس من شك في ان الصحافة صاحبة الحظ الموفور في نشر الادب والعلم وانشاء النثر الحديث ، وانا حين اذكر الصحافة لا اريد بها اليومية دون الاسبوعية او دون الشهرية انما اريد الصحافة كلها والصحافة سورية مهما يكن من شيء . ولعلَّ احداً لا يستطيع ان يناقش في ان الصحافة المصرية الخالصة حديثة العهد بالوجود وانها على ما بلغت من قوة الايد

وشدة الاثر في هذه الايام لم تستطع ان تسبق الصحافة السورية ولا ان تتفوق عليها . وحسبنا ان نلاحظ ان الصحافة المصرية ان كانت قد بلغت من القوة في هذه الايام حظاً موفوراً فهي بعد لم تستطع ان تتجاوز السياسة وهي ان اثرت في الادب فمن طريق السياسة ومن السعي الى السياسة فاما الصحافة الادبية والعلمية الخالصة التي تتناولها لتقرأ فيها فصلاً من فصول الادب او مبحثاً من مباحث العلم ليس غير فما زالت الى الآن سورية وهي ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين وتجد في تضيفها اياهم حياة وقوة ولكنها على كل حال سورية

والآن وقد ألممنا باصول هذه النهضة النثرية العربية فهل نستطيع ان نشخصها تشخيصاً صحيحاً وان نصل الى المميزات التي تفرق بين هذا النثر الذي نكتبهُ الآن والنثر الذي كان يكتب منذ خمسين سنة . اعتقد ان ذلك ليس عسيراً فقد كان النثر منذ خمسين سنة كما قلت لك آنفاً متوسطاً بين حالين فيهِ معني قيم يحدث في نفسك ما تطمح اليهِ من لذة علمية وفنية ولكنهُ لم يخلص من تلك الاغلال والقيود التي كان يرسف فيها النثر القديم، فهو مقيَّد بالسجع متكلف للاستعارة والوان البديع والبيان ولكنهُ لم يكن يتكلف هذه الالوان بحكم الفقر والاعدام وانما كان يتكلفها بحكم العادة . ولم يكن بدٌّ في ذلك الوقت الذي احسَّ العقل الشرقي فيهِ حريتهُ وشخصيتهُ من ان تشبَّ الحرب ضروساً بين المذهبين المختصمين دائماً في النثر : مذهب اصحاب القديم ومذهب اصحاب الجديد. وقد شبت بالفعل هذه الحرب وكان السوريون هم الذين شبّوها لانهم كما رأيت اصحاب الصحافة ولانهم كما رأيت اقرب الى النشاط في الادب منهم الى النشاط في غيرهِ، وانت تعلم ان الصحفي مضطر بحكم صناعتهِ وما تستتبعهُ من العجلة والتحدث الى الجمهور الى ان يتحلل من هذه القيود البديعية ويتخلص من هذه الاغلال الفنية . وكذلك فعل الصحفيون من السوريين وكذلك فعل الصحفيون المصريون ايضاً واستطاع الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وعبد الكريم سلمان ان يكتبوا فصولاً لا تخلو من آثار القديم فيها السجع وفيها تكلف البديع والبيان ولكنها بعيدة كل البعد عما كان يكتب في اوائل القرن الماضي وفي منتصفهِ ايضاً ، فيها حرية لفظية ومعنوية ظاهرة وفيها اجتهاد في اختيار الحرّ من اللفظ واجتناب المبتذل وفيها طموح الى الجديد لم يكن يألفهُ الكتاب المصريون من قبل. وكثر انتشار المباحث العلمية الحديثة في مصر والشام بفضل المجلات والصحف والكتب واشتدت حركة احياء الادب العربي في القطرين وقرأ الناس العلم والادب الغربيين

فنشطت عقولهم وقرأوا الادب العربي القديم فاستقامت السنتهم واقلامهم ولم يكد ينتهي القرن الماضي حتى كان الشعر قد خلص من اغلال البديع خلوصاً تاماً وحتى كان الجهاد بين القديم والجديد في النثر قد تطور تطوراً غريباً فاصبح انصار القديم لا يستمسكون بركاكة الجبرتي ولا يحرصون على بديع ابن حجة وانما يستمسكون بقديم بغداد وغيرها من امصار البلاد العربية في العصر العباسي ، و يستمسكون بصحة اللفظ من الوجهة اللغوية و براءته من العامية والابتذال. واصبح انصار الجديد لا ينفرون من البديع والبيان فقد استراحوا من البديع والبيان ، وانما ينفرون من الاغراق في هذا الادب العربي القديم و يطمحون الى تقليد الادب الغربي الحديث واصطناع الالفاظ الاوربية الاعجمية . واشتد هذا الجهاد بين انصار القديم والجديد في العقد الاول من هذا القرن وكان السوريون بنوع خاص من اشد الناس نصراً للجديد وكان شيوخ مصر هؤلاء الذين توسطوا بين الازهر والمدارس المدنية لانهم تخرجوا من دار العلوم من اشد انصار القديم وكان العلم يزداد انتشاراً والشباب يزداد امعاناً في الاتصال باوروبا والتغذي بما فيها من علم وادب . ثم كانت حركة وطنية في مصر قوية عنيت بها الصحف واندفعت فيها اندفاعاً شديداً وكان الشبان قوة هذه الحركة ، ومن الذي يستطيع ان يأخذ الصحف المندفعة في حركاتها السياسية بملاحظة القديم وانتقاء الالفاظ ؟ومن الذي يستطيع ان يأخذ الشباب الثائر بان يتقيد بالقاموس او لسان العرب ؟ ولأمر ما تجاوزت هذه الحركة السياسية مصر وكانت الثورة في قسطنطينية واعلن الدستور العثماني وردت الحرية الى الاقطار العربية العثمانية فكان لهذا كلهِ اثر قوي في الادب العربي وفي النثر منهُ بنوع خاص ، وكان هذا كلهُ صدمة عنيفة لانصار القديم من الكتاب والشعراء . ذلك لأن هذه الحركات السياسية نقلت الكتابة من بيئتها القديمة الى بيئات جديدة ما كانت لتكتب لولا هذه الحركات،فقد كانت الكتابة (كما كان العلم) حظاً مقصوراً على بيئة خاصة من الناس ثم اصبحت الكتابة كما اصبح العلم حظاً شائعاً في الناس جميعاً . ومن الذي يستطيع ان يأخذ الناس جميعاً بالتحرج فيما يكتبون والتقيد بمعاجم اللغة واساليب القدماء . وكانت الحرب العظمى فاشتد الاتصال والمخالطة بين الشرق والغرب وانتهيا الى حدٍ لم يعرف من قبل ثم انتهت هذه الحرب ونتج عنها ما نتج من هذه الثورة السياسية العامة في الشرق العربي كلهِ واثّر هذا في حياة الناس على اختلاف فروعها فلم يكن بد من ان يؤثر في الادب ايضاً وفي النثر بنوع خاص. الحق ان الحرب ونتائجها وقفت نموّ الحركة الادبية في

الشرق العربي وان هذه الثورة السياسية شغلت الناس عن الحياة الادبية والعلمية حيناً وقصرت جهودهم على السياسة ولكن هذه السياسة نفسها قد تركت في النثر العربي اثاراً لن تمحى قبل عصر طويل ، جعلتهُ حاداً عنيفاً واستحدثت فيهِ فنوناً مختلفة واساليب متباينة من الطعن والخصومة لم يعرفها النثر العربي من قبل . ثم لم تلبث السياسة نفسها ان استحدثت حياة أدبية جديدة في النثر ظهرت منذ حين وآتت ثمراً طيباً ولكنها لم تصل بعد الى غايتها. ومن الحق ان نقول ان مصر قد اختصت بهذه الحركة . ولكل شيء خيرهُ وشرهُ وقد كان للخصومة الحزبية في مصر شرورها وآثامها ولكن لها في الوقت نفسهِ حسناتها ومنافعها وانما نُعنى منها بالحسنات والمنافع الادبية. واول ما نلاحظ من هذه الحسنات ان الجهاد اشتد بين الاحزاب فاضطرها الى ان تتنافس في اكتساب الجمهور وكانت الصحف اجل الادوات لهذا التنافس خطراً وكان الادب من اهم الاسباب التي اتخذتها الصحف وسيلة الى التنافس . اخذت الصحف تنشر الفصول الادبية تقلد في ذلك صحف اوربا ولكنها تخدع الناس وتستدرجهم الى قراءة ما تكتب في السياسة ، وما هي الا ان اصبحت الكتابة في العلم والادب نظاماً تحرص عليهِ كل صحيفة تقدر لنفسها كرامة صحفية وتريد ان يحفل بها الجمهور .واصبح الجمهور نفسهُ لا يقدر الصحف الاَّ اذا قدمت لهُ مع الفصول السياسية فصولاً في العلم والفلسفة والادب والفن . والصحف تتجاوز مصر وتنبثُّ في الاقطار العربية كلها فما اسرع ما تتأثر هذه الاقطار بهذه الفصول الادبية . فالادب وحدهُ هو الذي يجمع بين البلاد العربية المختلفة جمعاً حرًّا بريئاً منتجاً بعد ان فرقت بينها السياسة

ولست اذكر هذه الفنون النثرية الهزلية التي استحدثتها السياسة في الصحف الاسبوعية فلهذه الفنون قيمتها ولكنها ليست من النثر الذي نحن بازائهِ وهو النثر الادبي الفصيح

هذا النثر الادبي الفصيح ان امتاز الآن بشيء فهو يمتاز بأن الخصومة فيهِ بين انصار القديم والجديد قد انتهت او كادت تنتهي الى قدر لن يعدوهُ مختصمون . ذلك ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون الصحف والكتب حريصة كل الحرص على شيئين لا ترضى بدونهما : الاول ان يقدم اليها نثر فصيح مستقيم اللفظ نقي الاسلوب بريء من الابتذال حرّ من اغلال البديع والبيان . والثاني ان يكون هذا النثر على كل ما قدمنا ملائماً لذوقها الجديد وميولها الجديدة قيماً في معناهُ كما هو قيم في لفظة حرّ في معناهُ كما هو حرّ في لفظهِ ايضاً ، ومعنى هذا ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون العربية الآن تحرص في حياتها كلها على أمرين : تحرص على قديمها لانها لا تريد ان تمحو شخصيتها وتحرص على

الجديد لانها لا تريد ان تكون اقل من الغرب علماً ولا أدباً ولا حضارة . وهذا النثر الذي قدمت وصفهُ هو وحدهُ الملائم لهذا الذوق الجديد وهذه الآمال الجديدة . ومع ذلك فللقديم أنصار وللجديد انصار ولكن اولئك وهؤلاء قلة ضئيلة في حقيقة الامر لا يكاد يعبأ بها احد ، اولئك لا يزالون يستمسكون بالصناعة اللفظية و يسرفون فيها اسرافاً شديداً فينصرف عنهم الناس لانهم لا يفهمونهم ولا يجدون عندهم ما يريدون، وهؤلاء يزدرون الالفاظ و يفنون شخصيتهم الشرقية العربية في كتّاب الغرب فينصرف عنهم الناس لانهم لا يجدون عندهم هذه الشخصية الشرقية العربية التي يكلفون بها و يناضلون في سبيل تحقيقها واكراه اوربا على ان تعترف لها بالوجود

اظنك تعفيني من ان اتجاوز هذا القدر العام الى التحدث اليك عن شخصيات الكتاب الناثرين في مصر وغير مصر واثار هذه الشخصيات في اساليبهم النثرية فقد اطلت واسرفت في الاطالة ولو ذهبت احدثك عن شخصيات الكتاب واساليبهم لما فرغت الآن وما اشك في ان « المقتطف » حريص على ان افرغ

طه حسين

كنوز البحار وغرائب انتشالها

٢

مخاطر الغوص ومعدات الغوّاص

لولا الغوّاص لاستحالت اعمال النشل. فقد يضع المهندس ابرع الخطط الهندسية المبنية على احدث المبادئ العلمية و يهيء لعمله آخر المبتكرات الفنية من آلات وروافع ولكن نجاح عمله مرتبط بمقدرة الغوّاص

كل رجل يستطيع الغوص الى عمق ٣٠ قدماً من غير مشقة كبيرة اذا تعلم السباحة. وكثيرون يستطيعون الغوص الى عمق ٦٠ قدماً اذا كانوا في حالة صحية ولكن يندر بينهم من يستطيع الغوص الى عمق ١٥٠ قدماً او مائتي قدم لان ضغط الماء على الجسم حينما يكون الغواص على هذا العمق كبير يستدعي قوة غير عادية لتحمله

دع المخاطر التي يتعرض لها الغواص من حيوانات البحر كالاخطبوط وكلاب البحر وغيرها فان الغوص الى اعماق بعيدة القرار عمل شاق واذا لم يكون الغوّاص متين البنية متمرساً بعمله رزح تحت اعبائه. لذلك ينتخب الغوّاصون كما ينتخب ابطال الرياضة

البدنية في المدارس والكليات و يتمرنون مثلهم ليحفظ كل منهم قلبهُ ورئتيهِ وجميع اعضائه في حالة صحية تامة وفي الغالب ترى الغوّاص نحيف الجسم ليس فيهِ اوقية من الدهن الزائد الذي لا فائدة منهُ وعضلاتهُ كأنها قدت من الحديد

والضغط الشديد الذي يتعرض لهُ الغوّاص على هذه الاغوار البعيدة يعادل ثلاثة اضعاف الضغط الذي نتعرض لهُ عند سطح البحر او اكثر وكلما زاد العمق زاد الضغط حتى لقد يبلغ في كثير من الاحيان اربعة اضعاف الضغط على سطح البحر او خمسة اضعافهِ واعضاء الجسم لم تخلق لتتم وظائفها تحت هذه الضغط الشديد لذلك تعاني كثيراً من الجهد والتعب في عمل قد يكون من ابسط الاعمال كالمشي على دكة سفينة . وجسم الغواص في ذلك يشبه سيارة بنيت آلاتها لتجرّ ما ثقلهُ نصف طن مثلاً فحمّلها صاحبها ثلاثة اطنان

ومن الاسباب التي تعرّض الغوّاص للخطر على هذه الاغوار البعيدة ان عمل قلبهِ يزداد اضعافاً مضاعفة لكي يدفع الدم المؤكسد الى مختلف الاعضاء ليبثّ فيها القوة والنشاط اللازمين حتى يتمكن الغوّاص من اتمام اعمالهِ . ولا يخفى ان الغوّاص يقاوم ضغط الماء على جميع جوانبهِ بما يستنشقهُ من الهواء المضغوط الذي يُرسل اليهِ من السفينة التي غاص منها. هذا الهواء المضغوط يوازن بين الضغط الذي في شرايينهِ واوردتهِ وضغط الماء خارج الجسد واستنشاقهُ يجهد قوى الرئتين ويعرض الغوّاص لمرض يعرف عند جمهور الغوّاصين والاطباء «بشلل الغوّاص» ذلك ان هذا الهواء المضغوط وفيهِ مقدار كبير من النتروجين قد تفلت منهُ بضع فقاقيع فتجري في مجرى الدم حتى اذا وصلت الى القلب قتلت صاحبهُ او سببت شللاً في الجانب السفلي من الجسم

ومن الغريب ان هذا الخطر لا يتعرض لهُ الغواص في نزولهِ الى الاغوار بل حين صعودهِ منها الى سطح البحر. فاذا اسرع في صعودهِ اخذ النتروجين الذي في دمهِ يخرج منهُ فقاقيع فقاقيع كما يخرج اكسيد الكربون الثاني من الماء الذي وضع فيهِ بالضغط .فاذا خرج النتروجين كذلك عرّض حياة الغوّاص للخطر .وسبب هذه الفقاقيع سرعة هبوط الضغط الشديد خارجَ الجسم فيحدث حينئذٍ ما يحدث حينما تفتح زجاجة من ماء الصودا بسرعة

ويجتنب هذا الخطر على اسلوب واحد وهو الصعود من الاعماق الى سطح البحر رويداً رويداً . فاذا هبط الغوّاص الى عمق ١٢٠ قدماً وبقي ساعة على هذا العمق وجب عليهِ ان يستغرق ٥٧ دقيقة على الاقل في صعودهِ الى سطح البحر وكلما صعد بضع عشرة قدماً وقف يحرك اعضاءهُ حتى يخرج منها النتروجين الزائد رويداً رويداً . فيسمح لهُ ان

يصعد الى عمق ٤٠ قدماً في ٨٠ ثانية اي يرتفع قدماً في الثانية ثم يبقى على هذا العمق خمس دقائق قبل ان يرتفع عشر اقدام اخرى . وحين يبلغ عمق ثلاثين قدماً عليهِ ان يبقى هناك نحو ١٥ دقيقة قبلما يرتفع الى عمق عشر اقدام حيث يلزم بقاؤُهُ ٢٥ دقيقة قبل صعودهِ الى سطح البحر . واذا اتفق بقاء غوّاص ساعة على عمق ٢٠٠ قدم وجب عليهِ ان يقضي اربع ساعات كاملةٍ في صعودهِ من ذلك العمق الى سطح البحر . ولا يسمح في الغالب لغوّاص ممتاز يستطيع الغوْص الى ذلك العمق ان يبقى فيهِ اكثر من ٢٠ دقيقة فيستطيع حينئذٍ ان يصعد الى سطح البحر في ٣٢ دقيقة من غير ان يتعرض للخطر

هذا وقد اجرى الدكتور هلدين والدكتور بويكُت تجارب كثيرة اجابة لطلب وزارة البحرية الانكليزية ووضعا جداول دقيقة للازمنة التي يستطيع الغواص ان يقضيها على اعماق مختلفة من غير ان يعرض حياتهُ للخطر وما يوافق ذلك من الوقت للصعود الى سطح البحر . وقد جرى الغوّاصون على هذه الجداول في انحاء العالم فصار الغوص على كثرة مخاطرهِ مقيداً بقيود اذا اتبعها الغوّاص انتفى كثير من هذه المخاطر التي تحيق بعملهِ .وقد صار الغوّاص قادراً على المشي في قاع البحر فلا يتعرض للاخطار التي يتعرض لها كل انسان اذا سار في ساحة من الساحات المزدحمة في المدن الكبرى باوربا واميركا

ولا يخفى ان حرارة ماء البحر تنخفض بازدياد العمق لذلك يلبس الغواص قمصاناً وجوارب من الصوف وقد يلبس ثلاثة قمصان احدها فوق الاخر ويلبس مثلها من الجوارب ليتقي بها البرد الذي يتعرض لهُ .وبعد ما يرتدي ملابسهُ الصوفية يلبس الثوب الخاص بالغواصين وهو شبيه في بعض اجزائهِ بدروع الفرسان في القرون المتوسطة . ثم توضع الخوذة على رأسهِ وتربط ربطاً مكيناً لانها واقيتهُ الوحيدة من الموت خنقاً فيها يتصل بالسفينة بانبوب يرسل فيهِ الهواء المضغوط فيستنشقهُ ليعادل ضغط المياه من الخارج وليحصل منهُ على الاكسجين اللازم للحياة . وهناك واسطة اخرى تصل الغواص بالسفينة التي غاص منها وهي ما يدعى حبل النجاة يفهم بهِ رفاقهُ ما يريد ان يفهمهم بتحريكهِ حركات خاصة

ومتى نزل الغوص الى الماء صارت حياتهُ في يد الرجل الممسك بحبل النجاة وانبوب الهواء وعليهِ ان يكون شديد الانتباه والحذر فلا يترك هذين الحبلين قبل صعود الغواص الى سطح الماء

وقد استنبط حديثاً تلفون يدعى تلفون الغواصات يستعملهُ الغواص ايضاً وقد قلل

كثيراً المخاطر التي يتعرض لها اذ بهِ يتمكن من مخاطبة رفاقهِ في السفينة التي غاص منها فيطلعهم على احوالهِ و يطلب منهم النجدة اذا اضطرَّ اليها

اما الثوب الذي يلبسهُ الغواص فقد تقلبت عليهِ احوال كثيرة فكان في البدء صندوقًا من الخشب يربط بسير من المطاط حول وسط الغواص وفيهِ ثقبان يخرج منهما يديهِ ثم صار اسطوانة من المعدن . وفي سنة ١٨٣٧ استنبط المهندس سيب ثوب المطاط المستعمل الآن بعد ان جرب فيهِ تجاربهُ مدة ١٨ سنة . وهذا الثوب لم يتغير في جوهرهِ بل اضيفت اليهِ اضافات جمة جعلتهُ اشدَّ اتقانًا واهدى الى الغاية المنشودة

وقد اهتم المهندسون منذ زمن بعيد بصنع ثوب للغواص يمكنهُ من الغوص الى اغوار بعيدة المدى من غير ان يتعرض لخطر ما . ولا يخفى ان اعظم الاخطار التي يتعرض لها الغواصون هي ضغط الماء الشديد كما تقدم وقد حاول المستنبطون ان يجعلوا الثوب من معدن لهُ مفاصل مرنة تزيل هذا الضغط ولكن ما صنعوهُ من هذا القبيل لم يأت بالفائدة المطلوبة لثقلهِ وصعوبة الحركة فيهِ

وقد استنبطت اثواب اخرى تمكن الغواصين من الغوص الى اعماق قريبة من غير ان يعتمدوا على انبوب الهواء المضغوط وذلك باستعمال بعض المواد الكيماوية التي تنقي الهواء بامتصاص اكسيد الكربون الثاني منهُ وتولد اكسجينًا جديداً يستنشقهُ الغواص

وقد رأينا في الصيف الماضي غواصي الباخرة اليابانية الذين نشلوا نحو مائة الف جنيه قرب منارة البرلس فاذا هم لا يستعملون ثوب المطاط العادي بل لبس الغواص منهم امامنا ثوبًا ازرق ولا نعلم هل كان تحتهُ قمصان من الصوف او المطاط لحفظ حرارة الجسم . ثم لبس قفازين ابيضين وربط رأسهُ بقطعة من القماش ووضع عليهِ آلة صغيرة الحجم تغطي العينين والانف و يمتد منها الى الفم لسان مزدوج يضغط عليهِ الغوَّاص فيفتح منفذاً يتصل منهُ الهواء المضغوط الى انفهِ فيتنفسهُ ويخرجهُ من فيهِ الذي لا يغطيهِ شيء وهذا الهواء المضغوط يزيد ضغط الجسم من الداخل فيتعادل مع ضغط الماء من الخارج وكلما زاد العمق الذي يغوص اليهِ الغوَّاص زاد ضغط الماء من الخارج فيُزاد ضغط الهواء الذي يتنفسهُ حتى يعادل ضغط الماء

ولا يخفى ان هذا الاستنباط يختلف اختلافًا كليًّا عن ثوب المطاط الشائع بين الغواصين المذكور سابقًا فهو ابسط منهُ تركيبًا واسهل استعمالاً اذ تطلق فيهِ حرية الحركة للغواص فيسهل عليهِ الجولان في الباخرة الغارقة ليبحث عما فيها من النفائس

طابع المدنية الحديثة

مدنية الفرد ومدنية الجماهير

يرى كل كتاب العصر الحديث الذين يتجشمون مؤُونة التفكير في تاريخ التقدم الانساني ان الشعب اليوناني القديم هو ارقى شعب اقلتهُ الارض من حيث النضوج الفكري. فما من شيءٍ أُبتكر في العلوم ، وما من رأي ذاع في موضوع من موضوعات الفلسفة او نظرياتها او مذاهبها الكثيرة الاَّ ونجد لهُ بداية في تاريخ الفكر اليوناني. حتى ذلك الشيء الذي يعدُّ من اكبر مفاخر القرن التاسع عشر ، ذلك الاسلوب اليقيني العلمي الذي ندعي بان اوغست كونت اول من وضعهُ ، والحقيقة انهُ اول من شرحهُ ، تجدهُ جليًّا ظاهراً في مباحث ارسطوطاليس العلمية وفي مقدمات ثوسيديديس التاريخية . واي كبير فرق بين ما تجد في مقدمات ثوسيديديس و بين ما يدعو اليهِ اليوم اعلام السوربون في فرنسا من توخي الطريقة العلمية في بحث معضلات التاريخ ؟ بل اية ميزة يمتاز بها بحاثو العصر الحديث على ارسطوطاليس في طريقتهِ التي توخاها في شرح المنطق او التاريخ الطبيعي او الاخلاق ، وهي لا تؤْمن الاَّ بما يأتيها من طريق الحواس المستندة الى المشاهدة وصدق الاختبار ؟ لهذا يمضي كل الكتاب بلا شذوذ معتقدين ان الشعب اليوناني القديم هو ارقى شعوب الارض من الاسلاف الى خلائف القرن التاسع عشر

على هذا نستند اذا نحن مضينا في هذا البحث لنقرر بان الانسان لم يرتق منذ العصر اليوناني الاول حتى اليوم في الكفاءات العقلية . فالانسان في مدى خمسة وعشرين قرناً من الزمان لا يزال يتطلع الى ارسطوطاليس وافلاطون وسقراط كاكبر العقول التي انبتتها الانسانية في كل عصور تاريخها. وفي ذلك بلاغ بيّن نستند اليهِ في ما نريد ان نذهب اليهِ في بحثنا هذا

على هذا الرأي ذاتهِ يمكنك ان تعكف اذا انت اردت ان تنظر في رقي الانسان الاخلاقي . فان الامثال التي ضربها لنا بضعة افراد انجبهم الشعب اليوناني القديم لا تزال الامثال المحتذاة حتى اليوم في آداب السلوك . والسبب في هذا اننا لسنا باقل منهم معرفة بما يجب علينا من الآداب والاخلاق ، بل لاننا نعرف ولكنهم كانوا يعتقدون . كانوا ذوي يقين ثابت في ان الواجب يحتم عليهم اتباع سبيل الفضيلة عملاً لا قولاً . فهم الذين

نفذوا تعريف الاستاذ هكسلي في الدين قبل ان يأتي هكسلي الى عالم الوجود بخمسة وعشرين قرناً من الزمان ، هم الذين عرفوا ان « الدين هو اجلال المثل الاعلى من الاخلاق ومحبة العمل على تحقيقهِ في الحياة » كما يقول هكسلي استاذ القرن التاسع عشر . وهم الذين قال لهم شيخ فلاسفتهم الاخلاقيين ارسطوطاليس : « في الشؤُون العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظريًّا بالقواعد ، بل هو تطبيقها . ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي ان يُعلم ما هي ، بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها . ولو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على ان تجعلنا اخياراً لاستحقت ، كما كان يقول تيوغنيس ، ان يطلبها كل الناس وان تشترى باغلى الاثمان . ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيعهُ المبادئ في هذا الصدد هو ان تشدّ عزم بعض فتيان كرام على الثبات في الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة وفيًّا بعهدها » (١)

ومنذ ان افلت شمس إغريقية في آسيا وشرق اوربا حتى اليوم لا تجد من مثال تحتذيهِ الاَّ مثال ذلك الشعب المجيد الذي اورث الانسانية تراثاً من العلم والادب والفنون لا يفخر بهِ شعب دون شعب ولا قبيل دون قبيل ، بل هو مما يفخر بهِ الانسان على انهُ انسان ضرب للكون الخالد مثلاً ان في مستطاعهِ ان يبلغ من رقي النفس ومن انكار الذات حدّ الآداب السقراطية الوضاحة في عصور المدنية اليونانية

فاذا تركت البحث في الاسباب الخفية الكامنة التي بزّ بها الشعب اليوناني القديم شعوب الارض قاطبة لما استطعت ان تقع على شيء ينقع غلتك الاَّ ان تلجأ الى ما يقول بهِ علماء الوراثة من النشوئيين في هذا الزمان من ان السبب في هذا يرجع الى صفات تورثت في هذا الشعب ثم نضب معينها شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كوحدة خصّ بها الشعب اليوناني وتوزعت على بقية الشعوب التي تخالط دمها بدم اليونانيين القدماء او كوراثة تظهر بوادرها من حين الى حين في بضعة افراد ما يزالون حتى اليوم اينما ظهروا وحيثما كانوا موضع اجلال الانسانية وهداها في ظلمات هذا الوجود . ولكنك اذا لجأت الى البحث في الاسباب الظاهرة التي ميزت الشعب اليوناني القديم عن كل الشعوب بلا استثناء ، وعرجت في بحثك على علم الاجتماع الحديث امكنك ان تقع على سبب واضح جلي يوقفك على سر ما تريد ان تعرف من اسباب أزاء هذه المسألة التي تظلُّ في نظرك لغزاً وعراً ومعضلة

---

(١) عند مقدمة بارتلمي سانت هيلير في مقدمته لعلم الاخلاق الى نيقوماخوس من الطبعة العربية

معقدة ما دمت بعيداً عن النظر في اسبابها من ناحية اجتماعية صرفة . على اننا لا نريد ان نلفّ بالقارئ حول الموضوع ضار بين لهُ الامثال مبيّنين لهُ الاسباب لنخلص بهِ الى النتيجة بل نذهب في بحثنا الى ضد هذه الطريقة لنقول لهُ ان الفرق ينحصر في ان الفردية الاستقلالية كانت في العصر اليوناني اقوى منها في كل عصور المدنية كما ان الاشتراكية الاجتماعية هي طابع هذا العصر الحديث ، وهي فوق ذلك نتيجة محتومة للطريق التي تمشت فيها الجماعات في الاعصر الحديثة

ان من اكبر الفضائل التي يحسد عليها القدماء وعلى الاخص الشعب اليوناني القديم هو بروز الذاتية الفردية واستقلالها فكراً وعملاً وبعدها عن التأثر بحياة الجماهير . لهذا تجد ان الفيلسوف منهم ظهر كفيلسوف علم على طريقة من الفلسفة ومضى ثابت اليقين فيما يوحي اليهِ بهِ عقلهُ وتملي عليهِ تصوراتهُ ولو ذاق الموت في سبيل مبدئهِ . الم يمت سقراط لانهُ مضى طوال حياتهِ يحاول ان يفهم الناس انهم جهلاء وان الدعوى والغرور اكبر مفاسد النفس واكبر برهان على الجهل المطبق ؟ الم تر كيف جلس ديوجنيس على باب الاكاذيمية لافلاطون مخفياً ديكاً عرّاهُ من ريشه حتى اذا عرّف افلاطون الانسان بأنهُ حيوان نسل رمى بالديك الى وسط القاعة قائلاً «هذا انسان افلاطون» وافلاطون حينئذٍ ذلك الرجل العظيم الذي كان يبلغ حب تلاميذه لهُ مبلغ حب العباد الصالحين لمعبوداتهم غير المرئية ؟ وهل اتاك حديث ارسطوطاليس اذ ناقش استاذهُ افلاطون فاهانهُ بعض الطلبة فتركهم حتى اذا انتهز فرصة غيابهم كتب لهم على السبورة هذه الجملة « نحن نحب افلاطون ونحب الحق فاذا اختلفا فايهما اولى بالمحبة » . وهل عرفت حديث ديوجينيس اذ وقف ازاءهُ الاسكندر المقدوني وهو جالس بجوار برميلهِ الذي كان يعيش فيهِ وسأَلهُ هل ترهبني ؟ فاجابهُ هل انت صالح ام شرير ؟ فاجابهُ بل صالح : قال وكيف اخافك وانت رجل صالح ؟ وسأَلهُ هل تريد مني شيئاً : فقال لا . بل تحول قليلاً لانك حلت بيني وبين الشمس . فهمّ بعض اتباع الاسكندر بايذائهِ فانتهرهم الاسكندر قائلاً لو لم اكن الاسكندر لتمنيت ان اكون ديوجينيس

تظهرك هذه الامثال البسيطة على تكوين شخصياتهم الفردية وعلى ثبات عقائدهم التي ترضي عقولهم غير ناظرين الى ما يعتقدهُ غيرهم . وان انت علمت ان الكلبيين كانوا يعتقدون في انهم اكثر اهل الارض ثروة واعظمهم في الحطام جاهاً وهم يعد تلك الفئة التي

كانت تعيش عيش الفقر المدقع لتولاك شيء من العجب ولأخذتك نوبة من التفكير العميق. ولكنك لا تلبث ان تعرف تعريفهم الذي وضعوه للثروة حتى تقنع بانهم اسمى اهل الارض نفساً واعلاهم في المكارم كعباً وأسخاهم كفاً واندى العالمين بطون راح كما يقول شاعرنا العربي، وان كانوا اشد الناس فقراً واشدهم عدماً وامعنهم في الخصاصة . يقولون بان ثروة الانسان تنحصر في عدد الاشياء التي يستطيع الانسان ان يعيش بغير احتياج اليها . وهو تعريف فيه كثير من الحق الثابت . وهذه الفكرة على غرابتها وعلى بعدها عن المألوف في كل المدنيات لم تعش ولم يعتنقها افراد يتبعون احكامها فعلاً لا نظراً الا في بلاد اليونان القديمة . والسبب في هذا ان الشخصية الفردية لم تبلغ تمام تكوينها الا في ذلك العصر الذهبي بحق كما يقولون

تتمثل لك بعض الاسباب الخفية التي كونت شخصيتهم الفردية في معتقدٍ ثابت كانوا يمضون عليه عاكفين . كانوا يعتقدون بانهم ابناء آلهة تولاهم تزر من الفساد وانتابهم نصيب من الانحطاط . اما نحن في القرن العشرين فنعتقد باننا ابناء قردة آخذين في اسباب النشوء والارتقاء . وبمقدار ما تجد من الفرق بين المعتقدين ، تجد التباين بين نزعاتنا ونزعاتهم وبين نظاماتنا التي فنيت فيها الشخصيات الفردية في جوف الجماهير ، وبين نظاماتهم التي فنيت فيها الجماهير في قوة الاستقلال الفرديّ . وعلى هذا نستطيع وبكثير من الحق ان نقول بأنَّ مدنيَّة اليونان القدماء هي مدنية الافراد ، كما نستطيع وبكثير من الحق ان نقول ان مدنيتنا الحديثة هي مدنية الجماهير

قلّب نظرك في مختلف جهات المدنية الحديثة ، واجل فكرك في نواحيها المشعبة ونظاماتها الكثيرة ، ففي ايها تقع على اثر الفرد المستقل بذاتهِ وعقلهِ بعيداً عن تأثير الجماهير؟ بل امضِ في بحث مستفيض تقضيهِ في التأمل في تاريخ النظامات الاجتماعية اهلية وقضائية وحربية وغير ذلك ، وقل بعد ان تنظر فيها نظرة تأمل عميق اي منها لم تنقلب آيتهُ من العمل على حماية الفرد الى آلة تستعمل لقضاء مآرب الجماهير واشباع شهواتها الكثيرة

غريزة القتال من الغرائز الثابتة في الخلق الانساني ، وهي كغيرها من الغرائز لها بداياتها في عالم الحيوان فهي من الصفات الموروثة فينا عن آبائنا الاولين . غير ان هذه الغريزة تكيفت في عدة وجوه انتقالية حتى اذا تكونت الامم في الاعصر القديمة على ان تكون امماً تسكن المدن وتجمع بين افرادها مصالح واحدة ونزعات ومشاعر واحدة ، نشأت

مع ذلك فكرة تكوين جزء من سكان المدينة ليردوا عنها غارات اعدائها ويقومون حرّاساً على نظامها وعلى كيانها خوف ان تتنابهُ يد التخريب بمطامع الفاتحين، الذين لم يكونوا ليفتحوا او يدوخوا بلاد غيرهم من الناس الاَّ ارضاء لنزوات غريزة القتال الموروثة فيهم كلما حركتها عواملها الخفية . ولما ان ضرب الانسان بقدمهِ الثابتة في مدارج المدنية ، واتحدت الفصائل الصغيرة فكونت جماعات كبرى ، همس وحي الغريزة في ضمير كل فرد من افراد تلك الجماعات بانهُ ملزم بان يمدّ يد الحب والعطف ، وبكل ما اوتي من غرائزهِ الاجتماعية، الى كل اعضاء الامة التي هو تابع لها ، ولو لم يكن على صلة بهم — كما يقول العلامة دارون ، ولما تكونت مصالح البشر على ان يعيشوا جماعات داخل مدائن العصور الاولى ، همس وحي الغريزة فيهم ان يقاوموا غريزة القتال والفتح بغريزة الاحتفاظ بالنفس فتكونت الجيوش على ان تكون اداة لحماية الافراد ، ولم تقم من حرب هجومية الاَّ وكان اساسها تخيل الخطر واقعاً من ناحية ما ، كما حصل في كثير من عصور التاريخ . وعلى الضد من هذا تجد ان اكثر ما تتكون الجيوش في العصور الحديثة واكثر ما تلمع حرابها في الافق او تبرق سيوفها في ظلام المدنية انما هو خدمة للجماهير ومصالحها الموهومة ،وللاعتداء على حرية الشعوب الاخرى اعتداء لا سبب لهُ الاَّ فتح اسواق جديدة لمتاجر ومصنوعات تزيد عن حاجة الجماهير التي تنتجها . واشد ما تكون اقتناعاً بهذا الرأي اذا انت علمت ان المنتج في العصر الحديث انما هي الجماهير التي تعيش متطفلة على رؤُوس الاموال لا الافراد الذين استقلوا بعملهم استقلالاً يعود بهِ كل الربح الذي ينتج من عمل يدهم عليهم دون غيرهم

وضعت القوانين والنظامات القضائية في الازمان الماضية لحماية الفرد المستقل بذاتهِ عن التأثر بحياة الجماهير . اما قضاء عصرنا الحاضر ونظاماتهُ الكثيرة فلم توضع الاَّ لحماية شركات الاحتكار واصحاب رؤُوس الاموال حماية لا خسران فيها الاَّ على الفرد وعلى استقلالهِ الذاتي. وما نظام النقابات الحديث الذي اوسعت لهُ القوانين صدرها في العصر الاخير الاَّ محنة جديد من محن المدنية ، وما تبدل القانون منها بشيء الاَّ الانتقال من حماية جماهير الشركات الى حماية جماهير العمال . فالنتيجة حماية الجماهير والقضاء على استقلال الفرد

ثم ارجع معي الى النظامات السياسية وقارن بين نظامات العصر القديم والعصر الحديث . قارن بين مشرّع وسياسيّ كسولون ، وهو رجل جمع بين العلم والحكمة و بين

العمل على رآسة الشعوب بما تمليهِ عليهِ حكمتهُ وما يوحي اليهِ بهِ علمهُ، و بين سياسي انتهازي من سياسي العصر الحديث لا يهمهُ شيء في الوجود الاَّ ان يعلو منصة الحكم و يظل ما استطاع عاملاً على ان يحافظ عليها بكل طريق ممكن . ان سياسيَّ العصر الحديث لا يحتاج الى علم ولا الى حكمة اكثر من ان يقف موقف الجاهل القانع بان تسيّرهُ العناصر غير عالم الى اين تجتاحهُ ولا في اية مهواة سوف تلقي بهِ. هو لا يريد أن يعلم من شيء ولا يهمهُ ان يعرف في العالم شيئاً الاَّ ان يدرس الحالات القائمة من حولهِ ليعرف من اين سوف تهب رياح الجماهير في الغد ليتقيها بما يستطيع ان يتقيها بهِ من كذب الى خداع الى مواربة الى قوة ان هيأت لهُ الظروف ان يقمع شهوة الجماهير بقوة سلاحهِ

لا يعلم سياسي العصر الحديث ان مهمتهُ الاولى ارشادية تعليمية ، ولا يعلم انهُ مسؤول عن مصالح الجماهير : ولا يفقه ان الجماهير لا تعقل بل تشعر ، ولا يعرف ان استقلال رأيهِ والتضحية بمصالحهِ اول ما يطلب منهُ كمرشد ومعلم معاً . لا يعرف شيئاً من هذا . هو بعيد عن حكمة الفلسفة ، بعيد عن ارشاد العلم ، فهو الجاهل بحق طبيعة ما عليهِ من المسؤولية

وهكذا الحال اذا تتبعتَ بقية نظامات الاجتماع على صورتها المدنية الحديثة ، مدنية الجماهير ، فانت تجد ان الفرد قد دالت دولتهُ لتقوم عليها دولة الجماعات المنظمة الخاضعة في نظامها لمجموعة من المبادئ الاستبدادية لا اثر لها في شيء الاَّ في القضاء على حرية الفرد ، ذلك الميراث الذي ورثناهُ عن المدنيات القديمة ولم نحسن القوامة عليهِ

على أنك مهما فكرت ومهما اجهدت نفسك في البحث لا تستطيع ان تنظر في مستقبل الانسان نظرة يرضى عنها معتقدك العلمي ويطمئن اليها ضميرك كفرد تقدس حرية نفسك وحرية غيرك ، الاَّ اذا تبدلت جماعات المدنية الحديثة في نظامها الحاضر السائدة فيهِ روح الجماهير بنظام يكفل حرية الفرد وينمي كفاياتهِ ومواهبهُ . على انني اكاد أتطير الى حد القول بأن الزمان الذي كان في مستطاعنا ان نرجع فيهِ عن استعباد الفرد لسلطة الجماهير قد انقضى امره . وكما بدأ انحطاط زراتوسترا عندنتشه بهبوطهِ من الجبل الموحش الى عالم المدنية الانسانية ، كذلك اعتقد ان انقلاب الحال من استقلال الفرد في المدنية القديمة الى استبداد الجماهير في النظام أول مدرج سوف تنزلق من فوقهِ قدم المدنية الى مهاوي الفساد والسقوط

اسماعيل مظهر

انتشار التعليم في فنلندا

لفنلندا مركز غريب بين دول اوربا فاذا نظرنا اليها جغرافيًا وجدناها جزءًا من روسيا وقد كانت كذلك ما يزيد على قرن الى ان جاءت الحرب الكبرى فانفصلت عنها وانشأت حكومة مستقلة . واذا نظرنا اليها نظراً تاريخيًّا وجدناها جزءًا من بلاد اسوج لان اهل اسوج استعمروا فنلندا اولاً وعلّموا اهلها و بقيت اللغة الاسوجية لغة الادب والتعليم في تلك البلاد حتى سنة ١٨٠٨ واذا نظرنا الى التعليم فيها وجدناهُ راقيًا جدًّا ومعاهد العلم منها ما هو اسوجي ومنها ما هو فنلندي

ففي فنلند ثلاث جامعات اكبرها في مدينة هلسنغفور العاصمة اسست في مدينة ابو سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى هلسنغفور سنة ١٨٢٧ وقد كان عدد اساتذها سنة ١٩٢٤ نحو ٢٧٢ استاذاً وطلبتها ٢٩٤٦ طالبًا منهم ٨٣٨ امرأة . وهي من مدارس الحكومة تنفق عليها من خزينتها . وهناك جامعتان في مدينة ابو احداهما اسوجية والاخرى فنلندية الاولى انشئت سنة ١٩١٩ والثانية سنة ١٩٢٢ وهما جامعتان خاصتان انما تعترف الحكومة بما تمنحانهِ من الالقاب لخريجيهما . والجامعة الفنلندية فيها ٢٠ استاذاً و١١٨ تلميذاً منهم ٤١ امرأة واما الجامعة الاسوجية ففيها ٣٥ استاذاً و ١٤٦ تلميذاً منهم ٢٨ امرأة

اضف الى هذه الجامعات مدرسة بوليتكنيك في هلسنغفور وفيها ٨٦ مدرسًا و٧٠٥ طلاب منهم ١٦ امرأة و ١٠٧ مدارس ثانوية و٦ مدارس بحرية و ١٠٨ مدارس للفنون والصنائع و٣٩ مدرسة زراعية و٣٦ مدرسة تعلم العناية بالمواشي و٧ مدارس تعلم العناية بالحراج والغابات و٦ مدارس لزراعة البساتين و٣٧ مدرسة تجارية و٨ مدارس للمعلمين

وقد بلغ من انتشار التعليم في فنلندا حتى صار الاميون من الذين عمرهم فوق الخامسة عشرة اقل من واحد في المائة وكان ينشر فيها سنة ١٩٢٣ نحو ٢٧٤ صحيفة باللغة الفنلندية و٩٦ صحيفة باللغة الاسوجية و٩ صحف باللغتين معًا و٥ صحف بلغات اجنبية

وكان تعليم الزراعة اهم ما يدور عليهِ التعليم العالي في فنلندا قبل الحرب اما الآن وقد استقلت البلاد فقد افسح المجال في الجامعات ودور العلم لعلم الكهربائية والكيمياء والهندسة وغيرها مما يمهد السبيل لاستثمار ثروة البلاد وخصوصًا ما كان منها ماء منحدراً يسهل تحويلهُ الى قوة كهربائية

المتحف القبطي

خطبة نفيسة لمؤسسهِ

ايها السادة

(١) يسرني كثيراً ان ارحب اليوم في هذه البقعة التاريخية الهامة بنخبة من رجال التعليم الموكول اليهم تربية شباننا وتهذيبهم — رجال الغد الذين تنتظر منهم الامة ان يسيروا بها في سبيل التقدم والرقي ليرجعوا اليها مجدها القديم

(٢) يسرني ان تعني وزارة المعارف الجليلة عناية خاصة بامر تعليم تاريخ مصر علماً وعملاً بعد ان كان مهملاً اهمالاً يكاد يكون تاماً هذا بينما كان الاجانب من اوربيين واميركيين يهتمون بهِ وخصوصاً الاولين منهم فانهم منذ اكثر من مائة وخمسين سنة وهم يوفدون العلماء يبحثون وينقبون حتى توصلوا بجدهم واجتهادهم الى كشف اكثر الآثار التي كانت مدفونة والى حل رموز القلم الهيروغليفي بعد ان ظلَّ سرًّا مكنونًا اكثر من الف وخمسمائة سنة وتمكنوا من قراءة الحوادث التاريخية المنقوشة على جدران المعابد والمقابر ووضعوا مؤلفات قيمة كثيرة عن تاريخ مصر القديم وديانة المصريين في تلك العصور الغابرة

(٣) قد ولّى والحمد لله الزمن الذي كان المصريون فيهِ لا يعنيهم امر آثارهم التاريخية وحان الوقت الذي يمكنكم ان تبينوا فيهِ باحضرات الاساتذة لتلاميذكم ما وصل اليهِ اجدادهم من المجد والسؤدد بنبوغهم في العلوم والفنون وتحثوهم على المساعدة على الاحتفاظ بآثارهم والاقتداء بهم في تحصيل العلم واتقان الصنائع والفنون ليكونوا جديرين باولئك الاجداد العظام

(٤) قد لا توجد بلاد اخرى في العالم تصل حلقات تاريخها بعضها ببعض بدون انقطاع من اقدم العصور الى يومنا هذا مثل القطر المصري ولا يوجد تاريخ تؤيد الحوادثَ الواردة بهِ المستندات مثل تاريخ مصر . اعني بالمستندات تلك المباني الشاهقة الخالدة من اهرامات وهياكل ومقابر واديرة وكنائس وجوامع في مختلف الجهات وكذلك المخطوطات والتحف والزخارف الكثيرة في متاحفنا ومتاحف اكثر بلدان اوربا واميركا

(٥) مضى على مصر اكثر من الفين وثلاثمائة سنة منذ ما فقدت استقلالها

بانتهاء حكم الفراعنة ومن ذلك العهد وهذه البلاد بسبب مركزها الجغرافي الممتاز وما خصها الله بهِ من المناخ الجميل والتربة الخصبة والثروة الطائلة مطمح نظر الفاتحين من احباش ويونان وفرس ورومان وعرب واتراك وافرنج وقد توالت عليها الغارات والمحن فهُدم في اثناء الحروب وما يتبعها من الاضطرابات كثير من المباني الفخمة التي لولا عبث يد الانسان بها لبقيت خالدة مدى الدهور والاعوام، وضاع من الذخائر والكنوز ما لا يدخل تحت حصر. والامر المحزن هو انهُ لما خيم الجهل على البلاد قام الاهالي يهدمون ما بقي ظاهراً من آثار اجدادهم بحثاً عن الذهب والفضة وللانتفاع بانقاضها لبناء دورهم. وكم من قطعة من الحجر بما هو منقوش عليهـــا من معلومات تاريخية تفوق قيمتها في نظر العلماء وزنها من الفضة والذهب!

(٦) ولكن العناية شاءت ان تحفظ لنا بعض هذه الآثار العجيبة فسخرت الرياح ورمال الصحارى فطمست معالم كثير منها واخفتها عن عيون العابثين من اجانب ووطنيين الى ان اتاح الله لمصر العائلة المحمدية العلوية التي استعانت بعلماء الافرنج مثل مريت باشا وبروجش باشا وماسبرو لكشف تلك الآثار وحفظها وصيانتها وانشأت المتاحف لعرض ما عثر عليهِ من التماثيل والحلى والزخارف وترتيب تلك التحف والآثار بطريقة علمية ووضعت القوانين للمحافظة عليها والضرب على ايدي العابثين بها ،

(٧) تنقسم الآثار المصرية كما تعلمون حضراتكم الى اربعة اقسام رئيسية (١) آثار العصر الفرعوني الذي يبتدئ من اقدم العصور المعروفة وينتهي بانتهاء حكم الفراعنة في اول القرن الثالث قبل المسيح وقد شاهدتم كثيراً من آثارهِ العجيبة بالجيزة وسقاره ومتحف قصر النيل واهمها بالوجه القبلي (٢) العصر اليوناني الروماني ويبتدئ من القرن الثالث قبل المسيح وينتهي بالفتح العربي في الجيل السابع للميلاد وآثارهُ معروضة بمتحف الاسكندرية (٣) العصر المسيحي وسأتكلم عنهُ (٤) العصر الاسلامي ويبتدئ من القرن السابع للميلاد الى يومنا هذا وقد شاهدتم آثاره البديعة في جوامع القاهرة ومساجدها في دار الآثار العربية بباب الخلق

العصر المسيحي

(٨) كان المصريون في مقدمة الامم التي اعتنقت النصرانية وكان دخولهم في دين السيد المسيح على يد القديس مرقس الانجيلي في القرن الاول للميلاد . بدأ هذا الرسول

تبشيره في الاسكندرية عاصمة البطالسة وقد تولى البطاركة رآسة الكنيسة المصرية من ذلك العهد. والانبا كيرلس البطريرك الحالي هو المائة والثاني عشر من خلفاء مرقس الانجيلي. وكانت الاسكندرية مقرّ رآستهم حتى الفتح العربي ويدعون لهذا اليوم بطاركة الاسكندرية لهذا السبب. وبعد ذلك لما تأسست مدينة الفسطاط انتقلوا الى كنيسة المعلقة (١) التي ستزورونها اليوم ليكونوا على اتصال بالولاة والسلاطين المسلمين

(٩) ولما اعتنق المصريون المسيحية ابقوا على كثير من هياكل آلهتهم القديمة وحولوا معابد آمون وازيس واوزيريس الى كنائس رفعوا فوقها الصليب واستعاضوا عن صور الآلهة الوثنية بصور السيد المسيح ورسله كما يشاهد ذلك الآن في الهياكل والبرابي الموجودة باسوان والاقصر والكرنك ولبثوا يقيمون الشعائر الدينية المسيحية بها الى ان تسنّى لهم تشييد كنائس جديدة على الطراز البيزنطي مثل كنيسة دندره وكنيستي الدير الابيض والاحمر بسوهاج وكنائس قصر الشمع وغيرها

اللغة القبطية

(١٠) وبالنسبة لارتباط الحروف الهيروغليفية بالديانة الوثنية استعاض عنها الاقباط بالحروف اليونانية باضافة بعض حروف مصرية الاصوات غير موجودة في اللغة اليونانية وقد خدم الاقباط تاريخ اجدادهم اجل خدمة بمحافظتهم على اللغة المصرية فان اللغة التي تستعمل الى يومنا هذا في اقامة الشعائر الدينية عند الاقباط هي هي اللغة التي كان يتكلم بها الفراعنة وقد ادخل عليها طائفة من الالفاظ اليونانية

وسبب اندماج كثير من الالفاظ اليونانية في اللغة المصرية التي اصبحت من ذلك العهد تدعى اللغة القبطية هو ان المسيحية بدأت كما سبق القول بالاسكندرية وكانت مدينة يونانية فكتبت الاناجيل وكتب الصلاة باللغة اليونانية ولما انتشر الدين المسيحي في داخل البلاد اضطروا الى ترجمة الكتب المقدسة الى اللغة المصرية التي كان السواد الاعظم من الاهالي لا يفهم سواها. ولا تزال توجد الى الآن آثار هذه الكتب بلهجات اللغة المصرية الخمس (١) الصعيدية (٢) الاخميمية (٣) الفيومية (٤) البشمورية (٥) والبحيرية وقد فُقدت اكثر الكتب المكتوبة باللهجات الاربع الاولى ما عدا القليل منها واكثرهُ في مكاتب اوربا واميركا والباقي عند الاقباط منها الآن مكتوب

(١) انظر وصفها في متتحف فبراير الماضي في مقالة قصر الشمع

باللهجة البحيرية التي لا يعرف الاقباط سواها ما عدا اثنين او ثلاثة منهم الدكتور جورجي صبحي استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية ويسى افندي عبد المسيح امين مكتبة المتحف القبطي . ويرجع الفضل في درس اللهجات الاخرى وطبع كثير من الكتب المكتوبة بها الى علماء الافرنج وفي مقدمتهم كروم وهورنر والسير هربرت طمسون من الانجليز واميلينو وبوريان من الفرنسويين وسترن من الالمان وغيرهم من امم أخرى

(١١) ولولا محافظة الاقباط على لغتهم الاصلية لما تمكن شمبليون العالم الفرنساوي الشهير من قراءة وترجمة الكتابة المنقوشة بالحروف الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية على حجر رشيد الموجود الآن بالمتحف البريطاني بلندن . وبهذه المناسبة احب ان اذكر ان لفظ قبطي معناها مصري وهي محرفة من اللفظة اجبتوس ولذلك فجميعكم اقباط بعضكم اقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلكم متناسلون من المصريين القدماء

الكنائس والاديرة الاثرية

(١٢) ولما وجدتُ ان الاديرة والكنائس الاثرية عرضة للهدم والتخريب طلبت من الحكومة في سنة ١٨٩٣ وضعها تحت مراقبة لجنة حفظ الآثار العربية فتكرمت واجابتني الى طلبي هذا وبهذه المناسبة ضمت الى اللجنة المذكورة عضوين قبطيين لي الشرف ان اكون احدهما .وقد قامت هذه اللجنة بترميم كثير من هذه المباني الاثرية واصلاحها بعناية تذكر لها بالشكر العظيم ومن هذه الآثار الدير الابيض والدير الاحمر بسوهاج وكنائس العذراء بحارة الزويله بالقاهرة وابي سيفين وانبا شنوده وماري مينا بمصر القديمة وابو سرجه ودير البنات والسيدة بربارة بقصر الشمع

المتحف القبطي وكنيسة المعلقة

(١٣) ولما كانت الآثار المسيحية المعروضة بالمتحف المصري بقصر النيل والمتحف الاسكندري قليلة جدًّا وكان اكثرها قد تسرب الى الخارج خطرت لي فكرة انشاء متحف خاص لها على مثال المتاحف الثلاثة المصرية الاخرى وهي المتحف المصري بقصر النيل ومتحف الآثار اليونانية الرومانية بالاسكندرية ودار الآثار العربية لتكمل السلسلة بوجود الحلقة الرابعة الناقصة.ولما عرضتُ هذه الفكرة على غبطة الاب البطريرك في سنة ١٩٠٩ لقيت منهُ قبولاً وارتياحاً فتكرم ووضع تحت تصرفي غرفتين في كنيسة المعلقة التي دعيت بهذا الاسم لانشائها باعلى الحصن الروماني ويرجع تاريخها الى القرن

الخامس للمسيح وقد اهتم بترميمها والمحافظة على ما بها من الآثار النفيسة المرحوم نخله بك الباراني .ومن ذلك الوقت اخذت في زيارة الاديرة والكنائس في انحاء القطر المصري وجمعت ما استطعت الحصول عليه من الكتب المخطوطة والاقمشة المزركشة والستور الحريرية والاواني الذهبية والفضية والنحاسية والاخشاب المنقوش عليها صور بارزة والمطعمة بالعاج والاحجار المنقوشة الخ

(١٤) ثم شرعت في البناء غرفة بعد غرفة الى ان وصل المتحف القبطي الى الحالة التي هو عليها الآن وقد زينت هذه المباني بالسقف الاثرية المنقوشة والمشربيات العديمة النظير والاعمدة الرخامية التي جمعتها من الخرائب التابعة لاوقاف الاقباط بمصر والجهات

(١٥) وقد صادفني كثير من العقبات ولكني تغلبت عليها بمعونة الله وبالصبر وطول الاناة وفي ذلك درس وعظة اذ بالمثابرة والاجتهاد يتغلب الانسان على اكبر الصعاب — وان كنت نجحت فالفضل الاكبر في ذلك عائد الى المصريين من جميع الطبقات مسلمين ونصارى وكثير من الاجانب أغنياء وفقراء وفي مقدمة الجميع صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم وساكن الجنان السلطان حسين وامراء العائلة الملكية وبالاخص سمو الاميرين الجليلين البرنس عمر طوسن والبرنس يوسف كمال وغبطة الاب البطريرك ونيافة مطران الاسكندرية اللذين وجدت منهما كل تشجيع. وقد حصلت على تبرعات مالية من كل مذهب اخص منهم بالذكر المرحوم داود بك تكلا.وقد وجدت كل مساعدة في عملي من القمص يوحنا شنوده رئيس كنيسة المعلقة وشقيقه القس مرقس شنوده والدكتور جورجي صبحي ووديع افندي حنا سكرتير المتحف ويسى افندي عبد المسيح امين المكتبة وكثيرين غيرهم اذكر منهم الدكتور بطلر والمستر سومرز كلارك والمستر باترسون المستشار المالي والمسيو باتريكولو والمسيو فوكار والمرحومين المسيو ماسبيرو وهرتس باشا

المكتبة

(١٦) وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم ايد الله بالعدل دولتهُ واتمَّ على هذه الامة في ظل عهدهِ الميمون نعمتهُ فجعل حفظهُ الله للمتحف القبطي حظاً كبيراً من عنايتهِ المالية اذ تكرم بزيارتهِ في شهر دسمبر سنة ١٩٢٠ وفي معية جلالتهِ الوزراء وكبار رجال الدولة واشار جلالتهُ باضافة مكتبة الى هذا المتحف تضمُّ كل ما كتب

عن الاقباط وتاريخهم ولغتهم بسائر اللغات وتبرع حفظهُ الله وانجاله الكرام لهذا المشروع المفيد بمبلغ خمسمائة جنيه مصري وقد تم بمعونة الله وبحسن رعاية جلالتهِ انشاء هذه المكتبة . واهدى اليها مجموعة كتب قيمة ورثة المرحوم ميخائيل بك شاروبيم وكذلك دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني والارسالية الفرنسوية الاثرية بمصر ومتحف نيويورك وقد وضعنا في مدخلها لوحاً من الرخام نقشت عليه العبارة الآتية

« انشئت هذه المكتبة العامرة تخليداً لذكرى تشريف حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم هذا المتحف بزيارتهِ الميمونة في يوم الثلاثاء المبارك ٢١ دسمبر سنة ١٩٢٠ الموافق ١٢ كيهك سنة ١٦٣٧ قبطية » وقد تكرم وساعدنا في ترتيب الكتب بها وانشاء سجلاتها حضرة توفيق بك اسكاروس الموظف بدار الكتب الملكية المصرية

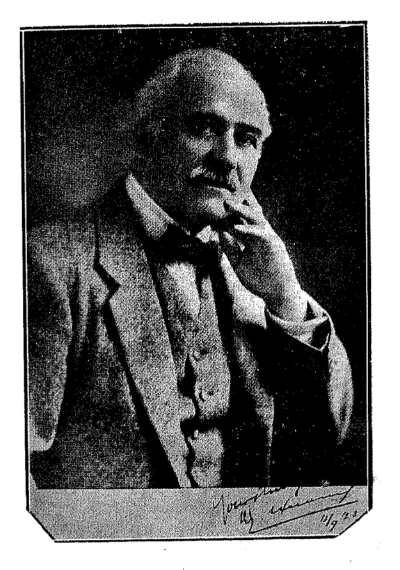
الحصن الروماني

(١٧) انتخبت هذه النقطة البعيدة عن مركز المدينة لانشاء هذا المتحف لجملة اسباب اولاً — لان الآب البطريرك لم يسمح بنقل التحف والذخائر النفيسة التي ستشاهدونها فيهِ من الاديرة والكنائس التي هي موقوفة عليها واكثرها من الاواني المكرسة للخدمة الدينية الأ شرطاً ان تكون في داخل كنيسة وفي عهدة قسوسها ثانياً — ليكون في وسط اهم الكنائس الاثرية كالمعلقة وابي سرجه والسيدة بربارة —ثالثاً ليكون داخل الحصن الروماني الشهير الذي شيدهُ الامبراطور تراجان حسب زعم البعض وهرقل حسب زعم البعض الآخر من الثقات وبهِ الباب الذي دخل منهُ عمرو بن العاص ومن كان معهُ من الصحابة واصبحوا من وقتها اسياد البلاد المصرية

وقد تمكنت بمساعدة لجنة حفظ الآثار العربية من ترميم هذا الباب العظيم والابراج التي ترونها

(١٨) وفي الختام اريد ان اقول اني عضو في لجنة دار الآثار العربية ولا يقلّ اهتمامي بها عن اهتمامي بالمتحف القبطي كما اني اول الساعين في توسيع نطاقها وقد وافقني حضرات زملائي اعضاء لجنة حفظ الآثار العربية على طلب سراي بكتاش الكائنة الى جنوب جامع السلطان حسن لتعرض بها الآثار الحجرية والرخامية حتى يتسنى تسهيل ترتيب الآثار الاخرى المكدسة الآن بعضها على بعض في دار الآثار العربية

مرقص سميكة باشا



السر هنري دتردنج

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٢٨٧

ملوك البترول

السر هنري دتردنج وشركة الدتش رويال

سبق لنا في هذه الفصول ان ذكرنا ثلاثة من ملوك البترول رُكفلر الاميركيّ ودارسي ولورد بيرستد الانكليزيين وسنخص هذا الفصل برجل هولندي يعرف في الاندية المالية بنبوليون البترول او رُكفلر اوربا وهو مدير شركة الدتش رويال اكبر شركة بترويل في العالم. وتاريخ ارتقائهِ انما هو تاريخ اتساع اعمالها وامتداد نفوذها في كل اقطار المعمور

لما تحرر الهولنديون من نير الاسبان في القرن السادس عشر حاول تجارتهم ان يكشفوا طريقاً بحرياً الى الشرق الاقصى فوصل احدهم كرنيليوس هوتمان الى صومطرى حيث رفع العلَم الهولندي وضمَّ اول قطعة ارض من تلك البلاد الى حكومة هولاندا ومن ثمَّ اخذت مستعمرات هولاندا في الشرق الاقصى تتسع وهي تعرف الآن بجزائر الهند الشرقية الهولندية ومنها جاوي وجانب من بورنيو وغرب غينينا الجديدة وجزائر اخرى صغيرة. ومصادر الثروة الطبيعية في تلك الجزائر كثيرة الاَّ ان البترول اعظمها كلها الآن

وكان الهولنديون على اول عهدهم في مستعمراتهم الجديدة لا يعرفون ما فيها من البترول فحولوا انظارهم الى زراعة التبغ والبن. وفي اواخر العقد التاسع من القرن الماضي اكتشف زلكن احد زرَّاع التبغ في صومطرى آثار البترول على مقربة من ارضهِ فنال امتيازاً من السلطان الحاكم حينئذٍ باستخراج البترول واقنع الحكومة الهولندية ان تمدهُ بالمهندسين فحفروا بئراً خرج منها ٥٠ برميلاً من البترول النقي في ثلاثة ايام ثم صار ينبع منها ٣٠٠ برميل في اليوم. وكانت سبل المواصلات ووسائل النقل صعبة فمهّد طريقاً من البئر الى اقرب مرفاٍ لنقل البترول وكانت هذه البئر النواة التي انشئت حولها الشركة الهولندية الملكية (رويال دتش) كما سيجيء. وكان اناس آخرون قد عثروا على البترول في جاوى وبورنيو فانشئت شركات لاستخراجهِ وتكريرهِ

واهتمت الحكومة الهولندية باستخراج البترول فبعثت برجل الى الولايات المتحدة ليتعلم الاساليب المستعملة فيها لاستخراج البترول وتكريره ولما عاد حاول ان يقنع الحكومة بحفر الآبار على حسابها فاخفق فجعل يشتغل لحسابهِ

ولما هلَّ هلال القرن العشرين كان استخراج البترول في جزائر الهند الشرقية

الهولندية متأخراً جداً عما كان عليهِ في الولايات المتحدة · لان الشركات كان تعمل منفرد احدها عن الآخر ولم يحاول احد ان يوحّد العمل بينها حتى تتمكن من التوسع فيهِ

وكان في باتاڤيا بجاوى رجل يدعى كسلر من اصل الماني هولندي يمثل بيتاً من البيوتات التجارية الالمانية استرعى نظرهُ امر البترول فبحث فيهِ ما استطاع وعرف انهُ مستقبلاً عظيماً في التجارة والسياسة فذهب الى لاهاي عاصمة هولندا سنة ١٨٩٠ وانشأ فيها شركة دعاها الشركة الهولندية الملكية لاستخراج البترول من آبار الهند الشرقية . وجعل رأسماله الاساسي نحو مائة الف جنيه . فاشترت هذه الشركة امتياز زلكن في صومطرى بثلاثين الف جنيه فكانت صفقتها هذه بدء سلسلة من صفقات مالية تمّ اكثرها على يد دتردنج جعلتها الآن اكبر شركة بترول في العالم ينضوي تحت لوائها ١٢٥ شركة رأسمالها معاً مائتا مليون جنيه

جُعل كسلر مديراً للشركة الجديدة وبدأ للحال ينفذ خطتهُ التي تتلخص في كلمة « الضمّ » يراد بذلك ضمُّ كل شركات البترول التي تعمل في جزائر الهند الشرقية حتى يوحّد العمل ويتوسع فيهِ

وكانت السنتان الاوليان من حياة الشركة الهولندية الملكية كثيرتي المصاعب لان جانباً كبيراً من رأس المال انفق على مدّ الانابيب لنقل البترول وانشاء محطات التكرير . ولكن كسلر رأى ان المجال امامهُ متسعٌ جدًّا فلم تقعدهُ المصاعب عن المضي في عمله

كذلك كانت الحال في شركة الدتش رويال لما انضم اليها دتردنج . ذلك ان كسلر اخذ يبحث عن رجل همام يشترك معهُ في العمل فقال لهُ احد معارفهِ ان في باتاڤيا في بلدة يينانغ شابًّا يدعى دتردنج وهو ذكي همام لهُ مستقبل باهر يجب ان تتعرف بهِ

فارسل يستدعيهِ ووجد انهُ كان مساعداً لمدير شركة تجارية هولاندية. ومن غرائب الاتفاق ان دتردنج كان قد اهتمّ بالبترول واخذ يدرس دقائقهُ . والسبب الذي حملهُ على الاهتمام بهِ انهُ كان يبيع مصابيح البترول في صباهُ وكان يعتقد ككسلر ان البترول اعظم ما تدور عليهِ التجارة في الشرق الاقصى. فاتفق مع كسلر على ان يشتغل معهُ ناظراً في قسم المبيع وكان ذلك سنة ١٨٩٢ . وللحال ظهرت مقدرتهُ فكأن الطبيعة كانت تسوق اليهِ التوفيق في جميع افعالهِ ولم ينقض زمن طويل عليهِ حتى صار في مقدمة المديرين في قسم البيع . وفي سنة ١٨٩٦ طُلب اليهِ ان يتولى ادارة قسم المبيع في سنقافوره فبدأ في منصبهِ هذا المناظرة القوية مع الشركات المزاحمة لهُ في استخراج البترول وبيعهِ في الشرق الاقصى

واعظمها حينئذٍ شركة الستندرد اويل الاميركية التي مرّ ذكرها حين الكلام على ركفلر و بترول شل. وكانت هذه الشركة لا تزال في اوج قوتها ونفوذها في اميركا وخارجها ولها متاجر واسعة في الشرق الاقصى وخصوصاً في الصين . ذلك ان الصينيين كانوا يستعملون للانارة مصباحاً موءلفاً من فتيلة مغموسة في زيت السمك او زيت غيره فجاء رجال الستندرد اويل ووزعوا على سكان الصين الوفاً من مصابيح البترول باثمان بخسة لكي يمهدوا الطريق لبيع البترول ولذلك دعيت شركة الستندرد اويل « نور اسيا » وصارت كلمة «ماي فوي» وهي اسم هذا الشركة بالصينية من الكلمات المألوفة عند كل صيني حتى انهُ لما قبض بعض قطاع الطرق من الصينيين على سيدة اميركية من اقرباء ركفلر جعلت هذه تصيح « ماي فوي » وهي العبارة الصينية الوحيدة التي تعرفها فاطلق سراحها. ذلك كان مقام الستندرد اويل في الصين حينما عزم دتردنج ان يناظرها هناك · لكن شركة الستندرد كانت قديمة العهد بالعمل ولها نظام دقيق وخطة محكمة تجري عليها فكان من الصعب على دتردنج مناظرتها لولا انهُ رأى ما تتكبدهُ من المشاق في نقل البترول التي تبيعهُ في الصين من اميركا وهو على الضد من ذلك كانت منابع البترول الذي في حوزتهِ اقرب الى الصين من بنسلفانيا او كليفورنيا . وكانت تعوزهُ وسائل النقل اللازمة فاتفق مع لورد بيرستد مدير شركة « شل » (انظر مقتطف فبراير الماضي) على نقل بترولهِ من سومطرى وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان الشرق

وكانت شركة شل تبيع بترول آل روتشيلد الروسي في الشرق الاقصى فادرك دتردنج ان شركة شل التي يستعمل ناقلاتها لنقلهِ بترولهِ من مزاحميهِ في المبيع، فرأى فائدة الاتحاد فأنشئت شركة جديدة تدعى شركة البترول الاسيوية في ٢٩ يونيو سنة ١٩٠٣ لتتولى بيع البترول في الشرق الاقصى وقسمت اسهمها الى ثلاثة اقسام متساوية نالت شركة دتش رويال احدها وشركة شل القسم الثاني وشركة روتشيلد القسم الثالث .فساعد هذا الاتفاق دتردنج على تجديد المناظرة مع شركة الستندرد اويل لان اتفاقهُ هذا اضاف قوةً الى قوتهِ فصار في امكانهِ ان يعتمد على معاضدة بيت روتشيلد المالية ونفوذ الحكومة الانكليزية المعنوي . ولم تمضِ سنة على الاتحاد الجديد حتى ظهر نفوذهُ القوي وصار بترول الدتش شل يباع في جنوب افريقية وشرقها وفي استراليا وزيلندا الجديدة واليابان والفيلبين

على ان دتردنج كان يرمي الى ما هو ابعد من ذلك . رأى ان اتحاد هذه الشركات

على المنوال المتقدم ازال كل مناظرة بينها في بيع البترول ولكنهُ لم يزل المزاحمة بينها في انتاجهِ. لذلك اراد ان يوحّد بين هذه الشركات في الانتاج والتوزيع فأنشئت شركتان تسيطران على اعمال الشركات المتحدة احداها هولندية دعيت شركة بترول بتافيا وحصر عملها في استخراج البترول وما يتركب منهُ . والثانية انكليزية دعيت شركة البترول الانجلوسكسونية وعهد اليها في نقل البترول وخزنهِ وتوزيعهِ . وجعل رأس مال هاتين الشركتين ٢١ مليون جنيه · وجعلت السيطرة لشركة الرويال دتش· وقد جرى دتردنغ في عملهِ هذا على الخطة التي جرى عليها مديرو شركة الستندرد اويل الاميركية وغايتهُ السيطرة على تجارة البترول خارج الولايات المتحدة

ومن الغريب ان لاتحاد شركة الرويال دتش والشل منابع بترول في الولايات المتحدة يستخرج منها ٧٠ الف برميل يومياً. وهكذا تمّ لدتردنغ ان ينشيء هذه السلسلة المحكمة من شركات البترول التي تستخرجهُ وتكررهُ وتنقلهُ وتوزعهُ على احدث الاساليب واحكمها وقد امتد نفوذها الى كل البلدان التي فيها منابع بترول الاّ بلاد فارس حيث تسيطر شركة الانجلو يرشن تعضدها في ذلك الحكومة الانكليزية التي اشترت جانباً من اسهمها سنة ١٩١٤ لتضمن مقداراً كافياً من البترول لتموين بوارجها

هذا وقد نال دتردنغ لقب سر من الحكومة الانكليزية مع انهُ لا يزال محتفظاً بجنسيتهِ الهولندية ومكتبهُ الآن في لندن يدير منهُ هذه الاعمال المالية العظيمة

قابلهُ حديثاً احد مكاتبي الصحف فسألهُ هل غايتهُ السيطرة على تجارة البترول في العالم حتى لا تمخر سفينة عباب البحر الاّ وتشتري جانباً من بترولها منهُ فقال « نحن نتجر بالبترول ومن الطبيعي اننا نريد التوسع في تجارتنا الى اقصى حدٍّ مستطاع . فالاراضي التي نستخرج منها البترول في جزائر الهند الشرقية تقل رويداً رويداً وليس عندنا اراضي بترول غيرها هناك . لذلك نستعمل اموالنا ومعداتنا ونظامنا المحكم في اماكن اخرى وعلماء الجيولوجيا الذي في خدمتنا يطوفون الارض للبحث عن اراضٍ فيها بترول . فاذا اريد بهذا السيطرة فانها غايتنا »

العرب في التاريخ

٤ً هل الشمريون ساميو الرّس (١)

لما جاء ذكر الشمريين لاول مرة في كلام المؤرخين نقلاً عن الرقُم المسمارية الكتابة ذهب العلماء مذهبين: مذهب يقول بسامية اصلهم، ومذهب يذهب بخلاف ذلك. واليوم قد ثبت لدى المحققين ان الشمريين ليسوا بساميين، انما هم جيل من الناس كان موطنهُ الاصلي الديار الواقعة في شمالي العراق في نحو ما نسميهِ اليوم بلاد كوه قاف (وكما يقول بعضهم ققفاس او قوقاز، نقلاً عن الافرنج)، او فارس، او تركستان، او الصين، من غير ان يعرفوا الموطن الحقيقي

وقد هبطوا العراق ولهم لسان راقٍ وكتابة مسمارية محوَّلة عن كتابة مصوَّرة، وآداب خاصة بهم، نقلوها معهم الى العراق حين نزولهم فيهِ، فتلقَّاها عنهم بعد ذلك الساميون حينما جاوروهم، وهم الذين بنوا معبد القمر الذي كشفتهُ البعثة الاميركية في مدينة «أور» (المعروفة في العراق بالمقيَّر) سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤. والشمريون من نفس عنصر البابليين اذ هؤلاء نشأُوا من بقايا اولئك ثم امتزج الكل بالساميين واكثرهم من اشور فجاء من مزيجهم العراقيون. وقد ذكرنا هنا الشمريين لان بعضهم حسبوهم من العرب، حتى زعموا ان اهالي «شمَّر» الحاليّين يرتقون نسباً الى «الشمريين» الاقدمين

وقد ذكرنا العرب في العراق لان الاقدمين اعتبروا العراق جزءًا من جزيرة العرب ولان اجدادنا كانوا مبثوثين في ارجاء العراق في كل عصر مهما تقادم عهدهُ، بخلاف ما زعمهُ مؤرخو العرب بعد الاسلام، اذ زعموا ان الناطقين بالضاد لم ينزلوا العراق الا قُبَيل الدين الحنيف. وهذا الزعم ضعيف غاية الضعف، تفسدهُ، المكشوفات العصرية التي ظهرت في ربوع العراق

(١) الرس كلمة معروفة عند عوام العراق فضلاً عن ادبائه ويراد بها الاصل. وهو ما سماهُ الانكليز والفرنسيون Race ويذهبون الى ان هذا الحرف من عالية الالمانية القديمة Reizd. والذي نراه انه من اصل عربي فصيح هو الرس وهو المعدن اي الاصل الذي يبتدأ منه. كما صرح به اللغويون. على ان علماء اللغة الفرنسيين قالوا ان اللفظة مأخوذة من اللاتينية radix وكل ذلك محتمل الا ان العربية تؤيده احسن تأييد لما تركب على هذه المادة من المفردات العديدة المثبتة لهذا الاصل

٥ عربة في زمن الفِطَحْل (١)

مما يسوء ذكرهُ ، قبل الخوض في البحث ، ان سكان جزيرة العرب لم يأذنوا للافرنج دخول ديارهم دخولاً يمكنهم من التجول فيها والتنقيب في ارجائها ، وكل من حاول تحقيق هذه الفكرة ، اغتيل ، ولهذا لم نرَ من فعَل ذلك في القديم والحديث (٢)

نعم ، ان بعضهم تمكن خفية من نقل بعض رُقم لكن ذلك لا يجلي شيئاً من تاريخ تلك الربوع في قديم العهد . وقد عثرت جماعة من الباحثين على بعض نصوص تعلو انصاباً بيد انها كلها من عهد غير بعيد ولا شأن لها بالنسبة الى القرون المترامية في القدم

فعربة جزيرة كما يقول العرب ، او شبه جزيرة على ما يقول المحدثون ، قائمة في قلب العالم العتيق ، تترجح في ارجوحة معلقة اطرافها بآسية من جهة وبافريقية من جهة اخرى ، فهي كالجسر تجمع بين بلاد وبلاد

عربة بحواياها واتجاه جبالها وهوائها تعود الى افريقية ، وهي باوديتها تتصل بالعراق وتعتبر منحدرهُ الجنوبي. وتكاد الابحر تحاصرها من كل جهة . ويدفع عنها في الشمال فلوات لا تقطع الأ بشق النفس وبوسائل تزهق الارواح، ولهذا عدّت دائماً منعزلة عن بقية الدنيا ، واصبحت هي بنفسها عالماً مستقلاً لا صلة لهُ بما حولهُ ، الأ بواسطة اناس أقلاء يترددون الى الثغور للتجارة لا غير. ولذلك بقيت تلك الربوع قائمة بنفسها وبلغتها وبعاداتها وبخَلقها وبخُلقها

عربة تخيفك اذا نظرت اليها من السواحل التي تتردد اليها سفن البحر ، لانها جرداء وصخورها البحرية حارة جدًّا ، ان جئتها من جهة خليج فارس ، او بحر عمان او البحر الاحمر (٣)

عربة من جهة منظرها التفريعي (الجغرافي) الطبيعي تقسم الى بلادين متميزتين : في الجنوب الغربي نجد عريض يمتد على طول البحر الاحمر و يساوي عرضهُ على التقريب النصف الثاني من الجزيرة كلها ، و يمتد في الجنوب على ساحل بحر الهند و يتصل في الشمال

---

(١) زمن الفطحل عند العرب : زمن نوح النبي (عن لسان العرب) فهو ما يسميه الافرنج بما معناه الزمن السابق للتاريخ Temps préhistorique (٢) حكى لي بعض من اثق بصدقه قال : كنا نخاف هؤلاء الناس اذ كثيراً ما يأتوننا بحجة حج او صداقة واذا هم جواسيس او اناس غايتهم معرفة اسرار التملك على البلاد . ولهذا كنا نأمر بقتل كل من يأتينا من الافرنجة او ممن نعتقد به الجاسوسية من الاتراك الذين نسميهم في بلادنا « الروم »

(٣) اختلف العلماء في اسباب تسمية هذا البحر بالاحمر ولا حاجة الى ان نقف عليها والذي عندي انه سمي بذلك لشدة حرارته على مدى السنة كلها . ومادة ح م ر في اللغات السامية تدل على اللون الذي يلي البرتقالي من الوان قوس قزح وعلى شدة الحر لانهم تصوروا ان الحرارة مولدة من النار وان لون هذه النار الحمرة او لون كالحمرة . ولهذا قالوا حمارة الحر بازاء صبارة البرد

بهضاب تجاور خليج العقبة و بسلسلة جبال سورية . وارتفاع هذا النجد يتردد بين الالف والالفين من الامتار ، و يكون قاعدة لاطواد الحجاز واليمن وحضرموت . وفي هذه الديار جبال يرتفع راسها الى ثلاثة آلاف متر . وفي الشمال الشرقي صحراء عظيمة تكاد تنصف عربة ، فيها بعض ميل الى خليج فارس والعراق وما فلواتها الاّ ذيل فلوات جزيرة العرب . وفي نحو آخر هذه المنطقة بجوار مسقط ما يكاد يشبه جزيرة من الجبال يستنزل الندى بعلوّه فتجذب تلك الرطوبة اناساً يتطلبونها

اوَ كانت عربة يابسة قاحلة على مدى الدهر ؟ كلا. ان شدة تكاثف الهواء لم تنقطع فجأة بعد الامطار المغرقة التي وقعت في عهد الفيضانات الرابعية . لا جرم ان السهول المنخفضة داهمتها المياه وهي التي حفرتها ، كما انها هي التي استأصلت ما كان ينبت فيها ، واغرقت الحيوانات والبشر التي كانت قد اوت اليها . ولم تنقطع الرطوبة دفعةً بل بقيت فيها متمادية في عدة قرون بل في مدة مئات من القرون . والشاهد على ذلك الاودية التي تخترق تلك الصحاري ، وهي لم توجد الاّ لان المياه خدّدت تلك الارض وجرت الى منخفض بلاد كلدية وخليج فارس. وفي ذلك العهد المترامي في البعد، ربما بقيت الجبال جرداء لاجتحاف المياه ما كان عليهـا ، الاّ ان النجوات بقيت خصبة تفيض بالبركات والخيرات . وكانت حيوانات البر تنتابها ، وطيور الجوّ تغرد على افنان اشجارها الغبياء ، فكان ابن آدم يتبعها ليصطاد منها ما يتمكن منهُ ليسد بهِ رمقهُ

بيد انهُ لا ينكر امر وهو ان المحولة بدت باكراً ، ولم ترَ نتائج ضررها الاّ بعد ذلك بكثير ، ولم تكن تلك اليبوسة فجأةً ، بل شيئاً بعد شيء على ما تحكم بهِ الطبيعة . ولقد نقل الينا الخلف عن السلف تدرج هـذه اليبوسة . فلقد روى سنكن يثن ما ذكرهُ اوسابيوس المؤرخ بما هذا معناهُ . « في الجيل الثاني كان الناس يسمون « جنًّا او جانًّا » وكانوا يطوون بساط ايامهم في فنيقية ، ألا انهُ داهمتهم يبوسة شديدة فرفعوا اكُفّهم الى الشمس التي كانوا يعتبرونها مولى السماوات الوحيد . » اه

جرت هذه الطوارئ في عنق الدهر ، ولقد تجددت امثالها فاضطرت القبائل الى هجر ديارها والظعن الى ربوع يرعون فيها ماشيتهم ويجنون من اشجارها ثماراً طيبة

يثبت لنا بلينيوس «ان الرقعة الواقعة بين خليج العقبة ومدينة خارك في اصقاع كلدية كانت آهلة وكان سكانها يعرفون باسم العمانيين (غير اهل عُمَان الحاليين) وكان لهم فيها مدن عامرة وبلدان مهمة ، الا انهم اضطروا الى مغادرتها لغيض الماء . وهذه الرقعة هي

اليوم فلوات واسعة الاكناف تسفي الرياح رمالها ويعدو فيها الرسُلُ اصحاب البُرُد من العرب وهم يذهبون من بغداد الى الشام في تسعة ايام يوجفون فيها ركابهم ولا يرون فيها الاَّ ماءَتين والاَّ فهي خراب يباب . » اهـ كلام بلينيوس

ولنسألنَّ نفسنا عن ماضي عربة في عهد الثلوج . لا غرو ان جبالها الضخمة الجليلة ، كان لها زمن كثرت فيها المثالج على حدٍّ ما كثرت في لبنان وديار الحبشة ، الاَّ انها لم تدم زمنًا مديدًا لقربها من خط الاستواء فكان ابن آدم يأوي الى هذا الحوض الواسع حوض بلاد العرب والعراق ، على ما يرى من الادوات من العهد الشلّيّ (١) وهي ادوات تغزرُ في الصحراء المتسعة الممتدة بين سورية وعربة ، على حدّ ما تشاهد في ديار مصر وسورية وربوع الصمالي

من اين جاءَ الانسان تلك البلاد ؟ — فلنتدبر المواطن ليصح حكمنا فيهِ

٦ اول امرئ سكن بلاد العرب

هل هبط عربة قادمًا اليها من الشمال ؟ ام طرأَ عليها من افريقية ام نشأَ في قلبها ؟ قال العلامة جاك دي مرغان مجيبًا عن هذا السؤَال (٢)

« ان فرضنا ان الانسان الاول الذي هبط عربة جاءَها من الشمال السيبيريّ ، تعذر علينا التمسك بهذا الفرض والسبب هو لانهُ لم تكن صلة ممكنة تصل سيبرية بآسية المتقدمة منذ الازمان الكثيرة الحداثة (البليوسين) الى نهاية حقبة المثالج . فلو كان اجداد الساميين انحدروا من الشمال لكانوا في حالة البشر الثالثيين ، ولو وجد هؤُلاء البشر ، لما نقلوا الى مُقامهم الجديد ذرَّة اللسان الساميّ ، على ما يحكم بهِ الطبع عفوًا . فوجب

(١) العهد الشلي وبالفرنسية Chelléen نسبة الى شل Chelles من اعمال سين ومارن في فرنسة حيث رئيت — على ما يظن — بقايا صادقة لا ريب فيها تدل على انها اعمال من صناعة البشر وهي غير مختلطة بشيء آخر بل مرتبطة احسن ارتباط بالحيوانات الخاصة ببدء العهد الرابعي من طبقات الارض . وهذه البقايا هي ظران او صوان نحتت نحتًا على مثال شظايا عظمية متطايرة وقد زلت من اطرافها الحادة ومن رؤوسها

وضعت لفظة « الشلي » بدلاً من كلمة « آشولي » acheuléen التي كان قد اطلقها العلماء في بادىء الامر على هذه الحقبة لان آثار الانسان التي وجدت في سنت آشول (في صوم من اعمال فرنسة) — واليها نسبت الآشولي — كانت بعد تاريخ البقايا التي عثروا عليها في شل

والخلاصة ان الطور الشلي في علم الانسان يفيدنا اليوم عن بدء الحقبة الرابعة في علم الهلك (الجيولوجية) كما ان الآشولي ينبئنا عن ختام الطور الشلي وكلاهما يسبق مباشرة الطور المستري الذي كثيرًا ما يصعب تمييزه عن الطورين السابق ذكرهما

(٢) J. de Morgan. — Revue de Synthèse Historique T. XXXIV. No, 101 — 102

أن لا يكونوا — وهم في جاري الزمن الكثير الحداثة — الأ خلائق في نهاية الاولية محاورات في ظاهرها الحيوانات العجم . هذا فضلاً عن انهُ لم يكن فيهم دافع يدفعهم الى الظعن الى عربة دون الاقامة في تالد اجدادهم

« في مجرى تلك الازمنة الممتازة بثالجها كانت جبال البُنطس وجبال قاف (قوقاس) ونجدا ارمينية وايران خالية من كل انيس الى ذلك العهد لما تراكم عليها من الثلوج ، فلم يسكنها الناس الأ بعد ان مضت عليها ادهار وكان من اللأواء مجاوزتها

« ولعل قائلاً يقول : ان الناس انحدروا اليها من هضاب آسية المتقدمة الشمالية ؟ ان هذا الامر لا يصدّق الأقليلاً ، لانهم لو فعلوا ذلك لاضطروا الى قطع ارض الفراتين، ويومئذٍ لم تجزر تلك الرقعة ، ولاسيما كلدية، اذ ليس ما يدلنا على عبورهم تلك الاصقاع. وعليهِ كان هذا الرأي خاطراً من الخواطر لا اساس لهُ

« وان قال قائل : ان أوَل سكان عربة جاؤُوها من لوبية . قلنا هـذا الرأي لا يرضينا ، لانهُ لا يرى في قسم افريقية المقابل لعرَبة ادنى امارة تشير الى عبور الساميين. فالقبائل الرابعية كانت مخيمة في الارجاء التي يرى فيها الى هذا الوقت اثارها من القدموس اي الحجارة القِللية (الباليوليثية) وكانت الاهالي متفرقة بلا ادنى ريب وكان لكل من القبائل ما يرزقها في ارضها بكل سهولة ويُسْر . زد على ذلك نشوء المثالج على جبال الحبشة كان قليل الشأن ، فلم يكن ثم مسوّغ ليضطروا الى مغادرة ديارهم والتطويح في المجاهل . والذي نراهُ وقوع ما هو بعكس هذه القضية ، فلقد ذكر لنا التاريخ المدوّن ان الساميين شطوا عن مرابعهم ارتياداً لمنازل يستعمرونها وهي واقعة في ما وراء البحر الاحمر في منتجع غير ساميّ . واذا اردت مزيد تحقيق عارض اللغات اللوبية باللغات السامية فانك لا ترى فيها ما يمتّ بعضها الى بعض بنسب ما . كما لا ترى فيها ما يصل بعضها ببعض في قديم الزمن ولو عكست الامر لكان الخلاف هو الاقرب الى الواقع

« فلم يبقَ معنا الأ القول بان عرَبة هي الموطن الحقيقي للساميين وذلك « بعد العهد الاحدث » المعروف عند الافرنج باسم post-pleistocène ففي ذلك المربع نشأت القبائل ونمت وفشت من غير ان تؤثر عليها طارئة من الطوارئ الغريبة عن اصلهم

« ويتكهن بعض علماء المصريات ان ديار مصر سكنها اقوام جاؤُوها من بلاد فنط . وبلاد فنط هذهِ في نظرهم هي عربة ، ولم يكونوا من جذْم ساميّ . ولا اظن ان هذا الرأي قائم على سَنَدٍ مكين ، لاسباب منها : ان اول من دفع بلاد مصر الى الحضارة كان

من الآسويين (لعلهم من الشمر بين الاكديين) وكان الساميون عهدئذٍ قد تبحروا في عمرانهم قبل ان يهووا في وادي النيل . ومن تلك الادلة ايضاً ان صناعة الحجر في ديار الفراعنة ذات تشابهٍ وتناسب بحيث اذا دخل عليها عناصر افريقية او آسوية غير سامية فلا يكون ذلك الاَّ في عهد مجاورٍ لقدوم الشمر بين الاكديين

« وعندي ان الديار المجاورة لوادي النيل بقيت زمناً مديداً خالية من السكان بعد الفيضانات الرابعية وقد بلغت تلك الفيضانات درجة حتى انهُ لم يستطع احد ان يعيش بعدها ، لانك اذا زرت اليوم اعلى ضهور جبالها رأيت عليها غرْيلاً وليس في ربوع مصر كلها معقل يلجأُ اليهِ الانسان هرباً من الغرق بخلاف ما وقع على جبال پريغور Périgord والپرانس Pyrénées وپروڤنسة Provence وزد على ما ذكرهُ من الادلة ان موقع الفُنْط Pount لم يعرف الى اليوم على التحقيق ، كما انهُ من الجُرْأَة ان يوضع في جزيرة العرب اناس غير ساميين، حين ليس لنا من البراهين لمناصرة هذا الرأي القائل الاَّ اشارات مبهمة وردت في نصوص ربما لم تفسر تفسيراً حسناً (ولا اقول لم تفسر حسناً من باب القطع) بما يتعلق ببلاد فُنْط

« فيؤْخذ من هذه الاعتبارات انهُ لم يعش بعد الفيضانات التي اهلكت سكان مصر والصمال وسقي الفراتين في انحائهِ الشمالية والوسطى الاَّ جماعات قليلة العدد اوكثيرتهُ لجأَت الى اودية شوامخ ديار العرب فتناسل القوم وعادت البلاد آهلة . ولا جرم ان البلاد المجاورة للبحر الاحمر وجبال حضرموت كان لها ما وقع للهضاب الاوربية ، ولا اشك في ان يكشف يوماً في مغاور البلاد المذكورة آثار مصنوعة في عرَبة على مثال ما وُجد منها في غربي اوربا وتونس والجزائر من عهد الحجر الاول او القدموس [1] (العهد الارخيوليطي) ». اه كلام البحاثة الفرنسي فهْر الجابري

(١) القدموس في العربية : القديم من كل شيء . واظن ان الوضع الاصلي كان للقديم من الحجر ثم توسعوا في معناه . والكلمة منحوتة من « قديم » و « لطاس » بتقدير حجر . والحجر اللطاس (بتشديد الطاء) هو ما تكسر به الحجارة . ولطاس مشابه لليونانية لِطوس اي حجر . فيكون معنى قدموس الحجر القديم . وكان اول سبب اتخاذ الانسان للحجر هو كسر حجر آخر دونه صلابة وهذا معنى اللطاس في العربية

وقدموس موافق لقول الافرنج « ارخيوليطي Archéolitique »وهي مركبة من ارخايوس اي قديم وليطوس اي حجر .ومحصله الحجر القديم كما هو معنى القدموس . وللافرنج لفظة اخرى ترادف المذكورة وهي « paléolithique باليوليطي » المنحوتة من اليونانية بلايوس اي قديم وليطوس اي حجر . ومحصل معناها يؤدي ما ادته من المعنى كلمة « ارخيوليطي » اليونانية وقدموس العربية والمراد بذلك عند الهالكيين (الجيولوجيين) اقدم عصر من اعصار الحجر

اثار البتراء

مدينة منحوتة في الصخر

كانت البتراء الى عهد قريب مدينةً مطويةً في صدر البيداء لصعوبة الوصول اليها . اما الآن فقد صار في مستطاع السائح ان يصل اليها بالسكة الحديدية و بسيارة فورد . يسافر من القدس الى نهر الاردن بالسيارة ثم يجتازهُ على جسر (كبري) يدعى جسر اللنبي الى عمان عاصمة امارة شرق الاردن. ومنها يسافر بسكة الحديد الى معان فيصلها في ثماني ساعات الى عشرة . ومن معان يمتطي جملاً او حصاناً الى البتراء فيصلها في نحو ٦ ساعات . وقد زارها حديثاً المستر شبستون عضو الجمعية الملكية الجغرافية ببلاد الانكليز فكتب عنها فصلاً شائقاً في مجلة الدسكفري فاعدنا بعض ما كتبناهُ عنها في المقتطف منذ ٣٠ سنة وشفعناهُ بمقتطفات من مقالتهِ في وصف اعظم آثارها ليرى ابناء الشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة تردُّ غارات اليونان والرومان وانما صلحت لهُ منذ مئات الاعوام تصلح لهُ الآن اذا بذلت الهمة في اعادة العمران اليها . قلنا :

«على منتصف المسافة بين ايلة وبحيرة لوطقبر هرون وعين موسى حيث يقال ان هرون اخا موسى مات ودُفن وان موسى ضرب الصخرة فشقها وخرج الماء منها لسقيا بني اسرائيل. وهناك منفرج بين جبال الشراة فيهِ آثار مدينة قديمة كانت محط القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وهي التي سميت في التوراة سالع وسمَّاها اليونان والرومان بترا ولعلها البتراء الواردة في ما ذكرهُ ابن هشام عن غزوة النبي لبني لحيان حيث قال انهُ سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقهِ الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء . وظن بعضهم انها هي الرقيم التي ذكرها ابو الفداء حيث قال « ومن الاماكن المشهورة بالشام الرقيم وهو بُلَيدة صغيرة بقرب البلقاء وبيوتها كلها منحوتة من الصخر كأنها حجر واحد » . ولكن ذلك بعيد لبعد البلقاء عن جبال الشراة

« ومعنى البتراء باليونانيّة الصخر او الجندل وهذا معنى سالع اسمها بالعبرانيَّة . ومعنى سالع بالعربيَّة الشق في الجبال . ومن الغريب ان منفرج الجبل الذي يوصل بهِ الى اطلالها يسمَّى الآن شقّاً كأنهُ مرادف لاسمها العبراني

«وكانت البتراء للادوميين ثم تغلَّب عليها النبط جاؤُوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفيَّة والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قوَّاد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمهُ اثينيوس فهاجم بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجالها غائبون عنها في سوق عموميَّة وغنم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مائة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حلَّ بهم اقتفى اثرهُ ثمانية آلاف منهم وبيَّتوهُ وقتلوا اكثر رجالهِ . والحملة الثانية بقيادة ابنهِ ديمتريوس وبلغ خبرهُ النبط فامتنعوا عليهِ ولم ينلهم منهُ مكروه

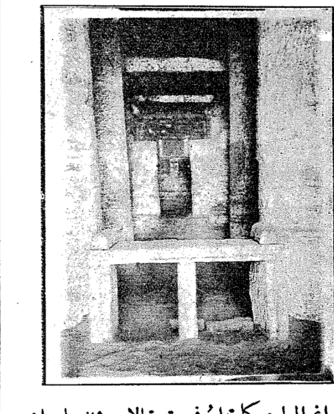
« وذكر سترابون المؤرخُ النبطَ في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها . واكثر الارض حولها قفار ولاسيما في ما يلي اليهودية. وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاختطوا طريقاً لها من ايلة إلى بتراء فدمشق وطريقاً اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

«واتى الفيلسوف اثينادورس صديق سترابون الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

«وذكرها بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعاً تحيط بها جبال لا تُسلك وفيها نهر جارٍ

« وقال يوسيفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عُبيْد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام لهُ كميناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجالهُ ولم ينج منهُ الاَّ بشق الانفس

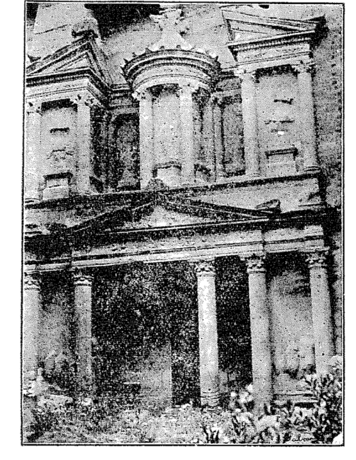
«ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجههِ اولاً الى حيث تمكنهُ البلاد من مناجزتهِ ثم انقلب عليهِ بغتةً بعشرة آلاف فارس من فرسانهِ فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لمّ شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابتهُ ضربة قضت عليهِ وتفرق شمل رجالهِ بعدهُ وانهزم الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوهُ عليهم



الفراغ المعماري كما تراهُ في مقبرة الامير ميخو باسوان
والعمد اسطوانية الشكل

مقتطف مارس ١٩٢٦

انظر الصفحة ٣٠٢



خزنة فرعون في البتراء

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٢٩٩

« وخضعت بتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادر يانس اكراماً لهُ وضربوا نقودهم باسمهِ. ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبق منها الآن الاَّ شيءٌ من مدافنها وهيا كلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعهُ الناس »

وقال المستر شبستون: آثار البتراء فريدة بين عجائب الشرق وبقايا الحضارات البائدة. تجد في خرائب بعلبك وتدمر انقاضاً من الآثار الفخمة ولكنك تجد في البتراء « الساكنة في محاجئ الصخر » على ما جاء في سفر النبي عوبديا هيا كل ومسارح ومقابر ومنشآت لم تنلها يد الفناء باذى وهي لا تزال حافظة للرونق الذي كانت عليهِ يوم نحتت من الصخر

هذه الآثار تدهش السائح بتعدد ما يراهُ فيها من اساليب البناء عند القدماء فترى في الآثار القديمة منها مزيجاً من الفن البتراوي والفن المصري واما المنشآت التي تتلوها في القدم ففيها آثار للفن اليوناني والفن الروماني

المرتقى من معان الى البتراء شاق فيمر السائح تحت جبل هرون الذي سمي كذلك لانَّ هرون مات هناك حسب خرافات البدو وقبل الوصول الى الآثار يمرُّ في مضيقٍ يدعى الشق يختلف ارتفاع جانبيهِ من ٢٠٠ قدم الى ٥٠٠ قدم ثم يدخل وادياً هو موقع مدينة بتراء فتحييهِ من كل جانب منشآت عظيمة معمّدة منحوتة في الصخر

هذا الوادي طولهُ نحو ثلاثة ارباع الميل وعرضهُ يختلف من ٥٠٠ ذراع في الطرف الواحد الى ٢٥٠ ذراعاً في الآخر . والجبال المحيطة بهِ تجعلهُ كعش النسر في شامخ القمم منيع الجوانب لا تطالهُ غارات الاعداء. هذه المناعة وكون المدينة التي نشأت هناك من اكبر محطات القوافل السائرة بين البحر الاحمر وشمال سورية جعلاها من اعظم المدن في ذلك العهد

تجد عند مدخل الوادي ما سمي خزنة فرعون وهي من عجائب المشرق ومن احدث منشآت البتراء اذ يقال ان الفضل في انشائها يعود الى الامبراطور هدريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣١ ب . م وانشأ فيها هيكلاً للآلهة ازيس . والصخر الذي نحتت منهُ وردي اللون وهي لا تزال سليمة قائمة بجدرانها واعمدتها ونقوشها . تتألف واجهتها من صفين من الاعمدة احدهما فوق الاخر في كل صف منهما ستة اعمدة بينها مخادع تحوي تماثيل منحوتة من الصخر ايضاً. والعمودان اللذان يتوسطان الصف العالي

مثال مصغر لهيكلٍ في اعلاهُ قارورة يقول العرب انها تحوي كنوز فرعون .وارتفاع خزنة فرعون هذه سبعون قدماً ولها باب مزخرف بالنقوش يدخل منهُ الى غرفة مساحتها نحو مائة قدم مربعة خالية من الزخارف . وهناك ثلاث غرف اخرى اصغر منها

و يرى السائح على الجانب الايسر من الوادي مسرحاً مدرجاً في نصف دائرة منحوتة درجاتهُ في الصخر يكفي لجلوس ثلاثة آلاف وعلى مقربة منهُ كثير من الاعمدة والمدافن التي تختلف في حجمها كما تختلف في اسلوبها الفني

واكبر خرائب البتراء اذا صحَّ ان ندعوها خرائب هيكل يعرف « بالدير » وهو يشبهُ خزنة فرعون في هندستهِ علوهُ نحو ١٥٠ قدماً وطولهُ كذلك تقريباً . مؤَّلف من صفين من الاعمدة احدهما فوق الآخر

وفي جانب الوادي الايمن او الغربي آثار قصر يدعى قصر فرعون ولا ريب في انهُ كان هيكلاً لاننا رأينا فيهِ مذبحاً ووراءهُ سلم منحوتة في الصخر توُّدي الى قمة اكمة حيث مكان الذبائح فترى مذابح وبُركة للماء وفناء فسيحاً كلها منحوت في الصخر

اما المدافن في البتراء فلا يقل عددها عن ٨٠٠ مدفن . وقد اكتشف السر الكسندر كندي مدافن جديدة لم تكن معروفة قبلاً وعندي انهُ اذا جرى البحث في هذهِ البقعة على اسلوب علمي دقيق وُجدت مدافن اخرى . بعض هذه المدافن نحتهُ الانباط والبعض الآخر نحتهُ اليونان والرومان ومن افخمها مدفن يدعى « مدفن القارورة » وهو عشر غرف كلها فارغة الآن ومساحة اكبرها ٦٠ قدماً مربعة. وهناك مدفن يعرف بمدفن الحاكم دُفن فيهِ سكستس فلورنتينُس احد حكام البتراء من الرومان .وهو اشبه بهيكل منهُ بمدفن فيهِ اعمدة مستديرة واخرى مربعة وتماثيل و يعلوهُ نسر باسط جناحيهِ

وقد كان يجري في هذا الوادي نهر ولكنهُ غاض الآن ولا تزال اثار الجسور (الكباري) التي كانت تصل بين ضفتيهِ ماثلة للعيان.وهناك آثار نفق نُحت في الصخر عند مدخل الشق كان سكان البتراء يجرون فيهِ مياه النهر حين فيضانهِ . وقد كان طول هذا النفق ٣٣٠ قدماً وعلوهُ ١٩ قدماً ونصف قدم وعرضهُ ١٦ قدماً ونصف قدم . كذلك يستطيع الباحث ان يرى آثار قناطر المياه التي كانت تجُرُّ بها مياه الشرب وقد كان لهذه القناطر مدخل مزخرف كقوس نصر نقشت عليهِ تماثيل وصور تجعلهُ من ابدع الآثار وافخمها

الفنون الجميلة والبناء

عند قدماء المصريين

١

قبل عهد الامسر الفرعونية — (اي قبل سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد) : —

بنى اهالي ذلك العصر منازلهم بسعف النخيل المخلوط بالطين والراجح انهم استعملوا اللبن للغرض نفسهِ . اما اثاث تلك المباني فكان بسيطاً سليم الذوق ومنهُ الملاعق العاجية ذوات الايادي المزخرفة ورغم جهلهم آلة الخزّاف الحديثة زانوا اوانيهم الخزفية بالرسوم الهندسية البديعة وصور الحيوانات والسفن والناس والطيور والاسماك والاشجار . وكانوا يطلون خزفهم بمادة زجاجية مع انهم لم يصنعوا الآنية الزجاجية مطلقاً. وقد عثر على تماثيل كثيرة خشبية وعاجية وحجرية من تلك العصور غير متقنة الصنع تمثل مبادئ فن الحفر الذي بلغ شأواً بعيداً في مبدأ حكم الاسر التاريخية . وبمرور الزمن ابدلت الصناعة الخزفية بالحجرية فاخرج الحفارون اواني حجرية بديعة . وينسب الى هذا العصر اقدم الآثار الحجرية المصنوعة من الصوان

عهد الاسر الاولى — (من سنة ٣٤٠٠ الى سنة ٢٦٨٠ قبل الميلاد) : —

ارتقى فن الحفر والنقش كثيراً في هذا العصر كما يستدل من الالواح الاردوازية التي وجدت في جهة مدينة الكاب حيث ثبتت مهارة الاقدمين في الرسوم البارزة

ولما حكمت العائلة الثالثة القطر بدأ الحفّارون يتقيّدون تدريجاً بنظام واحد اضطر في آخر الامر ان يراعيهُ كل حفار ولا يحيد عنهُ . والفضل في اكتشاف اخبار تلك الاسر يرجع الى حفائر الاستاذ پتري في جهة العرابة

عهد الدولة القديمة — (التي حكمت القطر المصري من سنة ٢٦٨٠ الى سنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد) : —

بلغت الفنون الجميلة في هذا العهد مبلغاً عظيماً وهي تمتاز عن امثالها في العهد اليوناني بمطابقتها للواقع واقتصارها على الادوات المنزلية والاحوال المعاشية . من ذلك كثرة رسم زهرة اللوطس (النيلوفر) على ايدي الملاعق وكؤوس الخمر وصنع ارجل السرر

والمضاجع في شكل سيقان الثيران وتزيين السقف بالنجوم تشبيهاً لها بالسماء واستعمال العمد التي على شكل جذوع النخيل وسوق البردي وحزم البشنين وزخرفة اراضي القصور بمناظر المستنقعات الحاوية للثيران وانواع الاسماك والطيور

وعليهِ فالفنون الجميلة وقتئذٍ كانت مقتصرةً على الاشياء النافعة لان المصري لم يهتم باتقان الهيئة او الشكل من اجل الجمال والرونق فقط وهذا الامر يشاهد ايضاً في تماثيل تلك العصور فانها لم تصنع لعرضها في الاسواق بل لنصبها في القبور لما لها من الفائدة في العالم الآخر وهذا من اهم الاسباب التي حدت الى تقدم فن الحفر في تلك العصور ·وتمتاز رسوم المعابد والنقوش التي على جدران هيا كل المملكة القديمة ببروزها وهو امر يقتضي مهارة عظيمة في تقدير درجة البروز وتناسب الحجوم — وهما امران تحتم مراعاتهما في رسم الاشياء الكروية اوالبارزة فوق مسطح مستوٍ .وبالرغم من تقدم الرسم عند المصريين ومعرفتهم لخطأهم فيهِ فانهم لم يغيّروا النهج الذي جرى عليهِ اجدادهم وهو يتلخص في رسم اوجه الاشخاص واكتافهم كما تشاهد من الامام اما باقي الجسد فيرسم كما يرى من الجانب · وبالرغم من هذا الخطإِ فان الرسوم جاءت غاية في الجمال

كان الحفار المصري حينئذٍ الوحيد في تمثيل جسم الانسان على الاحجار ولما كان اهل زمنهِ قليلي الملابس برعَ هو بطبيعة الحال في تمثيل العراة . وما يشاهد من الاتقان في ظاهر تماثيل المملكة القديمة سببهُ انها لم تصنع لتمثل امرأً خاصًّا . لذلك لا يرى الانسان عليها ملامح الانفعالات النفسية التي تختلج في نفوس اصحابها

ولم يعثر حتى الآن على اثر منازل كبيرة او صغيرة من تلك العصور سوى المصاطب الحجرية الضخمة ·واهم ما بلغهُ فن البناء في ذلك الوقت اقامة المصاطب والاهرام والمعابد

اما هندسة المعابد فتتلخص في تخاطيط عمودية وأُفقية متقاطعة غاية في البساطة

ومع ان بناء القبو كان معروفًا الاَّ انهُ لم يستعمل كثيراً · اما السُقُف فكانت تقام على عمد من الجرانيت بعضها مضلَّع رباعيُّ الشكل والبعض الآخر اسطوانيُّ · وتعتبر هذه العمد اقدم العمد التي من نوعها في فنّ البناء . وارتقت صناعة العمد في عهد الاسرة الخامسة فصنع منها كثير على هيئة النخيل او سوق البردي مع تناسب حجم الاجزاء.ولم يتوصل اهل بابل الى استعمال العمد رغم تقدمهم الكثير في تشييد المباني الضخمة

وهكذا يعود الى مصر فخر السبق في حلّ لغز تشييد الفراغ المعماري كما ترى في (شكل ١)

الدولة المتوسطة — ويبدأ تاريخها من سنة ٢١٦٠ وينتهي في سنة ١٧٨٨ قبل الميلاد :—

لم يحفظ لنا التاريخ من اثار الدولة المتوسطة الأ القليل . لكن يستدل من مقابر ذلك العصر ان صناعة البناء حينئذٍ بقيت كما كانت في المملكة القديمة .ولوحظ ان المعبد المدرّج الذي شادهُ احد ملوك العائلة الحادية عشرة بالدير البحري في ناحية الاقصر اتخذهُ احد كبار مهندسي البناء في عهد الامبراطورية انموذجاً للمباني واستنتج من البقية الباقية التي وجدها الاستاذ بتري مكان قصر اللغز (اللابرنث) ومن وصف سترابون لذلك القصر ان ذلك البناء كان غاية في العظمة والابهة بصرف النظر عن حجمهِ وضخامتهِ اما بناء المنازل فانعدمت آثارهُ كلية . وقد عثر الاستاذ بتري على خريطة لمدينة اللاهون بالقرب من هرم سيزستريس الثاني تظهر رسم احياء العمال واتصالها بعضها ببعض وتكديسها بعضها فوق بعض . والحق يقال اننا لم نهتد للآن الى منازل سراة القوم لذلك تجد معلوماتنا عن عمارتها نزرة

وتقدمت الفنون الجميلة في هذا العصر عما كانت عليهِ ايام المملكة القديمة. فبلغ حفر الاحجار درجة كبيرة من الاتقان وضخامة الحجم . من ذلك تمثالا أمنمحت الثالث المنصوبان على بحيرة موريس بالفيوم فان ارتفاع كلٍّ منهما يبلغ احد عشر متراً . ثم اخذت التماثيل تكثر في كل انحاء البلاد وهي تشهد للمصريين بالمهارة في فن الميكانيكا والتصوير . ويلاحظ من مقارنة تماثيل العائلة الثانية عشرة بتماثيل المملكة القديمة انَّ الاولى أقل مشابهة للحقيقة واضعف تأثيراً في النفوس لان المثّال (النقاش) اصبح مضطراً لمراعاة بعض القواعد القديمة دون ان يحيد عنها. لذلك اخذ الملوك والامراء يرجعون في صناعة تماثيلهم الى الاحوال والاشكال القديمة فتأخّر بذلك فن الحفر من حيث الزهو والمطابقة للواقع عما كان عليهِ ايام المملكة القديمة . لكن عثر بعض الباحثين على تماثيل او اجزاء تماثيل لا تظهر عليها اثار التكلف في الصنع وتجسم فيها معالم الحياة وتقاسيم الوجه وتفاصيل العضلات وتؤخذ هذه التماثيل برهاناً ساطعاً على مهارة صناع تلك العصور وطول صبرهم .و بديهي انهُ كلما لانت مادة الحجر الذي يصنع منهُ التمثال زادت مقدرة المثّال على اظهار براعتهِ في النقش والتمثيل . خذ مثلاً تمثال الامير (اوب رع) الذي في المتحف المصري بالقاهرة ففيهِ يتجسم جمال المحيّا ولطافة معالم الجسم

الدكتور حسن كمال

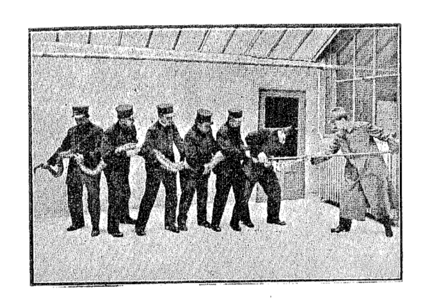
الرحالة دوتي

Charles Montagu Doughty

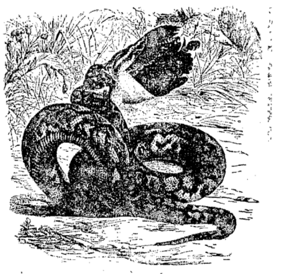
توفي الرحالة الانكليزي تشارلس منتاغيو دوتي عن ٨٢ سنة قضاها في البحث والاستكشاف والتأليف . وكأن رحلة بالغريف في بلاد العرب وقعت من نفسهِ موقعاً عظيماً فشد مطاياهُ اليها سنة ١٨٧٦ . ترك دمشق الشام مع قافلة من قوافل الحج وعرّج على الحجر وهي محط صحي للحجاج وغايتهُ البحث في المدافن المنحوتة في الصخور في مداين صالح والعلا. و بعد ما صوّر المدافن ونقل الكتابات المنقوشة عليها ارسل نسخاً منها الى الفيلسوف رنان بباريس وعزم ان يضرب في الصحراء . وكان شيخ قبيلة الفُقَرا قد حماهُ فتمكن من الجولان في البلاد الواقعة بين الحجاز ونجد وزار تيماء حيث عثر على حجر نقشت عليهِ كتابات تاريخية، اخذهُ الرحالة هو بر فنيا بعد الى باريس وهو في متحف اللوفر الآن

وفي الصيف التالي ذهب الى حايل ثمَّ الى خيبر حيث وجد الحاكم ورجالهُ السود من المتعصبين فاساؤُوا معاملتهُ وهددوهُ بالقتل . فعاد الى حايل واتفق ان عودتهُ اليها كانت في غياب اميرها فامرهُ الحاكم بمغادرتها. على انهُ وجد من يحميهِ في منازل عنزه حيث قضى شهوراً و بعد ما لقي ضروباً من المخاطر والمصاعب وصل الى جدة

و بعد عودتهِ الى بلاد الانكليز نشر وصف رحلتهِ في كتاب سماهُ Arabia Deserta اي صحراء بلاد العرب في مجلدين كبيرين يحسب الآن عند اهل العلم من المراجع التي يُرجع اليها في درس جغرافية بلاد العرب واخلاق سكانها . طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٨ فلم يسترعِ انتباه العلماء ولكن ذكرهُ اخذ يشيع بين اصحاب الاسفار والرحلات ومحبي الادب فنفدت نسخ الطبعة الاولى فاعيد طبعهُ سنة ١٩٢١ وجعل ثمن المجلدين نحو ٩ جنيهات ونصف جنيه . ولما شاع اسم دوتي بين رجال الرحلات منحتهُ الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩١٢ وسام مؤسسها الذهبي . وقد كتب كتباً اخرى ولكن شهرتهُ قامت على كتابهِ هذا عن بلاد العرب. وقضى الشطر الاخير من حياتهِ في نظم الشعر والروايات التمثيلية الشعرية منها « الفجر في بريطانيا » شعر من نوع الاپيك في ٦ مجلدات طبع سنة ١٩٠٦ و« الغيوم» طبع سنة ١٩١٢ و « الجبابرة » طبع سنة ١٩١٦ و«منسول او لغز العالم » طبع سنة ١٩٢٠



افعى اضربت عن الاكل تُطعَم غصباً



يثون افريقية تبتلع طائراً كبيراً
مبتدئة من رأسه



يثون هندية تضغط على فريستها

مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٣٠٥

طبائع الافاعي الكبيرة

و بعض الاوهام الشائعة عنها (١)

الشائع عند العامة ان كل افعى كبيرة من نوع البواء والحقيقة ان وجود البواء مقتصر على مناطق اميركا الاستوائية . وهي كثيراً ما تكون اصغر جداً من الافاعي التي توجد في اسيا وافريقية ويطلق عليها اسم البيثون . والبواء يندر ان يزيد طولها على عشرين قدماً وفي الغالب تكون اقل من ١٥ قدماً

وتعرف اكبر افاعي البواء بالانكوندا وهي تستطيع ان تعيش في الاشجار وماء الانهر على السواء واكبر مثال عرفهُ العلماء لهذا النوع جلد واحدة منها محفوظ في المتحف البريطاني بلندن طولهُ ٢٩ قدماً وقد ذكر بعض اهل الاسفار في كتاباتهم انهم شاهدوا افاعي من هذا النوع طول الواحدة منها ٣٠ قدماً . والراجح ان متوسط طول هذا النوع الخاص من البواء ٢٠ قدماً

والبواء تختلف اختلافاً كبيراً عن افاعي افريقية الضخمة طولاً وشكلاً وتركيباً . فاكبر الافاعي التي درس العلماء طبائعها واحدة تعرف بالبيثون وهي مرقطة ترقيطاً يشبهُ الشبكة ويطلق عليها ايضاً اسم الافعى الملكية لكبر حجمها وافعى قوس قزح لما يرى على قشورها من مختلف الالوان . وقد يبلغ طول الواحدة منها ما يزيد على ثلاثين قدماً ولا يستغرب وجود افاع منها طولها بين ٢٥ قدماً و٢٩ قدماً وهي من اجمل الافاعي الكبيرة شكلاً ولوناً وتوجد في سيام وسومطرى وبرما وبورنيو وجزائر الفيلبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية

هذه الافاعي الضخمة ككل الافاعي تسلخ جلدها في اوقات معينة ويتفاوت الزمن بين سلخة واخرى بتفاوت عمر الافعى وصحتها وحرارة المكان الذي هي فيهِ وهل هي سريعة النمو او بطيئتهُ وهل تعيش عيشتها الطبيعية او هي اسيرة في قفص

فاذا كانت الافعى صغيرة السن سريعة النمو سلخت جلدها مراراً اكثر مما تسلخهُ افعى طاعنة في السن بطيئة النمو. والغالب ان الافاعي التي تسوء صحتها تسلخ جلدها اكثر مما تسلخهُ الافاعي التي تتمتع بصحة جيدة . والافاعي التي تحفظ في اماكن دافئة تسلخهُ اكثر من التي تحفظ في اماكن باردة

---

(١) للاستاذ هنري شيك في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية

واذا كانت الافاعي مطلقة الحرية تعيش عيشتها الطبيعية سلخت جلدها كاملاً واما اذا كانت اسيرة في قفص فالغالب ان يُسلَخَ جلدها قطعاً قطعاً وفي كثير من الاحيان تحتاج في سلخهِ الى مساعدة من يعهد اليهِ العناية بها سواء كان ذلك في حديقة حيوانات او شركة غايتها الانتقال من بلد الى الاخر لعرض الحيوانات . وقد حاولتُ ان اسلخ جلداً كاملاً من افعى اسيرة من نوع البيثون فلم افلح انما افلحت في سلخ أفعى هندية اسيرة بعد ما وُضعت في ماء فاترٍ نحو ١٢ ساعة ثم امسك بها خمسة رجال تولى احدهم سلخ جلدها فقضى اربع ساعات قبل انجاز عملهِ . وهذا الجلد ليس الجلد الحقيقي بل هو الطبقة السطحية من البشرة . واما الجلد الحقيقي الذي تصنع منهُ احزمة السيدات والمحافظ التي يحملنها فلا يستطاع الحصول عليهِ الاَّ بعد موت الافعى

من المعتقدات الشائعة انهُ يجب حفظ الافاعي الاسيرة على الجليد . والحقيقة على الضد من ذلك اذ يجب حفظها في اماكن دافئة . وهذا يصح بنوع خاص على الافاعي الاستوائية . فاذا وضعت الافاعي الاستوائية في اماكن حرارتها اقل من ٧٠ درجة بميزان فارنهيت اي نحو ٢١ درجة بميزان سنتغراد تعسَّر عليها هضم طعامها فيبقى في معدتها و يختمر فيها.وقد رأيت مرة افعًى من الافاعي الاسيوية الكبيرة منتفخة ولما بحثتُ عن سبب الانتفاخ وجدتهُ ناجماً عن برد الافعى فلم تستطع ان تهضم طعامها . وكثيرون من المشتغلين بعرض الحيوانات يستعملون مصابيح البترول لتدفئة اقفاص الافاعي

وليس في مقدرة انسان ما سواء كان رجلاً او امرأة ما يمكّنهُ من التأثير في الافاعي فيجعلها تنقاد لهُ صاغرة.فلست تجد افعى لها من العقل والادراك ما يمكّنها من التمييز بين شخص وآخر.والعامل الوحيد الذي يمكن بعض الناس من التسلط على الافاعي قائم في معاملتها بالحسنى وتعويدها ذلك. كذلك لا تستطيع افعًى من الافاعي ان تؤثر في الطيور او غيرها من الحيوانات . فقد قيل ان اكثر المخلوقات ومنها الانسان يولد وفيهِ خوف طبيعي من الافاعي الاَّ ان التجارب اثبتت فساد هذا القول والطيور ترفرف باجنحتها امام الحيات لا خوفاً منها بل لتصرفها عن عشاشها وصغارها

ومن الاوهام الشائعة ان لسان الافعى المشقوق يستعمل للسع وهو خطأ لان لسان الحية لا يضرُّ احداً بوجهٍ من الوجوه وتراهُ في افواه الافاعي السامة وغير السامة على السواء . وكل ما فيهِ ان الافعى تستعملهُ للذوق كما يستعمل الانسان لسانهُ .والراجح ان حاسة الذوق فيهِ قوية حتى لتستطيع الافعى ان تشمّ بهِ بعض الروائح القوية في الهواء

وليست الافاعي الافريقية والاسيوية المعروفة بالبيثون ولا البوآء سامة . فهي قادرة على ان تعضّ حتى لتمزق لحمَ من تعضهُ ولكنها لا تسمّهُ . والجرح الذي ينجم عن عضتها يندمل سريعاً في الغالب لان اسنانها ملساء لا يعلق بها شيءٌ من فضلات الطعام التي تدخل الجروح وتختمر فتسبب التهاباً فيها وتسمماً في الدم . وهذه الافاعي الكبيرة تستعمل اسنانها لتمسك فريستها بها لا لتمضغها كما يُظنّ ولذلك تراها ملساء بسيطة التركيب متجهة رؤُوسها الى الحلق ومتى اطبقت فكيها على شيءٍ تعذّر اخراجهُ من غير تمزيقهِ

والغالب ان الافعى من هذه الافاعي تعضُّ فريستها حيث يتفق لها ثم تلتف عليها مرتين او ثلاث مرات وتضغطها حتى تميتها و بعض الافاعي الصغيرة تبتلع فريستها حية ولكن الكبيرة القوية تقتلها اولاً

ويصعب على افعى من هذه الافاعي ولو كان طولها ثلاثين قدماً ان تبتلع فرخة حية. ولذلك تميتها لا لتقلل حجمها كما يعتقد كثيرون بل لان الفريسة الحية تُحرك فيصعب ابتلاعها ومتى اماتت الافعى فريستها بدأت تبلعها مبتدئة من رأْسها . وفي بعض الاحيان تشرع احدى الافاعي بابتلاع فريستها من مكان آخر غير الرأْس ولكنها لا تسير في عملها طويلاً حتى تجدهُ مستحيلاً اذا لم تكن الفريسة صغيرة الحجم جدًّا

ولا تغطي الافعى فريستها باللعاب قبل ابتلاعها ولكن حالما تدخل الفريسة الفم يسيل فيهِ سائل يبللها حتى يجعلها سائغة . وتستطيع هذه الافاعي ان تبتلع فريسة قطرها اربعة اضعاف قطر حلقها . وذلك لان مفاصل الفكين مرتخية يمكن تمديدها . وقد رأَيت مرة فكي من الافاعي الكبيرة ينفصلان احدهما عن الآخر نحو ٩ بوصات

تحكى حكايات كثيرة غريبة عن مقدرة الافاعي على ابتلاع الحيوانات وقتلها بالضغط عليها . ولاشك عندي في ان افعًى يختلف طولها بين ٢٥ قدماً وثلاثين قدماً تستطيع ان تميت حيواناً حجمهُ حجم الحصان او الثور فقوة الضغط فيها تفوق التصوّر . وقد حدث لي انهُ لما كنت اطعم حية منها في احد الايام لفّت ذنبها على كاحلي ولما حاولت ان اتملص منها اضطررت ان استعمل يديَّ الاثنتين وكلَّ قوتي

حدثني احد الجنود الانكليز الذين قضوا زمناً طويلاً في الهند قال انهُ رأى افعًى ضخمة تلتفُّ على حصان ولما ضغطت عليهِ تكسرت عظامهُ ووقع ميتاً في الحال . ولكن ما من افعى تستطيع ان تبتلع حيواناً كبيراً كهذا . على اني لا ارى سبباً يمنع احدى هذه الافاعي من ابتلاع انسان عادي وقد قال لنا الرجل الذي ابتعنا منهُ اكبر الافاعي

التي كنا نعرضها على الناس وطولها يزيد على ٣٢ قدماً ان لديهِ صورة لهذه الافعي وهي تبلع ايلاً وزنهُ ٧٦ رطلاً . وقد ابتلعت وهي في ادارتنا خنزيراً وزنهُ ٤٥ رطلاً

والغالب ان الافاعي لا تهاجم الانسان او الحيوانات الثدوية الاَّ اذا دفعت الى ذلك لكنها تهاجم الحيوانات التي يسهل عليها ابتلاعها كالطيور والحيوانات اللبونة التي يتراوح وزنها بين ٢٥ رطلاً و٤٠ رطلاً او اقل من ذلك . ومتى قُبض على احدى هذه الافاعي تحارب حرب الابطال للتملص من الاسر وقد تبطش بكل ما يعترض سبيلها حينئذٍ تفعل ذلك خوفاً من ان تصاب باذى فاذا عرفت ان من يسعى لاسرها لا يريد بها ضرراً استأنست بهِ في الغالب . ولا يخلو الامر من ان بعض الافاعي التي تبقى خبيثة تتحين الفرص للبطش بصاحبها

ومن الاوهام الشائعة ان هذه الافاعي لا تأكل الاَّ فريسةً حيةً وقد يكون ذلك صحيحاً متى كانت في حالتها الطبيعية فلا تأكل الاَّ ما تقتلهُ بنفسها ولكن بعد ما يمضي عليها مدة وهي في الاسر تستأنس بمن يعهد اليهِ في العناية بها وتأكل ما يقدّمهُ لها

اما اذا كان ما يقدم لها فيهِ اثر ما للفساد فانها ترفض ان تأكلهُ . وقد رأيت مرة افعى تتقيأ لانها ابتلعت طعاماً طعمهُ فاسد . فحاسة الشم والذوق في الافاعي حادة جدّاً

ويتألف طعام الافعى الكبيرة في الغالب من الكتاكيت والارانب وتستطيع الواحدة منها ان تأكل ستة او سبعة في طعام واحد ثم تبقى نحو اسبوع من غير ان تطلب طعاماً. ذلك لان هضم الطعام يستغرق هذا الوقت وهي تهضم الطعام كلهُ حتى العظام. واما ريش الطيور وشعر الارانب فلا يهضم. ومتى اكلت الافعى كفايتها وشرعت تهضم طعامها قلّت حركتها . وعلى الضد من ذلك فان حركتها تزداد حينما تجوع فتسير ورأسها مرفوع تطلب فريسة تلتهمها . وقد ذُكرت افاعي بقيت من سنة الى سنتين من غير طعام

ويحدث من آن الى آخر ان افعى ترفض ان تأكل . وهذا الرفض لا ينجم عن عزمها على الاضراب لانها لا تعقل الى هذا الحد ولكن اذا سافرت سفراً طويلاً من بلاد الى اخرى كسفرها من الهند الى اميركا فقدت شهيتها . في حالة كهذه ندخل الى معدتها بيضاً مخفوقاً مع اللبن بواسطة انبوب من المطاط . وبعضهم يدخل خنزيراً من خنازير الهند او صوصاً في حلق الافعى وفي الغالب تعود شهيتها للطعام بعد ما نغصبها على الاكل وتجري بعد ذلك جرياً طبيعياً في طعامها

مجلان

اول من طاف حول الارض

وُلد في البرتغال سنة ١٤٨٠ وكان ابوهُ من اشراف البلاد فنشأ في حاشية الملكة لنور زوجة الملك يوحنا الثاني ملك البرتغال . ثم اتصل بحاشية الملك مانويل خلف الملك يوحنا ولما كان في الرابعة والعشرين من عمرهِ انضمَّ الى المتطوعين الذين سافروا في ركاب اول نائب عن ملك البرتغال الى بلاد الهند . وخاض في الهند معارك كبيرة ابلى فيها بلاءً حسناً وجرح في معركة كنانور وشهد افتتاح مدينة ملقا وسافر شرقاً لاكتشاف جزائر الافاويه فمرَّ من شمال جزيرة جاوى فبينها و بين جزيرة مدورا ثم قطع ارخبيل سلبيس حتى وصل الى جزيرة بندا فوجد فيها من الافاويه ما يفوق الوصف فقفل راجعاً الى ملقا . وفي هذه الرحلة شهد امامهُ انبساط الاوقيانوس الشرقي الذي دعاهُ بعدئذٍ بالباسفيكي اي الهادئ وهو اسمهُ الى الآن

عاد الى البرتغال سنة ١٥١٢ بعدما نال لقب قبطان جزاءً لهُ على شجاعتهِ ومهارتهِ وفي سنة ١٥١٣ رافق الحملة البرتغالية التي سافرت الى شمال افريقية لافتتاح مدينة في المغرب الاقصى فجرح في الحصار ولكن البرتغاليين افتتحوها عنوةً . واتهم بعد ذلك انهُ خان وطنهُ بمحاولتهِ الاتفاق مع البربر لكنهُ نفى هذه التهمة بوثائق ايدت اقوالهُ . على ان مليكهُ كان قد اخذ يصرف نظرهُ عنهُ لسبب مجهول وافهمهُ انهُ لا يريدهُ في بطانتهِ فغادر بلادهُ الى اشبيلية فوصلها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٥١٧ ومنها ذهب الى بلاط ملك الاسبان في فلادوليد فتخلى عن جنسيتهِ البرتغالية وتقلد الرعوية الاسبانية بواسطة رجل برتغالي الاصل ذي نفوذ كبير في بلاط ملك اسبانيا

وتزوج مجلان ابنة هذا الرجل فساعدهُ في ان يعرض على الملك المشروع الذي اعدَّهُ للطواف حول الارض ويتلخص هذا المشروع في محاولة الوصول الى جزائر الافاويه بالسفر غرباً وكان مجلان يأمل ان يكتشف عند طرف اميركا الجنوبية مضيقاً يتصل منهُ الى الجانب الآخر من اميركا وقال انهُ مستعد للسفر جنوباً الى ان يبلغ الدرجة ٧٥ من العرض الجنوبي لاكتشاف هذا المضيق . وساعدهُ في اعداد خطتهِ فلكي برتغالي نُفي من بلادهِ يدعى فاليرو وفي ٢٢ مارس سنة ١٥١٨ وقَّع مجلان وفاليرو وثيقة رفعت الى

ملك اسبانيا وُعدا فيها بان يكون لهما $\frac{1}{20}$ من كل الغنائم التي يصيبانها والباقي يعود لحكومة اسبانيا لقاء مساعدتها المادية والادبية . ومُنحا ايضًا الحق في اقامة حكومة في



مجلان اول من طاف حول الارض

كل البلدان التي يكتشفانها يتولاها ابناؤُهم واحفادهم بالوراثة . وفي العاشر من اغسطس سنة ١٥١٩ اقلع الاسطول الذي اعدتهُ لهُ الحكومة الاسبانية وهو موءلف من خمس سفن اكبرها سفينة تدعى سانت انطونيو محمولها ١٢٠ طنًّا والثانية ترنداد ومحمولها

١١٠ اطنان وكانت هذه السفينة امتن السفن كلها فجعلها مجلان « سفينة العلم » ثم الكونسبسيون ومحمولها ٩٠ طنًا والفتوريا ومحمولها ٨٥ طنًا وسنتياغو ومحمولها ٧٥ طنًا . ولم يعد الى اسبانيا من كل هذه السفن سوى الفتوريا كما سيجيء. وكان عدد الرجال الذين سافروا معهُ ٢٧٠ رجلاً او ٢٨٠ اكثرهم اسبان و بينهم ٥٧ على اقل تقدير من البرتغاليين و٣٠ من الطليان من (جنوى) و١٩ من الفرنسو يين وانكليزي واحد والماني واحد رجع منهم في السفينة فتوريا ٣١ رجلاً . اما فاليرو الفلكي فتخلف عن السفر لانهُ استطلع مصير الرحلة بوسائلهِ الفلكية فزعم انها صائرة الى الاخفاق ورجالها الى الهلاك . وجملة ما انفق على تجهيز هذا الاسطول بلغ ٥٠٣٢ جنيهاً وقيمتها حينئذٍ تساوي نحو ١٥٠ الف جنيه من نقودنا الآن

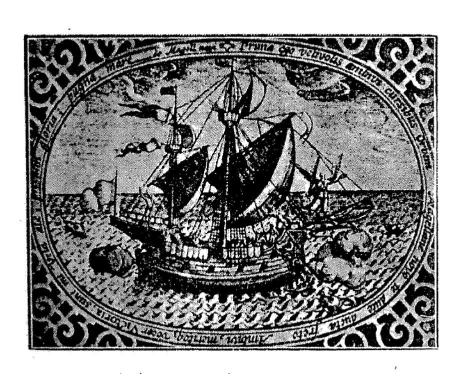
اقلعت السفن في ١٠ اغسطس متجهة الى الجنوب الغربي وفي ٢٩ نوفمبر لمح مجلان جنوب اميركا عند رأس سانت اغسطين ومن ثم سار محاذياً لشواطئ اميركا الجنوبية حتى وصل الى مصب نهر لابلاتا فوقف فيهِ يبحث عن منفذ منهُ الى الجهة الاخرى من اميركا . وفي آخر مارس من السنة التالية وصل الى بورت سانت جوليان وهي على الدرجة ٤٩ والدقيقة ٢٠ من العرض الجنوبي فقضى فيها الشتاء . ووطد علائق الصداقة مع اهلها واطلق عليهم اسم البتاغونيين اي ذوي الاقدام الكبيرة

وغادر مرفأ سانت جوليان في ٢٤ اغسطس سنة ١٥٢٠ وبعد مسيرة شهرين تقريباً كشف رأس الاحد عشر الف عذراء عند مدخل المضيق المعروف الآن بمضيق مجلان في طرف اميركا الجنوبية . وطول هذه المضيق ٣٦٨ ميلاً وهو حافل بمخاطر البحار فقضى ٣٨ يوماً في اجتيازهِ بعد ما انفصلت عنهُ سانت انطونيو اكبر سفن الاسطول . وفي ٢٨ نوفمبر عقد مجلساً من ضباط السفن وربانيها لينظروا في مداومة السفر الأ انهم بلغوا منتهى هذا المضيق الخطر في ٢٨ نوفمبر واطلوا على « البحر الجنوبي العظيم » فدعاهُ مجلان بالباسيفيك اي الهادىء لهبوب ريح لطيفة ساقت المراكب في تؤدة وطمأنينة

وقضى مجلان ورجالهُ ٩٨ يوماً في اجتيازهذا الاوقيانوس الزاخرالذي «يفوق التصور في اتساعهِ» ولم يكشفوا في هذه المدة سوى جزيرتين. وكان الطعام معهم قد قارب النفاد فلم يبق معهم سوى ماء قليل آسن وبسكويت عفن واخذ داء الاسكربوط يفتك بهم وعضهم الجوع بنابهِ حتى صارت الجرذان وجلود الثيران والنشارة اكلاً يُحسد عليهِ من

يستطيع الوصول اليهِ . اخيراً وصلوا جزائر لادرون في ٦ مارس سنة ١٥٢١ وقد دعاها مجلان كذلك لتفشي اللصوصية بين سكانها والراجح ان المرفاء الذي رسوا فيهِ كان مرفأ جوام . هناك اخذ الاسطول عدتهُ من الماء والطعام وبعد راحة ثلاثة ايام اقلعوا منها متجهين الى الغرب فساروا سبعة ايام شاهدوا في نهايتها جزيرة سامار وهي من جزائر الارخبيل المعروف الآن بالفيلبين . وفي ٧ ابريل وصلوا الى جزيرة سيبو في قلب الارخبيل فتصادق مجلان مع اميرها المشهور بالغدر وكان يدعي انهُ مسيحي ليستخدم مجلان ورجالهُ في قضاء مآربهِ . وجهز مجلان حملة لاكتساح جزيرة مكتان ليضيفها الى امارة صديقهِ ولينشر فيها الدين المسيحي فقتلهُ بعض سكانها في ٢٧ ابريل سنة ١٩٢١ فاتفق امير سيبو مع نفر من رجال الاسطول لينضموا اليهِ ولما صاروا في قبضتهِ ذبحهم ذبح الاغنام وبينهم جوان سرانو احد اميري البحر الذين انتخبا ليخلفا مجلان في قيادة الاسطول. فاحرق الباقون احدى سفنهم وغادروا الفيلبين الى ملقا وبورنيو . وظهر خلل في السفينة ترنداد فتخلفت عن المسير في جزيرة تدور . فتولى قيادة السفينة الباقية «فتوريا» رجل يدعي جوان سبساتيان دل كانو واقلع بها متجهاً الى اوربا في ٢١ دسمبر سنة ١٩٢١ ولقي من المشاق والمصاعب في رحلتهِ حول رأس الرجاء الصالح ما يفوق الوصف . ولما بلغوا جزائر الرأس الاخضر اسر البورتغاليون ثلاثين من رجالها فلم يصل الى اشبيلية من رجال الاسطول الاصليين سوى ٣١ رجلاً وكانت الفتوريا السفينة الاولى التي طافت حول الارض

ومع ان مجلان لم يصل الى جزائر الافاويه التي كانت غايتهُ لانهُ قتل في الفيلبين لكن غرضهُ كان قد تحقق لانهُ في رحلتهِ الاولى كان قد قطع خط الطول الذي وصلهُ قبيل قتلهِ وكانت طريق البحر من ملقا الى اوربا معروفة لدى البحارة الاسبان والبرتغاليين. ومع ذلك لم ينل اسمهُ ما يستحقهُ من الظهور في التاريخ الاَّ ان العلماء يرون انهُ واحد من الروَّاد العظام الذين نذكر في مقدمتهم كولمبس وماركو بولو . فانهُ حقق الخطة التي تخيَّلها كولمبس وطوافهُ حول الارض يوازي اكتشاف اميركا ، كلا العملين في الطبقة العليا بين اعمال المكتشفين والروَّاد



الفتوريا اول سفينة طافت حول الارض

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٣١٢

مذهب تناسخ الارواح

يحدثنا التاريخ ان هذا المذهب قديم آمن بهِ قدماء اليونان من اصحاب المذاهب الفلسفية ، كفيثاغورس وافلاطون صاحب القول المأثور ان التعلم تذكُّر ، وانما اخذ فلاسفة اليونان هذا المذهب عن قدماء المصريين ، على حين ان هؤلاء ايضاً تعلموا هذه التعاليم من الهنود، فالمذهب على هذا الاعتبار هندي وقديم قد تطور مع الزمن ككل شيء

ولقد اتى على هذا المذهب حين من الدهر ذاع عنهُ في اصقاع المعمورة ان النفس البشرية اذا لم ترقَ في تجسدها الى درجة اسمى تستأهل بها ان تتجسد تجسداً يتناسب مع الناسوت العام ، امكنها ان تتقمص جسد حيوان . جاء اعرابي يطلب الى آخر ممن كانوا على هذا المذهب ان يقرضهُ مبلغاً يردّهُ اليهِ اذا التقيا في تجسد مقبل ولكن الاعرابي كان خفيف الروح وصاحب نكتة اذ اجابه على التو — اني اقبل هذا الصنف من المعاملة على شريطة ان تضمن لي بان لا تتقمص جسد حيوانٍ في تجسدك المقبل ، وهذا ما يدل ايضاً على ان هذا المذهب كانت تعرفهُ العرب

على حين ان هذا الرأي ليس من الوجاهة ولا من الصواب في شيء ، لان القول بان النفس البشرية تعود القهقرى في تجسداتها فتتقمص بجسد حيواني — بدعة ابتدعها رجال الكهنوت القدماء ، وكان غرضهم من ذلك تخويف الكافة حتى يكفوا عن ارتكاب الآثام ، واتيان الخطايا خيفة ان يُردوا الى هذا العالم بهائم تعذَّب. ذلك بان ناموس الترقي العام وشكل الجسم الروحاني ووظائفهُ الفزيولوجية تنقض هذا الرأي وتجتثهُ من اساسهِ

والآن نريد ان نعرض بعض التأملات والاسباب التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتقاداتهم هاتهِ فنقول انهم يعللون التناسخ ويزكون رأيهم فيهِ واعتقادهم بهِ بما تنطق بهِ حوادث التاريخ وهاك بعض ذلك

(١) ولد في لوبيك (من أعمال المانيا) ولد يدعى « انريكوس اينيكيم » سنة ١٨٧١ بدأ يتكلم بكل فصاحة في الشهر العاشر من عمرهِ و بعد شهرين تعلم اسفار موسى الخمسة وفي الشهر الرابع عشر تعلم العهدين (القديم والحديث) وفي العام الثاني من عمرهِ اتقن تاريخ الاقدمين وقيل انهُ كان يعادل شيشرون في فصاحتهِ باللاتينية و يظهر غلطات في مؤلفات أكبر ادباء فرنسا

(٢) ان « هيرموجين » علم « مارشيلاوس قيصر » علم البيان والمعاني وكان هذا الاستاذ في الخامسة عشرة من سني حياتهِ

(٣) رُوي عن فتاة افرنسية انها بلغت الرابعة عشرة من سني حياتها ولم تكن تعرف الأ البسيط النادر من لغتها ولما نوموها تنويمًا مغنطيسياً كانت في نومها تكتب وتتكلم اللغتين الانكليزية والالمانية بفصاحة ولباقة ورشاقة تأخذ بمجامع القلوب ، فمن اين جاءها ذلك ان لم يكن قد ارتكز في فطرتها من تجسد سابق ثم حجبتهُ المادة وكثافتها الى ان حان حين التذكر؟

(٤) روي عن « يوحنا فيلبس باراتيه » انهُ كان في الرابعة من عمرهِ يتكلم ويكتب الفرنسية والالمانية واللاتينية وفي السنة السادسة اتقن اليونانية ، وفي السابعة العبرانية فترجم التوراة الربانية الكبيرة في اربعة مجلدات ضخمة واضاف اليها مجلداً آخر من الحواشي والمباحث

(٥) روت الجرائد الانكليزية والفرنسية سنة ١٨٦٨ عن فتاة انكليزية بقيت خرساء حتى الثالثة عشرة من عمرها لم تتعلم الأ كلمتي (ابتاه) (اماه) وانها لكذلك اذ شرعت تتكلم في يوم ما بلغةٍ مجهولة لارابط بينها و بين الانكليزية ولبثت جاهلة اللغة العائلية بتاتًا حتى اضطرَّ اخوها ان يتعلم لغتها الغريبة كيما يمكنهُ ذلك من التفاهم واياها . فمن اين كان لها ذلك

(٦) ان الفتاة « تريزيا ميلانوتلو » ادهشت عواصم اوروبا بضربها بالكمان — حتى قال عنها الموسيقار الشهير (بايو) يظهر انها ضربت بالكمان قبل ان تولد

(٧) اتقن (موزار) الموسيقار الطائر الصيت ضرب الارغن في الرابعة من عمرهِ وفي الثانية عشرة من سني حياتهِ الّف روايتهُ الموسيقية الاولى

(٨) لماذا نجد في بعض الناس استعدادات شتى مجردة عن الخواطر التي اقتبسوها بالتعليم والتلقين والتهذيب ؟

(٩) لماذا نجد في بعض الفتيان استعداداً فائقًا لصناعة من الصنائع او علم من العلوم ينبغون فيها نبوغًا عظيمًا ؟ (١٠) لماذا نأنس في بعض الفتيان من ارقى الطبقات واعظمها في الامم المتمدينة ومن ذوي الحسب والنسب ميولاً ساقطة وخيمة يعجز التهذيب عن استئصالها ، وفي بعض فتيان من الوضعاء ومن احطّ الطبقات بل ومن الرعاع ، عواطف شريفة ، وميولاً خيرة ونزعةً الى النفع والخير ؟

(١١) لماذا نجد في بعض الناس افكاراً غريزية لم يتلقنوها من احد ولم يوفق اليها غيرهم ؟ (١٢) ما هي ضرورة وجود المتوحشين قِبَل المتمدينين ؟ والهمجية ازاء التمدين والعمران ؟ واذا اخذت طفلاً من اطفال الهمج في اواسط افريقية وربيتهُ في اشهر مدارس اوربا ، هل هو من بعد ذلك يصل الى درجة ارسطو او نيوتن ؟

هذه جماع اراء تعنّ لاصحاب هذا المذهب جئنا بها نعرضها امام القرّاء من غير ان نتحمل تباعتها — وهم يزيدون على ذلك فيقولون : اذا نحن كفرنا بمذهب التناسخ وقلنا بوحدة حياة الانسان الجسدية اضطررنا الى الاقرار بخلقة الروح مع الجسد ، وكان لزاماً على خصوم مذهبنا ان يحلّوا لنا هذه المسائل حلاً معقولاً يتسق ومذهبهم . قالوا :

فاما ان الله يخلق الروح مع الجسد فهو ما يؤدي الى الاعتقاد بان الانفس في الخلقة متساوية او مختلفة ، فان خلقها مختلفة كان وحاشاهُ ان يكون — تنزهت قدرتهُ وتعالت حكمتهُ يزين بعض الانفس بصفات ويترك غيرها في ظلام الجهل .وان قلنا ان الله خلق الانفس متساوية وانما جاءت الاختلافات من الاختلافات الكائنة في التراكيب العضوية كان هذا الجواب اعقد للمسألة من الاول لانهُ يبقي المشكلة من غير حل. اذ نعود الى السؤال — لماذا يهب العليم القادر الحكيم جلّ شأنهُ لنفس جسماً صحيحاً معافًى قويًّا كامل الصفات وللاخرى جسماً ضعيفاً ناقصاً يقيد قواها العقلية

على ان رأياً كهذا يوافق ضلال الماديين ويجعل الانسان آلة مادية تتلاعب بها الاهواء وينفي عنهُ مسؤولية اعمالهِ فلا حساب ولا عقاب لما في بنيتهِ من نقص

اما اذا عاد المجيب الى انهُ قد ترك للانسان جهة الاختيار فهو بما فيهِ من حرية مسئول عن اعمالهِ — فان اصحاب مذهب التناسخ يعودون يسألونهُ لماذا يمنح الله البعض جسماً مطواعاً لا ميل فيهِ الى الرذيلة ويقيد غيره بجسم متمرد يضطر النفس الى جهاد وجلاد وتعب وعناء ينتهي بها الى الفشل والسقوط . قالوا : وما نحن بمنكرين ما للجسم من القوة التأثيرية على النفس وعلاقة الحالة العضوية بالحالة النفسية وتأثر الثانية بالاولى وانما نحن نذهب الى القول بانهُ ليس كل ما في الانسان من فضيلة او رذيلة ، وذكاوة او غباوة ، ليس كل هذا ناتجاً عن تأثر الحالة النفسية بالحالة العضوية . آية ذلك انَّا نرى ولدين من اب واحد وام واحدة يتباينان تبايناً كلياً الواحد عن الآخر في الصفات والمواهب والقوى حتى يحقّ لك ان تسمي الواحد ملاكاً طاهراً والآخر شيطاناً رجيماً — مع انهما يكونان قد تربيا في مدرسة واحدة واعتنقا مذهباً واحداً

حسن حسين

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

نزوح الدروز الى حوران

وحروبهم ضد ابرهيم باشا

نشر حضرة البحاثة عيسى افندي اسكندر معلوف في مقتطف شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ مقالة عنوانها « دروز حوران وحرب ابرهيم باشا » ضمنها حقائق جمة لا يتسنّى العثور عليها الاّ لمن كان مثلهُ كثير البحث والتنقيب مولعاً باخبار السلف حريصاً على حفظ آثارهم . ونظراً لتعدد الروايات التي تناقلها الرواة والكتّاب في موضوع بحثهِ فاني اضيف بعض ما اطلعت عليهِ منها الى بعض ما ذكرهُ الاستاذ المفضال

نزوح الدروز الى حوران — اختلفت الاقوال في تاريخ نزوح الدروز الى حوران . اما الروايات المرجح صدقها فمتفقة ان بني الحمدان هم اول من انتقل اليها من الدروز وان انتقالهم حصل بعد خراب بلدتهم كفرا من مقاطعة الغرب الاعلى في لبنان الواقعة بالقرب من عيناب . وقد قال الاستاذ عيسى افندي في بدء مقالتهِ مشيراً الى بني الحمدان « فناوأهم الامراء التنوخيون وخربوا قريتهم فساروا الى حوران منذ قرنين ونصف او اكثر » . فالامراء التنوخيون انقرضوا سنة ١٦٣٣ م وكانت قد ضعفت شوكتهم قبل ذلك . فاذا كانوا قد ناوأوا بني الحمدان فيجب ان يكون قد حصل ذلك منذ ثلاثة قرون او اكثر . على اننا لم نقف على خبر خراب كفرا الاّ بعد عهد التنوخيين اي في سنة ١٧١١ على اثر انكسار اليمنيين في موقعة عين داره فالمرجح انهم ذهبوا حينئذٍ الى حوران واليك البيان :

ان بني الحمدان كانوا يمنيين و يستدل من اخبارهم انهم كانوا ذوي بأس شديد . وكان يسكن قرية الفساقين المتاخمة املاكها لاملاك كفرا بنو حمزة الذين كانوا قيسيين فدب بين الاسرتين دبيب العداء وفتك بنو الحمدان ببني حمزه حتى كادوا يفنونهم وانتقل الباقون منهم من الفساقين الى عبيه حيث لا يزال اعقابهم موجودين الى الآن . وتكررت الحوادث العدائية في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر بين العائلات المنتمية الى الحزبين فاشتدَّ في النفوس حب الانتقام حتى اذا ما حصلت موقعة عين داره وانكسر اليمنيون انكساراً لم تقم لهم قائمة بعدهُ اخذ القيسيون ينكلون باليمنيين المنتشرين في البلاد . وكان آل تلحوق قيسيين فحضروا يوم عين داره مع زعيم حزبهم الامير حيدر الشهابي وابلوا بلاءً حسناً فنزع الامير حيدر مقاطعة الغرب الاعلى من يد الامير يوسف ارسلان اليمني واقطعها آل تلحوق فلما رجع احدهم الشيخ بشير الى وطنهِ بعد هذه الوقعة حرق شملان وعيناب وكفرا وقتل اكثر رجالها لانهم كانوا يمنيين[1]

فمما تقدم يتضح ان خراب كفرا حصل سنة ١٧١١ وبما انهُ مشهور ان بني الحمدان نزحوا الى حوران عند خراب بلدتهم هذه فتكون سنة ١٧١١ هي تاريخ نزوحهم اي منذ ٢١٥ سنة

حرب ابرهيم باشا — ورد في المقالة التي نحن بصددها في صفحة ٤٩٩ من المقتطف ان طلب تجند دروز حوران ونشوب الحرب ضد ابرهيم باشا حدثا في سنة ١٨٣٥ غير انهُ ذُكر في السطر الاول من صفحة ٥٠٠ ان الحرب استمرت تسعة شهور وفي صفحة ٥٠٣ ان ابرهيم باشا تسلم اللجاه في تموز سنة ١٨٣٨ فمن هذين القولين الاخيرين يعلم ان طلب التجند ونشوب الحرب بسببهِ حصلا في خريف سنة ١٨٣٧ لا سنة ١٨٣٥ وان الحرب انتهت في صيف سنة ١٨٣٨ ويؤيد ذلك روايات الكتَّاب المعاصرين

قوَّاد الحملات المصرية — ورد في صفحة ٥٠٠ ان قائد الحملة الاولى الكبرى كان محمد بك المصري على انهُ ورد في مخطوطة[2] لاحد الدمشقيين الذين عاصروا ابرهيم باشا ان قائد الحملة كان « محمد باشا مفتش الجهادية » وفي مخطوطة حورانية محفوظة عند

(١) اخبار الاعيان ص ١٥٦ و ١٥٧ (٢) توجد نسخة منها في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت. وهي غير « تاريخ حوادث الشام ولبنان » المنسوب الى مخائيل الدمشقي والذي نشر الاب لويس معلوف اليسوعي

كاتب هذه الرسالة ان قائد الحملة كان « محمد باشا باشت النزام » [١] ورواية البارون دومنياك ياور سليمان باشا الفرنساوي تعزز هاتين الروايتين [٢]

وجاء في صفحة ٥٠٠ ايضاً ان الحملة الثانية كان يقودها طيفور بك اما المخطوطتان المذكورتان قبلاً ففيهما ان الحملة كانت تحت قيادة احمد باشا. وروى البارون دومنياك ايضاً انها كانت تحت قيادة « احمد منيكلي باشا وزير الحربية » وورد في قصيدة حورانية للشيخ ابي علي الحناوي من مشاهير ابطال الدروز الذين حاربو ابرهيم باشا ما يؤيد رواية المخطوطتين السابقتين ويستنتج منهُ ان طيفور بك كان مع احمد باشا وهذا هو قولهُ الذي ورد فيهِ ذكرهما

اخذنا المدافع والجباخانات والذُخَر والذبح [٣] ما تحصي لهُ مقدار
احمد باشا راح محمول نعشهُ وطيفور بك ومثلهُ اوزَار [٤]

قوّاد الدروز وعدد رجالهم — ورد في صفحة ٥٠٠ ان دروز حوران « كانوا يسيرون تحت راية الشيخين حسن جنبلاط وناصر الدين العماد من كبار دروز لبنان الذين انضموا برجالهم فصار عددهم عشرة آلاف مقاتل من فرسان ورجالة » اما المشهور فهو ان دروز حوران كان يقودهم شيوخهم وكان كبير هؤلاء يحيى الحمدان واكثرهم شهرة حسين درويش وحسين ابوعساف واشترك معهم اشتراكاً فعّالاً شبلي العريان من راشيا . اما الشيخان حسن جنبلاط وناصر الدين العماد فلم نطلع على ما يثبت انهما اشتركا في حرب اللجاه وفي قيادة الدروز هناك لكن توجد روايات متواترة عن محاربتهما ابرهيم باشا في وقعة وادي بكّا بقرب قرية ينطا وكان ذلك عند انتقال ميدان القتال الاكبر من اللجاه الى وادي التيم . من ذلك ما رواهُ صاحب « اخبار الاعيان » في صفحة ٥٨٥ و٥٨٦ و٥٨٧ وهو « وفي غضون ذلك حضر الشيخ ناصر الدين العماد يلتمس من الامير (بشير) صفو الخاطر لينال مكرمة منهُ فطيب قلبهُ وامر لهُ بصلة فقبضها وسار الى العريان [٥] . وفي

---

(١) اعني النظام وهي هنا بمعنى الجيش واللبنانيون يدعون السنة التي جند فيها ابناؤهم في الجيش المصري « سنة النظام »

(٢) صفحة ١٤٦ من كتابه Nézib et Beyrout (٣) القتلى (٤) وزراء

(٥) هو شبلي العريان كبير دروز وادي التيم في ذلك العهد وقد كان اشد زعماء الثورة بأساً واصعبهم مراساً يوجد شبه كبير بينه وبين « دي وت » بطل حرب الترنسفال . فكان يشترك في الوقائع الكبرى ثم يهدد خط المواصلات ويستولي على الذخائر والمؤن ويقلق الجنود المرابطة في اللجاة بالمناجات الليلية ولا يكاد يفعل ذلك حتى يسمعوا باذكاء نار الثورة في حاصبيا او راشيا ليحمل الجيش المصري على توزيع قواته

ذات يوم بلغ عسكر الدروز انهُ قادم من دمشق الى عيحا علايف لعسكر ابرهيم باشا فارسل الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد نحو ثلثماية رجل لأخذها فلما وصلوا الى وادي يسمى وادي ممسي وجدوا العلايف قادمة فتسلموها جبراً واذا بمصطفى باشا قادماً بعسكرهِ فاشتعلت نار الحرب بينهم فلما بلغ الشيخين ذلك انطلق اليهم الشيخ ناصر الدين بثلثماية مقاتل وتبعهُ الشيخ حسن باربعمائة وخمسين مقاتلاً ولما اقبلوا . . . . على الارناووط شبوا عليهم نيران الوغى و بلغ ابرهيم باشا ذلك فحمل عليهم بشطر من عسكرهِ»

ثم ذكر المؤلف خبر اعتصام الشيخين باماكن صعبة المسالك في وادي بكا واستبسالهم في مقاتلة العدو حتى كادوا يهزمونهُ واخيراً فرغت ذخيرتهم . ثم استطرد في كلامهِ قائلاً : « هذا والشيخ ناصر الدين مستل سيفهُ يفري بهِ من يصل اليهِ حتى قتل خلقاً كثيراً من حواليهِ ثم قتل ولم ينجُ من اصحابهِ سوى خمسين نفراً واما الشيخ حسن فلما ايقن ان لا نجاة لهُ ولقومهِ الاَّ بالهرب فرَّ بمن نجا منهم الى شبعا »

وعلى اثر هذه الوقعة حصلت وقعة شبعا التي انتهت بتسليم الدروز وانتهاء حرب ابرهيم باشا

اما بلوغ عدد الدروز الذين حاربوا ابرهيم باشا عشرة آلاف فربما يكون لدى الاستاذ ما يؤيدهُ لكن يظهر لنا انهُ اكثر كثيراً مما هو مشهور

ففي مخطوطة [١] الدكتور مخائيل مشاقة ان عدد رجال دروز حوران كان عند نشوب الحرب الف وستماية وفي مخطوطة الكاتب الدمشقي التي سبقت الاشارة اليها ان عدد الدروز وعربان الجباه الذين اتفقوا معهم كان نحو الفين وحسب رواية اركوهرت كان عدد الدروز اقل من الفين [٢] . فما زاد عن هذا العدد يجب ان يكون اتى من لبنان ووادي التيم لكن لا يمكن ان تكون النجدة من البلدين المذكورين بلغت ثمانية آلاف . لان دروز لبنان ادخل منهم ١٢٠٠ شاب في سلك الجندية المصرية والباقون نزع منهم سلاحهم واستمالت الحكومة اليها مواطنيهم المسيحيين وسلحتهم وكان موقفهم عدائيًّا نحو الدروز ففي هذه الحالة لم يبق في وسع دروز لبنان ان يرسلوا نجدة كبيرة الى اخوانهم المحاربين وربما كان كل ما انسلَّ من دروز لبنان لمساعدة الثائرين هو تلك

(١) موجودة نسخة منها في مكتبة الجامعة الاميركية

(٢) صفحة ١٦٣ جزء ١ من كتابه Urquhart, The Lebanon

القوة التي قادها الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد في وادي بكّا وعددها الف وخمسون رجلاً

اما الذين ثاروا في وادي التيم فكانوا تحت قيادة شبلي العريان وقد ورد في مخطوطة الكاتب الدمشقي التي اشرنا اليها قبلاً ان عدد الذين اتصلوا بهِ بلغ نحو اربعة آلاف على اننا نعتقد ان بين هؤلاء كان القادمون من لبنان . وعليهِ فالمرجح ان جملة قوات الدروز لم تتجاوز ستة آلاف او سبعة · وانما زاد عددهم الى هذه الدرجة بعد ما طال امد الحرب اما في وقائع اللجاه التي بطشوا فيها بالحملات الاولى والثانية والثالثة فتواترت الروايات بانهم لم يزيدوا على الفين

تسليم شبلي العريان — كان لتسليم شبلي العريان شأن كبير في نظر ابرهيم باشا لانهُ كان مقداماً سريع الحركة واسع الحيلة كثير المباغتات لحملات الميرة والذخيرة والفرق السيَّارة والقوات المرابطة هنا وهناك فكان يشغل بال كل قائد من القواد على السواء . وربما كان شأنهُ هذه سبباً في اختلاف الروايات عمن توسط في تسليمهِ لابرهيم باشا

وقد ذكر الاستاذ عيسى افندي انهُ سلم عن يد امين شحرور واورد ذكر حادث كان بينهما قبل التسليم · على ان راوياً آخر ذكر حادثة تقرب منها عن علي اغا البصيلي وان شبلي سلَّم عن يد هذا الاخير . لكن في مخطوطة الكاتب الدمشقي ان التسليم جرى عن يد نقولا ضاهر

وآخر ما نذكر من هذه الروايات ما ذكرهُ البارون[1] دومنياك وهو ان شبلي ذهب الى ابرهيم باشا مباشرة فجاء الى احدى نقط الجيش الامامية وطلب ان يسيروا بهِ الى القائد العام ففعلوا . وقد روى البارون حصول الحديث الآتي بين ابرهيم باشا وشبلي العريان

شبلي — ياصاحب الفخامة ها انا اتقدم اليك واضعاً رأسي بين يديك

ابرهيم باشا — ومن انت ؟

شبلي — شبلي العريان

ابرهيم — ماذا ؟ اذاً انت الذي اوقعت بمحمد باشا واحمد باشا

---

(١) صفحة ١٥٢ من كتاب Nézib et Beyrout



شبلي باشا العريان المتوفي سنة ١٨٧٤

ارسل الينا هذه الصورة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٣٢٠

شبلي — نعم ياصاحب الفخامة

ابرهيم — طيب · فانت تستحق الموت

شبلي — اني اعلم ذلك

ابرهيم — لكن مع هذا فاني اعفو عنك لانك شجاع وانا احب الشجعان ومنذ الآن انت في خدمتي واعينك قائداً لألف رجل غير نظامي فاجمع فلول اخوانك الدروز فانهم جنود أكفاء وانا ارتب لهم المرتبات وسيكونون نواة فرقتك الجديدة

شبلي — انك عظيم رحيم يامولاي . واني شديد الاسف لاني اطلت مقاومة ابرهيم الذي لا يقهر · اما الآن فاراني سعيداً بان اكون مملوكك باذلاً دمي في سبيلك

بيروت سليمان ابو عز الدين

اعظم موارد الثروة في فلسطين

حضرة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء

قرأت ما جاء في مقتطف يناير سنة ١٩٢٦ تحت عنوان « الاحوال في فلسطين » فشاقني الى كتابة هذه السطور وعسى يكون منها فائدة للاغنياء وتفكهة للقراء

بحثتم في ذلك المقال عن ثروة فلسطين الزراعية واليكم الآن بعض الوصف لثروة ثانية لا تقل عن تلك شأناً .اذا كانت لا تفوقها وهي لا تزال مدفونة في التراب لا يعيرها احد اهتماماً

اسعدني الحظ ان اكون في زمن الحرب العالمية برفقة عالمين من علماء الالمان احدهما جيولوجي مشهور اسمهُ الدكتور ولف او ڤولف Dr. Wolff والثاني مهندس معادن اسمهُ الدكتور بايشلاغ Dr. Beyshlag حفيد اللاهوتي الالماني الشهير بايشلاغ وابن العلامة الدكتور بايشلاغ مؤسس المعهد الملكي البروسي الجيولوجي في برلين ومديرهِ

انتدبت حكومة تركيا هذين العالمين في زمن الحرب للبحث عن وقود في العراق وسوريا · غير ان الانكليز كانوا قد احتلوا الجانب الاكبر من العراق فلم نتمكن من السفر الى تلك البلاد فاقتصر بحث هذين العالمين على بلاد سوريا الشمالية والجنوبية

و بعد تجوال ثلاثة اشهر ونصف شهر في اماكن مختلفة في لبنان وفلسطين قرر احدهما الدكتور ڤولف ان المعادن كالحديد والكبريت والفحم الحجري والحمر موجودة في لبنان غير ان نفقات تعدينها تفوق قيمتها كثيراً وعلى الاخص الفحم الحجري منها وذلك لان الفحم في لبنان مؤلف من طبقة رقيقة لا يزيد معدل سمكها عن ٢٠ — ٣٠ سنتيمتراً و٤٠ او ٥٠ ٪ منها مركب من الكبريت غير النقي والفصفور المؤكسد

انتقلنا من لبنان الى فلسطين لاتمام البحث. فوقف بنا القطار في محطة «تل شهاب» المشهورة بشلالاتها الغزيرة العظيمة الهبوط. وقد اشارا على الحكومة — وجمال باشا رأسها اذ ذاك — باستثمار هذه الشلالات ولولا انهزام الاتراك والالمان بعد حين من فلسطين لكان تمّ ذلك المشروع واصبحت تلك السهول المرتفعة الواسعة الخصبة التربة والقاحلة تقريباً بين الشام ودرعا وتل شهاب جنات خصبة تعود بالغلال الكثيرة على الاهلين والحكومة. هذا عدا القوى الكهربائية الممكن توليدها من تلك الشلالات اذ انها ولا شك اعظم او من اعظم الشلالات في الشرق الادنى

وقف بنا القطار بعد حين في وادي اليرموق في محطة المقارن بين حوران وعجلون. خرجنا من عربتنا الخصوصية وفي يد المهندس مطرقة صغيرة كعادة الجيولوجيين. واقتربنا من الجبل القائم امامنا وضرب المهندس بمطرقته على الصخر الذي يتركّب منهُ ذلك الجبل فوجدنا حجراً اغبر اسود اللون طريًّا ذا طبقات رقيقة كاللوح الحجري فظننهُ باديء ذي بدء من ذلك الصنف غير انهُ ما كاد يشم رائحتهُ حتى قال الجيولوجي: انظر ما هذا وابتسامة الظفر تعلو شفتيهِ. رائحة البترول (الكاز) قوية في هذا الحجر. نحن نفتش عن وقود وهنا كنز عظيم منها. ثم نظرنا الى الجبل المقابل فرأينا قبة عالية كالقبب التي تقام عادة فوق آبار البترول فذهبنا اليها. ومن الآثار الظاهرة والمعدات المتروكة هناك علمنا ان القصد منها البحث عن البترول. و بعد حين علمنا ان شركة انكليزية اميركانية المانية ابتدأت عملها قبل الحرب بثلاث سنوات وصرفت مبالغ طائلة لاستخراج البترول ولكن لم يسفر عملها عن نتيجة ما وجاءت الحرب فاوقفت اعمالها. قال المهندس وهو كما سبقت حفيد لاهوتي مشهور جاء في سفر من اسفار التوراة — واذا كانت الذاكرة لا تخونني ففي نبوة اشعيا او حزقيال — «واستخرج من الصوان زيتاً» ثم قال اذا كان القدماء استخرجوا من الصوان زيتاً فلماذا لا اعصر انا من هذا

الحجر زيتاً وانا ابن القرن العشرين . وكان والده قد فعل ذلك قبل اشهر في المانيا من اللوح الحجري

رجعنا الى المحطة وابرق حالاً الى الشام انهُ مستعد ان يسيّر القطار بواسطة هـذا الحجر بدل اشجار الصنوبر والتوت والسنديان والزيتون التي كادت الحكومة تأتي عليها كلها لولا هذا الرجل الذي كان يتألم كثيراً كلما نظر الى تلك الاشجار الثمينة تقطع وتحرق . لبّت الحكومة طلبهُ وفعلاً استطاع ان يسير القطار بواسطة هذا الحجر الذي يشتعل بعود الثقاب . لكنهُ لم يقف عند هذا الحد بل قال يجب ان استخرج زيتاً معدنياً لا بترولاً من هذا الحجر اذ لا ينابيع بترول هنا . و بعد اسابيع استطاع هذا النابغة ان يستخرج مقادير صغيرة من الزيت المعدني على طريقة بسيطة اولية . — وهنا ليعذرني القراء اذا احتفظت بهذا السرّ لانهُ سرّ الرجل لا سري . ثم ارسل المهندس نموذجاً من هذا الحجر الى معهد ابيهِ في برلين لفحصهِ و بعد اشهر جاء الجواب بان الحجر يحتوي على ١٢ — ١٥ ٪ من الزيت المعدني عدا البترول والبنزين والبنزول الخ . ثم امر المهندس ببناء بعض الافران وكان يستخرج في اليوم ما يزيد على الطن من الزيت الجامد بنفقات لا تذكر . ثم استقدم من المانيا ثلاث ماكنات كبيرة لاستخراج الزيت ولولا الانهزام الاخير لكان بامكانهِ ان يستخرج بواسطتها ما يزيد على ١٦ طناً من الزيت المعدني كلّ يوم ولكن ابى الدهر الاّ ان تدرس تلك الآثار التي اقامها وتصبح اثراً بعد عين اذ ما كدنا نترك ذلك الوادي حتى هدم البدو تلك البنايات وحطموا الآلات كلها وهذا شأن الجهل اذا حل مكان العلم والاجتهاد

هذا شيء قليل مما فعلهُ ذلك الرجل العظيم — وهو الآن صاحب معملين لاستخراج الزيت من الحجر في المانيا — ويظهر من رسائلهِ اليّ انهُ لا يزال مشتاقاً للرجوع الى ذلك الوادي اي وادي اليرموق المعروف عند الاهلين « بوادي جهنم » لشدة الحر فيهِ

اما هذا الحجر فمن النوع الكلسي واسمهُ العلمي : Bitumen اي القار

وموقع هذا الوادي بين جبلين عظيمين لا يقل ارتفاع كل منهما عن ٥٠ — ١٠٠ متر فوق سطح الوادي ويمتدان من تل شهاب الى وادي الحمة — حيث المياه المعدنية الحارة بالقرب من سمخ وطبرية — اي مسافة ٩٠ — ١٠٠ كيلو متراً . و يؤلف هذان

الجبلان من هذا الحجر الثمين ولا يعلم الاَّ الله عمقهما في الارض وامتدادهما عرضاً

سألت الرجل على اثر تقارير جمة قُدّمت الى الحكومة وبعد ما صرَّح لي بشوق عن رغبتهِ بالبقاء في ذلك الوادي بعد الحرب هل يستطيع ان يضارب شركات الزيت والبترول في اميركا واوروبا بعد الحرب فاجاب « اني بعد الفحص الدقيق والحسابات الكثيرة استطيع ان اقول اني لو وهبت الزيت للحكومة من غير لقاء وبعت لتر الامونياك بيارة تركية واحدة لتمكنت بمساعدة شركة غنية من ان اربح ما يقارب المليون ليرة في السنة . هذا عدا الجير — الكلس — والسمنت الذي كنا ابتدأنا نصنعهُ والبنزين والبنزول والغليسرين الممكن استثمارها بسهولة . قد يظن البعض ان في هذا التصريح مبالغة ولكن متى عرف كثرة ذلك الحجر وسهولة استخراج مقادير كبيرة من الزيت والامونياك والجير والسمنت بمصاريف قليلة صدق رأي المهندس ودهش من هذه الثروة العظيمة في سوريا وفلسطين

قلت للمهندس ولكن المكان غير صحّي وهيهات ان تتمكن من جلب العمال الى هذا المكان بعد الحرب ولا يغرنك الآن ما تراهُ من كثرة اليد العاملة لان هؤلاء ما كانوا اتوا الى هذا المكان لولا خوفهم من الجندية والذهاب الى ساحة الحرب وان ما تعطيهم اياه من اجرة كبيرة الآن لا يقبلون اضعاف اضعافهِ في زمن السلم — كانت اجرة العامل البسيط بين ٤٠ — ٧٥ غرشاً تركياً في اليوم ومضاعف هذه القيمة اذا اشتغل ليلاً مع ١٠ ٪ عملة ذهبية وكيلو واحد من الخبز وبعض الايام كيلو ونصف وغرف المنامة تقدم مجاناً للعملة — والعامل في سوريا الآن لا ينال الاَّ نصف هذه القيمة او ثلاثة ارباعها

وقلت لهُ انت ترى ان حمّى الملاريا تفتك فتكاً ذريعاً بالعمال فقال : العلم يستطيع كل شيء وانهُ بالامكان ان نحول وادي جهنم هذا الى فردوس بهي . الا ترى برلين فانها كانت وضواحيها منذ سنوات من اخبث المستنقعات . وشجر الدفلة حيث يكثر البعوض نستطيع استئصالهُ في مدة قصيرة ونزرع مكانهُ شجر اليوكالبتوس المفيد الصحي . ومتى زال البعوض زالت الملاريا ايضاً

ليست هذه البقعة الوحيدة في سوريا وفلسطين حيث نجد هذا الحجر بل نجدهُ — ولكن ليس بهذه المقادير الكبيرة قرب الهرمل في سوريا وقرب النبي موسى على ٢٠

كيلومتراً من القدس الى ناحية اريحا وبحيرة لوط . ويعرف هناك بحجر النبي موسى واهل البلاد يصنعون منهُ آنية جميلة وزخارف جمة يبيعونها من السياح باسعار باهظة . وهو يحوي من ١٥— ١٧ ٪ من الزيت . اي انهُ افضل من حجر المقارن انما استثمارهُ صعب نوعاً

هذه اعظم ثروة في سوريا اتيت على ذكرها علَّ بعض المتمولين من الوطنيين ينتبهون اليها ويسعون الى استثمارها قبل ان يسبقهم الصهيونيون اليها واني اشير عليهم اذا فعلوا ان يستقدموا ذلك المهندس من المانيا اذ هو وحدهُ يمكنهُ ان يفعل ذلك . هذا عدا ما لهُ من الحق الاول في استثمار هذا المعدن لانهُ مكتشفهُ ومكتشف طريقة استثماره . واني اشير عليهم بالاسراع لان كثيرين من الصهيونيين طلبوا اليَّ حينما كنت في الوطن ان اقدم لهم تقريراً عن الاعمال هناك واطلعهم على كيفية الاستثمار فاحلتهم على المكتشف وهذا يدل على ان في نية البعض منهم استثمار هذه البقعة من الارض واذا فعلوا فليبكِ الوطنيون ثروة طائلة تذهب من ايديهم ولا يصيبهم منها شيء

وفي فلسطين ثروة اخرى غير هذه وان لم تكن في مقامها. ذهبت برفقة هذين العالمين الى جنوب بحيرة لوط وكان دليلنا كتاب الماني مؤلفهُ جيولوجي الماني يهودي لا اذكر الآن اسمهُ انتدبهُ السلطان عبد الحميد لوضع تقرير جيولوجي عن تلك البقعة من الارض وما فيها من المعادن وعلى الاخص البترول . وصلنا بعد مسير نحو كيلو مترين من البحر الميت الى الجنوب الغربي في وادي « محوط » او « محوض » حيث وجدنا في وسط ذلك الوادي الوف الامتار المكعبة من الزفت ظاهراً للعيان و يكاد يكون نقياً اي خالياً من التراب وغيرهِ ومن السهل استخراجه ونقلهُ الى فلسطين . وكنا فعلنا ذلك لولا ان الانكليز كانوا على ابواب اورشليم . فالى هذه الثروة العظيمة الثانية اوجه ابصار المتمولين من الوطنيين ايضاً

هذا وتفضلوا يا سادتي بقبول ازكى تحياتي ووافر احترامي ودمتم المخلص

دكار سنغال شديد باز الحداد

باب الزراعة

انتشار زراعة النخيل

للمستر پول بو بنو في المجلة الجغرافية الاميركية

ضروب الثروة في البلدان الاسلامية كثيرة ولكن الكتَّاب والباحثين قلما يذكرون مقام زراعة النخيل بينها على وجهٍ من التحقيق . ولكن بعد البحث والتنقيب في كتب الاسفار والرحلات وتقارير الحكومات المختلفة والقناصل والاحصاءات الرسمية يستطيع الباحث ان يجمع كثيراً من الحقائق التي كانت تحسب نزرة لا تستحق الاهتمام . وخلاصة بحث كهذا تدل على انهُ يوجد نحو ٩٠ مليون شجرة نخيل منتشرة في مختلف البلدان اكثر من نصفها على شواطئ خليج العجم

في العراق وفارس

جاء في كتاب للمستر دَوْسن دعاهُ « النخيل وزراعتهُ في العراق » ان في العراق نحو ٣٠ مليوناً من اشجار النخيل منها نحو نصفها مزروع في شط العرب ونحو خمسة ملايين شجرة على ضفتي قنال الحلة ومليون في بغداد وضواحيها والباقي منتشر في واحات متفرقة على شواطئ الفرات

واما بلاد فارس فاكثر ما يزرع فيها النخيل على شواطئ خليج فارس وفي بعض الاماكن المرتفعة . ويقدر المستر دَوْسن عدد اشجار النخيل المزروعة على الجانب الفارسي من خليج فارس مقابل شط العرب بثلاثة ملايين نخلة وسبع مائة وخمسين الفاً (٣ ٧٥٠ ٠٠٠) ويؤْخذ من تقرير رفعهُ الدكتور فارتشيلد ان في نواحي ميناب في بندر عباس نحو خمسة ملايين شجرة وفي ناحية تانجستان ٢٥٠ الفاً . ولم اوفق الى الوقوف على تقدير ما عن انتشار زراعة النخيل في سائر بلاد فارس ولكني ارى انهُ اذا حسبنا اشجار النخيل فيها كلها نحو عشرة ملايين نخلة لم نبعد كثيراً عن الصواب

في الهند وبلوخستان

يقول المستر اوبريَن وكيل المندوب البريطاني في حكومة ملتان بالهند انهُ يوجد

مئات الالوف من اشجار النخيل في ملتان ومظفر جار وديرا غازي خان وديرا اسماعيل خان وبانّو وجانغ وبهاو البور والسند . ويذكر ملن في كتابهِ « زراعة النخيل في البنجاب ولاهور الذي طبع ١٩١١ » ان الاناث من اشجار النخيل في ملتان بلغت ٠٠٥٥ ٣١٥ شجرة وفي مظفر جار ٩٩٩ ٨٣٨ شجرة وفي ديرا غازي خان ٣٨٤ ١٢٦ شجرة مجموعها ٤٣٨ ٢٨٠ ١

فاذا حسبنا تحكماً ان مضاعف هذا المجموع يشمل كل اناث اشجار النخيل في شمال الهند الغربي كان هناك نحو مليونين ونصف مليون شجرة نخيل انثى. وقد ذكر المستر ملن ايضاً ان في اكثر البلدان التي زارها في الهند كان نصف الاشجار كلها ذكوراً لذلك اذا ضاعفنا العدد ثانية كان عدد اشجار النخيل في تلك البلاد اي خمسة ملايين شجرة

واكبر مزارع النخيل في بلوخستان تقع في وادي بانش غور حيث يقال ان هناك نحو نصف مليون شجرة وفي كاش بكران . وقد لا يقل عدد اشجار النخيل في بلوخستان عن مليون شجرة ولا يزيد على مليونين

في بلاد العرب وسوريا وفلسطين

قيل ان الحسا كان فيها نحو مليوني شجرة على ما جاء في الاحصاء العثماني لسنة ١٨٧٧ ويقدر الدكتور فارتشيلد عدد الاشجار في القاطف بمليون و ٢٥٠ الفاً فيبلغ المجموع لتلك الناحية نحو ٠٠٠ ٢٥٠ ٣ شجرة

ويقدر الدكتور فارتشيلد عدد الاشجار في البحرين بنصف مليون شجرة وقد يكون هذا العدد مبالغاً فيهِ بعض الشيء

ويؤْخذ من بعض التقارير القنصلية ان في مقاطعة عمان في بلاد العرب اربعة ملايين شجرة نخيل اكثرها في منطقة الشاطىء المعروفة بيطينة وهي ممتدة الى ١٥٠ ميلاً شمال مسقط . وفي وادي اسماعيل نحو نصف مليون شجرة

ويزرع النخيل في حضرموت على الشاطىء وفي الداخلية ولكني لم اقف على تقرير يذكر عدد الاشجار ولكني اظن ان عددها لا يقل عن ٢٠٠ الف شجرة . واما عدن فلا يزرع النخيل فيها كثيراً ولكنها من اكبر المرافىء لتصدير الرطب (التمر) . ويزرع النخيل ايضاً على شواطي ارترية المستعمرة الايطالية في افريقية وفي بلاد الصومال والبلدان المجاورة لها ولكن ما يزرع هناك لا شأن تجاريّ لهُ

ومعظم النجد اليمني لا يصلح لزراعة النخيل لارتفاعهِ ولكنك تجد مزارع نخيل زاهرة في الجوف ونجران وبعض الاودية في الداخل واظن ان عدد اشجارها معاً لا يقل عن ١٠٠ الف شجرة . اما الاصير فيقال ان فيهـا بعض المزارع ولكن محصول التمر فيها لا يكفي لسد حاجات اهلها لذلك لا شأن تجاري لزراعة النخيل فيها

وقد جاء في روايات العرب ان الحجاز هو موطن النخيل الاصلي والعناية بزراعتهِ هناك كبيرة جداً واعظم مزراعهِ تجدها في العلا والمدينة وتيماء وخيبر وليس من اثر لاشجار النخيل في مكة وانما تجد في المدينة نحو ٣٠٠ الف شجرة على ما جاء في تقرير لمحل جلاتلي وهانكي وشركائهم وهو بيت تصدير في جده . ولا اظن انك تجد في كل الحجاز أكثر من نصف مليون شجرة .

ونجد بعض الحقائق عن جبل شمَّر في كتاب الامبرالية الانكليزية عن بلاد العرب فقد جاء فيهِ ان بقعة تدعى اكدا فيها نحو ٧٥ الف نخلة وان في الجوف ٥٠ الفاً وقد لا يزيد مجموع الاشجار في كل هذه الولاية على ٢٥٠ الفاً . و يقال ان زراعتهُ في القاسم بلغت شأواً بعيداً من الرقي وقد يبلغ عدداشجارهِ في مزارع بوريده وعنزه والقصيبه ١٠٠ الف شجرة

اما سلطنة نجد فتستورد اكثر الرطب التي تؤكل فيها من الحسا . واعظم المراكز لزراعة النخيل في نجد الوسطى (العريض) هي الرياض ودار يا . و يؤخذ من الصور الفوتغرافية التي رأيتها ان اشجارهُ هناك لا تزيد على بضعة آلاف . والى الجنوب وادٍ يدعى وادي الدواسير زارهُ حديثاً المستر فلبي وذكر حقائق مختلفة عن الضرائب التي تجمع هناك يستنتج منها ان محصول الرطب هناك يبلغ نحو ٥ ملايين رطل . و يمكن الحصول على هذا المقدار من نحو ٥٠ الف نخلة الى مائة الف . وفي الاخبار العربية ان زراعة النخيل في وادي جبرين متسعة جداً حتى لتضارع الحسا . وقد زارها المستر تشيزمن سنة ١٩٢٥ وكتب عنها في الجورنال الجغرافي مقالاً مسهباً لكنهُ لم يذكر ارقاماً عن انتشار زراعة النخيل فيها انما يؤخذ من صورهِ الفوتغرافية انها لا تزيد على بضعة آلاف . واذا جمعنا كل ما في نجد من أشجار النخيل لم تزد على ٢٥٠ الفاً . ولا شأن كبير لاواسط بلاد العرب في زراعة النخيل وهذا امر معروف لدى علماء الجغرافية مع انهُ يناقض الروايات الشائعة بين العرب . ولا يخفى ان اكثر الارقام التي مرَّ ذكرها عن زراعة النخيل في بلاد العرب تقديري الاَّ انها اقرب الى الصواب مما نشر قبلاً واذا جمعنا كل ما يزرع في بلاد

العرب من النخيل بلغ تسعة ملايين شجرة ثلاثة ارباعها في شواطئ خليج فارس الغربية وفي عمان والحسا

ويزرع النخيل في جنوب وادي الاردن وغزه وقرب بيروت وطرابلس ولكن ما يزرع منهُ قليل لا شأن لهُ في احصاء عام

في مصر وليبيا والقيروان

جاء في احصاء الحكومة المصرية لسنة ١٩٠٧ انهُ كان في مصر ما يزيد على عشرة ملايين شجرة نخيل يضاف اليها نحو ٤٧ الف شجرة في العريش و ٣٩٧٤ شجرة في سينا ونحو نصف مليون شجرة في الواحات الغربية ومجموعها نحو ١١ مليون شجرة

ويؤخذ من بحث مسهب للعالم تشلّس الايطالي ان مستعمرة طرابلس الغرب فيها نحو ٩ ملايين شجرة او مثل ما في الجزائر وتونس معاً ومعظم هذه الاشجار في الواحات التي على حدود الصحراء وكثير منها لا يخضع لحكم الطليان ولذلك فقد يكون هذا العدد اكثر من العدد الحقيقي

اما القيروان ففيها نحو مليون ومائتي الف شجرة منها ٢٠ الفاً على الشاطىء . وقد جاء في كتاب الاميرالية الانكليزية عن صحراء ليبيا ان هناك ٤٠ الف شجرة في جيلة ومائة الف في جالو و ٤٠ الفاً في وداي و ٢٠ الفاً في لسكر ومائة الف في سلا . والراجح انهُ لا يوجد في واحات الكفرة معاً اكثر من ٧٥٠ الفاً . وقد ثبت الآن ان تقدير الرحالة رولفس كان بعيداً عن الصواب . ولم تذكر روزيتا فوربس ولا حسنين بك تقديراً ما عن زراعة النخيل في تلك الواحات

في افريقية الفرنسوية

في تونس ٢١٣٨٠٧٥ شجرة نخيل حسب احصاء ١٩٢٠ اكثر من نصفها في واحات صحران كالجريد ونفزاوى . وهناك مزارع نخيل كبيرة في جابس وجفسا وجربا فيها نحو ٩٠٠ الف شجرة

وفي الجزائر ما يزيد على سبعة ملايين شجرة . وهذا التقدير مبني على حقائق جمعت من مكتب الحاكم العام سنة ١٩٢٤

وفي مراكش اكثر من مليون شجرة قليلاً حسب تقدير ادارة الزراعة برباط سنة ١٩٢٤

واظن ان اشجار النخيل في المستعمرات الفرنسوية بافريقية الغربية لا تقل عن نصف مليون شجرة

ويزرع النخيل في اسبانيا ففي بلدة الشي نحو ١١٥ الف شجرة . كذلك يُزرع في استراليا وجنوب افريقية واميركا الجنوبية والمكسيك وجنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة وارزونا وغيرها . ويقال ان لزراعتهِ في برازيل وبيرو والارجنتين مستقبلاً باهراً

يؤْخذ مما تقدم ان عدد أشجار النخيل المزروعة الآن يبلغ نحو ٩٠ مليوناً

وبعض هذه الارقام مبني على التخمين ولكن ما يتعلق بالبلدان التي فيها معظم النخيل بنيت الارقام على احصاءات رسمية للحكومات التي تحكمها كما في العراق ومصر وطرابلس الغرب وشمال افريقية الفرنسوية . ومتى اجري احصاء دقيق لزراعة النخيل في مختلف البلدان قد لا نجد في هذا العدد من الخطاء اكثر من ٥ في المائة زيادة او نقصاً

من صحراء جرداء

الى جنة نضرة

مشروع ري الجزيرة وخزان سنّار

منذ عشرين سنة امتطيت هجيناً من هجن السودان المعروفة بالصهب واخترقت سهل الجزيرة بالقرب من ود مدني عاصمة مديرية النيل الازرق فشاقني ما رأَيتهُ من تربة الارض ومقدار ما فيها من خصوبة يشعر بها الرائي من تشقق الارض وتقلص اجزائها في زمن الجفاف وهو دليل عند الفلاح المصري على قوة الارض وجودة معدنها . وقد سرت عدة اميال قطعت فيها مئات من الافدنة لم يكن فيها من النبات سوى الذرة الرفيعة المعروفة عند السودانيين باسم الفتريتة وهي لا مثيل لها بين اصناف الذرة المصرية . وكانت زراعة الذرة محصورة في بعض مناطق من الارض وما بقي نمت فيهِ حشائش واعشاب مختلفة تتخذ كلأً للسائمة طول ايام السنة

وقد اطلقت لفكري العنان في مصير هذه الاراضي الفتية فوصلت الى نتيجة واحدة هي ان اتساع نطاق الاعمال القطنية في انكلترا وكثرة الطلب على الاقمشة لا بد ان تدفع بذوي المال من الانكليز الى استثمار هذه الاراضي خصوصاً وان الحكومة المصرية في ذلك العهد كانت قد حتمت على حكومة السودان ان لا تروي اكثر من ٢٠ الف فدان ريّاً مستديماً بالآلات الرافعة

و بعد مضي عشر سنوات من ذلك التاريخ اي قبل شبوب الحرب العالمية ببضعة اشهر اخترقت مرة اخرى هذه البقعة وما بعدها بقطار سكة الحديد الذي كان يسير من الخرطوم مخترقاً الجزيرة الى سنار ثم ينعطف غرباً ماراً فوق النيل الابيض بواسطة جسر (كوبري) الى ان يصل الى بندر الابيض عاصمة كردوفان. في ذلك الوقت بدئ العمل الزراعي في سهل الجزيرة اذ أنشئت مزرعة على مسيرة ستة اميال شمال ود مدني بلغت مساحتها خمسة آلاف فدان وكانت تروى بالآلات الرافعة التي نُصبت على النيل الازرق. ومما يستحق الذكر ان اليد التي غرست اول شجرة قطن في سهل الجزيرة كانت يداً مصرية فان جماعة الصعايدة الذين جيء بهم وقتئذٍ الى السودان لمد السكك الحديدية اشتغلوا في زرع المزرعة الجديدة المشار اليها بطريقة تقسيم المحصول فربح الواحد منهم من الزرعة الاولى ١٥٠ جنيهاً الى ٢٠٠ جنيه فلم يطيقوا البقاء وهذه المبالغ في جيوبهم بعيدين عن الاوطان فحنّوا اليها حنيناً جعلهم ينسلّون تحت جنح الظلام عائدين الى بلادهم لا يلوون على شيء ولا يحرضون غيرهم على ارتياد تلك البلاد الفتية الغنية

وقد قضت سنّة العمران ان ينمو سكان السودان بعد الفتح الاخير نمواً لا مثيل له في بلاد اخرى . فقد ذكر الباحثون ان سكان تلك البلاد بلغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نحو عشرة ملايين نفس . فلما اجتاحت المهدية البلاد وحكمت اهلها بالسيف والنار وجمعت معظم القبائل الكبيرة في ام درمان حتى فاق عدد سكانها في ايام خليفة المهدي اكثر من مليون نفس فقلت الزراعة المطرية وانتشرت الامراض والاوبئة في البلاد خصوصاً مرضا الجدري والحصبة وما كان من الجوع والقحط عام ١٨٨٨ — كل هذه العوامل مع الحروب الاخيرة التي وقعت عند فتح السودان حديثاً انزلت عدد السكان الى مليوني نفس ثلاثة ارباعهم من الاناث والربع من الذكور

فتح السودان سنة ١٨٦٨ واهله كالعليل الذي ادنفهُ المرض وانهكت قواهُ الادواء فمد لهُ النظامي يد العون واسعفهُ بالعلاج فتماثل الى الشفاء وساعدتهُ طبيعة البلاد و بقاؤه على الفطرة الاصلية على الابلال من مرضهِ فدخل في دور النمو السريع وكان نموهُ مدهشاً لم توقفهُ الامراض والاوبئة ولا شلت حركتهُ الحاجة الشديدة الى الطعام

ولما تولى فضيلة الشيخ محمد شاكر رآسة القضاء الشرعي في السودان اصدر منشوراً بتحديد الصداق فجعلهُ للفتاة ١٠٠ قرش وللثيب ٥٠ قرشاً فاقبل الاهالي على زواج الارامل وكنّ كثيرات فولدن البنين بكثرة كان يشعر بها من يمر في القرى السودانية بعد

سنة ١٩٠٢ اذ يري اطفالاً كثيرين يلعبون في جوانبها وهم اصحاء الابدان عراتها

هـذا الجيل الذي ولد في ذلك العهد بلغ افرادهُ الآن سن الرجولية وقد شبوا على غير ما كان عليهِ آباؤُهم فقد كانوا يعتمدون على الرقيق في الحصول على اقواتهم فنشأوا على حب الكسل والميل عن العمل . فلما اوقفت النخاسة وبطل الرق واباحت الحكومة للرقيق القديم شيئاً من الحرية عمدت الناشئة الحديثة الى الاعتماد على نفسها وصار الشبان يسعون للحصول على عيشهم بعرق جبينهم ثم تطلعوا حولهم الى جيرانهم من مصريين وسوريين وافرنج فرأوهم يجاهدون في سبيل العيش و يعيشون عيشاً رغداً فمالوا الى تقليدهم وهذا يقتضي مالاً والمال يحتاج الى الكد والكدح وهذان يقويان الاجسام و يفتلان العضل ويخلقان في المرء روح الاقدام ولذا رأيت الجيل الذي انا بصددهِ وقد بلغ افرادهُ الآن الخامسة والعشرين من اعمارهم يشتغلون في سهل الجزيرة ليلاً ونهاراً وقد أُقطع كل شخص منهم ٣٠ فداناً يزرع ١٠ منها قطناً و ١٠ « باقًا » و يترك العشرة الثالثة بوراً ليزرعها قطناً في العام التالي وهكذا

وقد رأيت بعض هؤلاء المزارعين في مكوار وشهدت عمل غيرهم اثناء مرورنا في بركات فاذا هم نشطون مجدون واذا اجسامهم صحيحة قوية لم يتطرق اليها مرض البلهارسيا او الانكلستوما كما تطرق الى الفلاح المصري فاضعفهُ وقلل قوة الانتاج فيهِ . وقد قال لي احد البكتريولوجيين ان هذين المرضين يرافقان الري المنتظم كما يشاهد من شدة انتشارهما في الوجه البحري وقلتهِ في الوجه القبلي من القطر المصري وان على حكومة السودان واجباً محتماً هو مقاومة هذين الدائين قبل انتشارهما واتخاذ الطرق الفعالة لدرء خطرهما

***

زرع في سهل الجزيرة في شهر يونيو الماضي ٨٠ الف فدان من القطن السكلارديدس وبديء الجني فيها في شهر يناير الماضي . وقد قدر الخبيرون محصول الفدان الواحد من $3\frac{1}{2}$ — $3\frac{3}{4}$ القنطار أي من ٢٨٠ الف الى ٣٠٠ الف قنطار . وفي السودان مزارع اخرى للافراد يزرع فيها هذا الصنف من القطن والصنف الاميركي وهي تنتج نحو نصف هذا المحصول . وهناك القطن الذي يزرع في طوكر وكسلا ومجموع كل هذه الاصناف لا يزيد على ٦٠٠ الف قنطار . ولكن هذا المقدار آخذ في الزيادة التدريجية البطيئة لان حكومة السودان لا تنوي التوسع في ري الجزيرة لسببين اولهما عدم اتمام مشروعات الري التي تخص القطر المصري فقد قر الرأي مؤخراً على ترك مياه النيل الازرق على حالتها

الحاضرة الى ان تستغني مصر عنها بالنيل الابيض . والسبب الثاني عدم كفاية الايدي العاملة في السودان لتوسع كبير وان حكومة السودان مصرة على ابقاء الاراضي لاهله ليزروعها والاقتصار عليهم وحدهم وهم الآن يكادون لا يكفون للشروع الحاضر

وتختلف زراعة القطن في السودان عن زراعته في مصر اختلافاً كلياً اوجدتهُ طبيعة الارض فهم يزرعونهُ هناك في شهر يونيو كما اسلفت و بعد ان يبذروا البذار في الارض و يسقونها للمرة الاولى تمطرها السماء غيثاً مدراراً في ذلك الفصل من السنة فتنمو مع القطن بعض الحشائش البرية . فاذا جفت الارض اقتلعها الزراع بآلة بسيطة و بطريقة سهلة . وتكون شجيرات القطن حينئذٍ قد اظلت الارض فتعيق نمو تلك الحشائش فلا يبقى امام الفلاح سوى ملاحظة ري القطن عند مجيء دوره الى ان تتفتح لوزاتهُ ويبدأ في جمعهِ . فلا عزيق ولا ترقيع ولاخف ولا سماد ولا شيء مما يقوم بهِ الفلاح المصري في خدمة قطنهِ . اذاً فلا غرابة اذا استطاع الرجل وافراد عائلتهِ ان يقوموا بزراعة عشرة افدنة قطن بدون حاجة الى مساعدة من الخارج الاَّ في وقت الجني عند ما يكثر مجيء الفلاتة من غرب السودان قاصدين الحجاز مشياً على الاقدام فيقومون بعملية الجني باجور زهيدة

وقد حسبت اثناء وجودي بالخرطوم مع كبير مفتشي مصلحة الزراعة هناك حساب العمل لزرع الذرة المطرية وقارنتهُ مع مقدار العمل في زرع القطن في مشروعات الجزيرة فلم نجد فرقاً بين العملين يعني ان الفلاح السوداني لم يزدحملهُ الزراعي سوى من باب الكمية وهي اكثر من الاولى وهو يريد ذلك لانهُ اصبح ميالاً الى الكسب والحصول على مال فوق حصولهِ على قوتهِ اليومي

وقد اتبعت حكومة السودان في معاملة المزارعين في مشروع الجزيرة التقاليد الوطنية المتبعة بين الاهالي بعضهم مع بعض. فهم لا يؤجرون اراضيهم بعضهم لبعض بل يزرعونها بطريقة تقسيم المحصول بين المالك والمزارع . وعلى هذه القاعدة تعطي حكومة السودان للمزارع ٤٠ في المائة من محصول القطن وتأخذ لنفسها ٣٥ في المائة وتعطي لشركة السودان الزراعية ٢٥ مقابل ما تقوم بهِ هذه الشركة من اعداد الاراضي للزراعة والبذرة ومراقبة سير العمل. اما محصول «الباق» فيأخذهُ المزارع كلهُ دون ان يدفع شيئاً مقابلهُ

واذا رجعنا الى تقدير المحصول الذي اشرت اليهِ في هذه العجالة نرى ان معدل محصول الافدنة العشر من القطن يبلغ ٣٦ قنطاراً ومعدل ثمنها كلها ٢٧٠ جنيهاً باعتبار

سعر القنطار سبعة جنيهات ونصف جنيه يأخذ المزارع منها ١٠٨ جنيهات هذا علاوة عما يأخذهُ من الافدنة العشر الاخرى من ذرة لمؤونة بيتهِ وعلف لماشيتهِ لا تقل قيمتها عن ٤٢ جنيهاً

و يستطيع المزارع ان يربي ماشيتهُ في مزرعتهِ وينتفع من البانها و يربح من بيعها بعد تسمينها ربحاً لا يكلفهُ نفقة ما لانهُ يطعمها من الحشائش التي يلتقطها من زراعة القطن ومن اغصان اللوبيا التي تعتبر هناك سماداً جيداً للارض

والخلاصة ان مشروع ري الجزيرة الذي انفق عليهِ الراسماليون الانكليز نحو ١١ مليون جنيه اذا عاد بالفائده على معازل لانكشير ولفربول ومنشستر فانهُ سيعود بالرخاء والثروة على اهالي السودان وانهُ كلما توسعت حكومة السودان في هذا المشروع كلما اتسعت موارد الرزق لاهلهِ الذين سيأخذون بعد نصف قرن مكاناً لائقاً بين الشعوب الناهضة الفتية

حلوان اسكندر تادرس

خزان سنار والقطن في السودان

الجزيرة اراضٍ واسعة مثلثة الشكل بين البحر الازرق والبحر الابيض اي بين فرعي النيل الاصليين جنوبي الخرطوم تبلغ مساحتها اكثر من ثلاثة ملايين فدان اي نحو مساحة الاطيان التي تزرع الآن في الوجه البحري . لكنها كانت محرومة من الري فلا يزرع منها الاَّ القليل بماء المطر . رآها السر وليم غارستن فاشار في اوائل هذا القرن بانهُ يمكن ريها ريًّا صناعيًّا فتأتي بخيرات كثيرة وخلفهُ السر مردوخ مكدونلد فاشار باسلوب لريها وهو ان يبنى سد على البحر الازرق في مكوار على بضعة اميال من مدينة سنار جنوباً ولكن لم تدبَّر الاموال اللازمة لذلك الاَّ سنة ١٩١٣ وشُرع في بناء هذا السد سنة ١٩١٤ وجاءَت الحرب فتوقف اكثر العمل ثم أُعيد بعد الحرب. وتمَّ بناء هذا السد لخزن الماء وراءهُ وفتحهُ اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في ٢١ يناير مع انهُ تمَّ منذ يونيو واستعمل في الخريف الماضي للري. والسد بناء عظيم طولهُ ٣٠٢٥ متراً مبني بحجارة الغرانيت والسمنت ففيهِ ٤٢٢٤٤٠ متراً مكعباً من الحجر والسمنت ومعظم ارتفاعهِ ٣٩ متراً ونصف متر وفي الجزء الاوسط منهُ وطولهُ ١٨٠٠ متر ٨٠ فتحة كبيرة فوقها ٧٢ فتحة اصغر منها وعلى جانبي هذا الجزء الاوسط عشرون فتحة اخرى وقد بلغت نفقات هذا البناء والترع الممتدة منهُ ٨٥٠٠٠٠٠ جنيه واذا تم العمل لارواء كل الجزيرة بلغت النفقة ١٣ مليون جنيه

والخزان الحاصل من بناء هذا السد يسع ٦٣٦ مليون متر مكعب من الماء يطير بعضها بالتبخر فيبقى منها ٤٨٥ مليون متر مكعب للري. ويملأ هذا الخزان في نوفمبر ويستعمل ماؤُهُ للري من اواسط يناير الى اواسط ابريل. والارض المعدة للزراعة الآن من الجزيرة ومساحتها ٣٠٠٠٠٠ فدان تبعد عن الخزان ٥٧ كيلو متراً فتصل اليها المياه بترعة طولها ١١٤ كيلو متراً فيزرع ثلثها اي ١٠٠٠٠٠ فدان قطناً كل سنة و ٥٠٠٠٠ فدان ذرة طعاماً للفلاحين و ٥٠٠٠٠ فدان لوبياء علفاً لمواشيهم وتترك ١٠٠٠٠٠ فدان بوراً لتزرع في السنة التالية وهلم جرًّا

ولا يراد ان يتم ري الجزيرة كلها الا اذا بنت الحكومة المصرية سدًّا آخر على البحر الابيض عند جبل اولياء على ثلاثين ميلاً من الخرطوم جنوبًا لتضمن بهِ المياه الكافية لري القطر المصري كلهِ وعليهِ فيحتمل ان يزرع في الجزيرة مليون فدان قطناً كل سنة اذا بنت الحكومة المصرية خزان جبل الاولياء وضمنت الماء الكافي لري القطر المصري كلهِ

اوراق النبات المنيرة

يظهر احياناً في الاوراق المنتثرة من الاشجار نور ابيض فصفوري ولاسيما اذا دبَّ فيها البلى . ويظهر مثل ذلك في الخشب البالي وجذور الحشيش وكان المظنون ان هذا النور يحدث من تولُّد نوع من الفطر المنير عليها وان هذا الفطر يولِّد مادة اذا اتصلت باكسجين الهواء والماء انارت لانهُ يحدث حينئذٍ فيها احتراق كيماوي بطيء خالٍ من الحرارة . الا ان الاستاذ بوز من اساتذة كلية الطب بكلكتا محق بعض هذه الاوراق والاخشاب المنيرة بعد ان اضاف اليها ماء بارداً او سخناً فبطلت انارتها دلالة على ان الفطر المنير فيها لا يفرز مادة تنير اذا اتصلت بالاكسجين او بالماء بل ان هذا الفطر نفسهُ ينير ما دام حيًّا. وايَّد ذلك بانهُ وضع الاوراق المنيرة في اناء وادخل اليهِ اكسجيناً صرفاً فزاد نورها بهاء . وابدل الاكسجين بغاز الهدروجين والنتروجين فبطلت الانارة ثم ادخل الاكسجين فعاد النور و وضع الاوراق في اناء واخرج الهواء منهُ فبطلت الانارة ثم ادخل الهواء فعادت .واذا وضعت هذه الاوراق في الكلوروفورم اوالالكحول بطلت الانارة وكذلك اذا وضعت في مكان جاف تماماً دلالة على انها تنير ما دام فطرها حيًّا فاذا مات الفطر بطلت الانارة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انتقال العدوى وحاملو المكروب

تدلّ المباحث العلمية الحديثة والتجارب الطبية على ان أكثر الامراض المعدية تنتقل من المريض الى السليم مباشرة اذا كان احدهما قريباً من الآخر ولا يراد بذلك لمس الصحيح للمريض او لمس ثيابهِ واغطية سريرهِ بل مجرد القرب منهُ كاف لانتقال العدوى لان مكروبات اكثر الامراض تخرج من رئتي المريض او حلقهِ او انفهِ او فمهِ حين الكلام او السعال او العطاس . فاذا اضفت الى ذلك المصافحة والتقبيل ولمس ثياب المريض او الاشياء التي لمسها قبلاً ككتاب كان يقرأ فيهِ او مرآة كان ينظر اليها اجتمعت لديك ابسط الوسائل وافعلها في نقل مكروبات الامراض المعدية . ومتى اتصلت المكروبات باليدين سهل اتصالها الى الفم والانف وسائر الاعضاء

كان يظن قبلاً ان العدوى تقيم زمناً طويلاً في ثياب المريض واثاث غرفتهِ والغبار العالق بجدرانها ولكن المباحث الحديثة اثبتت ان المكروبات المرضية اي التي تسبب الامراض المعدية تكون في الغالب قصيرة العمر لا تستطيع ان تحتفظ بقوتها طويلاً خارج الجسد يستثنى منها مكروبات الانثراكس والتتانوس وسبب ذلك ان مكروبات هذين المرضين تكوّن لها قشرة متينة بعد انفصالها عن الجسم تعيش فيها فلا تفعل فيها الفواعل التي تميت المكروبات الاخرى كنور الشمس والحرارة وما اليهما . ولذلك يكاد جمهور الباحثين يجمع الآن على ان العدوى تنتقل مباشرة من المريض الى السليم بالطرق التي ذكرناها الاَّ في مرضي الانثراكس والتتانوس وفي الامراض التي من نوع الحمى المعدية كالكوليرا والدوسنطاريا . فان المكروبات التي تسبب هذه الامراض تكون في براز المريض وتنتقل عن طريق اللبن والماء وما اشبه من مواد الشراب والطعام متى تلوثت بها . ومع ذلك فانتقال العدوى مباشرة في هذه الامراض ليس نادراً

وقد كان الرأي القديم القائل بانتقال العدوى عن طريق الثياب والاثاث ناجماً عن الجهل بوجود اناس يحملون مكروب احد الامراض من غير ان يصابوا بهِ فيكونوا واسطة لنقل العدوى الى الاصحاء و يدعى هؤُلاء حاملو المكروبات Carriers . وقد عرف الاطباء وجود « حاملي المكروب » في كثير من الامراض المعدية كالدفثيريا والتهاب الدماغ السحائي والانفلونزا وحمى الامعاء والكوليرا والدوسنطاريا

وللاصابات الخفيفة التي لا يُدعى الطبيب لمعالجتها شأن كبير في نشر العدوى. ذلك لان المصاب يصاب باعراض خفيفة لا تحملهُ على دعوة الطبيب فلا يُشخَّص مرضهُ تشخيصاً صحيحاً ولذلك يبقى حاملاً للمكروب يلوّث بهِ من يتصل بهِ من الناس من غير ان يدري

لذلك اذا أُريد عزل المصابين عزلاً تامًّا فعّالاً وجب ان لا يقتصر العزل على المصابين الذين تظهر عليهم كل اعراض الداء بل على المصابين اصابات خفيفة لا تحتاج في الظاهر الى معالجة الطبيب وعلى « حاملي المكروب » الذين لا تظهر عليهم اعراض مرض ما . وهذا العزل التام متعذّر ولذلك تبقى بعض الحوادث دائماً مصدراً للعدوى وهذا هو السبب في عدم استئصال بعض الامراض المعدية في المدن التي بلغ فيها نظام الصحة العامة شأواً بعيداً من الدقة والاحكام

فساد الاطعمة

تضطر ربة البيت احياناً كثيرة ان تبقي جانباً من اللحم من يوم الى آخر فاذا كان الفصل بارداً فالغالب انها تجدهُ سليماً ولكن اذا كان الفصل حارًّا فالغالب انها تجدهُ قد فسد واذا طبختهُ فقلما يسلم من يأْكلهُ من الضرر . فلماذا يسلم اللحم في الفصل البارد وينتن في الفصل الحار . يظن لاول وهلة ان الحرّ نفسهُ يفسدهُ لكن ذلك غير صحيح كما يظهر باقل نظر فان اللحم يشوى على النار ولا يفسد ويطرح في الصحراء المحرقة فيجف و ييبس ولا يفسد ايضاً فليس الحر سبب فسادهِ وكذلك قد يفسد اللحم ولو كان الفصل بارداً فما هو اذاً سبب الفساد

خذ اللحم الجديد وضعهُ في اناء من الصفيح والحمهُ حالاً بعد ان تسخنهُ واتركهُ يوماً او يومين وشهراً بل شهرين فلا يفسد ثم افتح الاناء وعرضهُ للهواء يوماً او يومين فالغالب انهُ يفسد . ويظهر من ذلك كأَن الفساد اتاهُ من الهواء ولكن اذا فتحت الاناء وسددتهُ بقطعة من القطن النقي التي لا تمنع دخول الهواء اليهِ فانهُ لا يفسد فالفساد ليس من الهواء

نفسهِ بل هو من شيء في الهواء علق بين الياف القطن . وهذا هو الصحيح . وكما يفسد اللحم من شيء في الهواء يفسد من اتصال لحم فاسد بهِ وسبب الفساد في الحالين واحد وهو مكروب الفساد فان هذا المكروب يكون في الهواء عادة و يلصق بجوانب الآنية والاقفاص التي يوضع اللحم فيها ولاسيما اذا لصق بها قليل من اللحم فاذا كان الفصل بارداً جدًّا تأخر نموهُ كثيراً لان الحرارة المعتدلة لازمة لنموهِ مقوية لهُ واما البرد الشديد فيوقف نموهُ او يمنعهُ ولهذا ينقل اللحم الآن من استراليا أو من اميركا الى بلاد الانكليز من غير ان يفسد لانهم يضعونهُ في غرف مبرَّدة جدًّا حتى يصير ما فيها كالثلج او ابرد فلا تتكاثر فيها المكروبات و يبقى اللحم سليماً منها

ولا تستطيع ربة البيت ان تبرد هواء بيتها الى درجة تمنع فساد اللحم ولا تستطيع ايضاً ان تمنع الهواء عن اللحم ولكنها تستطيع منع الفساد بالمحافظة على نظافة الاقفاص والآنية التي تضع فيها اللحم فانها اذا كانت نظيفة جدًّا خالية من كل آثار اللحم المنتن بقي اللحم فيها يوماً او يومين من غير ان ينتن ولو كان الفصل حارًّا واما اذا كان فيها اثر من اللحم الفاسد اتصل ميكروب الفساد منهُ الى اللحم الذي يوضع فيها وافسدهُ حالاً

اللباس والنور والصحة

كتبنا في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٤ مقالة عنوانها « نور الشمس الشافي » وصفنا فيها الطريقة التي يجري عليها الدكتور روليه في ليزان بسويسرا في معالجة حوادث التدرن العظمي. والمقالة الثانية من مقالات هذا الجزء تدور على فعل النور في الاحياء . وقد تلقينا بعد كتابتها الجزء الاخير من مجلة العلم العام فاذا فيهِ مقالة عنوانها « هل نكثر من لبس الثياب » اقتطفنا منها ما يلي

في اوربا حركة جديدة شعارها « اخلعوا الثياب » وقد انضم اليها مئات الالوف من الناس فهم يسبحون ويجرون و يلعبون الالعاب الرياضية عراة. وقد بدأت هذه الحركة في المانيا بعد عرض شريط سينماتوغرافي علمي عنوانهُ « السبيل الى الصحة والجمال » مثَّل فيهِ صانعوهُ احدث الاراء العلمية فيما للنور من الاثر في الصحة . وشهد هذا الشريط الوف من الذين لم يسمعوا قبلاً بالاشعة الكيماوية اي الاشعة التي فوق اللون البنفسجي التي تزيد قوة الجسم على مقاومة الامراض . ورأوا فيهِ ايضاً ان كثيراً من الامراض كالاكزيما والكساح والتدرن لا تعالج الا بنور الشمس وادركوا ان زجاج الشبابيك يحجب هذه

الاشعة المفيدة فلا تدخل البيوت . وما يفعلهُ الزجاج تفعلهُ الثياب ايضاً

ولذلك اخذ الناس يؤلفون جمعيات غايتها تحرير الناس من قيود الملابس وسبيلها القيام بالرياضة البدنية في الهواء الطلق تغمر اجسادهم اشعة الشمس المنعشة المفيدة . وقد اتحدت هذه الجمعيات الآن ومجلس اتحادها يدير الآن ١٨٠ حديقة و٩٠٠ ملعب و٣٠٠ حمام يلعب فيها الناس ويستحمون بنور الشمس والقانون الاساسي الذي يجري عليهِ جميع الاعضاء هو خلع الثياب حين الدخول الى احد هذه المنشآت

وقد احتجَّ رجال البوليس اولاً على هذه الاعمال ولكن الحركة اخذت تنتشر انتشاراً سريعاً حتى خرجت عن طاقتهم فهم يكتفون الآن بمنع الناس من المشي في الشوارع عراة ولكنهم لا يتعرضون لهم اذا لعبوا كذلك في انديتهم الخاصة

وقد امتدت هذه الحركة الى بلاد الانكليز وسويسرا واسوج واعترض رجال البوليس الانكليزي ايضاً اعتراضاً شديداً عليها ولكنهم سمحوا في الصيف الماضي لهواة السباحة ان يلبسوا اثواباً قصيرة تستر العورة فقط

وقد كتب الدكتور ليونارد هِل مدير المعهد الوطني للبحث الطبي في لندن واحد كبار الثقات في موضوع فائدة نور الشمس في العلاج اشار فيهِ على الرجال بان يقللوا ملابسهم مثلما تفعل النساءُ واشار على النساءِ اللواتي يردنَ ان يكنَّ جميلات وان يتمتعن بصحة جيدة ان يلبسنَ اثواباً قصيرة وجوارب من الحرير الصناعي و يعرين اذرعتهن ورقابهن وهذا الرأي الطبي ينطبق كل الانطباق على ما تستدعيهِ الازياء الحديثة

وقد ثبتَ الآن ان الرجال يعرضون للاصابة بالزكام وما اليهِ من الادواء اكثر مما تعرَّض لها النساءُ لانهم يكثرون من الملابس . فقد اجرى الدكتور سميلي احصاءً دقيقاً في جامعة كورنل باميركا مدة اربع سنوات فوجد ان الشبان من الطلبة فيها معرضين للزكام اكثر من البنات . وشركات التأمين على الحياة في اميركا اثبتت ان عدد الرجال الذين ماتوا من النزلة الصدرية يفوق عدد النساءِ في ربع القرن الماضي الذي حتمت فيهِ المودة على المرأة ان تقلل ثيابها . وقد وجدت احدى الشركات التي يبلغ عدد المؤمنين على حياتهم فيها ستة ملايين ان ٩٤ رجلاً من كل مائة الف مؤمن ماتوا بالنزلة الصدرية يقابل ذلك ٦٧ من النساء

وسبب ذلك ان في الجسم جهازاً عصبيًّا خاصًّا عملهُ تعديل ورود الدم الى سطح الجلد حسب تغيّر حرارة الهواء . وان هذا الجهاز العصبي لا يبقى في حالة صحية الاَّ

بالرياضة المنتظمة واتساع المجال امامهُ ليقوم بوظيفتهِ.فاذا غطينا الجسم بالاثواب الدافئة لم يعد الجسم يحتاج الى عمل هذا الجهاز فيستولي عليهِ الضعف و يصبح غير قادر على تلبية مطالب الجسم لحفظ حرارتهِ الطبيعية التي تتغير بتقلب حالات الهواء . وكما ان الملابس تحجب نور الشمس عن الجسم كذلك تمنع حركة الهواء حولهُ. وقد جرَّب احد الاطباء في شيكاغو تجارب في اجراء الكلاب ليعرف ما هو اثر التعرض للهواء المطلق في الصحة فالبس بعض الاجراء اثواباً كثيفة من الفلانلا يغطي الثوب منها كل جسم الجرو عدا رأسهُ ورجليهِ ووضع الاجراء في مستنبت ومعها اجراء اخرى لم تلبس شيئاً واطلق الهواء في المستنبت فماتت الاجراء التي كانت لابسة ولم تصب الاخرى باذى

وقد ثبت للباحثين ان الاشعة التي فوق البنفسجي وهي الاشعة المفيدة صحيًّا تنفذ من الحرير الصناعي اكثر مما تنفذ من الاقمشة الاخرى لذلك ينصح الاطباء للسيدات بلبس جوارب الحرير الصناعي . وكلما قلّت طبقات الثوب قلّ ما يسببهُ من الضرر بحجبهِ هذه الاشعة

و يقول الدكتور هس من مشهوري اطباء نيو يورك انهُ جرب تجارب كثيرة فيما للاشعة التي فوق البنفسجي من الاثر في الكتاكيت والجرذان فعرّض بعضها للاشعة التي فوق البنفسجي ولاحظ ما يلزمها من الوقت حتى يكسبها هذا التعرض مناعةً ضدّ مرض الكساح . ثم البس هذه الحيوانات اثواباً رفيعة من قطن النانسكوك فوجد ان زمن التعرض اللازم يزداد بزيادة الملابس

حشرات البيت

حشرات البيت كثيرة كالجرذان والفيران والذبان والصراصير والبراغيث والبق والنمل والبعوض وكلها مما يمكن التخلص منهُ بالنظافه واحكام مرتفقات البيت لان هذه الحشرات لا تتولد ولا تكثر الاَّ حيث تجد لها طعاماً والاقذار طعامها في الغالب فاذا كان البيت نظيفاً تمام النظافة وكانت مرافقهُ محكمة كلها ولم يكن فيهِ شقوق وثقوب تأتي منها الجرذان والفيران والصراصير والنمل ولا ماء راكد يتولد فيهِ البعوض سلم من الحشرات الاَّ ما يأتيهِ من الخارج كالذبان التي تتولد فيما يلقى حول البيت من الزبل. ولذلك تجد المدن الاوربية التامة النظافة خالية من الحشرات

باب التقريظ والانتقاد

الصحافة ورجال السياسة

Politicians and the Press.

اهدى الينا لورد بيفر بروك صاحب جريدة الديلي اكسبرس والصندي اكسبرس وغيرهما من الصحف الانكليزية نسخةً من كتابهِ الجديد الذي عنوانهُ «الصحافة ورجال السياسة» . ولا يخفى ان لورد بيفر بروك ابن قسيس كندي من اصل اسكتلندي ولد في كندا سنة ١٨٧٩ واشتغل بالتجارة فيها فاثرى وهو لا يزال في مقتبل العمر ثم انتقل الى بلاد الانكليز فانتخب عضواً في البرلمان من سنة ١٩١٠ الى سنة ١٩١٧ ثم عين وزيراً لدوقية لانستر فوزيراً «للاخبار» سنة ١٩١٨ ورقي الى مصاف الاعيان فاعتزل الاشتغال بالسياسة مباشرة مؤثراً الاشتغال بها عن طريق الصحافة فاشترى جريدة الديلي اكسبرس ثم انشأ الصندي اكسبرس وقد كتب هذا الكتاب ليبين موقف جريدتهِ في اهم الشؤون السياسية بعد عقد المدنة كالانتخاب العام الذي تلاها والمعاهدة مع ارلندا وسقوط وزارة لويد جورج بعد حادثة جناق قلعة وتصفية الدين الانكليزي الاميركي والانتخاب العام الذي اجراهُ المستر بلدون على مسألة «حماية التجارة» فخسر فيهِ اكثرية المحافظين وادى الى تربع العمال في دست الوزارة وميزانية المستر تشرشل والصهيونية

ويظهر من سياق الحوادث في كتابهِ هذا ان على الصحيفة الراقية ان تقف ازاء رجال السياسة موقفاً مستقلاً عن الاحزاب لا تحركها الاَّ الغيرة على المصلحة القومية والخير العام . هي تجرب ان تقنع السياسي بصحة موقفها وهو يحاول ان يقنع اصحابها بصحة رأيهِ ليكسب تعضيدها . فتعضدهُ اذا اتفقا وتنتقدهُ اذا اختلفا وقد تعضدهُ في امر وتنحاز الى خصومهِ في آخر ولا يعاب عليها هذا التقلب لانها لا تخدم الاشخاص بل المبادئ والقواعد السياسية

ولا يخفى ان هذا الاتجاه جديد في الصحف وهو اتجاه حميد لانهُ يجعل الصحيفة حرة في ان تطلع قراءها على الحقائق مجردة عن صبغة الاحزاب وتطلع الحكام على ما يعتقدهُ الناس وتقف سداً في وجهِ كل حكومة تسير بسفينة الدولة على الصخور . انما يحتم عليها لكي تنجح

في عملها هذا ان تكون مترفعة عن الرشوة بعيدة عن التحزب الاعمى بصيرة بالمصالح القومية

هذه خلاصة رأي لورد بيفر بروك في مهمة الصحافة الحديثة. واذا صحَّ ان نتخذ انتشار الصحيفة قياساً لفائدتها ومقامها كانت جريدة الديلي اكسبرس من اعلى الصحف مقاماً لانها وجريدة الديلي ميل في مقدمة الصحف الانكليزية بل صحف العالم انتشاراً . وقد زاد ما يوزع منها نحو ثلاثة اضعاف بعد ما اشتراها لورد بيفربروك وجرى فيهـا على الخطة التي لخصناها فيما تقدم

تربية الذوق السليم

واثر الفنون الجميلة فيها

« التربية الصحيحة هي التي ترمي الى غايات ثلاث : حب الحق الذي هو نتيجة التربية العقلية . وحب الخير الذي هو نتيجة التربية الخلقية . وحبّ الجمال الذي هو نتيجة التربية الذوقية . ولكل غاية من هذه الغايات الثلاث سبيل يوصل اليها . فسبيل التربية العقلية العلم وسبيل التربية الخلقية الدين والاخلاق وسبيل التربية الذوقية الفن الجميل »

بهذا البيان البديع والتبويب السهل افتتح الاستاذ احمد فهمي العمرومي بك محاضرتهُ في تربية الذوق السليم . وقد القاها على جماعة من رجال التعليم في موْتمر التعليم الاول الذي التأم بالقاهرة في يوليو سنة ١٩٢٥ . وقد طبعت المحاضرة الآن وزينت بالصور الاثرية والفنية البديعة لتقريب ما ذكر فيها من الحقائق والمبادىء من تناول القراء

والخطبة تشتمل على ثلاثة اقسام مقدمة ثم كلام على الرسم والتصوير وعلاقتهِ بتربية الذوق السليم ثم كلام على الموسيقى . ويليها « كلام على الفنون الجميلة عند العرب » منها كلام للمقريزي يظهر منهُ ان المصورين من العرب كانو يعرفون التصوير الذي تجسَّم بهِ الاشخاص حتى تظهر ذات طول وعرض وعمق معاً. قال المقريزي

« كان البازوري سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن احد وزراء الفاطميين مشغوفاً بالنظر الى الصور والكتب المزوقة ولوعاً بالتحريض بين المصورين واغراء بعضهم ببعض . وقد حدث مرة ان استدعى ابن عزيز المصور العراقي لمنافسة المصور المصري المعروف بالقصير لانهُ كان يشتط في اجرتهِ ، فلما احضر الاثنين في مجلسهِ قال ابن عزيز « انا اصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط » وقال القصير « لكن انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة في الحائط »

«فقال الوزير هذا اعجب وامرهما ان يصنعا ما وعدا بهِ فصوّرا صورتي راقصتين في حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه تُرَى كأَنها داخلة في الحائط ، وتلك تُرَى كأَنها خارجة منهُ . صوَّر القصيرُ الراقصةَ بثياب بيض وقد دهن الحنيَّة بالسواد فكانت كأَنها داخلة فيها . وصورها ابن عزيز بثياب حمر وقد جعل الحنية صفراء فكانت كأَنها خارجة منها . فاستحسن البازوري ذلك منهما وخلع عليهما ووهب لهما كثيراً من الذهب»

عامان في عمان

خير الدين افندي الزركلي اديب اشتغل بالسياسة واتحفنا بكتابين سياسيين الاول وصف فيهِ رحلتهُ الى بلاد العرب وعنوانهُ « ما رأَيت وما سمعت » وقد ذكرناهُ في حينهِ . وقد نشر الآن كتاباً عنوانهُ « عامان في عمان» وصف فيهِ ما شهدهُ او علم بهِ في خلال اقامتهِ بعمان عاصمة حكومة شرقي الاردن . والكتاب ليس تاريخاً ولكنهُ رواية شاهد عيان يصح ان تكون مادة يستخرج منها المؤرخ ما يقارنهُ بغيرهِ من الروايات حتى تجيء احكامهُ اقرب الى الصواب . وقد عني بنشرهِ حضرة النشيط يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

جبل الدروز وسلطان باشا الاطرش

شغلت الثورة الدرزية افكار الشرقيين وصارت مدار احاديثهم وموضوع اخبار الصحف والتلغرافات فلا بدع اذا اهتم الاستاذ حنا ابي راشد صاحب مجلة القاموس العام بوضع كتاب مسهب يبحث فيهِ في تاريخ الدروز واخلاقهم ونسبهم وعاداتهم واعتقاداتهم واشعارهم وحروبهم وآثارهم . وقد وقف جانباً منهُ على سيرة سلطان باشا الاطرش زعيم الثورة الاخيرة واسبابها ووصف بعض معاركها ونشر وثائقها المهمة . والكتاب مزدان بالصور الكثيرة والخرائط وفيهِ ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير . وقد طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر وثمنهُ ٢٠ غرشاً صاغاً

﴿ ذو اليد الحديدية ﴾ مأساة تاريخية لشاعر الالمان المشهور غوته . وقعت حوادثها في المانيا الجنوبية في القرون الوسطى وفيها وصف لاحوال الناس حينئذٍ واخلاقهم وامورهم السياسية وعقائدهم وخرافاتهم . وقد نقلها الى العربية الاديب شديد باز الحداد من تجار السوريين في السنغال . وقد طبعت بمطبعة الصفاء بعبيه لبنان

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج من دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اسباب اليرقان وعلاجه

غزه . محمد افندي فرج الفالوجي . ما هو مرض اليرقان وعن اي شيءٍ يتسبب وما دواء الحكة التي تنشأ عنهُ وما هي انجع الادوية في علاجهِ وما هي الاغذية التي يجب على المريض ان يتعاطاها في هذا المرض وما هي الاعراض التي تدل دلالة واضحة عليهِ وهل تنفع فيهِ الوصفات العربية المأخوذة عن كتب الطب القديم

ج . ان افضل ما نراهُ جواباً لمسائلكم هذه ما نشرناهُ في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٣ بعنوان «الكبد والصحة» حيث قيل في الصفحة ٢١٨ وما يليها ما نصهُ

اليرقان من اوضح ادواء الكبد وسببهُ في الغالب شرب الماء الآسن واكل الطعام الفاسد او الملوث بالجراثيم المرضية او مرضٌ في الامعاء ناتج من شرب ذاك الماء واكل هذا الطعام . والمسكرات من اضر المواد بالكبد لانها تؤَثر في المادة الدهنية التي فيهِ وتضعف مقاومتهُ للجراثيم المرضية

ومادة اليرقان تنتشر في الجسم كلهِ ولكنها لا تظهر واضحة الاَّ في الجلد واصلها من كريَّات الدم الحمراء فان هذه الكريَّات تندثر من وقت الى آخر وتدفن فضلاتها في الكبد فيحلها و ينزع المادة الملونة منها و يصبُّها في المرارة فتجري مع الصفراء الى الامعاء وتخرج مع البراز و يجري بعضها الى الكليتين و يخرج مع البول فتلون البراز والبول بالوان مختلفة من الاحمر الى الاخضر فالبرتقالي فالاصفر ولذلك تجد ان من يُضرَب ضرباً مبرحاً يحمرُّ جلدهُ ثم يزرقُّ ثم يصفرُّ من تمزّق كريات الدم الحمراء حيث يقع الضرب وهذا التلوُّن ناتج من فعل الحديد الذي في الكريات الحمراء

فاذا اندثرت كريات الدم الحمراء لسبب من الاسباب باسرع مما يستطيع الكبد ان يرسل فضلاتها الى الامعاء والكليتين لتنزع منها او اذا اصاب الكبد ما يضعفهُ عن القيام بوظيفتهِ او اذا حدث الامران معاً في وقت واحد بسبب حمَّى او مرض آخر

مكروبي ولو كان زكاماً بسيطاً انتشرت المواد الملونة من الكريات الحمراء المندثرة في البدن وصفّرت الجلد

وقد يصفرُّ جلد مَن يصاب بالانيميا لان كريات دمهِ الحمراء يتلف الكثير منها حينئذٍ فتنتشر مادتها في جلدهِ وتصفرهُ. ومن اسباب اليرقان ايضاً الزكام اليرقاني فانهُ يكون فيهِ مادة سامّة تتلف كريات الدم الحمراء وتحدث التهاباً في الكبد وتسد القناة الصفراوية ولذلك يسمّى بالزكام اليرقاني . ومن اعراضهِ الخاصة القبض وسوء المضم وفقد الشهية للطعام لانهُ يتعذر حينئذٍ وصول الصفراء الى الامعاء لتساعد المضم وتقوي الامعاء. ومن اعراضهِ ايضاً الصداع لان الصفراء تكون في الدم حيث لاداعي لها . ومنها الحكة في الجلد لان الهموغلوبين وهو المادة التي تلون الكريات الحمراء شديد التهييج حيث يصل اليهِ النور وهو سامٌ ولكن الكبد يبطل ضررهُ

ومن اشكال الانيميا او فقر الدم شكل يكثر فيهِ تلف كريات الدم الحمراء لسبب مرضي حتى لا يبقى منها فيهِ الاَّ ثلثها او اقل من الثلث فيصفرُّ الجلد او يخضرُّ من فعل الحديد الذي في الكريات التالفة وهذه الكريات تذهب الى الكبد وتخزن فيهِ واكثر حديدها فيها وهو نصف الحديد الذي في الجسم كلهِ وخزنها في الكبد لا يُقصد بهِ نزحها من الجسم بل حفظها هناك الى اليوم الذي يزول فيهِ السبب المرضي الذي يتلف كريات الدم وحينئذٍ يعود الجسم الى هذا الحديد المخزون ويتناولهُ من الكبد ولذلك يبقى الجسم على صفرتهِ في داء اليرقان لا تنفع فيهِ الادوية الحديدية الى ان يزول السبب المكروبي الذي أحدث اليرقان من الانف والثة واللوزتين او من حيث يوجد

فلليرقان سببان مباشران إما اندثار الكريات الحمراء باسرع مما يستطيع الكبد على نزحها من الجسم والتخلص منها او خلل في الكبد حتى يعجز عن نزع الكريات المندثرة . وقد يحدث هذان السببان المباشران بفاعل واحد اي بمكروب سام يتلف الكريات الحمراء ويوقع الالتهاب في الكبد فتنسد القناة الصفراوية . ومن اعراض هذه الآفة سوء المضم وفقد الشهية للطعام والقبض المسبب من عجز الصفراء عن الوصول الى الامعاء وهي لازمة هناك لتنبه الامعاء وتساعد على المضم ويحدث الصداع حينئذٍ من تكاثر الصفراء في الدم حيث لا داعي لوجودها . ثم تحدث حكّة في الجلد لان بعض ما يتحلَّل اليهِ هموغلوبين الدم مادة تتهيج تهيجاً شديداً من وقوع النور عليها وهذه المادة يكفينا الكبد شرها

واهمية اليرقان تتوقف على اهمية العلة

التي تسببهُ فاذا كانت زكاماً بسيطاً او اسهالاً خفيفاً فلا شأن لهُ لانهُ يزول بزوالها وانجع دواء لهُ حينئذٍ تنظيف الامعاء بمسهل بسيط وتنظيف الكليتين بشرب الكثير من الماء النقي ولكن اذا كان سببهُ مكروب الحمَّى الصفراء فهناك الطامَّة الكبرى لان هذا المكروب يتلف كريات الدم الحمراء ويسبب التيء الاسود الحاصل من انحلال الدم ويسم الكبد . وبين هذين الطرفين اليرقانُ الحاصل من انسداد القناة الصفراوية بما يسمى بالحصاة الصفراوية . وهي في الحقيقة تطرُّف في النفع فانها ليست حصاة بحصر المعنى بل مادة شمعية او الكحول مجمد كاقراص الالكحول التي تستعمل الآن وقوداً بدل الالكحول السائل . وفي كل اجزاء انسجة الجسم شيءٌ قليل من هذه المادة الشمعية ولاسيما في الدم حيث عملها وقاية كرياته الحمراء من المكروبات وسمومها . فاذا انحلت كريات الدم ووصلت الى الكبد التقطها مع هذه المادة الشمعية المتصلة بها وجرت منهُ الى الصفراء واستقرت في المرارة والظاهر انها تكون قد سئمت السير فتلقي عصال الترحال ويطيب لها المقام . ويتفق في ساعة شؤم ان يتبعها الى هناك بعض مكروبات التيفوئيد او الاسهال فتحيط بهِ لتمنع ضررهُ وكلما وصل الى هناك جانب جديد من الشمع احاط بالذي قبلهُ والتصق بهِ اي تبتدىء الحصاة الصفراوية بالتكون وقد ثبت ذلك من شطر الحصوات الصفراوية فوجد في كل حصاة منها نواة من المكروبات ونحوها . وعليهِ فالحصاة الصفراوية تتكون في المرارة كما يتكون اللؤْلؤُ في المحار

ومن اشهر العلاجات التي تُعالج بها هذه الحصوات المرارية شرب زيت الزيتون فانهُ يزيد افراز الصفراء بعض الزيادة ويلين العضلات فيسهل على الحصوات الخروج من القناة الصفراوية انتهى

اما الوصفات العربية المأخوذة من كتب الطب القديم فبعضها مفيد كالمساهل وبعضها لا نعرف حقيقتهُ فان فيهِ اسماء غريبة لا نعرف ماهيتها وهي كثيرة جداً تملأُ صفحات من المقتطف حسب انواع اليرقان واسبابهِ

(٢) الجوهر والجوهر الفرد

زنجبار . السيد رشيد بن احمد رشيد . ما معنى الجوهر والجوهر الفرد والجوهر البسيط وما معنى العرض في قولهم الفعل عرض يوجد مع الاستطاعة . وما معنى الشكل المفسر بالهيئة الحاصلة للجسم بسبب حد واحد وبالمقدار كما في الكرة او حدود كما في المضلَّعات من المربع والمسدس

ج . يراد بالجوهر الشيء القائم بنفسهِ ويقابلهُ العرض وهو الشيء القائم بغيرهِ

فالورد جوهر ولونهُ ورائحتهُ عرضان قائمان بهِ. والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ وذلك مبنيٌّ على رأي القائلين ان الاجسام كلها موَّلفة من اجزاء صغيرة جدًّا لا يمكن قسمتها فعلاً. وقد اتضح الآن ان كل جسم موَّلف من دقائق صغيرة جدًّا من الكهربائية. والجوهر البسيط كالجوهر الفرد. ويظهر لنا ان كلمة الكرة حقها ان تكون «الدائرة» فان لها حدًّا واحداً وان جاز ان يحسب موَّلفاً من اضلاع كثيرة متناهية في صغرها وبذلك عرف محيطها. والمضلعات التي تحيط بها اضلاع كالمربع فان لهُ اربع اضلاع والمسدس فان لهُ ست اضلاع. وهذا الكلام كلهُ مبهم لأن الذين ترجموا كتب العلم والفلسفة من اليونانية الى العربية لم يكونوا يحسنون اليونانية او العربية فجاء تعريبهم غاية في الابهام وتابعهم الذين جاءوا بعدهم في الغالب

(٣) معنى بلشفك

ومنهُ ما معنى كلمة بلشفك الروسية.

ج. معناها الاكثرية كأن الذين ادعوها حسبوا انفسهم اكثرية

(٤) بياض الشعر وسببه

ومنهُ. كيف يظهر بياض الشعر في المتقدمين في السن دون الشباب الاَّ نادراً وكيف ينشأ هذا البياض بعد ان كان الشعر اسود ولا ينقلب دفعةً واحدة من السواد الى البياض ولماذا لا يحدث مثل ذلك في اجسام الحيوانات

ج. الاصل في الشعر البياض اي ان مادة الشعر بيضاء وهي تسودُّ من وصول مادة سوداء اليها من الدم ورسوبها فيها فاذا انقطع وصول هذه المادة السوداء اليها وهي نامية صار ما يزيد في نموها خالياً من المادة السوداء. وبعض الحيوانات يبيضُّ شعرها او صوفها في البلاد الباردة اذا جاء فصل الشتاء وغطى الثلج الارض اي يبطل رسوب المادة الملونة فيهِ. ويبطل تكوُّن هذه المادة او رسوبها في شعر الانسان في شيخوختهِ كما يبطل نمو اعضائهِ. ولنا في ذلك رأيٌ لا يزال فطيراً وهو ان كان الانسان يمثل في نمو جسمهِ من اول تكونهِ جنيناً الى ان يولد الدرجات التي مرَّت عليها اجناس الاحياء التي نشأ منها نوع الانسان حسب مذهب النشوء فهو يمثل في تغير لون شعرهِ الدرجات التي مرَّ عليها نوع الانسان في العصور الجيولوجية الغابرة وتغير الحر والبرد فيها. فقد رأينا اولادنا يولدون وشعرهم اسود حالك السواد كشعر سكان الاقاليم الحارَّة ثم يشقرُّ رويداً رويداً حتى يصير ذهبياً كشعر سكان الاصقاع الباردة ثم يعود الى ما بين الاسود والاشقر كسكان المنطقة المعتدلة كأنهم يمثلون اسلافهم قبل العصر الجليدي الاخير وفيهِ وبعدهُ او

كأنَّ اسلافنا كانوا يسكنون بلاداً حارة ثم انتقلوا الى بلاد باردة ثم الى بلاد معتدلة

(٥) جزيرة سرنديب وحكومتها

ومنهُ . هل لسكان جزيرة سرنديب حكومة منظمة وملك مستقل ولهُ وزراء وكم يبلغ عددهم وما لغتهم وهل هم تحت حماية دولة اوربية

ج . جزيرة سرنديب وتسمى الآن جزيرة سيلان استولت عليها بريطانيا نهائيًّا سنة ١٨١٥ بعد ان خلعت آخر ملوكها ولها الآن حاكم انكليزي وجمعية تشريعية وعدد سكان الجزيرة الآن اربعة ملايين ونصف مليون ولغة اكثرهم آرية الاصل مثل البهلوية لان اسلافهم جاءوا سيلان من وادي نهر الغنجس (الكنج) نحو سنة ٥٤٣ قبل المسيح

(٦) تعليل الطرب بالموسيقى

بغداد . علي افندي الرائلي

لماذا نطرب لسماع النغمات الموسيقية وهل تُطرِب انسانًا لم يسمعها في حياتهِ للمرة الاولى وهل طربنا للنغمات اكتسابي كما في بعض اقسام الشعور وكيف ذلك

ج . الصوت اهتزاز ينقلهُ الهواء الى الاذن فيصل الى الياف عصبية دقيقة ويهزها فيصل تأثيرها الى مركز الشعور بالاصوات في الدماغ . ففي النوبة الاولى تجد هذه الالياف العصبية شيئًا من التعب في تحركها كأنها غير مستعدة لهُ وفي النوبة الثانية يكون تعبها اقل منهُ في النوبة الاولى وهلمَّ جرًّا الى ان تعتاد تلك الحركة ولا سيما اذا كانت قياسية فتصير تنتظرها وترتاح اليها . وهذا يشبهُ الارصاد او التوشيح في البديع كما في قولهِ

فان قليل الحب بالعقل صالح
وان كثير الحب بالجهل فاسدُ

فان قارئ هذا البيت او سامعهُ يعرف كلمة فاسد قبل الوصول اليها فيرتاح الى ذلك كمن كشف شيئًا جديداً

وقد أَلف الانسان الانغام الموسيقية الشائعة في بلدهِ منذ طفوليتهِ بما يسمعهُ من امهِ فترتاح اذنهُ اليها ولا سيما اذا كانت مصحوبة بكلمات تلذ لهُ فاذا لم يأْلف غير الانغام البسيطة المؤَلفة من صوتين او ثلاثة كانغام البرابرة تعذر عليهِ فهم الانغام الكثيرة التركيب في الموسيقى الاوربية فلا يطرب لها كما لا يسرُّ من يقرأ شعراً لا يفهم معناهُ ولكنهُ اذا تمرَّن على سماع تلك الانغام زمانًا طويلاً حتى الفتها اذنهُ وصارت تنتظر النغمة الواحدة من سماع التي قبلها صار يرتاح اليها ويطرب بها . فالطرب اكتسابي ولكن الاستعداد لهُ صار وراثيًّا في طوائف الناس

(٧) احتواء البزرة للشجرة

ومنهُ . هل تحوي بزرة الخوخة مثلاً

صورة مصغرة لشكلها التام بعد ان تستنبت وتنمو باغصانها وثمارها وكيف ذلك

ج . كلاَّ ولكنها تحوي جراثيم قليلة فيها استعداد للنمو على صور مختلفة حتى يتكون من مجموعها شجرة الخوخ باغصانها واوراقها وازهارها واثمارها

(٨) تعليل التمدد

ومنهُ . كيف تعللون تمدد المادة وما ماهية التمدد

ج. الجسم مجموع جواهر صغيرة جدًّا وهي على درجات الحرارة العادية بعيد بعضها عن بعض بعداً شاسعاً ومتحركة دواماً فاذا زادت حرارة الجسم زادت حركتها فيزيد تباعدها بعضها عن بعض فاذا كان الجسم جامداً فقد يسيل بهذا التباعد او يصير بخاراً واسع الحجم جدًّا

(٩) استقلال مصر

اتاجو بي بالبرازيل . الخواجه ميخائيل كساب . ما هو استقلال مصر وما هي الحرية التي نالتها لاننا نسمع من الوجه الواحد ان مصر نالت الاستقلال وصار لها سفراء في الخارج . ومن وجه آخر نرى الجيوش الانكليزية والسيطرة الانكليزية باقية كما كانت ونرى ان الحزب الذي هو الاكثرية الساحقة لا يقدر ان يستلم الوزارة بخلاف ما هو في اوربا حيث يستلم الوزارة الحزب الذي يفوق غيرهُ عدداً

ج. اما كون مصر نالت استقلالها السياسي فهذا امر لا شبهة فيهِ ولكن انكلترا احتفظت بامور ليصير الاتفاق عليها مع مصر وكان في الامكان ان يتم الاتفاق عليها قبل الحوادث الاخيرة ولكن اخَّرت الحوادث حلها ومتى حُلَّت على ما نرجو لا يبقى ما يظهر انهُ مناقض للاستقلال . ثم متى تم الانتخاب لمجلس النواب فالوزارة تكون من الحزب الاكبر لانها لا تستطيع ان تعمل عملاً حينئذٍ ما لم تؤيدها اكثرية النواب

(١٠) رقي الصينيين

ومنهُ . اي الشعبين ارقى عرب الحجاز ونجد واليمن او الصينيون

ج . لقينا من الصينيين رجالاً لا مثيل لهم في بلاد العرب من حيث معارفهم العلمية والفنية . تجار الصين وعلماء الصين ووزراء الصين ومديرو معاملها وقواد جيوشها لا يفوقهم امثالهم من الاوربيين والاميركيين . واوربا كلها تخطب الآن ودّ الصين وتخشى بأسها لا لان شعبها كلهُ متمدن كالشعب الاوربي بل لان زعماءهُ لا يقلون الآن عن غيرهم حنكة ودهاء ولا يفوقهم الأ زعماء اليابانيين ولكن هؤلاء صاروا الآن ارقى من امثالهم في اوربا واميركا

(١١) زراعة البن في مصر

ومنهُ . لاي سبب لا يزرعون البن في مصر مع ان طقس مصر مثل طقس ولاية

سان باولو على ما اظن . وهل جرب احد زرعه ُ ام لا

ج . انما يجود البن في الاراضي الجبلية او المرتفعة عن سطح البحر اكثر من ١٥٠٠ قدم.والاراضي المصرية سهول كلها وليس فيها ما ارتفاعهُ ٥٠٠ قدم . وقد زرعت وزارة الزراعة اشجاراً قليلة من البن للزينة او او ليرى الطلبة ما هي

(١٢) مقام انكلترا المالي

ومنهُ . قرأت مقالة لاحد الكتاب يقول فيها ان انكلترا اذا استوفت مالها من الديون من بقية الدول استعادت مركزها المالي قبل الحرب فهل هذا صحيح وهل من الممكن ان يعود الجنيه الى نسبتهِ السابقة الى الريال الاميركي

ج . لا تزال انكلترا في مركزها المالي القديم وقد عادت نسبة الجنيه الى الريال كما كان قبل الحرب تقريباً

(١٣) ديون انكلترا

ومنهُ . لاي سبب لا نرى انكلترا تطالب بما لها من الديون عند دول اوربا مع ان الولايات المتحدة طالبتها واستوفت منها وقد ضيقت الخناق على فرنسا

ج . لم تهمل انكلترا المطالبة بما لها من الدين وقبيل كتابة هذه السطور رأينا صورة الوفد الايطالي الذي ارسل الى انكلترا ليساوم في كيفية ايفاء دين ايطاليا لانكلترا ولكن الحلفاء من دول اوربا يقولون ان الحرب كانت مشتركة بيننا وكان على كل دولة ان تقدم لها كل قواتها من مال ورجال واساطيل فهل يحق للتي انفقت من اموالها اكثر من غيرها ان تطالب الغير بهِ ولا يحق للتي قتل من رجالها اكثر مما قتل من رجال غيرها ان تطالب ذلك الغير بما يقابل من قتل من رجالها زيادة على غيرها ولذلك تجد انكلترا غير ملحّة في طلب مالها من الدين وقد لا تطالب من يتعذر عليهِ الايفاء

(١٤) دائرة معارف القرن العشرين

زبير . السيد سعد بن احمد الربية . هل تم تأليف دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ وجدي وهل طبعت طبعة ثانية وهل فيها رسوم

ج . بلغنا انهُ تمَّ طبعها وان ليس فيها رسوم

(١٥) ثمن مجلدات المقتطف

ومنهُ . كم ثمن مجلدات المقتطف من اول صدورهِ الى ختام سنة ١٩٢٥ مجلداً تجليداً افرنجياً خالصاً اجرة البريد

ج . اربعون جنيهاً مصريًّا ولكن ينقصها مجلدان او ثلاثة

(١٦) المكاتب السياسي الشرقي

ومنهُ . من هو المكاتب السياسي الشرقي لجريدة المقطم

ج . هو احد المحررين فيها ولو اريد ذكر اسمهِ لذكر في المقطم

(١٧) حمل الزيتون كل سنة

وجه الحجر بلبنان . فائز افندي عساف . طالعت في مقتطف يناير من المجلد الثامن والثلاثين صفحة ٨١ فصلاً بعنوان الزيت والزيتون جاء فيهِ ما يأتي

« وقد طرأ على شجر الزيتون في ساحل بيروت طارئ جعلهُ يحمل سنة وينقطع عن الحمل اخرى ومنهُ ضرر لان السنة التي يكثر حملها يرخص زيتونها فيقل ربح اصحابهِ والزيت الذي يبقى منها الى السنة التالية لا يبقى جيد الطعم غالباً كالزيت الجديد . ويمكن ان تعالج هذه الآفة بمنع حمل بعض الاشجار في السنة التي يكثر حملها فتحمل في السنة التالية فيصير بعض الشجر يحمل هذه السنة وبعضها يحمل في السنة التالية دواليك فلا تخلو سنة من زيت وزيتون »

فما هي الواسطة لمنع حمل بعض الشجر في السنة التي يكثر حملها . وهل من واسطة لجعل شجر الزيتون يحمل كل سنة

ج. الطريقة في ذلك انهُ حينما يظهر الزهر تقطع كل الاغصان التي فيها زهر من رؤُوسها حيث يوجد الزهر . والعمل متعب كثير النفقة ولكن نتيجتهُ تفي بالتعب والنفقة

(١٨) تيمورلنك

سنترال فولز رودايلند . الخواجه يورغا كي مشاطي . قرأت في احدى الجرائد عن تيمورلنك انهُ بنى قلعة من الجثث في حلب فمن هو تيمورلنك هذا وفي اي زمن ظهر وما هو الدافع الذي دفعهُ الى هذا العمل الفظيع

ج . تيمورلنك فاتح من اعظم الفاتحين الذين نشأوا في اسيا ولد في كش على نحو ٥٠ ميلاً من سمرقند سنة ١٣٣٦ للميلاد وتغلب على خصومهِ وجلس على عرش سمرقند ودوَّخ الهند ووصل في فتوحهِ غرباً الى دمشق واسر السلطان بايزيد العثماني وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء وحليماً رؤُوفاً محبًّا للعلوم والفنون . ولكن ابن عرب شاه صاحب كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور نسب اليهِ فظائع كثيرة لا يقرهُ عليها المحققون

(١٩) اكبر المكاتب العمومية

نيو يورك . احد المشتركين . هل تعدُّ مكتبة نيو يورك العمومية بين المكاتب الكبرى في العالم

ج . هي ومكتبة الكنغرس بوشنطن اكبر المكاتب في الولايات المتحدة وكل منهما فيها ما يزيد على مليوني مجلد ولكن تفوقهما المكتبة الوطنية بباريس ومكتبة المتحف البريطاني بلندن ففي كل منهما ثلاثة ملايين مجلد

باب الأخبار العلمية

مقتطف مارس

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بمقالة جعلنا عنوانها «اللباس وارتباطهُ بمصالح الناس» وفيها بيان علمي تاريخي للاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في دمشق عن « اللباس في الاسلام »

وبعدها كلام على النور وفعلهِ في الاحياء ابنَّا فيهِ فعل الاشعة التي فوق البنفسجي

ويليهِ وصف احدث المكتشفات الاثرية في سقَّارة وصورة صفي الاعمدة المضلعة التي عثر عليها قرب هرم زوسر المدرَّج

ثم جانب من رسالة تاريخية للاديب انيس زكريا النصولي موضوعها « اساوب المؤرخين العرب في كتابة التاريخ »

فتتمة القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية وعنوانها «الصراع»

وبعدها مقالة مسهبة للدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية موضوعها « النثر العربي في خمسين سنة »

ثم الفصل الثاني من الفصول العلمية الفكاهية التي ننشئها في كنوز البحار وغرائب انتشالها وهذا الفصل يدور على مخاطر الغوص ومعدات الغوَّاص

ويليهِ مقالة فلسفية لاسماعيل مظهر بك عنوانها طابع المدنية الحديثة قارن فيها بين مدنية اليونان وعنايتها بالفرد والمدنية الحديثة واهتمامها بالجمهور

وبعدها كلام موجز على انتشار التعليم العالي في فنلندا

ثم خطبة تاريخية نفيسة لمرقص سميكة باشا عن « الآثار المصرية والمتحف القبطي »

ويليها فصل عن اشهر ملوك البترول في اوربا وابعدهم نفوذاً نريد بهِ السر هنري دتردنج مدير شركة الرويال دتش وهو معروف بنبوليون البترول او ركفلر اوربا وفيهِ صورتهُ

ثم تحقيق تاريخي علمي عن اصل الشمويين واحوال بلاد العرب في الزمن السابق للتاريخ لعالم عراقي كبير

وبعدهُ وصف لآثار البتراء وهي المدينة التي نحتت هيا كلها وقصورها ومدافنها في الصخر وقد كانت من اكبر محطات القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وفيهِ صورة بعض آثارها

ويليها مقالة للدكتور حسن كمال عنوانها الفنون الجميلة والبناء عند قدماء المصريين وفيها صورة للفراغ المعماري الذي يعود فخر السبق اليهِ على المصريين القدماء

ثم سيرة دوتي الرحالة الانكليزي الذي رحل الى بلاد العرب بين سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ وألف كتاب صحراء بلاد العرب المشهور Arabia Deserta

وبعده كلام علمي فكاهي على طبائع الافاعي الكبيرة وبعض الاوهام الشائعة عنها وفيهِ صور لافعى اضربت عن الطعام فصارت تطعم غصباً وصورتا افعيين احداهما تبتلع طائراً كبيراً والثانية تضغط على فريستها لتميتها

ويلي ذلك سيرة مجلان اول من طاف حول الارض وفيها صورتهُ وصورة السفينة فتوريا وهي اول سفينة اتمت الطواف حول الارض

ثم مقالة للاستاذ حسن حسين عنوانها «مذهب تناسخ الارواح» اتى فيها على ذكر بعض الحوادث والآراء التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتناقهِ

ويلي ذلك ابواب المقتطف فباب المراسلة فيهِ مقالتان نفيستان الاولى عن «الدروز وحروب ابرهيم باشا» والثانية عن «حجارة البترول في فلسطين» . وباب الزراعة فيهِ مقالة عن انتشار زراعة النخيل في الارض وزراعة القطن في السودان ووصف خزان سنار

اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٧	١	٤٩	مساءً
الهلال	١٤	٥	٢٠	صباحاً
الربع الاول	٢١	٧	١٢	»
البدر	٢٩	٠	١	مساءً
الاوج	٢٥	٦	٥٤	صباحاً
الحضيض	١٣	١	٣٠	»

السيارات في مارس

عطارد . كوكب مساء في اول الشهر ولا يرى في آخرهِ

الزهرة والمريخ والمشتري كواكب صباح

زحل . يشرق الساعة ١١ ليلاً

الاسماء الكيماوية القديمة

يعجب العامة من غرابة الاسماء الكيماوية الحديثة وطول بعضها مع ان الكيماويين ارادوا ان تدل على تركيب المسميات فاذا قلنا الحامض الكبريتيك اردنا السائل المركب من جوهرين من الهدروجين وجوهر من الكبريت واربعة من الاكسجين اما اسمهُ القديم وهو زيت الزاج فغاية ما يدلُّ عليهِ انهُ مستخرج من الزاج . والزاج نفسهُ لا يدلُّ الاَّ على مادة جامدة سميت بهذا الاسم واما اسمهُ الكيماوي الحديث وهو

كبريتات الحديد فيدل على انهُ متولد من الحامض الكبريتيك والحديد ويدل ايضاً على نسبة ما فيهِ من الاكسجين والهيدروجين والكبريت والحديد وزناً . واغرب من ذلك ان الكيماويين الاقدمين اطلقوا على كل عنصر من العناصر التي عرفوها ومركباتها اسماء كثيرة . قال الباحثان ودمن ورسكا في رسالة نشراها حديثاً بالالمانية ان كيماويي العرب سموا الذهب ٢٣ اسماً مختلفاً والزئبق نحو ٦٠ اسماً وقد استخلصا هذه الرسالة من كتاب خطي للطغرائي الشاعر المشهور في صناعة الاكسير . ومن اغرب هذه الاسماء « الكاتب » « وحياة الاجساد » للزئبق و « والملح الطيار » « والفلفل الارمني » للنوشادر « وطائر سقراط » للكبريت . والغرض من هذه الاسماء التعمية حتى لا يفهم احد المراد بها الاَّ اصحاب الكيمياء . اما الاسماء الجديدة اي اسماء المركبات الكيماوية المعروفة بها الآن فالمراد بها معرفة العناصر الداخلة في تركيب كل مادة ومقدارها

مصدر البترول

اختلف العلماء في تعليل تولُّد البترول في الارض . ومن الآراء الشائعة انهُ متولد من دهن الاسماك اي ان اسماكاً كثيرة تجمعت في بعض الاماكن في العصور الجيولوجية وماتت وطُمرت فتحلَّب ما فيها من المادة الدهنية او الزيتية وتحول الى بترول على مرور الزمن . وقد استدلَّ بعضهم الآن على صحة هذا الرأي بما عُرف من طبائع الانكليس (ثعبان البحر) فانهُ اذا حان وقت مزاوجتهِ وتوليدهِ هبط من انهر اوربا الى البحر وسار الى بقعة عميقة في الاوقيانوس الاتلنتيكي فتزاوج هناك وعادت صغارهُ رويداً رويداً الى ان تبلغ انهار اوربا . ومن المؤكد ان الانكليس الكبير الذي يولِد في تلك البقعة لا يعود منهُ شيء الى الاماكن التي ذهب منها . والظاهر انهُ يموت كلهُ وتبقى اجسامهُ في تلك البقعة . فاذا فرضنا ان المدة التي كفت لتكوين ما في الولايات المتحدة من البترول عشرة ملايين من السنين وكان مقدار هذا البترول ثلاثة آلاف مليون طن وكان الزيت الذي في الانكليس الواحد يبلغ ١٠٠ جرام وفرضنا ان عدد الانكليس الذي يهاجر سنويًّا ثلاثة ملايين كفت لتوليد كل البترول الذي يوجد في الولايات المتحدة

البحث العلمي في البترول

في اميركا معهد لدرس كل ما يتعلَّق بالبترول علميًّا اهدى اليهِ المستر ركفلر الصغير خمسين الف جنيه واهدت اليهِ الآن شركة البترول العمومية خمسين الف جنيه اخرى ليجري في مباحثهِ هذهِ

تاريخ مدفن عبراني في بيروت

جاء في مجلة المشرق لشهر فبراير ما خلاصتهُ ان المهندس ادمون افندي بشاره ارى محررها حجراً كلسيًّا طولهُ ٣٨ سنتمتراً وعرضهُ ٣٦ وسمكهُ ١٥ عليهِ الكتابة العبرانية التالية وقد ساعد ادارة المشرق على فك معانيها حضرة الاب سبستيان رونزفال وهي

(١) انضم (الى آبائهِ) تميم

(٢) هلو (ي) بن منسا

(٣) رأس الطائفة

(٤) فاستناح في الفردوس سنة ١٤٠١

(٥) من العهود

وسنة العهود ١٤٠١ المذكورة هي سنة تاريخ السلوقيين وتوافق سنة ١٠٨٩ — ١٠٩٠ للمسيح ويستدل من ذلك على ان هذا المدفن سبق عهد الرحالة اليهودي بنيامين التودلي الذي زار سواحل الشام وحط الرحال في بيروت سنة ١٠٧١ م وقد ذكر ما وجدهُ فيها من الموسويين فاحصاهم خمسين نفساً وفي اللاذقية ١٠٠ وفي جبيل ٢٠٠ وفي صور ٥٠٠ وهو يعيّن ما لكل مدينة من الاعيان المتولين على الملة اليهودية. والدفين الذي ورد ذكرهُ آنفاً وهو تميم هلوي كان احد هؤلاء الاعيان ويشار اليهِ برأس الطائفة. وقد وجد هذا الاثر غربي دار القنصلية الاميركانية عند حدود الرمل.

انتهى باختصار

هبة ركفلر للآثار المصرية

عرض المستر جون ركفلر الصغير ابن المستر ركفلر المثري والمحسن الاميركي الشهير ان يهب مصراً عشرة ملايين ريال تبني بها متحفاً يضم مجموعتها الاثرية النفيسة يكون من افخم المتاحف في العالم ويتصل بهِ معهد للمباحث الاركيولوجية

وقد قال الدكتور برستد المؤرخ المشهور ان الباعث للمستر ركفلر على اهداء هذا المال الطائل هو ان العالم كلهُ ولاسيما العالم الجديد مدين لمصر في التهذيب والحضارة ديناً ظهر شأنهُ بالتدريج على اثر المكتشفات الاثرية في السنين الاخيرة. وقد علم ان كنوز مصر من آثارها القديمة البديعة قد زادت زيادة لا يتسع لها متحف القاهرة

الشهير . فيتبرعهِ لانشاء معهد للمباحث الاثرية ومتحف جديد عظيم يعتقد ان التسهيلات المتنظرة لا تقتصر فائدتها على علماء العالم اذ تمكنهم من القيام بمباحث دقيقة تؤدي الى التعمق في درس تاريخ الحضارة بل تتناول ايضاً الشبان المصريين الراغبين في الحصول على تثقيف علمي يُنجب منهم مؤرخين لبلادهم العجيبة

وقد فهمنا ان ما يشترطهُ المستر ركفلر لهبتهِ هذه لا يخرج عمّا يراهُ رجالهُ لازماً لحفظ المتحف والمعهد وصيانتهما لذلك يقترحون انشاء لجنة مختلطة تتألف من اميركيين ينتدب احدهما متحفُ المترو بولتان بنيويورك والآخر الاكادمية الوطنية بوشنطن وانكليزيين احدهما من قبل المتحف البريطاني والثاني من قبل الاكادمية الملكية وفرنسويين احدهما من متحف اللوفر والثاني من اكادمية الزخارف ومصر بين احدهما وزير الاشغال وهو رئيس اللجنة الدائم ووزير المعارف الا اذا كان مدير مصلحة الآثار مصريًا فيكون بحكم وظيفتهِ العضو المصري الثاني في اللجنة. وسيطرة هذه اللجنة على المتحف والمعهد المتصل بهِ تمتد الى ثلاث وثلاثين سنة . وذلك لان الاميركيين رأوا بالاختبار انهُ اقتضاهم مثل هذا الوقت في اميركا لاعداد علماء وباحثين يعتمد عليهم في هذه العلوم كبرستد وريسنر وغيرهما ولذلك يرون ان هذه المدة لازمة لاعداد علماء مصريين يستطيعون في نهاية هذه المدة ان يتولوا شؤون المتحف والمعهد معاً

ان الروح التي اظهرها ركفلر في كل هباتهِ لا تدع مجالاً للشك في انهُ يهبها خالصة لوجه العلم لا يرمي من ورائها الى نفع او ذكر حتى بلغنا من احد المطلعين انهُ لا يريد ان يذكر اسمهُ في اختيار اسم للمعهدين الجديدين في مصر. فعسى ان ترى الحكومة المصرية السبيل الى قبول هذه الهبة ممهداً فان فائدتها العلمية عظيمة جداً

وصل بحر الروم ببحيرة لوط

نشرنا في مقتطف يناير هذه السنة مقالة موضوعها الاحوال في فلسطين اشرنا في آخرها الى مشروع كبير يراد بهِ استعمال كل مياه نهر الاردن للري وحفر ترعة تصل بحر الروم ببحيرة لوط تجري فيها المياه جرياً محدوراً الى تلك البحيرة يقوم مقام ما يتبخر منها من الماء . ولما كان سطح البحيرة اوطأ من سطح بحر الروم ١٢٩٢ قدماً فيكون من انحدار الماء في هذه الترعة قوة تساوي ٦٧١٠٠٠ حصان تحوَّل الى كهربائية كافية لفلسطين وسورية. وقد نشر المقطم في ١٩ فبراير لمكاتبهِ من حيفا تفصيلاً مهماً لهذا المشروع قال فيهِ انهُ للمهندسين الفرنسويين كارشي وغانديون من باريس وقد قدما

طلبًا بالمصادقة على مشروعها هذا الى الحكومة البريطانية في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٥ نمرة ٢٢١ و٢٢٩ فاجابتهما عليهِ بالموافقة وبحفظ الحق لها بملكيتهِ . وكان المشروع موضوع اهتمام اكاديمية العلوم في باريس على اثر الرسالة التي قدمها اليها عنهُ المسيو ادوار امبو المدرس في مدرسة الكباري والسدود الوطنية . ومما جاء في هذا الرسالة ان ماء البحر الميت ملح جدًّا بمعدل ٢٤٠ غرام ملح في الليتر وماء بحيرة طبرية وأعالي نهر الاردن حلو فيمكن استخدامه للري واذا اقتضى الامر تستعمل الطلمبات الكهربائية لرفع المياه ومن المستحسن جعل بحيرة طبرية مستودعًا للتدفق من نهر الاردن وتنظيم امر الباقي منهُ ببناء سدود على النهرجنوبي بيسان واقامة سدود أخرى في مواضع موافقة على جوانب النهر وهكذا يمكن استخدام هذه المياه لري سبعين الف هيكتار الى مائة الف

خريجو الجامعات والبحث العلمي

اعطى الامناء على تركة المستر جون سترلنج الاميركي جامعة يايل الاميركية مليون ريال ليعطى ريعها لخريجي تلك الجامعة وغيرها الذين يرغبون في البحث العلمي والانقطاع لهُ فيعطي الواحد منهم ٢٠٠ جنيه الى ٣٠٠ في السنة

تذهيب المكروبات

من اغرب ما نقلهُ الينا البريد في هذا الاسبوع خبر اكتشاف سيكون لهُ شأن كبير في علم المكروبات فان السر وليم هاردي الطبيب الانكليزي المشهور كان قد عهد اليهِ مجلس الابحاث الطبية في الحكومة البريطانية في درس صفات الهيموغولوبين وهي المادة التي تكسب الدم لونهُ الاحمر فوجد في اثناء بحثهِ انهُ اذا سلط مجرى كهربائيًا سلبيًا على الذريات الصمغية اتحدت هذه الذريات مع بعض المعادن . فاتخذ الاستاذ نجولد الالماني هذا الاكتشاف قاعدة لمباحث عديدة اجراها حتى وفق الى طريقة لتذهيب المكروبات تذهيبًا يمكن الباحثين من رؤية ذريات حجمها اصغر الف ضعف من حجم الذريات التي صورها المستر برنارد بالنور الذي فوق البنفسجي . وقد ابتدأ الاستاذ مباحثهُ بمكروبات كبيرة كمكروب البارانيفوئيد الذي يرى بالمكرسكوب العادي فكان يضعها في حمام من محاول كلوريد الذهب فتطلى بقشرة من الذهب كما تطلى المعادن بالكهربائية ومن ثم اخذ يتدرج في تجربة طريقتهِ في مكروبات اصغر من تلك فاصغر حتى وفق الى تذهيب البكتريوفاج الذي اكتشفهُ ده رل وجعلهُ يرى بالمكرسكوب

امرأة تلد اربعة اطفال معاً

نشر المقطم في ١٧ فبراير خبراً لمكاتبهِ في سنورس قال فيهِ

دعي حضرة الدكتور فريد بك محمد طبيب مركز سنورس لاسعاف امرأة كانت تلد في بندر سنورس وكانت دهشة الناس عظيمة لما علموا ان المرأة وضعت اربعة اولاد ثلاثة ذكور وانثى واحدة وانما دهش الناس لامرين الاول ان المرأة ما كان يبدو عليها في اثناء الحمل ظاهرة غير عادية والثاني ان اولادها ولدوا احياء واستنشقوا نسيم هذه الحياة حيناً من الدهر

معالجة لدغ الافعى

جاء في مجلة الشرق الادنى التي تصدر في باريس بالعربية والفرنسوية انهُ يجب الامتناع عن استعمال جميع الطرق القديمة كامتصاص الجرح او كيه بحديدة محماة او بوضع النشادر عليهِ او صبغة اليود او غير ذلك فان فعل جميع هذه المواد الكاوية ضار بحسب اعتقاد الدكتور رو من مختبر باستور

فحين تلدغ الافعى شخصاً ينبغي :

١ — الاسراع بربط العضو الملدوغ ربطاً شديداً فوق الجرح

٢ — فصد الجرح وتوسيعه بمدية او بآلة جارحة

٣ — استعمال الحجامة اذا امكن حول الجرح

٤ — صب ٥ الى ١٠ غرامات من محلول برمنغانات البوطاس من عيار ١ الى مائة في الجرح بعد توسيعهِ . ويحسن بسكان الاماكن التي تكثر فيها الافاعي او بمنتجعي تلك الاماكن ان يكون معهم دائماً من ذلك المحلول

٥ — فرك الملدوغ فركاً خفيفاً وتجريعهُ شيئاً من القهوة ومقداراً من الكحول

كلف الشمس

ظهرت على الشمس كلفتان كبيرتان تريان بالعين لكبرها اذا نُظر الى الشمس من خلال لوح من الزجاج سوّد بالدخان . واحدى هاتين الكلفتين من اكبر الكلف التي ظهرت على وجهِ الشمس منذ خمسين سنة الى الآن وقد بلغ طولها في التاسع عشر والعشرين من يناير نحو ٦٠٠٠٠ ميل

سكان اميركا الاصليون

استنتج الدكتور هردلكا بعد البحث المدقق ان سكان اميركا الاصليين (هنود اميركا) هاجروا اليها من شرق اسيا وان ذلك كان منذ عشرة آلاف سنة على الاقل وخمسة عشر الف سنة على الاكثر . والف ليو وينر Leo Wiener من جامعة

هارفرد كتاباً كبيراً اثبت فيهِ انهُ كان لعرب اسبانيا وافريقية معاملات تجارية مع سكان اميركا الاصليين قبل كولمبوس بمئات من السنين وسنأتي على خلاصة ذلك في بعض الاجزاء التالية

الزجاج الآلي

صنع عالمان نمسويان مشهوران وهما الدكتور فرتز بولاك والدكتور كرت وبرمن اهالي فينا نوعاً جديداً من الزجاج وهو شفاف وصلب كالزجاج العادي ولكنهُ لين ايضاً حتى يسهل ليهُ ونشرهُ وخرطهُ وخرقهُ و يلوَّن بكل الالوان و يبقى شفافاً ولا يؤَثر فيهِ الحر ولا البرد ولا يحجب اشعة النور التي فوق البنفسجي كما يحجبها الزجاج المعروف . فهو افضل من الزجاج من كل وجه . ولم تعلن المواد التي يتركب منها ولكن يظهر لنا من تسميتهِ بالزجاج الآلي انهُ يصنع من مواد حيوانية او نباتية كالغراء والزلال والهلام . وقد نال مخترعاهُ الامتياز لعملهِ في البلاد الانكليزية وغيرها والظاهر انهُ سيكون رخيصاً كالزجاج العادي

علاج السل

اشار الاستاذ مولغارد Mollgard من اساتذة جامعة كوبنهاغن باستعمال السنوكرزن Sanocrysin (ثيولفات الصوديوم والذهب) علاجاً للسل الرئوي . وقد كتب الاستاذ اليوت الآن في مجلة اللانست الطبية انهُ امتحن هذا العلاج في احدى عشرة حادثة فوجد انهُ اذا استعمل بالتأني افاد اكثر من كل علاج آخر

استعمال الجراد

عرب البادية يأكلون الجراد ونحن نعرف من شوى الجراد واكلهُ وقال ان طعمهُ مثل طعم السراطين المشوية . وقد بليت بهِ البلاد في جنوب افريقية فتألفت شركة تجمعهُ وتصنع منهُ طعاماً للدجاج وسماداً للارض

النحاس للتصوير الشمسي

ابان المسيو بيو تشون والمداموازل دمورا انهُ اذا وضعت صفيحة من النحاس في مذوب كبريتات النحاس وعرضت للهواء تغطت بغشاوة من اكسيد النحاس وصارت حساسة بفعل النور كالواح الفوتوغراف

الاعلان عن اللاسلكي

جاء في جزء فبراير من السينتفك اميركان ان اصحاب صناعات الآلات والادوات اللاسلكية في الولايات المتحدة سينفقون عشرة ملايين ريال على الاعلان عن بضائعهم في السنة القادمة يصيب الصحف منها نحو مليوني ريال ونصف مليون فقط

الجزء الثالث من المجلد الثامن والستين

صفحة

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والستين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٨ رمضان سنة ١٣٤٤

الحرب الكبرى ومن المسؤول عنها

بحث كثيرون عن المسؤول في اثارة الحرب الكبرى فالّفت في ذلك كتب وكتبت مقالات كثيرة . وقد قرأنا الآن مقالة للجنرال السر ادمند أيرُنسيد جاء فيها على ما دار من المراسلات والاحاديث بين الجنرال مُلتكي الاصغر رئيس اركان حرب المانيا والجنرال كنراد رئيس اركان حرب النمسا والمجر من سنة ١٩٠٧ الى ان نشبت الحرب ويظهر منها جليًّا مَن المسؤول اكثر من غيره

ملتكي شهد حرب المانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠—١٨٧١ مع عمهِ ملتكي الاكبر. وكنراد حارب البوسنه والهرسك سنة ١٨٧٨ و١٨٨١ . وكلاهما كانا في قيادة المشاة. ولما نشبت الحرب الاخيرة سنة ١٩١٤ كان عمر ملتكي ٦٦ سنة وعمر كنراد ٦٢ سنة وهما من رجال الحرب لا يهمهما امرٌ آخر غيرها

اجتمعا اول مرة سنة ١٩٠٧ واخبر كلٌّ منهما الآخر انهُ اعتذر عن قبول المنصب الذي هو فيهِ مراراً ثم قبلهُ حاسبًا انهُ مما يجب عليهِ . قال ملتكي للامبراطور ولهلم لما طلب منهُ ان يتولى رآسة اركان الحرب اتظن يا مولاي انك تستطيع ان تسحب عددين رابحين من صندوق اقتراع واحد ، مشيراً الى فوز عمهِ ملتكي الاكبر الذي كان رئيساً لاركان الحرب . وهنأ بعضهم كنراد لما جُعل رئيساً لاركان الحرب فقال لهُ كنراد ان مَن يوضع في منصب مثل هذا يهنَّأ اولاً ويرجَّى لهُ النجاح ثم يراقب ثم يُنتَقد ويُلعَن واخيراً يرشق بالحجارة

وقد بذل هذان الرئيسان جهدهما في هذين المنصبين حتى لا يدعا شيئًا يأول الآ الى التعاون الواجب بين حكومتيهما

ومنصب رئيس اركان الحرب في المانيا وفي النمسا والمجر اهم جدًّا منهُ في البلدان الدموقراطية فهو اولاً منصب دائم فان ملتكي الاكبر اقام فيهِ احدى وثلاثين سنة متوالية وملتكي الاصغر هذا اقام فيهِ ثماني سنوات قبلما استقال. وكنراد اقام فيهِ ١٢ سنة . ثم ان الامبراطوريتين بنيتا على الحرب ولذلك فكل ولد في المانيا والنمسا يشعر ان بلادهُ يحيط بها الاعداء من كل ناحية ولا بدَّ لها من ان تكون على قدم الاستعداد للحرب ولذلك فلرجال الحرب الكلمة النافذة في سياسة البلاد ورئيس اركان الحرب مستقلٌ في آرائهِ وافعالهِ وغير خاضع لوزير الحربية وهو على اتصال دائم بامبراطورهِ الذي هو الرئيس الاعلى للقوى الحربية . فعلى رئيس اركان الحرب ان يدرس قوانين الحرب لكل فروعها و يستعد لها من كل وجه و يدير حركاتها متى نشبت . ولذلك تمكن كل من رئيس اركان الحرب في المانيا ورئيس اركانها في النمسا ان يكون لهُ القول الفصل احيانًا في سياسة بلادهِ الخارجية

ثم ان في هاتين الامبراطوريتين كثيراً مما يدعو الى التعاون فلهما لغة واحدة يمكن التخاطب بها والاتصال بين عاصمتيهما سريع سهل وقد ارتبطتا بمحالفة منذ سنة ١٨٧٩ ومصالحهما واحدة وهذا مما يقوي الارتباط بينهما

وكان تعيين كنراد رئيساً لاركان الحرب بناءً على طلب الارشديوك فرنز فردينند ولي العهد. ولم يكد يتربع في هذا المنصب حتى وجد شقة الخلاف واسعة بين النمسا والمجر فان المجر كانت تأبى ان تكون النمسا متسلطة عليها بوجه من الوجوه ولم تكن الجنود النمسوية والمجرية تحت قيادة واحدة ولا كانت مستعدة للحرب . واول مذكرة كتبها كنراد تاريخها ابريل سنة ١٩٠٧ اشار فيها باصلاحات كثيرة ووصف الحالة السياسية كما رآها وعلَّق عليها حاشية قال فيها . انني اخشى من ايطاليا اكثر مما اخشى من كل الدول المجاورة للنمسا والمجر لانها تود ان تمتلك التيرول الجنوبي وتريستا لكي تكون لها سيادة على الادرياتيك والبلقان الغربي . وهي تزيد في استعدادها الحربي بسرعة بينما نحن وقوف لا نفعل شيئًا . نعم اننا لا نزال اقوى منها ولكن كل يوم يمضي يقلل تفوقنا عليها فاشير باتخاذ الوسائل اللازمة حالاً لاصلاح جنودنا او نبادر ايطاليا بضربة قاضية وخير البر عاجلهُ .

فلم ترَ الحكومة النمسوية من الانصاف أن تبادىء دولة حليفة بالعدوان لان ايطاليا كانت عضواً في المحالفة الثلاثة منذ سنة ١٨٨٢

اما ملتكي فجاء بعد شليفن الذي تولى رآسة اركان الحرب ١٤ سنة اي بعد ملتكي الاكبر الى ان عجز جسمهُ عن القيام باعباء هذا المنصب. ولم يقع خلاف بينهُ وبين الامبراطور كل هذه المدة. اما ملتكي خلفهُ فلم يسر في خطتهِ من هذا القبيل والظاهر ان الامبراطور جاراهُ وكان يفعل ما يشير بهِ لكن ملتكي كان يكره الأُبهة والتظاهر الفارغ والسير في ركاب الامبراطور في زياراتهِ. ولما ضمت البوسنه والهرسك سنة ١٩٠٨ ورأى كنراد ان المانيا لم تعترض على ذلك اطمأَن بالهُ من نحوها ولا سيما لان الدول الاخرى لزمت الصمت وشعر بالقوة من اتحاد الامبراطوريتين وشاركهُ ملتكي في هذه الشعور

وسنة ١٩٠٩ بعث كنراد الى ملتكي تفصيلاً مسهباً عمَّا يحتمل وقوعهُ وطلب ان يعرف رأي المانيا فيهِ. ومما ذكرهُ ان النمسا والمجر يحيط بها الاعداء واقوام روسيا ولكن ايطاليا وسربيا قويتان ولا بدَّ من مناجزتهما ويحتمل ان تهاجمهم روسيا وهم مشتبكون بالحرب مع ايطاليا او سربيا فلابدَّ لهم حينئذٍ من ان تساعدهم المانيا فماذا يحق لهم ان ينتظروا منها. ثم فصَّل ذلك فقال اذا كانت روسيا الخصم الوحيد قابلوها باربعين فرقة من الجيش يتمُّ زحفها في ٢٢ يوماً من الشروع في التعبئة (او الزحف) ولكن اذا كانت النمسا مضطرة ان تحارب في الجنوب ايضاً لم تستطع ان ترسل لمحاربة روسيا اكثر من ثلاثين فرقة في تلك المدة

فاجابهُ ملتكي راثياً لهُ ومتأسفاً لانهُ لا يستطيع ان يلتقي بهِ لينظر معهُ في هذا الموضوع مخافة ان تشهر الجرائد ذلك ولكنهُ اكَّد لهُ انهُ اذا نشبت الحرب بين النمسا وروسيا فالمانيا تنجد النمسا بكل جيوشها ولكن الحالة الحاضرة ليست بسيطة كما تظهر فانهُ لا يحسب ان فرنسا تلتزم الحياد اذا زحفت جنود الدولتين على روسيا بل تزحف بجيوشها على المانيا ولا يحتمل ان يقف جيشها في وجه جيش المانيا ولا تنشب الحرب بينهما. فلابدَّ لالمانيا في تلك الحال من ان تخاطب فرنسا وتسألها عمَّا تنوي فعلهُ فاذا قالت انها تلزم الحياد التام ففي اليوم العشرين من التعبئة يكون عند المانيا ٣٧ فرقة من جيشها في شرق بروسيا ولكن اذا لم تجب فرنسا بالتزامها الحياد فلا تستطيع المانيا ان تبقي من جيشها في الشرق الاَّ الشيء اليسير وتسيِّر اكثر جيشها لمناجزة فرنسا. وحاول ملتكي ان يقنع كنراد بانهُ لا يخشى من ايطاليا لانها غير مستعدة للحرب وان النمسا قادرة ان تبلغ مرادها في البلقان

من غير ان يتعرَّض لها احد · و بيَّن لهُ ان دول اور بامرتبطة كلها بالمعاهدات او بالتفاهم وقلما يحتمل ان دولة من الدول الكبيرة تجرد الحسام من غير ان يشترك غيرها في الحرب وكل الدول الكبرى تعلم ذلك وهذا الذي يمنع الحرب لانهُ ما من دولة تضرم نارها لاجل السرب

وقد اتفق ملتكي وكنراد على انهُ اذا نشبت حرب كبرى في اوربا فيكون ميدانها بين المانيا وفرنسا

يظهر من ذلك ان المانيا والنمسا كانتا تحسبان ان روسيا معادية لهما كلتيهما وان المانيا تخشى شر فرنسا وان النمسا تخشى شر ايطاليا وسربيا · نعم ان ملتكي كان مطمئناً من جهة ايطاليا ولكن كنراد كان يقول ان المحالفة الثلاثية مثل مائدة قائمة على ثلاث ارجل فاذا انخلعت واحدة منها سقطت المائدة . واخيراً طلب من حكومتهِ ان تجعل خططها الحربية مطابقة لما تقترحهُ المانيا فقبلت بذلك واكتفى بطلب الجيش الشرقي الالماني اي الفرق المقيمة فيشرق المانيا حاسباً انها اذا اشتركت مع الجيش النمسوي احرز النصر على روسيا مع ما هي فيهِ من بطء الزحف الاَّ ان ملتكي اصرَّ على ان الجيش الشرقي لا يفعل الاَّ حسب دواعي الحال حاسباً حساب فرنسا

ولحظت سائر الدول ما بين المانيا والنمسا من التعاضد فنشأ التفاهم بين فرنسا وبريطانيا العظمى

وسنة ١٩٠٧ كثر تبادل الرسائل بين كنراد وملتكي ويظهر منها انهما كانا موجسين شرًّا من ان فرنسا وروسيا وبريطانيا اتفقن على الايقاع بالمانيا والنمسا وكان ملتكي يرى امامهُ بارقة امل في الجيش التركي لان ميلهُ مع الالمان وكان يعتقد انهُ قوة كبيرة يحسب حسابها في الحرب · وكنراد يرى ظلاماً قاتماً فيما هو واقع من الخلاف بين النمسا والمجر وفي اهمال رجال السياسة وعدم التفاتهم الى مقترحاتهِ المتعلقة بالجيش . وشجر الخلاف بينهُ وبين اهرنتل وزير الخارجية النمسوية فان اهرنتل كان يطلب السلم مهما كانت عاقبتهُ وكنراد يحسب الحرب انجع علاج للادواء الداخلية وكان من رأيهِ ان لا بدَّ من مناجزة ايطاليا والسرب قبلما تنشب الحرب التي لا بد منها مع روسيا . وقد لخص ما يراهُ في الحالة الحاضرة في اواخر سنة ١٩١١ بقولهِ

«ان ايطاليا مشتبكة بالحرب مع تركيا في طرابلس الغرب ولا يظهر ان الفوز حليفها واسطولها مشغول والسرب والبلغار واليونان مهتمة بتنظيم امورها الحربية وعليها ان تحسب

حساب تركيا ورومانيا ولاسيما لان رومانيا لا تزال على صداقة مع المحالفة الثلاثية . والجبل الاسود منفرد لاحساب لهُ وروسيا لا تميل الى اضرام حرب اوربية وهي تشكو من الاضطرابات الداخلية وليست مستعدة للحرب والخلاف قائم بينها وبين انكلترا في ايران . وفرنسا غير راغبة في الحرب في هذه الاحوال وتود ان تنهي مسألة المغرب الاقصى (مراكش) بطريقة حبية ولذلك فحكومة النمسا والمجر في مركز يخولها الاجهاز على احدى خصيمتيها ايطاليا او صربيا»

وزادت لجاجتهُ من هذا القبيل حتى اضطرَّ اهرنتل وزير الخارجية ان يرفع امرهُ الى الامبراطور فاعفي (كنراد) من منصبهِ في ٢ دسمبر سنة ١٩١١

وانحرفت صحة ملتكي في اواخر سنة ١٩١٠ واضطر ان يذهب الى كارلسباد للاستشفاء في اوائل سنة ١٩١١ وقلّت مراسلاتهُ مع كنراد لانشغالهِ بمسألة المغرب الاقصى وانشغال كنراد بالمسائل المذكورة آنفاً وقد لخص ملتكي الموقف الذي كان حينئذٍ بقولهِ

«ان مسألة المغرب الاقصى اللعينة طوقت عنقي كحجر الرحى. قد يجلس الانسان على الجمر ليقال انهُ صبور ولكن لا يغبطهُ احد على ذلك. اذا تملَّصنا خلسةً من هذه المشكلة وذنَبنا بين ساقينا واذا لم نتدرَّع بالحزم وندافع عن موقفنا بالسيف فنطتُ من مستقبل مجيد لالمانيا وتنحيت عن منصبي واشير قبلما اتنحى بان نلغي جيشنا ونحتمي باليابان وحينئذٍ نجمع المال على هينتنا ولكننا نحسب في زمرة الخاملين »

ولم يجد الاطباء علة في ملتكي فاطأن بالهُ وعرَض الجيش سنة ١٩١٢ فاطنبت الجرائد في مدحهِ وذهب للنزهة في نروج

واعيد كنراد الى رآسة اركان الحرب في ١٢ دسمبر سنة ١٩١٢ بسعي الارشدوق فرنز فرديننند وللحال عاد الى الاهتمام بمسألة ايطاليا فان حربها في طرابلس الغرب اراهُ عيوباً في نظام جيشها فكفَّ عن حسبانها عدوًّا يخشى شرهُ . ولكنهُ كان سيّ الظن فاعتقد ان العدو اللدود للنمسا هو السرب وانها لا تنفكُّ عن دس الدسائس لها وكان الواجب ان تؤدَّب سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩٠٩ فلم يبقَ الاَّ ان تؤدب سنة ١٩١٣ والاَّ فاتت الفرصة ولن تعود . وقد يمكن ضمها الى امبراطورية النمسا والمجر بطريقة سلمية . ولابد من هذا الضم سلماً او حرباً والاَّ صارت مثل روسيا وانشأت امبراطورية سلافية ثانية في الجنوب

ورسائل ملتكي لكنراد سنة ١٩١٣ تدل على انشغال بالهِ فقد قال انهُ اذا كانت النمسا تحتاج الى كل جيشها لصد روسيا فالمانيا تحتاج الى كل جيشها لصد فرنسا بل قد تضطر ان تسحب ما يكون لها من الجنود في الشرق وتأتي بهم الى الغرب لصد فرنسا . ولولا اشتغال بالهِ من جهة النمسا لفعل ذلك حالاً فان الحرب المقبلة حرب حياة او موت وانهُ يجب على كنراد ان يرسخ في اذهان الشعب ان هذه الحرب عادلة لا جور فيها على احد قبلما تخاطر المانيا بجيشها ويجب عليهِ ايضاً ان لا يضرم نار هذه الحرب لاجل كل سبب طفيف في البلقان وختم رسالتهُ بقولهِ

« قد تقرأُون سعادتكم نصيحتي هذه بالاستغراب حاسبين انهُ لا يحسن بجنديين ان يتراسلا على هذه الصورة . اما انا فلست من رجال السياسة ولكن الصداقة التي بين سعادتكم وبيني تخولني المجاهرة برأيي . فلقد كان رأيي دائماً انهُ لا بد من حرب اوربية عامة وانها تكون خاصة بين الالمان والسلاف فعلى كان الشعوب التي ترفع الراية الالمانية ان تستعد لها »

وسنة ١٩١٣ وفي النصف الاول من سنة ١٩١٤ ورد على كنراد تقارير مسهبة من كل الملحقين العسكريين في سفارات النمسا واكثرها سياسي ولا يظهر منها ان اولئك الملحقين كانوا يدركون حقيقة الاحوال لانهم قلما يعاشرون في العواصم التي هم فيها الأ الطبقة العليا من سكانها وهؤُلاء لا يعتدُّون بامور الحرب

ثم كتب ملتكي الى كنراد يدعوهُ لحضور عرض الجيش الالماني لان الجنرال پوليو الايطالي وعد بالحضور وهو راغب في الاجتماع بهِ. فسرَّ كنراد بهذه الدعوة ولكن واحداً من الملحقين العسكريين قال لهُ ان المانيا هي التي جعلت الجنرال پوليو يرغب في الاجتماع بك لانها كانت تتودد الى ايطاليا وتضعف من شأن النمسا في المحالفة الثلاثية . فكتب كنراد الى ملتكي يعتذر عن الحضور فاجابهُ ملتكي آسفاً وقال لهُ يظهر ان السياسة رمت حجراً في سبيل الجندي حسب العادة . ثم غيَّر كنراد رأيهُ وذهب فاخبرهُ الجنرال پوليو ان ايطاليا مستعدة لنجدتهِ بارسال اربع اورطٍ او خمس من جيشها الى الحدود الفرنسوية الايطالية وغيرها الى جنوب المانيا فسرَّ كنراد بذلك ورجع من زيارتهِ متهللاً. وسيأتي الكلام في الجزء التالي على تغيير الحال وكيفية نشوب الحرب ومنهُ يظهر مَن المسؤُول عنها بالاكثر

معالجة السل باملاح الذهب

مباحث علمية في الطب

نبأن مهمان قام لهما العالم الطبي وقعد وتلقاهما مستبشراً فرحاً ،الاول اكتشاف دواء ناجع للتدرّن الرئوي (السل) والثاني اكتشاف سبب السرطان . وكلا المرضين قتّال فتك بنفوس ليس لها حصر لحار الاطباء في كيفية اتقاء شرهما والقضاء عليهما. وقد تناولت المجلات والصحف على اختلاف نزعاتها نبأ هذين الاكتشافين فبالغت وحرّفت حتى خيل الى الناس ان معضلة السل والسرطان قد انحلّت و باتوا يرقبون فرجاً عاجلاً ونعمة غير منتظرة . ومن حسن الحظ ان المكتشفين من ائمة العلماء الذين ضالتهم الحقيقة وليسوا من الدجالين الذين يموهون على الناس حباً بالشهرة الفارغة وطمعاً بالكسب . وقد نشروا ما توصل اليه بحثهم العلمي فرأيت ان الخص فيما يلي اصح الانباء عن هذين الاكتشافين اخذاً عن المكتشفين انفسهم تنويراً للاذهان فابدأ بالسل :

﴿ معالجة السل بالسانكروسين ﴾

مكتشف هذا الدواء العالم الدنمركي الذائع الصيت الدكتور هكلر ملاغارد Hogler Mœllagard وساشرح اولاً الاسس التي ترتكز عليها هذه المعالجة وهي مما تعرف بالمعالجة الكيماوية : (Chemotherapy) [1]

---

(١) (جاء في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية ان افضل الاساليب في استعمال الادوية المميتة للمكروبات هو ادخالها الى الدم فتجري فيه الى جميع الاعضاء وتتصل بمراكز العدوى فتميت المكروبات التي تسببها . وقد حضر ارلخ سنة ١٩١٠ مركباً زرنيخياً حقن به جسم مصاب بالسفلس (الزهري) فقتل مكروباته وهذا المركب هو السلفرسان. ثم حضر مركب آخر افعل من السلفرسان في معالجة هذا الداء دعي نيوسلفرسان .وجاء مورغنروت Morgenroth بعد ارلخ فحضر مركباً كيماوياً ذا الفة شديدة للمكروبات التي تسبب النزلة الصدرية «النموموكك» فقتلها بيد انه استعمله مخففا ولم يستطع ان يقتل به غيرها من المكروبات .ثم وجد ان مركب مورغنروث هذا يفقد كثيراً من قوته في قتل مكروبات النمومونيا متى حقن في الجسم وانه يسم انسجة الجسم فأهمل . على ان النجاح في تحضير ادوية تفعل بنوع خاص من المكروبات يجعل لنا بعض الامل في تحضير مواد كيماوية مختلفة تميت المكروبات المرضية المعروفة من غير ان تلحق بانسجة الجسم اذى ما فنجد فيها علاجات بسيطة فعالة في مختلف الامراض المعدية. وعلى هذا المبدأ بنيت معالجة السل باملاح الذهب — المقتطف)

لا تنحصر المعالجة الكيماوية التي يعنيها ارلخ باستعمال المواد الكيماوية وتأثير هذه المواد في العضو الذي يحقن بها بل تقوم المعالجة على ادخال مادة الى جسم المصاب وتأثيرها مباشرة في الجرثومة المسببة للعدوى . وتأثير هذه المادة يتوقف على الالفة النوعية (Specific Affiniy) بينها و بين الجرثومة

ولا يمكن ان تؤَثر المادة بدون هذه الالفة التي يندر وجودها بين المادة والجسم المعدي ويتوقف تأثير المادة على ما بين الجرثومة والجسم من الالفة النوعية فالمادة التي تسمم الجرثومة تسمم الجسم المصاب ايضاً فعلى العلم ان يخفف تأثير هذه السموم كي ينحصر فعلها في الجرثومة التي تسبب العدوى . ان لقتل الجراثيم وتذويبها في الجسم بواسطة المواد المضادة لهُ نفس التأثير الذي يحصل من حقن جراثيم ميتة او مزدرع منها اذ تتولد في الحالتين مناعة ضد المرض وليس المقصود من المعالجة الكيماوية استعمال المواد المضادة للجراثيم فقط بل المقصود حصول المناعة بتوليد مضادات الجراثيم (Antigens) والتأثير لا يتوقف على مقدار الجرعة بل على عدد الجراثيم التي تتأثر بها في جسم الانسان . وظهر من التجارب ان الجرعات الصغيرة ليست عديمة الفائدة فقط بل تهيج المرض احياناً وتحدث ما يسميهِ ارلخ التأثير العكسي اي تحقن جراثيم التيفوئيد وقاية منها فيصاب المريض بها . فتقليل الجرعة لا يحل مشكلة التسمم

كثرت المواد المستعملة ضد مرض السل وقد وجد الباحثون أن لكثيرٍ من مركبات المعادن الثقيلة بعض التأثير في منع نمو جراثيم السل ومتى حُقن بعضها في وريد حيوان مصاب اعاق موتهُ وجعل محل الاصابة صباً .وسنة ١٩١٧ اتى فلدت (Feldt) براي خلاصتهُ ان المعادن المختلفة كالذهب والفضة والزئبق والنحاس والبزموت تؤَثر في السل ويعد فعلها بمثابة حامل او وسيط (Catalytic) يهيج القوى المدافعة في الدم لتحمل عملها ولو كان المقدار قليلاً . ومن الصعب تأثير اي مادة في جسم الانسان اذا أُعطيت بجرعات صغيرة خاصة في الامراض المزمنة كالسل

من الحقائق المعروفة ان تأثير سموم المعادن الثقيلة يتولد من الايونات الايجابية [١] (Positively charged ions) فيجب ان لا ندخل الى جسم المعالج كثيراً منها صرفاً بل نضيف اليها احدى المواد الكيماوية الثابتة التي تضعف قوتها. ويجب الاّ يكون المركب المحتوي على المعدن ساماً للجسم و يشترط ان يكون للمزيج الحاصل من المعادن الثقيلة والمادة

(١) الايونات هي الذرات الصغيرة التي تنحل من الاجسام بواسطة الكهربائية

الكيماوية خواص تجعلها لا يتحد منهُ بالجرثومة يُفرَز كما هو واذا انحل لا يولّد من انحلالهِ ما يسم الجسم وان يكون بين المركب الكيماوي والجرثومة الفة لنكون على يقين من حصول التأثير المطلوب ضد الجراثيم

وهنا امران يجب التبصر فيهما الاول مناعة باشلس كوخ التي تعزى الى وجود مواد دهنية تغشاهُ وهي سبب مناعتهِ ضد الحوامض (Acid fastness) فلا تأثير للمعادن الثقيلة فيهِ ما لم تستطع اختراق المواد الدهنية والوصول الى جسم المكروب . ثانياً من مميزات النسيج المتدرن انهُ قليل الاوعية الدموية ولهذه الميزة شأن كبير لان المركب الكيماوي يذهب من الدم الى انسجة الجسم ومنها الى حيث التدرن وكلما زاد التدرن حجماً وكثر تكلّسهُ طالت مدة انتشار المركب . وبلوغهُ جرثومة السل لا يتوقف على الالفة النوعية فقط بل على نسبة سرعة انتشارهِ ايضاً الى سرعة انحلالهِ وافرازهِ من الجسم. ويرجح ملاغارد ان الامل في نجاح المعالجة الكيماوية مرتبط بوجود مادة سريعة الانتشار في الاغشية الحيوانية طويلة البقاء نوعاً في الدم واللمفا . وبموجب هذه النظرية يجب ان تكون ايونات المادة المستعملة للتأثير في جرثومة السل سريعة الانتشار وثابتة لا تتغير . وظهر من مباحث كثيرين ان الايونات السلبية اسرع انتشاراً في الاغشية الحيوانية من الايونات الايجابية فنظرية المعالجة بالسانكروسين (Sanocrysin) تتوقف على ادخال معدن ثقيل في مركب كيماوي ايوناتهُ السلبية سريعة الانتشار في الجسم تبقى وقتاً طويلاً من غير ان يطرأ عليها تغير . والذهب هو المعدن الثقيل الذي يحتوي عليهِ السانكروسين اذ ظهر انهُ اشد تأثيراً من غيرهِ في جراثيم السل . وقد وجد ملاغارد ان مركب السانكروسين هو المادة التي تتوافر فيها الشروط اللازمة فهي سريعة الذوبان ثابتة في تركيبها الكيماوي سريعة الانتشار تبقى في الجسم من ٤ ايام الى ٦ عقيب حقنها بالدم ويتحول جانبٌ منها في الجسم الى ذهب وجانب يفرز بطريق الكليتين وهي لا ترسّب المواد النتروجينية حين تكون الحرارة على درجة ٣٨ — ٤٠ بميزان سنتغراد وتخترق باشلس السل في وقت قصير جداً وتضعف مقاومتهُ للحوامض وتوصل الذهب الى جسمهِ حتى يمكن كشفهُ باحد الكواشف الكيماوية

﴿ تأثير الجرعة في الجسم ﴾ ان حقن سنتغرام من السانكروسين الى ستة سانتغرامات بطريق الوريد لكل كيلو من وزن الجسم لا يؤثر في توالي ضربات القلب ولا عددها ولا في الضغط الدموي ولا في الكريات الحمراء او الهموغلوبين ولا في الكبد. واكثرهُ

يفرز بطريق الكليتين ويمكن ان يعقب اعطاء السانتغرامين الاولين للكيلو من وزن الجسم قليل من الزلال في اثناء يومين او ثلاثة واذا لم تجاوز الجرعة الاولى سنتغراماً واحداً لا يظهر زلال وتحمل الكليتان فيما بعد جرعة سنتغرامين دون حصول زلال ومن الممكن زيادة الجرعة تدريجياً الى ستة سنتغرامات دون ظهور زلال اذ تنشأ فيهما قوة احتمال السانكروسين . ثم ان السانكروسين لا يؤثر في الجهاز المعوي والعصبي وقد ظهر من التجارب ان جرعتهُ بمقدار ١ الى ٤ سانتغرامات للكيلو من وزن الجسم تؤثر تأثيراً يسيراً في الجسم الصحيح . وموضع الضعف فيهِ تأثيرهُ في الكليتين ويمكن اجتناب هذا التأثير بجعل الجرعة الاولى سنتغراماً واحداً واكثر الحيوانات تحمل جرعات اكثر من ذلك وقد ظهر من الاختبارات الطبية ان ذلك يصدق على اكثر الناس . وتأثر الكليتين سريع الزوال

النتيجة — انقذت معالجة السانكروسين المقرونة بالمصل حياةمعزى وعجول وقردة متأصل فيها التدرن وشفتها شفاء تامًّا. واتضح لملاغارد ان تطهير الحيوانات تطهيراً كاملاً من جراثيم السل صعب جدًّا ويرجح انهُ نادر في الحيوانات المتأصل فيها هذا المرض.وقد تمكن من معالجة اربع حوادث خفيفة وحادثة واحدة ثقيلة معالجة كاملة حتى صار الكاشف في الارنب سلبيًّا وكان في التجارب الاخرى ايجابيًّا مع ان التدرن خف وصار تدرنًا متكلساً في الرئتين ومادة صلبة في غدد شعاب الرئة وظهر من تجارب ملاغارد ان اكثر الشفاء كان في التدرن النزيزي [1] (Exudative pneumonic type)

هذه خلاصة مباحث العلامة ملاغارد في معالجة التدرن باملاح الذهب (السانكروسين) وهو الآن ينتقل في مختبرات اميركا واوربا العلمية للحكم لهُ او عليهِ ويظهر ان نصيبهُ من الصحة اكثر من نصيب جرثومة السرطان فعسى ان تحقق الآمال ويثبت نجاحهُ لينتفع بهِ البشر

الدكتور
شريف عسيران

(١) يقسم الدكتور ملاغارد السل الى نوعين النوع النزيزي المذكور اعلاه ويحصل فيه تجبن الرئتين ونزيز مركب من فبرين وكريات دم بيضاء وخلايا الرئتين . والنوع الثاني التدرني (Productive T. B. C.) وهو عبارة عن نسيج ليفي وتدرن في الرئتين

اسلوب المؤرخين العرب

في كتابة التاريخ

٢ — الكتابة حول الملوك

إن الباحث في كتاب الفخري لابن الطقطقي يراهُ يتكلم في الفصل الاول على خواص الملك والحقوق المتبادلة بينهُ وبين شعبهِ ثم تراهُ في الفصل الثاني وقد جعل الملوك والوزراء مركزاً لابحاثهِ فيذكر محاسنهم وأخبارهم واشعارهم ونوادرهم وما جرى في ايامهم من الوقائع كأنهم العامل الواحد والسبب الاكبر في كل ما حدث وهاك ما يقولهُ في مقدمتهِ مبيناً الخطة التي اختطها في تأليفهِ كتابه الفخري «... وهذا كتابٌ تكلمت فيهِ على احوال الدول وامور الملك وذكرت فيهِ ما استظرفتهُ من احوال الملوك الفضلاء واستقربتهُ من سير الخلفاء والوزراء وبنيتهُ على فصلين فالفصل الاول تكلمت فيهِ على الامور السلطانية والسياسات الملكية وخواص الملك التي يتميز بها عن السوقة والتي تجب ان تكون موجودة او معدومة فيهِ وما تجب لهُ على رعيتهِ وما يجب لهم عليهِ ورصعت الكلام فيهِ بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكايات المستظرفة والاشعار المستحسنة. والفصل الثاني تكلمت فيهِ على دولة دولة من مشاهير الدول التي كانت طاعتها عامة ومحاسنها تامة . ابتدأت فيهِ بدولة الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على الترتيب الذي وقع ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها وهي الدولة الاموية ثم بالدولة التي تسلمت الملك منها وهي الدولة العباسية ثم بالدول التي وقعت في اثناء الدول الكبار كدولة بني بويه وكدولة بني سلجوق وكدولة الفاطميين بمصر على وجه الايجاز فانها دول وقعت في اثناء دولة بني العباس ولكنها لم تكن طاعتها عامة فاتكلم على دولة دولة بمجموع ما حصل في ذهني من الهيئة الاجتماعية التي أفادتنيها مطالعة السير والتواريخ فاذكر كيف كان ابتداؤها وانتهاؤُها وطرفاً ممتعاً من محاسن ملوكها وأخبار سلاطينها فان شذّ شيء من احوالها عن ذهني واحتجت الى اثباتهِ من حكاية ظريفة أو بيت شعر نادر او آية أو حديث نبوي اخذتهُ من مظانّهِ ثم اذا ذكرت دولة فدولة تكلمت على كليات امورها ثم ذكرت واحداً واحداً من ملوكها وما جرى في ايامهِ من الوقائع المشهورة والحوادث

المأثورة فاذا انقضت ايام ذلك الملك ذكرت وزراءه واحداً واحداً وظرائف ما جرى لهم فاذا انقضت ايام الملك ووزرائه ابتدأت بالملك الذي بعده وبما جري في ايامه وبسير وزرائه كذلك الى آخر الدولة العباسية » [1]

كذلك فعل اليعقوبي في تاريخه فانهُ كتب سير الخلفاء وكل ما حدث في عهودهم من جلائل الاعمال فيروي لنا في مقدمة الجزء الثاني ما يأتي « انهُ لما انقضى كتابنا الاول الذي اختصرنا فيهِ ابتداء كون الدنيا واخبار الاوائل من الامم المتقدمة والممالك المفترقة والاسباب المتشعبة ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الاشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والاخبار والتاريخات . ولم نذهب الى التفرد بكتاب نصنفهُ ونتكلف منهُ ما قد سبقنا اليهِ غيرنا لكنا قد ذهبنا الى جمع المقالات والروايات لأنَّا قد وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم واخبارهم وفي السنين والاعمال وزاد بعضهم ونقص بعض فأردنا ان نجمع ما انتهى الينا مما جاء بهِ كل امريءٍ منهم لان الواحد لا يُحيط بكل العلم وقد قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب « العلم اكثر من ان يحفظ فخذوا من كل علم محاسنهُ » وابتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله وخبرهِ في حالٍ بعد حالٍ ووقت بعد وقت الى ان قبضهُ الله اليهِ واخبار الخلفاء بعده وسيرة خليفةٍ بعد خليفةٍ وفتوحهِ وما كان منهُ وَعُمل بهِ في ايامهِ وسني ولايتهِ

(ويذكر هنا من روى عنهُ) . . . « واثبتنا عن غير هؤلاء الذين سمينا جُمَلاً جاء بها غيرهم ورواها سواهم وعملناها من سير الخلفاء وأخبارهم وجعلناه كتاباً مختصراً حذفنا منهُ الاشعار وتطويل الاخبار » [2]

وقد نرى السيوطي صاحب تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين يقتفي اثر اليعقوبي وابن الطقطقي في ترتيب الكلام على الملوك فيقول في مقدمتهِ « فهذا تاريخ لطيف ترجمت فيهِ الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بامر الامة من عهد ابي بكر الصديق (رض) الى عهدنا هذا على ترتيب زمانهم الاول فالاول وذكرت في ترجمة كل منهم ما وقع في ايامهِ من الحوادث المستغربة ومن كان في ايامهِ من ائمة الدين واعلام الامة [3] »

ويصف هذا الكتاب حاجي خليفه فيقول « تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ وهو احسن ما صنف فيهِ . . . . ذكر فيهِ من

(١) مقدمة كتاب الفخري ص ١١—١٢ (٢) مقدمة اليعقوبي ج ٢ ص ٢ — ٣—٤
(٣) مقدمة تاريخ الخلفاء امراء المومنين ص ١ وحاجي خليفه ج ١ ص ١٨٣

عهد ابي بكر رضي الله عنهُ الى الاشرف قايتباي على السنوات مشتملاً على وقائعهم ومن كان في ايامهم من الائمة [١]»

وانشأ جمال الدين ابو المحاسن يوسف تغري بردي الاتابكي كتابهُ « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » على طراز من سبقهُ من المؤرخين الذين جعلوا مدار كلامهم على الرجال خصوصاً الولاة والملوك حكام مصر فذكر في ترجمة كل من هؤلاء ما بُني في ايامهم من المباني الشاهقة كالمساجد والقصور وما تجدد من الشرائع والقوانين والوظائف ومَنْ توفي من رجال الدولة العظام . نستنتج هذا من مطالعتهِ وهو يؤكد ذلك في مقدمتهِ فيروي « أمَّا بعد فلما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين أحببت أنْ أجعل تاريخاً لملوكها مستوعباً من غير مين تحملني ذلك على تأليف هذا الكتاب وانشائهِ واستفتحتهُ بفتح مصر وما وقع لهم في المسالك ومن حضرها من الصحابة ومَنْ كان المتولي لذلك وعلى اي وجهٍ فتحت صلحاً أم عنوةً من اصحابها واجمع في ذلك اقوال من اختلف من المؤرخين واهل الاخبار وذلك بعد اتصال سندي الى من لي عنهُ منهم رواية ليجمع الواقف عليهِ بين صحة النقل والدراية . . . . وأذكر مَنْ وليها من يوم فتحت وما وقع في دولتهِ من العجب واحداً بعد واحد لا اقدم احداً منهم على احد باسم ولا كنية ولا لقب ثم اذكر ايضاً في كل ترجمة ما أحدث صاحبها في ايام ولايتهِ من الامور وما جددهُ من الوقائع والوظائف والولايات واستطرد الى ذكر ما بُني فيها من المباني الزاهرة كالميادين والجوامع ومقياس النيل وعمارة القاهرة اولاً باول اذكرهُ في يوم مبناه وفي زمان سلطانهِ على انني اذكر من توفي من الاعيان في دولة كل خليفة وسلطان باختصار بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض الحوادث في مدة ولاية المذكور في أيما قطر من الاقطار وابدأ فيهِ بعد التعريف بأحوال مصر بولاية عمرو بن العاص في الملة الاسلامية ثم ملك بعد ملك كل واحد على حدتهِ وما وقع في ايامهِ الى الدولة الاشرفية الاينالية وسميتهُ (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) » [٢]

ثم ألمع المقدسي صاحب كتاب « الروضتين في اخبار الدولتين » النورية والصلاحية الى الاسباب التي دفعتهُ الى الكلام على الملوك فادعى ان الملوك المتقدمين الصالحين هم حجة من الله على الملوك المتأخرين وذكرى منهُ . ذلك لاعتقادهم ان التاريخ وُضع ليقرأهُ اولو

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٢٨ — ١٢٩

(٢) مقدمة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة ليدن سنة ١٨٥١ ص ٢—٣—٤

الشأن وارباب الحكم واصحاب المناصب العالية والنبلاء ولم يوضع للغوغاء وعامة الناس .
وقد تبين لنا طريقة المقدسي من مقدمته فيقول « ... اما بعد فانهُ بعد ان صرفت جلَّ عمري ومعظم فكري في اقتباس الفوائد الشرعية واقتناص الفرائد الادبية عنَّ لي ان اصرف الى علم التاريخ بعضهُ فاحوذ بذلك سنة العلم وفرضهُ اقتداءً بسيرة من مضى من كل عالم مرتضى فكل امام من الائمة الاَّ ويحكى عنهُ من اخبار مَنْ سَلَفَ فوائد جمة ..... فاعتنيت بذلك وتصفحتهُ وبحثت عنهُ مدة وتطلبتهُ فوقفت على جملة كبيرة من احوال المتقدمين والمتأخرين من الانبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين ، والخلفاء والسلاطين والفقهاء والمحدثين والاولياء والصالحين ، والشعراء والنحويين واصناف الخلق الباقين .... ثم اردت ان اجمع هذا العلم كتاباً يكون حاوياً لما حصلتهُ واتقن فيهِ ما خبرتهُ فعمدت الى اكبر كتاب وُضع في هذا الفن على طريقة المحدثين وهو تاريخ مدينة دمشق الذي صنفهُ الحافظ الثقة .... العساكري وهو ثمانمائة جزء في ثمانين مجلداً فاختصرتهُ وهذبتهُ وزدتهُ فوائد من كتبٍ أُخر جليلة واتقنتهُ ووقف عليهِ العلماء وسمعهُ الشيوخ ، ومرَّ بي فيهِ من الملوك المتأخرين ترجمة الملك العادل نور الدين فاطربني ما رأيت من آثارهِ وسمعت من اخبارهِ مع تأخر زمانهِ ثم وقفت بعد ذلك في غير هذا الكتاب على سيرة سيد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين في المتقدمين فان كل ثانٍ من الفريقين حذا حذو من تقدمهُ في العدل والجهاد واجتهد في اعزاز دين الله ايَّ اجتهاد وهما ملكا بلدتنا وسلطانا خطتنا خصَّنا الله تعالى بهما فوجب علينا القيام بذكر فضلهما . فعزمت على افراد ذكر دولتيهما بتصنيف يتضمن التقريظ لهما والتعريف فلعلَّهُ يقف عليهِ من الملوك من يسلك في ولايتهِ ذلك السلوك فلا يبعد انهما حجة من الله على الملوك المتأخرين وذكرى منهُ » (١)

وكان المقري مولعاً بلسان الدين الخطيب الوزير الاندلسي المشهور معجباً ببدائع اشعارهِ ولطيف خصالهِ ذاكراً لانبائهِ وجميع المصنفات التي صنَّفها ووقائعهُ على ملوك عصرهِ وغيرهم من العلماء والادباء فاحبَّ انْ يجمع سيرتهُ في كتاب يكون كوثراً ينهل منهُ اهل الشام الذين الحوا عليهِ في انشائه فتصدَّى بعد ذلك الى التأليف في الاندلس عموماً فتجدهُ يروي سير الملوكِ والامراء ثم يتطرق منها الى جميع اللطائف والنوادر

(١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ص ١-٢-٣-٤

التي قد تطرأ على خاطرهِ ولطالما ربط الحادثات والحقائق التي رواها بقولهِ « والشيء بالشيء يذكر » والمهم ان المقري كان يأخذ الرجال والحادثات مركزاً لابحاثهِ وقد يروي خلال ذلك من ضروب الفكاهات وحلو النكات والاخبار ما قد ينسيك الموضوع الاساسي الذي طرقهُ في البدء . ولذا يمكننا ان نعتقد ان المقري لا يخل بأية حقيقة تأتي على بالهِ كان لها علاقة بالموضوع الذي يتكلم عنهُ أم لم يكن . و يفصل لنا كيفية كتابتهِ « لنفح الطيب » بصورة جذابة من صفحة ٩ الى صفحة ٧٣ من الجزء الاول فيقول «ثم حدث لي منتصف شعبان (سنة ١٠٣٧ للهجرة) عزم على الرحلة الى دمشق الشام ودخلتها اواخر شعبان المذكور . . . وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مولعاً بالوطن لا سواهُ فصار القلب بعد ذلك مقسماً بهواهُ . . . وكنا في خلال الاقامة بدمشق كثيراً ما ننتظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة مع الاعيان في مجالس نتجاذب فيها اهداب الآداب ونشرب من سلسال الاسترسال فيجري بنا الكلام الى ذكر البلاد الاندلسية فصرت أُورد من بدائع بلغائها ما يجري على لساني وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني ما تثيرهُ المناسبة وتقتضيهِ من النظم الجزل والانشاء . فلما تكرر ذلك غير مرة على اسماعهم لهجوا بهِ دون غيرهِ وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونهُ ويعترفون ببراعتهِ ويستحسنونهُ فطلب المولى احمد الشاهيني اذ ذاك ان أتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يُعربُ عن بعض احوالهِ وانبائهِ و بدائعهِ وصنائعهِ ووقائعهِ مع ملوك عصرهِ وعلمائهِ وادبائهِ ومفاخرهِ ومآثرهِ و بعض مالهُ من النثار والنظام والمؤلفات الكبار فأجبتهُ بأن هذا الغرض غير سهل لعدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لاني خلفتها بالمغرب ولشغل الخاطر بأشجان الغربة . . . فوعدتهُ بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة . . . . وإني شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب وكتبت منهُ نبذة وعوضت في سوقهِ كل نفيس غريب من الغرب الى الشرق مجلوب . . . ثم وقف بي موكب العزم عن التمام فأخرتهُ لاختلاف احوال الدهر . . . . وجمعت من مقيداتي حساناً وصحاحاً وكنت كتبت شطره وملأت بما تيسر هامشهُ وسطرهُ ورقمت . . . انباء لسان الدين ابن الخطيب فحصل لي بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعضد بها الاسلام و ينصر و بعض مفاخرها ومآثر اهلها وجئت من النظم والنثر بنبذة توضح للطالب سُبلهُ . . . وكنت في المغرب وظلال الشباب ضافية وسماء الافكار من قذع الاكدار صافية معتنياً بالفحص عن انباء الاندلس واخبار أهلها وما لهم من السبق

في ميدان العلوم والتقدم في جهاد العدو ومحاسن بلادهم ومواطن جوالهم وبلادهم . . . وتركت الجميع بالمغرب ولم استصحب معي منهُ ما يبين عن المقصود ويعرب الاَّ نذراً يسيراً علق بحفظي وبعض اوراق سَعدَ في جواب السؤَّال بها حظي ولو حضرني الآن ما خلفتهُ مما جمعت في ذلك الغرض وأَلفتهُ لكان والله الغاية في هذا الباب ولم يكن جمعي هذا التأليف لرفد استهديهِ أو غرض نائل استجديهِ بل لحق ودٍ أُوديهِ ودين وعد أُقدمهُ . . . . وقد كنت اولاً سميتهُ بعرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمتهُ حين أُلحقت اخبار الاندلس بهِ بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ولهُ بالشام تعلق من وجوه عديدة أُولها أَن الداعي لتأليفهِ اهل الشام والثاني ان الفاتحين للاندلس هم اهل الشام وثالثها ان غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطناً مستأنفاً ورابعها ان غرناطة نزل بها أَهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء »

وأَلف ابن العبري «مختصر الدول» فتكلم فيهِ عن الانبياء والقضاة من بني اسرائيل وملوكهم وغيرهم من اصحاب السطوة والسلطان وعدد لنا حاجي خليفة مواضيعهُ فاذا هي كما ترى تدور حول الملوك تماماً وقد رتبت على عشر دول (١) الانبياء (٢) قضاة بني اسرائيل (٣) ملوك بني اسرائيل (٤) ملوك كلدانيين[١] المجوس (٥) ملوك المجوس (٦) ملوك يونان (٧) ملوك الافرنج (٨) ملوك اليونان المستنصرين (٩) ملوك العرب المسلمين (١٠) ملوك المغول» [٢]

وقد وقف على طبع هذا الكتاب في المطبعة الكاثوليكية ببيروت الاب انطون صالحاني اليسوعي و يصرح لنا في مقدمتهِ انهُ « تقدم اليهِ (لابن العبري) بعض وجهاء العرب في ان ينقل الى اللغة العربية كتاب التاريخ (مختصر الدول) الذي أَلفهُ في السرياني فلبى طلبهم وأَقبل على العمل فأَتمهُ الاَّ بعض صفحات في نحو شهر بانشاء على جانبٍ من التهذيب والفصاحة وكان نقلهُ لهذا التاريخ في اواخر حياتهِ وقد ضمنهُ اموراً كثيرة لا توجد في المطول السرياني ولاسيما فيما يتعلق بدولتي الاسلام والمغول وتراجم العلماء والاطباء » [٣]

---

(١) حاجي خليفه ج ٥ ص ٤٤٣ (٢) هكذا وردت
(٣) مقدمة الاب انطون صالحاني اليسوعي في مختصر الدول ص « و »

ولو تأملنا في كتاب « اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول » لرأينا انهُ يقسم فصولهُ على ذكر النبي (ص) والخلفاء الراشدين والخلفاء الامويين وغيرهم مما يظهر لك واضحاً جلياً من مقدمتهِ « فعنَّ لي ان احبر ما يليق بالجمع واسطر ما يروق بالسمع من حكايات باهرة واذكر من وَلي مصر والقاهرة ذاهباً مذهب الايجاز والتهذيب آخذاً عن النقل المبرإ من التكذيب مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت مع ايراد ما شاهدتهُ في الزمن عياناً وحققت عن معني نوادرهِ البديعة بياناً فكان كتاباً انيساً تجل موآنستهُ تستروح اليهِ النفوس وتجد في مطالعته ما تجد في معاطاة الكؤس فجاء في مجدد نظام الدولة العثمانية المنيفة السلطان مصطفى . . وقد رأينا انْ نقسم هذا الكتاب الى مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة · المقدمة في فضائل مصر وذكرها في كتاب الله المبين وما ورد فيها من احاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين · الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة ومن وَلي بعدهم وهو الحسن بن علي بن ابي طالب · الباب الثاني في دولة بني امية . الباب الثالث في الدولة العباسية . الباب الرابع فيمن ولي مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبني امية والعباسية وما داخلها من تغلب بني طولون والاخشيدية . الباب الخامس في دولة الفواطم . الباب السادس في دولة الايوبية السنية . الباب السابع في دولة التركية المعروفين بالماليك البحرية · الباب الثامن في دولة الجراكسة . الباب التاسع في ظهور ملوك آل عثمان . الباب العاشر فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان واخصاء الوزراء وايراد اخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية واحكامهم · الخاتمة : في مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك[1] »

وما اشبه محتويات كتاب الشرقاوي الموسوم « بتحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين » بمحتويات كتاب الاسحاقي المتقدم ذكرهُ فانك تكاد ترى تبويب الفصول الذي اخترعهُ الاسحاقي وارداً عينا في كتاب الشرقاوي والمضحك انَّ الكلمات التي استعملها الاسحاقي هي نفس الكلمات التي نقلها عنهُ الشرقاوي في انشائهِ واكبر برهان نتسلح بهِ في هذا الشأن هو ان نقابل مقدمتيهما في كتابيهما المشار اليهما سابقاً فهاك مقدمة الشرقاوي بعد ما اوردنا مقدمة الاسحاقي « يقول عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي انهُ لمَّا حلَّ ركاب الصدر الاعظم الوزير يوسف باشا بمدينة بلبيس في شهر

(١) مقدمة الاسحاقي طبع مصر ص ٢—٣

رمضان المعظم سنة اربع وعشرة ومائتين بعدحصول الصلح بينهُ و بين طائفة الفرنساوية في قلعة العريش وذهبت مع بعض علماء مصر للاقاتهِ طلب مني بعض الاخوان من اتباع ذلك الصدر الاعظم انْ اجمع كتاباً متضمناً لواقعة الحال المذكورة فأجبتهُ الى ذلك . وذكرت فيهِ ما يتعلق بمصر وحكامها من اول الزمان الى وقتنا هذا وسميتهُ (تحفة الناظرين فيمن ولي مصرمن الولاة والسلاطين»ورتبتهُ على مقدمة وثلاثة ابواب : المقدمة: في فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والاخبار وما كان فيها من الانبياء والصديقين وغير ذلك . الباب الاول: في خلافة الخلفاء الاربعة ومَنْ ولي بعدهم وهو الحسن بن علي وفي دولة بني أُمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من نواب الخلفاء والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية . الباب الثاني : في دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالماليك البحرية والدولة الجركسية الباب الثالث : في دولة آل عثمان وفيمن تصرف في مصر من نوابهم وايراد اخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية واحكامهم [1] »

ولدى مراجعتنا كتاب « الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » وجدنا ان مصنفهُ الناصري السلاوي قد رتب مادتهُ وابحاثهُ في ذكر الدول الاسلامية وملوكها منذ الفتح العربي الى آخر القرن الثالث عشر للهجرة فاقتفى بذلك اثر المؤرخين العرب الذين جعلوا الرجال محور كلامهم وهاك ما يكتب في مقدمتهِ « يقول مؤلفهُ احمد بن خالد الناصري السلاوي هذا كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى كتاب جمعتهُ لنفسي ولمن شاء الله من ابناء جنسي ذكرت فيهِ دول هذا القطر المغربي من لون الفتح الاسلامي الى وقتنا هذا الذي هو آخر القرن الثالث عشر سالكاً فيما انقلهُ من ذلك سبيل الاختصار آتيا منهُ بما تسمو اليهِ النفوس من حوادث الاعصار ملماً بما لا بدّ منهُ من وفيات بعض الائمة المقتدى بهم في الدين متبركاً اولاً بذكر رسول الله وخلفائهِ الراشدين متحرياً من النقول أصحّها ومن العبارات افصحها »[2]

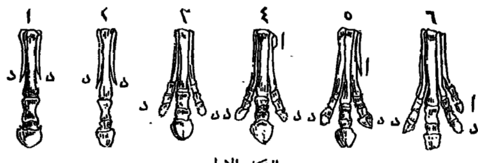
دار المعلمين — بغداد انيس زكريا النصولي

(١) مقدمة الشرقاوي طبع مصر المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ هـ . ص ٣—٤
(٢) مقدمة الناصري السلاوي ص ٢

الخيل المصرية والخيل العربية

اذكرنا ما شاهدناهُ في المعرض الزراعي المصري من الجياد بمقالة للمسيو بريس داڤان عن الخيول المصرية والعربية نشرت اولاً في مجلة الكسموس الباريسية ثم نقحها كاتبها وترجمت الى الانكليزية ونشرت في اعمال المعهد السمثسوني الاميركي فاعتمدنا عليها في بعض ممَّا يلي

لا يعلم اين نشأت الخيل اولاً ولا هل هي من اصل واحد او لها اصول مختلفة. واقدم ما وُجد من آثارها في طبقات الارض الجيولوجية وجد في اميركا فكان مبدأ ظهورها الذي امكن الوصول اليهِ هناك في بداءة العصر الثالث من العصور الجيولوجية الذي كان منذ عشرة ملايين سنة. وكان الفرس حينئذٍ صغيراً كالثعلب ولهُ في كل قائمة من قوائمهِ اربع اصابع واثر من اصبع خامسة. ثم تدرَّج جسمهُ في الكبر واصابع قوائمهِ في القلة



الشكل الاول

بمرور الزمن كما ثبت من وجودِ آثارهِ في طبقات الارض المتوالية حتى لم يبقَ من اصابعهِ الآن الاَّ الوسطى وهي التي فيها الحافر واثران على جانبيها من البنصر والسبابة كما ترى في الشكل الاول. ووجدت آثار الخيل في اوربا في كهوف من العصر الحجري الاقدم اي في بداءة عصر الانسان وعلى بعضها صورة الفرس منقوشة ويستدلُّ منها على انهُ كان كبير الرأس ضخم الجسم قصير القد. وهناك ادلة كثيرة على انهُ انما كان يُصاد ليؤْكل لحمهُ الا ليذلَّل ويركب

ولا يُعلَم متى ذُلّل الفرس اولاً واستعمل للركوب او لجرّ المركبات. وقد ذكرت الخيل في سفر التكوين من اسفار التوراة حينما اشتدت المجاعة في مصر فقد قيل هناك ان يوسف الصديق اعطى خبزاً للسكان «بالخيل وبمواشي الغنم والبقر». وكان ذلك على ما يقولهُ الباحثون في تاريخ الحوادث المذكورة في التوراة نحو سنة ١٧٠٠ قبل المسيح. ثم

ذُكرت الخيل للركوب في سفر الملوك الثاني اذ قال ربشاقى نائب ملك اشور لنائب حزقيا ملك يهوذا « راهن سيدي ملك اشور فاعطيك الفي فرس ان كنت تقدر ان تجعل عليها راكبين فكيف ترد وجه والٍ واحد من عبيد سيدي الصغار وتتكل على مصر لاجل مركبات وفرسان » وكان ذلك نحو سنة ٧٠٠ قبل المسيح

ويتضح من هذين الشاهدين ان الخيل كانت بين المقتنيات في مصر قبل المسيح بالف وسبعمائة سنة وانها كانت تستعمل لركوب الفرسان فيها وفي اشور قبل المسيح بسبعمائة سنة.ولا اشارة الى ركوب الخيل في اشعار هوميروس . وفي واقعة مراثون التي حدثت سنة ٤٩٠ قبل المسيح كان الفرسان في جنود الفرس ولم يكن في جنود اليونان فرسان.ويظهر من ادلة اخرى ان الخيل لم تستعمل للركوب في اوربا الا منذ سنة ٤٥٠ق.م

ولا يظهر من الآثار المصرية ان الخيل كانت معروفة في مصر قبل زمن ملوك الهكسوس (الرعاة) وليس في الآثار المنسوبة اليهم رسم لها ولكن المحققين مثل المسيو مسبرو يرجحون ان ملوك الرعاة ادخلوا الخيل الى مصر وانهم دخلوها راكبين مركبات تجرها الخيل وبذلك تمكنوا من فتحها . ولكن النقاشين المصريين لم يعنوا بنقش صورها لشدة كراهتهم للرعاة او لان ملوك الرعاة انفسهم لم يهتموا بنقش ما يتعلَّق بهم

وقد دخل ملوك الرعاة مصر سنة ٢٠٩٨ قبل المسيح وخرجوا منها سنة ١٥٨٧ قبل المسيح فيكون مجيء يوسف الصديق الى مصر في عهدهم وبذلك تفسَّر الاشارة الى الخيل في زمنهِ . اما بعد خروجهم من مصر فصارت صور الخيل تظهر في الآثار المصرية ولاسيما في حروب رعمسيس الثاني وكانت تستعمل لجرّ مركبات الحرب . وقد وجد كثير من هذه المركبات بين الآثار المصرية ونقل بعضها الى المتحف المصري والى متاحف اوربا وهي آية في الاتقان تجد عليها صوراً بارزة تمثل المعارك الحربية . وقد كثر استعمال هذه المركبات كما يظهر من الشكل الثاني وهو يمثل هجوم رعمسيس على مدينة قادش على نهر العاصي والثالث وهو يمثل معركة اخرى في محاربتهِ للحثيين في سورية . وأُلبست الخيل عدداً مزخرفة وتوجت رؤُوسها بريش النعام كما يظهر من الشكل الرابع وهو منقول عن رسم في هيكل الكرنك .وفي الرسم فرسان كما يستدل من قوائمهما وذنبيهما ولو ظهر ان لهما بدناً واحداً

ويظهر من هذه الرسوم ومن رسوم ملونة ايضاً ان تلك الخيل كانت طويلة البدن مستدقة العنق اي ان عنقها تبتدئُ غليظة ثم تستدق الى ان تبلغ مغرز الرأس. مستديرة

الصدر والكتفين عالية مغرز العنق قوائمها طويلة ليس فيها شعر طويل ذنبها طويل غزير الشعر . واكثر الالوان التي تصور بها الابيض والاشقر والاحمر والكميت والمدنَّر .

كذا كانت خيل الفراعنة ولا يزال هذا النوع من الخيل في مصر وهو المعروف بالدنقلاوي نسبة الى دنقلة . هذه الخيل التي يقال ان الاقليم البارد يضرُّ بها علوها خمس اقدام ونصف قدم الى ست اقدام واللون الغالب فيها الادهم والاحمر والمدنَّر وهي طويلة الراس تبدو على وجهها امارات الفهم . والكتفان مستديران ومغرز العنق عالٍ والصدر واسع والقوائم طويلة تميل الى الدقة في اثنتين منها او في الاربعة تحجيل

والفرس الدنقلاوي لا ينهض للجري سريعاً ولا بدَّ من تدريجهِ الى ذلك ومتى حمي دمهُ اسرع في عدوهِ واشتد عليهِ . وهو صبور جلود يتحمل مشقة السير الطويل سهل القياد يأنس بالانسان و ينقاد اليهِ . ولكنهُ يفقد ما فيهِ من الحماسة والنشاط اذا اقام في الوجه البحري من القطر المصري ولذلك ابطلت الحكومة المصرية استخدامهُ لركوب فرسانها

الشكل الثاني

ونتج من مزاوجة خيل دنقلة بالخيل العربية في موصَّل (Stud) شبرا نتاج جميل المنظر ولكنهُ قليل النفع والظاهر ان سبب ذلك عدم مراعاة شروط النظافة والتوليد

وعلى كل حال لا ينتظر ان يفي النتاج الاول بالمراد . والخيل الشائعة في مصر الآن ليست من جنس خاص ولكنها انسية سهلة القياد تنهض للعدو بهمة ولكن همتها لا تطول فيخور عزمها بعد مسافة غير طويلة. ولقد قصد محمد علي باشا ان يصلح نوع الخيل المصرية في موصل شبرا فاحضر ٤٥٠ من اجود خيول سورية ونجد واناط ادارة ذلك برجل من فرنسا وحالما بدأت نتيجة عملهِ في الظهور سلّم هذا العمل لمدير تركي ففسد

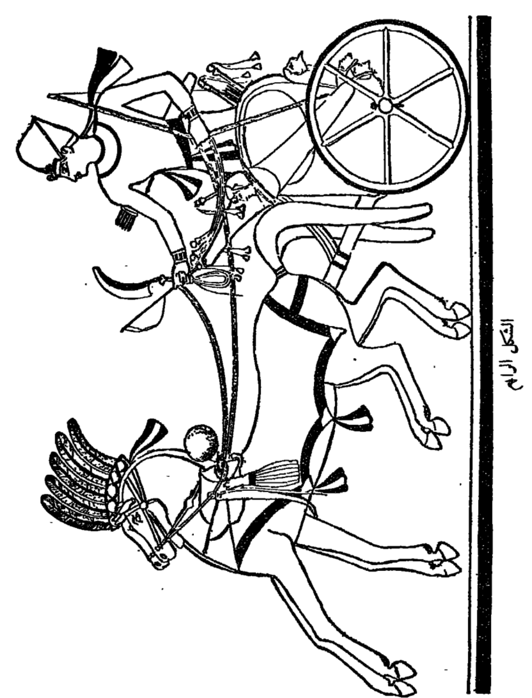


الشكل الثالث

وكان في موصل ابرهيم باشا ٤٠٠ من خيول نجد وغزة . وكان موصل عباس باشا ملوءًا من الخيول العربية والحورانية ذكوراً واناثاً . وكان الواجب ان تكون خيل مصر الآن من اجود الخيول وانقاها دماً ولا شبهة ان امتزاج دمها بدم الخيول العربية غيَّر شكلها وقوامها ولكنهُ لم يصل بها الى ما كان يجب ان نصل اليهِ ولا ابقى لها الامتياز الذي كان لخيول الفراعنة

❋ الخيل العربية ❋ لا شبهة في ان الخيل العربية (العراب) اجود خيول المسكونة فاذا كانت عربية صميمة خالصة الدم ظهرت فيها كل الاوصاف المميزة لجنسها خالية من كل شائبة واذا كان فيها دم اجنبي ظهر فيها كثير من الاوصاف المميزة للجنس العربي الاصيل لان الخيل العربية تمتاز بانها تصلح نسل ما تمتزج بهِ وتكسبهُ اكثر المزايا المقومة لها فتظهر هذهِ المزايا في نسلهِ . وهي مشهورة بقوة التمييز والتعلق

باصحابها وبصبرها على الجوع والعطش والتعب الشاق والحر والبرد ولذلك هي اصلح الخيول للحرب

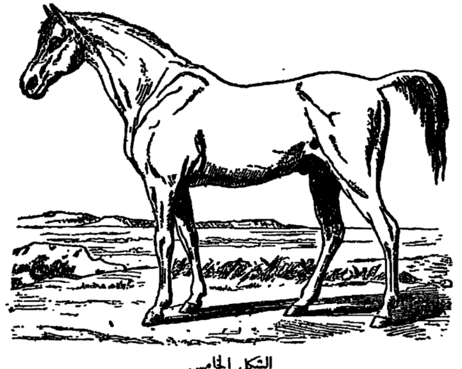


الشكل الرابع

وقد أُتي بالخيل العربية الى فرنسا من عهد الحملة الصليبية الاولى ومنها تأصلت خيول ليموزين وبوتني واردان واوفرنيه وغيرها من الخيول المشهورة في التاريخ مثل الفرس الذي ركبهُ الملك رتشرد قلب الاسد في مدينا وفرس الملك فيليب اوغسطس في بوفين

وفرس الملك وليم الظافر في هستنس وفرس الملك سان لويس في مسور وفرس الملك فرنسيس الاول في بافيا وفرس الملك هنري الثاني في النزال الذي قتل فيهِ وفرس الملك هنري الرابع في ارك ده اثري وفرس الملك لويس الرابع عشر في حروبهِ وفرس نبوليون في مرنجو واسترلتز فانها كلها من الخيول العربية

ويمتاز الفرس العربي عن غيره بملامح وجههِ التي هي اصيلة فيهِ فان رأسهُ مربع محدَّد وعينيهِ واسعتان بارزتان جميلتان جدًّا في الغالب واهدابهما سوداء واذنيهِ صغيرتان سريعتا الحركة وفكهُ الاسفل قويٌ قليلاً ووجههُ اميل الى التقعر منها الى التحدب(وفيما



الشكل الخامس

كتبهُ الامير مصطفى الشهابي في مقتطف ابريل الماضي ان جبهة الفرس العربي مستقيمة لا محدبة ولا مقعرة) والمنخرين كبيران ويتسعان كثيراً اذا هاج الفرس وفمهُ متوسط الحجم وشفتهُ السفلى صغيرة وعنقهُ طويلة بما يكفي تقويسها واتصال الرأس بها على غاية الجمال . واذا عدا الفرس التفت بعنقهِ كالظبي وقد قيل ان هذا عيب فيهِ ولكنهُ صفة لازمة لكل الحيوانات التي تعدو مسافات طويلة . ولا نطيل في ذكر بقية الاوصاف التي تتصف بها الخيول العربية وحسبنا ما ذكر في مقالة الامير مصطفى الشهابي المذكورة آنفاً وقد نشرنا في الشكل الخامس رسم فرس عربي بكل مميزاتهِ الظاهرة

الغرائز السيكولوجية الثلاث [1]

ايها السادة والسيدات ،

اقف لاوّل مرةٍ على هذا المنبر متسائلةً اين أنا ، فاذا بالاجوبة تتواردُ في خاطري . أنا في نادٍ شرقيٍّ سوريٍّ جمع نخبةً من أبناء قومي . أنا في نادٍ يحيي السهرات العائلية والاجتماعات المأنوسة ، و ينظم الرحلات التاريخية والزيارات المشوّقة والاسفار التي تروّض العقل والجسد جميعاً . أنا في نادٍ ان هو اهتمّ بحفلات السمر والطرب والانشراح لانها من خصائص الشباب ومن اسباب الهناء ، فهو كذلك لا يغفلُ أنبل وجوهِ الحياة فيعقدُ في قاعتهِ هذه الوقت بعد الوقت اجتماعات جليلة غرضها البحث والمذاكرة في سبيل النهوض الفكريّ والاجتماعيّ

أقف على هذا المنبر وانظر اليكم . فأرى في مقدّمتكم آباءنا الروحيين ، وحضورهم هنا دليل على ائتلاف الانس والفضل اللذين هما في اتمّ وجوههما حليفان لا ينفصلان . وارى بينكم وجوهاً تذكّرني باني منذ شهور قلائل سرتُ في قافلةٍ جمعت كثيرين من حضراتكم نساءً ورجالاً . فجلسنا معاً الى مائدةٍ واحدة ، وتقاسمنا بفعل اهتزاز الامواج الافراح والاتراح على ظهر الباخرة « جيانيكولو » التي كان الاب ابو حديد نقطة التشريفات المركزية فيها وكان مونسينور بيرو شاعرها الغرّيد و بلبلها الصدّاح . واشتركنا في غفرانات العام المقدّس ومشاهدة آثار روما وكاتدرائياتها ومتاحفها الخالدة . تذكارات هنيئة بريئة تزيد عذوبةً ونفاسة كلما طوى عليها الدهر يوماً من نسيج ردائهِ . فأنّي وجّهتُ نظري وفكري في موقفي هذا تلقّاني ما يقول لي بأني هنا لستُ بالغريبة . واذ أهمّ باسداء الشكر إلى رئيس هذا النادي وأعضائهِ الكرام على دعوتهم اجد كلمات الشكر وقد انقلبت بين شفتيّ تحيّةً حارّةً ممّن تلقى نفسها في دارٍ هي دارها ، و بين قوم هم اهلوها

يخيّل ، ايها السادة والسيدات ، ان اندية القاهرة أجمعت في هذه الآونة على وجوب تدشين منابرها من الجانب النسوي . كانما هذا الجيل المتيقظ أصبح ، في لهوهِ وقلقهِ ، معطاشاً إلى أحاديث غير هذه التي حيكت كالاسطوانات منذ أجيالٍ ودهورٍ . كأنما هو

(١) خطبة النابغة الآنسة مي زيادة القيت في النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية مساء الخميس ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦

أصبح توّاقاً إلى صوتٍ جديدٍ ينادي من على منابر الاندية ومنابر الطروس مشيراً الى نقطةٍ من الحياة منسيّة. فما وقفتُ على منبر في هذه الايام الاّ وشعرتُ بالتفاف ارواح الجمهور حول روحي تمدُّني بالقوّة والشجاعة، وتوحي اليّ الكلمة المجنَّحة المطلوبة. فترتفع نفسي بفعل هذا الوحي الى افقٍ عالٍ حيث تتعرَّف بذاتها قبل ان ترسل الوحي الفاظاً الى مسامع الحاضرين

ومع تقديري لهمتكم وعطفكم، ايها الرجال، فان اهتمامي بعطف النساء عظيم. أنتم اوقفتموني هنا. ولكن نظرةً الى النساء تروا ان كلاً منهنَّ ترقبني لترى هل أنا أُحسنُ القول كما كانت هي تحسنهُ مكاني؟ وهل أنا افوز في التعبير عن آرائهنَّ وافكارهنَّ خلال موضوعي ليجوز لي ان امثلهنَّ الليلة امامكم؟

فيامعكنَّ يا سيداتي اقف هنا مدشنةً هذا المنبر للآتي سيرقينهُ من بنات هذا الجيل وممهدةً السبيل لبنات الاجيال التالية ان صحَّ ان اوَّل خطوة هي اعسر خطوة. واعلن اني على اهبةٍ لكسر زجاجة الشمبانيا ليستكمل التدشين جميع شروطهِ — على طريقة سادتنا الرجال — فلا يقبل بعدئذٍ طعناً ولا نقضاً

امَّا زجاجة الشمبانيا فهي هنا رمزية. اي انها الخطاب الذي يظهر انهُ سيجمع بين ما فرَّقتهُ الطبيعة. فمن المعلوم ان الذي يكسر زجاجة الشمبانيا يتغافل عن فتحها، وان الذي يفتحها لا يفكرُ في كسرها. امَّا انا فسأفتحها اولاً وبعدئذٍ اكسرها، فاكون محققةً مبدأ التناقض والجمع بين الضدين الذي يحبُّ الرجال ان ينسبوهُ الى النساء

وفتح الزجاجة هو عبارة عن شرح عنوان الخطاب. لأنَّ حضرة السكرتير الهمام اتحفني بمناقشةٍ تليفونية ترمي الى تغيير العنوان. «فالغرائز» وصلت اليهِ الغرائب، والسيكولوجية اقترح ان تكون بسيكولوجية، أمَّا كلمة الثلاث فسكت عنها منةً وكرماً. فالغرائز جمع غريزة، يقابلها بالفرنسية كلمة "Instinct" من اللاتينية "Instinctus" سامحوني على هذه الكلمة الآتية رأساً من القاموس — ومعناها ما غرزت عليهِ طبيعة الانسان ممَّا قد تتكيَّف مظاهرهُ وتتنوَّع وتتطوَّر ولكنهُ في صميمهِ اصلٌ راسخ لا يتلاشى. اما الثلاث فجمع ١ و٢ و٣ من الغرائز الاساسية التي أُريد ان أُلمَّ اليها. اما السيكولوجية فهي طبعاً مشتقة من كلمة Psychologie بالعربية علم النفس وبالانجليزية Psychology فاستعملت لفظها في العربية على الطريقة الانجليزية لاني لو جعلتها «بسيكولوجية» لانبرى لي استاذنا زكي باشا بحقٍّ وألقى عليَّ درساً بأن السا كنين

بالعربية لا يتجاوران . وان لامني سعادتهُ ولمتموني حضراتكم لاستعمال السيكولوجية بدلاً من « النفسية » أجبتُ ان السيكولوجيا في اوربا ، بعد ان كانت فرعاً من الفلسفة النظرية وما وراء الطبيعة ، أصبحت منذ نصف قرنٍ تقريباً ، لاسيا في الاعوام الاخيرة، علماً مفصلاً منظّماً قائماً بذاتهِ ترجع اليهِ جميع العلوم الاجتماعية والجنائية والتاريخية والعمرانية . فدرّس جوستاف لوبون سيكولوجيات الشعوب والجماعات والمهن ، ودرس علماء الاجتماع من الفرنسيين والانجليز والالمان والنمسويين والروس والطليان سيكولوجيات الامم والمراتب ، ودرس الاطباء الحاذقون سيكولوجية المرضى والامراض ، ودرس رجال الشرع والقضاء سيكولوجيات الجرائم والمجرمين ، حتى التاجر عمد الى سيكولوجية زبائنهِ يعالجها بالاعلان والترغيب ويسيطر عليها من اقرب جهاتها منالاً . وما ذلك إلاَّ لادراك هؤُلاء ان العلاقة متينة بين الجسد وبين ما نسميهِ النفس ، ذلك الجوهر الغامض الكامن في الجسد والذي هو مصدر الاحساس فيهِ والحياة · كذلك لاحظ جميع هؤُلاء ان الجماعات الخاضعة لاحوالٍ واحدة ، المواجهة في الحياة تجاريب متماثلة ، تتكيف شيئاً فشيئاً في صورةٍ واحدة وتتربَّى فيها ملكات واحدة كوّنت مع الوقت « سيكولوجية » تلك الجماعة وأبرزت طابعها الخاص . ومن هنا عرفنا نفسية الجاني ، ونفسية العالم ، ونفسية الطبيب ، ونفسية المحامي ، إلى آخرهِ . ومن ثم اطلعنا على ما اكتشفهُ علماء الاجتماع ورسموهُ من سيكولوجيات الشعوب وما تشترك فيهِ فيما بينها او تتفرَّدُ بهِ من الغرائز . ومن الغرائز المشتركة بين الجميع ، هذه الغرائز الثلاث التي هي موضوعنا وقد وصلنا اليهِ اخيراً من اطول السبل بعد ان اديتُ شبه امتحانٍ أرجو ان اكون قد نجحتُ فيهِ ، وهو فتح زجاجة الشمبانيا التي جاء وقت كسرها

***

أيها السادة والسيدات

الغرائز الثلاث التي يشترك فيها الجميع مع بعض الاختلاف المحتوم بين الجماعة والافراد وَفقاً لمزاجِ كلٍّ منها ، هي اوَّلاً غريزة « الأنا » او الفردية ، والغريزة الوجدانية ، والغريزة الاجتماعية . وهذه الغرائز الثلاث هي محور الوجود البشري والاجتماعي وهي في تماسكها وتسلسها السبيل المنطقيّ الوحيد للنموّ والتطوُّر والحياة

عندما نقول « انا » ندركُ إجمالاً ما تعنيهِ هذه الكلمة من تعريف الشخصية الواحدة وتعيين حقوقها الشرعية على الوسائل الضمينة بالوجود والصحة والهناء والحرية .

وهذه الوسائل هي في بادىء الامر من نوع الحاجة ، اي انها عند الطفل ، وعند الجماعات غير المتحضرة ، وعند الافراد العاديين ، حسيّة كثيفة تكاد تقصر على مواد الغذاء والكساء والمسكن والوقاية والدفاع عن الروح وحب الانتقام والرغبة في السيطرة الفظّة الخشنة دون دقةٍ ولا تنوُّع ولا صقلٍ

ثم تتولد في الفرديّة صفات ونقائص وميول ورغبات وفروق بين المعاني والاشياء والاعمال والمدركات فيتوغّل الفرد في عالم الفهم والشعور ، ويرقى صعوداً الى حيث يجابهُ معاني الحريّة والعدل ، ويتمتع بالعبقرية فيخضع قُوى الطبيعة ويسيطر على العناصر ، وتتناوبهُ الانفعالات والمسرات والآلام والتجاريب فتميتُ كلَّ يوم منهُ قديماً وتخلق فيهِ جديداً . ولسنا محتاجين الى من يعلّمنا حب انفسنا فذلك اعرق شعورٍ فينا وهو شرعيٌّ عادل مقدَّس . اقول انهُ مقدَّس ولا استدرك ، اذ ايُّ شيء احقُّ بالاعزاز والتقديس من هذه الحياة التي تلقيناها من جود الباري ؟ وايُّ عدلٍ اعدل من الاحتفاظ بها وصيانتها وانمائها واحترامها وحبها وإسعادها ؟

وهذه الفرديّة الصحيحة الحرّة انما هي نسيج المجتمع ولا يكون المجتمع قوياً عظيماً الاَّ عندما تكون فرديَّاتهُ قوية عظيمة ، مالئةً كلٌّ مكانها الطبيعيّ . قلتُ كلٌّ مكانها ، لحسبُ ! وربما علّق كثيرون منكم على قولي بأن ما يشكو منهُ المجتمع الآن ليس تضاؤُل الشخصية وانكماش الفردية بل نقيض ذلك ، اذ كلُّ فردٍ لا يرضى ان يكون اقلّ من امة ، وكلّ امةٍ لا ترضى ان تكون اقلّ من الانسانية . وانا اجيب ان هذه هي الدمغة الدالة على ضعف الفردية . والآ فليجبني السادة الاطباء : عندما يتضخّم القلب — او ايُّ عضوٍ من الاعضاء الاخرى — ويطغي على الاعضاء المجاورة فيحتلُّ مكانها ، اهذا من الصحة ام من المرض ؟ ان معارفي الطبية قليلة ولكني اعلم ان التورُّم علامة المرض وتضاؤُل الحيوية . وتضخم الفرديَّات هو هذا ما نمقتهُ ونسميه غروراً وحمقاً وطغياناً وافتئاتاً . هي وضع النفس في مكان ليس لها ، وانتحال المرء ما ليس فيهِ ، وادعاء ما لم يخلق لاجلهِ . هي تجاوز حدود الفردية واغتصاب حقوق الآخرين التي يجب ان تكون حدوداً لحقوقنا والقوة التي يجب ان نتهيّب حيالها قوّتنا . وعند ما نذكرُ التضحية والتفادي انما نعني في الغالب هذا الغرور ، هذا التضخُّم الذي لا بدَّ من بعضهِ عند كلّ منّا . اما التنازل عن الحق الطبيعيّ الصميم فلا يكون الاَّ طارئاً استثنائيًّا . اما التنازل عنهُ بتتابع واطّراد فذلك مستحيل لان الفرد انما بذلك يجحدُ عطايا الباري فينكر نفسهُ ،

و ينكر علّة وجوده ، و يسرف في تبذير قوته الحيوية فما هو الاّ المنتحر . ولو انكر كلٌّ نفسهُ في سبيل الآخرين لكان شأن الجماعات شأن من يبني البيت ابتداء من السقف و يجعل العرض يقتل الجوهر . التطوُّر في الطبيعة يبدأ من ادنى الكائنات الى اعلاها . والتطوُّر في الانسانية يبدأ بالفرد ، فالاسرة ، فالجماعة ، فالمهنة ، فالامة ، فالجنس ، واخيراً الانسانية . وارقى ما ترمي اليهِ دساتير الامم وقوانينها هو الحرص على راحة الافراد واستقلالهم لانهُ السبيل الوحيد لسلامة المجتمع وتقدُّمهِ وهنائهِ

وحسبنا لاعلاء شأن الفردية ان نذكر تلك الشخصيات العظيمة التي ساقت العمران دهراً بعد دهر الى رقيهِ العلمي والاجتماعي والفكريّ والروحي . الغريزة الفردية اوجدت المكتشف والمخترع والمصلح والعبقريّ والقديس والرسول ، وكلاً من هؤُلاء الذين ينيلوننا اجنحة ننهض بها من خمول الحياة المألوفة والعادة اليومية، فنمضي نحو غايات المستقبل ورحبات الرجاء . بل حسبنا ان نذكر السيد المسيح الذي تجرَّد من كلّ رابطةٍ بشرية ليظلّ فردية نورانية تسير في طريقها الى المجد ، الى الصليب ، الى الموت . وليس من ظرفٍ تثبتُ فيهِ اهمية الفردية المطلقة كالموت . ففي الموت يترك الفرد الجميع والجميع يتركونهُ . وكما يموت المرء وحدهُ فكذلك يحيا وحدهُ صميم حياتهِ في الآلام والمسرات في النعمة كما في النقمة !

ومع نموّ الغريزة الفردية تنمو غريزة اخرى تلازمها ، هي الغريزة الوجدانية العجيبة التي ترجع اليها — خصوصاً — اسباب الشقاء والهناء . الغريزة التي تكيف الطبائع وتعجن الشخصيات حتى انك لا تستطيع ان تتصوَّر المجد والجمال والعظمة والسعادة الأَّ بها ومعها . بل لا تستطيع ان تفرّق بينها و بين النبوغ واعظم مواهب الانسان . فما تخيَّلت التفوّق في امرىءٍ الا وتوسمت لهُ شعوراً اقوى منهُ عند الآخرين ومن نسيج اثمن وانفس من نسيج عواطفهم . « الا المس قلبك في صدرك » ، يقول الفرد ده موسه في قصيدةٍ من اجمل قصائدهِ — « فهناك محراب العبقرية ! »

ما هو سرُّ العواطف يا ترى وما هي غايتها ؟ مثلاً لماذا يتعلَّق الفرد بأُمهِ فيراها فريدةً بين الناس اجمعين ؟ لماذا تظلُّ شخصيتها مقدَّسةً في نظرهِ ، ايًّا كانت منها الشوائب والعيوب ، ويظلّ ذكرها ، حتى بعد مماتها ، يشجّعهُ و يعزّيهُ ويحبب اليهِ الحياة ويعلّمهُ الرأفة بالناس والاغضاء عن مساوئهم ؟

أَلأَنها حملتهُ في جسدها كما يقولون وغذَّتهُ بدمها قبل ان تغذيهُ من لبنها ؟ كلاَّ !

ليس للمرأة من فضل في ذلك ولا هي فيهِ مخيَّرة او متفرّدة . بل تشاركها في ذلك حشرات الارض ، ومنها من تضحي بحياتها في سبيل ذريتها وليس من يشكرها على ما تفعل

ألأنها أرضعتهُ وسهرت على راحتهِ ومرَّضتهُ وهو ضعيف قاصر ؟ إن من المراضع والمربيات من يقمن بهذا مأجورات وهنَّ أتقن لعملهنَّ من كثير من الامهات

ألأنها تهيءُ لهُ وسائل العيشة وأسباب الراحة ؟ إنَّ صاحب أيّ فندق يقوم بذلك نحو أيّ غريب مقابل دريهمات معدودة متفق عليها

إذن تحبُّ الامَّ لأنها والوالد تعمل وتقتصد وتجاهد وتدّخر لتنيل ولدها هذا المال الذي يزيل من سبيلهِ جميع الصعاب ويفتح امامهُ جميع الابواب ؟ ولكن قد ينالُ المرء احياناً ألوفاً من الجنيهات عن طريق أوراق اليانصيب فلا يتعلق بمدير المصرف وموظفيهِ ، وقد يظفر بالمال وراثةً من قريب مجهول ممقوت فيزيد مقتهُ لهُ بالاستيلاء على ثروتهِ . فضلاً عن ان الابوين غير مخيَّرين في تنشئة ذريتهما ، بل هما مرغمان على القيام بنفقتها على قدر طاقتهما بحكم الحياة وحكم الاحوال وحكم القانون

والابن البار يحبُّ امهُ الصالحة وهي عاجزة مريضة فقيرة منبوذة من المجتمع فيسعى جهدهُ ليقدّم لها ثمرة عملهِ وينير حياتها بابتسامة التعلّل والرجاء

إذن ما هو سبب التعلّق الذي يدهشنا ؟ سببهُ أيها السادة والسيدات ، ان الأمَّ الصالحة هي الرمز الأعلى والاصدق والابقى للحبّ ، وما قيمة اعمالها ومساعيها الاَّ بما تفيضهُ عليها من تلك الروح المحبّة المحيية . ألا فلتزلزل الارض زلزالها ، ولتنفجر البراكين ، وليفتك الجوع والوباء ، ولتنقضَّ الصواعق ، وليكشّر المجتمع عن انيابهِ فيحكم على الجاني بميتة العار ! ان الولد ليعلم دواماً وسط النوائب واليأس ان هناك قلباً يحبهُ ويشعر معهُ ويلتمس لهُ الأعذار ، ويظلل عارهُ وألمهُ واندحارهُ بجناح العطف والمحبّة والغفران ، وذلك هو قلب امّهِ . من اجل ذلك فقط نحبُّ الأمَّ ونقدّسها ونجعلها مبدأ الحبّ على الارض وفي السماء !

ولذلك نشفق على اليتيم الذي ليس لهُ مثل هذا الكنز الذي لا يثمن . واوجع من اليتم عن طريق الموت اليتم الذي تحكم بهِ الحياة . أي عند ما تكون الأمُّ والدةً ليس الاَّ ، لا تشعر بعواطف الحنان ، ولا تدرك ما هو مجد الامومة ! يقولون « الدنيا امّ » وفي ذلك عين الصواب . فان الذي علَّمتهُ امهُ بعطفها وحصافتها الثقة يكون في الحياة عريقاً اصيلاً . وأمَّا اليتيم لنقص الامومة عند والدتهِ فيرى الدنيا حيةً رقطاء تتقلب حواليهِ لتغدرهُ وترديهُ !

ومن حبّ الامّ تتطوّر العواطف فتشمل الاب والاخوة والاخوات والاقارب

والمعارف ، حتى اذا شبَّ الفرد واتضحت ميولهُ لم يرضَ بالذين يسايرونهُ بحكم الرابطة الدموية والقرابة ، بل اختار اصدقاءهُ وعشراءهُ واحبابهُ من الذين يشاطرونهُ ذوقهُ وميولهُ وافكارهُ ، او من الذين يتوسَّم لديهم ما يرفعهُ و يصقلهُ ويجعل عندهُ للحياة قيمة غير قيمتها المألوفة . ومن ذا الذي يستطيع ان يعيش بلا حبٍ وحنان ؟ واي شخصية تعظم وتعلو ان لم يكن لها عين الحبّ ترقبها ،وبسمة الحبّ تغذيها ، وتلك العناية الرقيقة، وذلك الوحي الفيَّاض الذي لا يصدر الأ عن القلب الدافق بالحبّ والحنان ؟

ومن الغريب ان ما نسمّيهِ اخلاقاً طيبة وشيماً كريمة ، وحكمة واستقامةً وصدقاً ووفاءً وعزّةً وإباءً وذوقاً وفصاحة ، كلّ ذلك ليس بناتج عن العقل والذكاء ، بل كلّ اولئك اشعة شمس افقها القلب الكبير الحساس

وهنا كذلك الصحة يهدّدها المرض لان كلمة الحبّ في بعض دوائر المجتمع لا تعني في الغالب الأ العواطف الشاذّة المعربدة والفوضى في السلوك التي لا يعرف بعض الناس غيرها ولا يتصوَّرون ان النور غير الاوحال. فيكون اسم الحبّ والعاطفة في شرعهم مرادفاً لمعنى التقهقر الاخلاقي. ولكنّ اوّل شرطٍ عندي لتقدُّم الشخصية وارتفاع النفس هو سمُوّ معنى الحبّ في تلك النفس وتقديس جلال العاطفة !

وتتشعَّ القلوب بالحب وتنمو الشخصيات فتحتاج الى الخروج من ذواتها كالبذرة تشقّ نفسها وتشقّ الارض لتبرز حياة على العالمين . عندئذٍ تبدو الغريزة الثالثة ، الغريزة الاجتماعية التي تبتدئ بعد الغريزة الثانية قليلاً .وتظلُّ في نموٍ واتساع وانتظام طول الحياة ، باساليب تتوافق والمجتمع الذي نعيش فيهِ وتخضع لانظمتهِ

تذكرون تلك الكلمة القديمة التي قالها ارسطو ليعرّف ابناء عصرهِ ووطنهِ ، قال — الانسان حيوان سياسي . ومرّت القرون فاذا بفنلون يُعرّف اهل فرنسا في عصر لويس الرابع عشر فقال : الانسان حيوان اجتماعي . وكلاهما صادق في تعريفهِ لانّ الانسان حيوانٌ سياسيٌّ واجتماعيٌّ في آنٍ واحد

من ذا يستطيع ان يعيش بلا اصدقاء ومعارف واي الاعمال يمكن ان تقوم وتنجح بدون اشتراك في المصالح وتبادل في الاخذ والعطاء ؟ ان كلّ يأس السجين في وحدتهِ، والسجن الانفراديّ الذي استبدلت بهِ ايطاليا الحكم بالاعدام على كبار المجرمين وسفاكي الدماء ، يفوق جميع صنوف الموت قساوةً وعذاباً. ايها الغرباء ! كم من مرةٍ انالتني اصواتكم التعزية ، و كم من مرة استقيت الشجاعة وحبّ الحياة من ابتساماتكم ونبرات اصواتكم !

وكم من موَّقٍ باركتكم لذلك وانتم لا تعلمون !

ان اول دوائر المجتمع للطفل هي عائلتهُ وعائلة امهِ وابيهِ ، فالمدرسة ، فاهل مهنتهِ ، فأهل مرتبتهِ وذوي العلاقات بمصالحهِ الاجتماعية ، والمالية والوطنية والقومية ، الى آخر ما هنالك . فهذا المجتمع الذي ينشر لنا منذ نعومة اظفارنا جمالهُ ودمامتهُ ، و يقيم في سبيلنا العراقيل كما يمهد لنا السبيل ، و يقسرنا على المثابرة والعمل والجهاد وحفظ النظام، و ينيلنا وسائل التعزية واللهو والسمر والانشراح ، هذا المجتمع هو كالمادة ، كالهيولي ، في الظاهر اصل كل شيء واليهِ مرجع كل شيء . لا تعزية ولا حياة لمن يعيش وحدهُ . ان الغريزة الفردية تقوّي المرء وتسلحهُ ولكن الغريزة الاجتماعية تصقلهُ وتنعّم زواياهُ الحادّة . والذي يستطيع ان يرضي و يجذب الناس اليهِ، فذاك بلا ريب سعيد وموهوب. بين هؤلاء الغرباء لكلّ منَّا اخ خير من كل اخ ، وصديق وحبيب يبادل وسائل الحياة ومنافع الوجود. ولكن لا تنسيَنَّ ان المرتبة الاجتماعية لا تكفي لتبرير المخالطة وتوليد المحبَّة والميل، و كلما ارتقى المرء بأفكارهِ وعواطفهِ زاد تصعباً في اختيار اصدقائهِ وخلصائهِ. لذلك قالوا ان اصدقاء المرء أدلُّ الدلائل على اخلاقهِ وميولهِ ، حتى اننا نجد في كلّ لغةٍ من لغات العالم مثلاً يقابل هذا المثل العربيّ الجميل : « إنّ الطيور على اشكالها تقع »

وناديكم هذا ، يا اهل النادي ، من تلك الدوائر الاجتماعية الصالحة المفيدة التي هي كالحياة نفسها جامعةٌ بين الفضل واللطف ، بينَ الجد والسمر . واسمحوا لي في الختام ان أتمنى ان ارى على مقربةٍ منهُ نادياً آخر مثلهُ للسيدات ، فتتمّ من حيث الاندية المساواة للرجال والنساء

***

أيها السادة والسيدات

ترون ان الموضوع كاد ينتهي ، وانهُ كانَ عليّ ان اغادر هذا المنبر شاكرةً لكم دلائل عطفكم وانتباهكم وحسن إصغائكم . ولكن حضرة مرشد هذا النادي الاب الجليل ثيوفانوس شارّ ، قال لي عند ما شرفنا بزيارتهِ لنتذاكر في شأن هذه المحاضرة والموضوع الذي يحبّ حضرتهُ ان اكلمكم فيهِ ، وبعد الثناء عليكم جميعاً والشهادة بأنكم راقون ناهضون ، قال لي : أيَّا كان الموضوع الذي تتخذينهُ ارجو ان تفتحي منهُ ساقيةً صغيرةً فتقولي . . . فتقولي كذا وكذا ! وأنا أريد ان أعرب عن احترامي وطاعتي للاب الجليل ،ولكني لا أريد ان اغضبكم . فهل توافقون حضراتكم على ساقية أينا ؟ أخطر كم

بأن الموضوع موضوع انتقاد ، فهل نقبلونهُ سلفاً ؟ وهكذا بعد ان فتحنا زجاجة الشمبانيا في العنوان ،وكسرنا الزجاجة في المحاضرة عن الغرائز الثلاث ، ها نحن نفتح ساقية أبينا شار

لقد شاءت الطبيعة ان يكون لكل فصيلة من الكائنات ، وكل جماعة من الناس طابع خاص لا يقيد حريتها بل بالعكس يوسعها و يطلقها في أرحب حدودها الممكنة على ان تستبقي لها شبه وجهٍ وشبه هيئة . ففي الولايات المتحدة مثلاً ، عشرة ملايين من الاصل الالماني اعتنقوا نهائياً الجنسية الامريكيّة واندمجوا الى الابد في الامة الامريكية بحكم ظروفهم ومصالحهم ، وهم رغماً عن ذلك ما زالوا يتعلّمون اللغة الالمانية مع لغة البلاد الامريكيّة وهم الذين بنفوذهم اخّروا الحكومة الاميركية مدّة ثلاثة اعوام عن خوض الحرب إلى جانب الحلفاء . كذلك اذكروا الالزاس — لورين فان الوحدة الفرنسية عند اهلها ظلّت عنيدةً متعصّبةً لأصلها ولغتها الفرنسية مدة نصف قرن ، رغم السيطرة الالمانية ورغم ما كانت عليهِ من رخاء ماليّ . بل اذكروا ما تراشق بهِ في الاسبوع الماضي من الخطب السنيور موسوليني الطلياني والهر اشترسمان الالماني بشأن الاقليات ذات الاصل الالماني التي سلختها ايطاليا من النمسا . ايطاليا — ككل دولةٍ غالبةٍ — تريدُ ان تصبغ تلك الاقليات بصبغتها . وتلك الاقليات ، ككلّ جماعة قوية الحيوية — تريد ان تحتفظ بقوميتها الاصلية ولغتها ومشاربها وعاداتها

ان الجماعات الصغيرة التي يسميها القانون السياسي «اقليات» مهما خضعت للتطوُّر العام واقتبلت جميع وسائل الرقيّ العمرانيّ ، فانها تحتفظ بالحنين القديم الى لغتهاواصلها، تلتفت الوقت بعد الوقت الى ماضيها السحيق ، الى الارض التي احبَّها الآباء والجدود ، وجدود الجدود ، الى الازياء التي ارتداها السلف القديم ، الى الكلمات التي اعربوا بها جيلاً بعد جيل ، عن آلامهم وافراحهم وأملهم و يأسهم . وفي ذلك جوهر نسيجها الذي يزيد مع الوقت قوة وجمالاً بانضمام العناصر الجديدة المحبوبة اليهِ . وتعلمون يا سادتي ، اننا نحن ضعفاء جدًّا من هذا الجانب مع اننا نسكن مصراً حاضرة الشرق الادنى اليوم، وعاصمة النزعة الشرقية الصميمة ونعيش على مقربة من اخواننا المصريين المتمسكين بقوميتهم، الذين يعطوننا كل يوم من شرقيتهم العريقة مثالاً جميلاً

نحن في ذكائنا ، من اسرع الشعوب اقتباساً ومن اكثرهم إتقاناً للتقليد . ولكننا مع الاسف من أقلهم حرصاً على ذخيرة الماضي وعلى ما يجب ان نحتفظ بهِ لتكوين شخصيتنا الجديدة . نحن من أقلّ الشعوب غيرةً على ثروتنا النبيلة ومن أقلهم اهتماماً

بلغتنا العربية الجميلة . لنا على ذلك أعذار اعرفها وافهمها ، ولكنني أجاهر بأنها لا تكفي

نصغي إلى احاديث جماعاتنا رجالاً ونساء فاذا بهم يتكلمون لغات الاجانب كأبنائها ، ولكنهم يسيئون لفظ العربية و يفاخرون بأنهم يجهلونها . نذكر رجالنا فاذا بهم يدعون ادمون وفرننند وهنري ويجب ان نفتش على نور المصباح لنجد من يدعى سليماً وحبيباً ونجيباً وخليلاً . والبنات اسمهن هورتانس وروز و بلانش ونونا ونينا الى آخره ، وليس من تدعي ليلى ونجلا وسلمى واسمى وميًّا وهنداً . بيننا المتفرنس والمتنكاز والمتطلين والمتأمرك والمتألمن ، الى غير ذلك ، وليس بيننا المتعرّب والمتشرّق

فهذا هو ما اريد ان أُلفتكم اليهِ لتكون ساقية ابينا ثيوفانس الدلتا التي يصبُّ فيها نهر الخطاب — ان جاز هذا التشبيه — في بحر الانسانية : كونوا شرقيين قبل كلّ شيء !

تعلّموا ما شئتم من اللغات ، ولكن عزّزوا لغتكم اولاً ! تعلموا فنون الشعوب وعلومهم وأطّلعوا على اكتشافاتهم ومعارفهم ولكن اذكروا ما سبق اليهِ قومكم من المعارف والفنون والعلوم ! انشدوا اناشيد الغرب وارسموا رسومهُ ، واعزفوا على آلاتهِ ولكن لا تنسوا الناي والعود وأبا الزلوف والعتابا والميجانا ! استشهدوا بمفكّري الغرب وبشعرائهِ وكتابهِ وحكمائهِ وترنموا بشعر هوغو وموسيه ولكن لا تتجاهلوا مثلاً ديوان خليل مطران

يوم يقول الغربي أنا ابن الغرب ، قولوا : وانا ابن الشمس ، لغتي اللغة العربية ، وقوميتي القومية الشرقية . وان كان في هذه القومية إبهام وتفكك واضطراب ، فاني افاخر بطرح صوتٍ واحدٍ في سبيل تعزيزها وتوطيدها ، افاخر بأن اكون حلقةً في سبيل حبكها ، افاخر بأن اكون لساناً يردّد الفاظاً من مفردات لغتي فيوسعها إنعاشاً وحياةً

قولوا : اني جيل جديد وأريد قوميةً جديدة حرّة نبيلة ، رغم الآلام والمعاكسات والمصاعب !

اقتبسوا ما شئتم من خيرات العمران ولكن اسبكوها جميعاً في قالب الشخصية الشرقية فتكونوا عاملين على إيجادها فتنتسبوا إليها في اقطار الشرق والغرب فتباهوا ولا تخجلوا

انمو غرائزكم الثلاث غرائز الفردية والوجدان والاجتماع ولكن على ان نتطوّر جميعاً في وحدةٍ شرقية مهذّبةٍ كريمةٍ لا تظلّ عالةً على الشعوب تعيش من فضلات ما تقتبسهُ عنها ، بل تجاهد لتقوم بذاتها وتقف على قدميها دون ان تجهل الآخرين ، بل تعطيهم كما تأخذ منهم وتتعاون وايّاهم على تكوين جوقةٍ انسانية بديعةٍ في مسرح العمران العظيم !

« مي »

كنوز البحار وغرائب انتشالها

٣

كانت السفينة لوتين « Lutine » وهي من سفن الاسطول الانكليزي التي غنمها الاميرال دنكان من الفرنسويين في القرن الثامن عشر راسية في ميناء يارموث ببلاد الانكليز في اوائل اكتوبر سنة ١٧٩٩ وكانت نيران الحرب مشتعلةً حينئذٍ بين انكلترا وهولندا والجنود الانكليزية المعسكرة على شواطئ هولندا تنتظر بفارغ صبر وصول المال لتوزّع عليها مرتباتها . فصدر الامر الى السفينة لوتين بان تنقل الى المعسكر الانكليزي ١٤٠ الف جنيه . ولما عرف بعض التجار الانكليز بقرب سفر اللوتين استأذنوا الحكومة في ارسال مقدار من الذهب والفضة الى تجار همبرج الذين شدّت عليهم الحرب خناقَ الضائقة المالية فاذنت الحكومة لهم في ان يرسلوا بها ١٠٠٠ سبيكة من الذهب و٥٠٠ سبيكة من الفضة وأمّن على كلّ هذه الاموال في شركة لويد البحرية بمبلغ ٩٠٠ الف جنيه

اقلعت السفينة من يارموث ولكنها لم تسر قليلاً في البحر الشمالي حتى هبّت عليها ريح لم تلبث ان تحولت الى عاصف شديد فثار البحر وتلاطمت الامواج فغرقت السفينة بمن فيها لم ينجُ من رجالها سوى رجل واحد لم يكد ينتهي من قصّ قصتها حتى سقط ميتاً من الاعياء

وكان غرقُ هذه السفينة ضربةً كبيرةً على شركة لويد . الاّ ان رؤساءها جمعوا المال اللازم وقاموا بايفاء ما عليهم للحكومة والتجار ونالوا لقاء ذلك الحق في ان ينتشلوا السفينة من قاع البحر ويستولوا على ما فيها من الاموال.على انهم لم يستطيعوا ان يباشروا العمل بعد هدوء العاصفة حين كان الوصول الى الباخرة سهلاً لان الحرب كانت ناشبة بين هولندا وانكلترا ومكان غرق السفينة في المياه الساحلية التابعة لحكومة هولندا . فلما وضعت الحرب اوزارها صرحت حكومة هولندا انها تحتفظ بحقها في نشل هذه السفينة واعلنت للسباكين بانها تمنحهم ثلث ما ينتشلونهُ من اموالها . ومع ان معظم المال في تلك السفينة كان عزيز المنال عليهم لصعوبة الوصول اليهِ بالوسائل العادية الاّ انهم نشلوا منها ما يساوي ٥٦ الف جنيه اصابهم منها ١٨ الفاً , واذا حسبنا ان هؤلاء الصيادين

لم يعطوا الحكومة كلَّ ما وصل اليهم من الذهب بل احتفظوا بمبلغ يساوي ما اعطوها اياهُ كان كلُّ ما انتشلوهُ قليلاً جداً اذا قيس بالقيمة الاصلية وهي تزيد على مليون جنيه

وجاءت العواصف متتالية فبعدت بالسفينة الى حيث تعذَّر على الصيادين الوصول اليها فامتنعوا عن البحث . و بقيت هناك هدفاً للعواصف والامواج تتقاذفها وتتلاعب بها في اثناء حروب نبوليون فلم يتفرغ احد للبحث عنها حينئذٍ . ولما أُسر نبوليون ونفي الى جزيرة القديسة هيلانة وخمدت نار الحروب النبوليونية استأذن هو لندي حكومتهُ في البحث عن الاموال التي غرقت في تلك السفينة على ان ينال هو نصف ما ينتشلهُ ويعطي النصف الباقي الى الحكومة . فاشتغل ثماني سنوات متتابعة غالب في اثنائها البحر والاحوال الجوية من غير ان تكتحل عيناهُ برأى الاصفر الرنان . ولما قنط من النجاح تنحى عن العمل

على ان اصحاب شركة لويد لم يقنعوا بذهاب السفينة منهم غنيمة باردة بعد ما دفعوا قيمة التأمين عليها فسعوا لدى حكومة انكلترا وحملوها على التفاوض مع الحكومة الهولندية لعلَّها تتخلى عن حقها في البحث عن السفينة الغارقة . فمضت السنون قبلما تمَّ الاتفاق بين الحكومتين على ذلك وكان قد مضى حينئذٍ نحو خمسين سنة منذ غرقت السفينة وصارت تحت كثبان من الرمال التي تتقاذفها الامواج في البحر كما تسفيها الرياح في الصحراء. وبعد ما قضى رجال شركة لويد نحو خمس سنين في البحث عنها من سنة ١٨٥٧ — ١٨٦١ لم يفوزوا باكثر من ٤٠ الف جنيه

على ان الغواصين تمكنوا في احد الايام من نشل جرس السفينة فنقل الى لندن وعُلّق في بورصتها في جناح شركة لويد وهو مستعمل الآن لاذاعة انباء السفن التي ينتظرها اصحابها بفارغ صبر فيُدق هذا الجرس معلناً غرق سفينة او وصول مركب تأخر عن ميعادهِ. ونشل الغواصون في وقت آخر دفة السفينة فصنع منها كرسي وضع في الغرفة التي تجتمع فيها لجنة شركة لويد الادارية

وتوالت البعثات التي حاولت نشل اموال هذه السفينة ففشلت كلها مع ان بعثتي سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١١ كانتا مجهزتين باحدث المستنبطات واقوى المضخات التي ترفع الرمل. ولما كانت البعثة الاخيرة على قاب قوسين او ادنى من الفوز هبت العواصف وهاج البحر وفعلت المجاري المائية فعلها في تغطية السفينة بطبقة من الرمل عمقها خمس اقدام فعادت

البعثة بخفي حنين · على ان شركة لويد لم تنسَ اللوتين وقد جاءها منذ سنة تقريباً طلب من رجل في ڤانكوڤر بكندا يقول فيهِ انهُ مستعدٌ لمباشرة البحث من جديد عن هذا الكنز الخلاَّب

***

هذا ما وقع للباحثين عن كنوز اللوتين · على ان الغواصين الذين تصدّوا لانتشال الاموال التي غرقت في سفينة اخرى اسمها سكيرو Skyro كانوا اكبر حظاً . ذلك ان هذه الباخرة اقلعت سنة ١٨٩١ من مرفإ قرطاجينة على شاطئ اسبانيا الشرقي ميممة لندن فدارت حول جبل طارق وخرجت الى الاوقيانوس الاتلنتيكي فسارت محاذية لشواطي البورتغال والبحر رهوٌ وكل شيء على ما يرام. الاَّ انها ما حاذت شواطي اسبانيا الغربية الى شمال البورتغال حتى اكتنفتها ضبابة كثيفة فجعلت تنفخ ابواقها تحذيراً للبواخر الاخرى من الاصطدام بها . وصار قبطانها كأنهُ يتلمس الطريق تلمساً في ذلك الرقيع الواسع

واذا السفينة تهتز هزة عنيفة على حين فجأة . ذلك انها كانت قد سارت فوق صخور نائتة فمزقتها تمزيقاً . ولم تمضِ عليها عشرون دقيقة حتى امتلأَت ماء وهوت بمن فيها الى الاعماق

ولما وصل النبأ الى لندن قرع جرس اللوتين في بورصتها واذيع النبأ فوقفت الاعمال دقيقة من الزمان ثم عادت الى ما كانت عليهِ . على ان جماعة من اصحاب الشركات البحرية بدأوا يتحدثون عن نشلها او نشل ما فيها من الاموال فقال احدهم ان الوصول اليها متعذر لانها على ٢٥ قامة تحت سطح البحر فاجابهُ آخر قد يتمكن احد الغواصين من الوصول اليها · وقد كان في جوابهِ هذا على جانب الصواب . فكم من مرة يفلح بعض الناس في تحقيق ما يُحسَب متعذراً او مستحيلاً

و بعد التحري وُجد ان السفينة كانت على نحو ثلاثين قامة تحت سطح البحر ولم يكن احد من الغواصين قد تمكن من الغوص الى ذلك العمق قبلاً فذهبت بعثة الى مكان الحادثة ولم تلبث ان عادت ادراجها لان العمق كان فوق طاقة الغواصين

ومضت اربع سنوات من غير ان يحاول احد انتشال الاموال التي في هذه الباخرة وفي اول السنة الخامسة لما هدأَت عواصف الشتاء وقرّت اللجج تأهبت بعثة جديدة لذلك الغرض ومن افرادها غواص لا يهاب الموت لبس ثوب الغوص وغاص الى عمق ١٧١ قدماً فوصل الى دكة الباخرة وحاول الدخول الى الغرفة التي خزنت فيها الاموال لكنهُ

وجد ان دكة الباخرة قد هبطت عليها فلم يجد اليها منفذاً الا بخرق الدكة. فعاد الى سطح البحر واخبر رفاقهُ بما رأى فقرروا وجوب نسفها . على انهُ لم يتراجع عن اتمام العمل على ما فيهِ من المشقة والخطر بل غاص ثانية وجعل ينسف الدكة قطعة قطعة بمركب كيماوي خاص . وكان كلما وضع قليلاً منهُ يبتعدعن السفينة حتى لا يصاب باذى . ولما تم نسف الدكة تمكن من الوصول الى الكنز وهو ٥٩ سبيكة من الفضة ثمنها عشرة آلاف جنيه اصابهُ منها ٥٠٠جنيه فقط . وكان لاشتغالهِ على عمق ١٨٠ قدماً تحت ضغط كبير اثر ضار في صحتهِ فلم يتمكن بعد انجاز عملهِ هذا من القيام باعمال تحتاج الى قوة وصبر وثبات

وغرقت الباخرة اوشانا Oceana في بحر المانش سنة ١٩١٢ واستقرت على عمق ٩٠ قدماً بعد اصطدامها بباخرة أخرى . ولما وصل الغواصون الى مكان الحادثة لم يروا من الباخرة سوى رؤُوس سواريها . فارسلوا الى اصحابها يطلبون منهم رسومها لكي يتمكنوا من التجول فيها متى غاصوا اليها . ولا يخفى ان ركاب السفن يرون بعض الصعوبة في التجول في باخرة جديدة لم يسافروا فيها قبلاً فكيف بالصعوبة التي يلقاها الغوّاص حين يتجول في باخرة تملأ المياه جميع غرفها . وغنيٌّ عن البيان ان المخاطر التي يتعرّض لها حينئذٍ عظيمة جدًّا فقد يضلُّ طريقهُ او ينقطع حبل النجاة او انبوبة الهواء او قد يدخل غرفة فيقفل الباب وراءهُ بقوة ضغط الماء فيسجن فيها ولا سبيل لاصحابهِ اليهِ

هذه المصاعب التي يلقاها الغوّاصون عامة في كل السفن تضاعفت في الباخرة اوشانا لكثرة المجاري المائية القوية المتعارضة في بحر المانش التي تمنع الغواصين من العمل اكثر من ساعة واحدة في وقت واحد . وكان الماء عكراً لكثرة الرمل المعلق فيهِ يمنع الغواصين من رؤْية الاجسام في السفينة رغم المصابيح الكهربائية التي استعملوها فكانوا كالعميان يتلمسون طريقهم تلمساً

على انهم نسفوا دكتين من دكات السفينة فعثروا اتفاقاً على ممرٍ ساروا فيهِ فوصلوا الى الغرفة التي تحتوي جانباً من المال . فجعلوا يخرجونهُ سبيكة سبيكة . ولو ان المال كلهُ كان مخزوناً في هذه الغرفة لكان سهل عليهم انتشالهُ . الا انهم عرفوا بعد ما نشلوا محتويات هذه الغرفة ان مقداراً كبيراً من الفضة مخزون في قعر السفينة فاضطروا ان ينسفوا ثلاث دكات اخرى للوصول اليهِ . وجملة ما اخرجوهُ من هذه الباخرة يساوي ٧٠٠ الف جنيه

البقر الحلوب

ان من اجمل ما في المعرض الزراعي المصري الخيل والبقر . اما البقر فيشارك جمالها ما فيها من النفع ثيراناً كانت او بقراً حلوبة فان الثيران المعروضة فيهِ من اكبر ما شاهدنا في مصر وفي غير مصر فالثيران المحفوظة للتوليد لا بأس بها ولكن سائر الثيران الكبيرة لعلّها صارت اكبر اجساماً مما يلزم للحرث اذا راعينا بطء سيرها .والمحفوظة للذبح كُبر سنها عمَّا يفضلهُ الذين يأكلون لحم البقر . اما الثيران المحفوظة للنتاج فهل هي مما يولّد بقراً غزيرة اللبن . بحثنا عن اكثر ما تحلبهُ البقرة من بقر الجمعية الزراعية ومن بقر مدرسة الزراعة فاذا هو ثلاثون رطلاً في اليوم. وهذا غير قليل اذا قوبل بما كانت تحلبهُ البقرة في مصر والشام على الاكثر وهو خمسة عشر رطلاً ولكنهُ لا يزال قليلاً جداً في جنب ما تحلبهُ البقرة الحلوب من بقر اوربا واميركا . فقد اخبرنا المشرف على البقرات الهولندية المعروضة في المعرض المصري ان كل واحدة منهنَّ تحلب في اليوم ثلاثين كيلوغراماً اي اكثر من ٦٦ رطلاً مصريًّا او اكثر من مضاعف ما تحلبهُ البقرة المصرية الحلوب. ثم ان البقرة المصرية تحلب ٧ اشهر واما البقرة الاوربية فتحلب ١٠ اشهر او اكثر

والى القارئ مقابلة طفيفة بين اغزر البقر المصري لبناً و بين اغزر البقر الاوربي والاميركي. فقد جاء في المجلة الجغرافية الاميركية لشهر دسمبر الماضي ان في اميركا بقرة من النوع المسمَّى قصير القرون اصلها من بريطانيا حلبت في سنة واحدة ١٩٦٦٦ رطلاً استخرج منها ٩٦٦ رطلاً من الزبدة . وان الحكومة الاميركية راقبت ٢٥٨٩ بقرة من هذا النوع مدة سنة فوجدت أن مجموع لبنها تلك السنة لو قسم على عدد البقرات لخص كلَّ واحدةٍ منهن ٨٤٤٥ رطلاً ومجموع زبدتهِ لو قسم على عددهنَّ لخص كل واحدة ٣٣٣ رطلاً . و بلغ لبن بقرة من هذا النوع من نيوسوث ولس باستراليا في سنةٍ ٣٢٥٢٢ رطلاً و بلغ ما استخرج منها من الزبدة ١٦١٤ رطلاً. وقد نشرنا صورة هذه البقرة في الصفحة المقابلة ولعناية الاميركيين بهذا النوع من البقر اي القصيرة القرون أُحصي عدد الخالص النسب منها في اميركا سنة ١٩٢٠ فبلغ ٤٧٨٧٦٠ ثم احصي في اكتوبر سنة ١٩٢٥ فبلغ ٢٩٢٥٩٠٠ . ومن المحقق انهُ بيع في نيويورك سنة ١٨٧٣ بقرة من هذا النوع فبلغ ثمنها ٤٠٦٠٠ ريال اي ٨١٢٠ جنيهاً

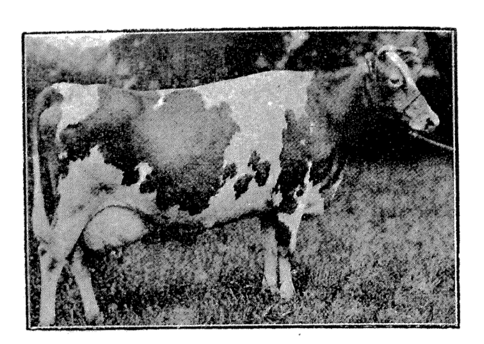
ومن البقر التي جلبها الاميركيون من اوربا صنف غزير اللبن اخذوهُ من سويسرا اسمهُ السويس الاسمر حلبت بقرة منهُ ٢٣٦٢٣ رطلاً في سنة واحدة خرج منها ٩٢٧ رطلاً من الزبدة وبلغ ما حلب من ٤٠٠ بقرة من هذا الصنف في سنة واحدة ٤٧٠٩٢٠٠ رطلاً فالمتوسط ١١٧٧٣ رطلاً ومتوسط زبدتها ٤٧٢ رطلاً واغزرها لبناً بقرة عمرها خمس سنوات بلغ ماحلبتهُ في السنة ١٨٠٤٢ رطلاً استخرج منها ٨٠١ رطل من الزبدة

وبقر هولندا المعروضة في المعرض المصري تعدُّ من الدرجة العليا في غزارة لبنها فاهتمَّ الاميركيون بتوليدها في اميركا وانشأوا شركات لذلك فبلغ ماحلبتهُ بقرة من هذا النوع اكثر من ٢٥٠٠٠ رطل وكان عند احدى الشركات ١٩٠١٠ بقرة و٤٢٧٠٠٣ ثيران ومن ذلك بقرة حلبت في السنة الاولى من سني حلبها ١٦٠٠٠ رطل ثم غزر لبنها سنة بعد سنة حتى زاد على ٣٠٠٠٠رطل في السنة . واخرى بلغ ماحلبتهُ في سنة ٣٣٤٦٥ رطلاً خرج منها ١٣٤٩ رطلاً من الزبدة. وثالثة بلغ ما حلبتهُ في سنة ٣٧٣٨١ رطلاً وهو اكثر مقدار من اللبن حلبتهُ بقرة في سنة واحدة على ما نعلم

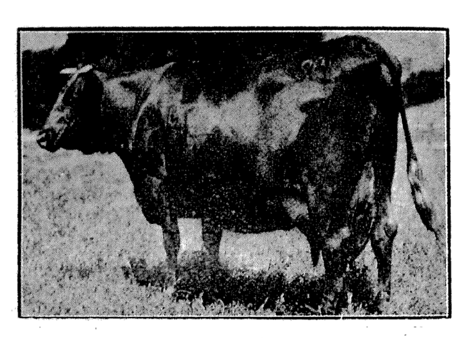
ومن البقر المشهورة بغزارة لبنها النوع المسمَّى جرزي نسبة الى جزيرة جرزي الانكليزية وهي جزيرة صغيرة بين انكلترا وفرنسا مساحتها نحو ٤٠٠٠٠ فدان يزرع منها نحو ٢٥٠٠٠ فدان . وبقرها من اشهر انواع البقر الانكليزية واغزرها لبناً وزبدة ولاسيما ما نُقل منها الى غيرها واعتني بتأصيلهِ فان الزبدة تبلغ فيهِ ٥ في المائة . من ذلك ثلاث بقرات في اميركا بلغ ما استخرج من لبنهنَّ من الزبدة في سنة واحدة ٣٣٨١ رطلاً

ومنها البقر المسماة غرنسي نسبة الى جزيرة غرنسي الانكليزية وهي اصغر من جزيرة جرزي فان مساحتها ١٠٠٠٠ فدان فقط . وقد بلغ ما حلبتهُ بقرة منها في سنة ٢٤٠٠٨ ارطال خرج منها من الزبدة ١٠٩٨ رطلاً . واخرى واسمها ملكة الغرنسي حلبت في سنة ١٩٧٤٢ رطلاً خرج منها ٢١١٢ رطلاً من الزبدة وهي المرسومة في الشكل الثاني

اما الثيران فالغرض منها اللحم او التوليد فاذا كانت للحم فالغالب ان تذبح صغيرة قبلما تبلغ اشدها اي حينما يكون لحمها لا يزال رخصاً غير مكتنز. واذا كان للتوليد اختيرت من عجول البقرات الغزيرة اللبن والزبدة التي ثبتت في اسلافها هذه الصفة . ولا يندر ان يباع الثور منها حينئذٍ بالوف من الجنيهات فقد بيع ثور عمرهُ سنتان من انواع القصير القرون بستين الف ريال اي ١٢ الف جنيه بعد ان نال الجائزة الاولى في معرض الارجنتين في السنة الماضية وقد كان في ذلك المعرض اكثر من الف رأس من قصيرة القرون



بقرة جرنسي التي حلبت ١٩٧٤٣ رطلاً في سنة



البقرة قصيرة القرون التي حلبت ٣٢٥٢٢ رطلاً في سنة

مقتطف ابريل ١٩٢٦
امام الصفحة ٤٠٠

الادب المصري في القرن التاسع عشر

نعني بالادب المصري الكتابة البليغة والشعر البليغ اللذين ظهرت فيهما نفوس الكتاب بصفتهم مصريين او اثر الحياة المصرية وروح المجتمع المصري . ونبدأ فنقول :

تختلف آداب الامم باختلاف امزجتها وعاداتها واخلاقها وحياتها الاجتماعية . اذ ليست الآداب او الكتابة الفنية من شعر ونثر بليغ الاّ صورة النفوس والاجتماع او اثر اخيلة الكتاب والشعراء . وليست نفوس الامم متشابهة ولا كل الاجتماعات متماثلة ، وعلى هذا اختلفت ادراكات الكتاب واخيلتهم ، ومن اجل هذا ايضاً اختلفت قرائح نتاجهم في فنون الكتابة وموضوعاتها ، وطرق التفكير وما ينشأ عنها من الاختلاف في الصناعة الادبية ، وتأليف الكلام وما ينشأ عنهُ من المذاهب الكتابية في تاريخ الآداب

ولقد ظهر شيء من هذا في الادب العربي حيث تختلف البيئات والمجتمعات. ولكن ادباء العرب ولاسيما المتأخرون منهم انما ذكروا احوالاً خاصة ومسائل في شعرهم ونثرهم تتعلق ببعض الافراد واخيلة الشعراء انفسهم كالمدح والذم والوصف وصور ما يجول ببعض النفوس من حكم وعشق وغير ذلك . وان جاء شيء يتصل بالاجتماع او بالحياة العامة الانسانية فانما يتسرب في المسائل الخاصة تسرباً . وسبب ذلك ان المتأخرين من الادباء — وهم ليسوا من العرب الخلص —ظنوا ان من الواجب محاكاة الآداب العربية في كل شيء جاء عن العرب : في الموضوعات والاخبار والاسلوب ، وان الخروج عن ذلك خروج على الادب العربي ، وعابوا على من سلك غير هذا الطريق حتى قالوا ان اسلوب المتنبي وابي العلاء ليس من اساليب الشعر العربي لانهم نظموا الحكم والفلسفة في شعرهم . فكان الكتاب والشعراء في كل عصر من عصور اللغة يرجعون الى الاساليب القديمة و يقلد بعضهم بعضاً في ذلك . فلم يكن لاحدهم مذهب خاص او طريقة معروفة غير ما اشتهر عن بعض كبار الشعراء في نسج الشعر وصناعتهِ كالبحتري وابي تمام وغيرهما. وقد قصر الادباء والنقاد كلامهم على شرح هذه الطرق التي بينوها في الشعر واقسامهِ . وحصروا الاختلاف بين الادباء ومذاهبهم في تلك الصناعة اللفظية . وغاب عنهم ان يبحثوا او يدونوا الموضوعات الادبية الاجتماعية الذائعة بين عامة الناس ، سواء اكانت تلك في احاديثهم اليومية ، مما يمثل بعض احوالهم وطباعهم ، ام في اغانيهم العامية

الشائعة مما يمثل عواطفهم واحساساتهم وافكارهم . ولعلهم رأوا ان هذا ادب عامي ملحون فلم يعنوا بجمعهِ ، على ان ابن خلدون ذكر شيئاً من هـذا في مقدمتهِ . ولا بد ان تكون هذه الآداب العامية نالت من نفوس الشعوب العربية وأثرت تأثيراً عظيماً في الآداب العربية بل ربما ظهرت في الآداب العامية صور صحيحة للامم اكثر مما يظهر في تلك الآداب المتكلفة

ولقد حدث في مصر مثل ما حدث في غيرها من البلدان التي يتكلم اهلها بالعربية فكان فيها ادبان . ادب عربي صحيح وادب مصري اكثرهُ ملحون . ولقد قيض الله لهذا البلد بعض الادباء الذين ساعدوا على نشر هذا الادب المصري بالتعبير عن آراء العامة وتصوير الاجتماع المصري في ازجال شعرية او احاديث نثرية ، فنقلوا لنا تلك النفوس وما كانت عليهِ في هذا الكلام الذي صنعوهُ ووضعوهُ في قالب فني لا يقلُّ بهجة ولا جمالاً عن ذلك الشعر العربي البليغ . هذه الازجال العامية وهذه الاحاديث التي تمثل لهجة السواد الاعظم من المصريين ونوع آخر من الشعر الفصيح لكبار الشعراء العصريين هو ما نسميهِ (بالادب المصري) وهو الذي سنتكلم عليهِ الآن وننشر نماذج منهُ . ولكن قبل ان نصف ذلك الادب المصري يلزمنا ان نقول كلمة عن العصر الذي نشأ فيهِ وعن اخلاق المصريين في جملتها لانهُ مرآة لهذين العاملين . ونقتصر في هذا على القرن التاسع عشر

اما الحالة الاجتماعية منذ استولى المغفور لهُ (محمد علي) على مصر الى اواخر القرن التاسع عشر الميلادي فكانت متأثرة باحوال سياسية بعضها كان عالقاً بالنفوس من عصر المماليك ذلك العصر الاستبدادي الذي ولد في الشعب المصري الخضوع للحاكم خوفاً من بطشهِ ، والتهكم عليهِ وعلى اعوانهِ في السر لا في العلانية ، والاستسلام الى القضاء ، والاستهانة باهوال الحياة وتحمل الظلم على انهُ قضاء من الله ، والتسلي عن الآلام بالتهكم والسخرية من الحياة والناس واحوالهم ، والرضا بما ينالهُ الانسان في عيشهِ . حتى اصبحت هذه الصفات كانها عامة في المصريين وكانت اكثر ظهوراً في سكان القاهرة الذين كانوا متصلين بالحكام او على كثب من اعمالهم . وبعض احوال المصريين الاجتماعية نشأت من تبسط الحكام في الحياة والمساعدة على اباحة السرور للناس بالتمتع ونشر اعلام السرور والافاضة على العامة بالاموال من جراء ذلك ، باقامة الاحتفالات والافراح كما كانت الحال في عصر (الخديوي اسماعيل) فقد اختصَّ ببعض الادباء والشعراء والمغنين

كالشيخ علي الليثي وعبده الحمولي وغيرهما حتى سرى في البلد روح فني ادبي ، وعلى اثر ذلك السرور انتشر في النفوس الميل الى التهكم (والتنكيت) والنقد الحلو والفكاهة العذبة

فوافق ذلك اخلاق المصري في جملتها وهي كما قلنا الاستسلام الى القضاء وتحمل اعباء الحياة بكل خضوع وارتياح ، والنظر الى الدنيا نظر الفيلسوف او المتوكل على الله ومقابلة المصائب مقابلة الصبور المستهزئ بها . والمصري بطبعهِ صبور يكفيهِ في يومهِ مايسدُّ رمقهُ ويشتغل اشق الاعمال غير متألم ولا جزع . فاذا ناء بالاثقال قال « الحمد لله على الصحة والعافية » ومع ذلك فهو ممتلئ نشوةً ومسروراً خفيف الروح يميل الى (التنكيت والتبكيت) فكه المجلس يمزج الهزل بالجد في حديثهِ . حلو المعاشرة كثير الضحك بعيد احياناً عن النظر في المسائل الجدية كثير التسامح لين الجانب . حتى لقد يقابل كلمة السوء تصيبهُ من عدو يريد ان ينكل بهِ ، او صديق خبيث يريد ان يهزأ بهِ بقهقهة و(بنكتة بلدية) او بفكاهة ظريفة . ولقد يكتفي بالتهكم والسخرية لاظهار ألمهِ ، ويبتلع الكلمة المرة التي يغصُّ بها غيرهُ وتحدث في نفسهِ غثياناً . وربما حملهُ الحياء احياناً على ان يبقي على غيرهِ وان اساء ، لانهُ صفوح عن الأساءات

ليس من اصحاب الاثرة : بهِ كثير من السذاجة الفطرية التي قد تتغلب على قوة عقلهِ وحضور ذهنه ولباقة لسانهِ ، طيب القلب ، كريم النفس ، ضعيف الارادة ، ومن هنا تجدهُ كثير التسامح . وجملة القول ان اعظم ما يوصف بهِ عقل المصري هي ملكة النقد والتهكم ، وخفة الروح ، وحسن الفكاهة ، وحدة الذكاء ، وحضور الذهن

كل هذا وغيره كثير ظهر في الادب المصري الحديث . فان الحوادث السياسية والاجتماعية في تلك الايام حركت نفوس الادباء من كتاب وشعراء الى نقد الاجتماع والنظر في الحياة المصرية ووصفها . فنشأ عن ذلك الادب المصري الحديث الذي ظهرت فيهِ هذه الاخلاق التي رسمناها امام القارئ . وكانت هذه الآداب بلهجة قريبة من لهجة العامة لتمثيل عقولهم وافكارهم وما كان يجري بينهم من الاحاديث والآراء

واكثر ذلك نسج في نوع من الشعر المعروف بالزجل وانتشر هذا منذ منتصف القرن التاسع عشر الى آخرهِ على لسان الشيخ حسن الآلاتي وعبد الله نديم والشيخ محمد النجار وغيرهم

بل ظهر نوع من الادب الحديث الذي لم يكن معروفاً في الآداب العربية قبل هذا العصر على انهُ اقرب شيء الى تصوير الحياة الاجتماعية تصويراً صحيحاً وهو تلك القصص

التمثيلية المصرية بلهجة قريبة جدًّا من لهجة العامة واول من ابتكر هذا النوع عبد الله نديم بروايتيهِ (الوطن والعرب) وغيرهُ ممن سنتكلم عنهم . وظهرت اناشيد مصرية وطنية كما في قصائد المرحوم الشيخ رفاعه الطهطاوي وقصص اخرى منظومة او منثورة للمرحوم محمد عثمان جلال وغيرهم

وعلى الجملة لادباء القرن التاسع عشر في مصر الفخر في ان يرسموا الاخلاق المصرية في آدابهم وان يزيدوا في الآداب العربية آدابًا مصرية حديثة

وليس الادب المصري كلهُ من الشعر او النثر العامي بل تأثر الشعر الفصيح والنثر البليغ ايضًا بالاجتماع المصري والحياة المصرية . فكان من اصدق صور الاجتماع واحوال الناس في بلادنا كما في مقطوعات للبارودي ، ولاسماعيل باشا صبري في اغانيهِ التي وضعها شيءٌ من ذلك . وكان للحوادث الاخيرة التي حدثت في مصر منذ اوائل القرن الرابع عشر الهجري اي سنة ١٨٩٠ ميلادية اثر عظيم في نفوس شعرائنا المعاصرين لنا ، حتى ظهر كثير من هذه الحوادث او التلميح اليها في شعرهم . واظهرهم في هذا الشاعران الشهيران احمد بك شوقي حامل لواء شعرائنا الآن ، ومحمد حافظ ابراهيم بك صاحب القصائد المعروفة في احوال مصر الاخيرة وسياسة البلاد والحوادث الوطنية . على انهُ قد سبقهما بشيء من هذا النوع المرحوم رفاعه بك الطهطاوي في اناشيده كما اشرنا الى ذلك . فشعر هؤلاء حادث من الحوادث ذات الاثر الشهير في الادب العربي ، ولاسيما في الشعر العربي ، لان هذا ما يسمى بحق (تطوراً) وانتقالاً من نظام القصائد المعروف الذي كان متبعًا في الشعر العربي وفي جميع البلاد التي يتكلم اهلها بلغة العرب. ولا شك في ان منشأ هذا الانتقال انتشار ما يسمونهُ بالروح الوطنية ومحاكاة الامم الاوربية في ذلك بالاطلاع على ما كتبوا ونشروا من شعرهم وآدابهم . ولا يسعنا المقام الآن لتفصيل هذا الكلام ولكننا نقول مجملين القول اجمالاً ان هذه الروح التي انتشرت في مصر اخيراً عند شعرائنا روح جديدة في الشعر العربي لابد ان تسير بالادب الى نوع مصري يمثل الروح المصرية والحياة المصرية

وحدث في النثر مثل ذلك او اكثر بما ينشر من الروايات والقصص الاجتماعية والتمثيلية ولكن من اسف لم نعن بجمعها وتدوينها والاطلاع عليها مثل ما عنينا بالشعر وذلك لعدم شهرة كتابها ولان كثيراً منها مكتوب بصيغة لا يعتمد عليها قراء العربية الصحيحة . غير ان شيئًا من ذلك لا يدعونا الآن الى الحط من قدرها وعدم العناية بها .

على انها في رأينا من اصدق صور حياتنا المصرية . نضرب لذلك مثلاً بما يمثل الآن من القصص الهزلية في تلك المسارح المعروفة وان كانت محتوية على كثير من نقص في الاخلاق واهمال للحياء !!

ولا يفوتنا ان نذكر في مقدمة هذا الاسلوب القصصي الحديث الذي يمثل حياتنا المصرية في بعض العصور أثر الكاتبين الكبيرين (ابرهيم بك المويلحي وولده محمد بك المويلحي) فيما نشراهُ اولاً في المقطم بعنوان « ما هنالك » ثم جمع وطبع على حدة وما نشراهُ بعد ذلك في جريدتهما « مصباح الشرق » وجمع في كتاب « حديث عيسى بن هشام » وهما اول ما ظهر من هذا النوع في الايام الاخيرة في مصر

ولا يمكننا الآن سرد ما ظهر من القصص والروايات المصرية في بعض المجلات والصحف اليومية وفي كثير مما يطبع في وريقات مجموعة فنكتفي بهذا ولنا ان شاء الله عودة الى ذلك

احمد ضيف

ثروة الولايات المتحدة الاميركية

في ربع قرن

من الامور المعروفة ان الولايات المتحدة الاميركية ، حكومة وشعباً ، اغنى بلدان الارض قاطبة . وغناها لا ينحصر في طبقة خاصة من الناس بل هو موزَّع على جميع الطبقات وهذا مما يجعل ارتقاءها ارتقاء صحيحاً ثابتاً . فقد جاء في تقرير لرئيس اتحاد الصناعات الانكليزية ووكيلهِ انهما كانا سائرين في وشنطن فمرَّا امام جراج فرأيا نحو خمسين اتوموبيل فورد او ما يماثلهُ من الاتوموبيلات الصغيرة واقفة امامهُ ولما سألا عن اصحابها قيل لهما انهم سوَّاقو اتوموبيلات الاجرة التي تخص شركة الجراج . فانهم يجيئون في اتوموبيلاتهم الخاصة الى عملهم صباحاً ويرجعون فيها الى بيوتهم مساء . ومن الادلة التي قدماها على رخاء المعيشة في اميركا ان مقدار الاموال المودعة في بنوك التوفير زادت اربعة اضعاف منذ نهاية الحرب . وقد اطلعنا الآن على مقالة بالعنوان المتقدم للمستر اوليري رئيس غرفة التجارة الاميركية فاقتطفنا منها ما يلي

لا يذكر التاريخ ارتقاء ماديًّا يضاهي ارتقاء الولايات المتحدة الاميركي في ربع القرن

الماضي . ففي هذه المدة القصيرة زادت ثروتها اربعة اضعاف ونشأت فيها صناعات صارت في اتساعها وارتقائها في مقدمة صناعات العالم واشهرها صناعة الاتوموبيل والصور المتحركة والتلفون اللاسلكي (الراديو) والمواد الكيماوية ٠ وانشأت حكومتها نظاماً من البنوك ثبتت فائدته في الحرب الكبرى اذ وقاها من الازمات. وبعد ما كانت الحكومة مدينة باربعة آلاف وخمسمائة مليون ريال (اي ٩٠٠ مليون جنيه) اصبحت الآن دائنة بستة عشر الف مليون ريال (٣٢٠٠ مليون جنيه) . فنجم عن هذا التقدم ارتفاع مستوى المعيشة لان ارتفاع اجور العمال وزيادة متوسط الدخل مكن الناس من شراء ما لم يستطيعوا شراءهُ قبلاً فكثرت لوازم المعيشة بعد ما كان كثير منها يحسب كمالياً

قدرت ثروة الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٠ بثمانية وثمانين الفاً وخمسمائة مليون ريال فزادت في ٢٢ سنة اكثر من على ثلاثة اضعاف ونصف ضعف اذ يؤْخذ من احصاء رسمي أجري سنة ١٩٢٢ ان ثروة البلاد كانت تساوي حينئذٍ ٣٢١ الف مليون ريال . والمختصون باحصاء ثروة الامة لم يضعوا سنة ١٩١٢ صناعة الاتوموبيلات بين مصادر الثروة العامة لضآلتها فلم تنقض ١٣ سنة حتى بلغ ثمن الاتوموبيلات المسجلة في الولايات المتحدة وثمن اجزائها اربعة آلاف وخمسمائة مليون ريال. ولقد تغير نظر الناس الى البليون وهو الف مليون فصار ذكرهُ من الامور المألوفة حين الكلام على ثروة اميركا مع انهُ يمثل مبلغاً يصعب ادراكهُ . فقد قدرت ثروة العالم حينما استقلت الولايات المتحدة الاميركية اي منذ ١٥٠ سنة بمائة الف مليون ريال ولكن ثروة الولايات المتحدة الاميركية وحدها زادت اخيراً في ربع قرن ما قيمتهُ ٢٥٠ الف مليون ريال ٠ وكان ما ربحتهُ سنة ١٩٠٠ نحو ٣ االف مليون ريال فصار ٦٠ الف مليون الآن . وزاد رأس المال الذي يثمر في مرافقها الزراعية اربعة اضعاف . وزادت غلة الحنطة فيها ٦٠ في المائة وغلة الذرة ٣٠ في المائة ومحصول القطن ٥٠ في المائة والماشية ٣٧ في المائة والخنازير ٦٨ في المائة مع ان السكان البلاد صاروا ميالين في الغالب الى سكنى المدن

واذا نظرنا الى هذا التقدم من وجهة العائلة وجدنا ان العائلة المتوسطة كانت تنفق في بدء القرن العشرين ٦٠ في المائة من دخلها على المأكل والمسكن وهي تنفق الآن اقل من نصف دخلها على هذه الضروريات رغم ارتفاع الاسعار . فيفيض لديها نحو عشر دخلها تحفظهُ في صناديق التوفير او تنفقهُ في السفر والتعليم والملاهي وهذه امور تزيد رخاء المعيشة وتوطد الرقي المعنوي

ثم اذا قابلنا ثروة الولايات المتحدة بثروة اقرب مزاحميها اليها اي بريطانيا العظمى وجدنا ان ثروة بريطانيا تقل عن ثروة اميركا ٢٠٠ الف مليون ريال. وكل ثروة فرنسا لا تزيد على ٦٧ الف مليون ريال يقابلها ٣٢١ الف مليون وهي ثروة اميركا . وثروة المانيا على ما جاء في تقرير وزير ماليتها ٣٥ الف مليون ريال فقط .واذا قابلنا ثروة اميركا بثروة اليابان وجدنا ان الولايات المتحدة الاميركية جمعت من الثروة في السنوات العشر الاخيرة ما يزيد على كل ثروة اليابان ثلاثة اضعاف

على ان ارتقاءها المادي لم يقتصر على التجارة وجمع الاموال . فلقد بدأ علماؤها ومهندسوها ورجال الاعمال فيها يخضعون الهواء فظل الطيران حتى نشوب الحرب الكبرى لعبة يلهو بها المخاطرون على ان الاميركيين الآن ينقلون رسائلهم بالطيارات ونقلها هذا مألوف لديهم لا يثير اعجاباً ولا اهتماماً والمنتظر ان يحقق الطيران التجاري في وقت قريب

منذ عشرين سنة تقريباً أدبت مأدبت فخمة في مدينة وشنطن ووضع امام صحن كل مدعو اليها سمّاعة تلفون سلكي فسمع المدعوون الى تلك المأدبة الاصوات منقولة على الاسلاك التليفونية من بتسبرغ وشيكاغو ودنفر وسان فرنسسكو ولما نشرت اخبار هذه المأدبة دهش الناس من هذا التقدم العظيم في التسلط على عناصر الطبيعة . على انك تجد اليوم في كل بيت اميركي تقريباً آلة صغيرة تدير فيها زراً فتلتقط من الهواء اصواتاً مذاعة من مختلف المدن الاميركية على ابعاد مختلفة بل تسمع بها اصواتاً من الفيلبين او استراليا . ان التلفون السلكي اصبح على عتبة الخمسين من عمره واما التلفون اللاسلكي فلا يزال طفلاً ازاءه ومع ذلك تراه قد اتى من العجائب ما هو فوق طاقة السلكي. ومع ان صناعة التلفون اللاسلكي نشأت منذ خمس سنوات فقط بلغت قيمة ما صنعته المعامل من الآلات والادوات اللاسلكية مضاعف ما صُنع من السجاد وثلاثة ارباع تجارة الجوهرات كلها.وقد انفق اصحاب هذه الصناعة الحديثة ٢٠ مليون ريال في الاعلان عن مصنوعاتها سنة ١٩٢٤ والامة الاميركية تنفق الآن نحو مليون ريال كل يوم في شراء آلات التلفون اللاسلكي او اجزاءها ومع ذلك فانتشار التلفون اللاسلكي لا يزال قليلاً اذا قيس بانتشار التلفون السلكي او الاتومو بيل . ففي البلاد الاميركية نحو اتوموبيل واحد لكل عشرة اشخاص وتليفون سلكي لكل ثمانية وليس فيها سوى تلفون لاسلكي واحد لكل ٣٥ شخصاً . فمن يستطيع التنبوء بمستقبل هذه الصناعة الحديثة !

ولقد يقال بحق ان صناعة الاتومبيل نشأت في القرن الماضي ولكنك لم تكن تجد

في كل البلاد الاميركية ما يزيد على ٥ آلاف اتوموبيل في اوائل القرن العشرين . وانظر اليها الآن — عشر الذكور من سكان الولايات المتحدة يشتغلون في صناعة الاتوميلات وهي في رأس صناعاتهم ، تمثل فوزاً باهراً لمهارتهم في الاستنباط والتطبيق والتنظيم المالي . نفقات المعيشة زادت نحو ٦٠ في المائة عما كانت عليهِ قبيل الحرب ولكن ثمن الاتوموبيلات هبط نحو ٣٠ في المائة عن ثمنها وقد بلغ ما سجل من الاتوموبيلات في اميركا نحو ١٨ مليوناً وثلث هذا العدد اتوموبيلات للنقل . واذا قسنا ما تصنعهُ اميركا من الاتوموبيلات بسكانها وجدنا انها تصنع تسعة اعشار ما يصنع في العالم مع ان سكانها لا يزيدون على ٦ في المائة من سكان الارض . وكل هذا الارتقاء تمَّ في العشرين سنة الاخيرة

ثم هناك صناعة الصور المتحركة وهي الخامسة بين صناعات اميركا الكبيرة وقد استقرت الآن على اسس تجارية راسخة حتى صارت تنال تعضيداً ماليًّا كبيراً من اصحاب الاموال واسهم شركاتها تشرى وتباع في البورصات. واثرها من الوجهة الاجتماعية اعظم منهُ من الوجهة المالية والتجارية فكل بلدة تقريباً مهما كانت صغيرة تجد فيها داراً للصور المتحركة تعرض فيها صور تسلي وتفيد من غير نفقة كبيرة . ولا بدَّ من ان يجيء الوقت الذي يرى فيهِ القائمون على رأس صناعة السنما انهم في مقام معلمين للشعب وان الصور المتحركة التي يخرجونها يجب ان تحوي من عناصر التعليم والتهذيب ما تحويهِ من عناصر الفكاهة والتسلية

ومن مميزات هذا الارتقاء كثرة المستنبطات الآلية التي حلَّت محلَّ العمال في الصناعات المختلفة . ففي اميركا الآن معاجن لعجن الدقيق يقوم الواحد منها مقام عشرين من العمال وآلات للفّ السجاير تحلُّ الواحدة محل ١٥ رجلاً وفي معامل الاحذية آلات تعمل الواحدة منها ما كان يقتضي ستة رجال الى عشرة وفي معامل الاثواب تشتغل فتاة واحدة على آلة فتنجز ما كانت تنجزهُ ٢٥ فتاة وفي معامل الزجاج آلات تحلّ الواحدة منها محلّ ٥٤ رجلاً من صانعي الزجاج على الاسلوب القديم . وقد استعملت الآلات في مناجم الفحم فزاد ما يستخرج منها من طنين ونصف طن في اليوم الى ٤ اطنان ونصف طن وفيها نقالات اتومانية يشتغل عليها ١٢ رجلاً فتحل محل ١٥٠ رجلاً . وفي معامل الصلب آلات تقوم الواحدة منها مقام ٤٠ رجلاً . وفي المزارع في طول البلاد

وعرضها من الآلات ما قيمتهُ ٤ آلاف مليون ريال قصّرت ساعات العمل على الفلاحين الى نحو النصف فصاروا يستطيعون ان يعملوا في اوقات فراغهم اعمالاً اخرى فالفلاح الذي يستعمل المحراث الزراعي الحديث يستطيع ان يحرث ثمانية افدنة في الوقت الذي كان يحرث فداناً واحداً بالمحراث القديم . واذا استعمل الآلات الحديثة لبذر البذور تمكن من بذر ١٨ فداناً بدل فدانين

على ان العمال الذين حلّت هذه الآلات محلهم في المعامل والمناجم والمزارع لم ينضموا الى زمرة العاطلين بل وجدوا محلاً لهم في المعامل الجديدة التي مهد السبيل لها اتساعُ الاعمال والصناعات وقد مضى الزمان الذي كان العمال ينظرون فيهِ الى الآلات نظرة ملؤها الخوف والحذر بل هم الآن يرحبون بكل استنباط جديد يقلل ما يذهب من نشاطهم وقوتهم

واذا نظرنا الى الولايات المتحدة من حيث هي بلاد منتجة وجدناها في مقدمة بلدان العالم قاطبة . واليك جدولاً يظهر فيهِ ما تنتجهُ اذا قيس بمجموع ما ينتج في كل البلدان

الفحم	٤٣٫٥	في المائة	القطن	٥٢٫٥	في المائة
البترول	٧١٫٩	«	الخشب	٥٢٫٦	«
النحاس	٥٢٫٧	«	الاوتومبيلات المسجلة	٨٢٫٧	«
الحديد الزهر	٦٠٫٢	«	التلفونات والتلغرافات	٥٧٫٨	«
الصلب والمسبوك	٥٩٫٨	«	سكك الحديد	٣٣٫٩	«
الحنطة	٢١٫٣	«			

وهي فوق ذلك تستهلك نحو ٧١ في المائة من كل المطاط (الكاوتشوك) الذي يستهلك في العالم وتستهلك ايضاً ثلاثة اخماس فحمها وكل حديدها وثلثي صلبها وكل نحاسها

وقد صحب هذا الارتقاء توزيع رأس المال المثمر في هذه الصناعات مما جعل العمال شركاء فيها فقد زاد عدد حاملي الاسهم في الشركات المختلفة حتى بلغ الآن ١٥ مليوناً من النفوس . واكبر النتائج الناجمة عن هذا التوزيع امحاء الحدود الفاصلة بين اصحاب الاموال والعمال وزيادة الثقة بان كل عمل فيهِ مصلحة للمتمول فيهِ مصلحة للعامل شريكهِ في العمل . فاكثر السكان في اميركا الآن اصحاب رأس مالٍ وفي الوقت نفسهِ عمّال، فهم منتجون مستهلكون في آن واحد وهذا اذا عمَّ منتهى الرقي الاقتصادي

الاحوال في تركيا الحاضرة

لم تكد مدارس الاوربيين والاميركيين تنير اذهان الناشئة في السلطنة العثمانية بعد اواسط القرن الماضي حتى تراءى لها ان البلاد التي استولى عليها العثمانيون في اسيا واوربا وافريقية كانت مهد العمران وكان يجب ان يبقى لها السبق على غيرها من الممالك فنسبت اكثر انحطاطها الى حكومتها حتى اذا حدث الانقلاب العثماني في بداءة هذا القرن هنأ الناس بعضهم بعضاً ورجوا ان يكون لبلدان السلطنة العثمانية عصر جديد تسترد فيه ما اضاعته القرون الغابرة . ولكن لم يحدث شيءٌ من ذلك لان العلّة كانت قد تمكنت بمرور الزمن وكان لابدَّ من تغيير جوهري ينزع القديم بجذافيره . ثم جاءت الحرب وتمزقت السلطنة ولكن قام من الاتراك زعماء اشداء عرفوا حقيقة الداء ورأوا انهُ يستحيل عليهم ان يداووا جسماً كبيراً مختلف الاجناس متشعب المذاهب فقادهم العقل الى الاكتفاء بامتهم التركية و بالبلاد التي هم الاكثرية الكبرى فيها ففعلوا وصدُّوا عنها اليونان والفرنسويين ببسالة ومهارة تفوقان الوصف ونقلوا عاصمتهم من القسطنطينية وهي من اعظم العواصم واجملها الى انقرة وهي مدينة صغيرة في قلب بلادهم لكي يبعدوا عن دسائس اوربا فيتمكنوا من السير في الخطة التي اختطوها لحكومتهم . ثم قلبوا نظام الحكم العثماني رأساً على عقب ادارياً ودينياً واجتماعياً واتوا اعمالاً ادهشت العالم لم يُقدم على مثلها احد ولا رجال الثورة الفرنسوية ولكنها لم تدهشنا لان المرض العضال لابدَّ لهُ من اقوى انواع العلاج

ومنذ عهد غير بعيد لقينا رجلاً من وجهاء هذا القطر زار الاستانة وانقرة واطّلع على اعمال الجمهورية التركية فقص علينا من الاخبار ما لو صحَّ كلهُ وخلا من المبالغة لصارت تركيا سيدة ممالك اسيا بعد زمن غير طويل ولم تفقها الاَّ اليابان لكثرة عدد سكانها ولضارعت ارقى ممالك اوربا التي تماثلها في عدد سكانها مثل بلجيكا وهولندا

وفيما نحن نفكّر في ذلك ونبحث عمَّن يزكي شهادة هذا الوجيه طلعت علينا مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية لشهر مارس وفيها مقالة عن تركيا بقلم القس شرغون وهو معروف بدقة النظر وصدق القول فاذا هي تؤيد كل ما قالهُ لنا ذلك الوجيه . فبادرنا الى اقتطاف جانب كبير منها حتى اذا كانت نتيجة الخطة التي سارت عليها الجمهورية التركية النجاح التام ساغ لغيرها من البلدان الشرقية ان تقتدي بها

قال القس شرغون ان تركيا الجديدة تختلف عن تركيا القديمة تعليمياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً . فهل تصل الى غايتها المرومة كشعب نشيط ناظر في العواقب. هذا امر ستبينهُ الايام ولكن لا شبهة في انها ساعية الى ذلك بهمة الشباب وثقتهم بانفسهم. ولعل اظهر تغيير حدث في تاريخها هو خلعها سلطانها والمناداة بالحكومة الجمهورية فتركت الاستانة ونقلت عاصمتها الى انقره فبعدت عن الدسائس والمداخلات الاجنبية التي كانت سوقها رائجة في العهد الحميدي لتستقل استقلالاً تاماً ،واتخاذها انقرة بدلاً من الاستانة يدلك على مقدار التضحية التي ضحى بها الاتراك في سبيل استقلالهم الوطني كاملة . فان الاستانة من اجمل مدن المسكونة وسكانها من اكثر سكان العواصم ومرفأها من اكبر مرافئ اوربا . واما انقرة فمدينة صغيرة بين الجبال يصل اليها فرع من فروع سكة الحديد ليس فيها بناء من المباني الفخمة ولا دار تسع دواوين الحكومة اسواقها ضيقة متعوجة لم يكن فيها شيء من التدابير الصحية الحديثة . الناظر اليها يرى من اول وهلة انهُ لم يكن في الامكان اختيار مكان للعاصمة اقل ملاءمة منها. ولكن الرجال الذين وطنوا انفسهم على انشاء جمهورية جديدة غير مقيدة بقيود الماضي ولا هي عرضة لمداخلات الدول رأوا انهم يكونون فيها احراراً ليفعلوا ما يشاؤون فيبنوا بناء مملكتهم مقتبسين اصلح الاساليب الاوربية وهم بعيدون عن الاوربيين

رأوا ان النفعيين طلاب الامتيازات في العهد الحميدي استولوا على المناجم وسكك الحديد والبنوك وامتيازاتهم تحميهم من دفع الضرائب فارادوا الابتعاد عنهم.قال السر مارك سيكس في مجلس النواب البريطاني « ان تصرف الماليين الاوربيين كان افعل في افساد الادارة التركية من كل ما فعلتهُ تركيا القديمة وتركيا الحديثة ». وقال الاستاذ جون دوي الفيلسوف الاميركي بعد ما زار الشرق الادنى « ان الاشفاق على السكان اكثريتهم واقليتهم لا يبقي محلاً لشعور آخر سوى الغيظ من الدول الاجنبية التي استخدمت مصائب السكان لتنتفع منها بلا شفقة ولا حنان ». فنقل العاصمة الى انقرة قضي على ذلك كلهِ

والدستور الجديد والبارلمان الجديد والقوانين الجديدة والمحاكم الجديدة اصطبغت كلها بصبغة الادارة الجديدة وصارت السلطة للشعب بعد ان كانت للسلطان وللشريعة فانتقلت تركيا بكليتها من الماضي الى المستقبل من الشرق الى الغرب من استبداد الفرد الى حكم الجمهور . وكان محور هذا الانقلاب مصطفى كمال باشا فهو وشنطون وروزفلت

مجتمعَيْن فانهُ سياسي محنك وجندي مخلوق لقيادة الرجال وهو اقدر رجل بين رجال السياسة المعاصرين . ولد بسلانيك منذ اربع واربعين سنة ونشأ جندياً وكان ياوراً لانور بك فحارب وامتاز في حروب الثورة التي قامت على عبد الحميد وفي طرابلس الغرب والبلقان وهو الذي تغلَّب على الجنود البريطانية في العراق واسر قائدهم الجنرال تونزند وهو الذي احبط هجوم الجنود البريطانية في غاليبولي . والمرجح انهُ لم يقم بين قواد المانيا وحلفائها في الحرب الاخيرة من امتاز اكثر منهُ بكثرة المعارك التي فاز فيها . كانت الدائرة تدور على الاتراك في كل المعارك التي دخلوها في هذه الحرب الى ان قام مصطفى كمال فاذا هو مثل وشنطون محرر اميركا لا يقف في وجههِ احد . ولقد كان من امرهِ انهُ وضع الشروط التي يريدها في مؤْتمر لوزان واضطر الدول الى قبولها وقد وقف في اغسطس الماضي وتكلم كرئيس للجمهورية التركية فوصف الحالة الحاضرة ملخصاً بقولهِ

« ان الغرض من التغيير الذي احدثناهُ ولا نزال جارين فيهِ هو ان نخوّل اهل هذه الجمهورية نظاماً اجتماعياً من احدث النظم ومن اكثرها مطابقة للعصر الحاضر . يجب علينا ان نطرح كل فكر لا يتفق مع هذا المبدإِ القيم • يجب ان نقتلع كل الخرافات من عقولنا والتعصبات من عاداتنا . عارٌ على الامة الحية ان تعتمد على الاموات . لا ارضى ابداً ان يبقى في المجتمع التركي المتمدن تلك العقول التي تتطلَّب خيرها الادبي والمادي من شيخ قد يعمل على ضد ما تطلبهُ العلوم الحديثة

« يا اخواني تعلمون ان تركيا لا يمكن ان يبقى شعبها دراويش ومشايخ وتلامذة الدراويش والمشايخ. فان الشعب الحقيقي هو الشعب الذي يكون عضواً في محفل الامم المتمدنة»

ثم ان هذه النهضة السياسية التي جعلت الاتراك يعقدون العزيمة على ان تكون لهم السيادة المطلقة في وطنهم حملتهم على الغاء الخلافة لكي يكون لهم الاستقلال التام عن غيرهم من الشعوب الشرقية ولما الغوا الخلافة فصلوا بين الدين والسياسة وجعلوا التعليم كلهُ مدنيًّا وقرَّروا ان يكون للحكومة حق الرقابة عليهِ بكل فروعهِ وتفاصيلهِ فلا احد يستطيع ان يعلّم الأ باذن الحكومة ولا كتاب يستعمل للتدريس ان لم تقرهُ الحكومة. وأُبطل التعليم الديني في ساعات التدريس القانونية اي صار التعليم في مدارس الحكومة علمانيًّا محضاً كما هو في مدارس الحكومة بفرنسا واميركا . وغرض الاتراك من ذلك منع المتشيعين للقديم من التأْثير في عقول الناشئة والعود بالبلاد الى العصور الغابرة

اما من حيث الماديات فالتركي جندي وفلاَّح كما لا يخفى وكان يقال انهُ لا يستطيع

ان يكون صانعاً ولا تاجراً بدليل ان الصناعة والتجارة كانتا في يد الارمن واليونان. ولكن تركيا الجديدة كذّبت ما قيل فالغت اولاً النظام الممقوت نظام التزام المشور واصلحت زراعتها فكثرت غلاتها ومصنوعاتها وزادت صادراتها وفيها الآن الوف من اتومو بيلات الحراثة وحقول كثيرة للتجارب الزراعية واصلحت سككها الحديدية وسفنها التجارية ومصلحتي البوسطة والتلغراف .وقد لا يصير الاتراك من رجال التجارة المشهورين ولكنهم سيحرزون مقاماً تجاريًا رفيعاً بين مجاوريهم

ومن اظهر مظاهر الانقلاب الحديث التغير الاجتماعي ولا سيما فيما يتعلّق بالنساء . فقد طُرح البرقع وقلّ الضرار والتسّري ولا يبعد ان يلغيا تماماً . قلما كنت ترى امرأة في انقرة قبل الحرب الاَّ والبرقع على وجهها اما الآن فالنساء كلهنّ سافرات . واعضاء الجمعية العمومية يذهبون الى السنما مع زوجاتهم وهن سافرات وبالازياء الاوربية . وثلاثة ارباع النساء في الاستانة يسرن في الشوارع سافرات .واز يل الحاجز الذي يفصل بين مقاعد الرجال والنساء في الترام وصارت المرأة تجلس حيثما تريد كالنساء في اوربا . وجعل الشابات يدرسن الحقوق والطب كالشبان ولهنّ جريدة تدافع عن حقوقهنّ وقد طلب بعض النابغات منهنّ ان يسمح لهنّ بالقاء خطب في الجوامع كل اسبوع في تدبير المنزل وما اشبه من المواضيع وانشئ للاحداث من الذكور والاناث مجتمع يسمّى الوجاق وهو مثل جمعية الشبان المسيحيين الغرض منهُ تقوية اجسامهم وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم بالرياضة والخطب فانتظم فيهِ خمسة وعشرون الفاً ونشأ منهُ اهتمام شديد بالالعاب الرياضية

واهم تغيير في تركيا الجديدة حسبان الدين امراً شخصيًّا بين المرء وخالقهِ وان الحكومة نظام مدني يُعنى بمصالح الناس ولا شأن لهُ في السيطرة على ضمائرهم وعقائدهم ولا فيما هو من الفرائض الدينية المحضة كالصوم والحج اي ان الحكومة قائمة لاجل مصالح الناس الدنيوية كالامن والتعليم والصحة وترقية الزراعة والصناعة والتجارة وحفظ المال والعرض والدم .وخاصة الاتراك صارت تحسب الدين عائقاً في سبيل الارتقاء اما العامة فلا تزال تجلّ الدين ولكنها صارت تحسبهُ امراً شخصيًّا

وذكر القس شرغون ايضاً ترك الاتراك للعمامة والطربوش والقلبق ولبس البرانيط وكأنهُ ممتعض من ذلك وهذا شأن كثيرين من الاوربيين كأنهم يودون ان يبقوا ممتازين عن غيرهم فلا يقلدهم احد

مذهب النشوء والعلماء اليسوعيون

مَن يتصفح مجلة المشرق الناطقة بلسان اليسوعيين قد يحسب ان الكنيسة الكاثوليكية تنكر مذهب النشوء المعروف بمذهب دارون انكاراً تامًّا وتكفّر معتقديهِ وان اليسوعيين كلهم يقولون قولها. لكننا اطّلعنا الآن على مقالة للسر برترام وندل استاذ الانثربولوجيا (علم الانسان) في كلية ميكل بمدينة تورنتو من كندا نشرت في مجلة «التاريخ الجاري» Current History لشهر دسمبر الماضي وهو كاثوليكي المذهب بدأها ناظراً الى ما حلَّ بغليليو الفلكي لقولهِ بدوران الارض حول الشمس. فلام المجلس الذي حكم عليهِ مؤيداً لومهُ بما قالهُ اثنان من علماء اليسوعيين الاول الاخ جرار Fr. Gerard S. J. الذي قال «اننا انما نأسف لمحاكمة غليليو واستعمال محكمة كنيسية سلطةً ليست لها فيما يختص بالعلوم الطبيعية» والثاني الاخ هل Fr. Hull S.J. الذي قال ان خطأهم (اي خطأ رجال المحكمة) قائم في حكمهم على علم الفلك الجديد كأنهُ هرطقة

ثم قال الكاتب اما من حيث مذهب النشوء فان الكنيسة الكاثوليكية قادرة اذا ارادت ان تبدي رأيها فيهِ ولكنها لم تبدِ هذا الرأي حتى الآن واذا ابدتهُ كان صريحًا لا يُشك في معناهُ فمن العبث ان نسأل الآن ما هو رأي الكنيسة الكاثوليكية في هذا المذهب كما انهُ من العبث ان نسأل ما هو رأي الحكومة الاميركية فيهِ

اما ما هو رأي ابناء الكنيسة فحسبنا الاشارة الى ثلاثة كتب قيّمة ظهرت حديثًا في موضوع النشوء كتّابها من الكهنة الأكفاء للبحث فيهِ اولهم الاخ ومن اليسوعي Fr. Wasmann S .J وهو معدود من اكبر الثقات في البحث عن طبائع النمل. وقد تكلم حديثًا في هذا الموضوع في مؤتمر علم الحشرات الذي التأم في زورك ومن رأيهِ كما هو من رأيي ان النشوء ارجح تعليل بل هو التعليل الوحيد الذي لا غبار عليهِ دينيًّا الى حد محدود وهو ادعى من الرأي القديم (اي الخلق المستقل) الى اظهار عظمة الخالق. والثاني القانون دورلودُت Dorlodot وهو استاذ البلينتولوجيا (علم الاحافير) في جامعة لوڤان الكاثوليكية وقد انتدبتهُ تلك الجامعة لحضور الاحتفال في جامعة كمبردج بمرور مائة سنة على ولادة دارون فانهُ ذهب الى ابعد من ذلك لانهُ حسب ان مذهب النشوء قد صار من المذاهب المقررة علميًّا. والثالث الدكتور اوتول O'Toole من الرهبنة

البندكتينية رئيس الجامعة الكاثوليكية في الصين وهو يوافق الاول في انهُ ليس من مذهب النشوء ضرر ديني ولكنهُ لا يحسب انهُ قد ثبت علميًّا

و يستدل من ذلك ان الكنيسة الكاثوليكية لا تمنع اتباعها من البحث في مذهب النشوء والاعتقاد بصحتهِ . والكتب التي الَّفها هؤُلاء الثلاثة في هذا المذهب قد عُرضت على الرؤَساء الدينيين لاجازتها كما هو المتبع في الكتب التي يؤَلفها رجال من خدمة الدين فنالت اجازة الطبع imprimatur وكتاب دورلودت اجازهُ رئيس جامعة لوڤان واجاز طبع ترجمتهِ الانكليزية رئيس اساقفة وستمنستر . ولا تعني اجازة الطبع هذهِ ان كل ما في الكتاب صحيح بل تعني ان ليس فيهِ شيءٌ مضر دينيًّا . وكتاب القانون دورلودت اشد انتصاراً لمذهب النشوء من كثيرمن الكتب التي الفها في نصرتهِ اناس من غير الكاثوليك

ثم اقتبس ما قالهُ الاخ فن همرستين اليسوعي Fr. von Hammerstine وهو

« ان كان الخالق لم يخلق كل نوع من الحيوان في الصورة التي نراهُ فيها الآن بل جعلهُ يصل الى صورتهِ الحاضرة وسلائقهِ الحاضرة بواسطة نشوءٍ مستقل استمرَّ في سلسلة طويلة من اسلافهِ فذلك اظهر لحكمتهِ وقدرتهِ . فاذا ثبتت صحة مذهب النشوء ضمن حد محدود فهو لا ينفي وجود الخالق بل يجعل وجود خالق كليِّ الحكمة وكليّ القدرة الزم واوجب كالسبب الاول لنشوء انواع النبات والحيوان. ويمكن ان نبين ذلك بمثل .لنفرض ان لاعباً بالبلياردو اراد ان يضرب مائة كرة لتذهب كلٌّ منها في جهة مخصوصة فايُّ العملين ادلُّ على مهارتهِ أضربُ كل كرة على حدتها حتى تسير في الجهة التي يراد اتجاهها اليها ام ضرب كرة واحدة وجعلها تضرب التسع والتسعين الباقية فتسير كلها في الجهات التي قصدها » [1]

ثم فسَّر الكاتب ما يراد بالحد المحدود فقال ان بعض المؤَيدين لمذهب النشوء يعتقدون انهُ يتناول جسد الانسان ونفسهُ اي جزءَهُ المادي وجزءَهُ الروحي وهـذا لا يقرُّهُ الكاثوليك ولا بعض الذين يحق لهم ان يبدوا رأياً في هذا الموضوع من غير الكاثوليك ومنهم ولس قسيم دارون في مذهب النشوء والاستاذ مكدوغل والاستاذ درو يش وغيرهم. ولا ادَّعي انهم يعتقدون ما تعتقدهُ الكنيسة الكاثوليكية ولكنهم لا يسلمون بان الجزء الروحي في الانسان نشأ من الحيوان كما نشأ جسمهُ

(١) وهذا يشبه ما قاله مطران كارليل البروتستانتي وهو ان كان من يصنع ساعة عظيماً فالذي يصنع ساعة تولد ساعات كثيرة اعظم منه .

المدارس الاميركية في الشرق الادنى

مثل للكرم الاميركي

زادت نفقات المعيشة في اثناء الحرب الكبرى زيادة جعلت الاموال التي وقفت لادارة المدارس الاميركية في الشرق الادنى غير كافية لتحقيق ذلك الغرض . فاتفق امناء جامعة بيروت الاميركية وكلية روبرت وكلية البنات الاميركية في الاستانة والكلية الدولية بازمير ومدارس صوفيا الاميركية ان يؤلفوا لجنة في اميركا تهتم بجمع المال اللازم لنفقات هذه المعاهد التي ثبتت فائدتها بما اخرجتهُ الى ميدان الحياة في الشرق الادنى من معلمين وصحافيين واطباء وصيادلة ومهندسين وممرضات وغيرهم . فقدرت اللجنة التي تألفت ان نصف مليون جنيه يكفي لايفاء ما يزيد في نفقات تلك المعاهد فوق ما يدفعهُ التلامذة وذلك الى نهاية سنة ١٩٣٠ ينال كل معهد منها ما يتفق مع اتساع دوائرهِ وميزانيتهِ .و بدأت هذه اللجنة العمل لجمع المال في اول دسمبر سنة ١٩٢٤ فاقامت حينئذٍ سوقاً شرقية فخمة في فندق من اكبر فنادق نيويورك وانشأت لجاناً في انحاء الولايات المتحدة يديرها خريجو هذه المعاهد او بعض المدرسين السابقين فيها او اصدقائهم واهتم نفر من رجال التعليم في اميركا بهذا العمل كالدكتور فنسنت مدير منشآت ركفلر والاستاذ جبنز من اساتذة جامعة برنستن والدكتور مُط رئيس جمعية الشبان المسيحية في العالم والدكتور غريفز مدير المعارف بولاية نيويورك فخطبوا في اوقات مختلفة لحث الناس على التبرع لهذا العمل العمراني المفيد

وبعد ما اقيمت السوق الخيرية أدب المستر ارثر كرتس جيمس احد امناء جامعة بيروت الاميركية مأدبة فخمة كان بين المدعوين اليها المستر ركفلر الصغير والدكتور غريفز والمستر ضدج رئيس جامعة بيروت. ولما اطلع المستر ركفلر على اغراض اللجنة والغاية من المال المجموع تبرع في الحال بربع المبلغ المطلوب اي بمائة وخمسة وعشرين الف جنيه على ان يجمع باقي المبلغ قبل يناير سنة ١٩٢٦ . وتبرع المستر كليفلند ضدج رئيس امناء كلية روبرت بالاستانة ووالد رئيس جامعة بيروت بمائة الف جنيه وتبرع آخرون بمبالغ كبيرة

على ان هبة روكفلر كانت معلقة على جمع المال قبل اول يناير سنة ١٩٢٦



جون ركفلر وابنهُ

صاحبا الايادي البيضاء على البحث العلمي ونشر العرفان في مختلف الاقطار

فلما وافى عيد الميلاد سنة ١٩٢٥ كان ينقص المبلغ ٤٠ الف جنيه وجب على اللجنة جمعها في ما بقي من شهر دسمبر لتفوز بهبة روكفلر. فدعت مسز فندرلب احد امناء كلية البنات بالاستانة المستر كنزلي رئيس ابناء جامعة بيروت الى مباراة خيرية الغرض منها اذكاء الهمة لجمع المال المطلوب في الوقت المعين فبعث اليهِ بكتاب هذه خلاصتهُ

عزيزي المستر كنزلي : علمت ان المال الذي يجمع لكليات الشرق الادنى ينقصهُ ٤٠ الف جنيه يجب ان تجمع قبل اول يناير سنة ١٩٢٦ لكي تفوز اللجنة ببعض الهبات المعلقة . لذلك ادعوك الى مباراة تجري بيننا في الايام الاربعة الاخيرة من دسمبر بالشروط التالية

١ — تبدأ المباراة الساعة التاسعة من صباح الاثنين ٢٨ دسمبر وتقفل الساعة الخامسة من بعد ظهر الخميس ٣١ دسمبر

٢ — كل الاكتتابات التي ترسل اليَّ تقيَّد لحساب كلية البنات في الاستانة وكل ما يرسل اليك يقيَّد لحساب جامعة بيروت الاميركية

٣ — كل الاكتتابات التي ترسل الى مكتب كليات الشرق الادنى في نيويورك توزع حسب طلب مرسليها

٤ — اذا ارسل احد الى المكتب المذكور تبرعاً من غير تعيين المعهد يقيد لحسابي اذا كان من امرأة ولحسابك اذا كان من رجل

٥ — كل ما يرسل الى المكتب المذكور باسم كلية روبرت لا دخل لهُ في المباراة وقد قبل بذلك المستر كليفلند ضدج واني بانتظار جوابكم عن رسالتي هذه

فاجابها المستر كنزلي بقبول المباراة وللحال طُبع كتاب مسز فندرلب وجواب المستر كنزلي ووزعت نسخها على ١٥ الف شخص في ٤٨ ساعة . ولما أُقفل باب الاكتتاب كان قد جمع ٤٠٧٠٧ جنيهات وستون غرشاً وكان الفائز في المباراة مسز فندرلب اذ اصابها ٢٠٥٢٩ جنيهاً وستون غرشاً وهبت ما فاض منها عن ٢٠ الف جنيه لمستشفيات جامعة بيروت . واصاب المستر كنزلي ٢٠١٧٨ جنيهاً وهب ما فاض منها عن ٢٠ الف جنيه لمكتبة كلية البنات في الاستانة. وكان عدد الذين اشتركوا في الاكتتاب بنصف مليون جنيه نحو اربعة آلاف شخص من كل انحاء اميركا دفعهم الى ذلك حب الخير ونشر العرفان

. . . .

ارتقاء وسائل المخاطبات

في خمسين سنة اي في عهد المقتطف

اجتازت وسائل المخاطبات في ارتقائها منذ فجر التاريخ الى الآن ، ثلاث مراحل . الاولى لما كان التخاطب منوطاً بالاشارات او بالكلام او برسول يعتمد على مضاء ذاكرته في حفظ الرسالة وروايتها . والثانية لما استنبطت الكتابة فصار في الامكان ارسال الرسائل مكتوبة فيكتم ما فيها بعض الكتمان ولا يحرّف . ومن ثم صار ارتقاء وسائل المخاطبات مرتبطاً بارتقاء وسائل المواصلات فاستخدمت الخيل والعربات والسفن الشراعية في البدء ثم البواخر والسكك الحديدية والطيارات الآن . وفي القرن الرابع عشر انشئت اول شركة لنقل البريد في اوربا ثم اهتمت بها الحكومات وجعلتها من اعمالها فانشئت مصالح البريد التي بلغت في هذا العصر شأواً بعيداً من الانتظام والسرعة في كل الممالك الراقية

والمرحلة الثالثة هي المرحلة التي بدأ فيها المستنبطون باستخدام الاشارات الكهربائية لنقل رسائلهم من غير ان يتقيدوا بسرعة الناقل سواءٌ كان حمامة او رسولاً على حصانٍ او في قطار او باخرة او طيّارة . والارتقاء في هذا النوع من المخاطبات هو من اهم ما امتاز بهِ القرن التاسع العشر وعلى الاخص النصف الاخير منهُ والربع الاول من القرن العشرين . وينقسم البحث فيهِ الى اربعة اقسام تنحصر تحت التلغراف والتلفون السلكيين والتلغراف والتلفون اللاسلكيين وهذا هو ترتيبها حسب تاريخ نشوئها وشيوعها

التلغراف السلكي

في اواسط القرن الثامن عشر خطر لبعض المشتغلين بالكهربائية انهُ في الامكان نقل الاشارات الكهربائية من مكان الى آخر . ثم اكتشف ستيفن غراي وغرانفل هويلر انهُ يستطاع نقل الكهربائية من زجاجة ليدن مسافة طويلة على سلك معزول . ثم اقترح احدهم سنة ١٧٥٣ في المجلة الاسكتسية نقل الاشارات الكهربائية على سلك معزول مؤلف من ٢٦ سلكاً معزولاً كلُّ سلك منها يقابل حرفاً من حروف الهجاء الانكليزية

على ان المصاعب العملية التي قامت في سبيل تحقيق هذا الفكر او ما يماثلهُ كانت جمة لم يُستَطع تذليلها قبل سنة ١٨٣٧ . ذلك لان زعماء الباحثين في الكهربائية كغلفاني وفولطا واورستد وفاراداي اخذوا يكشفون اسرارها ويعرفون قوانينها فصار التحكم بافعالها

مستطاعاً . فتوالت المستنبطات وكلٌّ منها خطوة في طريق الكمال . ثم قام مورس في اميركا وستانهيل في باڤاريا وهو يتستون وكُك في انكلترا فصنع كلٌّ منهم تلغرافاً خاصًّا مخالفاً لتلغراف الآخر وحسب انهُ نال قصب السبق في هذا المضمار ففُضّل تلغراف مورس لبساطتهِ وسهولة العمل بهِ

صنع مورس تلغرافهُ الاول سنة ١٨٣٢ ولكنهُ كان معدماً لا يستطيع ان ينفق على اذاعتهِ فبقي يشتغل في اتقانهِ الى ان تسنى لهُ عرضهُ للناس سنة ١٨٣٧ في جامعة نيو يورك فارسل حينئذٍ الاشارات الكهربائية مسافة ١٧٠٠ قدم على سلك نحاسي . ثم منحهُ الكنغرس (مجلس الامة الاميركي) ٣٠ الف ريال فانشأ اول خط تلغرافي تجاري سنة ١٨٤٤ بين وشنطن و بلطيمور . وهو الذي وضع نظام الاشارات التلغرافية المستعمل الآن والمعروف باسمهِ (Morse Code) وتوفي سنة ١٨٧٢ قبيل انشاء المقتطف

كل هذا سابق للعهد الذي حصرنا كلامنا فيهِ ولكن لا بدَّ منهُ مقدمة لما تمَّ في التلغراف من الاصلاح والاتقان

شاع تلغراف مورس في انكلترا واميركا واتقن اتقاناً عظيماً في بضع سنوات ومدت اسلاكهُ حتى صار في الامكان ارسال الرسائل التلغرافية مسافة مئات من الاميال سنة ١٨٥٠ . ثم جعل العلماء يبحثون عن امكان مدّ الاسلاك التلغرافية تحت البحر فمدَّ السلك التلغرافي البحريُّ الاول بين كاله بفرنسا ودوڤر بانكلترا سنة ١٨٥١ وتلاهُ مد الاسلاك التلغرافية بين اسكتلندا وارلندا و بين انكلترا وارلنده . وكان المهندسون الكهربائيون حينئذٍ يطمحون الى وصل اميركا واوربا بالتلغراف فتألفت شركة في بلاد الانكليز سنة ١٨٥٦ لمدّ سلك تلغرافي في الاوقيانوس الاتلنتيكي . فتمّ مدّهُ سنة ١٨٥٨ الاَّ ان الاشارات التي ارسلت بهِ لم تكن واضحة كلَّ الوضوح فاهمل استعمالهُ فتألفت شركة اخرى لمدّ سلك آخر وكان مستشارها السر وليم طمسن (لورد كلڤن بعدئذٍ) فاتمت عملها سنة ١٨٦٦ بعد تجارب كثيرة ابدى فيها السر وليم طمسن من البراعة في العلوم النظرية وتطبيق مبادئها ما جعل اسمهُ مرتبطاً كل الارتباط بمدّ السلك التلغرافي بين اوربا واميركا

وحاول بعضهم بعد ذلك ان يرسل رسالتين تلغرافيتين على سلك واحد في وقت واحد فنجح المستر سترنز احد سكان بوسطن في ذلك . ثم حاول رجل يدعى ستارك ان يرسل اربع رسائل تلغرافية على سلك واحد فلم تسفر تجاربهُ عن النجاح وتلاهُ اديصن المستنبط الاميركي المشهور فافلح في ذلك ولا يزال اسلوبهُ متبعاً الى الآن

ومن ثمَّ اخذت الشركات والحكومات المختلفة تمدُّ الاسلاك التلغرافية بين مختلف البلدان والقارات فوق الارض وتحت الارض وتحت البحر فتمكنت شركة الايسترن التلغرافية في سنة ١٩٢٤ من ارسال رسالة تلغرافية من لندن حين افتتاح معرض ومبلي دارت حول الارض ورجعت الى لندن في دقيقة وثلث

ونشأ عن مدّ الاسلاك التلغرافية في مختلف البلدان علاقات دولية اقتضى لها مؤتمرات لتنظيمها ووضع قانون لما تجري عليهِ فالتأمت مؤتمرات في باريس سنة ١٨٦٥ وفينا سنة ١٨٦٨ ورومية سنة ١٨٧١ وبطرسبرج سنة ١٨٧٥ ولندن سنة ١٨٧٩ و برلين سنة ١٨٨٥ وباريس سنة ١٨٩٠ و بودابست سنة ١٨٩٦ ولندن سنة ١٩٠٣ . وأُنشئَ مكتب دولي لادارة التلغرافات في برن عاصمة سويسرا سنة ١٨٦٨ . هذا وقد بلغ طول كل الخطوط التلغرافية المستعملة في سنة ١٩٢٠ ستة ملايين ومائة وسبعين الف ميل

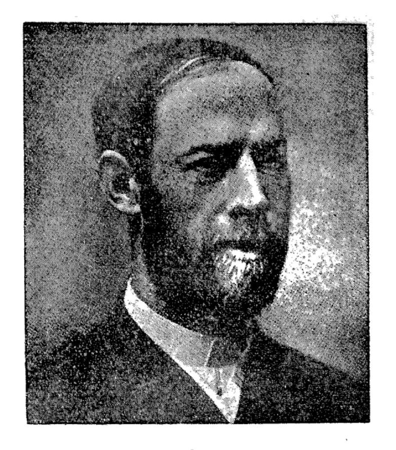
التلفون السلكي

لا يخفى ان الصوت شعور تشعر بهِ الاذن من امواج في الهواء تصل اليهِ من الجسم الصائت فينقلها الى الاذن وهذه الامواج تختلف في عددها وسعتها واتصال امواج اخرى بها وقت حدوثها فيكون من ذلك علو الصوت وشدتهُ وكيفيتهُ . فاذا اريد نقل الصوت البشري بآلة من مكان الى آخر وجب ان تنقل الامواج بحسب عددها في الثانية من الزمان و بحسب سعتها واتصال غيرها بها لكي يكون منها صوت مسموع مثل الصوت الذي نُقِل تماماً . وهذا ليس بالامر السهل كما يظن لاول وهلة ولذلك تعذَّر على العلماء زماناً طويلاً . واول مَن تغلَّب على جانب منهُ الاستاذ ريس من فرنكفورت فانهُ صنع غشاء من الكلودويون سنة ١٨٦٠ واوصل بهِ مفتاحاً معدنيًّا متصلاً بسلك كهربائي فكان الصوت يهزُّ هذا الغشاء فيتحرك المفتاح باهتزازهِ فينتقل المجرى الكهربائي على السلك و ينقطع عنهُ حسب اهتزاز المفتاح . وفي الطرف الآخر من السلك مفتاح آخر مثل هذا يتصل بهِ غشاء مثل الاول فيهتز بحسب جريان الكهربائية وانقطاعها ويهزُّ الغشاء فيتولد صوت من اهتزازهِ مثل الصوت الاول في عدد امواجهِ ولكنهُ ليس مثلهُ في سعتها وكيفيتها فلا ينتقل بهِ الكلام ولو نقلت بهِ الاصوات الموسيقية

ثم استقبَّ للمستر غراي من شيكاغو ان ينقل الصوت بعدد اهتزازتهِ واتساعها اي بعلوهِ وشدتهِ وذلك انهُ ابدل الغشاء الذي يهزهُ الصوت بقلم معدني ينغمس في الحامض الكبريتيك المخفف فتزيد المقاومة للمجرى الكهربائي حسب انغماسهِ في الحامض ولذلك



مورس



هرتس

مقتطف ابريل ١٩٢٦
امام الصفحة ٤٢١

يقوى المجرى الكهربائي او يضعف حسب تموُّج الغشاء او حسب ارتفاع الصوت وانخفاضهِ.
ووصف غراي تليفونهُ هذا في كتاب قدمهُ الى ديوان الامتياز بالمخترعات في الولايات المتحدة في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٦ وفي ذلك اليوم عينهِ قدم الاستاذ اسكندر بل الانكليزي الاصل والاميركي النشأة رسم تليفون الى ديوان الامتياز مؤلف من غشاء رقيق تتصل بهِ قطعة من الحديد اللين موضوعة امام قطعة من المغنطيس الكهربائي لكي تهتز امامهُ مع الغشاء بتموُّج الصوت فتقوى الكهربائية او تضعف و ينتقل هذا الفعل على سلك معدني الى مغنطيس كهربائي آخر امامهُ غشاء كالاول فيهتز بالمجرى الكهربائي كما اهتزَّ الاول و يصدر الصوت من اهتزازهِ . ولم يفِ هذا التلفون بالغرض فجعل الاستاذ بل يزيد قطعة الحديد اتساعاً حتى جعل الغشاء كلهُ صفيحة رقيقة من الحديد اللين وابدل المغنطيس الكهربائي بمغنطيس دائم فتمَّ التلفون على ما تراهُ في القطعة التي يسمع الصوت بها الآن

ومن ثمَّ اخذ المستنبطون يشتغلون باتقان الجزء المرسل والسمّاعة حتى يكون الصوت جليًّا والكلام واضحاً واشهر المشتغلين بذلك اديصن واليشا غراي وهيوز مستنبط المكروفون

ولقي بل صعوبة كبيرة على اول عهدهِ باستنباط التلفون في اقناع الجمهور بفائدتهِ . فعرض تلفونهُ في المعرض المئوي الاميركي فمرَّ بهِ القضاة قرب الغروب وقد انهكهم التعب مرَّ الكرام، وسألهُ احدهم متهكماً « وماذا يهمنا لو نقل الصوت على سلك او لم ينقل» واذا بحادثة من الحوادث التي يسوقها القدر لتغيير مجرى التاريخ فانقلبت الحال بين غمضة عين وانتباهتها الى حال اخرى . ذلك انهُ حينما همَّ القضاة بالانصراف اقترب من مائدة بل رجل في جماعة كبيرة من الاتباع . كان ذلك الرجل دوم بدرو امبراطور البرازيل وكان قد حضر الى الولايات المتحدة قبلاً وتعرف الى بل لما كان مدرساً فعرفهُ الآن ونقدم اليهِ وصافحهُ فشرع بل يبسط لهُ استنباطهُ والقضاة يصغون اليهِ . وبعد ما انتهى من بسطهِ اخذ الامبراطور السمّاعة واصغى الى ما يقولهُ بل في الطرف الثاني فصاح « يا الهي انها تتكلم »

كانت هذه الحادثة خاتمة المصاعب التي لقيها بل في سبيل نشر اختراعهِ . فما اتمَّ الامبراطور تجربتهُ حتى اقترب القضاة واحداً واحداً يريدون ان يجربوها وكان بينهم السر وليم طمسن (لورد كلفن) وجوزف هنري العالم الكهربائي . فقال طمسن بعد ما جربها « انها اعجب ما رأيت في اميركا » فذاع اسم بل بين ليلة وضحاها وفي صباح اليوم التالي نقل تليفونهُ من المكان الزري الذي كان فيهِ الى اظهر الاماكن في المعرض

ومن ثم اخذ التلفون في الشيوع حتى بلغ عدد التليفونات المستعملة سنة ١٩٢٠ نحو ٢٠ مليون تلفون في كل العالم منها نحو ١٣ مليوناً في الولايات المتحدة الاميركية . ونحو خمسة ملايين في اوربا و ٩٥ الفاً في افريقية و٤٤٨ الفاً في اسيا ونحو ٩٠٠ الف في كندا واميركا الشمالية عدا الولايات المتحدة والباقي موزع على اميركا الجنوبية واستراليا وجزائر البحر . و يظهر من مقابلة التلفونات التي كانت مستعملة سنة ١٩٢٠ بما كان مستعملاً منها سنة ١٩١٠ ان عددها تضاعف في ١٠ سنين.وقد تمت في الحقبة الاخيرة اصلاحات جمة في التلفون اهمها آلة استنبطها الاستاذ پيوبن من اساتذة جامعة كولومبيا جعلت المخاطبات التلفونية سهلة على مسافات شاسعة . فمدت الاسلاك التلفونية من شرق الولايات المتحدة الى غربها واستعمل الخط التلفوني التجاري بين نيويورك وسان فرنسسكو في ٢٥ يناير سنة ١٩١٥ ثم مدت اسلاك تلفونية تحت البحر الى كوبا سنة ١٩٢١ وتمكن المهندسون المنقطعون للتلفون من مد خط تلفوني بين بلطيمور و بتسبرغ سنة ١٩١٨ تجري عليهِ اربع محادثات في وقت واحد

ومن الاجهزة التلفونية التي نشأت حديثاً ما يعرف بالتلفون الاوتوماطيقي و بهِ يستغني مشترك التلفون عن الوسيط في « السنترال » فيحرك الجهاز حركة خاصة تفتح امامهُ الخط الذي يطلبهُ من غير ان يطلب ذلك من احد وسنشرح هذا الجهاز في فرصة الاخرى لضيق المقام الآن

التلغراف اللاسلكي

بيّن هرتس العالم الالماني الشهير سنة ١٨٨٧ ان الكهربائية التي تنطلق من مكثّف كهربائي تسبب شرارة قوية تموّج الاثير الذي حولها كانها حجر يرمى في راكد الماء فيحدث فيهِ دوائر تنتشر الى كل جهاتهِ وقد سميت هذه التموجات تموجات هرتس نسبة اليهِ لانهُ اكتشفها وقاسها واثبت انها سريعة جداً . فاذا استنبطت آلة تتأثر بهذه التموجات وهي منتشرة في الفضاء اصبح التحكم بها مستطاعاً فتنقل الاشارات الكهربائية في الفضاء من غير سلك وتلتقط بالآلة المستقبلة . فاستعمل هرتز اولاً حلقة من السلك لالتقاط هذه التموجات ولكن لم يلبث ان اهملها لان آلة هيوز كانت اتقن منها واكثر تأثراً . ثم استنبط الاستاذ كلزكي اونستي الايطالي آلة تفوق آلتي هيوز وهرتز وحسنها برانلي الفرنسوي ولُدج الانكليزي وغيرهما ودعاها لُدج الجامع او الرابط Coherer

واهتم مركوني بالاساليب المستعملة لكشف التموجات الكهربائية في الفضاء من سنة

١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٦ فصنع جامعاً مؤلفاً من انبوب صغير من الزجاج مفرغ من الهواء طوله نحو اربعة سنتمترات وقطره نحو ٤ مليمترات وفيه قطعتان من الفضة البعد بينهما نصف مليمتر وهذه الفسحة مملوءة ببرادة النكل والفضة ٩٥ في المائة منها نكل و ٥ فضة والقطعتان متصلتان من طرفيهما بسلكين من البلاتين في بطرية محلية. وبرادة النكل والفضة تفصل المجرى الكهربائي الجاري من هذه البطرية ولكن اذا فعلت بها تموجات هرتس المذكورة آنفاً اجتمعت دقائق البرادة بعضها مع بعض وصارت موصلاً للكهربائية فتتم دائرة البطرية المحلية وتبقى البرادة مجتمعة كذلك الى ان تهز لتنفصل وتعود الى مقاومتها الاولى للمجرى الكهربائي كما كانت و ينقطع المجرى

ثم اكتشف مركوني حقيقة كبيرة الشأن في تحقيق التلغراف اللاسلكي اذ وجد انهُ اذا وصل احد السلكين الذين في طرفي جامعهِ بلوح من المعدن ودفنهُ في الارض ورفع الآخر على عمود تمكن جامعهُ من التأثر بتموجات هرتس ولو كانت ضعيفة لقدومها من مكان بعيد . ثم صنع جهازاً مرسلاً لارسال التموجات الكهربائية المتتابعة في الهواء واستقبلها بجهازهِ المستقبل ومن اجزائهِ الجامع وآلة تدوّن علامات مورس التلغرافية فكان ذلك اساس التلغراف اللاسلكي التجاري المستعمل الآن

ولا نتولى هنا بسط التحسين الذي طرأ على اجهزة التلغراف اللاسلكي بل نكتفي بالاشارة الى اهم التواريخ في شيوعهِ كوسيلة للتخاطب

نجح ماركوني في يوم عيد الفصح سنة ١٨٩٩ في ارسال رسالة تلغرافية لاسلكية بين فرنسا وانكلترا فوق بحر المانش ثم فعل مثل ذلك بين سفن في عرض البحر ومحطات لاسلكية قائمة على الشواطئ. فلفت هذا العمل نظر العامة والخاصة الى هذا النوع الجديد من وسائل التخاطب فاقبل عليهِ جمهور من العلماء والباحثين زادوهُ اتقاناً بمباحثهم النظرية والعملية وأستعمل اسلوب ماركوني اللاسلكي في المناورات التي اجراها الاسطول الانكليزي في يوليو واغسطس سنة ١٨٩٩ فثبت ان سيكون لهُ شأن كبير في الحروب البحرية فوجهت الاميرالية الانكليزية وقيادة الاساطيل الاخرى اهتمامها الى ارتقائهِ

وكان مركوني يطمح الى ارسال الرسائل اللاسلكية فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي وشجعهُ على ذلك نجاحهُ في ارسال الرسائل اللاسلكية بين جزيرة و يت وجزيرة لزارد في يناير سنة ١٩٠١ والمسافة بينهما مائتا ميل . فاختار مكاناً لمحطتهِ اللاسلكية المرسلة في بولدهو بجنوب بلاد الانكليز واقام فيها آلات كهربائية قوية لكي تكون تموجات

هرتس التي تحدثها في الاثير قوية واتمّ بناء هذه المحطة وتجهيزها بالمعدات اللازمة في دسمبر سنة ١٩٠١ ثم اجتاز الاوقيانوس الاتلنتيكي الى جزيرة نيوفوندلند وجعل يستعد لاستقبال الاشارات اللاسلكية التي اتفق عليها مع معاونيهِ وفي ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ التقطت آلتهُ المستقبلة اشارة « S » وهي ثلاث نقط متتابعة حسب نظام مورس التلغرافي وكان قد اتفق عليها مع معاونيهِ ليرسلوها في وقت معين ازالة لكل ريب . فدهش العالم لما ذاعت الانباء بنجاح تجربة ماركوني وثبت للعارفين ان التلغراف اللاسلكي يمكن استعمالهُ على مسافات شاسعة جداً ثم اعاد مركوني تجربتهُ في فبراير سنة ١٩٠٢ وهو على الباخرة فلادلفيا وكانت على ١٥٥٧ ميلاً من المحطة المرسلة فدونت آلتهُ المستقبلة رسالة طويلة حسب نظام مورس الدولي ثم دونت حرف S والباخرة على ٢٠٩٩ ميلاً من المحطة المرسلة ·وثبت لهُ من تجربتهِ هذه ان الاستقبال في الليل اوضح منهُ في النهار.وفي ١٩٠٤ انشئت شركة لنقل الاخبار الصحافية باللاسلكي بين اميركا واوربا وكانت جريدة التيمس بلندن تتلقى انباء الحرب الروسية اليابانية كذلك وما وافت سنة ١٩٠٥ حتى كان كثير من البواخر ومعظم الاساطيل قد جهزت بآلات التلغراف اللاسلكي

التلفون اللاسلكي او الراديو

ان اذاعة الاخبار والخطب والالحان الموسيقية والاغاني بالتلفون اللاسلكي الى ابعاد شاسعة واستقبالها صار الآن امراً مألوفاً وهو قائم على مبدإ علمي بسيط مدارهُ ان امواج الصوت تؤثر في التموجات الكهربائية التي يولدها جهاز الارسال فتختلف في قوتها وضعفها باختلاف امواج الصوت ثم تنتقل في الفضاء بسرعة النور الى ان تلاقي اسلاك جهاز مستقبل فتثير فيها تياراً كهربائياً متناوباً تتلقاهُ الانابيب المفرغة وتحولهُ الى تيار مستمر وتقويهِ ثم يتصل بسماعة التلفون فيعاد صوتاً مسموعاً

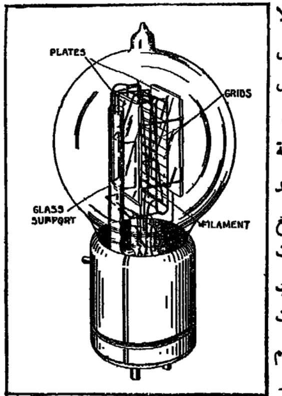
وتحقيق هذا المبدأ العلمي لم يكن مستطاعاً لولا استنباط الانبوب المفرغ — ويعرف علمياً thermionic valve — الذي يتأثر بالتموجات اللاسلكية مهما كانت ضعيفة فيقويها ويحولها الى تيار كهربائي مستمر . وقد كشف مبدأهُ العلمي المستر توماس اديصن سنة ١٨٨٣ اتفاقاً ثم اشتغل بهِ فلمنغ الانكليزي وتلاهُ ده فرست الاميركي فاتقنهُ

وآلة التلفون اللاسلكي تتألف من جهازين — جهاز الارسال وجهاز الاستقبال اما الاول فيتألف من آلة كهربائية تولد تياراً كهربائياً سريع التناوب يحدث في

الهواء التموجات اللاسلكية المطلوبة ،وآلة تلفون عادية يتصل فيها الصوت بالتيار المتناوب فيقويهِ او يضعفهُ حسب قوة امواج الصوت او ضعفها واسلاك مرتفعة تعرف بالهوائي ترسل التموجات اللاسلكية في الاثير

واما جهاز الاستقبال ففيهِ اولاً — السلك الهوائي الذي يلتقط التموجات اللاسلكية من الاثير . ولا يلزم ان يكون خارج البيت بل قد يكون في داخلهِ . وثانياً — آلة تتأثر بهذه التموجات التي يلتقطها الهوائي فتحوّل التيار المتناوب الى تيار مستمرّ وهي الانبوب المفرغ او thermionic valve ومن خصائصها تقوية التيار ايضاً .

وثالثاً — وسيلة لدوزنة الهوائي حتى لا يلتقط من الفضاء الأ امواجاً من طول معيَّن . ورابعاً — سماعة تلفون عاديّ يتحول فيهـا التيار الكهربائي صوتاً مسموعاً . وخامساً — الارض لتكملة الدورة الكهربائية



الانبوب المفرغ

هذه مبادىء التلفون اللاسلكي وقد طبقت في اميركا واوربا تطبيقاً واسع النطاق فتألفت شركات كبيرة انشأت محطات قوية لاذاعة الانباء والخطب والاغاني والقصص واسعار البورصات والتقارير التجارية والجوية وكل ما يهم الناس معرفتهُ في ساعات معينة من النهار والليل . وقد سمع كاتب هذه السطور في نيويورك خطبة ضافية للرئيس كولدج خطبها في وشنطن فكانت كل كلمة منها واضحة كل الوضوح وسمع في القاهرة موسيقى تذاع من ڤينا

وليس التلفون اللاسلكي من مزاحمي التلفون السلكي بل كلٌّ منهما مكمل للآخر . مثال ذلك ان باخرة كانت تمخر الاوقيانوس الاتلنتيكي على مئات الاميال من شاطىء اميركا الشرقي فتكلم احد رجالها مع رجل في جزيرة كاتالينا في الاوقيانوس الباسيفيكي والمسافة بينهما نحو اربعة آلاف ميل وكان الكلام واضحاً كل الوضوح . ذلك انهُ تكلم مع محطة

لاسلكية على الشاطىء الشرقي من الولايات المتحدة وهذه اتصلت بمركز التلفون السلكي فانتقلت الرسالة بهِ من شرق اميركا الى غربها ثم انتقلت بالتلفون اللاسلكي الى الجزيرة المذكورة

ومن الامور التي وجهت اليها الابحاث حديثاً توجيهُ الاشعة اللاسلكية في اتجاه خاص حتى يكتم ما فيها بعض الكتمان فلا تلتقطهُ الأ المحطات التي في ذلك الاتجاه. ويجرب مركوني منذ سنوات استخدام امواج لا سلكية قصيرة في التلفون اللاسلكي اذ لا يخفى ان طول الموجة اللاسلكية من الامواج التي تستعمل في المخاطبات التلفونية بين اوربا واميركا يزيد على الف متر وقد يبلغ ٣ آلاف متر ولتوليد هذه الامواج يجب بناء آلات ضخمة قوية تقتضي نفقات طائلة فاذا اسفرت تجارب ماركوني عن نجاحهِ في استعمال الامواج القصيرة والغالب انها تنجح كما يستدل من اقوالهِ — وفر كثير من الاموال والقوة التي تنفق في المحطات اللاسلكية الكبيرة

واتجهت الانظار في السنتين الماضيتين الى ارسال الصور باللاسلكي فوصفنا ذلك في غير مكان من المقتطف ونشرنا بعض الصور التي نقلت كذلك . ومن انباء اميركا ان احد الاطباء استطاع ان يعالج كسراً في يد امرأة بعد ما نقلت اليهِ صورة الكسر باشعة اكس لا سلكيًّا. فاذا اتقنت الاجهزة لنقل الصور لا سلكيًّا فلا ما يمنع في المستقبل ان يبقى الرجل في بيتهِ يسمع اغاني الاوبرا و يرى صور ممثليها تنقل اليهِ من المسارح المشهورة فيلتقطها بآلة صغيرة الحجم قليلة الثمن

هذا قليل مما تمَّ في تقدم التلفون اللاسلكي كوسيلة للتخاطب في السنين العشر الاخيرة . وقد اتسعت صناعة ادواتهِ في اميركا اتساعاً مكن اصحابها في سنة ١٩٢٤ من انفاق اربعة ملايين جنيه في الاعلان عنها . مع ذلك لا يزال شيوعهُ فيها اقل جدًّا من شيوع التلفون السلكي والاتوموبيل مع انهُ يفوق شيوعهُ في سائر البلدان كثيراً . فمن يستطيع التنبؤ بما يكون لهُ من المستقبل وقد خطا هذه الخطوات الواسعة في عشر سنين فقط !

نرى مما تقدم ان الحقبة التي حصرنا بحثنا فيها تمَّ فيها ارتقاء التلغراف الكهربائي السلكي الذي استنبط قبل ذلك واستنبط فيها التلفون والتلغراف السلكيان والتلفون اللاسلكي وما تفرَّع عنها . اما ارتقاء البريد وانتظامهُ فلنا عود اليهِ في جزءٍ تالٍ . وكل ما تقدم اشير اليهِ في اوقاتهِ بالتفصيل في مجلدات المقتطف

مذهب تناسخ الارواح

٢

آراء ومعتقدات

انتهى بنا الحديث في ما اسلفنا من الكلام على مذهب التناسخ الى ما تجري بهِ السنة اصحابه من الاسئلة التي يلقونها على المفكرين يعتزون بها و يعززون موقفهم حيال الملأ. وها نحن اولاء نعالج الموضوع مرة اخرى ونلج هذا الباب عسى ان نصيب قسطاً من صواب او نوفق الى شية من حق فنقول : واصحاب هذا المذهب على اعتقاد ان خلق العالم سابق لخلق آدم — قالوا وانهم قد تعلموا بواسطة الارواح — ان نكبات طبيعية قد انتابت هذا العالم مرات عديدة ، وان هذه الانقلابات ضرورية لتجديد سكان العالم الجسدي وتنشيطهِ بحلول ارواح جديدة فيهِ اشد استعداداً واكثر ارتقاء من السابقة ، آية ذلك ان النكبات التي تحل بالامم يعقبها دائماً اصلاح حديث في الحالات العقلية والادبية . قالوا : وان مثل هذا قد تم مع تعاقب الازمان وكر السنين مرات عديدة ، وان الروح التي حلت بجسد آدم قد انحدرت الى عالمنا هذا من عالم ارقى وقد ارمز عند تجسدها بشخص آدم فسميت عند ذلك بالذرية الآدمية . اما قبل هذا الظهور ، فكانت الارض عامرة آهلة بسكان نجهلهم كل الجهل كما كنا نجهل سكان اميركا قبل اكتشافها

يقولون : والكتب تؤيد هذا الرأي لانها تحدثنا عن ظهور ذرية آدم على هذه الارض فتخبرنا بانهم كانوا على شيء كثير من النشاط والذكاء ، وليس يعقل ان هذه حالهم الأ اذا كان لهم سابقة ظهور وانتقال ، لان ما كان فيهم من نشاط وذكاء واستعداد للفنون يدل دلالة لا شية من شك فيها على ان ناموس الرقي قد وليها زمناً قبل ان تنحدر الى هذا العالم ، وعلى انها ليست ترجع الى اصل واحد من الشعوب الهمجية المستقرة قبلاً فيهِ ، وان الآثار الجيولوجية والعلم الانثروبولوجي (علم تعريف الانسان) وكل ما ظهر للآن من الاكتشافات — كل ذلك يؤيد ويعزز هذا ويجعلهُ سائغاً مفهوماً

وهناك حديث شريف لو صحت روايتهُ لكان مصداقاً للرأي القائل بظهور اوادم كثيرة قبل آدمنا المعروف وهاك هو الحديث (ان آدم هذا قبله مائتا الف آدم) ثم ينسبون هذا الحديث الى النبي صلى الله عليهِ وسلم ولعلنا نوفق الى تحقيقهِ . اما ابو العلاء المعري

الشاعر الفيلسوف المعروف فله ايضاً ما يتفق مع هذا الرأي اذ يقول

جائز ان يكون آدم هذا قبله آدم على اثر آدم

والرأي عند اصحاب مذهب تناسخ الارواح ان الناس ارواح متجسدون قطعوا وسوف يقطعون مراحل كثيرة في تجسداتهم على سطح العوالم. وان عمليات التجسد هذه الغرض منها ، صهر النفس وتطهير الروح مما فيها من اوزار ، وانما مثل التجسد مع الروح كمثل بوتقة تدخلها الروح لكي تتنقّى مما فيها من الخطايا والميول الدنيئة . او هي ميدان جهاد وجلاد وحرب قائمة على ساق وقدم بين القوى الكامنة في الانسان حيث يستفيد من ذلك في تقوية مداركهِ وقواهُ العقلية فيصعد درجة جديدة في سلم الكمال المنشود

اما رأيهم في الخلق فيقولون انهُ اذا حان حين التجسد لروح من الارواح انبعث من هذه الروح رابط سيال يقيدها بالزرعة الناشئة وقت الحمل ، و يكون مدفوعاً اليها بقوة شديدة لا يحول دونها اي حائل فاذا تم تكوين الجسد ، تم بهِ الجسم الروحاني ذرة بعد ذرة عندئذ يخرج الجنين من حيز الى حيز و يظهر في ميدان الحياة ، ثم تبدأُ قواه العقلية تنمو وتأخذ ملكاتهُ سبيلها في الزكاء — شيئاً فشيئاً مع نمو الاعضاء

على ان المخلوق في حالة تجسده هذه ينسى كل ما فات ولا يذكر ابداً شيئاً مما انتابهُ في تجسداتهِ السابقة — لان الروح مغلفة بغلاف المادة متأثرة بكثافتها — فاذا صادف المخلوق في حياتهِ من الحالات ما يخفف ويلطف من كثافة هذه الاحياز المادية شفّ الغلاف المحوط بالروح وآنس الانسان مالا يأنسهُ غيرهُ في حالة الصحو ، وعلى قدر ما فيهِ من استعداد ، او على قدر ما قطع في سبيل رياضتهِ الجسمية ، على قدر ما يستطيع تبين الامور — المرموز اليها بما بعد الطبيعة ، او الغيبيات — وتلك ما يسمونها (كليرڤوايانس) حالة الكشف ، ولا يستدل بها على ما لصاحبها من كرامات تبعدهُ عن الجحيم وتدخلهُ النعيم المقيم ، او على صلاحهِ وطيبتهِ ، فقد يكشف عن الفاسق او المصروع والمأفون — لان هذه حالة استعدادية لا دخل لها بالصلاح والطلاح — وهو ما يوافق عليهِ الامام حجة الاسلام الغزالي ويقول بهِ

قالوا : وانما كان من حكمة الخالق سبحانهُ وتعالى ان ينسى المخلوق سابق ما كان في تجسداتهِ — وفي ذكر ما في هذه التجسدات من الفظائع والآثام ما يحدو الكائن الحي هذا — على الآلام واللوم والعذاب طوال الحياة الجديدة حتى اذا أتم ايام واعوام حياتهِ التجسدية وخرجت الروح من هذا العالم وفارقت ما تقمصتهُ من جسم مادي عاودتها تذكاراتٍ

الماضي — فآنست ما قدمت واخرت وما كسبت واكتسبت في كل تجسّداتها المادية ، ووجدت كل ذلك حاضراً ينطق بما كان لها من اقوال وافعال وحسنات وسيئآت

قالوا : وانما يبقى الروح في تجسداتهِ هوهو — وانما يتدرج العقل في معارج الرقي وسبيل التقدم وانما يتأتى له ذلك من قضاء ما يحتاج اليهِ الجسم من المعنويات ، وهو في جهادهِ هذا يتم مقاصد الخالق دون ان يعلم انهُ يقوم بذلك ، اما الرقي الادبي فيكون باحتياج الناس بعضهم لبعض الى الانسجام او التآلف الاجتماعي

وعندهم انهُ ليس من العدل ان يبقى الهمجي المتوحش طوال الزمن على حالتهِ هاتهِ من غير ان يذوق للعلم والرقي الادبي طعماً ولا لذة لان هذا يتنافى مع قواعد العدالة المطلقة وحكمة الخالق العليم الحكيم — ويتناقض مع ناموس الرقي العام وهو الأساس الذي تشيد عليهِ الطبيعة هيكل عظمتها . على ذلك يكون — ان المخلوق ينال في تجسداتهِ حظاً او قسطاً من الرقي — وهو مقدار ما يحتاج اليهِ او ما يؤهلهُ للمرحلة العتيدة من مراحل تجسداتهِ

بيد ان الروح تبقى بين كل تجسد وتجسد زمناً متفاوتاً هناك حيث نرى اعمالها وما قدمت من خير او شر — (ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره) هناك حيث يستعرض اعماله مصداقاً لقولهِ تعالى في كتابهِ العزيز . (ونخرج لهُ يوم القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليومَ عليكَ حسيباً) على حين ان الروح في هذا الدور تنال قسطاً موفوراً من الرقي الادبي يستحيل عليها ان تنالهُ في حالة تجسداتها ، ذلك بان الحياة في هذه الحالة تكون حياة روحية حقة تجتني فيها ما كسبتهُ من ثمار التقدم في جهادها ابان تجسداتها السابقة ، ثم هي من بعد ذلك تكون في حالة التوثب والتأهب والاستعداد للتجسد المقبل ، وما يحتاجهُ ذلك من معدات الجهاد والجلاد والكفاح فاذا تأتى لها الظهور في عالم من العوالم ، تبوأت مكانها الذي استعدت لهُ ، فاما ان تكون موفقة في حياتها ، واما ان تخرج للجهاد الدائم والجلاد المستمر — تقطع مراحل التجاريب في بؤس وشقاء ، واصحاب الدين المؤمنون بالله يستعيذون بالله من ذلك . اما المسيحيون فيقولون في صلاتهم (ابانا الذي في السموات لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد) .واما المسلمون فلهم مثل هذا كثير — منهُ قولهم — اللهم انا لا نسأ لك رد القضاء بل نسألك اللطف فيهِ

حسن حسين

الشيخ مرعي صبيح

قصة مصرية

كان الشيخ مرعي صبيح من صفط الشوق بمديرية البحيرة طويل القامة اسمر اللون مقسم الوجه هادئ النظرات يملك خمسمائة فدان ورث معظمها عن والدهِ وزاد التركة باجتهادهِ . قضى صباهُ ورجولتهُ في قريتهِ وهي دائرة من بيوت مبنية بالآجر والغاب تقطنها مائتا عيلة ومركزها بيت الوسية وبها مكتب ومضيفة ومطحنة وحوانيت لعطّار وبدّال وحلاق وطرقها مظللة باشجار الجميز والكافور وفي الجهة الجنوبية منها نصب جماعة من العرب الرحالة بيوتاً من الشعر وهم وسط بين الحماة والاضياف يرابطون باطراف القرى يرعون الغنم ويرعون الذمام. وكان الشيخ مرعي يقوم على الزرع بحذق وثبات ومخازنهُ ملأى بالحبوب والثمرات ومرابطهُ عامرة بالانعام والمضيفة لا يقفل لها باب ولا يرفع من ساحتها خوان . وكان الشيخ مؤْمناً ولكنهُ ترك الصلاة يعيش في دوّارهِ بسعادة ورخاء وهو متزوج من ابنة عمهِ ولهُ منها بنت وصبيان وكانت زوجتهُ رقية هادئة معتدلة وهي في الطاعة والقناعة والاقتصاد مثلهُ في الرجولة والغنى والكرم . كانت أُمّية إِنما يشعر قلبها بما لا يدركهُ عقلها تُشير بالرأْي الصائب في حياء وتواضع وقد ورثت عن ابيها ثلاثين فداناً تركتها لبعلها وكانت بينهما مودة ورحمة

في خريف سنة ١٩٠٤ سافر الشيخ مرعي الى القاهرة في عمل. فلما بلغها نزل في فندق « الضيف الكريم » وفي اليوم الثاني زار اضرحة الاولياء وفي الثالث قصد وزارة الاشغال لمصالحهِ وفي الرابع اشترى تحفاً وهدايا وعزم على الرحيل ولكنهُ احب ان يتمتع بما رآهُ في العاصمة فاقام اسبوعاً وفي كل يوم يستكشف ما يحبب اليهِ طول الاقامة ثم انتزع نفسهُ وفيها حسرة على الانزواء في ركن من الريف وحرمانهِ التمتع بالسعادة والجمال، فصمم على ان يعود قريباً الى المدينة التي كان لمناظرها وحياتها روعة في نفسهِ فان الحركة والانوار ومظاهر الثراء من فخامة المباني الى سهولة العيش فعلت بعقلهِ الفطري وطبعهِ الميال الى الترف فعل الشعلة بالفراش فجذبتهُ الى المدينة وحببتها اليهِ وقيدتهُ بقيود دقيقة متينة فاحب الجلوس على قارعة الطريق يعرض صوراً متحركة من المخلوقات الجميلة راكبة وراجلة، رافلة في حلل غالية متزينة بحلي فاخر، وان يتغذى باطيب الطعام والذ الفاكهة

و يدخن التبغ المعنبر في لفائف مموهة بماء الذهب وان ينشى اما كن اللهو البريء وغير البريء فشهد التمثيل للمرة الاولى وناهيك بوقعهِ في ذهنهِ الريفي فاستخفهُ الطرب فكان ينقبض كلما اسدل الستار ويضجر ، لولا ان تداركهُ جارهُ بان فصول الرواية لم تتم . وكان هذا سبب التعارف بينهما واذا بهذا الجار خليع خطر من ذوي الاخلاق المبهمة الذين اضاعوا ثروتهم الموروثة واخذوا يعيشون على هامش الحياة بالتطفل متذرعين بآثار النعمة ومتدرعين بسماجة لايعرفها الاَّ ذووها وهم على اكبر نصيب من اللؤم والفساد فتمكنوا بدهائهم من تمويه حقيقتهم باصباغ من الكياسة المصطنعة والادب المزيف كالالوان الزاهية تطلى بها الاحذية العتيقة

تحكك هذا الرقيع واسمهُ رفيق بك بالشيخ مرعي وسأَلهُ عن بلدهِ فاطمأَن اليهِ واسهب في الحديث عن قريتهِ واهلهِ وثروتهِ وغايتهِ من زيارة القاهرة ودهشتهِ من محاسنها وكان يتكلم باخلاص وصدق ورفيق يبني في خفايا نفسهِ المظلمة قصور آمال عالية ويرسم في زوايا ذهنهِ خططاً للتمكن منهُ والاستيلاء على ارادتهِ . ولو ان ناظراً رفع عن عينهِ حجاب المادة واستشف ما كان يجول بخاطرهِ في تلك اللحظة لرأَى اخطبوطاً تلتوي خراطيمهُ كالافاعي السوداء حول الريفي البريء . فاظهر لهُ انهُ من ذوي البيوت الكريمة وان لهُ اتصالاً باعلى مقام ، ودعاهُ في فترة الراحة الى المقصف ، وقدَّم اليهِ مشروباً فاعتذر فنظر اليهِ الرقيع باشمئزاز حتى اوشك الريفي ان يذوب خجلاً ويجيب دعوة الساقي ليتقي غيظ هذا النبيل العريق في المعاقرة لولا ان رفيقاً رأَى من حسن السياسة ان لا يُلحَّ وما زال يلاطفهُ حتى انتهى التمثيل فخرجا الى مطعم فخم فاكلا ما طاب ونهضا الى الفندق فعزَّ على الشيخ مرعي ان يترك صاحبهُ فدعاهُ للمبيت معهُ فاظهر الخليع عجبهُ واوهمهُ بعظائم الامور اذا قضي بقية ليلهِ بعيداً عن بيتهِ واهلهِ فعينا موعداً للغد . وعاد رفيق ادراجهُ قبيلَ الفجرِ بعد ان انفق كل ما كان معهُ مغتبطاً بحذقهِ في نصب الشباك لصيد ذلك الطائر الدمِث الساذج . اما الشيخ مرعي فقد حسبهُ من الاكابر وان بيده مفتاحاً لدواوين الحكومة وآخر للملاذ المحللة والمحرمة ومنذ تلك الصحبة تغيرت الدنيا في نظرهِ فصار يقضي اياماً في القاهرة واخرى في الريف للتزود بالمال ينفقهُ مع صاحبهِ.وكان رفيق يفتح امام الشيخ مرعي ابواب التبذير فيقتنص من المال المبذول ما يستطيع فيدَّخره ، و ينتفع بما تعلمهُ في حياتهِ السابقة من ضروب الاستغواء والحيلة فاخذ يبغض اليهِ حياة الريف فاصبح الشيخ مرعي ينفر من زوجتهِ ويزدريها و يَعيب عليها عُطلها

من المصوغ البرّاق ويخبرها عن نساء القاهرة بما اقنعها ان قلبهُ قد تحول عنها وان سفرهُ قد غيّر خُلُقه وصرفهُ عن اولاده وكان شديد التعلق بهم واقلقتها كثرة طلبهِ المال وانفاقهِ بغير حساب . فلما احسَّ بانها توشك تسألهُ عن اوجه الصرف وكانت موضع امانتهِ نقل المال المدَّخر الى خزانةٍ خاصة ليتصرف فيهِ بغير رقيب

واذ كان الشيخ مرعي مع صاحبهِ في احد الاعياد رأى كثيرين من الاعيان يتبخترون بثياب فاخرة بين شارع عابدين وشارع كامل فلفت رفيق نظرهُ الى عودتهم من التشريفات وحرَّك في نفسهِ شهوة تقليدهم والاندماج في صفوفهم

رفيق : « لا وسيلة للوصول الى تلك المقامات العليا الاَّ بالرتبة الثانية مع لقب بك. ان ثروتك ومكانتك بين قومك تحتمان السعي في الرتبة واللقب فتخلص من لفظ « الشيخ » وتصير فوراً سعادة مرعي بك صبيح »

مرعي : « واي عيب من لفظ الشيخ فانا ووالدي وجدي دُعينا بهِ وتعودناه »

رفيق : « مثل الشيخ الذي يقرأ في القرافة او شيخ الغفر او شيخ المنصر ؟ ! »

مرعي : « يوجد شيخ القبيلة وشيخ البلد وشيخ الاسلام »

رفيق : « لا انت عربي ولا ازهري ولا عضو في لجنة الشياخات »

مرعي : « الحق بيدك . لكن كيف السبيل ؟ »

رفيق : « اقرأ في جريدة المؤيد خبر الانعام على اربعة مشايخ اقل منك جاهاً بالرتبة الثانية وسوف يحضرون التشريفات » . . . ثم اسرَّ اليهِ عبارة طويلة خشية ان يسمعها احد الجالسين ، فظهرت على وجه الشيخ مرعي علامة التعجب ثم ابرقت اساريرو وجههِ وقال انتظرني يومين وفي الثالث . . ثم مال على صاحبهِ وهمس في اذنهِ بما شاء . . وبعد ذلك بشهرين نشرت جريدة المؤيد خبر « الانعام على سعادة مرعي بك صبيح عين اعيان صفط الشوق مركز شبراخيت بحيرة بالرتبة الثانية » فكان لهذا الانعام في نفسهِ رنة فرح يشبهُ فرح الجنود باعلان الهدنة !

وبادر سعادة البك الجديد بارسال نبإٍ برقي الى بلدهِ حررهُ رفيق بيدهِ وتلاهُ مراراً ومرعي يستعيدهُ ويعرض في ذهنهِ وقع الخبر على اقاربهِ وجيرانهِ ومزارعيهِ حتى انعام الدوار حدثتهُ نفسهُ بان لهذا الإنعام اثراً شديداً فيها ولا بد يشملها شعاع من نورهِ الوهاج !

اما رفيق فقد بلغ منهُ السرور لانهُ اصاب المرمى واصبحت مكانتهُ في قلب صاحبهِ

فوق كل مكانة فلا يخالف رأيهُ ولا يرد قولهُ . فافهمهُ غداة الانعام ان تغيير الزي اصبح واجباً وان العمامة والجبة من بقايا العصور الخالية وارسال اللحية قرينة البله والحذاء الاحمر علامة الفاقة . وقادهُ تواً الى الطرزي فقاس قوامهُ وخاط لهُ ثلاث كسوات ومعطفاً ومثلها لرفيق ثم اشترى لهُ اقمصة واربطة من الحرير الملون وساعة ذهبية وخاتمين ثمينين وعصياً جميلة مقابض بعضها من العاج والاخرى من الذهب الوهّاج وامر بصنع أحذية مختلفة الالوان وطبع لهُ « ورقة زيارة » باسمهِ ولقبهِ الجديد. هذا وسعادة مرعي بك ينفق بسخاء ورفيق يأخذ سرّاً وجهراً ويمنّيه بمظهره يوم التشريفات حتى ايقظ بحذقهِ في الوصف ذلك الخيال الخامد الذي ورثهُ مرعي عن ابائهِ واجدادهِ

ولما عزم مرعي على العود الى بلده صمم رفيق على مصاحبتهِ ولشدّ ما دهش اهل البلد عند ما ظهر الركب وفي مقدمتهِ سعادة البك على ظهر مُهرة مطهمة وقد دفن العمامة وذبح اللحية ولبس الطربوش والسترة وبجانبهِ حميمهُ رفيق على حمار ابيض عالٍ ، وخلفهما الاقارب والاصحاب فرفع نساء القرية عقيرتهن بالزغاريد كأنها في الفضاء اصواتُ الافاعي الحائرة ! وكان فرسان القرية يتسابقون امام الموكب ويتراشقون بالنشاب على نغمات « الفناجيلي » ونشيد المواويل على الناي والارغول . ولما توسط الموكب « شارع داير الناحية » اطلق « إسبتان دخيل الله » العربي واولاده بنادقهم في الهواء فاصاب طلق منها وجه فتاة صغيرة اسمها شوق بنت « ثعلب الدهشان » فافقدها البصر . . فدفع سعادة البك لاهلها مائة جنيه تعويضاً . ثم مُدَّت الموائد ووفد المهنئون من صفط الملوك وخربتا وميت غراب وكوم شريك وإيتاي

كان لدخول مرعي على زوجتهِ رُقيَة روعة فنظرت اليهِ بوجل ونظر اليها باحتقار . وكانت عادتها ان تقبّل يدهُ لدن عودتهِ فلم تجرؤْ . ثم نظرت الى طربوشهِ « وبنطلونهِ » وبكت ، فانفعل الرجل غيظاً وخجلاً ، وقال لها « لماذا تبكين ايتها المرأة » فقالت « من شدة الفرح » وحاولت الضحك ولكن عينيها خانتاها وتفجر منهما نبع دموع حارة تصحبها أنّات وزفرات ، بكاء المغلوب الذي فارق عزيزاً وفقده ! وكان الاولاد على مقربة من امهم فلما رأوا هذا البكاء بكوا وجثموا تحت اقدامها ، فهاج غضب مرعي . وقال لها « ماذا جرى ايتها المرأة الجاهلة » فلم تجب فازداد غيظاً . فسمع بعض الاقارب صوتهُ فاطلوا من الباب فصرخ في وجوههم ونسب الى زوجتهِ انها جلبت عليهِ الفضيحة والخراب ثم اقسم يميناً بالطلاق ! واقسم ان لن يبيت في البلد ولن يهدأ حتى

يتزوج من اهل القاهرة . فصرخت رُقية من اعماق قلبها وولولت ، فانقض الشيخ مرعي على خزائنهِ واخذ كل ما وجده فيها ، وخرج من الدوار كالمجنون فتبعهُ رفيق بك كأنهُ متربصٌ لهذا الحادث ، ولم يحاول تهدئة خاطرهِ ، وامر الخدم باعداد الركائب . وسرى نبأ الطلاق في القرية سريان الشؤم السريع فخفتت الاصوات وانفضَّ الناس ، وركب مرعي ورفيق ، وعادا ادراجهما في ضوء القمر الى محطة « صفط الملوك » . فانتهز رفيق فرصة هذا الخصام ليقطع كل علاقة بين مرعي واهلهِ وبلده فزيّن لهُ فكرة الزواج الجديد، وقال لهُ « ها انت خلصت من الست الريفية وطلقتها »

مرعي : « طلقة واحدة وهي بنت عمي ولا يهون عليَّ فراقها »

رفيق : « هذا صحيح ولكن طلقة واحدة مثل ثلاثٍ في نظر الناس ثم ان حياة الريف اصبحت لا تلائمك بعد الرتبة والقيافة والتمدين »

مرعي : « من يباشر الاطيان والزراعة؟ »

رفيق : « لم يخلق ناظر الزراعة والخولي عبثاً ! والامراء يملكون الشفالك و يعيشون في العاصمة » مرعي : « والست والاولاد ؟ »

رفيق : « تذهب الى بيت اهلها والاولاد في حضانتها »

فصمم مرعي ان يُبقي على البيت وان يزور البلد كلما استطاع ولكنهُ وافق صاحبهُ ظاهراً ليسعى لهُ في الزواج الجديد . . .

كان في الحلمية الجديدة بيت قديم يقطنهُ احد ارباب المعاشات المتهدمين وتربطهُ برفيق معرفة قديمة ولهُ ثلاث بنات كبراهنَّ في الثلاثين اسمها وجيدة شقراء شهلاء ذات مزاج لمفاوي وهي التي اختارها رفيق لصاحبهِ ، رفيقة حياتهِ الجديدة ، ولم يقصر في استغلال الخطبة والعقد والزفاف ، فدفع مرعي اضعاف ما تقتضيهِ تلك الحفلات الثلاث عدا اتعاب الخاطبة وثمن الشبكة ونفقة الاعياد . . كانت العروس فتاة حكماً ، شديدة الاعجاب بنفسها تحب ذاتها اكثر من كل شيءٍ وتنفق كل ما يصل الى يدها في الثياب والزينة ، لغرامها بالازياء المستحدثة المتقلبة ، اكثر من تعلقها بالمصوغ القيّم فتفضل حذاءً مذهباً على خاتم ثمين ، و بقدر شغفها بالمال، لا تعرف لهُ قدراً فتنثرهُ بغير حساب في كل سبيل ما عدا سبيل الاحسان ! وكانت نهمةً لا تفتر دقيقةً واحدة عن ازدراد الحلوى بانواعها كانها تعوض في زواجها ما فاتها في طفولتها ولم تكن في قلبها عاطفة معينة فلم تحب اهلها ولا زوجها وكانت كسائر البنات تمني نفسها بالاقتران بشاب جميل غني ، فجاء نصيبها

في كهل من سراة الريف، فلم تفرح ولم تحزن ، ولم تفكر قط في حوادث الدهر التي ساقت اليها هذا البطل الصامت. ولم تسألهُ قط عن بلدهِ واهلهِ لانها سمعت ان اباها المتهدم ضمن لها الاقامة في القاهرة .اما الشيخ مرعي فكان يكتم عنها امر زوجتهِ واولادهِ طوعاً لامر رفيق بك لئلاَّ تغضب تلك الزوجة المتمدنة التي كانت تطلب منهُ المال لنفسها ولاختيها ولنفقة المنزل ولامّها ، اذ كانوا يعدونها صرافًا لبنك مجهول فتحت لهم بهِ الاقدار حسابًا جاريًا لاحد لهُ! اما علاقة النسب فكانت خيالاً اوروْيا تُفَسر بعكس ما يرى النائم فكان مرعي اذا شكا لرفيق كثرة الطلب يحذرهُ لئلاَّ ينسبوا اليهِ الشحّ ويقول لهُ: « الافضل ان تلوم ناظر الزراعة والخولي» وما زال بهِ حتى حصل منهُ على توكيل رسمي جعل لهُ حق التصرف في المحصول وتأجير الاطيان والاستدانة لسد نفقات الزراعة وتعيين المستخدمين وعزلهم

وكان الشيخ مرعي قد تعلم القمار ، والمضاربة وشرب الخمر . والتفّت حولهُ عصبة من سماسرة السوء يحسنون لهُ كل قبيح باشراف رفيق يستغلونهُ بما يفتحون لهُ من ابواب الانفاق بغير حساب و يسهلون لهُ الاستدانة على الاطيان بالربا ثم الرهن بالبنك العقاري و يقنعونهُ بان التأخر في سداد الاقساط من ابسط الاشياء بل انهُ مقصود بالذات في معاملة البنوك . . وبعد زواجهِ الجديد تقدم اليهِ حموهُ وقال لهُ إن معاشهُ لا يكفيهِ ، وانهُ يدفع نصفهُ اجر سكنهِ ، وطلب منهُ في ادب ولين ان يشتري البيت من مالكهِ السيد عمر فرويز بالف جنيه فتأثر الشيخ مرعي ولم يذكر اثناء تأثره ما رواه رفيق قبيل النسب عن ثروة حميهِ! ولما خلا بزوجتهِ تلك الليلة بالغت في مجاملتهِ وطلبت اليهِ ان يشتري البيت وفي الصباح التالي تقربت اليهِ حماتهُ وتوددت بان قدمت القهوة بيدها ، وتمنت لو يشتري البيت ولما قابل رفيقًا عصراً في قهوة « ماجنفيك بار » فاتحهُ في الامر فحبذهُ بتعديل وهو تحرير العقد باسم وجيده ومباغتتها بهِ فتفرح ويكبر قدره في نظرها . وقام رفيق بالوساطة بين فرويز ومرعي حتى تمت الصفقة وتحرر العقد باسم وجيده واهداهُ اليها وكان الامر على غرة من ابيها ووالدتها واختيها فبهتوا جميعًا . ولم يشكرهُ احد! ولكنهُ لاحظ بسلامة نية ان مكانة رفيق ارتفعت في نظر وجيده فكثر تردده كأنهُ احد المحارم الاقربين . ولم يلبث حموه ان مرض فاحضروا لعلاجهِ طبيبًا اختصاصيًّا فحرر تذكرة الدواء ثم شهادة الوفاة كالعادة المألوفة، وكأن شراء المنزل كان آخر آمالهِ فلما تمّ على غير رغبتهِ انطفأ سراج حياتهِ الضئيل. فحضر رفيق وخاطب مرعي في وجوب تجهيز المتوفى من ماله فلم يتردد . وطلبوا منهُ في اليوم الثاني ثمن ثياب الحداد لجميع اهل الدار ، وفي

الثالث اعدوا على حسابه الفطير والنُقل والفواكه . ثم خاطبوهُ في اثعاب النادبات وثمن «تركيب» من الرخام لقبر المرحوم. وبعد الاربعين تقدم رفيق الى مرعي بك بشابين وسيمين عليهما آثار نعمة قديمة واخبرهُ انهما حفيدا «الحربوطلي باشا حاكم ولاية آضنه» وان لهما قضية شرعية بشأن اوقاف المرحوم جدهما التي تقدر بآلاف الافدنة وانهما جاءا يخطبان تفيدة ونعيمة شقيقتي وجيده هانم ، ثم افضى اليهِ بان هذا النسب يقربهُ من الامراء ويربطهُ بالبيوت القديمة ويجعل كلمتهُ نافذة في الحكومة ، وقد يصيب نصيباً من تلك الاوقاف المتسعة. فرحب مرعي بك بهما وقبل الخطوبة واسرع رفيق في عقد الزيجتين ووحّد حفلتي الزفاف ولم يدفع الفتيان النبيلان صداقاً ولم يبذلا نفقة لان قضايا الاوقاف لم يفصل فيها ، ولم يرَ رفيق بك بأساً في اقناع مرعي باقراضهما قرضاً حسناً وانتظار الميسرة . فانفق الشيخ مرعي على الفرح كما انفق على المأتم. ولما زُفّت الشقيقتان الى الشقيقين عاش الجميع عيشة البذخ والدلال في كنف سعادة البك زوج الشقيقة الكبرى

(التتمة في الجزء التالي) محمد لطفي جمعه المحامي

رباعيات فرحات

عن قريب يظهر ديوان الرباعيات لالياس فرحات . وقد خدمني الحظ بأن قرأتهُ فاحببت نشر شيء منهُ لقراء المقتطف مع ذكر الداعي الى نظم بعض الرباعيات

الياس فرحات حرّ الطبع مثل ابن بلدتهِ المرحوم الدكتور شميّل وهو مثلهُ ايضاً في اكثر فلسفتهِ او بالحريّ في نظرهِ الى الحياة

وحرّية طبعهِ كثيراً ما تجيء ممتزجة بشيء من النكتة اللطيفة ، من ذلك انهُ تعرّف الى آنستين بارعتين في الجمال ممتازتين في الادب وكان يومئذٍ عازباً فلم يدرِ الى ايتهما يميل بل كان يشعر انهُ يميل الى الاثنتين ، فنظم البيتين الآتيين وانشدهما في حضرة الآنستين :

لو كنتما مثلي وكان الامر يُلقَى في يَدِي
لجمعت بينكما على دينِ النبيِّ محمدِ

واما رباعياتهُ فكلّها جدية انتقد فيها ما رآهُ وسمعهُ وتألم منهُ . ولأكثرها اسباب او حوادث شخصية حملتهُ على نظمها. من هذه الاسباب انهُ نظر الى اختلاف المذاهب والنزاع

الدائم الذي ينجم عنهُ حتى في المهجر وبنوع خاص حيث كان يجول فنظم الرباعية الآتية حاضًّا المهاجرين والمتخلفين على التآخي والبيت الاخير منها زبدة فلسفة التساهل :

يا جارُ جارَ عليَّ الظالمونَ كما جاروا عليك ولم نرحل ولم نثُرِ
نخشى الغريب ونخشى بعضنا فاذا حلَّ البلاء شكونا الضيمَ للقمرِ
فيمَ التقاطع والاوطانُ تجمعنا قم نغسل القلب مما فيهِ من وَضرِ
ما دمتَ محترماً حقي فانت أخي آمنت بالله او آمنتَ بالحجرِ

يعتقد فرحات ان اساطير السلف وصلت الينا مشوَّهة وان اصلها كلها حكمة وفلسفة من الطبقة العالية ، ولكن الجمهور يستبدل التفسير الحرفيَّ من التأويل الخياليّ او الرمزيّ فيقذف بهامن حالق الحكمة الى حضيض الخرافة . وكلما ظهر معلم انتقد على شعبهِ اعتقادهُ معيداً تعليم من سلفهُ باسلوبٍ خيالي او رمزيٍ يفهمهُ ابناء يومهِ. ولكن الشعب ذاتهُ يعود بعد موت المعلم الى التفسير الحرفيّ فيتحول تعليمهُ الفلسفي الى خرافة يضحك منها من يخلفهم. فقال

نتلو اساطير اسلاف الورى فنرى جهلاً غريباً وخلطاً في الديانات
والجهلُ والخلطُ ما زالا كما عُرفا منذ الوجودِ سوى بعض اختلافاتِ
هذه عقول بني حوَّاءَ ما برحت عمياء تسبحُ في بحر الخرافاتِ
انَّا ضحكنا من الماضي ولا عجبٌ ان كان حاضرنا اضحوكة الآتي

مشاهدات الشاعر في بيئتهِ التجارية كثيرة . فوصف نَهَم الكبار الماليّ ذاكراً ان لا حرام عندهم ولا حلال ؟ وان طرق السلب الشرعية كثيرة وانهم يبتلعون الجَمَلَ ولا يغصون ويأكلون الدود ولا يأنفون فقال

المرءُ شرٌ سباع البرّ قاطبةً خبثاً وشرٌ تنانين البحار معا
قولوا عن الذئب ما شئتم فسامعكم بمثل غدر ذئاب الناس ما سمعا
الذئب يترك شيئاً من فريستهِ للجائعين من الذئبان ان شبعا
والمرءُ وهو يداوي البطن من بشمٍ يسعى ليسلب طاوي البطنِ ماجمعا

متى كثر المال كثر الرياء والخداع . فترى الرياء في الزيارات وفي الظهور في المحلاَّت العمومية . وقد بلغ حبّ الظهور والخداع الاجتماعي بالناس ان صاروا لا يهتمون الاَّ بالازياء وما شاكلها من المظاهر الخارجية ولا يحترمون الاَّ من كان امهر منهم في النفاق والتظاهر . وصار بعضهم يكتفي من السعادة والوئام العائليّ بالبروز للناس بمظهر السعادة مع انهم بالعكس. والشاعر عرف بالمشاهدةِ الشخصية عائلات كثيرات

حياتها الداخلية تعس وجحيم ومظهرها الخارجي رغد ونعيم ، فوجّه هذه الابيات الى كل صبية تبحث عن مستقبلها ناصحاً لها اللطف والحب ولو في كوخ حفّار

يا ربة الدار ما هذي الحياة سوى روايةٍ انشأتها فكرة الباري
فمثّلي للورى فصل الحمامة في حبٍّ ولطفٍ ولو في كوخ حفّارِ
كم في « الاوادم » من زوجين ما برزا الأ بسيّارةٍ تزهو كسيّارِ
فان تضمهما جدرانُ قصرهما قاما بتمثيلِ فصلِ الهرِّ والفارِ

عاشر الشاعر قوماً في اميركا فلقوا الكون بمفاخرتهم بجدودهم ، فكلما دقّ « الكوز بالجرّة» قالوا « نحن ابناء المردة » . يحمل البرق نبأ اختراع في اوربا فيقولون «ولكن نحن ابناء المردة » . او يقدم جماعة من الامركيين على مشروع كبير مفيد فيسخرون قائلين « ولكن نحن ابناء المردة » . يحتل الغريب بلادهم ويذيق ابناء جنسهم الذل الواناً فيفتخرون بانهم ابناء المردة · وتصوّر انهم اذا ساقهم حاكمهم الى اشغال السخرة عاناتٍ عاناتٍ والسياط تلهب ظهورهم ، يترنمون قائلين نحن ابناء المردة ، فقال فيهم

قالوا الحفيد بشكل الجدّ قلت لهم الشكل يجمع بين الهرّ والنمرِ
قلّبت في كل قطرٍ ينزلونَ بهِ عيني فما وقعت الأ على هررِ
مات الجـدود وما زالت مآثرهم تحيي وعشنا بلا ذكرٍ ولا اثرِ
تحت السياط نغنّي فاخرين بما يُعزى لاسلافنا من سالف الظفرِ

حاول الشاعر التجارة مثل كثيرين غيره من الادباء فكانت حرية افكاره وصراحتهُ عقبةً كؤوداً في سبيل كسبه المال . وكان يرى جماعة لا تهذيب نفس لهم ولا تثقيف عقل ولا ذكاء فطرة فيهم، يفتحون ابواب التجارة « بشولم شولم » غشهم لا يستثنى واحداً منهم . ورأى عدداً من الادباء قد كفّنوا ادبهم وخلقهم بالبضاعة ودفنوهما في التجارة فأثروا . وتذكّر نصيحة عليّ بن ابي طالب لمن يصحب التاجر ، فقال :

يا شاعر العرب احذر ان يقال غداً كل التجارة أعمى شاعرَ العربِ
سر في سبيل العلى الشوّاك منفرداً وليذهب الناس افواجاً مع الذهبِ
ان التجارة للاخلاق مقبرةٌ أما النسائجُ فالاكفان للادبِ
إن ضاق عيشك كن مسّاح أحذيةٍ لا تاجراً يغتني بالغشّ والكذبِ

في الرباعية الآتية نظر الشاعر الى ابعد من حياة الافراد ، نظر الى حياة الشعوب. كان يرى بعينه السماسرة والتجار واصحاب الصناعات يكرمون من لم غاية من اكرامه حتى

اذا قضوا منهُ وطرهم لم يتنازلوا في اليوم التالي الى ردّ تحيتهِ . كان يرى رفقاءهُ الجوّالين معتمدي المحلات التجارية يتودّدون الى تجار الداخلية لكي يحصلوا منهم على طلب بضاعة واذا اتفق بعد زمن ان رأوا احد هؤلاء التجار في سانبولو اور يو دي جانيرو حادوا الى الرصيف الآخر لكي لا يراهم الاَّ اذا كان لهم مأرب. كان المثل المشهور «مأرب لا حفاوة» يمثّل امام عينيهِ كلّ يوم مراراً بأدوار مختلفة فكان يتألم آلاماً نفسية شديدة . إلاَّ ان آلامهُ صارت لا تطاق لما التفت الى الشعوب الشرقية ورأى بعض الاجانب ينهشونها ، والبعض الآخر يعطفون عليها ، فكان يتألم من العاطف اكثر من الناهش لان غاية ذاك ابعاد هذا لكي يستأنس بهِ الشرقيّ فيزدردهُ دفعةً واحدةً. ومراد الشاعر من الكبش في البيت الاخير الشعوب الشرقية اي انهُ لو عرف الشرقيُّ غاية الغربيِّ من التودّد اليهِ لرفض منهُ كل معروف واحسان تجاريًّا كان او سياسيًّا او مدرسيًّا او دينيًّا . قال

لا يخدعنك محتاج اليك اذا	في ما يسرّك من امواله بذلا
ان ابن آدم لا يعطيك نعجتهُ	الاَّ ليأخذ منك الثور والجملا
جهل البريء طباع المجرمين وما	شبّوا عليهِ عليهِ يجلب الاجلا
لو يعرف الكبش ان القائمين على	تسمينهِ يضمرون الشرّ ما اكلا

استبدت انكلترا في اثناء الحرب بالدول الصغيرة ، بتوقيفها المراكب وتفتيشها. وكان الناس يشفقون على الدول الصغيرة مثل دانمارك وهولاندة كلما حصل اعتداء على حرّيتها. ولكن الشاعر تذكّر ان هولانده لما كانت قوية كانت تستبدّ ايضاً ومرّ بباله هجومها ظلماً وعدواناً على البرازيل واحتلالها قسماً منها وقيام الشعب البرازيليّ قومة رجل واحد لمحاربة الهولانديين وطردهم من البلاد ، فقال

معنى العدالة روحٌ طار مبتعداً	واللفظ جسمٌ طواه الناس في الكتبِ
يشكو الضعيفُ القويَّ المستبدَّ وان	يقوَ استبدَّ وما في الامر من عجبِ
فالخير في البعض بالتهذيب مكتسبٌ	والشرُّ في الكلِّ طبعٌ غير مكتسبِ
لم يخلقِ الله أنياباً محدّدةً	للمرء فاعتاض عنها أنصُلَ القضبِ

***

هذه امثلة من ديوان الرباعيات النفيس الذي نترقب صدورهُ ، ورباعياتهُ كلها تستبق الامتياز

البرازيل كوريتيبا — علي عطّار

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيبا في المعارف وانهاضا للهمم وتشحيذ للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

اسلوب الفكر العلمي

نقد وعتب

قرأت في مقتطف فبراير الماضي مقال « اسلوب الفكر العلمي » فرأيت كاتبهُ الفاضل قد تعرض لافراد وجماعات فمرّ بالمرحوم السيد جمال الدين الافغاني ،وعلى ذكرهِ تحدّث عن العقلية العربية او الفلسفة العربية كما تحدث عن حركة مصر السياسية الاخيرة ، ووردت خلال ذلك قضايا كثيرة يوجب الانصاف التاريخي وحرمة الحقيقة النزيهة مناقشتها ، وذلك ما اريد التعرض لبعضهِ في كلمتي هذه

وضع الكاتب العرب في الدرجة الثانية من درجات — اوغست كونت — وهي التي وصفها بانها لا تعنى من تفسير الظواهر الأ بنسبة كلٍّ منها الى مصدرهِ الاول ، وانها لم تلقِ بجهودها في معرفة السنن التي تحكم العالم، ولم يتحد العقل والمشاهدة فيها ليكوّنا اساس المعرفة واخيراً وصف عقليتهم بانها « عقلية وقفت عند حد الاسلوب الغيبي لم تتعدَّهُ وتنكبت كل سبيل كان من الممكن ان يصل بها الى الاسلوب اليقيني » وان تلك العقلية في جمال الدين الافغاني قد ناءت بجماعها على نواة الاسلوب اليقيني التي كانت تُجمع في افكار الامة فلم تقو على محوها ولكن عاقت خطاها ولا تزال تعوقها عن الانبعاث في سبيل الحرية الصحيحة ... الى آخر ما اراد الكاتب ان يهوّل

ولكن هذه العقلية قد ورّثها جمال الدين لتلميذهِ الاستاذ الامام المرحوم الذي كتب منذ حوالى ربع قرن عن حديث السنين الكونية ما كتب حين تفضل بمناقشة صاحب كتاب فلسفة ابن رشد في دعوى كهذه زعم فيها ان العرب لا يقولون بالاسباب والمسببات

تديناً ، ولا يزال ما كتبهُ في حكمتهِ ومتانتهِ خير صورة لاسلوب الفكر العلمي ، ومثالاً لتلك العقلية التي نعتها الكاتب بما شاء وهو في منالهِ يحسن صنعاً ان راجعهُ او نظر فيهِ ، هذه العقلية التي هذّبها جمال الدين يعرف لها التاريخ بحق وستدين لها الامة يوم تعرف نفسها جيداً بسابغ الفضل على مختلف فروع نهضتها التي ينكرها الكاتب ايضاً

وهلاَّ تعطف فوضعهم في اول مرقاة للدرجة الثالثة وقدر شيئاً مما يشهد بهِ المؤرخون المنصفون من الاجانب او ما يقررهُ اساتذة الجامعات الحديثة من ان العرب هم واضعو قاعدة « جرب واحكم » وانهُ ليرى هذه الشهادات فيما ترجم من كتب امثال « سيديو » و« جوستاف لو بون » وما نشر في الصحف والمجلات من هذا ، وهلاَّ يشفع للقوم عندهُ طب تجريبي وفلك تحقيقي وهندسة تطبيقية وكيمياء عملية كانت الاساس لهذا العلم الحديث، ومشاهدات صحيحة وملاحظات عميقة في العلوم الطبيعية ، وتصحيح لاخطاء يونانية ، وغير هذا مما يسجلهُ التاريخ و يعترف بهِ اهل هذه العلوم ؟؟؟

وهلا يقدر الكاتب ان دارسي آثار هذا العقل العربي يشكون من الشكوى من امعان القوم في الافكار وتقليب الفروض والمطالبة بالبرهان حتى ينتهي الامر الى بديهية ، و يرتكز على المشاهدة او المسلَّمات العقلية ، وان للقوم نظاماً للبحث اخرجتها عقلية ناضجة لم تكن تقول هكذا خلق الله ، وهكذا جرى العمل ، بل كانت تدفع بقوة وشدة الى النظر والفكر والتدبر والبحث ولا تزال قواعدهم فيهِ اسلم منطقية وامتن مما نرى الآن ونسمع ، ولا ازال انصح للكاتب ان يقيس بها احكامهُ لئلاَّ يقدم على مثل هذه الاتهام المجرد ، والتهكم الشنيع ، والحكم القاسي دون برهان ولا شبهةٍ ، ولا يعتدل حتى يعرف للقوم شيئاً ولا ينزل على رأي المنصفين فيهم

وانكر الكاتب ان للعرب مدارس فلسفية ، واشار الى انهُ ذاعت بينهم مذاهب فلسفية نقلها المترجمون وجلهم من النساطرة واليهود ووثنيي حران . . . الخ كأنهُ يرى في هذا منقصة ما ، وكأن الحضارة كانت حضارة عربية الدم والجنس . وهذا ليس في شيء من الحق لانها حضارة الاسلام نشأت في كنفهِ وعلى يد الامم التي الف بينها وازال عنها فوارق العصبية ، فتسابقت جهود افرادها على اختلاف نحلهم واجناسهم في سبيل العلم والمعرفة على حين قبرت العصبية العربيةَ — في القرن الثاني بقتل الامين — وتقلص ظلها حين كان يمتد رواق هذه الحضارة الاسلامية العربية اللسان والمزاج فلا شيء في نقل النساطرة والوثنيين واليهود . ولا وقت عند القراء للحديث في هذا فلا نطيل الكلام

عن هذه المدارس لان الكاتب قد اعترف ان مدارس المعتزلة قد يصح ان تدعى مدارس بحق الأ انها ترجع في اصلها ونشأتها الى النظر الديني المشوب بالفلسفة ، كما قال عنها وعن مدارس الاشاعرة وان جماع هذه المدارس وما يجري مجراها مذاهب لاهوتية استعانت بالفلسفة و ببعض النظر الفلسفي دون بعض. فهل لهُ — اصلحهُ الله — ان يقول لي ما هذا اللاهوت في الاسلام ، وكم مجمعاً اسلامياً عقدهُ القوم لتحرير مذهب او بحث نظرية ،وما الذي كان يتلقنهُ السلف الاول وهم اصدق الناس فهماً للدين؟؟؟ وما الذي احتاج اليهِ الاسلام قرناً ونصفاً قبل الفلسفة ثم ما الذي استعان بهِ بعد الفلسفة في سبيل تذليل عقبة من عقباتهِ على نحو ما قد تكون المسيحية قد فعلت ؟؟ الأ ان حكم التاريخ وشهادة الزمن ان الخوض في هذه الكلاميات لم يسبق الفلسفة بل انها ابحاث ترجع الى الفلسفة الصرفة التي لم يحتج اليها الدين ، والكاتب يعيش في بلد اسلامي ففي مكنتهِ ان يعرف ان ليس في قواعد الاسلام الا شهادة الأ اله الأ الله وان محمداً عبدهُ ورسولهُ وان البدوي كان يتلقن هذه القواعد في جلسة قصيرة ، وان الفلسفة بعد ذلك خلقت كل هذا ، وخاضت حتى فيما نهى عنهُ ، وذلك عمل مدارس القوم التي كانت فلسفية صرفة شابها شيء من النظر الديني لا مدارس دينية شابها النظر الفلسفي

و يقودني حديث اللاهوت الذي ذكرهُ الكاتب الى عبارة اخرى وردت في مقالهِ اذ يقول — فالمدرسة القديمة قائمة بين ظهرانينا تتبع سبيل النظر الغيبي بل غالب ما ترجع سعياً الى النظر اللاهوتي — ولعل هذا النظر اللاهوتي شيء مما نقلهُ الكاتب عن «مرتز» في صدر مقالهِ اذ يقول —.. . والزمان الذي تقشعت فيهِ عن المدنية سلطة اللاهوت وزمان الاصلاح البروتستانتي » . فاقول للكاتب ومن رأيتهم من القوم ينحون منحاهُ كثيراً ان هذا الاسلام شيء آخر غير ما تسمعونهُ عند الاوربيين من امر اللاهوت ، ان لديهم كنيسة وسلطة ورجالاً يربطون ويحلون ،وقد وقفوا في سبيل العقل يوماً ما وحرموا وحاكموا وعذبوا على حين ليس لديكم من هذا ولا يكاد يشبههُ شيء على حين ان لا رياسة في دينكم ولا سلطة ولا حل ولا ربط ولا اعتراف ولا احلال ، بل على حين ان هذا اللاهوت لفظ لا معنى لهُ في الاسلام ، لان الاسلام اصلاح عملي حيوي لا يقدس شخصاً ولا يتقيد بشيء ، ويحض على نظر ما في السموات والارض ، ويجعل استعمال العقل شكراً لمنعمهِ ، وعلى حين يقول المرحوم الاستاذ الامام — تلميذ جمال الدين صاحب العقلية اياها — ان الكتاب الكريم لا يعرض لتقرير نظريات العلوم لئلا يقف في سبيل العقل

ويجدّد قواه ، مع انهُ هو يستثيره ويستنهضهُ ليستثمرهُ في تعميم اصلاحهِ فلئن شكا القوم سلطة اللاهوت وعدّوا الزمن الذي تقشعت فيهِ سلطتهُ عن المدنية فاتحة عصر جديد فلا تشكوا معهم وانتم الاصحاء ولا تقعوا في مثل خطأ الاتراك الذين سمعوا حديث السلطتين فذهبوا يقيمون للاسلام بابا وخليفة صاحب سلطة روحية ؟ واري هذا الخطأ يبدو في مظاهر مختلفة ولكن هذه العجالة لا تتسع لها فالى فرصة اخرى وحسبنا هذا الالماماً واشارة الى ما نريد

واخذ المؤلف على القوم قلة المؤلفات العلمية الصرفة ، ولا ارجع بهِ الى نقل ولا تذكير بان الاحصاء يظهر ان ما ترجم الغرب في نهضتهِ عن الشرق اكثر ما اخذ عنهُ الشرق الى عهد قريب . لا انقل شيئاً من هذا فهو في المجلات اصبح والكاتب يقدرها قدرها ، ولا اذكره بما يبذل الغربيون من جهود و يرصدون من اموال الجمع هذا الشتات ولكني اقول لهُ ان من كتب القوم ما لم تقع عليهِ عيوننا ولا سمعت بهِ آذاننا . وانهُ يحسن بنا قبل النفي ان نتريث وان نقدر انهُ قد يكون في الدنيا ما لم يصل اليهِ علمنا . وان عوادي الدهر قد سطت على اكثر مما بقي لنا واننا حتى الآن لا نعرف صورة ما عن الحياة العملية لاسلامنا وخير لنا ان نبني اولاً ، وان نتذكر ان نهضة الغرب قامت على اساس متين عريض من احياء القديم وبعثهِ ، وهاهم اولاء رجال الغرب يتخصصون في دقائق الفروع بل في توافه الامور ، فحبذا لو كانت لنا بهم في بدء نهضتهم وفي رقي مدنيتهم اسوة ما فندرس فروع حضارتنا ، ونرود مجاهل تاريخنا ، ومبهمات آدابنا ، ونستخرج دفائن ميراثنا ، بدل ان نضع الحضارة العربية ، وجهد اجيال ، وعمل قرون في نقطة مداد نخط بها حكماً عاماً شاملاً ، وعبارة مطلقة رهيبة ، على حين تسمع بألم شكوى طلبتنا المصريين هنا من خجلهم امام اساتذتهم — غير المستشرقين — في مختلف العلوم حين يسألونهم عن اشخاص وآراء لسلفهم لم يسمعوا بها لحظة ما ، وحين يلفتهم استاذ التشريح الى اسم علمي يراه ليس غربياً ويحسبهُ عربياً فيظهر بعد يسير من البحث انهُ كذلك ، وعلى حين يختار لهم اساتذتهم الاجانب مواضيع رسائلهم النهائية ابحاثاً عربية و يدلونهم على مراجعها في مخطوطات محفوظة لديهم او على حين لا نعرف من تاريخنا الاَّ ما يجود بهِ علينا باحثوهم ومستشرقوهم فحبذا لو بنينا قبل ان نهدم بل ليتنا نهدم في رفق فلعل في الانقاض ما قد يسلم لنا في البناء الجديد

ورمى الكاتب القوم بأنهم يمزجون الفن بالعلم « حتى انهم وضعوا الموسيقى في الفلسفة بناء على كلمة نقلت اليهم غالباً عن فيثاغورس » وهكذا لم يتلطف في الوخز ، مع ان

الموسيقى علم وفن ، وانما كان فلاسفتهم يدرسون العلم ولهم فيهِ نظريات لا تزال اليوم حديثة ،ولصفي الدين عبد المؤمن البغدادي كتاب مخطوط يوجد هنا في برلين ليس الاَّ مناقشة لنظريات علمية صرفة يعجب بهِ الاخصائيون من الالمان وغيرهم ، كما ان لهم ابحاثاً نفسية في علاقة الانغام بالالوان ، وعلاقتها بالأَرايبح — الازهار — وهو ما يعتبر بحثاً جديداً شيقاً و يدرسهُ في جامعة برلين استاذ الموسيقى وعلم النفس البروفسور فون هورن پوستيل Von Horn Postil وللكندي الفيلسوف رسالة مخطوطة في الموسيقى توجد ايضاً في برلين تناول فيها هذه الابحاث الشيقة ، وقد اعجب بها الاستاذ الالماني لاخمن واشترك مع الشاب المصري الفاضل الدكتور محمود الحفني الذي اتم دراسة الموسيقى ببرلين في احياء هذه الرسالة وتفسيرها ولا يزالان يعملان على احياء غيرها من نفيس هذه الآثار. واما فن الموسيقى أو الموسيقى العملية فقد دعوها صناعة الغناء وذكر ابن خلدون في مقدمتهِ فصلاً عن هذه الصناعة بين غيرها من الصنائع فلم يكن فلاسفة العرب ملحنين ولا مغنين ولا اصحاب صنعة ، كما لم يكن زرياب واسحق ومعبد وشيعتهم فلاسفة. وما يرى كاتبنا الفاضل في ان الاوربيين قدوتنا وسادتنا يتابعون القوم في هذا الخلط ويدرسون الموسيقى في قسم الفلسفة من جامعاتهم كما هو الشأن هنا في برلين اذ يدرس الطالب الموسيقى العلمية والفلسفة وعلماً آخر يختارهُ و يعطى بعد ذلك لقب دكتور في الفلسفة ، فلعل مشايعة السادة لقومنا في الخطأ تخفف من حدة الكاتب عليهم فلا يكونوا معتمدين على كلمة نقلت اليهم

و بعد فيسمح لي الاساتذة اصحاب المقتطف الأَ اعفيهم من كلمة عتبٍ قوية يشاركني فيها الكاتب لانهُ رأى « ان المجلات ابعد الاثر في حركتنا »وعلى قولهِ هذا اعتمد فاقول للمقتطف شيخ المجلات العربية انهُ لا يحسن بهِ ان ينشر مثل هذه الابحاث دون تعليق. لان شباناً متكونين يقدرون ما ينشر في المقتطف حق قدرهِ، فكيف بهم اذا رأَوا هذا النسف لحضارة وماض تاريخ دون تعليق عليهِ بقليل ولا كثير . فلتنشروا ايها الاساتذة ما شئتم فما أضيق حرية النشر . ولكن لكم رأياً معروفاً غير هذا الهدم فيحسن ان تذكروا عدم مشاركتكم في الرأي لكاتب يخالفكم ، لاسيما وقد عرف ان جميع ما ينشر بالمقتطف يمر بعين الاستاذ المختص ومراقبتهِ ، وحسبي هذا فقد اطلت وأترك لغير هذه المرة مناقشة ما بقي من القضايا عن مصر وحركتها ونهضتها ،وآمل ان يتقبل الكاتب الفاضل ما قدمت بروح الحب للحقيقة وطلبها حيث كانت والله يوفق العاملين

امين الخولي
امام المفوضية المصرية

برلين

الاحوال الزراعية في فلسطين

سيدي صاحب المقتطف الاغر

طلب مني بعض الاصدقاء ان الفت نظركم الى الشطط في مقالة « الاحوال في فلسطين » (مقتطف يناير سنة ١٩٢٦) وخصوصاً وقد كثرت التصورات الخيالية فيها لارضاء احلام الصهيونية والبعض منها يقارب في الصحة روايات الف ليلة وليلة

اولاً : ان ما يعتقده المستر بلاك « انهُ يمكن ان يستخرج من ماء بحيرة لوط مائة الف طن من البوتاس كل سنة عدا عن املاح اخرى ثمينة وثمن الطن من البوتاس ستة جنيهات الى سبعة فمن استخراجه ربح كبير » هو وهم خيالي ليس منهُ فائدة اقتصادية لانهُ يوجد في ستاسفارت Stassfart بالمانيا وفي الالزاس بفرنسا املاح بوتاس كبيرة جداً فيهـا هذه الاملاح ناشفة حاضرة للاستعمال بدون أدنى نفقة سوى القلع وهي تكفي كل مطاليب العالم مئات من السنين ومحصول البحر الميت لا يقدر ان يجاريها ولا يضاربها قطعيًّا لانهُ غير جاهز ولاجل تجهيزهِ يلزم لهُ عدا الحرارة الطبيعية الذي هواؤها مشبع بالرطوبة فحم او بترول وثمن الوقود مع اجرة النقل اكثر من ثمن املاح البوتاس الآن . وقد لفت نظري الى ذلك العلامة الزراعي الشهير الدكتور هوبكنس C. G. Hopkins لما كنت تلميذاً عندهُ في جامعة ايلينوي بالولايات المتحدة عام ١٩١٥

ثانياً : نجاح اليهود في زراعتهم مختلق لان كل المزارع تقريباً تخسر معهم وهم لا ينتجون نفقتهم الضرورية بل لهم تخصيصات في هذه السنة تبلغ ثلاثة ملايين ريال . والمزارع التي في مرج ابن عامر تخسر مثل سائر مزارعهم وانا اعرفها جيداً . ولا يستطيعون ان يرووها ريًّا صيفيًّا لعدم وجود الماء لذلك

ثالثاً — اما قولهُ « و يقول الخبيرون انها (ارض فلسطين) اذا احسنت ادارتها فهي تكفي لخمسة ملايين من النفوس لانهُ لا يزرع منها الآن الأسدس اراضيها الزراعية » فغير صحيح ؟ فقد درست قسماً كبيراً من اراضي فلسطين وانا ابن البلاد ربيت على زراعتها وقد درست علم الزراعة في اشهر جامعات اميركا Cornell وIllinois ويحق لي ان اقول لكم ان هذه احلام فان اكثر اراضي فلسطين لا يصلح للزراعة لاسباب عديدة منها قلة المطر وعدم وجود ماء للري . وكون الاراضي صخرية وعرة او منحدرة جدًّا . والذي يصلح منها للزراعة اكثرهُ مزروع والمحصول محدود بسبب قلة المطر و يجب اتباع

طرق الزراعة الجافة .وقلة المطرهذه كانت من زمن قديم كما يثبت ذلك آثار آبار الرومان . واما كتابات التاريخ عن فلسطين فاكثرها مبالغ فيهِ

وارض فلسطين امام الحقائق العلمية والناموس الاقتصادي فقيرة ملآنة حجارة وشوكاً وليس فيها اكثر من ثلاثة ملايين دنم اي نحو سبعمائة الف فدان مصري acre ارض تعتبر صالحة للزراعة وهذه مطرها قليل والري فيها محدود جدًّا وهي لا تفوق بخصبها الطبيعي اراضي المقاطعات الوسطى في الولايات المتحدة Cornhell ولاسهل سلسبري Salisbary في انكلترا ولا مقاطعة السوم Somme في فرنسا ولا اراضي مصر ولا اراضي حلب وجهات دير الزور وحوران وكلها اعرفها

ولذلك فمقالة المستر شبستون تصورات خيالية بعيدة عن الصحة

رابعاً — ان الاقتراح الاخير ان تمد ترعة من بحر الروم الى بحر لوط لاجل توليدقوة كهربائية بعد ان تستعمل ماء الاردن للري هو خيالي خارق قوانين الطبيعة لانهُ متى استعمل ماء الاردن للري اين تذهب هذه المياه؟ أليس انها تتبخر في نفس ذلك الوادي الذي هو هوّة عميقة بين جبال وهواؤُهُ دائماً مشبع بالرطوبة وحيث الرياح بهِ ليس طلقة لانهُ منخفض بين جبال فان ميزانية التبخير قد اصبحت محفوظة على قياس معلوم مناسب ارتفاع وهبوط ماء بحر الميت والى اين تذهب المياه الزائدة المجلوبة لهُ من البحر المتوسط ؟ لو ان قوة التبخير الحالية في وادي الاردن هي اكثر من الماء الموجود فيهِ لكانت مياه البحر الميت بدأت تجف رويداً رويداً واصبح كلهُ ملح .ومع كون تبخير الماء المالح يحتاج الى حرارة اكثر من الماء الحلو فهذا لا يفيد هنا لان ماء البحر المجلوب لهُ هو ايضاً مالح

فلذلك ان الشكوى هنا ان لم تكن قياس البلوى فهي اقل منها ودمتم

الناصرة سليم راجي فرج

[المقتطف] الكلام الاخير عن الترعة من بحر الروم الى بحيرة لوط نقلناهُ نحن عن مشروع قدم الى الاكادمية الفرنسوية فصوبتهُ والظاهر ان مرادنا لم يتضح فالمراد باستعمال ماء الاردن للري اي يستعمل لري سهول فلسطين قبلما يجري في وادي الاردن الى بحيرة لوط لا ان يستعمل لري وادي الاردن اما المياه التي تجري من البحر المتوسط فيتحكم فيها حتى تكون قدر ما يتبخر من بحيرة لوط لا اكثر و يكون لها حدَرات كثيرة في طريقها فتتحول قوة انحدارها فيها كهربائيةً . وسننشر خطبتكم الزراعية في جزء آخر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تغذية الطفل

على الام ان لا تغذي طفلها بشيء غير اللبن قبلما يبلغ الشهر السابع من عمرهِ لانهُ لا يستطيع ان يهضم الاطعمة النشائية وغيرها . واذا كانت لا تستطيع ان ترضع طفلها وجدت في التعليمات التالية خير نظام لتغذيتهِ

١ — من ولادة الطفل الى ان يبلغ الاسبوع السابع من عمرهِ يجب ان يرضع مرة كل ساعتين في الاسبوعين الاولين ثم مرة كل ثلاث ساعات وذلك بين الساعة السادسة صباحاً والعاشرة مساء . ومرة في الليل بين الساعة العاشرة مساء والصباح . وما يرضعهُ من اللبن يجب ان يحتوي على جزء الى جزء ونصف من لبن البقر الطازه ممزوجاً بجزئين من الماء فيغلى هذا المزيج اذا لم تثبت نظافة اللبن و يحلّى بقليل من السكر بنسبة ملعقة شاي صغيرة الى الرطل . و يفيدهُ شرب ماء الشعير في بعض الاحيان بدل الماء الصرف ولا يستحسن ان يشرب ماء الجير . واما حرارة اللبن فيجب ان تكون نحو ٣٧ درجة بميزان سنتغراد وفي كل مرة يجب ان لا يتناول اكثر من ثلاث ملاعق كبيرة او اربع رضاعة من رضّاعة صناعية

٢ — متى بلغ الطفل الاسبوع السابع وجب ان يقلل الماء في اللبن الذي يرضعهُ فيمزج جزء من لبن البقر الطازه بمثلهِ ماء و يحلّى بالسكر و يحسن ان يضاف الى هذا المزيج قليل من القشدة . و يزاد مقدار ما يتناولهُ من ثلاث ملاعق كبيرة الى سبع ملاعق كل مرة وتتدرج المدة بين طعام وطعام في الزيادة

٣ — يزاد مقدار اللبن بين الشهر الثالث والشهر السابع فيمزج جزآن من اللبن بجزء من الماء ويتناول منهُ ما يملأ ٨ ملاعق كبيرة . و كلما طالت المدة بين طعام وطعام وجب زيادة ما يرضعهُ . و يزاد ايضاً مقدار القشدة التي تمزج باللبن لزيادة مقدرتهِ على هضمها . ولا يرضع في الليل الاَّ اذا استيقظ وطلب الرضاع

وقد وجد الاطباء ان القاعدة التالية جديرة بالاتباع في المدة التي يتناول الطفل طعاماً مائعاً لا غير. وهي : ابدأ بترضيع الطفل ما يملأُ ٣٢ ملعقة في اليوم متبعاً الارشادات السابقة ثم زدها من ملعقتين الى اربع ملاعق في الاسبوع الى ان يبلغ الطفل الشهر السابع من العمر

٤ — يجب ان يطعم الطفل بين الشهر السابع من عمرهِ والشهر الثاني عشر مرةً كل اربع ساعات وذلك بين الساعة السادسة او السابعة صباحاً والساعة التاسعة او العاشرة مساءً . وكلُّ طعام في بدء هذه المدة يجب ان يكون من ١٠ ملاعق كبيرة الى ١٢ ملعقة من لبن البقر غير التام الممزوج بالماء . ويحسن ان يطعم ثلاث مرات في اليوم نحو ملعقة من الاروروت او طعام آخر من اطعمة الاطفال المستحضرة تغلى بعد ما تمزج باللبن الذي يشربهُ

٥ — ويتضاعف مقدار اللبن الذي يتناولهُ حين يكون عمرهُ يتراوح بين سنة و١٨ شهراً ويبقى يتناول طعامهُ مرة كل اربع ساعات ويضاف الى اللبن قليل من الخبز والبوردج او الخبز مع الزبدة او بيضة برشت من وقت الى آخر

والافضل ان ترضع الامّ طفلها اذا كانت تستطيع ذلك . عندئذٍ يحسن ان تفطمهُ في نحو الشهر العاشر من عمرهِ الاَّ اذا كان في مدة الفصل الحار اذ يخشى حينئذٍ من اصابتهِ بالاسهال

ومن الضار اطعام الاطفال جبناً او سقيهم شاياً او بيرا او بعض المشروبات الروحية لان ذلك يحول دون اتمام عملية الهضم في اجهزتهم الضعيفة . كذلك من الضار ان تغسل افواههم بالمساحيق المستحضرة لغسل الاسنان او سقيهم شيءٌ من الشراب المخدر للالم او المنوّم لان هذه المواد تحتوي عادة على الافيون

واذا كان الطفل متململاً او متألماً من سوء الهضم او الاسهال فالراجح ان ذلك ناجم من ثقل الطعام او كثرتهِ او عدم انتظامهِ فيحسن تقليل مقدار الطعام وتخفيف اللبن بالماء واطعام الطفل في الاوقات المعينة التي تتفق مع سنهِ . واذا بقي متألماً رغماً عن كل ذلك وجب طلب الطبيب للعناية بهِ

صراخ الطفل

الصراخ لغة الطفل تفهمهُ الامُّ بسهولة اذا انتبهت لهُ فانهُ يصرخ عند الغضب والحزن ويبكي عند الانزعاج والألم والجوع على السواء . والصراخ لا يضرُّ بهِ الاَّ اذا نشأَ

عنهُ تمزق في البطن بل انهُ يمدّد الرئتين ويسكّن ثائر العواطف . ولكن كثرتهُ تدلُّ على وجود خلل يجب اصلاحهُ . فاذا كان وقت الطعام فاطعم الطفل يسكت او كان قد طرأ عليهِ بردٌ فأدفئهُ فلعلَّ المغص سبب البكاء

واذا كان بكاء الطفل شديداً غير متقطع فالغالب ان يكون سببهُ الماً في اذنهِ او الجوع او وخز دبوس في سريرهِ . او صحب صراخهُ سعال دلَّ ذلك على وجود ألم في صدرهِ . او جعل يبكي قبل البراز او بعدهُ دلَّ ذلك على وجود ألم في بطنهِ . او كان للصراخ خنة من الانف كان ذلك دليلاً على ان الانف مسدود اما من ورم في غشائهِ او من سبب آخر . او كان الصوت ثخيناً غير واضح ففي الحلق ورم . او كان عالياً فالطفل مصاب بالذبحة الفجائية او واطئاً كأنهُ الهمس فبالذبحة الصحيحة او الغشائية . والبحة دليل مرض في الحلق اما من الزكام او من غيرهِ . واذا أُصيب بذات الرئة او داء الجنب لم يستطع البكاء

لباس الطفل

يجب ان يكون لباس الطفل خفيفاً ولكن الى حدٍّ لا يتعرض عندهُ للبرد فان الاطفال لا يقوون على صدّ غارات البرد فيجب الاعتناء بهم اعتناء خصوصيًّا من هذا القبيل . ويجب ان تكون ملابسهم كلها واسعة لا تعوقهم عن الحركة ولا تعوق عمل الاعضاء الداخلية

واهمُّ ما ينتبه لهُ في هذا الباب ان تكون ملابس الطفل واسعة تغطي اجزاء البدن كلها على السواء ولا تضغط عضواً من الاعضاء فتعوقهُ عن النمو . وان لا تكون زائدة الطول كما ترى عادة لانها تضايقهُ وتتعبهُ بل ان تزيد ٨ بوصات عن جسمهِ على الاكثر وان تقصر بين الشهر الثالث والسادس من سنهِ . وان تكون الجوارب طويلة بحيث تغطي الركبتين

ويجب تغيير ملابسهِ التحتانية يوماً بعد يوم وملابسهِ الفوقانية مرة كلَّ يوم ومتى صار يستطيع المشي واللعب مع اترابهِ فقد تضطر الحال الى تغيير ملابسهِ غير مرة في النهار لسرعة توسخها

ويجب ان تغير ملابس النهار كلها عند النوم وان يلبس قميصاً من الصوف خفيفاً او ثقيلاً تبعاً للفصول وفسطاناً من الفلانلا فوقهُ .

الفيتامين في البازلاّ المحفوظة

جاء في تقرير تجاري اميركي انهُ استعمل في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٠ نحو ١٢٥٠٠٠٠٠ صندوق من البازلاَّ المحفوظة فزاد الى ١٩ مليونًا في سنة ١٩٢٤ . فلا بدع اذا اهتمت الشركات التي تصنع هذه العلب بالبحث العلمي فيما يتعلق بقيمة محتوياتها الغذائية . وقد نشرت نتائج هذا البحث في جورنال الكيمياء الهندسية والصناعية في جزء يناير الاخير ويؤْخذ منهُ ان مقدار فيتامين (ا) في البازلاَّ المحفوظة يساوي نحو نصف مقدارهِ في الزبدة الطازه واكثر من مقدارهِ في الخس والطماطم وعصير البرتقال . كذلك وجد ان مقدار فيتامين (ب) فيها يفوق مقدارهُ في اللبن وعصير البرتقال . واذا قورن مقدار الفيتامين في البازلاَّ المحفوظة بمقدارهِ في البازلاَّ الخضراء التي تطبخ وجد ان الحفظ لا يقلل فيتامين (ا) و (ب) بل قد يقلل فيتامين (ج) اذا لم يعنَ بحفظهِ عناية خاصة . ولكن ما تفقدهُ البازلاَّ في الطبخ العادي من فيتامين (ج) يزيد على ما تفقدهُ بالحفظ. ومن الغريب ان البازلاَّ المحفوظة بعد تسخينها قليلاً على النار وجد ان مقدار فيتامين (ج) فيها اكبر منهُ في البازلاَّ الخضراء غير المطبوخة. والسبب في ذلك ان البازلاَّ التي تطبخ بالوسائل العادية كالقلي في مقلاة مثلاً تتصل بالهواء فيتلف الاكسجين جانبًا كبيراً مما فيها من الفيتامين بالاكسدة. واما البازلاَّ المحفوظة فلا تتصل بالهواء حين تكون في العلب وتسخينها لا يكفي لازالة جانب كبير من فيتامينها . ومن الامور الغريبة التي اظهرها هذا البحث انهُ يكون في البازلاَّ قبلما يتم نضجها فيتامين (ا) و (ج) اكثر منهُ في الحبوب الناضجة واما فيتامين (ب) فاكثر في الحبوب الناضجة منهُ من الحبوب التي لم تنضج

فوائد منزلية

فائدة الماء السخن — اذا شرب الماء السخن كل ليلة قبل النوم اصلح الهضم وابعد الارق وحسَّن رواء الوجهِ . واذا التهبت العينان فلتغسلا بالماء السخن او تعبت القدمان فلتغطسا فيهِ

حفظ الآنية الفضية وتنظيفها — اذا اريد حفظ الادوات الفضية من غير استعمال فلفَّها بورق صقيل متين ممَّا لا ينفذهُ النور والهواء لان النور والهواء يسوّدان الفضة. واذا اكمدَّ لمعانها فافركها بماء سخن اضيف اليهِ قليل من الامونيا وبجلد ناعم لا بالفلانلا ولا بالقطن

باب الزراعة

المعرض الزراعي الصناعي

لو كان سكان القطر المصري اربعين مليونًا او اكثر ولو كانت ثروتهم مثل ثروة مملكة من الممالك الكبرى لطولبوا باقامة معرض مثل معارض باريس اولندن او انخم منها اما وقد مرَّ على بلادهم اكثر من الفي سنة والدهر يبسم لها يومًا ويعبس يومين حتى تضاءل عدد سكانها فكاد يبلغ مليونين بعد ان كان في عهد البطالسة اكثر من ثمانية ملايين ولم تنهض نهضة كبيرة الا منذ عهد محمد علي فالمعرض الذي اقامتهُ الآن تستحق ان تباهي بهِ من كل وجه فاتساعهُ وانتظامهُ وهندستهُ وادارتهُ كل ذلك يفوق ما قدِّر لهُ ولا نسبة بينهُ وبين المعارض الزراعية التي اقامتها مصر في بعض السنين الماضية ووصفناها في المقتطف

ومما زاد هذا المعرض شأنًا في نظرنا وزادنا ثقةً بنجاح القطر كثرة المعروضات الصناعية التي يستغني بها القطر المصري عما لا يزال يجلبهُ من الخارج كالمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية على انواعها واشكالها والبسط البسيطة وذات الزغب من نوع السجاد والحصر المنقوشة والاثاث البيتي على انواعهِ من كراسي ومقاعد واسرَّة وخزائن ومكاتب مما هو مصنوع من خشب بسيط الى ما هو منزَّل بالعاج وعرق اللؤلوء على درجات من الاتقان قلما يحتمل ان يزيدها احد اتقانًا. والمسكَّرات والمخللات على انواعها والخزف البسيط والمدهون والملون حتى القيشاني وما يشبه الصيني. وانواع الجبن البلدي والاوربي والجلود المدبوغة والملونة والفراء. وما يصنع من النحاس وبعض ما يصنع من الحديد حتى الآلات التجارية والطلمبات المائية

ولا شبهة في ان كثيراً من هذه المصنوعات سيغني القطر عن بعض ما كان يجلبهُ من الخارج فيبقى ثمنهُ لصانعيهِ ولا يزال المجال واسعًا امام الصناعة المصرية حتى تستغني البلاد بمصنوعاتها عن اكثر مما تجلبهُ من اوربا

وفي القسم الزراعي من المعرض شيءٌ كثير من الحبوب والاثمار التي كثرت في البلاد حتى صار في الامكان الاستغناء بها عمَّا يرد من الخارج كالقمح والبطاطس والليمون والموز

وفيهِ ايضاً من الخيل والبقر ما اشرنا اليهِ في مقالتين خاصتين في هذا الجزء ومن الجمال والغنم والطيور ما لا بأس بهِ . ولكن اهم ما في القسم الزراعي ما نصدرهُ وهو عماد ثروة القطر ومعيشة سكانهِ اي القطن ومعروضاتهُ كثيرة وفيها ادلة قاطعة على اهتمام الجمعية الزراعية ووزارة الزراعة وكثيرين من المزارعين لتحسين نوع القطن وتكثير غلتهِ ومقاومة آفاتهِ

وقد اقيم في المعرض لجان ترى المعروضات وتحكم في درجات جودتها فمنها لجنة للاقطان ولجنة للحبوب ولجنة لباقي الحاصلات الزراعية ولجنة للخضراوات والفواكه ولجنة للخيول ولجنة للمواشي ولجنة للطيور ولجنة للصناعات الاهلية ومتى وقفنا على قرار هذه اللجان ننشرهُ او ننشر القسم الاهم منهُ ليحفظ في صفحات المقتطف

لكن في المعرض قسماً كبيراً لم تدخل معروضاتهُ في ميدان التفاضل بين سائر المعروضات وهو معرض مدارس الحكومة الزراعية والصناعية ولما كانت معروضاتها محرومة من المقابلة بغيرها زرناها قصد الكتابة عنها

فسُرّنا بنوع خاص ما عرض فيها من الجبن والزبدة لانهُ اذا انشىء لهما معامل كبيرة في القطر المصري اغنتهُ عما يجلب منهما من الخارج فان القطر المصري يجلب في السنة من الجبن ما ثمنهُ نحو ثلثمائة الف جنيه ومن الزبدة ما ثمنهُ نحو اربعين الف جنيه عدا الزبدة الصناعية

اما الزبدة المعروضة فغاية في النقاوة وقد عرضت على امثلة تروق الناظر فانها تمثل الطيور والورود والفواكه . وهي موضوعة في صندوق جوانبهُ من الزجاج مبرد بالثلج . واما الجبن فكثير الاصناف مثل اشهر اصناف الجبن الاوربية ولا سيما الانكليزية بعضهُ قوالب كبيرة وبعضهُ قوالب صغيرة . ومنهُ نوع جديد صنع في المدرسة الزراعية وسمي جبن سنة ١٩٢٦ وهو احمر اللون طيب الطعم . ولا غرابة في ان جبن هذه المدرسة يماثل اجود انواع الجبن الاوربية او يفوقها لان علف مواشينا من اجود انواع العلف وانقاها ولان المدرسة ارسلت احد اساتيذها وهو محمد يوسف سليم بك الى انكلترا فاقام فيها نحو سنتين ونصف سنة درس فيها صناعة الجبن بكل فروعها ونال شهادات مدرسة كلارنك التابعة لجامعة جلاسجو وكان فيها من الممتازين ونال اخيراً شهادة من معامل الالبان في بريطانيا العظمى ثم زار كل معامل الالبان في انكلترا واسكتلندا فاكتسب خبرة واسعة وقرن العلم بالعمل. ولشدة اهتمامهِ بصناعة الالبان حذا تلاميذهُ حذوهُ فألف احدهم كتاباً في هذا الموضوع وعزم هو او غيرهُ على انشاء معمل كبير لعمل الجبن

وقد رأينا الجبن المعروض خالياً من الثقوب تماماً على غير ما يكون عليهِ اكثر الجبن المصري و بعض الجبن الاوربي . وقال لنا حضرة الاستاذ انهُ يضيف اليهِ من المكروب المسمى ستربتوكوكس لكتيكس من مزدرع نقي فيحسن طعم الجبن ويساعد على قتل باشلس قولي الذي يسبب هذه الثقوب

ومما يذكر لحضرة الاستاذ بالشكر انهُ اكتشف محلولاً من بعض الاملاح الكيماوية يضاف قليل منهُ الى اللبن فيعلم مقدار ما فيهِ من الزبدة و يعلم ايضاً هل فيهِ غش. وكانت الطريقة القديمة لذلك عسرة العمل غير خالية من الضرر لاعتمادها على الحامض الكبريتيك المركز

اما سائر معروضات مدارس الحكومة الزراعية والصناعية فسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

السكان والاطيان في مصر

قلما رأينا كلاماً لاحد على مساحة الاطيان في القطر المصري وعدد الملاَّك الاَّ رأينا في كلامهِ واستنتاجهِ خطأً كبيراً فقد كان عدد السكان ١٢ ٧٥٠ ٩١٨ حسب الاحصاء الاخير الذي تمَّ سنة ١٩١٧ او اقل من ١٣ مليوناً وكانت اطيان الاهالي التي تروى وتزرع ٥ ٥٩٥ ٧٠٧ افدنة وعدد الملاَّك المكلفة هذه الاطيان باسمائهم ١ ٩٣١ ٤١٧ اي اقل من مليونين. وهنا يقع خطأ بعض الكتَّاب اذ يحسبون ان الاطيان مملوكة لاقل من مليوني نفس وسائر السكان لا اطيان لهم . والحقيقة ان لكل مالك من الملاَّك زوجة واولاد وهؤلاء محسوبون من عدد السكان فاذا قلنا ان اطيان القطر المصري موزعة على نحو مليوني مالك اردنا انها موزعة على مليوني بيت وفي كل بيت نحو خمس انفس على الاقل فالاطيان موزعة على نحو عشرة ملايين من النفوس او ان عشرة ملايين من سكان القطر يعيشون من الزراعة

اما هذا التوزيع فكان سنة ١٩١٧ هكذا

١ ٢٥٧ ٧٣٩ مالكاً يملك الواحد منهم فداناً فاقل
٠ ٥١٨ ٧٠٧ « « الواحد من فدان الى ٥
٠ ٠٨١ ٣٠٠ « « « « ٥ افدنة الى ١٠
٠ ٠٣٩ ٤٥٠ « « « « « ١٠ الى ٢٠ فداناً

٠٠٠١١ ٩٥٤ مالكاً يملك الواحد منهم ٢٠ فداناً الى ٣٠ فداناً
٠٠٠٩ ٥٣٢ « « « « ٣٠ « الى ٥٠ «
٠٠١٢ ٧٣٥ « « اكثر من ٥٠ «

او بحساب آخر

ان ١ ٢٥٧ ٧٣٩ يملكون ٠ ٥١٤ ٥٩٥ فداناً
و٠٠ ٥٨٨ ٧٠٧ « ١ ٠٨٧ ٨٢٧ «
و٠٠ ٠٨١ ٣٠٠ « ٠ ٥٥٥ ٩٨٥ «
و٠٠ ٠٣٩ ٤٥٠ « ٠ ٥٣٥ ٢٤١ «
و٠٠ ٠١١ ٩٥٤ « ٠ ٢٨٩ ٦٤٠ «
و٠٠ ٠٠٩ ٥٣٢ « ٠ ٣٦٢ ٠٤٣ «
و٠٠ ٠١٢ ٧٣٥ « ٢ ٢٥٠ ٣٧٦ «

فخمسا الاطيان يملكهما واحد من الف من السكان وهؤلاء بعض الامراء وكبار الاغنياء ويدخل معهم ديوان الاوقاف. واذا حسبنا ان هذا الواحد بيت كبير بخدمهِ وحشمهِ كما هو الواقع صار هذا الواحد نحو عشرة في المائة او اكثر. ثم ان اكثر الذين لا يملكون اطياناً او يملك الواحد منهم فدانين فاقل يستأجرون اطيان كبار الملاك وقد ينالون منها اكثر مما يناله اصحابها. ولو وزعت الاطيان على سكان القطر بالسواء لما استفاد اكثرهم منها اكثر مما يستفيدون الآن

انماء الاشجار بالكهربائية

كتب بعضهم الى السينتفك اميركان يقول لقد وجدت بالاختبار ان الاشجار وسائر المزروعات يزيد نموها بعد ما يحدث في الجو زوبعة كهربائية (وهذا يشبه قولهم في الشام ان الكمأة تكثر وتكبر على اثر الصواعق) وان اغصان الاشجار من الموصلات الجيدة للكهربائية فخطر لي ان اساعدها بالاسلاك المعدنية فجربت ذلك اولاً في شجرة صغيرة من الكوافيا ربطت باغصانها اسلاكاً من النحاس ذاهبة في الجو صعداً ونازلة الى الارض وذلك في بداءة فصل الربيع فزاد نموها وبلغ ثمرها تلك السنة مضاعف ما بلغت اثمار غيرها وكان الثمر مضاعف غيره في حجمهِ

غرائب النبات

حمَّاض تبت

الحمَّاض نبات صغير لهُ زهر اصفر لم نر منهُ في هذا القطر والقطر الشامي ما يعلو عن الارض اكثر من شبر لكن الكبتن تندن ورد الرحالة قال انهُ رأى الحماض في بلاد تبت يعلو عن الارض ثماني اقدام واوراقهُ صفراء لماعة كالكبريت حتى كان يراهُ على بُعد ميل كأنهُ عمود اصفر او شجرة صفراء من السرو ٠وهو انما يكون كذلك حيث الارتفاع عن سطح البحر ١٥٠٠٠ قدم فيغطيهِ الثلج الى شهر يونيو وحينئذٍ يظهر وينمو سريعاً فيبلغ ارتفاعهُ بضعة اقدام في اسابيع قليلة و يبقى عائشاً الى اكتوبر وحينئذٍ يميتهُ البرد.واهالي تبت يأكلون ورقهُ و يصنعونهُ سلطة

المنغروف

المنغروف اشجار تنبت في سواحل البحار الحارة فتغور جذورها في الطين وحيث الماء ملح لا يعيش فيهِ نبات آخر وتتدلى من الشجرة جذور كما تتدلى من شجر البنيان ولكنها تتدلى مائلة حتى تبعد عن الشجرة وتتناول الغذاء من مكان بعيد عن امها . وبزرها يفرخ وهو لا يزال عالقاً بها وقد تمتد جذورهُ وتنشب في الطين قبل ان ينفصل عن الشجرة . وجذور الشجر اسفنجية فاذا انحسر الماء عنها وقت الجزر امتصت الهواء واكتفت بهِ كأنها حيوان

جذور اليوكالبتوس

قال الدكتور هل سكرتير مجلس الجامعات الانكليزية انهُ لما كان في غرب استراليا دخل كهفاً بينهُ و بين سطح الارض تسعون قدماً فرأى جذراً غليظاً من جذر شجرة نامية على وجه الارض ثم وجد هذا الجذر غائراً تحت ارض الكهف ثلاثين قدماً اي ان غورهُ في الارض كان ١٢٠ قدماً لكي يصل الى ارض رطبة لان المطر قليل هناك والشجرة من اليوكالبتوس

باب التقريظ والانتقاد

الدولة الاموية في قرطبة

الجزء الاول

الاستاذ انيس زكريا النصولي معروف لدى قراء المقتطف بالمقالات التي نشرناها لهُ في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٢ ثم في بضعة اجزاء من سنة ١٩٢٣ وقد اصدر الآن الجزء الاول من كتاب عن الدولة الاموية في قرطبة واعاد نشر هذه المقالات فيهِ واضاف اليها فصولاً كثيرة عن خلفاء عبد الرحمن الداخل وعن الدولة الاموية في اوج علاها وعن الحاجب المنصور الذي كان شابًّا خامل الذكر فطمحت نفسهُ الى العلاء حتى تمت لهُ السيادة على البلاد كلها وتوفي سنة ١٠٠٢

واكثر التاريخ سياسي ولكنهُ لا يخلو من المباحث العمرانية والآراء الفلسفية كما يتضح من الفصول التي نشرت في المقتطف ومن الفصل الذي موضوعهُ الدولة الاموية في اوج مجدها كقولهِ «ان الفاطميين كانوا يريدون فتح الاندلس طمعاً بخيراتها وودت الفئة المتنورة من الاندلسيين مساعدتهم لما اصاب الفلسفة من الاضطهاد والمظالم في اسبانيا فنظر اليها الفقهاء بعين الغضب والسخط وكانوا يتألمون من تساهل العباسيين في المشرق . فسعى الفاطميون بكل قواهم لكي يؤسسوا حزباً كبيراً يعتمدون عليهِ في نشر دعوتهم فجعلوا ابن مسرَّة المشبع بالفلسفة اليونانية آلتهم في ذلك. ولو تمَّ لهم التغلب على اسبانيا لكان للافكار الحرَّة نصيب طيب من الازدهار وسهم وافر من التساهل الاَّ انهم يصيحون مصيبة عظمى على الشعوب الاسبانية وخصوصاً المسيحية منها فانهم كانوا قد صمموا على افنائها نستنتج هذا من اقوال ابن حوقل الذي يدلي برأيهِ في كيفية اعدام النصارى» وهلمَّ جرًّا اي ان المؤلف قصد ان يجعل التاريخ علماً فلم يكتفِ بالنقل المجرد وهذه مزية كبار المؤرخين في هذا العصر

ولو كتبت التواريخ العربية كلها على نمط الاستاذ نصولي من التحقيق والتدقيق لوجدنا فيها صورة صحيحة للرجال الذين تكتب تاريخهم وللحوادث التي تصفها . ثم ان تواريخنا تكاد تكون مقصورة على اعمال الحكام اما الشعب من الزراع والصناع والتجار

والمدرسين والمطببين ونساء هؤلاء واولادهم وتدبير منازلهم وكل ما يدخل تحت اسم الهيئة الاجتماعية فقلما تجد في تواريخنا شيئًا عنهُ. راجعنا مرة اسماء الاعيان الذين ذكرهم ابن خلكان في وفياتهِ فوجدنا انهُ لم يذكر بينهم زارعًا ولا صانعًا ولا تاجرًا كأن الله لم يخلق في صف الاعيان الا الحكام والفقهاء والشعراء فنقترح على الاستاذ التصولي ان يتوسع في ذكر معايش العرب في الاندلس وكيف رقوها حتى صيروها البلاد جنة اوربا

مرآة الحرمين

فتحنا المجلد الاول من هذا الكتاب فاذا بورقة من احد الادباء فيها الوصف التالي

«كتاب يقع في جزءين كبيرين وضعهُ حضرة العالم الجليل صاحب السعادة اللواء ابراهيم رفعت باشا بعد ما حج اربع حجات كان في الاولى (١٣١٨ هـ) قومندان حرس المحمل وفي الثلاث الباقية (١٣٢٠ و ٢١ و ٢٥ هـ) امير الحج. فمنذ الحجة الاولى الى ان قدَّم كتابهُ للطبع ردح متطاول من الزمن ينيف على العشرين سنة كان المجال فيهِ واسعًا لزيادة الخبرة وتوسيع المعلومات والتدقيق في المباحث وكل ذلك توفر في هذا المؤلف الكبير الذي اعتمد مؤلفهُ الفاضل فيهِ على نفسه بأخذ الصور الشمسية لكل ما رأى لزومًا لهُ في كتابهِ هذ الذي حوى اوسع المعلومات عن البلاد العربية وكل البلاد التي في طريق المسافر من مصر الى مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة من معلومات تاريخية وجغرافية وعن الاسلام وفتوحاتهِ وحكمتهِ في فريضة الحج فهو كتاب غذته الخبرة والدقة في كل مباحثهِ وهو دائرة معارف اسلامية للحج قلما تجود بمثلها الاحقاب ولذلك لا نعدّ مبالغين اذا قلنا انهُ كتاب العام مع اعترافنا بما جاد به هذا العام من مطبوعات قيمة جعلتنا نبتهج بالرقي المحسوس في عالم المطبوعات العربية. والكتاب يقع في ٩٠٩ صفحات بالقطع الكبير مطبوع على ورق جيد طبعًا متقنًا في مطبعة دار الكتب المصرية واما صور الكتاب الشمسية التي ناهزت الاربعمائة صورة فقد بلغت عناية المؤلف بها غاية ليس بعدها غاية فصنعها في المانيا وطبعها على اجود الورق وهي تشهد بالاتقان الكبير

«ولقد استوفى المؤلف في كتابه هذا جميع ما يلزم المسافر لقضاء فريضة الحج وما يمرّ بهِ في طريقهِ مما يحتاج كثيرًا الى معرفتهِ من فروض دينية ومصروفات متنوعة وغير ذلك ولنذكر للقارىء بعض الموضوعات التي توسع الكتاب في الكلام عليها فمن ذلك: وصف جدَّة بشكلها الحاضر وجبل عرفات وغار حراء وعادات المكيين وجدول بمعظم

احكام الحج في المذاهب الاربعة وحكمة استلام الحجر الاسود وفصل جغرافي في وصف بلاد العرب وتقسيمها السياسي الحاضر وفصل تاريخي في رجال العرب قبل الاسلام و بعده والفتوحات الاسلامية و يتبع ذلك كلام بتفصيل تام عن مكة المكرمة والمسجد الحرام والكعبة المشرفة وعرفة والمدينة المنوَّرة والمسجد النبوي وغيرذلك مما لا يتسع المجال لذكره

«ومن مزايا الكتاب ان صاحبهُ لم يغمط احداً فضلاً فذكر اسماء الذين ساعدوهُ في عملهِ والكتب التي رجع اليها من دينية وتاريخية خاصة وعامة ورحلات وقد بلغ عددها ٣٤ كتاباً ومما زاد في إتقان الكتاب ان المؤلف الفاضل افتتح كل جزء من جزئي كتابه بفهرس لموضوعات الكتاب ثم فهرس للصور وختم كل جزء منها بفهرس مرتب على الحروف الهجائية فسهل بذلك المراجعة على القارىء المستعجل · لذلك لا يسعنا ان نختم مجالتنا هذه الاَّ بالثناء على سعادة المؤلف الفاضل راجين لكتابهِ الذيوع لتمَّ فائدتهُ جميع محبي العلم والتاريخ . وثمن الكتاب مائة قرش مجلداً في مجلدين بديعين عدا اجرة البريد. و يطلب من المكاتب الشهيرة ومن المؤلف بشارع خير بك ابن حديد نمرة ٤ بالحلمية الجديدة بمصر»

ثم استعرضنا جزئي الكتاب فاذا كل ما جاء في هذا الوصف منطبق على ما في الكتاب بل هو اقل من الحقيقة حتى ليحق لهُ ان يلقب بكتاب السنة لاننا لم نرَ كتاباً عربياً يضاهيهِ لا في مادتهِ ولا في تحقيقهِ ولا في صورهِ ورسومهِ ولا في طبعهِ فنهنىءُ حضرة صاحب السعادة مؤلفهِ بانهُ اخرج كتاباً يحق لمصر ان تفتخر بهِ

الفلاح

حالتهُ الاقتصادية والاجتماعية

لما كان يوسف بك نحاس يدرس علم الحقوق منذ خمس وعشرين سنة وضع كتاباً في هذا الموضوع بالفرنسوية استعداداً لنيل دبلوما الدكتورية وقد عني الآن خليل بك مطران بنقلهِ الى العربية . وابلغ ما يقال في هذه الكتاب ما قالهُ صاحب السعادة عبد العزيز فهمي باشا مخاطباً خليل بك مطران وهو «كتاب يضعهُ يوسف نحاس وتعنى انت بنشرهِ يحق بان يجتذب الناس لقرائتهِ . اني قرأتهُ الآن في صيغتهِ العربية فجدد لي احسن الذكرى واعلقها بخاطري ذكرى اطلاعي عليهِ في الاصل الفرنسي من خمسة وعشرين عاماً واكباري لما حواهُ من الآيات البينات وما كان لذلك بعد من اثر

في حياتي الخاصة والعامة » الى ان قال « ألقِ نظرة اجمالية على الكتاب تجد طريقتهُ فيهِ عقلية عملية محضة انهُ ابتدأ فعرفنا من هو الفلاح وما حليتهُ وما مميزات نفسهِ وما اثر الماضي فيهِ ، حتى اذا شخَّصهُ للقارىء على ما هو عليهِ خلقاً وخُلقاً واثبت استعدادهُ للرقي مدحضاً ما يتقولهُ عليهِ بعض الواهمين من شذاذ الكتَّاب وبيَّن فضلهُ على العالم المصري ووجوب معاملتهِ بالانصاف ومكافأتهِ على مقدار اهميته ، دخل في بيان ما يحيط بهِ من الملابسات في طوره الاخير فبين الحالة العامة للبيئة المصرية من جهاتها الاقتصادية المختلفة ثم فصل احواله العملية في تلك البيئة فتكلم عليهِ مالكاً وبيَّن ماذا يلاقي حين يعوزه النقد فيضطر للاستدانة وكيف يعاملهُ المرابون وماذا يجب اجراؤُه للأخذ بيده في مثل هذه الضائقة . ثم تكلم عليهِ مستأجراً واجيراً . ثم بين علاقتهُ بحاكميهِ ، وموقفهُ ازاء الاشغال العامة ، وموقفه ازاء القانون وامام المحاكم ، وماذا يجب النظر فيهِ من قواعد التشريع لتحسين حالتهِ المادية والادبية . بيَّن كل ذلك في نهاية من الايجاز والاستيفاء فكان كتابهُ خفيف الحمل ، جمَّ الفائدة ، جديراً بان يحتذيهِ كل متطلع لمثل هذا البحث فأنت ان عنيت اليوم بنشر هذا الكتاب فما رأيك الأَ سديداً وما صنعك الأَ حميداً . والسلام عليك من اخيك عارف فضلك »

هذا وان اعجب ما في هذا الكتاب ان شابًّا في العشرين من العمر استطاع ان يتناول موضوعاً عويصاً وينظر فيهِ من كل وجوههِ ولا يكتفي بالنظر التاريخي والوصف ولا بمقابلة حال الفلاح المصري بحال الفلاحين في بلدان اخرى ولا باقوال رجال السياسة ورجال الاقتصاد بل زاد على ذلك كلهِ ان وصف العلاجات النافعة التي يجب الاعتماد عليها في معالجة ادواء الفلاح المصري اداريًّا وقضائيًّا واقتصاديًّا ممَّا تمَّ بعضهُ فعلاً بعد نشر هذا الكتاب باللغة الفرنسوية وعسى ان يتم البعض الآخر. والكتاب يقع في نحو ١٦٠ صفحة كبيرة

مسالك الابصار في ممالك الامصار

للاستاذ العلاَّمة البحاثة احمد زكي باشا ايادٍ على العربية بما جمع من كتبها المنتشرة في الافاق ولاسيما التي فقدها هذا القطر بعد ما كان غنيًّا بها مثل هذا الكتاب الذي نقلهُ المستشرقون الى اوربا وبقي الجزء الاول منهُ في حكم المفقود الى ان عثر عليهِ بطريق الصدفة بين الاوراق المبعثرة في اسافل الخزانات بسراي طوب قبو بالقسطنطينية فاذا هو الضالة المفقودة وقد قرأَهُ رجل من اهل العلم على المؤَلف وكتب المؤَلف عليهِ بعض

التصحيحات واضاف زيادات كتبها بيدهِ في ورقات طيارة . فاخذ زكي باشا بالفوتوغرافية صورة الكتاب باكلهِ واحضرها الى القاهرة وقال انهُ ليس في قطر آخر نسخة كاملة مثل هذه النسخة. وقد شرع في طبعهِ بمطبعة دار الكتب المصرية ووعد بان يلحقهُ بمعجم لغوي للالفاظ الاصطلاحية ونحوها مما اصبح في حيز المجهول . وعسى ان يلحقهُ بفهرسين مرتبين على حروف المعجم احدهما للاعلام والثاني للمواضيع

وقد صدر الآن الجزء الاول من هذا الكتاب وهو في ٣٩٨ صفحة كبيرة عدا التصويبات والتصحيحات وهو يبتدئ بالكلام على الارض ونسبتها الى سائر الاجرام السموية. وقد تابع فيهِ مَن تقدمهُ من عهد بطليموس الى عهدهِ وكلهُ خطأٌ وكلام المؤلف فيهِ بعيد عن العلم كل البعد ولكنهُ نقل في آخر الفصل الاول من الباب الاول كلاماً عن ابي القاسم الاصفهاني غاية في الوجاهة ولو كان في لغتهِ التباس وهو قولهُ لا امتنع ان يكون ما انكشف عنهُ الماء من الارض من جهتنا منكشفاً من الجهة الاخرى واذا لم امنع ان يكون منكشفاً من تلك الجهة لا امنع ان يكون بهِ من الحيوان والنبات والمعادن ما عندنا من انواع واجناس اخرى " وفي سائر فصول هذا الباب وفي سائر هذا الجزء فوائد كثيرة كأن المؤلف جمع فيهِ زبدة ما عرف الى عصرهِ من الاخبار التاريخية والاوصاف الجغرافية ولم يعف عن الحكايات الخرافية

شرح القانون التجاري المصري

اتيح للقانون التجاري المصري شارح قانوني يدرّس هذا القانون في مدرسة تجارية . وهو الدكتور محمد صالح مدرس القانون التجاري والاقتصاد السياسي في مدرسة التجارة العليا بالقاهرة وكان قبلاً قاضياً في المحاكم الاهلية . فمعرفتهُ القانونية التي انالتهُ لقب دكتور في الحقوق وممارستهُ القضاء في المحاكم وقيامهُ للتدريس في مدرسة تدرس العلوم التجارية تخولهُ معرفة كل المصطلحات القانونية والتجارية وتسهل عليهِ وضع شرح للقانون التجاري وافٍ بالمراد من كل وجه . وهذا الذي نراهُ في الجزء الذي صدر من هذا الشرح فانهُ اخذ باطراف كل مادة من مواد القانون وشرحها شرحاً مسهباً لا تقتصر فائدتهُ على رجال القانون وطلبة المدارس التجارية بل تتناول ايضاً كل المشتغلين بالتجارة . مثال ذلك الكلام على الشركات كشركة التضامن وشركة التوصية وشركة المحاصة وشركة المساهمة فقد بسط الكلام على حقيقة كل شركة منها ومميزاتها وكيفية

انشائها وحقوق الشركاء فيها وما يطلب منهم . وقد ملأ البحث في الشركات نحو ٢٠٠ صفحة ونرجح انهُ لم يترك شيئاً مفيداً في هذا الموضوع الاَّ ذكرهُ بما يلزم من الاسهاب . وكل المصطلحات التجارية والقانونية الحق كلماتها العربية بترجمتها الفرنسوية حتى لا يبقى اقل التباس او سبيل للشك في المعنى المراد وقد جاء هذا الجزء في ٣٥٠ صفحة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جيد

اصول الفلسفة

وضع هذا الكتاب الاستاذ امين واصف بك وهو في ثلاثة اجزاء تشتمل على علم النفس وعلم الجمال وعلم المنطق وعلم الاخلاق ومعجم للمصطلحات الفلسفية . وقد قال في مقدمتهِ بعنوان موضوع الفلسفة : « كانت الفلسفة في العصور القديمة مجموع العلوم المعروفة وقتئذٍ ، وكان الفيلسوف يحيط بعلوم وقته وفنونهِ من لغات وطبيعيات والهيات هندسة وفلك وموسيقى وشرائع وطب وغيرها وكان الامر كذلك او ما يقرب في القرون الوسطى اذ كان في الطاقة البشرية الالمام بجملة تلك العلوم والفنون

« اما وقد اتسعت المعارف البشرية اتساعها المعهود وتشعبت العلوم العصرية فقد اصبح في غير مقدور الانسان ان يجمع معارف عصرنا هذا ، ولو حاول ان يلمَّ ببعضها الماماً للزمهُ ان يعيش اضعاف عمره . لذلك استقلت الفلسفة بتقرير المسائل العامة التي تصل تلك العلوم بعضها ببعض مثل البحث في اصول الكائنات وطبيعتها والخواص الذاتية لها ومكانها من الوجود وما تصير اليهِ غايتها ما عدا احوال الاجسام وخواصها العرضية فان البحث فيها من شؤُون العلوم الخاصة بها لأنَّ العلوم الوضعية كلها تشتغل بكل ما يعرض للموجودات من الظواهر والخواص والاعراض دون حقائق هذه الموجودات واصل وجودها فان ذلك من خصائص الفلسفة » وقد طبع الكتاب طبعاً نظيفاً بمطبعة المعارف بالفجالة

اللبن ومجامع الالبان

ذكرنا في باب الزراعة في هذا الجزء ان احد تلاميذ مدرسة الزراعة العليا اقتبس من استاذهِ محمد بك يوسف سليم الرغبة في صناعة الالبان . فوضع فيهِ رسالة تشرح هذه الصناعة شرحاً وافياً بلغة بسيطة فتكلم فيها على اللبن والقشدة والزبدة والجبن بانواعهِ الكثيرة كالبلدي والدمياطي والجرفيه والكلير والشدير والتشيسر والمواد التي تدخل في عمل الجبن وتحضير اللبن للبيع . ومؤلف هذه الرسالة التلميذ علي بك ابو الفتوح

المناهج الطبية لاتقاء الامراض الافرنجية

تأليف الدكتور جورج صوايا

ذكرنا الجزء الاول من هذا المؤلف الطبي النفيس حين ظهورهِ منذ سنتين وقد جاءنا الآن الجزآن الثاني والثالث منهُ وهما مجلد كبير في نحو ٥٥٠ صفحة يقتصر البحث في اولهما على الغونوريا او التعقيبة واسبابها وكيفية معالجتها علمًا وعملاً . وفي الثاني على الشنكرويد او القرحة الزهرية . فنشكر للدكتور صوايا اهتمامهُ بنشر الحقائق عن هذه الامراض العضالة التي قد يكون لها اكبر اثر في تصديع اركان العمران الحالي بما تتركهُ في اثرها من ضعف في الذريات المقبلة . والكتاب باجزائهِ الثلاثة يطلب بواسطة يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة

ديوان مهيار الديلمي

اهدت الينا دار الكتب المصرية الجزء الاول من ديوان مهيار الديلمي مرتبًا على القوافي ومطبوعًا طبعًا متقنًا نقلاً عن نسخة فتوغرافية محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٣٩ (ادب) وخطها من خطوط اوائل القرن السابع

ومهيار على ما جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان «هو ابو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسيًّا فاسلم ويقال ان اسلامهُ كان على يد الشريف الرضي ابي الحسن محمد الموسوي وهو شيخهُ وعليهِ تخرج في نظم الشعر . . . وكان شاعرًا جزل القول مقدمًا على اهل وقتهِ ولهُ ديوان شعر كبير وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائدهِ »

الجبر الحديث

وضع هذا الكتاب العالم الفاضل منصور حنا جرداق استاذ الرياضيات العالية في جامعة بيروت الاميركية وقد راعى فيهِ بسط الاساليب والمبادئ الحديثة في تعليم العلوم الرياضية كالانتقال التدريجي من علم الحساب الى علم الجبر والتطبيق العملي لما كان لهُ علاقة خاصة بالقوانين الرمزية والخطوطة البيانية والتشديد في فهم المبادئ الاساسية وترتيب المواد واستخدام ما ينطبق منها على المعاملات او ما يتعلق بالعلوم الطبيعية . والكتاب وضع خاصة لطلبة المدارس فعسى ان تعنى بهِ مدارس الشرق الادنى وتحلّهُ المحل اللائق بهِ في برامجها . وقد طبع بالمطبعة الاميركية في بيروت

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر اخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) شكل حكومة ايران

قرشي بجاواه السيد محمد فقيه عثمان

جاءت الانباء في اواخر السنة الماضية ان حكومة ايران قد نقلت من الملكية الى الجمهورية وانتخبت سمو رضا خان البهلوي رئيساً موقتاً لها ثم انتشرت الاخبار البرقية في هذه الايام ان سمو رضا خان قد اختير ملكاً لتلك البلاد نفسها وكذلك احد اولاده قد جعل ولي العهد فاذا كان هذا الخبر صحيحاً فما هو سبب هذا الانتقال من الجمهورية الى الملكية ايضاً وما هو المجوّز لنقل رئيس الجمهورية الى رتبة ملك

ج . ان الاخبار الوارة من ايران تدل على ان جمهور العلماء لم يكن راضياً عن جعل الحكومة جمهوريةً ولكنهُ رغب في اعادتها ملكية واتفق العلماء وسائر نواب المملكة على اختيار رضا خان ملكاً عليهم. ويقول الذين يعرفون جلالتهُ ان الايرانيين اصابوا في هذا الاختيار وان مستقبل البلاد قد توطد الآن. وعسى ان يكون علماؤُها من الآخذين باساليب العمران الحديث حتى يتسنى لايران ان تعود الى مقامها الذي كانت فيهِ بين ممالك الارض منذ الفي سنة . وسنكتب فصلاً في هذا الموضوع في المقتطف التالي

(٢) حقيقة السحر

ومنهُ ما هي حقيقة علم السحر عند العلماء والحكماء في هذا العصر وعند علماء الاديان العصريين وما هو رأيكم في ذلك

ج . اذا اريد بالعلماء والحكماء علماء الطبيعة والفلاسفة المعاصرون منهم فهم مجمعون على ان السحر ضرب من الشعوذة . اما علماء الاديان العصريون فكثيرون منهم يعتقدون صحة السحر ويقول بعضهم ان الشياطين تشارك السحرة في اعمالهم · اما نحن فنقول ان كل ما تقوم ادلة على صحتهِ فهو صحيح الى ان يثبت فسادهُ . وقد عشنا هذا العمر ولم نرَ ساحراً عمل عملاً لا يمكن تعليلهُ بالعلل الطبيعية المعروفة . وقد سمعنا عن كثير من الاعمال السحرية التي يتعذَّر علينا تعليلها اذا كانت قد حدثت

كما روي لنا ولكننا نرى في هذه الحال ان نسبة الانخداع او المبالغة او الكذب الى الرواية اقرب الى المعقول من تصديق ما يناقض النواميس الطبيعية المعروفة . فاذا اخبرَنا زيد انهُ رأى ساحراً سحر حماراً فصار ثوراً وجدنا نفسنا بين امرين الواحد نَقْض كل ما عرف حتى الآن من علم الحيوان وكل ما عُرِف من اخبار الناس في عصرنا وفي كل عصور التاريخ والثاني ان زيداً كذب في خبرهِ او خُيِّل اليهِ ان الحمار صار ثوراً لخلل في دماغهِ . والكذب وخلل الدماغ مما يقع كل يوم . فالساحر لم يحوّل الحمار ثوراً ولكن زيداً روى لنا خبراً غير صحيح

(٣) كتابان

ومنهُ . هل يوجد في العربية كتاب لتعلم الانكليزية والفرنسوية بدون استاذ . وهل يوجد فيها ايضاً كتاب في علم السياسة العمومية جامع لكل موضوعاتها ولكل الحكومات الحديثة

ج . كلاَّ

اما مسائلكم عن حكومة روسيا الآن فالاجوبة عنها تشغل اكثر من عشرين صفحة من صفحات المقتطف . فلا محل للاجابة عنها في باب المسائل ومن المحتمل اننا نفرد لبعضها فصلاً خاصًّا في المقتطف

(٤) تاريخ لبس البرقع

سورابايا . جاوا . السيد محمد مرتع . متى عرف لبس البرقع ومن اول من استعملهُ من الامم افيدونا تاريخيًّا

ج . جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين انهُ لما كان عبد ابرهيم الخليل آتياً من ارام النهرين الى فلسطين ومعهُ رفقة لتكون زوجةً لابنهِ اسحق رأت اسحق ماشياً في الحقل فلما عرفت مَن هو اخذت البرقع وتغطت . والذين حسبوا تاريخ حوادث التوراة قالوا ان ذلك حدث سنة ١٨٥٧ قبل التاريخ المسيحي اي منذ ٣٧٨٣ سنة ولا بدَّ من ان البرقع كان معروفاً في بلاد الكلدانيين قبل ذلك واذا صحَّ ما يدعيهِ بعض المنتقدين وهو ان سفر التكوين لم يكتبهُ موسى الكليم بل كتب في عهد عزرا او غيرهِ فخبر البرقع قديم على كل حال يمتد الى ما قبل التاريخ المسيحي بقرون . ولا يظهر من الآثار المصرية ان البرقع كان مستعملاً فيها في العصور الغابرة

(٥) تاريخ آدم

ومنهُ . هل حُدِّد تاريخ لآدم ابي البشر يعتمد عليهِ

ج . يظهر من التوراة ان آدم كان منذ نحو ستة آلاف سنة الى سبعة آلاف ولكن الآثار المصرية والاشورية تدل على ان الانسان كان قد تحضر حينئذٍ وبنى المدن وجيَّش الجيوش ورسخت بين طوائفهِ الفروق التي نراها الآن فالزنجي كان زنجيًّا والمصري

مصريًا والسوري سوريًا منذ اكثر من سبعة آلاف سنة وهذه الفروق لا تحدث وتتأصَّل وتثبت الاَّ بعد الوف كثيرة من السنين. و يظهر من آثار الانسان الجيولوجية انهُ وجد بمقومات الانسانية يسكن الكهوف و يصطاد الحيوانات و يرسم صورها ويستعمل ادوات الصوان منذ عشرات الالوف من السنين

(٦) تاريخ الفينيقيين

فلاغ ستاف اريزونا . الشيخ خطار يوسف نكد . هل يوجد تاريخ صريح للفينيقيين يوضح حقيقة هذه الامة وعظمتها وزمان وجودها فان كل ما قرأتهُ عنها لا يشفي غليلاً

ج. ليس في العربية على ما نعلم غير تاريخ سورية لمؤلفهِ جرجي افندي يني فان فيهِ خلاصة حسنة من تاريخ الفينيقيين . ولا يعرف تاريخ لفينيقية كتبهُ الفينيقيون انفسهم كتاريخ منيتو المصري عن مصر اما تاريخ فينيقية الذي نسبهُ فيلون الجبيلي الى سنكنياثون فليس تاريخًا بل هو قصص خرافية . ولذلك جمع تاريخ فينيقية ممَّا جاء عنها في كتب العبرانيين وغيرهم من الامم وممَّا وجد من آثارها . و يقال ان اوسع الكتب العصرية عن فينيقية كتاب هوفرس Hovers Die Phonizier und das Phonizische Alterthum في خمس مجلدات

وكتاب كنرك Kenrick تاريخ فينيقية وعادياتها History and Antiquities of Phoenicia وكتاب القانون رولنصن Canon Rawlinson تاريخ فينيقية History of Phoenicia وهو احدث من الاولين لانهُ طبع سنة ١٨٨٩ وللمسيو رينان وغيرهِ من العلماء كتاب نفيس نشرت فيهِ صور لكتابات الفينيقيين فملأَت اكثر المجلد الاول منهُ وللمسيو كلرمونت كانو Clermont Canneau كتاب الفن الفينيقي وقد وصف فيهِ الفن الفينيقي ابدع وصف واسمهُ L'Imagerie Phénicienne . ومن ذلك مقالة الدكتور كوك عن الفينيقيين في الطبعة الحديثة من الانسكلوبيذيا البريطانية

(٧) الحرير في صيدا وصور

ومنهُ . قلتم في اعلام المقتطف في الصفحة الرابعة ان اهالي ميليتس كانوا يجلبون الحرير والارجوان من صور وصيدا فهل الحرير كان معروفًا في سورية منذ سنة ٦٤٠ قبل المسيح

ج . نعم فقد ذكر الحرير في تواريخ الصين قبل المسيح باكثر من ٢٦٠٠ سنة وذكر في التوراة في الاصحاح الثالث من سفر عاموص النبي باسم الدمقس وكان عاموص قبل المسيح بنحو ٨٠٠ سنة . والظاهر

ان الحرير كان يرد الى فينيقية اما بحراً عن طريق الاوقيانوس الهندي فبلاد العرب واما برًّا بطريق بلاد فارس فيصبغ بالارجوان و يرسل الى حيث يرسل الفينيقيون البضائع بسفنهم

(٨) معنى بيتين من الشعر

طرابلس الشام الاستاذ سلامة نوفل ما معنى هذين البيتين

رأَت قمر السماءِ فذكَّرتني
ليالي وصلها بالرقمتينِ
كلانا ناظر قمراً ولكن
رأَيت بعينها ورأَت بعيني

ج . مراد الشاعر ان المتكلم كان ينظر الى التي ذكرتهُ بليالي الرقمتين وهي تنظر الى قمر السماء ثم ادعى ان القمر ووجهها قمران احدهما حقيقي وهو وجهها لانهُ هو كان يرى ما تراهُ هي بعينيها . والآخر شبيه بهِ وهو قمر السماء لانها كانت ترى بعينه

(٩) كتاب المستشرق كيتاني

نابلس فلسطين . زكي افندي النقاش . هل ترجم موءلف البرنس كيتاني التلياني في تاريخ الاسلام الى الانكليزية او الفرنسوية

ج . كلاَّ ولا نظن انهُ يترجم ونحن لم نرَ هذا الكتاب ولكن اخبرنا عالم رآهُ انهُ مثل فهرس تاريخي لكل ما عثر عليهِ في الكتب العربية القديمة وقد ذكرهُ حسب تواريخهِ ليعتمد عليهِ الباحثون في تاريخ الاسلام

(١٠) لويس الاول

ڤينا . ح س. طالب بڤينا من هو لويس الاول ملك فرنسا وهل هو من اسرة البوربون

ج . هو امبرطور المانيا وملك فرنسا الملقب بالوديع او التقي Débonnaire ولد سنة ٧٧٨ وخلف شارلمان سنة ٨١٤ وهو ليس من البوربون

(١١) لويس السابع عشر

ومنهُ . من هو لويس السابع عشر واذا لم يكن موجوداً فلماذا سمَّوا لويس الثامن عشر

ج . هو الابن الثاني للملك لويس السادس عشر ولد سنة ١٧٨٥ وجعل وليًّا للعهد سنة ١٧٨٩ ونودي بهِ ملكاً حينما قُتل ابوهُ في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣ واعترفت بهِ انكلترا وروسيا لكنهُ لم يملك لنشوب الثورة وتوفي في ٨ يونيو سنة ١٧٩٥

(١٢) نبوليون الثاني

ومنهُ من هو نبوليون الثاني واذا لم يكن موجوداً فلماذا سموا نبوليون الثالث

ج . هو ابن نبوليون الاول من ماريا لويس ولد سنة ١٨١١ وتوفي قرب ڤينا سنة ١٨٣٢ وقد لقب نبوليون الثاني لان اباهُ تنازل لهُ مرتين عن الملك

(١٣) الاسر المالكة في انكلترا

ومنهُ . كم اسرة مالكة حكمت انكلترا

ج . لا بدَّ من انكم تريدون بانكلترا البلاد الانكليزية كلها بعد ان صارت مملكة واحدة فاولاً حكمها اثنان من بيت ستورت من سنة ١٦٠٣ الى سنة ١٦٤٩ ثم حكمت بنوع من الجمهورية Commonwealth الى سنة ١٦٦٠ وعاد فحكمها اثنان من بيت ستورت الى سنة ١٦٨٩ وحينئذٍ حكمها بيت ستورت واورنج اي وليم وماري ووليم الثالث ثم الملكة حنة من بيت ستورت ثم جورج الاول والثاني والثالث والرابع ووليم الرابع وفكتوريا وكلهم من بيت هنوڤر. وخلف فكتوريا ابنها الملك ادورد الرابع سنة ١٩٠١ وهو من بيت سكس كوبرج وغوتا لان اباهُ كان من ذلك البيت. والملك الحالي جورج الخامس جعل لقب بيته «وندسور» في ١٧ يوليو سنة ١٩١٧ لكي يخلص من اللقب الالماني الذي لقب بهِ بيت ابيهِ

(١٤) اجوبة مسائل المقتطف

ومنهُ . من اي الكتب تجاوبون على هذه المسائل وهل هي عربية او افرنجية

ج . بعض الاجوبة من الذاكرة وبعضها من كتب عربية واكثرها من كتب افرنجية

(١٥) تاريخ للقرون الوسطى

ومنهُ . ما هو احسن تاريخ لملوك اوربا من القرون الوسطى الى الآن وهل هو مترجم الى العربية

ج . تجدون في كل تاريخ عمومي كلاماً عن ملوك اوربا ونظن ان تاريخ التواريخ الذي نشرتهُ جريدة التيمس اوفى من غيرهِ ولا نعرف كتاباً بالعربية وافياً بهذا الموضوع

(١٦) الارض وعمر الاحياء

القدس . الاستاذ طلعت السيفي . من المعلوم ان الارض قطعة نارية انسلخت عن الشمس وبردت بالتدريج الى ان وصلت الى هذه الحالة . ولما انفصلت سبحت في الفضاء واخيراً تركزت في مكان معلوم تقريباً في ذلك الفضاء وهي تابعة لقوة الشمس الجاذبة . وعلى ما هو معروف في علم الجغرافيا ان المسافة التي بين الارض والشمس معروفة وهي ٩٣ مليون ميل تقريباً اي ان هذه المسافة فيها ذلك المقدار من قوة الشمس الجاذبة للارض. فهل المسافة التي بين الارض والشمس ثابتة ام لا فاذا كانت ثابتة فقوة الجاذبية بينهما ثابتة وان كانت غير ثابتة فان قوة الجاذبية التي بينهما اختلفت عما كانت فاذا عرفنا الزمن الذي اصبحت فيهِ الارض صالحة لسكن الحيوان والانسان ولو بالتقريب امكننا ان نعرف بالتقريب الزمن القادم الذي تنتهي فيهِ قابلية الارض لان يعيش عليها الانسان والحيوان لانها

اذا قربت من الشمس تشتد الحرارة واذا بعدت يشتد البرد وفي الحالين لا تعود صالحة لمعيشة الحيوان فما رأيكم في ذلك

ج . المرجح عند علماء الفلك الآن ان رأي بسكال في انفصال السيارات عن الارض غير صحيح . والصحيح ان هذا الانفصال وقع من اقتراب جرم سموي من الشمس لحدث في مادتها شيء من المد زاد رويداً رويداً حتى انفصل ما ارتفع بالمد منها كما انفصل القمر عن الارض . اما الزمن الذي حدث فيهِ ذلك فلا يعلم ولا تعلم الابعاد التي اندفعت اليها الاجزاء المفصولة حتى يستنتج من ذلك الزمن الذي تصير فيهِ الارض غير صالحة لسكن الاحياء . وترى العلماء عند ذكرهم الازمنة الكونية يقولون ان الحادثة الفلانية يجب ان تكون قد حدثت منذ الف مليون سنة او الفي مليون سنة اذا لم يكن في الكون من الاسباب غير ما نعرفهُ الآن وسننشر مقالة مسهبة في هذا الموضوع في جزء تالٍ

باب الاخبار العلمية

مقتطف ابريل

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بمقالة عنوانها « مَن المسؤُول عن الحرب الكبرى » بناها الجنرال السر ادمند ايُرنسيد على ما دار من المراسلات والاحاديث بين الجنرال ملتكي الاصغر رئيس اركان حرب المانيا والجنرال كنراد رئيس اركان حرب النمسا والمجر وذلك من سنة ١٩٠٧ حتى نشوب الحرب الكبرى

ويليها مقالة علمية طبية للدكتور شريف عسيران عنوانها معالجة السل باملاح الذهب (السانكروسين)

وبعدها جانب من بحث تاريخي نفيس للاديب انيس النصولي عنوانها اساليب المؤَرخين العرب في كتابة التاريخ وقد ذكر فيهِ الاسلوب الذي جرى عليهِ ابن الطقطقي واليعقوبي والسيوطي والاتابكي والمقدسي والمقري وابن العبري والاسحاقي

ثم مقالة موضوعها الخيل المصرية والخيل العربية وفيها المام بتاريخ الخيل في مصر كما يظهر من آثارها القديمة والاهتمام بتكثيرها وتأصيلها في ايام محمد علي واوصافها الآن ومقابلة ذلك باوصاف الخيل

العربية . وفي المقالة رسوم كثيرة للخيل في الآثار المصرية ورسم فرس عربي تام الخلق

ويليها خطبة بليغة للآنسة ميّ عنوانها « الغرائز السيكولوجية الثلاث » القتها في النادي الكاثوليكي بمصر في ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦

وبعدها نبذة اخرى عن كنوز البحار وغرائب انتشالها

ثم كلام على البقر الحلوب واشهر انواعها ومقدار ما تحلبهُ الواحدة منها في السنة . وصورتا بقرتين حلبت احداهما ما يزيد على ٣٢ الف رطل في السنة والاخرى حلبت نحو ٢٠ الف رطل في سنة خرج منها ١٢١٢ رطل زبدة

فمقالة للدكتور احمد ضيف من اساتذة دار المعلمين العليا بمصر عنوانها « الادب المصري في القرن التاسع العشر »

ويليها كلام على اتساع « ثروة الولايات المتحدة في ربع قرن » مما جعلها اغنى امم الارض شعباً وحكومة

وبعدهُ وصف للانقلاب الكبير الذي حدث في تركيا فتناول السياسة والدين والملابس ومقام النساء في الهيئة الاجتماعية التركية وذلك من مقالة للقس شرغون وهو من الكتاب المعروفين بدقة النظر وصدق القول

ويلي ذلك كلام على ما يقولهُ بعض علماء اليسوعيين في تأييد مذهب النشوء والارتقاء

فمقالة عن المدارس الاميركية في الشرق الادنى وكيف جُمعت الاموال لها وفيها صورة ركفلر وابنهِ صاحبي الايادي البيضاء على البحث العلمي ونشر العرفان في مختلف الاقطار

ثم مقالة مسهبة عنوانها ارتقاء وسائل التخاطب في خمسين سنة ذكرنا فيها ما تمَّ من التحسين في التلغراف الكهربائي الذي استنبط قبيل ذلك ثم وصفنا التلفون السلكي والتلغراف والتلفون اللاسلكيين وهي مما استنبط واتقن في هذه الحقبة . وفي المقالة صورة الانبوب المفرغ الذي بُني عليهِ التلفون اللاسلكي وصورتا مورس مستنبط التلغراف الكهربائي وهرتس العالم الكهربائي الالماني وهما ممن لم يسبق لنا نشر صورهم من اقطاب الكهربائية والمخاطبات

وبعدها مقالة اخرى للاستاذ حسن حسين فصّل فيها المعتقدات التي يقوم عليها مذهب تناسخ الارواح

ثم جانب من قصة مصرية عنوانها الشيخ مرعي صبيح للاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي

فمقالة لاحد ادباء السوريين في المهجر يصف فيها ديوان الرباعيات لالياس فرحات وهو من الشعراء السوريين الممتازين في البرازيل

وابواب المقتطف حافلة كعادتها بالنبذ والشذور العلمية والعملية المفيدة

اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٥	١٠	٥	مساء
الهلال	١٢	٢	٥٦	«
الربع الاول	٢٠	١	٢٣	صباحاً
البدر	٢٨	٢	١٧	«
الحضيض	١٠	٤	٤٢	«
الاوج	٢٢	٠	٤٢	«

السيارات في ابريل

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره

الزهرة . كوكب صباح

المريخ والمشتري . يشرقان نحو الساعة ٢ ونصف صباحاً

زحل . يشاهد في اثناء الليل

الاصقاع الشمالية وطعام الانسان

نشرنا في مقتطفي اكتوبر ونوفمبر سنة ١٨٩٨ خطبة السر وليم كروكس لما كان رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني التي انذر فيها بان البشر سيزيدون عددا حتى ان الاراضي الصالحة لزرع القمح يصبح قمحها غير كافٍ لاطعامهم ولو زرعت كلها . واشار بان تصنع الاسمدة الكيماوية التي يزيد بها خصب الارض وغلة القمح حتى تبقى كافية لاعالة الناس زمناً طويلاً . وقد عمل الناس بمشورته ثم ظهر ان البلدان الشمالية التي لا تصلح لزرع القمح لشدة البرد فيها تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ مليون فدان واكثرها يصلح لرعي الحيوانات التي تعيش في الاصقاع الشمالية كالرنة (نوع من الايل) وثور المسك . وقد نقل الامير كيون حيوان الرنة من سيبيريا الى بلاد الاسكا التي ابتاعوها من روسيا وهي في اقصى الشمال الغربي من اميركا الشمالية فجعل نسل هذا الحيوان يتضاعف كل ثلاث سنوات . ومن رأي احد الباحثين في هذا الموضوع ان في مروج الاصقاع الشمالية من المراعي ما يكفي لمائة مليون من حيوان الرنة وخمسمائة مليون من ثور المسك ويبلغ لحم ما يمكن ذبحهُ من هذه الحيوانات سنوياً ٥٥ الف مليون رطل فاذا كان البيت الذي فيه خمسة يأكل في السنة الف رطل من اللحم فهذا اللحم يكفي ٥٥ مليون بيت او نصف سكان اوربا عدا ما في جلود هذه الحيوانات وصوفها من الفائدة . افلا يمكن ان يستغنى بالاصقاع الشمالية عن مراعي المواشي في المنطقة المعتدلة فتخصص لزرع القمح

الاعتراض على مذهب اينشتين

لم يظهر في العلم مذهب جديد قام لهُ العلماء وقعدوا في المسكونة كلها مثل نظرية

النشوء او مذهب داروين ومثل نظرية النسبية الجديدة او مذهب اينشتين ولكن مذهب اينشتين ايدهُ اكثر العلماء الذين يعبأ بقولهم في هذا الموضوع ولم يقاومهُ الأ نفر قليل منهم واما مذهب داروين فكان مؤيدوهُ قلالاً ومقاوموهُ كثاراً ثم انقلبت الحال فكثر مؤيدوهُ وقل مقاوموهُ فهل يقع مثل ذلك لمذهب اينشتين اي تنقلب الحال كما انقلبت في مذهب داروين. فانهُ لما التأم مجمع تقدم العلوم الاميركي في مدينة كنساس في اواخر ديسمبر الماضي اعطيت جائزتهُ الكبرى للاستاذ ديتون ملر لمقالة تلاها فيها اثبت فيها وجود الاثير وانهُ يجري مع الارض في دورانها على نفسها وفي دورانها حول الشمس خلافاً لما ظهر من تجارب مكلصن ومورلي. واثبات وجود الاثير يخالف مذهب اينشتين. وقد روت السينتفك اميركان ان اينشتين قال انهُ « اذا ثبتت النتيجة التي وصل اليها الدكتور ملر انتفت نظرية النسبية الخاصة والعامة ايضاً ثم قال ان الامتحان هو الحكم الاعلى»

والذي ينفي مذهب اينشتين ليس وجود الاثير لان السر اوليفر لدج يؤيد مذهبهُ و يقول ايضاً بوجود الاثير واما الذي ينفيهِ فهو كون حركة الارض تؤثر في الاثير فيجري بعضهُ معها كما يجري بعض الماء مع سفينة جارية فيهِ وهذا منافٍ لمذهب اينشتين . اما عدم ظهور هذا الجري في تجارب مكلصن فقد عللهُ ملر بان تجارب مكلصن كانت في مكان محصور تتعذر حركة الاثير فيهِ واما تجاربهُ هو فبلغت مائة الف وكان اكثرها في اماكن واسعة مطلقة. وقد ثبت لهُ منها ايضاً ان النظام الشمسي سائر في الفضاء نحو كوكبة التنين بسرعة ١٢٥ ميلاً في الثانية من الزمان وان الارض تجرُّ الاثير المجاور لها معها لكن سرعتهُ تكون اقل من سرعتها نحو ٥ في المائة او اكثر

غزارة البترول

اوجس الاميركيون خيفة منذ بضع سنوات من نفود البترول من بلادهم بعد سنوات قليلة وملأوا الدنيا نواحاً فقادهم ذلك الى زيادة البحث والتحري في بلادهم وغيرها ولا سيما بعد ما كثر الاعتماد على البترول و يقال الآن ان السنة الماضية كانت اكثر السنين بترولاً عندهم فقد استخرجوا فيها اكثر من ٧٥٨ مليون برميل . ومنذ عشرين سنة كان المستخرج فيها في السنة ١٠٠ مليون برميل فقط. وقد استخرج الجانب الاكبر في العام الماضي من ولاية كليفورنيا فقد بلغ نحو ٢٣٢ مليون برميل او نحو ثلث ما استخرج من كل ولايات اميركا

وقد كثرت البلدان التي يستخرج منها البترول الآن ومن اهمها فنزويلا و بيرو

وكولمبيا وروسيا ورومانيا ومصر وايران والعراق والهند واليابان

ميامي والمضاربات الفاحشة

ميامي مدينة في ولاية فلوريدا باميركا واقعة على ساحل البحر كان عدد سكانها في اوائل هذا القرن نحو ١٧٠٠ نفس وهو الآن نحو ١٥٠٠٠٠ لانها وُجدت من اصلح الاماكن لتكون مشتًى . وحدث اخيراً ان تقاطر الناس اليها من كل الولايات المتحدة حتى بيع المتر المربع من الارض فيها بنحو خمسماية جنيه وهو اعلى ثمن بيعت بهِ ارض في مدينة من المدن

ثوران بركان يزوف

كتب بعضهم في مجلة ناتشر يقول زرت بركان يزوف في ٧ يناير برفقة الاستاذ ملادرا مدير مرصد يزوف فوجدت ان الكاس الكبيرة التي تكونت من ثوران سنة ١٩٠٦ جعلت تمتلئ بما ينصب فيها من الصهارة والحمم حتى لم يبقَ من عمقها الاَّ ٢٥٠ قدماً وفي ارضها الآن مخروط جديد تخرج منهُ الصهارة والحمم يكاد ارتفاعهُ يبلغ حافة الكاس ويسهل لمن يقف على حافة الكاس ان يرى ما يخرج من هذا المخروط وينصب حولهُ ويشاهد ما يحدث فيهِ من التفاعل الكيماوي وان يتناول منها امثلة لدرسها

علم الفلك لتحقيق التاريخ

قالت ناتشر انهُ جاء في الكتاب المشرين من قصيدة هوميروس المعروفة بالاودسي ان ثيوكليمنوس وصف اختفاء الشمس بغتة وحدوث الظلمة مما يدل ان الشمس كُسفت كسوفاً كلياً . وقد بحث الدكتور سكوتش عن الاوقات التي كُسفت فيها الشمس كسوفاً يرى كلياً في ايثاكا فوجد بالحساب انهُ حدث هناك كسوف كليٌّ في ١٦ ابريل سنة ١١٧٨ قبل التاريخ المسيحي وكان حدوثهُ الساعة ١١ والدقيقة ٤١ قبل الظهر وهذا يقرب من التاريخ الذي يستنتج ان اوديسوس (عولوس) رجع فيهِ من حرب تروادة

الخلايا الصناعية

كل الاجسام الحية مركبة من خلايا صغيرة تمتص الغذاء وتنمو وتنقسم واقسامها تمتص الغذاء وتنمو وتنقسم وهلمَّ جرّاً وهذا سرُّ نمو الاحياء من نبات وحيوان . وقد جاء في الكتاب السنوي لمعهد كارنجي بوشنطون ان العلماء الباحثين في الفسيولوجيا النباتية صنعوا خلايا من الجلاتين والبكتين والاجار واوصلوها بمذوب مركبات من الحديد والبوتاسيوم والحديد والصوديوم فاختارت مركبات الحديد والبوتاسيوم فامتصتها كأنها خلايا حية

دروس المعرض الزراعي الصناعي

كنا نرجو ان يصدر قرار لجان المعرض وتنشر اسماء الذين حازوا الجوائز من العارضين لكي ننشرها في المقتطف لانها افضل شهادة على نجاحهم وتفوّق معروضاتهم ولكنهُ لم يصدر حتى كتابة هذه السطور ومن المحتمل ان لا يشار فيهِ الى معروضات وزارة الزراعة وهي كثيرة وحرية بان يراها كل احد فيعلم اهتمام هذه الوزارة بما يرقي زراعة القطن ويجيد حاصلاتها . فاهتمامها بالقطن ووقايتهِ من الآفات وتحسين نوعهِ او حفظهِ من الانحطاط كل ذلك قديم واذا لم يكن لها عمل آخر وقامت بهِ حق القيام فهو وحدهُ مبرر لوجودها ولكنها لم تقف عند ذلك بل اهتمت باشجار الفاكهة على انواعها وجلب الجيد منها من بلدان اخرى وانشأت مشاتل لذلك تزرع فيها بزور تلك الاشجار حتى اذا نبتت وصارت صالحة للنقل الى البساتين ارشدت المهتمين بانشاء البساتين الى كيفية غرسها والاعتناء بها.ولا يبعد ان يصير القطر المصري من البلدان التي تستغني بفاكهتها عن جلب الفاكهة من الخارج وتصير ايضاً قادرة على اصدار جانب كبير من فاكهتها اي يصير اعتمادها على الزراعة الكثيفة او البستانية intenisve فان دخل الفدان المزروع قطناً وهو اثمن حاصلات القطر لايزيد على ثلاثين جنيهاً او اربعين ولا يزرع قطناً الأ كل سنتين او ثلاث سنوات واما غلة الفدان المزروع عنباً او برتقالاً فقد تبلغ سبعين او ثمانين جنيهاً كل سنة . ولا بدَّ من الاعتماد على هذا النوع من الزراعة حتى يبقى دخل الاراضي كافياً لنفقات السكان

المباحث الفلسفية

شكا بعض المشتركين من اننا قللنا المباحث الفلسفية التي كنا نطرقها في سني المقتطف الاولى وهذا صحيح وسببهُ ان المواضيع الفلسفية كانت نظرية في الغالب قلما يعتمد فيها على البحث العلمي ولكنها دخلت معاهد العلم الامتحاني منذ نحو ٤٠ سنة جارية مجرى العلوم الطبيعية .مثال ذلك ان بعض طلاب المعارف في اميركا من المدرسين والمحامين والتجار رجالاً ونساء طلبوا من الاستاذ اوڤرستريت ان يشرح لهم كيف يفسر علمُ النفس تغير اخلاق الانسان ثم جعل هؤلاء الطلاب يناظرونهُ ويمتحنون ما قالهُ في انفسهم ويبحثون عمَّا يؤيدهُ او ينقضهُ في اخلاق معارفهم اي انهُ هو وهم تركوا المسائل الفلسفية ولجأوا الى البحث والامتحان. ولا بدَّ من الانتظار الى ان تُحقق النتائج التي وصلوا اليها قبل نشرها وكذا سائر فروع علم النفس

الاشتراكيون في المجالس النيابية

اتسع نطاق المبادئ الاشتراكية بعد الحرب اتساعاً كبيراً وظهر اثرهُ في الانتخابات للمجالس النيابية والمحلية وفي البيان التالي ترى عدد نواب العمال او الاشتراكيين او الشيوعيين في مجالس النواب في مختلف البلدان سنة ١٩٢٥

	العمال	الاشتراكيون	الشيوعيون	الاعضاء كلهم
الارجنتين	..	١٨	..	١٥٨
ارلندا	١٤	..	..	١٥٣
اسبانيا	..	٧	..	٤٠٨
استراليا	٢٣	..	..	٧٥
استونيا	..	٢٢	٤	١٠٠
اسوج	..	١٠٤	٦	٢٣٠
المانيا	..	١٣١	٤٥	٤٩٣
ايطاليا	..	٢٥	٣٩	٥٣٥
بريطانيا	١٥١	..	١	٦١٥
البلجيك	..	٧٩	٢	١٨٦
بلغاريا	..	٢٩	..	٢٥٠
بولونيا	..	٤١	٢	٤٤٤
تشكوسلوفاكيا	..	٤٧	٤٢	٣٠٠
جنوب افريقية	٢٤	..	..	١٣٤
دنمارك	..	٥٥	..	١٤٩
روسيا	..	..	١٤٤١	١٤٤١
رومانيا	..	١	..	٣٦٩
زيلندا الجديدة	١٣	..	..	٨٠
سويسرا	..	٤٩	٣	١٩٨
شيلي	٩	..	..	١١٨
فرنسا	..	١٠٢	٢٩	٥٤٨
فنلندا	..	٦٠	١٨	٢٠٠
كندا	٢	..	..	١٤٤
لاتفيا	..	٣٣	..	١٠٠
لثوانيا	..	٨	..	٧٨
لكسمبرج	٩	..	..	٤٨
المجر	..	٢٤	..	٢٤٥
نروج	٢٤	٨	٦	١٥٠
النمسا	..	٦٨	..	١٦٥
هولندا	..	٢٤	١	١٠٠
الولايات المتحدة	..	١	..	٤٣٥
اليونان	..	٦	..	٣٦٩

آثار بيسان

ظهر الآن من البحث في اطلال بيسان في فلسطين انهُ كان فيها اربعة هياكل مصرية واحد منها من عهد الملك امنهوتب وثلاثة قديمة كشفت في العام الماضي وهي من عصر الانقاض والكتابات التي وجدت في تل الامرنا. والاثار التي وجدت في هيكل ستي الاول ورعمسيس الثاني في بيسان تشبه الآثار التي وجدت في هيكل اشتار في اشور وهذه تشبه الآثار الحثية التي وجدت في

هيا كل بوغاز كوى عاصمة الحثيين. ويستنتج من ذلك ان هيكل امنهوتب في بيسان بني على مثال هيكل الحثيين

الجنايات في مختلف البلدان

زاد عدد جنايات القتل في الولايات المتحدة الاميركية زيادة فاحشة حتى بلغ عدد الذين قتلوا في سنة واحدة فيها ١١ الف شخص وقد كتب احدهم مقالة في هذا الموضوع في مجلة التاريخ الجاري جاء فيها بيان فيهِ نسبة الجنايات الى كل مليون من السكان في مختلف البلدان بين سنتي ١٩١٠ و١٩٢٠ واليك البيان

الولايات المتحدة	٧٢
ايطاليا	٣٦
استراليا	١٩
جنوب افريقية	١٨
زيلندا الجديدة	٠٩
ارلندا	٠٩
اسبانيا	٠٩
نروج	٠٨
انكلترا وويلس	٠٨
كدبك (بكندا)	٠٥
اونتاريو	٠٥
اسكتلندا	٠٤
هولندا	٠٣
سويسرا	٠٢

تغير شعر الزنوج

لقد انتبهنا الى تغير شعر الانسان بعد ولادتهِ من حين ولد لنا اول ولد اي منذ نحو ٤٧ سنة وقلنا انهُ موروث وهو دليل على اختلاف الاقاليم التي كان فيها اسلافنا. وقد قرأنا الآن في عدد ٦ مارس من مجلة ناتشر ان الدكتور فرتز سراسن لاحظ ان اطفال زنوج افريقية وملقا وكليدونيا الجديدة يكون شعرهم قبل ان يبلغوا السنة او السنة والنصف بسطاً او قليل الجعودة وهو اشقر او ضارب الى الشقرة ثم يشرع يسود ويتفلفل ولكنهُ لا يصير مفلفلاً تماماً الاَّ في السنة السادسة من العمر وعليهِ فهذه الصفة اي سواد الشعر وتفلفلهُ طارئة على هذا الجنس من الناس لم تكن في اسلافهم الاقدمين في العصور الغابرة

آثار المايا في اواسط اميركا

وجد الدكتور غان في آثار المايا من سكان اميركا الاقدمين لوحاً عليهِ كتابة مؤَرخة وكان الباحثون قد عرفوا ارقام المايا والزمن الذي يؤَرخون منهُ فاذا تاريخ هذا اللوح يوافق ٢٤ اكتوبر سنة ٣٣٣ للميلاد وعليهِ فمملكة المايا قامت هناك قبل الزمن الذي قيل انها قامت فيهِ باكثر من ٣٠٠ سنة

اصحاب الخزف المدهون في العراق

لم يكن السمريون الذين وجدت آثارهم في تل الابيض سكان العراق الأوَل . فقد سبقهم الى الاماكن التي بنوا فيها هيا كل اور واردو (ابو شهرين) اناس سابقون للتاريخ المدوَّن يصح ان ندعوهم « اصحاب الخزف المدهون » وهم يختلفون كلَّ الاختلاف عن السمريين وقد يكونون رحلوا عن تلك الاماكن قبل قدوم السمريين اليها بزمنٍ طويل . هؤلاء الاقوام كانوا يصنعون خزفاً بديعاً في اشكالهِ والوانهِ من غير دولاب الخزّاف . وبرعوا في الامور الزراعية فكانوا يستخدمون محراثاً من الحجر لحرث الارض ويحصدون غلالهم بمناجل من الاجرّ ويطحنون حنطتهم بدقها بحجر على حجر. ويستدلُّ من آثارهم انهم كانوا يحيكون ومن اسلحتهم القوس والمقلاع والفاس الحجرية ومن حلاهم دبابيس من السبج وخرز من العقيق ولم يعرفوا الكتابة ولا النقش في الحجر مما يدلُّ على انهم لم يستعملوا المعادن . وكانوا يأْكلون الحبوب والسمك وانواع المحار ويرجح انهم كانوا يصطادون الطيور والحيوانات الصغيرة بالمقلاع او بالقوس . واما مساكنهم فكانت في الغالب اكواخاً من القصب كخيام بعض قبائل البدو

ويقال ان هؤلاء الاقوام كانوا يختلفون عن السمريين في انهم لم يدجنوا الحيوانات اذ كانوا زراعاً وصيادين . ومما يؤيد هذا القول وجود كثير من رؤوس السهام الصوانية بين آثارهم واما السمريون فلم يستعملوا السهام في اول عهدهم في البلاد

وما يعرف عن هؤلاء الاقوام السابقين للسمريين عدا ما تقدم نزرٌ لا يعتمد عليهِ . فقد وجدت آنية خزفية تماثل خزفهم كل المماثلة في جزيرة بندر بوشير في خليج فارس . ووجدت البعثة الفرنسوية خزفاً مدهوناً يشبهُ خزفهم في اسلوبهِ في شوشن على عمق ٨٠ قدماً . وعثرت كذلك على ما يماثل هذا الخزف في موزيان على مقربة من شوشن . ولذلك يرى المستر فرنكفورت من اعضاء المعهد الانثربولوجي الملكي بلندن ان اصحاب الخزف المدهون هاجروا من شوشن الى العراق وان موزيان وهي على ١٥٠ كيلومتراً من شوشن غرباً كانت محطة بين المكانين

بن البرازيل

جاء في مجلة « العالم الجديد » السورية التي تصدر في نيويورك باميركا ان البرازيل تنتج نحو ثلثي محصول العالم من البن وهي لذلك في مركز يمكنها من السيطرة على سوقهِ. والولايات المتحدة هي البلاد الاكثر تأَثراً بتدابير الحكومة البرازيلية لرفع سعر

البن لان سكانها يستهلكون نصف محصول البن في العالم كلهِ . وانهُ يستنتج من بيان وزارة التجارة ان الزيادة المصطنعة في السعر الناتجة من تمويل الحكومة البرازيلية لزارعي البن للتمكن من الاحتفاظ بهِ قد كلفت الشعب الاميركي اكثر من ٨٢ مليون ريال في السنة المالية التي انتهت في ٣٠ يونيوسنة ١٩٢٥ وفي غضون تلك السنة كان متوسط سعر البن المجلوب الى الولايات المتحدة اغلى من متوسط سعرهِ في السنة السابقة ٤٤ ونصفًا في المائة

وقالت ايضًا انهُ لما زاد محصول البن سنة ١٩٠٧ و ١٩٠٨ وهبط سعرهُ استدانت ولاية سان باولو دينًا كبيراً واشترت اكثر من ثمانية ملايين وخمسمائة الف كيس منهُ فمنعت الاسعار من الهبوط وساعدت على ابقائها في نسبة عالية عدة اعوام تلت . ولما هبطت اسعار البن ايضًا في بداءة سني الحرب اشترت ولاية سان باولو ثلاثة ملايين كيس فصدت هبوط الاسعار وجاء موسم سنة ١٩١٨ قليلاً فساعدها على اتمام مهمتها وابلاغها حد النجاح

نابغة مصري في الفوتغراف

اقيم في باريس سنة ١٩٢٥ معرض دولي للتصوير الفوتغرافي فتبارى فيهِ الهواة من مختلف الاقطار وعرضوا ابدع الصور الفوتغرافية التي صوروها فكانت معروضات احمد صادق افندي الموظف بوزارة الاوقاف في مقدمتها مقامًا وجمالاً وقد اشارت الى ذلك مجلة باريسية فنية اسمها « رجال الفن اليوم » فافردت لاحمد افندي مقالاً خاصًا ونشرت صورتهُ وصورتين من معروضاتهِ اسم احداهما « مغيب الشمس وانعكاس اشعتها » واطرت هذه الصورة اعظم اطراء فقالت انها لفتت انظار الزائرين وكانت موضوع اعجابهم لانها تدل على مهارة نادرة وتظهر الفن في ادق معانيهِ وذكرت ان صورهُ عرضت في معارض الصور الفوتغرافية في اوربا واميركا فحازت اعجاب الزائرين. واكثر صورهِ تمثل مناظر طبيعية على النيل

هبة لمجهول

زار رجل مستشفى لندن في الصيف الماضي وقال للمدير انهُ يود ان يهب المستشفى مبلغًا من المال اذا عرف الغرض الذي يستعمل لهُ. فاخبرهُ المدير ان المستشفى يحتاج الى مال للانفاق على البحث الطبي لان هذا البحث لا يتفرغ لهُ الاطباء الاَّ اذا كان لهم اجر يقوم بمعيشتهم. ففكر الرجل في الامر ثم وهب المستشفى خمسين الف جنيه لينفق ريعها على البحث الطبي مشترطًا ان لا يُعرَف اسمهُ

كلف الشمس

لا تزال الكلف الكبيرة التي ترى بالعين تظهر على وجه الشمس فقد ظهر منها في هذا الدور خمس كلف من اول السنة الى اواسط مارس لكن الكلفة الخامسة اصغر من الكلفة الكبيرة التي كانت في يناير . وعلى اثر ذلك زادت المغنطيسية في الجو في ٢٣ و٢٤ فبراير لعلاقتها بكلف الشمس

واردات القطن وصادراته

بلغت الواردات من القطن على الاسكندرية والصادرات منها في الاسبوع الماضي الذي آخره ظهر الخميس ١٨ مارس الجاري ومن اول سبتمبر الماضي الى اليوم المذكور مع مقابلتها بمثلها في المحصولين الماضيين كما يأتي بالقنطار :

		من اول سبتمبر
١٩٢٦	٧٦٩٢٨	٦٧٤٧٠٣١
١٩٢٥	٦٣٢٧٩	٦٧٤٠٥٩٥
١٩٢٤	٤٤٧٧٩	٥٩٩٧٠٠٠
	الصادرات	
١٩٢٦	١١٠٣٠٦	٤٨٥٤٤٥٤
١٩٢٥	١٠٢١٢٢	٥٥٩٥١٢٨
١٩٢٤	٥٩٢٧٣	٥٢٨٨٩٩٦

وكان المخزون في الاسكندرية في ظهر اليوم المذكور ٢٢٨٥٥٧٧ قنطاراً يقابلها في مثل هذا اليوم من المحصول الماضي ١٤٠٥٤٦٧ قنطاراً ومن المحصول السابق ١٥١١٠٠٤ قناطير

اما الصادرات من المحصول الحالي الى آخر الاسبوع الماضي فقد وزعت على مختلف البلدان كما يأتي مع مقابلتها بمثلها في المحصولين الماضيين

	انكلترا	اميركا
١٩٢٦	٢١٩١٣٦٠	٨٥٥٩٠٢
١٩٢٥	٢٦٢٨٨٠١	٨١٦٢١٢
١٩٢٤	٢٥٣٢٦٣٣	١٩٢٧٨٩

واما ما وزع على سائر البلدان معاً عدا انكلترا واميركا فبلغ ١٨٠٧١٩٢ سنة ١٩٢٦ و٢١٥٠١١٥ سنة ١٩٢٥ و٢٠٦٣٥٧٤ سنة ١٩٢٤

فائدة الاشعة التي فوق البنفسجي

ذكرنا مراراً ما ثبت من الفائدة الصحية لهذه الاشعة وقد اتضح الآن انها تقوي كريات الدم البيضاء على قتل المكروبات وهذه التقوية تبلغ ٦٥ ./. في الارنب و١٧ ./. في الانسان وهي انما تفعل كذلك في الانسان اذا حمَّرت جلده تحميراً لطيفاً يزول بعد اربع وعشرين ساعة ولكن اذا اشتدَّ التعرض لنور الشمس واشتدت حمرة الجلد لم تزد قوة الدم على قتل المكروبات بل قلَّت . والاشعة التي تقوي الدم على قتل المكروبات انما هي اشعة

الشمس التي فوق البنفسجي والاشعة الكهربائية الصادرة من مصباح زيبقي ومن النور الكهربائي القومي

هزات ارضية في مصر

حدثت زلزلة يوم الخميس ١٨ مارس الماضي في الساعة الرابعة والدقيقة السابعة والثانية التاسعة والاربعين مساء شعر بها الناس في القاهرة وحلوان. ثم حدثت ايضاً هزتان اخريان الاولى في الساعة السابعة والدقيقة ٥٤ والثانية ١٨ مساء والاخرى في ١٩ مارس بعد نصف الليل الساعة الثانية والدقيقة ٣٠ والثانية السابعة. وحسب مرصد حلوان ان مركز هذه الزلازل على ٥٨٠ كيلو متراً منهُ وجاء في اخبار فلسطين ولبنان ان الناس شعروا بهذه الهزة في حيفا وبيروت ايضاً ثم وافتنا التلغرافات بان مركز الزلزلة في جزائر بحر ايجه او في الجنوب الغربي من الاناضول وقد خرّبت جانباً من البيوت في جزيرة كاسلبروسو المجاورة لجزيرة رودس

الاستاذان كازانوفا وبنديتي

توفي في مصر فجر ٢٣ مارس الماضي الاستاذ كازانوفا استاذ اصول اللغة العربية في الجامعة المصرية

ونعي من الاقصر في ٢٤ مارس الماضي الاستاذ جورج بنديتي العالم الاثري الفرنسوي وامين الآثار المصرية بمتحف اللوفر بباريس. وكان قد سافر اليها لمراقبة اعمال الحفر في مدفن ميدامون

ولد في تيم في ولاية الغار من اعمال فرنسا سنة ١٨٥٧ وبعد ما اتمَّ علومهُ الثانوية عكف على درس الآثار القديمة على يد غاستون ماسبرو العالم الاثري الشهير ثم خلفهُ في التدريس في «كوليج دي فرانس» وفي عضوية اكادمية النقوش والآداب وعين من نحو عشرين سنة اميناً للجناح المصري في متحف اللوفر وظل متقلداً منصبهُ هذا حتى وفاته

عنصر جديد

ارسل مكاتب التيمس من نيو يورك ان الدكتور هبكنس وغيرهُ من الاساتذة في جامعة الينوي اكتشفوا عنصراً جديداً عددهُ الجوهري ٦١ فهو من طائفة العناصر التي اعدادها الجوهرية من ٥٧ الى ٧١ فيجب ان تكون ١٥ ولكن المكشوف منها حتى الآن ١٤ عنصراً وكان العنصر الذي عددهُ ٦١ لا يزال مجهولاً

اصلاح خطأ

وقع خطأ في الآية الكريمة المذكورة في صفحة ٤٢٩ في السطر ١٤ (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) وصوابها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) فاقتضى التنبيه

الجزء الرابع من المجلد الثامن والستين

صفحة

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٤٤

حاسة الشم وفلسفتها

او كيف نشم

الحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس يعلمها كل احد ولكن قلَّ من يدرك كيف يسمع وكيف يبصر وكيف يشم وكيف يذوق وكيف يلمس كما يدرك كيف تحرث الارض وكيف تبنى البيوت . والعلماء الذين بحثوا في وظائف الاعضاء عرفوا مثلاً كيف يدخل النور المنعكس عن المرئيات الى العين ويمرُّ في عدسيتها ويرسم صورة المرئي على اعصاب الشبكية التي في باطن العين فتتأثر هذه الاعصاب باهتزاز امواج النور وينتقل تأثرها الى مركز البصر في الدماغ فيدرك العقل شكل المرئي ولونهُ . وفسروا السمع والذوق واللمس بما يقرب من ذلك . واما الشم فلم يتفقوا على كيفية حدوثهِ

تضع حبة من المسك في غرفة فتشم رائحتها في تلك الغرفة يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى وهي لا ينقص ثقلها شيئاً محسوساً . ولا تفوح رائحتها في هواء الغرفة كل هذا الزمن الا اذا خرج شيء منها كل يوم وكل ساعة فانتشر في هواء الغرفة المتجدد حتى امكن وصولهُ الى الانف . فما هو هذا الشيء الذي يخرج من حبة المسك ؟ أَغاز صادر منهُ ام اهتزاز في الاثير كالاهتزاز الذي تنقل بهِ امواج النور وامواج الكهربائية . هذا ما لم يتفق عليهِ العلماء حتى الآن لانهُ لا يزال من الفروض ولم يدخل دائرة البحث العلمي لان ليس للشم عمل كبير في اعمال الانسان في هذا العصر كما للبصر والسمع مع ان لهُ في حياتهِ الداخلية شأناً كبيراً يفضلهُ على البصر والسمع كما سيجيء

والشم اقدم الحواس كلها ما عدا اللمس فلا يخلو منهُ حيوان مهما انحط نوعهُ . وجهازهُ بسيط جداً وهو خلايا عصوية الشكل فيها تضخُّم يضوي تنتهي باهداب دقيقة و يمتد منها من الجهة الاخرى خيوط عصبية تتصل بعصب الشم الواصل الى مركزهِ في الدماغ. وهذه الخلايا محصورة في الانسان في مساحة ضيقة لا تزيد على بوصة مربعة في باطن انفهِ يتصل الهواء الذي يتنفسهُ الى اهدابها السائبة فيؤثر فيها . وهي في الكلب تملأُ مساحة اوسع وفي الحوت الكبير مساحة اضيق . اي ان جهاز الشم يتسع و يضيق على نسبة حاجة الحيوان الى الشم . فيكون في ذوات الاربع اوسع منهُ في الحيتان و يختلف محلهُ فهو في النحل في قرونها او زباناها وفي صفَّارة البحر في جلدها . وبناؤُهُ واحد اينما كان اي انهُ مؤلف من خلايا عصوية في كلٍ منها انتفاخ يضوي ولها اهداب من طرف ويمتد منها خيوط عصبية من آخر وبينها خلايا ملونة طرفها السائب عريض منبسط والطرف الآخر يمتد منهُ خيوط عصبية الى عصب الشم كما ترى في هذا الشكل

وجهاز الشم على بساطتهِ كافٍ للتمييز بين الروائح المختلفة ولو لم يصل اليهِ منها الاَّ



ا و ج خليتان عصبيتان من خلايا الشم تنتهيان باهداب دقيقة . وب خلية ملونة

شيء طفيف جدًّا . فيشم رائحة المسك ولو كان مقدارهُ جزءا من الف مليون جزء من الغرام. و يشم رائحة المركبتان Mercaptan الخشبية ولو كان مقدارهُ جزءا من خمسين مليون جزء من الهواء فيكون حينئذٍ في كل خمسين سنتمتراً مكعباً من الهواء اي فيما يدخل الانف عند كل تنفس جزء من اربعمائة الف مليون من الغرام . واذا وقع شيء من الفساد في هواء غرفة سهل الشعور بهِ بالشم ولو تعذر اكتشافهُ بادق الكواشف الكيماوية

ثم ان الدقة ليست الصفة الوحيدة التي يتصف بها الشم بل هو يميز بين الروائح المختلفة على كثرة عددها ولو لم يكن في اللغة اسماءٌ لها

وقد حاول السر وليم رمزي الكيماوي المشهور ان يجد رابطة بين رائحة المادة وتركيبها لكي يعلل تأثير الرائحة بفعل كيماوي في عصب الشم فوجد شيئًا من الارتباط بين الرائحة وثقل المادة الجوهري ولكن هذا الارتباط غير عام لان مواد كثيرة رائحتها واحدة

وتركيبها الكيماوي مختلف فالمسك الطبيعي والمسك الصناعي رائحتهما واحدة ولكن تركيبهما الكيماوي مختلف . والحامض البروسيك رائحتهُ مثل رائحة النتروبنزول وهما مختلفان تركيباً . ولما وجد علماء الفسيولوجيا انهُ لا يمكن تعليل الرائحة بفعل كيماوي بحثوا عن تعليل طبيعي لها فقالوا ان دقائق الجسم المشموم تكون متحركة حركة ارتجافية سريعة مثل كل دقائق الاجسام التي حرارتها فوق درجة البرد المطلق وهذه الحركة تتصل بالهواء المجاور لها فتكوّن فيهِ امواجاً كما يموج الماء بوقوع حجر فيهِ فتصل هذه الامواج الى الانف وتصيب اهداب خلايا الشمّ فترتجّ بها كما ترتج طبلة الاذن بامواج الصوت ويمتد هذا الارتجاج من الخلايا المشار اليها الى عصب الشمّ والى مركزهِ في الدماغ . فتكون حركة دقائق المادة ذات الرائحة بمثابة الامواج الكهربائية التي تنقل بالاثير في التلغراف اللاسلكي والفرق بينهما ان امواج الكهربائية واسعة تقاس بالامتار وامواج الرائحة ضيقة جدًّا اضيق من امواج النور . وامواج كل مادة تختلف عن امواج غيرها فيميز مركز الشم بينها كما يميز مركز السمع بين الاصوات المختلفة

باطن الانف وفي اعلاه خلايا الشم

لكن هذا التعليل على بساطتهِ لا ينطبق على كل ما لهُ رائحة . فان حركة دقائق الحامض البروسيك مثل حركة دقائق بخار الماء ولكن رائحة الواحد ليست مثل رائحة الآخر فبخار الماء لا رائحة لهُ واما الحامض البروسيك فلهُ رائحة شديدة مثل رائحة اللوز المرّ . فلا تعلَّل انواع الروائح كلها بالتعليل الكيماوي ولا بالتعليل الطبيعي ومن المحتمل ان يكون التعليلان صحيحين ولكن بعض الروائح يجري على التعليل الواحد و بعضها على التعليل الآخر

ثم ان للخلايا الملونة التي بين الخلايا ذوات الاهداب شاناً كبيراً في الشم على ما يظهر لانها كبيرة وكثيرة المادة الملونة في الحيوانات الشديدة الشم كالكلب والغزال وصغيرة وقليلة المادة الملونة في الحيوانات الضعيفة الشم كالقمة ومعدومة في الحيوانات المصابة

بالبرص[١] فلا تشم الاَّ قليلاً وهذا يعلمهُ رعاة الغنم فلا يقتنون الخرفان المصابة بهِ لانها قلما تميز النباتات السامَّة فتأْكلها وتموت . ولهذا تكون حاسة الشم في السود والسمر اشد منها في البيض لان المادة الملونة تكون فيهم اكثر منها في البيض . وتزيد حاسة الشم بالتقدم في السن لان المادة الملونة تزيد حينئذٍ في هذه الخلايا

ثم ان حاسة الشم من الحواس التي تقوى بالتمرين ولكننا لا ننتبهُ لذلك لاننا نرى حاسة البصر وحاسة السمع تضعفان بالتقدم في السن فلا يخطر لنا ان حاسة الشم تقوى حينما تضعف تانك الحاستان . ولكن ظهر بالبحث ان ادراك الطفل للروائح يكون ضعيفاً ثم يزيد رويداً رويداً الى ان يبلغ السنة الرابعة عشر وحينئذٍ يظهر فرق كبير في قوة الشم بين الذكر والانثى فتكون حاسة الشم في الانثى اقوى منها في الذكر . ويقع بينهما اختلاف بيّن فيما يفضّلان من الروائح ولا يُعلم سبب ذلك . وتزيد حاسة الشم بالتقدم في السن قوةً وتمييزاً بين الروائح والظاهر ان السبب الاكبر لذلك زيادة الاعتماد عليها فهي من الحواس التي تقوى بالتمرين

وللشم فعل في العقل الباطن كما لهُ فعل في العقل الظاهر. يشم الانسان رائحة وردة او قرنفلة فتنبه فيهِ تذكارات قديمة تذكارات حب او بغض كامنة في عقلهِ الباطن او تهيج فيهِ عواطف واميالاً لا يعرف مصدرها. و يدخل بيتاً عتيقاً فيشم فيهِ رائحة تجعلهُ يكرهُ ذلك البيت

ثم ان الانسان قلما يتذكر الروائح الاَّ اذا شمها . قل لهُ ما هو شكل القرنفل فيتصور حالاً شكلهُ وقد يستطيع رسمهُ على القرطاس ولكن قل لهُ ما هي رائحتهُ فلا يتصورها ولا يستطيع ان يعبر عنها مع ان اثر الرائحة يكون في ذهنهِ وحالما يشمها يتذكر انها رائحة القرنفل . وقد يتذكر ايضاً اموراً كثيرة لها علاقة بالقرنفل . وقد استعمل ذلك في تذكير الشهود عند البحث في تحقيق الجرائم . ومن المرجح ان يزيد البحث العلمي في حاسة الشم فتكشف فيهِ امور كثيرة غير معروفة

ومن الحقائق المعروفة ان الانسان لا يشعر بالرائحة ما لم يتنفس فقد يمتلئ منخراهُ بماء الكولونيا او بهواء مملوءٍ من غاز الهدروجين المكبرت الخبيث الرائحة ولا يشعر برائحة ما لم يتنفس واما اذا تنفس فان الهواء يدخل انفهُ بعزم و يحمل الرائحة و يصدم بها

---

(١) البرص Albinism حالة طبيعية يبيض فيها الجلد والشعر والعينان

اهداب خلايا الشم . و يجب ان يكون سطح الانف مرطباً حتى يشعر بالشم فاذا كان جافاً او مغطى بطبقة سميكة من المخاط فانهُ لا يشعر بالرائحة .وتكون رائحة المشموم على اشدها في اول الامر ثم يقل الشعور بها فاذا شممت وردة او قرنفلة ففي اول الامر تجد الرائحة شديدة و بعد مدة تقل رويداً رويداً وهذا يكون في الرائحة الخبيثة كما في الطيبة

واذا دخل المنخرين روائح مختلفة لم تمتزج معاً بل شعر الانسان برائحة منها ثم بغيرها . وتقلُّ حاسة الشم بالمورفين اذا استنشقهُ الانسان مع السكر وتزيد قوةً اذا استنشق الاستركنين . ولا دليل على ان لكل رائحة اهداباً خاصة بها في خلايا الشم ولكن قد يتعب جهاز الشم برائحة من الروائح فيبطل شعورهُ بغيرها مدة . فرائحة الكافور مثلاً تبطل الشعور برائحة الاثير او رائحة الكولونيا . واذا ادخلت رائحة بانبوب الى احد المنخرين ورائحة اخرى بانبوب آخر الى المنخر الآخر فاما ان يشعر المرء برائحة ممتزجة من الرائحتين او تقوى احدى الرائحتين على الاخرى فيشعر بالاولى ولا يشعر بالثانية و يحدث ذلك في مركز الشم في الدماغ .ومن الروائح ما يبطل غيرهُ كالمسك وزيت اللوز او كالامونيا والحامض الخليك وفي ذلك يقول الشاعر اذا حق ان نسمي قولهُ شعراً

واذا ادنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل

والشم في كثير من الحيوانات الدنيا اشد منهُ في الانسان ومن المرجح ان الكلب والقط يدركان بحاسة الشم ما لا يدركهُ الانسان بها . والظاهر ان الروائح تؤثر في كثير من الحيوانات تأثيراً كبيراً والمرجح انها تتذكر الروائح وهذا مما لا يستطيعهُ الانسان كما تقدم

ومما يذكر من نوادر الشم ان ولداً ولد اعمى واطرش واخرس فكان اعتمادهُ على الشم وكان اذا دخل بيتهُ رجل غريب ادرك وجودهُ بحاسة الشم وقد يدرك اوصافهُ بهذه الحاسة. و بعض الناس لا يشمون والذين يكثرون من استعمال السعوط يضعف شمهم وكذا الذي يكثرون التدخين وقد يشم الانسان رائحة لا وجود لها كما يتخيل خيالات لا وجود لها ويسمع اصواتاً غير موجودة

الصحافة الشرقية في خمسين سنة

لكتابة التاريخ اساليب شتى اهمها اثنان الاول ما يدور معظمهُ على محور الاشخاص واعمالهم الخاصة والثاني ما يدور على محور الحركات العامة والنهضات . ولكل من هذين الاسلوبين انصارهُ ومميزاتهُ وقد كان اولها المعول عليهِ في كتب التاريخ العتيقة غير ان هذا الاسلوب اخذ يتحول تدريجاً الى الاسلوب الآخر حتى ان انصار هذا يعتقدون ان الحركات العامة والنهضات وتهيوء الامم لها واستعدادها للتحول والتغير — ان هذه العوامل هي التي تنشئ العامل الشخصي او تظهرهُ بعد الكون. فاذا لم تتوافر فقلما يتاح للاشخاص ان يخلدوا اسماءهم في تاريخ العالم مهما اوتوا من الدهاء ومهما رزقوا من المؤهلات . ومع ان هذه النظرية لا تخلو من شيء من الغلوّ والمبالغة فانها بالاجمال صحيحة تطابق نتيجة الاختبار المعبر عنهُ بالمثل العربي القائل ان الحاجة تفتق الحيلة والمثل الافرنجي الشائع وهو ان الحاجة ام الاختراع

قدمت هذه المقدمة الوجيزة توطئة للبحث في موضوع هذه الرسالة فان من يحاول ان يكتب تاريخ الصحافة الشرقية في نصف القرن الماضي قد يتوسل الى بلوغ قصدهِ بايراد اسماء الصحف والمجلات التي اسست في ذلك القدر من الاعوام وما تقدمها منها وسرد شيء من سير موسسيها وكبار كتابها ومنشئيها وغير ذلك من المعلومات الخاصة بها . ومع ان بياناً كهذا لا يخلو من لذة وفائدة فانهُ لا يسمو الى مرتبة النظر في التحول الذي طرأ على هذه الحركة الادبية والسياسية والعلمية العامة التي كان لها مقام عظيم في نهضة الشرق الحديثة وهو المقام الذي اعتزت بهِ في الغرب حيث لقبها ستفان لوزان «بصاحبة الجلالة» ولقبها غيرهُ بالقاب اخرى للدلالة على نفوذها وهيبتها واحترام الرأي العام لها

وقد صحبت الصحافة الاخبارية الناس منذ نشوئهم فتقلبت على وجوه شتى كان اولها نقل الاخبار ووصف المعارك وايراد الحوادث وذكر المفاخر والمآثر بالاشعار والنقوش فالياذة هوميروس وقصة الخلق وحكاية الطوفان وما نقش على الآثار المصرية الخالدة — كل هذا وسواهُ انما كان من مظاهر هذه النزعة الطبيعية التي تجلت في عصرنا هذا بالصحف اليومية والمجلات الدورية والتي استعين على اعدادها ونشرها بمعدات واختراعات لم يكن اسلافنا يعرفونها ولو ان كثيرين منهم تخيلوها وتاقوا اليها ولو ان بعضاً منهم انبأ بها قبل ان تظهر في عالم الوجود بعشرات من القرون

وقد لاحظ علماء العمران والباحثون في طبائع الامم ان نقل الاخبار واذاعتها صفة ملازمة للناس في بداوتهم وحضارتهم وكان الرواد والسياح يستغربون ما يشهدون في البادية من سرعة نقل الحوادث والاقوال مع بطء وسائل النقل والانتقال ولا يزال بين قراء المقتطف من يذكر كيف ان اخبار الغزوات والاستعداد للحروب كانت تذاع باشعال النيران على الآكام والمرتفعات ليراها سكان القرى ويتأهبوا للنزال والصدام

غير ان عمر الصحافة بشكلها الحاضر واخراج الصحف في مواعيد دورية معينة وفي اوراق مطبوعة لا يتجاوز في الشرق مئة عام وكان مهد الصحافة الشرقية في مصر وهي مهد كثير من العلوم والفنون فقد روى التاريخ الحديث ان الحملة الفرنسوية بقيادة بونابرت انشأت في مصر جريدتين بالفرنسوية احداهما « الكورياه ديجبت » والاخرى « الدكاد اجبسيان » فلما افل كوكب سعد الفرنسويين في هذه الديار ونظم محمد علي محيي مصر الحديثة ومنشئ نهضتها العظيمة الاحكامَ والدواوين انشأ جريدة الوقائع المصرية بالعربية والتركية فصدر العدد الاول منها في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ وكانت جريدة الحكومة الرسمية ولا تزال كذلك. غير انها في الشطر الاول من حياتها الى الربع الاخير من القرن الماضي كانت تنشر مقالات ادبية ومباحث سياسية باقلام نفر من نوابغ المصريين لا يزال بعض منهم على قيد الحياة

ولكن الصحافة الشرقية ما كانت لتقوم لها قائمة لولا انتشار العلم والمعرفة في بلدان الشرق الادنى بما فعلهُ محمد علي وما صنعهُ فريق من فضلاء الاجانب الاوربيين والاميركيين فانهم اضاؤوا مصباح العلوم بعد ما كاد ينطفئ واسسوا المدارس الراقية على شواطئ البحر المتوسط فنشأ بهذين العاملين في مصر وسورية طائفة متعلمة اتصلت بالغرب ووقفت على اسباب تقدمهِ وتاقت نفوسها الى مجاراة الغربيين واقتفاء اثرهم فعمد افرادها الى التأليف والتصنيف والنقل والترجمة والبحث والتحقيق . وانما نوهت بمصر وسورية لانهما كانتا اشد بلدان الشرق الادنى اتصالاً بالغرب اذ كانتا صلة الاتصال التجاري والجغرافي والعلمي بين اسيا وافريقية واوربا فاتجهت اليهما انظار العاملين من الغرب كما اتجهت اليهما ابصار الفاتحين من قبل ومن بعد . وكان من جراء ذلك ان بعض مجلاتنا الشهيرة ولد في هذه المعاهد العلمية الكبيرة وكان ثمراً من ثمارها المباشرة كالمقتطف والمشرق او ثمارها غير المباشرة كالهلال وغيرهِ

وقد كان ارتقاء الصحافة في الشرق الادنى تابعاً لثلاثة عوامل ومندغماً فيها واولها

تمزيق حجب الامية والثاني تخفيف قيود الحكم المطلق والثالث استمرار يقظة روح القومية وتعزيز اصولهِ في النفوس والاذهان . فمن يقابل كثرة ما يطبع الآن من الكتب والمجلات والصحف المختلفة الاوضاع والمقاصد والسياسات وسعة انتشارها بما كانت عليهِ الحال من خمسين عاماً يتبين لهُ فعل نشر اصول القراءة والكتابة وشيوع التعليم فقد كان القراء في ذلك الحين يعدون بالمئات في كل قطر من هذه الاقطار وهم اليوم يحصون بعشرات الالوف

اما مهمة تحطيم قيود الحكم المطلق فكانت اثقل على الصحف من هذه لانها كانت تمسها مباشرة فكان الصحافيون يسجنون و يقتلون و يشرَّدون و ينفون لاسباب نراها اليوم تافهة وكانوا يستهدفون لصنوف العذاب وانواع البلوى علاوة على ما يعانونهُ من شظف العيش وقلة العطف ولكن تلك النفوس الكبيرة ما برحت تجاهد وتناضل غير مكترثة لما يصيبها من ضر وما يلحق بها من اذى فكانت اصدق ترجمان لهذه النهضة التي نهضتها شعوب الشرق لتتحرر وتعيش في جو نقي فيصح للباحث ان يقول ان تاريخ الصحافة الشرقية ما فتئ دليلاً على سير روح النهضة القومية وان الصحافة كانت بحكم تعبيرها عما يخامر النفوس من هذا القبيل من اعظم العوامل في تعزيز هذه النهضة وادناء موعد نضج ثمارها . ولا يزال تاريخ الصحافة في تركيا ماثلاً للعيون وما قاساهُ الصحافيون العثمانيون من الترك والعرب وخصوصاً في عهد السلطان عبد الحميد معروفاً للذين خبروهُ بانفسهم ككاتب هذه السطور او الذين سمعوا وصفهُ من عارفيهِ. ولم يكن نصيب الصحافة من ذلك غير نصيبها في الغرب في عهدها الاول وتاريخ انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا طافح بهذه الحوادث ولكن النتيجة في الحالتين كانت واحدة كما ان الاحوال والعوامل التي ادت اليها كانت متماثلة ولا غرو فالناس اكفاء ابوهم آدم والام حواء

فالعوامل الخارجة التي كان لها شأن في سير الصحافة وهي تصهر في بوتقة التجاريب والمحن والاضطهاد والاستبداد آلت الى تقويتها وترقيتها اي الى عكس ما كان معارضوها يشتهون فادركت الحكومات الشرقية ما سبق ان ادركتهُ الحكومات الغربية قبلها وهو ان الصحافة صارت من لوازم العمران . ومع ان الحكام ما برحوا يعتقدون ان هذه الاداة الجديدة شر لا بد منهُ فان السلطات ادركت قوتها ونفوذها وصارت تستعين بها على الاتصال بالهيئات المحكومة وتتخذ منها لسان حال وتتوسل بنفوذها وانتشارها الى الايضاح والبيان وتقرير ما تريد تقريرهُ في الاذهان حتى لقد افرط بعض الحكومات في ذلك

فتعداهُ الى شراء الصحف وافساد ضمائرها بالاموال وغيرها مما لا اطيل فيهِ الكلام لانهُ خارج عن نطاق هذا البحث

اما العوامل الداخلية فقد اخذت تحول تحولاً كبيراً كان لهُ تأثير عظيم في الصحافة والمقام هنا يضيق دون استيفائها لكثرة ما تقتضيهِ من الشرح والبيان لاصول الصناعة واسرارها فقد كان المألوف اولاً ان يكون صاحب الجريدة منشئها روحها روحهُ وقولها قولهُ وهي تسير في عملها باشرافهِ المباشر ولكن اعمار الصحف الحية تجاوز اعمار منشئيها فكان من جراء ذلك الاتجاه الى تغيير انظمة الانشاء والتحرير والادارة في الصحف وانقلاب بعض منها من ملك شخصي يتولى مالكهُ ادارتهُ الفعلية الى شركات خاصة او مساهمة او هيئات سياسية ومالية وهذا امر كثير الشيوع في بلدان الغرب حيث تحتاج الصحف الى رؤوس اموال طائلة تحصى بمئات الالوف من الجنيهات ومع ما في هذا الانقلاب من وجوه للنقد والاعتراض يضيق المقام دون سردها فلا مندوحة عنهُ للسبب المتقدم ولاسباب مالية وصناعية وتجارية ولكن نتيجتهُ الكبرى احلال العامل الاجمالي محل العامل الشخصي في الجريدة او المجلة ولهُ مميزات لا يستهان بها وربما كان اظهر ما فيهِ انقطاع الصلة الشخصية بين منشىء الجريدة وجمهور قرائهِ لان الصحف في الغالب نتيجة جهد عشرات من الكتاب والمنشئين يندر ان يعلم القراء نصيب كل منهم من مظهر العمل الذي يقع تحت انظارهم

ثم ان اتحاد هذه العوامل الخارجية والداخلية وزيادة الثروة في بلدان الشرق واتساع نطاق التجارة والصناعة والاعمال المالية فيها — كل ذلك آل الى توسيع نطاق مباحث الصحف وتمكينها من زيادة موادها . وحسبُ المرء ان يقابل صحف مصر الكبرى ومجلاتها الراقية كما هي اليوم بما كانت عليهِ منذ ٢٥ عاماً فقط فان زيادة الانتشار بزيادة عدد المتعلمين واقبال التجار والصناع واصحاب الاموال على الاعلان في الصحف وامكان ايصال الصحف الى قرائها على جناح السرعة مكنتها من زيادة عدد صفحاتها وحملتها على الاستعانة بالآلات الحديثة لطبعها باقصر وقت مستطاع وجلب الاخبار بالتلغراف السلكي واللاسلكي والبريد والتلفون من الداخل والخارج واستخدام الكتَّاب الماهرين والاكثار من المخبرين والمكاتبين اذ لا ريب في ان مهمة الصحف الاولى والكبرى هي موافاة قرائها بالاخبار الصحيحة الهامة وان يكون ذلك على جناح السرعة. ولا يسع من يطالع صحف مصر الكبرى وصحف الاستانة الاَّ الاعجاب بما استطاعتهُ في ربع قرن من هذا القبيل علاوة على ارتقاء مباحثها وقلة اعتمادها على ما تقتبسهُ من الصحف الاجنبية التي كانت من

اعظم المصادر التي يعول عليها في ما ينشر في الصحف الشرقية قبل النهضة الاخيرة . فان فلاح هذه النهضة بفروعها العديدة في بلدان الشرق وانتشار العلم وازدياد عدد المفكرين والذين يعنون بالمباحث التي تهم الشعوب فتح لصحفنا مجالاً جديداً يكاد يستغرق جهدها الاكبر

وقد كان للصحافة اعظم فضل في صون اللغة العربية وانتشالها من الوهدة التي هوت اليها في عصر الظلمة والانحطاط وكان لها يد تذكر في اظهار مرونة هذه اللغة وانعاشها لتماشي تقدم الحضارة في جميع ميادينها الادبية والسياسية والعلمية والصناعية فازهرت العربية بها ولبست ثوباً قشيباً بهيًّا ورسخت اصولها وصدت هجمات اللغات الاجنبية

ولا بد للباحث هنا من الاشارة الى تحول جديد شهدنا مقدماته في هذه الاعوام الاخيرة وهو نشوء الصحف المصوَّرة سدًّا لحاجة ظهرت على اثر شيوع السينما عندنا فان هذه الصورلغة المتعلم والامي على السواء وفيها من المعاني ووسائل سرعة الادراك ما لا يتاح للكلمة المكتوبة او المطبوعة

ولا يكمل هذا البحث الوجيز من دون اشارة الى ابنة الصحافة الشرقية واريد بها الصحافة العربية في مهاجر الشرقيين فقد اعاد التاريخ نفسهُ وشهدنا في عالم الصحافة اندلساً جديدة في اميركا الشمالية واميركا الجنوبية حيث انشأ ادباء المهاجرين الصحف اليومية والاسبوعية والمجلات الادبية وكلها باللغة العربية وقد تأثرت بالمحيط الذي نشأت فيه وشقت لها طريقاً جديداً ونجحت نجاحاً عظيماً فكانت من اوثق الصلات بين العالم الجديد والعالم القديم ولكني لا ادري ما يكون شأنها في الولايات المتحدة بعد ما سن قانون الهجرة الجديد الشديد وبعدما ينقطع سيل الهجرة العربية الى تلك الديار و « يتأمرك » ابناء الجيل الحاضر من اولئك المهاجرين وينطقون بالانكليزية بدلاً من العربية وعندهم بلغة شكسبير التي يجيدونها كابنائها صحف عظيمة راقية رخيصة الثمن منتشرة هناك ايما انتشار

ومن مظاهر التحول الجديد في الصحافة الشرقية اصطباغ جانب من الصحف بصبغة الاحزاب السياسية التي تنشأ في بلدان الشرق بحكم النهضة القومية والسياسية . ولا يستطاع من الآن تقدير تأثير هذا التحول في ارتقاء الصحافة ومبلغ فعله في معالجة المشكلات العامة ولكن الباحث اذا عجز عن التنبؤ فلا يسعهُ اغفال هذا التحول الذي حذونا فيهِ حذو الصحافة الغربية حيث لكل حزب صحف تنطق باسمهِ وتعبر عن آرائهِ وتدافع عن مبادئهِ ووجهات نظرهِ في الشؤُون الداخلية والخارجية

اما الذي يقدم الباحث على التنبوء بهِ فهو ان انتشار التعليم الاولي وارتقاء التعليم

الثانوي العالي في مصر وسواها من البلدان الشرقية سيوسعان المجال للصحافة والتأليف والتصنيف ويزيدان في عدد الصحف والمجلات وفي سعة انتشارها وكثرة قرائها والمعلنين فيها وهذا يمكنها بالطبع من تحسين موادها وترقية مباحثها والاكثار من الايدي العاملة فيها حتى تصير من لزوميات الحياة لجموع كبير كما هي اليوم لمجموع لا يزال صغيراً بالنسبة الى عدد السكان على نحو ما شهدناهُ حتى الآن من اقبال الناس على شراء الصحف اعتقاداً منهم بان قيمة ما يبتاعونهُ منها تساوي ما يبذلون من الثمن خلافاً لما كانت عليهِ الحال يوم كانت الصحف تعرض على الناس للاشتراك فيها فلا يقبلونهُ الاَّ حياء او رهبة

وقد اقتضى ارتقاء الصحافة الشرقية وتعدد مهامها وعظم تبعاتها الى تبدل عام في استعداد الذين يشتغلون بها وتأهبهم لهذه الصناعة الشاقة ومع اننا لا ننتظر ان تنشأ مدارس لتدريس اصول الصحافة وفنونها كما فعلوا في الولايات المتحدة وكما شرعوا يفعلون في لندن فان الحاجة الى هذا الاستعداد صارت ظاهرة بما يقتضيهِ العمل الصحافي من اتقان اللغة العربية وحسن التعبير بها واجادة بعض اللغات الافرنجية مع معرفة شيء من قواعد الاختزال والاحاطة بوسائل استقاء الاخبار وتمحيصها ونقدها والالمام باصول الاجتماع والعمران ونواميس الاقتصاد وكيفية معالجة الشؤُون السياسية مما يقتضي علماً غير قليل ومواهب تذكر الى آخر شروط الكاتب التي بسطها صاحب المثل السائر في مستهل كتابهِ فان الجمهور صار ينتظر من الصحافة غير ما كان يتوقعهُ منها من ربع قرن فلم يعد يكفي الصحافي ان يكون منشئاً بليغاً بالعربية ولا ان يقتصر على سرد الاخبار بل ان يكون كبير الكنانة واسع الجعبة وان يلهمهُ الله صبر ايوب وان يظل في قلبهِ شاباً عدتهُ النشاط ورائدهُ مجاراة روح التقدم والارتقاء والابتعاد عن التعصب والجمود

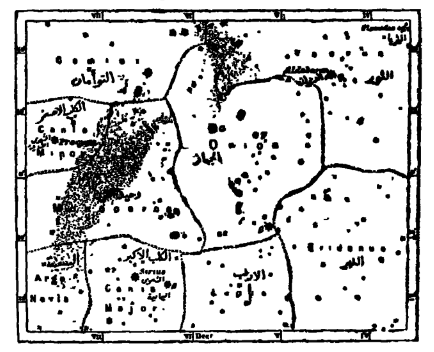
واذا كان الصحافيون يشكون ويتململون لما لا يزال عالقاً بصناعتهم من قيود قانونية ومقاومات ظاهرة وخفية وقلة تقدير لجهدهم وتعبهم فان التحسن من هذه الجهة عظيم وسيطرد بحكم الارتقاء العام وارتقاء فن الصحافة الخاص . واذا شئنا دليلاً على تقدير الامم والحكومات للجهد الصحافي فحسبنا ان نشير الى يوبيل المقتطف الذهبي الذي تفضل جلالة الملك فوضع حفلتهُ الكبرى تحت رعايتهِ السامية وتسابق الفضلاء في الشرق والغرب الى الاشتراك فيهِ تنويهاً بفضل العلم والمعرفة وتقديراً لعمل العاملين واعترافاً بجهاد المجاهدين في بلدان الشرق مهبط الوحي ومهد الالهام ومستقر الحكمة ومطلع فجر الحق

خليل ثابت

غرائب الاجرام السموية

تابع الشعرى

﴿ الشعرى ﴾ الشعرى اكبر كواكب الكلب الاكبر canis major الذي موضعهُ تحت رجلي الجبار Orion ووارءهما نعتها العرب بالشعرى اليمانية لانها تغيب في شق اليمن وبالشعرى العبور لانهم قالوا انها عبرت المجرة في ناحية سهيل ولانهم يزعمون ان الشعريين اختا سهيل وان سهيلاً تزوج بالجوزاء فركَّ عليها وكسر فقارها فهو هارب نحو الجنوب خوفاً من ان يطلب الجوزاء . والشعرى اسطع الكواكب ومن اقربها الى الارض



فانها تبعد عنها ثماني سنوات نورية ونحو سبعة اشهر وقد سمّاها المصريون سوثس وتفاءلوا بها لانها تطلع مبشرة بقرب فيضان النيل اما الرومان فكانوا يتشاءمون منها. وكلمة الشعرى معربة من اليونانية اصلها سيريوس اي الجبار او المحرق لانهُ يطلع في فصل الصيف وفي ذلك يقول الشاعر العربي

يوم من الشعرى يذوب لعابهُ افاعيهِ في رمضائهِ تتململُ

﴿ تابع الشعرى ﴾ في اواسط القرن الثامن عشر حاول علماء الهيئة ان يكشفوا تعليلاً يعللون بهِ اضطراباً يحدث في سير الشعرى فتحيد عن فلكها المعيّن لها بالحساب الرياضي

وفي سنة ١٨٤٤ اشار الفلكي بسل الى احتمال وجود كوكب غير منظور يوءلف مع الشعرى كوكباً مزدوجاً وهذا الكوكب يوءثر فيها فتحول عن فلكها المعين . وفي سنة ١٨٦٢ انجز العالم الاميركي الفان كلارك اكبر عدسية تلسكوب صنعت الى ذلك الحين اذ كان قطرها ٤٧ سنتمتراً . ولما صوّبها ابنهُ الى الشعرى صاح « ابي ان للشعرى تابعاً» و بعد ما رُصد هذا التابع وجد ان مكانهُ يتفق مع المكان الذي عيّن لهُ بالحساب قبل روءيتهِ كما حدث في اكتشاف السيار نبتون

ومن ذلك الوقت اخذ العلماء يرصدون هذا التابع حينما يبعد عن الشعرى لانهُ حين يقترب منها تغمرهُ بضيائها فلا يستطيعون روءيتهُ

ويستخلص من هذه المباحث ان تابع الشعرى يدور حولها في فلك مستطيل فيتم دورتهُ او بالحري يتم كلا الكوكبين دورتهما حول نقطة مركزية داخل الفلك في خمسين سنة . وقد يقرب التابع من المتبوع حتى يصير على ٩٦٥ ٥٨٩ مليون كيلومتر منهُ في اقرب قربهِ اليهِ وقد يبعد عنهُ حتى يصير على ٣٨٣ ٤٤٨ ١ مليون كليومتر لدى اقصى بعدهِ عنهُ . وحينما يقترب التابع من المتبوع يحدث على سطح التابع اضطرابات مغنطيسية من نوع الكلف والالسنة النارية التي تحدث على سطح الشمس

ولكن اغرب ما يمتاز بهِ هذا التابع مقدار المادة التي فيهِ على صغر حجمهِ فان قطرهُ يزيد ثلاثة اضعاف او اربعة اضعاف على قطر الارض انما مقدار المادة فيهِ يساوي بل يفوق مقدار المادة في شمسنا التي يزيد قطرها ١٠٩ اضعاف على قطر الارض. فاذا مثّلنا شمسنا بدائرة قطرها ١٠٩ سنتمترات كانت الارض على هذه النسبة نقطةً قطرها سنتمتر واحد وتابع الشعرى دائرة قطرها ثلاثة سنتمترات او اربعة . مع ذلك ثبت ان في هذه الدائرة الصغيرة مقداراً من المادة يوازي المقدار الذي في الدائرة الكبيرة . فكأن كثافة المادة فيهِ تتراوح بين ٣٠ الف ضعف و٦٤ الف ضعف كثافة الماء او نحو ستة آلاف ضعف كثافة الحديد

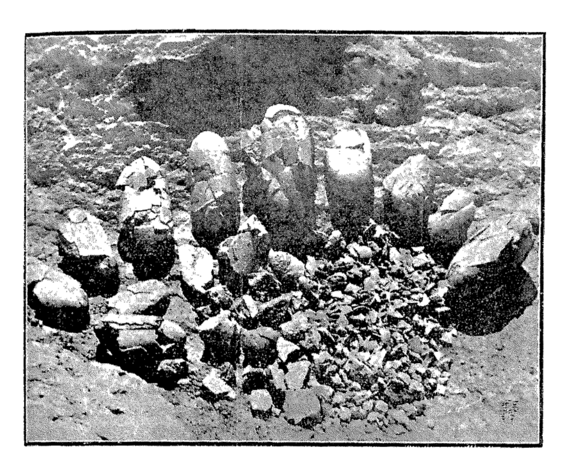
والتثبت من كثافتهِ مرتبط بالتثبت من حجمهِ فقد ابان الفلكي الاميركي سيرز Sears سنة ١٩٢٢ ان قطر هذا التابع لا يقل عن ٢٦ الف كيلو متر ولا يزيد على ٤٨ الف كليو متر وذلك بعد ما درس الصور الطيفية التي صوّرها الاستاذ ادمس في مرصد جبل ولسن سنة ١٩١٤

ولا يخفى ان وزن كل جسم على سطح جرم من الاجرام يختلف باختلاف كثافة الجرم وطول قطرهِ . فلو ان قطر تابع الشعري كقطر الارض وكثافتهُ بقيت كما هي اي نحو ١٠ آلاف ضعف كثافة الارض لبلغ وزن رجل عادي على سطحهِ ملايين من الارطال ولكان لهُ من وزنهِ ضغط كافٍ يلصقهُ بالارض ويسطحهُ حتى يصير كاللوح. اما وقطر تابع الشعرى يزيد نحو اربعة اضعاف على قطر الارض والجاذبية تقل كمربع البعد فوزن الرجل هناك يبلغ اطناناً كثيرة وذلك كافٍ لان يمنعهُ عن الوقوف في حالتهِ الطبيعية بل يسحقهُ سحقاً

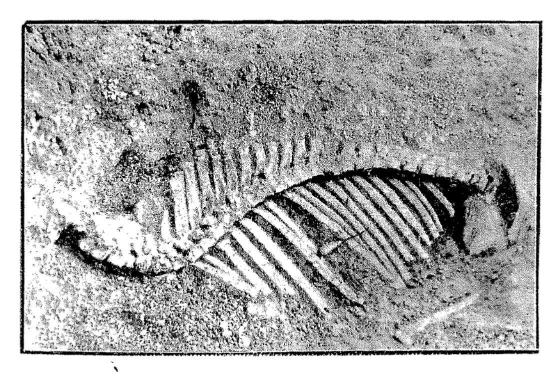
﴿ تابع الشعرى ومذهب اينشتين ﴾ وفي سنة ١٩٢٤ اخذ الاستاذ ادنغتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج واكبر علماء الرياضيات والفلك عند الانكليز الآن يعالج موضوع تابع الشعرى من ناحية مذهب اينشتين ولا يخفى ان الاستاذ ادنغتون من اكبر انصار هذا المذهب. ذلك ان مذهب اينشتين يقضي بان تُوجد مادةُ كلّ كوكب من الكواكب غلافاً ممغنطاً حولها تنحرف فيهِ اشعة النور عن سيرها الاصلي فيهِ . وقد حُقق هذا الرأي في رصد الكسوفات الحديثة واشهر تحقيق لهُ جرى في رصد كسوف مايو ١٩١٩ ومما يقضي بهِ مذهب اينشتين ايضاً ان انحراف اشعة النور في هذ الغلاف الممغنط يجب ان يظهر في تحليل النور بالسبكترسكوب بتأخر ظهور الخطوط الطيفية او باستطالة امواج الاشعة

اخذ الاستاذ ادنغتون يبحث في هذا الموضوع فاتخذ قاعدة لبحثهِ ان حرارة تابع الشعرى ٨٠٠٠ درجة بميزان سنتغراد وكثافتهُ ٥٣ الف ضعف كثافة الماء ، وقطرهُ ٣٩٢٠٠ كيلو متر فحسب على اساس ذلك ان تأخر الخطوط الطيفية يجب ان يكون نحو ٢٠ كيلو متر في الثانية وفي الوقت نفسهِ كان الاستاذ ادمس مدير مرصد جبل ولسن باميركا قد صوّر نور هذا الكوكب بسبكترسكوب متصل بتلسكوب مرصد جبل ولسن فثبت من صورهِ، ان الخطوط الطيفية تتأخر ٢٣ كيلو متراً في الثانية وهذا يؤيد حساب ادنغتون

فيستنتج من ذلك ان كثافة هذا الجرم السموي نحو ١٠ آلاف ضعف كثافة الارض او ستة آلاف ضعف كثافة الحديد . فما هي حالة المادة في كوكب على هذه الدرجة من الحرارة والكثافة ؟



بيوض الدينوسورس كما عثر عليها في صحراء غوبي



هيكل حيوان لبون يرجع تاريخهُ الى ثلاثة ملايين سنة كما وُجد في صحراء غوبي وهو كامل تقريباً

الحيوانات اللبونة

واقدم آثارها

بسطنا في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٤ كيف عثرت بعثة علمية اميركية برآسة الدكتور اندروز في صحراء غوبي بمنغوليا على مجموعة نادرة من بيوض الدينوسورس المتحجرة وغير ذلك من الآثار والجماجم والعظام المتحجرة التي يرتدُّ تاريخها الى نحو عشرة ملايين سنة . وقد اعادت هذه البعثة الكرة في سنة ١٩٢٥ على المكان الذي وجدت فيهِ ما تقدم لاتمام البحث عن تلك المتحجرات النفيسة عساها ترشد العلماء الى الموطن الاول الذي نشأ فيهِ الانسان. فعثرت على عدد كبير من بيوض الدينوسورس وجلّها يفوق ما عُثر عليهِ اولاً من حيث سلامتهُ وعدم تكسرهِ او تفتتهِ وكثرة انواعهِ ووجدت عدا البيض كثيراً من العظام المتحجرة وجميع هذه الاثار متى رتبت ترتيباً علميًا حسب سن اصحابها تألف منها سلسلة متصلة الحلقات تمثل حياة الدينوسورس في جميع ادوارها من مهدهِ الى لحدهِ

وكانت البعثة قد عثرت في رحلتها الاولى الى صحراء منغوليا على جمجمة متحجرة حسبها الدكتور غرانجر الذي كشفها انها من آثار الزحافات غير المعروفة فلما رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك ادرك للحال انها ليست من آثار الزحافات بل من اثار الحيوانات اللبونة بل قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة على الاطلاق . فكتب الى الدكتور غرانجر يطلب اليهِ ان يبذل ما في وسعهِ لكشف كل ما يستطيع كشفهُ من هذا القبيل .وذلك لانهُ من المعروف لدى علماء النشوء والمتحجرات ان الحيوانات اللبونة التي دمها حارٌّ وترضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة الباردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يوفقوا الى العثور الأَعلى جمجمة واحدة من جماجم الحيوانات اللبونة التي يرجع عهدها الى ذلك العصر المتوغل في القدم،عُثر عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات الترياسيك التي كانت منذ نحو ١٦ مليون سنة وهذه الجمجمة موجودة الآن في المتحف البريطاني وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوَّم بمال . على ان صاحبها كان من الحيوانات اللبونة التي انقرضت في مطلع عصر

الايوسين وليس من علاقة صريحة لهُ بالحيوانات اللبونة المعروفة و بعض العلماء يظن انها جمجمة احد الزحافات القديمة

لذلك اهتمت بعثة الدكتور اندروز في رحلتها الاخيرة بالنقب عن آثار الحيوانات اللبونة في المكان الذي وجد فيهِ الدكتور غرانجر الجمجمة الاولى وهو المكان الذي عثرت فيهِ البعثة على آثار الدينوسورس من بيض وجماجم وعظام ٠وكان الحظ يسير في ركاب الدكتور غرانجر فما حطت البعثة رحالها على مقربة من هذا المكان حتى مشى اليهِ وعاد بعد ساعة يحمل في يدهِ جمجمة صغيرة لحيوان لبون متوغل في القدم وهي الجمجمة الثالثة من نوعها في تاريخ البحث عن المتحجرات

وكانت البعثة قد عزمت على السفر الى مكان آخر في اليوم التالي فلما عادت الى هذا المكان استأنف غرانجر ورفاقهُ البحث عن جماجم الحيوانات اللبونة وعظامها فقضوا اسبوعاً كاملاً جمعوا فيهِ ست جماجم كلها صغيرة لا يزيد طول الواحدة منها على بوصة ونصف بوصة لانها كانت جماجم حيوانات صغيرة الحجم جداً

قال الدكتور اندروز رئيس البعثة « وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على ولد لي فكنت اراقبها في اثناء السفر من منغوليا الى نيو يورك لا اغفل عنها طرفة عين . ولما سلمتها الى مدير متحف نيو يورك شعرت ان عبئاً ثقيلاً زال عني »

هذه الجماجم صغيرة كما تقدم يستدل منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان حجماً وعهدها يرجع الى عشرة ملايين سنة و يجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة تأكل الحشرات او اللحوم او الاعشاب . وقد قال الاستاذ اسبرن رئيس متحف التاريخ الطبيعي بنيو يورك في الكلام عليها ما يأتي « لا شك في ان انقراض الزحافات البحرية والبرية الكبيرة التي بقيت الى نهاية العصر الكريتاسي مهد السبيل لنشوء الحيوانات اللبونة فاخذت تتولد انواع جديدة منها وما زالت ترتقي حتى تسلطت على البر والبحر » وقد كاد علماء الحياة يجمعون على ان الحيوانات اللبونة نشأت من الزحافات كما نشأت الزحافات من الحيوانات الامفيبيَّة (١) وهذا لا يعني ان انواع الزحافات المعاصرة هي من اسلاف الحيوانات اللبونة انما يعني ان الحيوانات اللبونة وانواع الزحافات المعاصرة نشأت من انواع الزحافات المنقرضة المتوغلة في القدم

---

(١) معنى الامفيبيا المزدوجة الحياة كالضفدع لانها تعيش جانباً من عمرها في الماء وجانبا في اليابسة

الحرب الكبرى ومن المسؤول عنها

٢

وصلنا في مقتطف ابريل الى اجتماع رؤساء اركان الحرب الثلاثة واتفاقهم على الاشتراك في الحرب . ولما عاد كنراد الى بلادهِ وحضر استعراض الجيش في بوهيميا رأى من الارشديوق فرنز فردينند شيئاً من الفتور في معاملتهِ لهُ فاستعفى من رآسة اركان الحرب ولكن الارشديوق اعتذر اليهِ وطلب منهُ ان يستمرَّ في منصبهِ ولو الى الربيع (سنة ١٩١٤)

وكان قد تمَّ الاتفاق بين ملتكي وكنراد على ان جيوش النمسا والمجر تقابل الجيوش الروسية وتساعدها المانيا باثنتي عشرة فرقة الى اربع عشرة فرقة حسب مقتضى الحال تبعث بها المانيا الى شرقي بروسيا. وعلى النمسا حينئذٍ ان تتخذ خطة الهجوم في شمال كرباثيا وتبذل جهدها في صد جيوش روسيا الى ان يصل المدد الالماني الى المكان المعد لهُ

وكتب ملتكي الى كنراد يقول انهُ رأى الجنرال زُكَّاري الذي كان معيناً لقيادة الجيوش الايطالية في المانيا اذا نشبت الحرب فقال لهُ انهُ واثق ان ايطاليا تقوم بما يجب عليها اذا وقعت الحرب . فاجابهُ كنراد انهُ اذا كان الامر كذلك فهذا يسهل على المانيا ان ترسل بعض جيشها الذي يقوم الجيش الايطالي مقامهُ ليساعد الجيش الذي يرسل الى شرق بروسيا. لكن ملتكي لم يكن ليسك هذا المسك فاجابهُ ان المانيا مضطرة ان تبدأ بمحاربة فرنسا كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدتها ولكن حالما تصل الجنود الايطالية ترسل المانيا جانباً من جيشها من الغرب الى الشرق . ثم قال

اما الجيش الايطالي فلا يكون مستعداً الاَّ في اليوم الثاني والعشرين بعد التعبئة فلا نستطيع ان نؤخر هجومنا على فرنسا انتظاراً لهُ ولكنني ارجو اننا نستطيع حينئذٍ ان نجد سبيلاً للبت في هذه المسألة الهامة . ولا نعلم الآن هل تستطيع الجيوش الايطالية ان تصل بقطاراتها الى المحطات التي يراد وصولها اليها او تضطر ان تنزل في محطات اخرى قبلها بسبب اتخاذ الجيوش الفرنسوية خطة الهجوم. ويا حبذا لو استطاعت الجيوش الايطالية ان تقدم وصولها خمسة ايام ولكننا يجب ان لا نعتمد على الاماني بل نقابل الامور كما هي ونشرع في الحرب كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدتنا ولذلك لا

نستطيع ان نغير خطتنا ولكنني اؤكد لك اننا نرسل بعض جنودنا الى روسيا حينما تصل الجنود الايطالية

وذهب ملتكي في ابريل سنة ١٩١٤ الى كارلسباد للاستشفاء على جاري عادته ودعا كنراد لكي يزوره فيها فاجابهُ ان لا شيءَ احبّ اليهِ من التحدث معهُ ولكن الجرائد كانت لهُ في المرصاد ولا بدّ لهُ من استئذان الامبراطور اولاً . ثم زار ملتكي في ١٢ مايو وعاد مسروراً بما تمّ الاتفاق عليهِ من نجدة الجيش الالماني .ولم يكتب ملتكي شيئاً في هذا الموضوع ولكن كنراد كتب ما يأتي « نرجو ان نقضي على فرنسا في الاسابيع الستة الاولى من الحرب او نكون قد تقدمنا في فوزنا عليها تقدماً يبيح لنا ان نحوّل اكثر قوانا الى الشرق »

وكان المنتظر ان يقر القرار النهائي في صيف سنة ١٩١٤ ولكن حدث في النمسا قبل ذلك ما عقّد المسألة فان الارشدبوق فرنز فردينند قُتل في مدينة سراجيفو في ٢٨ يونيو فبلغ الحنق على السرب اشدّهُ وفي الثاني من يوليو توفي الجنرال بوليو رئيس اركان الحرب الايطالي الذي كان اكبر مؤيد للمحالفة الثلاثية وكانت رومانيا قدزادت بعداً عن المحالفة الثلاثية . وكتب ملتكي حينئذٍ قاطعاً الرجاء من الجيش التركي اذ قال « لا قيمة حربية لتركيا فان تقارير بعثتنا الحربية لا تبقي محلاً للامل فالخلل في الجيش التركي يفوق الوصف . ان من كان يلقّب تركيا بالرجل المريض يجب ان يلقبها الآن بالرجل المحتضر . وبعثتنا الحربية تشبه طبيباً واقفاً امام سرير مريض مدنف لا يرجى لهُ الشفاء »

فماذا تستطيعهُ النمسا في هذه الحال هل يصح لها ان تخاطر باثارة حرب اوربية بالهجوم على السرب وهل من مصلحتها ان تقدم على ذلك

في الخامس من يوليو قال كنراد لامبراطورهِ انهُ لا بدّ من محاربة السرب اذا اريد ان تبقى المجر متحدة بالنمسا . فاجابهُ الامبراطور انهُ لا بدّ لهم اولاً من الوقوف على رأي المانيا . فارسلت النمسا تطلب رأي المانيا ولكن الامبراطور ولهلم كان قد ذهب الى نروج ولا بدّ من تأخير الجواب وفي السادس من يوليو جاء الجواب لامبراطور النمسا ان امبراطور المانيا مستعد شخصيًّا ان يؤيد النمسا ولكن لا بدّ لهُ من ان يستشير وزير الامبراطورية . وفي السابع من يوليو عاد رسول النمسا الكونت هويدس من المانيا

موءَكداً انها تحارب مع النمسا سواء كانت الحرب صغيرة ام كبيرة وانها تشير على النمسا ان تهاجم السرب حالاً

واجتمع وزراء النمسا والمجر في ٧ يوليو ووافقوا كلهم ما عدا الكونت تسزا وزير المجر على مناجزة السرب وهم يعلمون ان ذلك قد يوءدي الى حرب عمومية لانهم وثقوا حينئذٍ ان المانيا توءَيدهم تأييداً مطلقاً من غير قيد. اما الكونت تسزا فقال ان اثارة هذه الحرب يحرج موقف النمسا والمجر امام دول الارض وفوق ذلك فهو غير واثق ان الفوز يكون للمحالفة الثلاثة في حرب اوربية

وفي الثامن من يوليو تقرّر ارسال البلاغ النهائي الى السرب في ٢٢ يوليو وطُلب من كنراد ان يستعد لاحتلال السرب مهما كان جوابها للبلاغ . وطُلب منهُ ومن وزير الحربية ان يذهبا بالاجازة حالاً اخفاء للحقيقة

وكان كنراد يظن ان تضامن المانيا مع النمسا والمجر كافٍ لمنع الحرب . وكان ملتكي يثق بالجيش الالماني ثقة كبيرة و يعتقد ان ايطاليا لا تنفصل عن المحالفة الثلاثة واذا لم تفعل فالمرجح ان الفوز يبقى لالمانيا . وقبل التعبئة بيوم بلغ الامبراطور ولهلم ان فرنسا قد تبقى على الحياد فالتفت الى ملتكي وقال لهُ اذاً سيكون زحفنا كلهُ شرقاً فقال ملتكي لقد وضعنا خطة الزحف ولا يمكن تغييرها فقال لهُ الامبراطور ان عمك ما كان يجيب بمثل هذا الجواب

وسُلم البلاغ النهائي للسرب بعد ظهر الثالث والعشرين من يوليو وتوالت الحوادث على النمط التالي

٢٣ يوليو أُرسل البلاغ النهائي الى السرب

٢٥ « امرت السرب بالتعبئة العامة

٢٦ « امرت النمسا بالتعبئة الجزئية

٢٨ « اعلنت النمسا الحرب على السرب

٣١ « امرت روسيا بالتعبئة العامة وامرت النمسا بالتعبئة واعلنت المانيا بان الحرب مع روسيا على الابواب

١ اغسطس امرت المانيا بالتعبئة العامة

٢ « بعثت المانيا بلاغاً نهائيًّا الى بلجكا و بدأَت المناوشات بين المانيا وفرنسا

٣ اغسطس رفضت بلجكا بلاغ المانيا واعلنت المانيا الحرب على فرنسا وامرت بريطانيا بالتعبئة العامة واعلنت ايطاليا حيادها

٤ « اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا واعلنت المانيا الحرب على بلجكا

٥ « اعلنت النمسا الحرب على روسيا

وكان غرض كنراد ان تكون الحرب محصورة في السرب حتى يقضي عليها حالاً فترى دول اوربا انهُ قضي الامر فلا يبقى محل لاعتراضها لانهُ لم يكن للنمسا رغبة في حرب عامة ولذلك لم يفعل شيئًا لحمل روسيا على الحرب . اما المانيا فلم يكن من غرضها حصر الحرب في السرب بل كان غرضها قهر فرنسا وكان ملتكي يحسب ان يتم الفوز على فرنسا قبلما تتم روسيا تعبئتها وزحفها فلا يبقى لها سبيل للزحف ويرى ان المانيا لا تستطيع ان تثير حرباً عمومية ما لم تقنع شعبها بلزوم ذلك وهذا الاقناع لا يقع الاَّ اذا نشبت الحرب بين النمسا وروسيا فتضطر المانيا حينئذٍ ان تدافع عن حليفتها. ولما رأى ان النمسا مترددة عزم على انهاضها للعمل . فارسل الملحق الحربي النمسوي في برلين الى كنراد في ٣٠ يوليو بعدما قابل ملتكي تلغرافًا يقول فيهِ

ان تعبئة روسيا لا توجب التعبئة هنا وانما تجب التعبئة متى نشبت الحرب بين النمسا وروسيا ولذلك لا تعلن المانيا الحرب على روسيا بل تنتظر هجوم روسيا

فارسل كنراد تلغرافًا الى ملتكي ذلك اليوم يقول فيهِ

اننا لا نعلن الحرب على روسيا ولا نشرع فيها

فابرق اليهِ ملتكي في الليل يقول

لا تزال التعبئة في روسيا مضطردة فيجب على النمسا ان تزحف حالاً على روسيا وستزحف المانيا ويمكن ابقاء ايطاليا في المحالفة اذا كوفئت

وتوسَّع الملحق الحربي في هذا الموضوع فابرق الى كنراد يقول ان ملتكي يحسب الموقف خطراً اذا كانت النمسا لا تزحف حالاً على روسيا فان روسيا عبأت جيشها فصار من الواجب على النمسا ان تقابلها بالمثل وهذا يوجب على المانيا ان تنصر النمسا . ثم يمكن الاتفاق مع ايطاليا بمكافأتها مكافأة شريفة لكي تبقى في المحالفة الثلاثية ولا داعي لارسال جيش الى الحدود الايطالية وقد رفضت انكلترا الوسائل التي كررت لحفظ السلم . ولابد للنمسا من الاشتراك في الحرب الاوربية لان في هذا الاشتراك رجاءها الاخير . والمانيا معنا من غير قيد ولا شرط

وعرض كنراد هذه التلغرافات على مجلس من ساسة النمسا صباح ٣١ يوليو فوافقوا عليها وطلب من الامبراطور ان يأمر بالتعبئة العامة الاَّ ان ايطاليا بعثت التلغراف التالي وهو:

من حيث ان المحالفة الثلاثية هي محالفة دفاعية . ومن حيث ان الوزارة النمسوية اثارت حرباً اوربية بمعاملتها العنيفة للسرب وفوق ذلك لم تستشر الحكومة الايطالية في ذلك قبل حدوثهِ فايطاليا غير مضطرة الى الاشتراك في هذه الحرب

وصدر الامر بالتعبئة العامة في النمسا ظهْر الحادي والثلاثين من يوليو وجاءَت الاخبار الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ ان المانيا اعلنت ان الحرب على روسيا دنت . وبقي ملتكي يحسب ان فعل النمسا ليس فيهِ الشدَّة اللازمة فابرق الى كنراد تلك الليلة يقول اتتركنا النمسا في المأزق . فأسقط في يد كنراد وكتب الى ملتكي تفصيلاً مسهباً شرح فيهِ سبب تمهل النمسا واكد لهُ انها لا تخلُّ بمعاهداتها

وظهر للنمسا حينئذٍ ان الامور لم تأتِ على مرامها فان ايطاليا تخلت عنها وقد تتخذ خطة العداء و بلغار يا ابث مناوأة السرب ورومانيا باتت كمن يحاول الهرب . وان الحرب ستكون عامة . واوجس امبراطور النمسا شرًّا واعرب عن ذلك بقولهِ اذا كان لابدَّ من القضاء على بلادنا فلنمت رجالاً

وفي الخامس من اغسطس كتب ملتكي الى كنراد معلناً وصول كتابهِ اليهِ وشكرهُ شكراً جزيلاً بقولهِ

« لم اكن في حاجة الى ما اكدتهُ لي ايها الاخ العزيز وهو ان النمسا لا تخون عهودها انهُ لا سهل عليَّ ان ارتاب في الله من ان ارتاب في صدق اليمين التي حلفناها بعضنا لبعض. ان دخولنا البلجيك فظيع بلا شك ولكننا نحارب لاجل حياتنا وكل من يقف في طريقنا يجب ان يتحمل نتيجة عملهِ . ان هذه الحرب قد نخسر بها اسطولنا ولكن انتهاء الحرب في البرّ . ان الايطاليين لا يحتمل ان تبلغ منهم الدناءة حتى يطعنوكم من ورائكم . دعوا البلغار تهاجم السرب ولينهش بعضهم بعضاً . امامنا الآن غرض واحد اطرحوا الروس اصحاب الوهق في المستنقعات وغرّقوهم

وفي التاسع من اغسطس اكد ملتكي لكنراد انهُ بُذلت كل الوسائل لابقاء ايطاليا على الحياد فلم تفلح فانها تهمة قاصدة الالتهام وتأبى ان يصرفها احد عن عزمها

ثم سار كلٌّ من ملتكي وكنراد الى ميدان القتال . اما كنراد فبقي في رآسة اركان الحرب الى نهايتها واما ملتكي فلم يبقَ فيها الاَّ شهراً واياماً ثم عاد الى المانيا مريضاً

منهوك القوى ومات فيها . والظاهر ان ضميرهُ نخسهُ قبل وفاتهِ فانهُ كتب في ٩ سبتمبر ان الامور سائرة من رديء الى اردأ فالمعارك شرقي باريس ستكون نتيجتها علينا . ما اشد الفرق بين الاحوال الآن وما كانت عليهِ حينما شرعنا في الحرب والنصر حليفنا . سنضطر ان نوفي ما اتلفناهُ

مات ملتكي قبلما رأى اندحار الجيش الالماني اما كنراد فرأى تمزق بلادهِ واندحار جيشها انتهى باختصار كثير

ومما يجري هذا المجرى ما جاء في مجلة دنماركية وهو ان الجراح الدنماركي الشهير الاستاذ توركلد روفستنج جاء برلين في ابريل سنة ١٩١٤ للاشتراك في المؤتمر الطبي فجعل الذين يعرفهم من الاطباء يأخذونهُ جانباً الواحد بعد الآخر ويكلمونهُ مظهرين حبهم للدنمارك وان المانيا عازمة ان ترد اليها شمال شلزوغ . وكان لهُ صديق في المانيا وهو جنرال من اصل دنماركي فمضى اليهِ وقال لهُ هل نحن قادمون على حرب . فبهت الجنرال وقال نعم ومن اخبرك بذلك فقص عليهِ ما سمعهُ من الاطباء . فقال نعم وقد طُلب من الاطباء ان يتوددوا الى رصفائهم من اطباء الدنمارك وان تبذل كل الوسائل لاكتساب صداقة الدنمارك حتى تبقى على الحياد وقت الحرب ان لم تشترك مع المانيا فيها فسألهُ الجراح عن السبب الذي يحمل المانيا على الحرب فاجابهُ ان الضرورة تدعو الى ذلك فان الدوما الروسية قررت انشاء سكة حديد حربية في بولونيا ومتى تمت هذه السكة بعد سنة او سنتين لم يبقَ لالمانيا امل بالفوز اذا حاربتها روسيا وفرنسا لانها تهاجَم حينئذٍ من جهتين . و بغير هذه السكة لا تستطيع روسيا ان تزحف بجيوشها في اقل من شهرين فنكون قد قضينا على فرنسا ثم نعود الى روسيا وندحرها ولذلك لا بدَّ لنا من ان نشهر الحرب عليها وعلى فرنسا بعد شهرين من الزمان

وعاد الاستاذ روفستنج الى برلين في شهر يونيو وسأل صديقهُ الجنرال كيف ان الحرب لم تعلن كما انبأهُ قبلاً فقال لهُ ان رآسة اركان الحرب لقيت من الامبراطور مقاومة لرأيها لم تكن تنتظرها ولكنها باذلة جهدها لاقناعهِ والمرجح ان تشهر الحرب بعد وقت قصير . انتهى وهذا يطابق رواية نشرناها في المقتطف في اوائل الحرب وفيها ان الامبراطور قال لولي عهدهِ اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرب سفاك الدماء كاتيلا واذا دارت الدائرة عليَّ فانك لا تملك بعدي

اسلوب المؤرخين العرب

في كتابة التاريخ

٣ — الكتابة حول السنين

قلنا إنّ بعض المؤرخين جعلوا الكلام في ابحاثهم يدور على الحادثات والملوك واوردنا الامثلة العديدة على ذلك ولا يسعنا هنا الآ ان نؤكد انّ فئة كبيرة من المؤرخين العرب اخذت السنين محور البحث في الفتوحات والوقائع والفتن الشهيرة فابن خلدون صاحب المقدمة المعروفة رتب تاريخهُ على السنوات وقد وصفهُ حاجي خليفة بما يأتي « ... وهو كبير عظيم النفع والفائدة رُتب على السنوات . رُوِيَ انهُ كان في وقعة تيمور قاضياً بحلب لحلّ في قبضتهِ اسيراً سميراً فكان يصاحبهُ وسافر معهُ الى سمرقند فقال لهُ يوماً لي تاريخٌ كبير جمعت فيهِ الوقائع بأسرها خلفتهُ بمصر وسيظفر بهِ المجنون يشير الى برقوق . فقال لهُ هل يمكن تلافي هذا الامر واستخلاص الكتاب فاستأذنهُ في ان يعود الى مصر ليجيءَ بهِ فاذن لهُ ولعلّ ذلك الكتاب هو (العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والروم والبربر) وقد اشتهر نحو ثلثهِ بالمقدمة ودون مفرداً » [١]

كذلك فعل الطبري فانهُ رتب كلامهُ في التاريخ على السنوات وقد انتهى في كتابهِ الى سنة ٣٠٩ هجرية . وتداولت الايدي هذا المؤلف المعدود من الثقات فترجم الى الفارسية والتركية وقد اسهب حاجي خليفة ايضاً في وصفهِ فقال « وهو من التواريخ المشهورة الجامعة لاخبار العالم ابتدأ من اول الخليقة وانتهى الى سنة ٣٠٩ وسماهُ تاريخ الامم والملوك . وذكر ابن الجوزي انهُ بسط الكلام في الوقائع بسطاً وجعلهُ مجلدات وان المشهور المتداول مختصر من الكبير وانهُ هو العمدة في هذا الفن . وذكر ابن السبكي في طبقاتهِ « انّ ابن جرير قال لاصحابهِ هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا » قالوا كم قدرهُ فذكر انهُ ثلاثون الف ورقة فقالوا « هذا مما يفني الاعمار قبل اتمامهِ فقال « إنا لله ماتت الهمم » فاختصرهُ في نحو ما اختصر التفسير . ونقلهُ ابو علي محمد البلعمي من وزراء السامانية الى الفارسية اولهُ « الحمد لله العلي الاعلى » ذكر فيهِ ان منصور بن

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٢٤ وج ٤ ص ١٨٣

نوح الساماني امر بترجمتهِ لامينهِ وخاصتهِ أبي الحسن سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ونقلهُ غيرهُ الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم والذيل عليهِ لابي محمد عبد الله بن محمد الفرغاني وعُرف هذا الذيل بالصلة »(١)

ومن المؤلفين المشهور بن الذين اوردوا الحادثات حسب السنين الملك ابو الفدا صاحب حماه فكتابه « المختصر في اخبار البشر » هو ملخص كتاب الكامل لابن الاثير الاَّ انهُ رتب الحادثات فيهِ حسب السنين وقد اختصر هذا الكتاب وذيل عليهِ ابن الوردي المصري فقال في سبب تلخيصهِ « اني رأيت المختصر في اخبار البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد صاحب حماه من الكتب التي لا يسع جهلها فانهُ اختارهُ من التواريخ التي لا تجتمع الاَّ للملوك فاختصرتهُ في نحو ثلثيهِ فكفل بوجازة اللفظ وكمال المعنى ونمقتهُ بياناً وألحقتهُ اعياناً واودعتهُ شيئاً من نظمي ونثري وحذفت منهُ ما حذفهُ أسلم وقلت في اول ما زدتهُ «قلت» وفي آخرهِ «والله اعلم» وسأذيلهُ من سنة تسع وسبعمائة التي وقف المؤلف عليها . . . . وسميتهُ «تتمة المختصر في اخبار البشر» واعلم ان التواريخ القديمة في هذا الكتاب مؤلفة على مقدمة وخمسة فصول والتواريخ الاسلامية مرتبة على السنين(٢) »

وقد اسهب حاجي خليفه في وصف هذا الكتاب فقال ان « المختصر في اخبار البشر في مجلدين للملك المؤيد اسماعيل بن علي الأيوبي المعروف بصاحب حماه . توفي سنة ٧٣٢ هـ اولهُ « الحمد لله الذي حكم على الأعمار بالآجال الخ » اورد فيهِ شيئاً من التواريخ القديمة والاسلامية ليكون تذكرةً تُغنيهِ عن مراجعة الكتب المُطَوَّلة واختصر من الكامل وغيرهِ من نحو عشرين مجلداً ورتب التواريخ القديمة على مقدمة وخمسة فصول والتواريخ الاسلامية على السنين حسب تأليف الكامل ، المقدمة تتضمن ثلاثة امور . الاول في كثرة الاختلاف بين المؤرخين. الثاني في معرفة نسخ التوراة. الثالث في معرفة جدول اقترحهُ يتضمن ما بين التواريخ من المدد . الفصل الاول في ذكر الانبياء وحكام بني اسرائيل والثاني في ذكر ملوك الفرس والثالث في ذكر الفراعنة وغيرهم والرابع في ملوك العرب والخامس في ذكر امم العالم وانتهى فيهِ الى سنة ٧٢١ هـ(٣) » فترى ان حاجي خليفة ألمَّ بجميع المواضيع التي بحث فيها ابو الفداء

ومن الكتب التاريخية المرتبة عموماً حسب السنين كتاب بدائع الزهور في وقائع

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٣٦ — ١٣٧

(٢) مقدمة ابن الوردي ص ٢ — ٣ (٣) حاجي خليفة ج ٥ ص ٤٤٧ — ٨ — ٩

الدهور المطبوع بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٨ هـ وهو في اربعة مجلدات وقد انتهى فيهِ الى سنة ١٥٢٢ م

٤ — الكتابة حول المدن

وقد اخذت طائفة كبيرة من مشاهير المؤرخين العرب المدن الكبيرة قاعدةً لبحثها فابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ذكر اخبار دمشق والذين نبغوا من ابنائها وكل من حل فيها سواء كان نبيًّا او خليفةً او عالمًا او شاعراً او فقيهًا او لغويًّا أو اخباريًّا او نسابًا ولم يترك حكاية مستملحة او حكمة رائعة او شعراً لطيفاً لهُ علاقة بكل من وطئت قدماهُ دمشق من المعروفين الاَّ ذكرها وقصَّها على قارئيهِ . وهنا لا يسعنا الاَّ ان نقول أنَّ ابن عساكر وامثالهُ ليسوا الاَّ من الجمَّاعين الذين يجمعون حرفيًّا كل ما يقع بين ايديهم من الحقائق في الموضوع الذي يكتبون فيهِ من غير ان يكون بينها رابطة علمية منطقية وثيقة

اما حاجي خليفة فيعجب بهذا المصنف لابن عساكر فيذكر انهُ يقع في ثمانين مجلداً ويشبهُ تاريخ بغداد لابن الخطيب ونعترف نحن بهذه المناسبة والاسى يملأ قلبنا حزنًا اننا لم نشاهد لتاريخ بغداد من اثر ولعلهُ في احدى المكاتب الاوروبية او في احدى الخزانات الشرقية التي لا يمكن لاحد ان ينالهُ منها سوى العث والحشرات الفتاكة بالكتب . وقد ذيّلهُ بعضهم واختصرهُ آخرون وهاك ما يذكرهُ حاجي خليفه بهذا الصدد «تواريخ دمشق اعظمها تاريخ الامام الحافظ ابي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ هـ وهو في ثمانين مجلداً ذكر تراجم الاعيان والرواة ومروياتهم على نسق تاريخ بغداد للخطيب لكنهُ اعظم منهُ حجمًا . ولهذا التاريخ اذيال منها ذيل ولد المصنف القاسم ولم يكملهُ وذيل صدر الدين البكري وذيل عمر بن الحاجب . ولهُ مختصرات ايضاً منها ما اختصرهُ الامام ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المقري المتوفى سنة ٦٦٥ وهو نسختان كبرى في خمسة عشر مجلداً وصغرى . وممن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري صاحب لسان العرب المتوفي سنة ٧١١ هـ تركهُ في نحو ربعهِ والشيخ بدر الدين محمود بن احمد العيني المتوفي سنة ٨٥٥ هـ انتقى منهُ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وسمّاهُ « تحفة المذاكر والمنتقى من تاريخ ابن عساكر» [1]

---

(١) حاجي خليفة ج ٢ — ص ١٣٠ — ١٣١

وقد حاز هذا التاريخ اعجاب كل من اطلع عليهِ من العلماء السالفين اذ يظهر لنا قوة الجلد التي امتاز بها ابن عساكر فجمع كتابهُ كما اشرنا قبلاً في ثمانين مجلداً . وروى ابن خلكان حديثاً جرى لهُ مع استاذهِ المنذري عن هذا التاريخ يثبت تقدير العلماء لهُ . يُلخص فيما يأتي « قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين ابو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر وقد جرى ذكر هذا التاريخ واخرج لي منهُ مجلداً وطال الحديث في امرهِ واستعظامهِ « ما اظن هذا الرجل الاَّ عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسهِ وشرع في الجمع من ذلك الوقت والاَّ فالعمر يقصر انْ يجمع فيهِ الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه » ولقد قال الحق ومن وقف عليهِ عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثلهُ وهذا الذي ظهر هو الذي اختارهُ وما صحَّ لهُ هذا الاَّ بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها ولهُ غيره تواليف حسنة واجزاء ممتعة ولهُ شعر لا بأس بهِ » (1)

وللامام ابي الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقي كتاب « تواريخ مكة » جرى بهِ على الخطة التي امهبنا في وصفها . ومختصرهُ معروف « بزبدة الاعمال »

اما المقريزي مؤلف كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » فوصف كل ما عثر عليهِ من الآثار كالمساجد والقصور والخطط والمباني الشريفة وتطرق خلال ذلك الى البحث عمن شادوها وما قيل فيها من الحكم والاشعار واللطائف. وترى ان اسلوبهُ سهل منسجم خالٍ من التعقيد وقد لاقى مصاعب جمة في جمع الحقائق وتدوينها . و يمتاز بالتدقيق الاَّ انهُ لم ينسب المادة التي عني بها الى مآخذها ومراجعها الاصلية وهاك مواضيع الكتاب حسبما ذكرها . « ... وكانت مصر هي مسقط رأسي وملعب اترابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي ... لا زلت منذ شذوت العلم ... ارغب في معرفة اخبارها وأُحب الاشراف على الاغتراف من آبارها واهوى مسائلة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب او يحويها لعزتها وغرابتها ... الاَّ انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة ... فأردت ان أُلخص منها انباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يُفنيهِ البلى والقدم واذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة وما اشتملت عليهِ من الخطط والاصقاع وحوتهُ من المباني البديعة الاوضاع

(1) ابن خلكان طبعة باريس سنة ١٨٣٨ ص ٤٦٣ — ٤٦٤

مع التعريف بحال مناسس ذلك من اعيان الاماثل والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الاعاظم والافاضل واثر خلال ذلك نكتاً لطيفة وحكماً بديعة شريفة من غير إطالة ولا اكثار ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين فلذا اسميتهُ (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) » [1]

ورتّب لسان الدين الخطيب الكلام في مصنفهِ « الاحاطة في اخبار غرناطة » على غرناطة الجميلة فكتب عن جغرافيتها واحوال اجتماعها وملوكها وامرائها وطبقاتها وعلمائها حتى ذكر اهل التصوف فيها وتخللت ابحاثهُ هذه كلها الاشعار الكثيرة والاخبار الطريفة ووصف الترتيب الذي جرى عليهِ والمواضيع التي طرقها فقال « والترتيب الذي انتهت اليهِ جبلتي وصدقت في اختيارهِ مخيلتي هو أني ذكرت البلدة حاطها الله منبهاً منها على قديمها وطيب هوائها وأديمها واشرق علاها واشرف حلاها ومن سكنها وتولاها واحوال ناسها ومن دال بها من ضروب القبائل واجناسها . . .

«وذكرت الاسماء على الحروف المبوبة وفصلت اجناسهم بالتراجم المرتبة فذكرت الملوك والامراء ثم الاعيان والكبراء ثم الفضلاء ثم القضاة والمقرئين والعلماء ثم المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء ثم الكتاب والشعراء ثم العمال والامراء، ثم الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء . . . لينتظم الجميع انتظام السلك وكل طبقة تنقسم الى من يسكن المدينة بحكم الاصالة والاستقرار او طرأ عليها مما يجاورها من الاقطار او خاض اليها وهو الغريب أثباج البحار أو ألمّ بها ولو ساعة من نهار فان كثرت الاسماء نوعت وتوسعت وإن قلّتْ اختصرت وجمعت

« وآثرت ترتيب الحروف في الاسماء ، ثم في الاجداد والآباء ، لشذوذ الوفيات والمواليد التي يرتبها الزمان عن الاستقصاء وذهبت الى ان اذكر الرجل ونسبهُ واصالتهُ وحسبهُ ومولدهُ و بلدهُ ومذهبهُ وانحيز لهُ الفنّ الذي دعا الى ذكرهِ وجلبهِ ومشيختهِ إنْ كان ممن قيد علماً او كتبهُ ، ومآثرهُ إنْ كان ممن وصل الفضل سببهُ ، وشعرهُ إن كان شاعراً ، أو ادبهُ وتصانيفهُ إنْ كان ممن الف في فن او هذبهُ ، ومهنتهُ إنْ كان ممن امدهُ الدهر شيئاً وسلبهُ ثم وفاتهُ ومنقلبهُ اذا استرجع اليهِ من منحهُ ما وهبَهُ

« وجعلت هذا الكتاب قسمين ومشتملاً على فنين : القسم الاول : في حلى المعاهد والاماكن والمنازل والمساكن ، القسم الثاني في حال الزائر والقاطن والمتحرك والساكن» [1]

---

(١) مقدمة المقريزي ص ٢ — ٣ .

ومن الذين جعلوا المدن مركزاً لابحاثهم صالح بن يحيى المؤرخ صاحب كتاب تاريخ بيروت فسطر فيهِ آثارها وفتوحها وما جرى بها من القرن السادس الى القرن التاسع للهجرة ونفع اهمية هذا التأليف في امرين الاول اهتمام المؤلف بما شاهد من الحوادث في أيامهِ والثاني تجرده عن المبالغة والمدح والاطناب . ويسهب صالح في ذكر بني بحتر امراء غربي لبنان و بيروت . وقد سعى بنشرهِ وتهذيب عبارتهِ وتعليق حواشيهِ وفهارسهِ الاب لويس شيخو اليسوعي وُطبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٨ . وإنا لنأسف جد الاسف لتهذيب عبارة الكتاب وكنا نودُّ لو ينشر على علاتهِ فنتذوق اسلوب الكاتب ونفهم روحه الساذجة في ذلك العصر . ثم لو هُذِبت عبارتهُ وطبعت على الصفحات المقابلة للاصل لكانت الفائدة التاريخية اتم واكمل فلا يخلط المطالع المدقق بين انشاء الاب شيخو وانشاء صالح بن يحيى

اما طريقة المؤلف فهي كما يقول الاب شيخو « ساذجة متبادرة الى الفهم لم يتحرَّ بها سوى افادة آلهِ الشرفاء ليبقى لهم اثراً يفتخر بهِ الخلف بعد السلف . وجعل لتاريخهِ ابواباً ونقاسيم يتمكن بها القارئ من احراز فوائدهِ الشتى وكثيراً ما يلخص في اول الفصول ما سبق ذكرهُ تسهيلاً للمطالع » [(١)]

والحق ان تاريخ بن يحيى مع جميع ما نُقل عن تاريخ حمزة بن سباط « اوقفنا على احوال بيروت الى آخر عهد الملوك المصريين و بداءة دولة عثمان » وهاك ما يقولهُ صالح معترفاً بالاعتدال والتجرد عن المصلحة فيما كتب « يقول العبد الفقير الى الله تعالى صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين امير الغرب لطف الله بهِ من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت فجمعت هذه التذكرة معتذراً الى الواقف عليها من ركة اللفظ ومواقع الخطاء بعد الاجتهاد على صحة النقل وحذف الفضول لأني لا اريد أن اكون مغاليًا في السلف فاصفهم بأزيد مما فيهم او حسوداً فانعتهم بما ليس فيهم . وقد جعلت هذه التذكرة وقفاً على البيت لا تخرج عن الخلف ولا تعار لغيرهم ... جمعت ذلك باوضح برهان واصدق دليل ولست فيهِ كخابط عشواء » [(٢)]

دار المعلمين بغداد — انيس زكريا النصولي

(١) مقدمة الاب شيخو في تاريخ بيروت ص ٤

(٢) مقدمة صالح بن يحيى ص ٦ — ٧ وراجع ص ٢٧٠

رضا خان شاه ايران

كتب ڤاسوديو مثا احد محامي كلكتا في مجلة التاريخ الجاري الاميركية الصادرة في دسمبر الماضي مقالة وجيزة عن الشاه رضا خان قبل ان جلس على عرش ايران فاعتمدنا عليها في اكثر مما يلي لاننا رأينا فيها من الحقائق التاريخية والعمرانية ما نودّ اثباته

ان رضا خان اقدر رجل قام في ايران في الخمسين سنة الاخيرة . ولد في ولاية مزندران سنة ١٨٧٧ وارتقى بجدهِ وصدق عزيمتهِ كما ارتقى جنكيز خان وتيمور لنك وامثالهما من نوابغ العصور . انتظم في سلك الجيش وعمرهُ ١٦ سنة فلم يكد يبلغ السادسة والاربعين حتى صار سرداراً للجيش كلهِ . و بلغ من شأنهِ ان صارت لهُ حينئذٍ الكلمة العليا في ايران فنصب صدراً وخلع الشاه احمد قاجار ونادى بالجمهورية وصار رئيساً لها ثم جلس على عرش ايران في ١٣ دسمبر سنة ١٩٢٥ بقرار مجلسها الاعلى ونودي بابنهِ وليًّا لعهده فهو الرجل الذي انتظرتهُ ايران من سنين كثيرة ليصلح شؤونها و يعيد اليها مجدها السابق و يسير بها في سبيل الحرية والفخار

فلما حدث انقلاب عظيم في بلاد من البلدان الأ سبقتهُ شوائب كثيرة وعيوب فاضحة ضاقت بها الصدور فطلبت الانفراج وهذا ما حدث في ايران . ففي سنة ١٩٠١ نالت شركة البترول الانكليزية الفارسية حق استخراج البترول من مصادرهِ في كل الجانب الجنوبي من بلاد ايران فاغتاظت روسيا من ذلك وجعلت تعتدي على شمال البلاد ودامت المناظرة بينها و بين انكلترا الى سنة ١٩٠٧ فاتفقتا حينئذٍ على ان يكون شمال ايران منطقة نفوذ روسيا وجنوبها منطقة نفوذ انكلترا فاقتسمتا البلاد اقتصاديًّا وابقتا لايران شقة ضيقة بينهما

ولقد كان من المحتمل ان تقتسم روسيا وانكلترا بلاد ايران كلها وتمتلكاها لو لم تقع الحرب الاوربية سنة ١٩١٤ فانهُ كان من اول نتائجها ان زالت الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ فانصرفت روسيا عن الاشتراك في السياسة الاوربية سياسة امتلاك البلدان ولكن خلا الجو لانكلترا فبعثت بجنودها الى ايران سنة ١٩١٩ وطلبت من حكومتها ان توقع الاتفاق البريطاني الفارسي لكن مجلس ايران رفض ذلك . فلم تصرّ انكلترا على طلبها لان حكومة الروس البلشفية كانت قد تغلبت على مناوئيها دنيكن ورنغل ووصلت الى

ايران فوقعت المناظرة بينها وبين انكلترا . وكان رضا خان قد صار من الضباط العظام في فرقة القوزاق وهي ابسل فرق الجيش الايراني فتمكن من بلوغ طهران وحمايتها وقلّد السيد ضياء الدين الصدارة العظمى لانهُ وجدهُ حرًّا متنوراً . ولكن ضياء الدين طلب المساعدة المالية من انكلترا فاغتاظ منهُ رضا خان وكان قد صار سرداراً للجيش واضطرهُ الى نقل الجندرمة من وزارة الداخلية الى الحربية. فرأى ضياء الدين انهُ لم يبقَ لهُ حول ولا طول ففرَّ الى بغداد واحتمى بانكلترا . فتقلد رضا خان رآسة الوزارة وبقي سرداراً للجيش . وكان من امرهِ انهُ اوقع بين الروس والانكليز وهو اميل الى روسيا منهُ الى انكلترا لان روسيا الغت كل الامتيازات التي نالها الروس من ايران ووعدت بان لا تستغل البلاد ولا تجتاح شيئاً من املاكها . وخاوى الروسُ الايرانيين وبذلوا جهدهم في مساعدتهم . فلم يستطع الايرانيون ان يغاضبوا شعباً يتودد اليهم . وهناك اسباب اخرى تجعل رضا خان يفضل الروس على غيرهم فانهُ يحسن الروسية وقد تعلم علومهُ الحربية من الروس .ولايران تجارة واسعة مع روسيا من صادر ووارد ولا تستطيع ان توسع تجارتها مع بريطانيا لان ليس فيها سكك حديدية

وقد عمل رضا خان اعمالاً عظيمة في المدة القصيرة التي كانت الادارة فيها في يدهِ فالجيش الايراني كان معلموهُ من الروس والبريطانيين وغيرهم من الاوربيين فصرف كلَّ هؤُلاء ولم يبقِ في الجيش احداً من الاجانب . والجيش مؤَلف الآن من ست فرق في كل فرقة ٣٦ الفاً فمجموعهُ اكثر من مائتي الف . ووزع هذه الفرق في انحاء البلاد فاستتبَّ الامن فيها بعد ان كانت دعائمها متقوضة . وتمكن من جعل البريطانيين يخلون جنوب ايران ومن اخضاع الاكراد الذين ثاروا بزعامة اسمعيل سمتكو واذلَّ قبائل اللور على حدود العراق وقضى على غيرهم من قبائل الجنوب بدفع الجزية وكانوا قد ابطلوا دفعها من زمن واضطرَّ رئيس عربستان وشيخ المحمرة الى الاعتراف بسيادة ايران وبالاختصار ضمَّ اجزاء ايران بعضها الى بعض بعد ان كادت تتصدع

وهو الآن على وفاق تام مع تركيا وافغانستان وقد اصلح دواوين الحكومة ونشر الامن في البلاد وعامل الجميع بالانصاف . وكان البهائيون مضطهدين قبل ايامهِ فزال الاضطهاد وهم يعاملون الآن بالاكرام مثل غيرهم من الرعايا وهذا شأن اليهود ايضاً والزروستريين .ونشط معامل القطن في يزد وهي للزروستريين وامر ان يلبس كل رجال الحكومة من منسوجات البلاد . وبذل همتهُ في احياء صناعة السجاد والحرير وغيرهما

من الصنائع الايرانية القديمة . ومن اهم ما هو ساع اليهِ اصلاح نظام التعليم . والشعب الايراني من ارقى الشعوب ارومةً فاذا تناول مقومات العمران الحديث النامي ولم يعبأ بالذين يحاولون ردهُ الى القديم البالي وجرى هو والشعب التركي في هذا المضمار لم تمضِ سنون كثيرة حتى نرى في الشرق الاوسط عمراناً زاهراً يباهَى بهِ

الشيخ مرعي صبيح

قصة مصرية

٢

اما الست رُقية واولادها فقد لحقتهم المذلة وحُرموا ما تعودوهُ من طيبات الحياة ولكنها جبلت على الشمم فلم تظهر حالها وتمكنت بالقناعة والصبر من الظهور باليسر ولم تشرك في امرها احداً سوى ابن خالتها « الحاج عزب متولي » ، وكان كهلاً بصيراً بالعواقب ، فتمكن بالشجاعة والحيلة من استرداد عشرة افدنة من الاطيان التي تملكها رقية وضمها زوجها الى ملكهِ واخذ عزب يزرعها ويستخلص ايرادها لرُقية . وكانت لا تذكر زوجها بخير ولا شر وعنايتها منصرفة الى تعليم الولدين ما تيسر من القرآن وقواعد الحساب وتدريب البنت على تدبير المنزل . واخذ الدوّار يُقفر ويغادرهُ المقيمون بالتدريج ولم يبقَ فيهِ الأَوسيلة الحبشية وزوجها مرجان فقد ابيا هجر سيدتهما وأُغلقت المضيفة والمنظرة، وذبلت ازهار الحديقة وجف ماؤُها . وكانت رقية تسمع احياناً اصوات اجانب يذكرون اسم زوجها ويكتبون في اوراق ويتركون لها اوراقاً اخرى ثم ينصرفون فاخبرها الحاج عزب بانهم محضرون من المحكمة المختلطة وقال لها : « ان كنت شاربة من ثدي امك فسافري وابحثي عن هذا الخاسر وردّيهِ بالقوة الى بيتهِ الذي خرب واولادهِ الذين تيتموا في حياتهِ »

رقية : « كيف اردّهُ بالقوة يا حاج عزب ! قوة ربنا فوق كل شيء »

عزب : « لكن ربّنا امرنا بالسعي وترك الحبل على الغارب غلط »

رقية : « صحيح يا ابن خالتي لكن مضى زمن طويل والشيخ مرعي على حاله »

عزب : «طيب يا رقية والاوراق النازلة علينا مثل المطر من المحكمتين الاهلية والمختلطة والبنوك والخواجات ارباب الديون بالربا »

رقية : « كل الاوراق التي وصلت الى يدي سلمتها لك »

عزب : « وانا سلمتها للوكيل وناظر الزراعة فتراكمت مثل الهم على القلب ولم يرسلوها الى حضرة البك لان الوكيل نهى عن ارسالها »

رقية : « والعمل ؟ »

عزب : « ما وراء الورق الاَّ خراب الديار »

رقية : « خراب اكثر مما جرى ؟ ان كان كذلك فسافر وسلمهُ اياها يداً بيد »

عزب : « على الرأس والعين ! اعطيني عبد الرحمن لعلَّ الشيخ مرعي يرقُّ قلبهُ ويذكر اهلهُ ومنزلهُ ! لانهُ كان احب اولادهِ اليهِ »

فبكت رقية وقالت : «يا عبد الرحمن قم مع خالك عزب ! »

وفي صباح احد الايام استيقظ مرعي بك على صوت يُنبئهُ بان ضيفاً من الريف ينتظرهُ فنهض و بهِ اثر الخمار وفرك عينيهِ وخرج الى قاعة الاستقبال يتمطى في «بيجاما» من الحرير وامر بادخال الضيف فاستأذن عليهِ كهل وفتى فلما وقع بصر الحاج عزب عليهِ قال: «صباح الخير يا مرعي يا ابني » . فتنبه البك كأنهُ كان في حلم وقال : « مرحباً بك يا خال عزب انا والله ما عرفتك » فقال عزب مشيراً الى الفتى الذي اخذ يرتجف و يبكي : « وهذا ايضاً ألم تعرفهُ » . فارتج على مرعي برهة وقال : « يا ولد يا عبد الرحمن من جاء بك الى هنا يا ابن الخاسر ؟ » . ولم يُصب هذا المثَل في شيء إصابتهُ في وصف نفسهِ ! فارتفع صوت الفتى بالبكاء فضمهُ الحاج عزب الى صدرهِ .ولم يلتفت مرعي الى نحافة ولدهِ وتغير ملامحهِ ورثاثة ثوبهِ ولم يسأل عن بقية اسرتهِ القديمة ولم يخطر ببالهِ واجب الضيافة وكان الكرم شيمتهُ ، بل تناول علبة « سجاير دفريس » وعرضها على الحاج عزب فرفض فقال : « ولماذا حضرتم يا خال » ؟ ولم ينتظر الجواب لانهُ خشي ان يقف اهل المنزل على حقيقتها ، فتعلم زوجتهُ الجديدة ، بزوجتهِ القديمة . فقال « خذ يا خال عزب هذا الجنيه واسبقاني الى قهوة عثمان امام جامع قيسون ريثما احضر» فقبل الكهل الميعاد ورفض الجنيه وربما فطن الى الحقيقة .وقام والولد يتعثران في اذيالها وكانت جفون الولد مبللة بالدموع فلبس مرعي ثيابهُ وخرج في اثرهما فوجد الكهل جالساً في وقار وتفكير والفتى في همٍّ وألم فسأل عن سبب حضورهما فاخرج الكهل من «دفيّته» حزمة كبيرة من الاوراق فتناولها مرعي وفكها واخذ يقلب فيها نظرهُ فادرك انها اوراق قضائية فقال : « ما هذا يا خال عزب » وامتقع لونهُ واضطرب فكرهُ

فقال لهُ « هذه يا ابني قضايا وحجوزات واقساط البنوك وطلبات المال واوراق الهندسة وورق نزع الملكية »

فقال مرعي : « (مزع) ملكية ؟ كفى الله الشر » !

فقال عزب : « كل شيء بيد الله »

مرعي : « ومن استلم هذه الاوراق كلها » ؟

عزب : « اهل البيت والخدم وسلموها للوكلاء والنظار »

مرعي : « والعمل يا خال عزب ؟ »

عزب : «اسأل المحامي وها أنا يا ابني احضرت اليك الاوراق وجئتك بولدك لانهُ كان يبكي طوال الايام و يطلب ان يراك . وقد حصل المراد والسلام عليكم » .
ونهض فاخرج مرعي من جيبه عشرة جنيهات ووضعها في منديل وقال لعبد الرحمن : « خذ يا ولد كسوتك » فاخذها الولد ونظر الى ابيهِ بعين جامدة كمن يقبل صدقة العدو مضطرًا ، وافترقوا

نهض مرعي يحمل الاوراق المؤذنة بخرابهِ وقصد منزل رفيق في « درب العوالم » حيث تعاشرهُ سودانية عجوز مصابة بالصرع وهي التي كان ذلك الرقيع المأفون يصفها بانها « امرتهُ واهل بيتهِ و بيت العيلة » فلما التقى مرعي برفيق السوء وشيطان حياتهِ وجد في اجفانهِ آثار الكرى وعلى وجههِ « كابسة الشوارب » وهو يحسو « فنجان مغات » ويقول « ان المغات » يحيي رميم العظام ، فاطلعهُ مرعي على الاوراق فلم يرتبك . وقال « المسألة في غاية البساطة غير اننا لا نستطيع مقابلة صديقي ابي راضي بك المحامي الشهير قبل الساعة الرابعة فلنخرج نتغدى اولاً ثم نقابلهُ ونأخذ رأيهُ » . فانطلقا

كان رفيق في ذلك اليوم نادر الكلام ولا عجب فقد كان يضع خُططاً جديدة تتفق مع تغيير الحال . كان المحامي كهلاً سريع الخاطر حوشيَّ الالفاظ فقدَّم لهُ رفيق الاوراق فادرك فوراً سوء حال الموكل الجديد ، وسأل عن سبب صدور الاحكام في غيبتهِ واهمال المعارضة في مواعيدها ، فلم يحر مرعي جواباً فقال المحامي : « إنهُ مستعد لقبول القضايا ليعمل جهده وانهُ بحاجة الى زميل مختلط ليباشر قضايا البنوك ولا داعي للاتفاق على الاتعاب حالاً ولا بأس بدفع مبلغ لحساب الرسوم والمصاريف لان معظم القضايا من اختصاص الاسكندرية » فدفع مرعي بك ما كان معهُ وقام ورفيق، ولم يكادا يخرجان حتى اسرع رفيق بالاعتذار وطلب الى مرعي ان ينتظرهُ بمحل « الحلواني الملوكي»

فافترقا ولم يفِ رفيق بوعده ، فاحرق مرعي من السكاير ما شاء وشرب من الخمر ما ظن فيهِ تفريجاً للهمّ ، ثم عاد الى بيتهِ بعد نصف الليل ، وحاول محادثة زوجتهِ فنأت عنهُ فلاطفها فشاكستهُ فقبل الخصومة راضياً واضطجع حتى الصباح . . وفي الغد تراكمت طلبات الدار فسدّد بعضها وعجز عن بعض فتنمرت لهُ وجيدة واهلها وسلقوهُ بالسنة حداد فقصد بيت رفيق فكتمت جاريتهُ « بشرى خير » خبر وجود سيدها . فقصد بعض معامليهِ من المرابين واقترض مبلغاً يسد بهِ فوهة المنزل ثم خطر بباله ان يتريض فسافر الى حلوان حيث قضى يومين ثم عاد الى المنزل في اليوم الثالث فوجد بهِ اعلان دعوى شرعية من زوجتهِ وجيدة تطالبهُ بالنفقة فملكتهُ الدهشة والحدة فدخل عليها وخاطبها : « صحيح يا وجيدة رفعت دعوى نفقة ؟ » فاجابت بلا حياء : « أليس لي حقوق احافظ عليها مثل زوجتك الفلاحة واولادها » ؟

فسألها : « ومن اخبرك ان لي زوجة واولاداً » ؟

وجيدة : « ان رجلاً في سنك ومكانتك لا بد ان تكون لهُ اسرة في بلدهِ وقد اخبرني الذين زاروك في بلدك وقد رأيت ابنك وخالك منذ بضعة ايام »

فقال : « ابني وخالي ؟ »

فقالت : « لا تنكر فقد سمعت الحديث الذي دار بينكم »

فغضب مرعي وملك الغيظ زمامهُ فكظمهُ وخرج على قدميهِ حتى بلغ حانة « سانت جورج » فجلس يشرب لينسى الهموم التي دهمتهُ وتمنى لو يقابل رفيقاً وهو الذي عودهُ الاختلاف الى تلك الحانة ، ولكن هذه الامنية لم تتحقق لانهُ كان في شغل منذ اطلاعهِ على الاوراق فقد عاد بمفردهِ الى مكتب ابي راضي بك واخبرهُ انهُ لا يرى بأساً في اشراك محام مختلط ليجلو لهُ غامض الاوراق الفرنسوية فخاطب الاستاذ اسكوديناكس فخضر وكان يونانياً يجيد العربية ذا عين واحدة مشهوراً بحذقهِ في اسرار قانون المرافعات وحسن بلائهِ في اجراءات التنفيذ فوضع الاوراق بين يديهِ بحضور رفيق وقضوا في درسها نحو ساعتين حتى تبين لهم سوء مركز الرجل وان ثمن الاطيان قد يكفي السداد ولا امل امام المحكمة المختلطة الا في التسويف ولكن النتيجة محتمة ما لم يحدث امر خارق ولا بد من توكيل محام بالاسكندرية لعلهُ ينقذ ما يمكن انقاذهُ من تلك السفينة المشرفة على الغرق .

اما رفيق فاوصى المحامي الاهلي خيراً وفتح باب الامل للاستاذ المختلط وانصرف

ليرسم خطتهُ الاخيرة للاجهاز على صاحبهِ وهي التفريق بينهُ و بين وجيده فتحصل على مبلغ حسن ثم يسعى بينها و بين امها واختيها فتخرجهنَّ من بيتها فتحتاج الى من تركن اليهِ فلا تجد سواهُ فيتزوج منها بشروط اولها تنازلها عن نصف الدار ضماناً لحسن العشرة في المستقبل، فبادر الى وجيده وامها في الفترة التي كان مرعي في اثنائها رهين موعدهِ بالحانة واطلعها على حقيقة حال الزوج ونصح لها برفع دعوى النفقة وقادها الى محام شرعي فوكلتهُ الزوجة. ثم ان رفيقاً ايقن باضطرار مرعي للمال واراد ان تكون لهُ يد في الصفقة الاخيرة فسعى حتى اهتدى الى احد المشايخ الذين لا يأنفون الجمع بين التقوى «والعشرين في المائة» ورغبهُ في اقراض مرعي حتى قبل فابقاهُ للفرصة المناسبة. وكان رفيق يختفي في منزلهِ و يأمر «بشرى خير» ان تكتم وجودهُ ولما علم ان ثمار خطة الطلاق قد نضجت قصد مرعي بك فلما رآهُ ذلك الاحمق المخمور استغاث بهِ وشكا لهُ فعل وجيده فاصغى اليهِ كمن يسمع جديداً وقال لهُ ان حلَّ المسألة بالصلح اسلم عاقبة ما دام لم يعقب منها ولداً

مرعي: «اي صلح يا رفيق بك كيف تقاضيني امرأة في بيتي وعصمتي ونعمتي نفقةً»

رفيق: «دستور يا بك! ان البيت بيتها وكونها في عصمتك لا يمنعها من حفظ حقوقها والكلام في نعمتك او نعمتها نقص وعيب»

فظن مرعي ان رفيق مدفوع بالاخلاص فاستسلم اليهِ فقادهُ الى المحامي الشرعي وكيل وجيده فلقيهما لقاءً حسناً وبدأ يسرد ادلة وجيده وحججها القوية و يستشهد بقضايا نسبَ لنفسهِ فضل كسبها واشار الى شفقة القضاء على السيدات. وكان رفيق صامتاً كشاهد لا تسرهُ النتيجة ولا تسوءهُ. فاخذ مرعي بسلامة نيتهِ يسرد تاريخ زواجهِ بوجيدة ورفيق يتقلى على الجمر ولا يتكلم فكان المحامي يلين حيناً لطيب عنصرهِ ثم يعود فيشتد بحكم مهنتهِ وكان مرعي يستنجد برفيق فلا يجدهُ، ويستشهد بهِ فلا يؤيدهُ، حتى سقطت جميع حججهِ فاستسلم المسكين للصلح بجميع شروطهِ ومنها الطلاق ومؤخر الصداق ونفقة العدة ومجموع المطلوب ثلثمائة جنيه ولكنهُ اعتذر بالضيق الوقتي فنطق رفيق بعد الصمت الطويل واقترح عليهِ «حسماً للنزاع» الالتجاء الى الشيخ مبروك ليقرضهُ المبلغ المطلوب فقبل مرعي ووقَّع على الصلح ثم على سند الدين. ومنذ تلك الساعة لم يعد مرعي الى منزل الحلمية فلجأ الى فندق «الضيف الكريم» وارسل في طلب ثيابهِ وهي كل ما يملكهُ من البيت الذي دفع ثمنهُ وثمن ما فيهِ من اثاث ورياش وانفق على ساكنيهِ جملة اعوام!..

وكانت ديونهُ قد بلغت خمسة عشر الف جنيه اضاعها في خمس سنين في القمار

وسباق الخيل ونفقات المنزل والزواج والطلاق وافراح الاصهار ومآتمهم ، ومصاريف الاصطبل واثمان الثياب واتعاب المحاماة وفوائد القروض ورسوم المحاكم . فلما تأيدت الاحكام ورفضت المعارضات واستحضرت الشهادات ومضت مواعيد التنبيه والتسجيل وأعلن ارباب الديون الثابتة وتمت اجراءات النشر وتحولت الدعاوي على قاضي البيوع بالشروط المنصوص عليها في القانون وقائمة المزاد بيعت الارض صفقة واحدة ورسا مزادها على البنك بعد ان حلَّ محل غيرهِ من الدائنين لينتفي طول اجراءات التوزيع فبلغ ثمنها مقدار الدين تقريباً ولم يبق للمدين كثير ولا قليل وكان البنك نزع ملكية ارض الست رقية ، لولا ان ادركها الحاج عزب فاسرع الى الاسكندرية ووكل محامياً في المعارضة في « تنبيه نزع الملكية » وفي دعوى « استحقاق العقار » عن الثلاثين فداناً وقدم اعلام الوراثة واوراق المال والكشوف الرسمية وما زال ذلك الريفي الصالح يجاهد ويمد المحامي بالمعلومات ويحرك شفقتهُ على الام والاولاد حتى حكم نهائياً بقبول المعارضة في التنبيهِ واحقيتها وتثبيت ملكها وبذلك ضمن لها ايراداً ثابتاً يكفيها

وعلم الشيخ مرعي ان جميع ما كان في حوزتهِ من مال ثابت ومنقول بيع بالمزاد وكان رفيق السوء قد تزوج من وجيدة بمجرد انتهاء العدة بعد ان مهد للفراق بينهُ وبين صاحبهِ القديم بقوارص الكلم والقطيعة واقام في البيت الذي اشتراهُ مرعي بمالهِ . وكان مرعي لا يعلم بهذين الامرين فحدثتهُ نفسهُ يوماً ان يقصد بيت مطلقتهِ ليزور حماتهُ ونسيبيهِ « النبيلين » حفيدي الخو بوطلي باشا . فخرج اليهِ طاهٍ واخبرهُ ان « لا يسكن هذا البيت احد سوى الست وجيده هانم حرم حضرة رفيق بك » . فرفع مرعي عينيهِ عرضاً الى نافذة الغرفة التي كان ينام فيها ، فالتقت بعين وجيده ، فحاول الكلام فغص بريقهِ وسمع صوتها تقول للطاهي « اصرفهُ يا عبده واقفل الباب » فلم ينتظر امر الطاهي بل سار من تلقاء نفسهِ يتعثر في اذيال الندامة والخجل ولم يفق حتى سمع الناس تصرخ : « حاسب يا افندي » فاذا هو في منتصف الشارع يكاد يذهب فريسة الترام . فاسرع الخطى وسار بغريزتهِ قدُماً ليتوارى عن الاعين حتى بلغ باب مسجد عال . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب فجلس على اول درجات السلم ووضع رأسهُ بين راحتيهِ وبكى ! فلما نهض كان الظلام قد ارخى ذوائبهُ وبدأت الانوار تلقي من اشعتها شباكاً على الكائنات وتملأُ فضاء الليل بصور واشباح . فسار في طريقه يترنح ويتخبط كمن ضلَّ الطريق ، ومازال كذلك حتى بلغ خان الخليلي على غير هدى فذكر السيد فرج ابي الخير فقصد متجرهُ فوجدهُ

مغلقاً فضاقت الدنيا في عينيهِ ، ولم يستطع حراكاً فبصر بمقعد طويل من الخشب العتيق وكان قد بلغ منهُ الاعياء فارتمى عليهِ واستسلم لنوم عميق ، وقد اغفلت العناية عنهُ اعين الحراس ، فلما افاق كان الصبح قد تنفس ، واقبل السيد فرج ورآه فاكرمهُ وسألهُ عن حاجتهِ فافضى اليهِ برغبتهِ في تغيير زيّهِ والسفر الى بلدهِ فقام التاجر بواجب المودّة والوفاء . اما الشيخ مرعي فلم يجرؤ على دخول بلدهِ وترجل في شبراخيت وقصد خربتا حيث نزل ضيفاً على الشيخ عثمان الوكيل من اعيانها وكان ممن عركوا الدهر وذاقوا حلوهُ ومرهُ فلم يسألهُ عن شيء ولم يظهر علمهُ بحالهِ بل بالغ في اكرامهِ . وبعد اقامة شهرين طلب مرعي الى الشيخ عثمان ان يكتب في شأنهِ الى الحاج عزب ففعل فسأل الحاج عزب رقية رأيها في ابن عمها وزوجها القديم فلم تقبل مصالحتهُ واصرت على رغبتها في اثبات الطلاق وقالت إن الموت احبُ اليها من معاشرة هذا المختال الفخور ، بعد ان قطع الرحم ، واضاع التراث واتبع هواهُ ، ، وكسرت شبابها على تربية اولادهِ . ولكنها تنزل عن خمسة افدنة من ارضها تؤجرها للحاج عزب على ان يؤجرها لمرعي بقيمة المثل . فركب الحاج عزب الى خربتا وعرض الشرطين على مرعي فقبلهما وحرر لرقية وثيقة الطلاق وعاد بعد بضعة ايام تحت جنح الظلام الى قريتهِ واقام في بيت ثعلب الدهشان وهو اصغر دور القرية واقصاها وارسل لحيتهُ وقد شابت كل شعرة فيها ، ولو استطاع تغيير اسمهِ لفعل ، اما اولادهُ فكانوا يزورونهُ فيلقاهم كرجل غريب القلب والعين واللسان وقد انطفأ من قلبهِ سراج الحب وتحطم من نفسهِ هيكل الوفاء ! وكان الحاج عزب يزورهُ ويعزيهِ ويساعدهُ في زراعة الارض ويغريهِ حيناً بالمرور بالدوار الذي احتلهُ المالك الجديد فاذا بدا لهُ انقباضهُ قال لهُ «تشجع يا سعادة البك من فات قديمه تاه ومن ترك شيئاً عاش بلاه !» فلا يدري مرعي بك أكان هذا القول عزاء ام تشفياً ، فلا يجيب عليهِ

واذ كان مرعي ينقب يوماً في اوراق مهملة عثر بعدد جريدة المؤيد الذي نشر فيهِ خبر الانعام عليهِ بالرتبة الثانية فلما اعاد قراءتهُ اخذ يحدق في تلك السطور ويقلب اجفانهُ في الصحيفة الحمراء كأنهُ يستعيد من خلالها ذكرى الماضي ويستحضر اشباحهُ المندثرة. فاذا بهِ يرى فجأة وجه رفيق وكأنهُ يسمع صوتهُ وهو يقول : « لا وسيلة للوصول الى تلك المقامات الا بالرتبة الثانية مع لقب بك . ان ثروتك يا شيخ مرعي ومكانتك بين قومك تحتمان عليك الحصول على الرتبة الثانية واللقب فتخلص بهما من لفظ الشيخ فتصير فوراً سعادة مرعي بك صبيح » انتهي

محمد لطفي جمعه المحامي

البحث العلمي ومكافأة العلماء

من الامور المعروفة ان جانباً كبيراً من ثروة الامم في هذا العصر ناجم عن المباحث العلمية التي طُبِّقت على الصناعة والزراعة والمواصلات والمخاطبات وغيرها ولذلك يرى كثيرون من المفكرين أن الانصاف يقضي بمكافأة العلماء بجانب من هذه الثروة التي يتقاسمها العمال واصحاب الاموال. ومن اشهر الداعين الى هذا العمل السر رونلد روس مكتشف اسباب نقل الملاريا ومن رأيهِ ان العلماء الذين اكتشفوا مكتشفات علمية ذات شأن يجب ان ينالوا من خزينة حكومتهم معاشات تكون على الاقل معادلة لمعاشات القواد. وقد اطلعنا الآن على رأي في هذا الموضوع للستر هلداين احد الاساتذة بجامعة كمبردج فاقتطفنا منهُ ما يلي

اذا اكتفينا بنظرة عجلى الى الرأي القائل بوجوب مكافأة العلماء اقتنعنا بصحتهِ حالاً. فكثيرون من اصحاب الاعمال العقلية كالمؤلفين والموسيقيين والمصورين والنقاشين يتمتع الواحد منهم بدخل كبير متى بلغ درجة عالية في الفن الذي يعالجهُ. اما العالِم فلا امل لهُ ان ينال اكثر من الفي جنيه في السنة وفي الغالب يحسب نفسهُ موفَّقاً اذا ظفر بمنصب مرتبهُ الف جنيه. واما العلماء الذين لا ينالون سوى ٣٠٠ جنيه في السنة فغير قلال. واذا شاء احدهم ان يزيد دخلهُ السنوي تحتم عليهِ ان يخرج عن جادة البحث العلمي الصميم فيستخدم مواهبهُ ومعارفهُ في الامور الصناعية او في تأليف الكتب العلمية البسيطة التناول او في غير ذلك من الاعمال التي يكثر عليها الطلب وتعود عليهِ بالكسب الوفير. وفي تلك الحال يفقد العلم ما كان هذا الرجل قادراً ان يكشفهُ لو استمرَّ في بحثهِ. ولا يخفى ان العلماء لا يكسبون شيئاً من تسجيل مكتشفاتهم لان كثيراً منها لا يسجَّل. فالعالم بالحيوان لا يستطيع ان يسجل نوعاً جديداً من السمك كشفهُ ولا الفلكي كوكباً عثر عليهِ. والآداب الطبية تحظر على الباحثين في الامراض واسبابها ووسائل علاجها ان يسجلوا اساليب العلاج الجديدة واحتكارها. كذلك لا يستطيع الكيماويُّ ولا العالِم الطبيعي ان يسجل مكتشفاتهِ الكبيرة لسببين اولهما انهُ لا يعلم متى يستفاد من هذا الاكتشاف او ذاك عمليًّا. فلما كشف رتشردسن القوانين التي يجري عليها انطلاق الكهارب من المعادن الحارة لم يخطر لهُ انهُ كشف وسيلة تُبنى عليها المخاطبات التلفونية اللاسلكية فيما بعد فلم يكن في ابكانهِ ان يسجل اكتشافهُ تسجيلاً

يمنع تطبيقهُ في المستقبل . ولقد كُشفت حقائق كثيرة متعلقة بالكهارب المنطلقة من المواد المشعة لم تطبق حتى الآن تطبيقاً عملياً ولكنها لم تسجَّل تسجيلاً يمنع احداً من استخدامها في المستقبل . ثانياً اذا عظم الاكتشاف طال الزمان الذي ينقضي قبل الانتفاع بهِ فقد انقضى زمن طويل على اكتشاف فاراداي لمبادئ المحرك الكهربائي قبلما بدئ بالتوسع في صنعهِ صنعاً تجارياً . مع ذلك لم يكسب فاراداي مليماً واحداً من اكتشافهِ هذا وورثتهُ الشرعيون لا ينالون ربحاً عليهِ مثلما ينال ورثة الاميرال نلسن لانتصارهِ في معركة طرف الغار

واذا نظرنا الى الفرنسويين وجدنا انهم لا يكافئون رجال العلم عندهم بما يكفي لمعيشتهم . ولكنهم يقيمون لهم تماثيل فخمة حينما يموتون و يدعون الشوارع باسمائهم . ولعلَّ التمثال او تسمية الشارع باسم عالم راحل اقوى باعثاً على شحذ الهمم من زيادة المرتب او دفع المعاش للورثة

ولا ريب في ان وضع نظام لمكافأة العلماء يصطدم بعقبة كؤود هي الصعوبة في تقدير قيمة اكتشاف علمي في الوقت الذي يكون العالِم قادراً ان يتمتع بنتائج هذا التقدير . وقد يجيء اعتراف الامة باكتشافهِ بعد موتهِ او بعد ما يبلغ من السن ما لا يفيد معهُ جمع المال . والمرجح ان اللجان التي تعيّن لمكافأة العلماء تهتم بما يكشف من الحقائق الجديدة اكثر مما تهتم باسلوب جديد للبحث . نضرب مثلاً على ذلك منح جائزة نوبل للطب الى بانتنغ ومكلود لكشفهما الانسولين — المادة التي اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري. فان كل المواد التي حُضّرت قبل الانسولين كانت تجرَّب في كلاب حتى ينظر في ما لها من اثر في مقدار السكر في الدم . ومن المعروف ان تحليل الدم تحليلاً دقيقاً حتى يُعرَف ما فيهِ من السكر عمل دقيق جدًّا وخصوصاً متى كان الباحث يشتغل بنقطتين فقط من الدم . هذا التحليل لم يبلغ الدرجة من الدقة التي بلغها الآن الاَّ بعد ٦٠ سنة من البحث الدقيق في مئات المعامل الطبية والفسيولوجية وقد استغرق ارتقاؤُهُ وقتاً اطول واقتضى دقة ومهارة اعظم مما اقتضاهُ كشف الانسولين في تورنتو فاعطيت الجائزة لمكتشفي الانسولين لا للذين مهدوا السبيل لاكتشافهِ

فاذا وُضع نظام لمكافأة العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم فلا شك ان كثيراً من المكتشفات العلمية تبقى مجهولة لا تنال المكافأة الجديرة بها . ما من نظام مهما كان محكماً يستطيع اصحابهُ التنبوء بما يكون حكم المستقبل على مكتشف من المكتشفات وفوق ذلك

فانهُ يحوّل العلماء عن البحث العلمي المحض الى البحث عن امور تسترعي الانظار حتى يفوزوا بالمكافآت . فلو وَهَب احد الاغنياء من خمسين سنة مكافأة قدرها مليون ريال تعطى لمن يكشف مادة اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري لتحوّل كثيرون من الباحثين الذي وضعوا الاسلوب الدقيق لتحليل الدم عن بحثهم هذا الى البحث عن الانسولين ولعجزوا عن الاثنين

ثم لننظر في امر آخر . ما من اكتشاف كيماوي احرى بالمكافأة من اكتشاف عنصر جديد . ولقد كشف في السنوات الاخير اربعة عناصر جديدة . ولكن هذه العناصر لم تكشف الاَّ بتطبيق قانون موزلي الذي يعيّن علاقة محدودة بين طيف اشعة اكس وعدد العنصر الجوهري . ولم يتوصل موزلي الى وضع هذا القانون الاَّ بعد مباحث جمة وقياسات دقيقة نجم عنها شبهُ اداة يستعملها الكيماوي في كشف العناصر الجديدة . مع ذلك ارجح ان قانون موزلي لم يذكر في الصحف على الاطلاق حين كُشف وأرتاب كل الارتياب في هل يرضى الشعب عن توزيع اموال الدولة على امثال موزلي مكافأة لعمل لا يدرك قيمتهُ

ثم ارتأى الاستاذ هلداين ان انشاء نظام يكافأ بهِ العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم لا يفي بالغرض ولذلك اقترح انهُ يُضمن للاساتذة والباحثين في الجامعات والجمعيات العلمية مرتبات تكفيهم ليكونوا في بسطة في العيش . وعندهُ انهُ يجب الاهتمام بنوع خاص بالمباحث العلمية المحضة ، وان يُفصل اذا امكن ، بين رجال البحث العلمي المحض ورجال التعليم . اذ قد يكون احد الباحثين من اقدر الناس على المباحث العلمية واستنتاج النتائج منها ولكنهُ قد يكون من اضعفهم في سرد الحقائق على جمهور المتعلمين ثم قال

لقد مضى الوقت الذي نستطيع فيهِ ان نكافئ فراداي وهرتز وباستور ولكننا نستطيع ان نكفل لخلفائهم ما يمكن كلاًّ منهم من تربية عائلة مؤلفة من خمسة اولاد وتعليمهم تعليماً راقياً والحصول على بعض الكماليات كاتوموبيل صغير . انني لا استطيع ان اذكر الآن منصب استاذ واحد في بلاد الانكليز او فرنسا يضمن هذه الشروط . فعلى رجال البحث العلمي ان يختاروا بين ترك البحث الذي تفرغوا لهُ او عدم الاقبال على الزواج او تحديد العائلة . واني اعرف كثيرين من اكبر رجال العلم الذين تركوا البحث العلمي فصاروا صحافيين او تجاراً فكسبوا اموالاً طائلة ولكن ماذا كسب العالم — بل كم خسر ! وبعضهم يكتفي بولد او ولدين وفي هذا خسارة ايضاً لان جانباً كبيراً من المقدرة العلمية يورَث

حاضر العالم الاسلامي

التطور الاجتماعي (١)

اثر التعليم الغربي فى البلدان الشرقية

كفى دليلاً على ما لهذا التطور الذي نشهده اليوم في الشرق من الشأن والعظمة ، ما هو متجلٍ في افق الحياة الشرقية من ضروب الانقلاب ، وتجدد المنازع والانتقال من هيئة الى هيئة ، اذ ان المؤثرات الغربية الفاعلة فعلها العظيم في تحول اشكال الحكومات والاوضاع السياسية ، والمعتقدات الدينية ، والتطورات الاقتصادية ، هي فاعلة ايضاً في اطوار النظام الاجتماعي ، وليس شأنها في هذا المقام بأقل منهُ في سائر مواضع الانقلاب الشرقي . وقد اتينا في الفصل الثالث من هذا الكتاب على بيانٍ موجز عما للمؤثرات الغربية من الشأن في الاطوار والتارات التي تقدم الكلام عليها . وغايتنا في هذا الفصل ان نبسط الكلام على التطور الاجتماعي الحادث اليوم في العالم الاسلامي

لا مراء في ان هذا التبدّل خطير عظيم ، على كونهِ لا يخلو من غموض يظهر في بعض المواضع ، خلافاً لسائر آفاق الانقلاب الآذنة بكل جلاء ووضوح . والسبب في هـذا الاستبهام هو ان للعادات المتأصلة والتقاليد المتمكنة في حياة الفرد والاسرة والجماعة في المشرق سلطاناً قوياً وشوكةً نافذة ، يحملان غير المتعمقين من اهل الاستقصاء في شؤون الشرق على ان يجنحوا الى القول المؤكد بأن هذه العادات والتقاليد لم تبرح على حالها القديمة من الرسوخ وشدة التأثير ، بحيث على زعمهم ، لم يتناول التطور الحقيقي داخلها مثلما تناول خارجها ، ولا تغلغلت روح الانقلاب في باطنها كما احاطت بظاهرها ، ولو بلغ الانقلاب المادي وتحول ظاهر الحياة ما بلغا.على ان هذا الرأي الذي يقول بهِ هؤلاء القوم الذين لا يعولون على التحقيق في المسائل ، هو مما لا يجيزهُ اهل العلم والبحث ذوو النظر النافذ في اسرار الانقلابات ،وان الشرقيين انفسهم ليستهزؤن بهذا القول وامثالهِ ،

(١) هذا الفصل من كتاب حاضر العالم الاسلامي الذي وضعه الدكتور لوثرب ستدرد الاميركي ونقله الى العربية عجاج افندي نويهض بلغة فصيحة وعلق عليه حواشي مسهبة غزيرة المادة العالم المحقق الامير شكيب ارسلان

و يفندونهُ بالحجة والبرهان ،و يؤيدون حدوث التطور الاجتماعي ونتائجهُ بسنة التحول التي لن يجد لها الناس تبديلاً

واهل الشرق لعمري على حق فيما يقولون و يبينون ، فان قيل ان الشرق صاعد بمعراج الترقي ماديًّا ، من حيث هو لم يزل على حالهِ من السكون والجمود والغرارة من الجهة الاجتماعية فانما ذلك تجاهل وتعام عن الواقع ، ومكابرة في الحقيقة التي بات لا يختلف في ثبوتها من اهل الاستقصاء الصحيح اثنان ، اذ ان الانظمة الاجتماعية تتبدل ابداً بالمؤثرات المادية الحسية ، تبدلاً لا يقل عن ذاك الذي يتم بقوة المؤثرات الادبية المعنوية ، والآراء والمجردات . ايستطيع من ينظر في ما دون العرض الغاشي ، نظر المتأمل المستبصر ، ان ينكر ما للقطر الحديدية والبرُد والاسلاك البرقية من قوة العمل والتأثير في سير الترقي الاجتماعي والادبي والحضاري ؟ اما من شأن ، اجتماعي ومادي ياترى ، لما يقتبسهُ الشرق من الغرب و يأخذ عنهُ من فئات المحدثات والمخترعات ، بين ثمين وتافه ، وخطير وحقير ، وضار ونافع ؟ . ايخلو من معنى كون قبر صاحب الرسالة الاسلامية في المدينة المنورة غدا كالكوكب تتلألأ فيهِ المصابيح والاضواء الكهربائية ، وان الرقاع البريدية المصورة صارت تباع على ابواب الكعبة المقدسة في مكة المكرمة ؟ اجل ، قد يستغرب المدقق اول الامر من ان المؤذن اضحى يذهب الى المسجد راكباً قطاراً كهربائيًّا ، وان التاجر المسلم اخذ يخرج من مخدع حرمهِ فيتناول صحف الصباح فيقف على انبائها واخبارها ، ثم يمتطي سيارةً الى بيت تجارتهِ ومعهُ سجادة الصلاة . ثم اذا ما فرغ من اقامة الصلاة انقلب تارة الى تلفونهِ وطوراً الى آلة الاملاء يفرغ فيها نصوص الرسائل والكتب التجارية فلماذا نحن نسلم بان للمسجد ومخدع الحرم وسجادة الصلاة شأناً مؤثراً في حياة المسلم وتكييف معيشتهِ على الجملة ، حينما ننكر ما لجميع المحدثات والمخترعات التي اخذها الشرق عن الغرب من التأثير في تكييف حياة المسلم الاجتماعية ؟ اضف الى هذه الاسباب الحسية المادية ، الاسبابَ الادبية المعنوية مثل العلوم الطبيعية ، والوسائل الغربية الحديثة التي جعلت للتلهي والراحة ، وتحرر المرأة نوعاً ما ، فتبدو لك للحال اهمية التطور الاجتماعي الحادث اليوم ، واتساع افقهِ

على ان هذا التطور الاجتماعي قد اتسع نطاقهُ في الاقطار الشرقية التي هي اكثر تعرضاً من سواها لتيار المؤثرات الغربية وكان مبدأُ ذلك منذ نحوٍ من نصف قرن . لما عاد المستشرق المنغاري فمباري الى القسطنطينية سنة ١٨٩٦ بعد غيبة من الزمن طالت

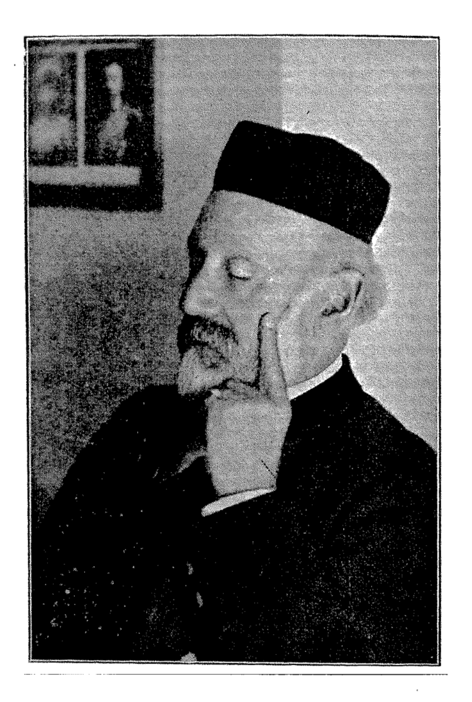
اربعين سنة ، دهش حقًّا مما شاهده من عظيم التحول والانقلاب ، والاستانة عهدئذٍ راسفة بالاغلال الحميدية ، فقال : « عند ذلك طفقتُ اسائل نفسي أهؤلاء يا ترى هم الترك الذين رأيتهم سنة ١٨٥٦ ، وكيف قد تمت جميع هذه التطورات الكبرى ؟ ولشد ما كان عجبي لما اخذت اقلب نظري في مظاهر المدنية وصورها فرأيت المباني الحجرية الجديدة ، قد قامت مقام الخشبية القـديمة ، والاسواق ، والشوارع ، دبت فيها عوامل الحياة دبيبًا ، فجرت فيهـا المركبات المزينة تجرها الجياد المطهمة ، والقطر الكهربائية تنساب في جميع الانحاء ، كل ذلك مما لم اره في مثل هذه الاسواق والشوارع وهي اذ ذاك مختلط تزدحم فيهِ الدواب والعجلات القديمة الطراز . وسمعت جلجلة الآلات المتحركة تخالطها اصوات المؤذنين الذين يجأرون الله من على رؤُوس المآذن. فظهر لي من جميع ما شاهدت وسمعت ، وعرفت وخبرت ، ما هو مناقض للقول المأثور ان « لا بدعة في الاسلام » .وقد كان دهشي اشد وعجبي أبلغ لما دخلت المنازل والبيوت فلم يكن بوسعي سوى الاعظام والاكبار ، ليس لما شاهدتهُ من كيفيات التحول الظاهرة فقط ، بل ايضاً لما هو اجل قدراً من التطور المعنوي الكبير . فبدا لي ان طبقة الافندية (اي المتهذبة) في الاستانة قد تبدلت من حال الى حال ، وانتقلت من دور الى دور ، في مجتمعها وطرازها الخارجي وطرق اتصالها بالغربيين »

ويعظم ڤمباري شأن الارتقاء الداخلي كما يعظم شأن الارتقاء الخارجي ، في الطبقات التركية التي تناولها التهذيب والتعليم ، فقال في هذا المعنى : « قد غدا التركي اليوم يرتاح الى العادات والآداب الغربية ارتياحًا كبيراً مشهوداً ليس في المظاهر والصور الخارجية فقط ، بل في اسلوب المعشية المنزلية ايضًا ، وذلك من صفة الاثاث والمتاع، وآداب المائدة ،واحترام المرأة ،وغير ذلك. ان هذا الطور الجديد لجليل الشأن، لانهُ معلوم ان الشعب الذي يقبل على تشرب العوامل وقبول المؤثرات الغربية السائقة الى الترقي العقلي ، عند ما يصفواعتقادهُ بان هذه المؤثرات انما هي صالحة لهُ ،لا يستطيع الاقلاع عن مألوف عاداتهِ الثابتة الصبغة ، المتأصلة في مزاجهِ وطبيعتهِ ، الأ بشق الانفس . والترك قد لقوا الشدائد في هذهالسبيل، فذللوا العقبات ، وتغلبوا على المكاره، حتى ضربوا من التجدد بسهم وافر . ورأيت ان الشعور الشديد بضرورة ملابسة الحضارة الغربية والتحقق بها ، قد عم المجتمع التركي بأسرهِ حتى رجال الدين . ولكن جماعة أهل

الرأي على اختلاف في كيفية التطبع واسلوبهِ ، فبعضهم يبتغون اعطاء ما يودون اخذه عن الحضارة الغربية صفة وطنية وصبغة قومية ، والبعض الآخر على الضد من هؤلاء ، اذ يبتغون انتحال تهذيبنا العقلي على علاتهِ . ويأبون كل تكييف لهُ ولو قليلاً »

والامر الاهم هو ما شاهدهُ ڤمباري من شأن النساء المخدرات القابعات في أكسار بيوتهن ، وقد تغيرت الآن حالهن وتحولت صور حياتهن الى حد يقضي بالعجب . قال ڤمباري : « وازيد القول تأكيداً ان المرأة التركية قد تبدلت اساليب حياتها تبدلاً شاملاً عفا معهُ كل اصل قديم خلال الاربعين سنة الاخيرة . ثم ان هذا التطور قد تمَّ امرهُ بسببين : الاول اعتقاد الترك بان التجدد ضروري لهم في هذا العصر ، والثاني الضغط الشديد الطارىء من الخارج » . واذ لاحظ ڤمباري انتشار تعليم البنات وزيادة نصيب المرأة في القيام بتدبير الحركات الاصلاحية وتنظيم الدعوات وبثها في هذه السبيل ، قال : « ان هذا لامر حيويٌّ للامة لانهُ متى ما شرعت المرأة تقوم بواجباتها في الحياة المنزلية بصفة كونها عاملاً من عوامل الارتقاء الحديث ، فان الاصلاح الحقيقي لابد لهُ من ان يثمر ثمرهُ في المجتمع والدولة والحكومة »

ويبين « خوجه بوخش » ، المسلم الهندي الحر ، وهو من اهل الاطلاع الصحيح على شؤون بلاده ، ان الحياة الاجتماعية في الهند غدت في تطور كبير وذلك بسبب ما تشربتهُ من المؤثرات والعوامل الغربية ، كما هي الحال في تركية ، ويوضح خطورة هذه الادوار الشديدة التي لابد من اجتيازها ، ادوار الانتقال من حال الى حال ، والخروج من القديم والولوج في الجديد . وهو متشائم من هذا ، لانهُ يعترف بان « دور التطور انما هو بحكم الضرورة الى حد معلوم ، دور فساد في الآداب ، وانحطاط في الاخلاق ، وعبث بالدين ، مما قد يحسبونهُ عرضاً ويزول ، ومرضاً ويبرأ ، ولكن لا مبرىء لهذا سوى كرور الايام » ولكن هذا الخبير الكبير ، مع علمهِ بجميع ما ذكر فانهُ لا يقلل من خطورة الدور الحالي الذي اقل ما يقال فيهِ انهُ هادم لاركان النظام الاجتماعي القديم هدماً فقد قال : « ان اوضح نتيجة لهذا التطور هي تزلزل نظامنا القديم القائمة عليهِ حياتنا المنزلية ، وعاداتنا الاجتماعية. وسبب هذا التزلزل انما هو تيار الحضارة الغربية ، وهذا الامر الواقع اظهر ما يكون في موضعين : معتقداتنا الدينية ، وحياتنا الاجتماعية. ان النظام القديم ، على جميع عيوبهِ كان مشتملاً على فضائل جمة وافية » . اما اليوم فقد انهار هذا النظام القائم على ضيق المدارك



المستشرق المجري ڤمبيري من ترجمتهِ في مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٣

مقتطف مايو ١٩٢٦

امام الصفحة ٥٢٤

لا بل على التظاهر بخوف الله وطاعته ، وحلّ محله « استقلال فكري عملي غريب . فعفت صفة احترام الماضي ، واكرام الكبار والشيوخ ، واعتبار قال فلان وروى فلان . كان الاب في ظل النظام القديم ربّ العترة ووليها الحميم ، وكانت كلمتهُ فيها شريعة مطاعة وامراً مقضياً ، وكان حارس مقامها وراعي حرمتها ، وحافظ شأنها . اما الآن فقد اصبح مجرداً من جميع المنزلة التي كان عليها من قبل ، وراح اصغر فرد من افراد الاسرة يبتغي الاستواء معهُ في كل شأن من الشؤون ، و ينازعه السيادة في كل امر من الامور »

ويأسف المستر بوخش اسفاً لما هو منتشر من تيار الاسراف والتبذير والانغماس في الترف، وذلك ولا شك ناشئٌ عن اقتباس عادات الاوربيين وتقليدهم في جميع اساليب المعيشة تقليداً اعمى جامعاً للضار والفاسد والغث والسمين . ثم يسائل المستر بوخش نفسهُ: « ماذا لعمري تم في الهند ؟ اننا قد اتخذنا ازياء اوربية في لباسنا ، واساليب اوربية في معيشتنا ، ولم نكتفِ بذلك بل جاوزناهُ الى عادات شرب الخمر والمقامرة والميسر، ولكننا لم نتخذ شيئاً من الفضائل الغربية ، فيجب مداواة العلة قبل استفحالها وتطبيب السقم قبل الاعضال . يجب علينا ان نتعلم من اوربا ولكن دون ان نهدر في سبيل ذلك كينونتنا الادبية ووجودنا المعنوي . اننا لم ننتبه الى الخطر الذي حاق بنا فسرنا في التقليد سير ضلال ، وجلّ ما حصلناهُ اننا خضنا خوضة قليلة في التاريخ الانكليزي والاوربي ، ثم طفقنا نزدري ديننا وآدابنا وتاريخنا وتقاليدنا . ولم ندرس ماضينا ولا اطلعنا على انباء حضارتنا ولا بنينا ركناً جديداً ، ولا شيدنا لمجتمعنا قواماً قوياً حديثاً يثبت بهِ غير متزعزع على صروف الدهر وتقلبات الازمان . وعلى الجملة فاننا قد افسدنا حياتنا افساداً من حيث لم نباشر لذلك اصلاحاً »

و يؤكد المستر بوخش القول مثل ڤمباري، ان المرأة الهندية سائرة في سبيل التحرر، اذ انقضى العصر الذي كانت هي فيهِ سلعة تباع وتشترى « فصارت المرأة المسلمة اليوم في الهند تعلَّم وتهذب على ازدياد . وغدت تعرف حقوقها وتحسن الدفاع عنها . نعم ان نظام « البردة [1] » لم يزل شائعاً ولكنهُ ليس من الشدة وايجاب العزلة كما كان منذ خمسين سنة خلت ، بل انهُ اوشك يسقط ويندثر ، وشرعت النساء يتدرجن في نيل حقوقهن الى ان يبلغن اليوم الذي يدركنا فيهِ السوي الكامل لتحرر المرأة الشرقية . كانت نساء

---

(١) البردة بلغة اهل الهند معناها الستر يعد للمخدرة في ناحية من المنزل

بلادنا منذ اربعين سنة موضوع الاحتقار بل خشونة المعاملة من ازواجهن . اما اليوم فقد تبدلت حالهن كثيراً ، و بتنَ يعملن لنيل جميع حقوقهن ، واعزاز مقامهن

بهذين البيانين — الموصوف بهما التطور الاجتماعي في الشرقين الادنى والاوسط — ندرك ماهية الانقلاب الحادث اليوم في الشرق. ثم ينبغي لنا ان نذكر ان هذين الكاتبين قد وصفا حال الطبقات الراقية المتهذبة في المدن والحواضر الكبرى، والحقيقة ان الاختيار سار سيراً عظيماً وانبثَّ انبثاثاً شاملاً ، في جميع آفاق المجتمع ، متناولاً طبقات الامة الواحدة بعد الاخرى ، وتراهُ دائماً على اتساع وامتداد

ان انتشار التعليم الغربي في الاقطار الشرقية خلال بضعة العقود الاخيرة ليدعو للاعتبار لانهُ قد نقض ما هو معهود في الشرق منذ القديم من نظم التهذيب والتعليم . فقد كانت اصول فن التعليم الجارية على سنن التقليد في جميع الشرق ، من مراكش حتى الصين ، لا تخرج عن حد تحفيظ الكتب الدينية والاسفار المقدسة تحفيظاً مقروناً بتعليم فروض الدين وممارسة شعائره . وكان الطالب المسلم او الهندوي يقضي سنين عديدة يتلو على معلمهِ او مدرسهِ فصولاً من الكتب الموضوعة بالعربية الفصحى او السنسكريتية ، الكتب التي لا يستطيع ادراك معاني عباراتها وتراكيبها ، ولا فهم اغراضها ومدلولاتها ، فكان نظام التعليم على هذا النمط حائلاً شديداً دون اتساع المدارك العقلية ، فتتبلد القوى الدماغية جميعها ما عدا قوة الذاكرة ، وتذهب قوة الابتكار العقلي

ولم يبرح هذا النظام الفاسد متبعاً حتى اليوم في بعض الشرق ، وما انفكت الملايين من النشءِ الشرقي تفني الاوقات الثمينة في معاناة التعليم على هذا المنوال الحائل دون نمو القوى العقلية والادراكية . على ان نظاماً جديداً شرع يماشي ذاك القديم منازعاً لهُ وملاشياً اياهُ وهو يشيع وينتشر في جميع المحيط التعليمي ، من كتاتيب الاطفال حتى الجامعات والكليات الكبرى ، فصار الناشئ الشرقي يرتضع افاويق العلوم على مناهج غربية صحيحة ، وهذه المنشآت العلمية الحديثة الطراز هي على ضروب مختلفة . فهناك الى جانب المدارس والكليات والجامعات — التي تعلم تعليماً حرًّا وتعدُّ الطلاب للقيام بالخدمة الحكومية او المهن الحرة — عدد كبير من المدارس الصناعية والزراعية تخرج للشرق حذاق الفنيين والزراعيين والمهندسين ، ومدارس دور المعلمين تعد المعلمين اعداداً حسناً يتأهلون بهِ لتعليم النشءِ المقبل وتثقيف عقولهم على الاصول الصحيحة والاساليب السليمة.

والمدارس الاميرية والخاصة لا تني في توسيع التعليم على الطراز الغربي وفي زيادة نشره في الشرق . وقد كان من شأن جميع الحكومات الاوربية الاخذ بنصرة التعليم الغربي في الاقطار الداخلة في سيطرتها وحكمها ، ولا سيما الحكومة البريطانية في الهند ومصر بينما هناك البعثات التبشيرية النصرانية المختلفة قد انتشرت وانبثت في آفاق المشرق ، وانشأت عدداً كبيراً من المدارس والكليات ، وبينما كثير من الحكومات الشرقية مثل تركية والحكومات الوطنية في الهند باذلة غاية المستطاع لنشر التعليم الغربي في شعوبها ورعاياها نشراً متوالياً مباركاً

على ان النتائج الحاصلة الى اليوم ليست غاية في الكمال المطلوب . ولا غرابة في ذلك لأن الدور دور تطور وانقلاب ، وتغير وتبدل ، ولان التقاليد الفاسدة المتسلسلة من ماضي الاجيال ما انفكت تعترض جهد الاقوام الساعية بجد في سبيل تحرير التعليم من جميع النقائص التي لم تزل عالقة به .لهذا السبب الجدير بالاعتبار نرى سواد الطلاب الشرقيين الى اليوم ، اميل الى الاعتماد على ذاكرتهم وحافظتهم ، منهم الى الاعتماد على عقولهم وقوى مداركهم ، يؤثرون اجتياز عهد الطلب مسرعاً حتى يدركوا ما تشرئب اليه نفوسهم من تقلد الوظائف والاعمال الحكومية ، على التضلع من العلوم والتمكن في المعارف مما يكسبهم الجدارة للاختصاص بمختلف الفنون والصناعات التي لابد ان تكون بمقتضى سنة الترقي الصحيح . ولما كانوا على هذه الصفة المتقدمة كانت النتيجة ان اخذ كثير منهم يخبطون دون الوصول الى الغاية فيحل بهم الابتئاس ، ويخفقون سعياً وراء امانيهم فتشق عليهم الحال ، هذا وقد اجتزأوا ببعض العلم اجتزاء لا يكسبهم القدرة على ضروب الاعمال النافعة والمهن المنتجة . فتراهم يسيرون في الحياة على غير هدى لا يسعون الى غاية مقصودة ولا ينشدون غرضاً بعينه . كل ذلك يحملهم على الانقلاب اعداء مبغضين للروح الغربية ، ثم يسوقهم هذا الى بث اسباب الثورة وبذر بذور القلق الفوضوي ٠ في هذا الصدد اجاد « السر الفرد ليل » في وصفه سيئات التعليم الغربي في ربوع الشرق فقال في شأن الهند : « لامراء ان الجهل انما هو علة شرور كثيرة و بلايا عديدة في دائرة المجتمع ، وقد قام كثير من الفلاسفة وحملة العلم في القرن الماضي يتادون ان التعليم الكافل لتثقيف العقول وتنوير الاذهان هو انجع دواء وافضل ذريعة لشفاء العالم ونجاته مما هو غارق فيه من بحر الضلالة والجهل » ، وقام ساسة خبراء مثل « ماكولي » يبينون للملأ ان التعليم على هذه

الصفة هو السبيل الفضلى لخلاص العالم باسره من المعضلات السياسية ، ومن الحال التي قد استفحل فيها امتهان حرمة القوانين والانظمة والاحكام . فلذلك بات ضربة لازب على الحكومة البريطانية ان تجرب القيام بتحرير الهند تحريراً عقلياً ، حاسبة هذا العمل خير مبرر لحكمها تلك البلاد . «على اننا قد عرفنا بالابتلاء وتقرر لدينا بالاختبار منذ شرعنا نقوم بذلك ان التعليم ، مع كونهِ الدواء الشافي لامراض عديدة وكونهِ ضرورياً لا بد منهُ لاتمام الارتقاء الاجتماعي الصحيح ، فانهُ اذا لم تحسن ادارتهُ كل الاحسان وتوفَّ وسائل تدبيرهِ القسط الاكبر من الاجادة والاحكام ، انقلب بقوة فعلهِ وعملهِ سمّاً قاتلاً تتولد منهُ جراثيم الفساد والاضطراب ، بعد ان كان خير دواء يرجى بها الشفاء . ولا غرابة في ذلك لان التعليم على هذه الحال اخذ مفعولهُ يسري وفواعلهُ تشتد اختماراً في مجتمع متزلزل الاركان متداعي الجوانب . ثم من شأن هذا التعليم ان ينقض ما ينقض ويحرف ما يحرف ، ويهيج ضعاف الادمغة ، ويستثير مساريع الاطماع وبعيدي الآمال مما لا يستطاع تحقيقهُ في الحال ، فيحمل الاخفاق اهل البلاد على السخط والغضب فتضطرم نار ذلك اضطرماً »

غير ان بعضاً من الغربيين اهل العناية بشؤُون الشرق ، نخص بالذكر منهم رجال الاستعمار ، اخذوا يقومون ويقعدون للمخاطر السياسية والاجتماعية المنبعثة من جانب هذه الطبقات المشتملة على الذين اتينا على ذكرهم من ذوي العلم الناقص[1] وانشأَ المستعمرون يعزون السبب في انتشار روح المقاومة للغرب الى التعليم الذي جاؤُا بمناهجهِ واساليبهِ . فاللورد كرومر على سبيل المثال ، يرتاب شديد الارتياب في شأن المصريين الذين تلقوا العلوم الغربية . وقال موظف بريطاني هندي شهير ان علة الاضطراب في الهند ناشئة عن « نظام التعليم الذي نشرتهُ بريطانية في البلاد »

---

(١) كثير من مؤلفي الاوربيين ورجال سياستهم يحذرون حكوماتهم من اتقان التعليم في المستعمرات ، بحجة أن الغالب على النشء المتعلم هو النزوع الى الثورة ، اذ كانوا يقرأون اموراً « تسيء عقولهم هضمها » ويقيسون اقيسة فاسدة فيتمبون ويتمبون . ومن جملة شواهد ذلك تلك المقالة التي عربناها عن « مجلة باريز » والتي صاحبها يشير باماتة اللغة العربية في المغرب واقامة الفرنسوية مقامها بشرط ان يكون التعليم قاصراً على ما يلزم لاماتة هذه واحياء تلك لا غير . والحاصل انهم يريدون نلع العلوم الشرعية من بين المسلمين ، ولكن يضنون ان يجعلوا مكانها العلوم العصرية ، لئلا تحيي بها نفوس الامم ، اذ يعلمون انه لا يجتمع العلم والذل في محيط واحد سواء كان علماً شرعياً اسلامياً او علماً اوربياً عصرياً او علماً جامعاً للامرين

وهؤلاء المرتابون المتشائمون المستعمرون ، الذين يقولون ما يقولون من ان التعليم هو سبب نشوء الاضطراب في الشرق ، يغفلون عن انهُ لا بدّ لادوار التطور والانقلاب من ان يصحبها شرور وآفات ، وعوارض فاسدة ، بطبيعة الحالِ دون مردّ . ولكن هذه الحقيقة الكبرى لم تخفَ على الحكماء من اهل الاستقصاء ، فكان شأنهم في درس تطور الشرق خلاف شأن اولئك المرتابين ، اذ قالوا ان التبدل والتغير في انظمة هذا المجتمع الانساني لا يكون خالياً من نقائص تعتورهُ وعيوب تصاحبهُ ، ومن هؤلاء الحكماء ڤمباري الثقة الكبير الذي احاط بالشرق وشؤونهِ علماً ، وادرك ان في الشرق اليوم مستوًى عليًّا تجلي فيهِ جدارة الموظفين الوطنيين ، وبهِ يظهر صدق امانتهم ، وهم الموظفون القائمون باعمال الخدمة المدنية في حكومة الهند البريطانية وحكومة افريقية الشمالية الفرنسية (وجل هؤلاء الموظفين من الذين تلقوا العلوم الغربية) ، ففي هذا المعنى قال ڤمباري : « ان الشرقيين المحافظين المتشددين والاوربيين المتعصبين ، ليخالون ان الاتيان بتهذيبنا الغربي الى الشرق قد ذهب بفضائل الاسيويين ، تلك الفضائل الساذجة الفطرية ، حتى غدا الشرقي غير المهذب اكثر امانةً واعز شرفاً واشد اباءً ، واجدر بالثقة من الاسيوي المهذب على الاساليب الغربية . ان هذا الخيال لأفن وخبال فلعل هذه الاوهام تصدق على اولئك النائلين قسطاً قليلاً من التعليم والتهذيب ، ولكن لا تصدق على الاسيوي التام التهذيب الذي وقر في نفسهِ ان الارتقاء العقلي قائم بجملتهِ على الاساس المكين ، وهو التعليم الوافي الصحيح ، والتهذيب المنظم الطريقة ، والتثقيف السليم الاسلوب والمنهج » .

ثم مهما كان شأن النقص الذي صاحب اساليب التعليم الغربي في الشرق ، فالتعليم هو المنهاج الذي لا يستطاع الأ نهجه ، والباب الذي لا حيدة عن ولوجهِ . وعلى كل فان ما قد بلغتهُ الروح الغربية في الشرق من سعة الانتشار وشدة التأثير ، هما من الاهمية بحيث لو اردنا الكلام عليهِ تفصيلاً استغرق ذلك المجلدات الضخام . ولو سلمنا جدلاً ان الحكومات الاستعمارية قد كان في وسعها ان تحول دون التعليم الغربي الصحيح ، أفلم يكن الشرقي على كل حال قادراً ان يتعلم ما يتعلمهُ على طرق اخرى ومناهج شتى . اذن خير للشرقي وافضل ان يتلقى العلوم والمعارف في كتب مفيدة صحيحة الاسلوب برعاية الاكفاء من المدرسين والمعلمين ، من ان يترك وشأنهُ يتتبع الاساليب الفاسدة والطرق الملتوية ويخبط خبط عشواء

خطبة اللورد لويد

في كلية فكتوريا بالاسكندرية

زار اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني في مصر مدينة الاسكندرية في اواخر مارس الماضي وحضر حفلة كبيرة في كلية فكتوريا خطب فيها خطبة تهذيبية بليغة استهلها بشكر لجنة الكلية وناظرها ودولة رئيس الوزراء وجميع الحاضرين ثم قال :

تأسست كلية فكتوريا منذ ٢٥ سنة بالاكتتاب العام وكان في مقدمة المكتتبين لها الانكليز المقيمون في الاسكندرية ويعود جانب كبير من الفضل في انشائها على كرم السر جورج الدرسن الذي تأسف لغيبتهِ اليوم . وقد اهتم بها سلفي العظيم لورد كرومر اهتماماً خاصاً وفي قدومي الى هنا اليوم تحية احترام لذكراهُ وللعمل الذي عملهُ لبلادهِ وللبلاد التي كانت بعدها اعلق البلدان بنفسهِ

لقد اوجد لورد كرومر شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر وهذه الشركة مهما تغيرت اشكالها لازمة للشريكين وهذا يجعل استمرارها لا مندوحة عنهُ . فعلينا ان نقوي كلَّ ما لدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين والجاليات الاخرى التي توطنت هذه البلاد ، حتى ينجم عن هذه الشركة اعظم المنافع المتبادلة . وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية لورد كرومر من تأسيس كلية فكتوريا بوجه عام ومن تأسيسها في الاسكندرية بوجه خاص وهي غاية اعتقد ان الكلية تحققها

انشئت الاسكندرية لتكون عاصمة العالم المعروف للاسكندر الكبير ، ولتكون حلقة اتصال بين الشرق والغرب . وقد حققت هذه الغاية في عهد ازدهارها الاول وايضاً في نهضتها الحديثة على يد محمد علي باشا العظيم فكانت صلة بين الشرق والغرب . وهذه الصلة التي تمثلها الاسكندرية تمثيلاً واسعاً ، تمثلها كلية فكتوريا على وجهٍ مصغَّر

ما من احد اعرف منك يا حضرة الناظر ان المدرسة او الكلية مكان للتعلم والتعليم وان المعلم يتعلَّمُ بقدر ما يعلّم ، واذا كنا نحن الانكليز قد اسسنا كلية فكتوريا هنا فاننا لم نفعل ذلك لان لدينا ما نعلمهُ للغير فقط بل لان هناك ما نريد ان نتعلمهُ ايضاً . ومن بواعث الفخار والتشجيع لكل معهد علمي ان ينشأ في مدينة كالاسكندرية حيث نشأت

فروع كثيرة من فروع العلم وحيث ارتقت الفنون والفلسفة ارتقاء خاصاً ، في المدينة التي يحق ان تدعى مدينة الاكتشاف العلمي ومقر اشهر مكاتب العالم

هنا عاش اقليدس اعظم علماء الهندسة الذي بقي كتابهُ في الهندسة مستعملاً في مدارسنا الى اوائل هذا القرن . هنا وضع ديوفنتس علم الجبر وابولونيوس علم القطوع المخروطية . هنا قاس اراتستنيس قطر الارض لاول مرة في التاريخ وقال ارسترخس بدوران الارض والسيارات حول الشمس قبلما قام غليليو بالفي سنة . هنا انشيء علم القوى المائية (هيدروستاتيك) وعلم التشريح في مدرسة الطب العظيمة . هنا استنبط المصّ وغيرهُ من المستنبطات الكثيرة المفيدة . ان الرياضيات والعلوم الطبيعية لم تنهض نهضة تساوي هذه النهضة سوى في القرن التاسع عشر . وقد اخذ الباحثون يكشفون حديثاً ان الامبراطورية الرومانية مدينة بجانب كبير من نظامها الاداري للبطالسة

واذا كان اشتغالُ اليونان بالعلوم ، واندفاعهم وراء البحث عن الحقائق ، الباعثَ الاكبر على الارتقاء العلمي الذي تمَّ في الاسكندرية في ذلك العصر ، فان ارتقاء الفنون والفلسفة بنوع خاص سببهُ احتكاك العقول من مختلف الاجناس التي اجتمعت في بقعة بين اوربا واسيا وافريقية يغسل شواطئها بحر كلهُ وحيٌ والهام . والباعث على اجتماع تلك الشعوب فيها هو هو الباعث الذي حملنا — ونحن شعب تختلف عنهم كل الاختلاف — على التعلق بهذه البقعة التي وقفت امامها منارة الاسكندرية رمزاً للنور والطمأنينة

نحن الانكليز لنا في كلية فكتوريا وسيلة نؤدي بها خدمة للخير العام فماذا نستطيع ان نفعل . اسمحوا لي ان اقرأ لكم فقرة لامرصن الكاتب الاميركي الكبير ضمنها رأيهُ فينا ومنها نستطيع ان نستخلص صورة لما نستطيع ان نقدمهُ بواسطة معاهدنا — قال امرصن :

« مما يجعل الشعب الانكليزي شعباً ذا شأن هو صفات الافراد الذين يتألف منهم . انهم رجال احرار اقوياء يعيشون في بلادٍ فيها الحياة بمأمن من الطوارئ ولها مقام وقيمة عالية . انهم قوام هذا العصر وليس ذلك اتفاقاً بل هم يفعلون ذلك بخُلُقهم الممتاز وكثرة الافراد المقتدرين بينهم . لقد انكر البعض ان في الانكليز نبوغاً . ومهما قيل فيهم فلا ريب ان رجالاً من اكبر الرجال عقولاً ولدوا في بلادهم . وقد استنبطوا اعظم المستنبطات او طبقوها . اجسامهم سليمة وهم ذوو ثبات عظيم في الحرب والعمل وقوانينهم كريمة تمنع الرق وتؤيد الحرية واذا كان عندهم استبداد فذلك ثانوي لا يدوم ونجاحهم ليس قائماً على الحظ بل لقد اظهروا ثباتاً واستمراراً في مقدرتهم قروناً كثيرة »

واكرر القول بان الاسكندرية حلقة الاتصال ويجب ان تكون وسيلة للتفاهم واليها ننظر نظراً خاصاً في توطيد رابطة التفاهم . وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة افعل من كلية تعلم الشبان من مختلف الاجناس المبادئ البريطانية العليا . فكلنا مشتركون في سعي واحد للتفاهم المتبادل . وثمرات النجاح في هذا العمل هي السلام والطمأنينة والارتقاء . لذلك ارحب باجتماعنا في منتدى كلية فكتوريا لانني اشعر ان روح التفاهم يكون في هذا المنتدى اوضح واقوى اثراً منهُ في اي مكان آخر

وما هي كلية فكتوريا . كلية فكتوريا ايها السادة مدرسة انكليزية تفتح ابوابها لكلّ الاجناس . لم يتسنَّ لهذه المدرسة ان يكون لها كل الشأن المنتظر في تربية النشء المختلط في الاسكندرية وغيرها من مدن هذا القطر لاسباب بعضها مالي والبعض الآخر ناجم عن الحرب الكبرى . وسيُتدارك هذا الامر في السنوات المقبلة . فهذه مدرسة على كثرة الوسائل التهذيبية التي تقوم بها ترى قليلين من آباء النشء الجديد يهتمون بها او يفهمون غايتها . فمن الانصاف ان نشهر مميزاتها . ان معلميها من الانكليز الذين نشأوا على مبادئ الحياة العامة والحياة المدرسية في انكلترا . وما يحصِّلهُ الطلبة فيها يوازي ما يحصلهُ طلبة كلياتنا في انكلترا وما اكثر علامات الشرف التي حازها خريجو هذه الكلية في بلاد الانكليز . ففي السنوات الماضية — بل في السنة الماضية فقط فاز كثيرون من ابناء هذه الكلية في جامعات انكلترا حيث تجدون الآن نحو ٣٠ طالباً من ابناء هذه الكلية السابقين. وقد بلغني ان مجلس الامتحان لشهادة اكسفرد كمبردج اظهر اعجابهُ الشديد بمعارف تلاميذ فكتوريا — هذا فيما يتعلق بالعلوم

ثم هناك تربية الاخلاق. ان النظام الذي نحسبهُ في انكلترا اقوى العوامل في تربية ملكات الشرف والشعور بالمسؤولية والصدق وضبط النفس والثبات وغيرها من الصفات التي لا مندوحة عنها لانشاء الوطني العامل ، اقول ان هذا النظام الكامل يُستعمَل في هذه الكلية كما يُستَعمل في انكلترا . وهو يستعمل هنا رغماً عن كثرة الاجناس التي يتألف منها مجموع الطلبة . وهذه الروح تنمى ايضاً في الالعاب على اختلافها ، الفوتبول والكركت وفرق الكشافة

وقد بلغ من نجاح هذا العمل ان الحوادث التي حدثت في سنتي ١٩١٩ و١٩٢١ لم تؤثر في علاقات الطلبة بعضهم ببعض فلم يحدث بينهم نفور ما . ومما يدل على استمرار هذه الروح ان ابناء الكلية السابقين لا يزالون يجتمعون اجتماعاتهم الشهرية يؤلف بينهم

في ذلك محبتهم للايام الهنيئة التي قضوها في محيط انكليزي في كلية فكتوريا . انهم ينظرون اليها الى الآن نظرهم الى بيت لهم ثانٍ ومحبتهم لها توحد بينهم

وقد يهمكم ان تعلموا ان ابناء الكلية السابقين من ثمانية اجناس او تسعة اجناس مختلفة وان من الطلبة الآن ٣٠ في المائة مصريون و٢٠ في المائة انكلوسكسون ومنهم يونان ويهود وايطاليون وارمن وسوريون واحباش وغيرهم

كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيصيروا قادرين ان يفهموا اساليبنا ويعطفوا عليها . لدينا معشر الانكليز مثل يقول ان « البرهان على جودة البودنج اكلها » والشبان الذين تخرجهم هذه المدرسة فخر لكل الامة ولا أشك في انهم سيكونون فخراً لمصر

واود كثيراً ان اشعر بان كلية فكتوريا تخرج نفراً من نخبة الموظفين والمعلمين والتجار في هذا القطر. ومتى تسنى للجمهور ان يعرف عن هذه الكلية اكثر مما عرف عنها في الماضي يتنبه الوالدون الى ان تعليم اولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الانكليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي كما كانت الاسكندرية في ايام عظمتها على عهد البطالسة

علينا ان نحل المشاكل المعلقة بين مصر وانكلترا. ولا شك انهُ ستنشأ مشاكل اخرى في السنوات القادمة من العلاقات بين الاثنين . وهذه المشاكل تحل اذا تعلم كل من الانكليز والمصريين ان ينظر الى رأي الفريق الآخر نظراً مقروناً بالفهم والعطف

ولست منفرداً بما اشعر بهِ من المساعدة العظيمة التي تؤديها كلية فكتوريا في هذا السبيل بل كثيرون غيري يشعرون شعوري وقد عبروا عن شعورهم بتبرعاتهم المالية . (وهنا ذكر التبرعات)

هذه الاموال ستوزع جوائز على الطلبة الممتازين وليس الغرض منها مساعدة الطلبة الفقراء مساعدة مالية بل تشجيع الطلبة المجتهدين الناجحين جزاء لهم على اجتهادهم ونجاحهم فكأن الواحد منهم قد كسب بذكائهِ ونشاطهِ جانباً من النفقات التي تنفق لتعليمهِ . هذا باعثٌ قويٌّ على اجتهاد الطلبة وهو النظام المتبع في بلاد الانكليز حتى لقد تجد كثيرين من ابناء الاغنياء عندنا يفوزون بالجوائز المالية في المدارس العامة

لقد سررت ايها السادة سروراً عظيماً بالاجتماع بكم اليوم وارجو ان لا نكون قد اضعنا وقتنا سدى اذا نجم عن هذا الاجتماع شيءٌ من التفاهم العام الذي يوطد رابطة الفهم والعطف بين بريطانيا العظمى والبلاد المصرية

كيف ينفقون اموالهم

نكتب هذه السطور ولم تصل الحكومة المصرية الى حكم فاصل في مسألة هبة ركفلر التي وهبها لمصر لتبني بها متحفاً فخماً ومعهداً لعلم الآثار. والظاهر ان انفاق الاموال في مختلف الاغراض العلمية والاجتماعية اصبح صفة قومية لدى الاميركيين اذ يندر بينهم من يصيب ثروة كبيرة الاَّ ويفكر في خير السبل لانفاقها. وقد زادت قيمة الهبات التي وهبها اصحابها للايتام او للفنون او للعلوم او للتهذيب او لغير ذلك من الاغراض العمرانية زيادة كبيرة في السنوات الخمس عشرة الاخيرة فبعدما كانت قيمتها لا تزيد على بضعة ملايين من الجنيهات صارت تتراوح بين ٤٠٠ مليون جنيه و٥٠٠ مليون. وقد قدّر احد علماء الاحصاء ان قيمة هذه الهبات الآن تعادل ثروة الامة الاميركية كما كانت منذ مائة سنة. واليك بياناً تظهر فيه اكبر الهبات الاميركية واسماء اصحابها نقلاً عن مجلة التاريخ الجاري:

الاسم	المبلغ	الاسم	المبلغ
جون ركفلر	١١٥٠٠٠٠٠٠ جنيه	جون ستورت كندي	٠٠٦٠٠٠٠٠٠ جنيه
اندرو كارنجي	٠٧٠٠٠٠٠٠٠ «	جون سترلنغ	٠٠٤٠٠٠٠٠٠ «
وقف كلفلند	٠٣٠٠٠٠٠٠٠ «	ادمند كنفرس	٠٠٤٠٠٠٠٠٠ «
هنري فرك	٠١٧٠٠٠٠٠٠ «	ج. ر. ده لامار	٠٠٣٣٠٠٠٠٠ «
جون ديوك	٠١٦٠٠٠٠٠٠ «	مسز ستفن هاركنس	٠٠٣٣٠٠٠٠٠ «
ملتن هرشي	٠١٢٠٠٠٠٠٠ «	اغسطس جويلارد	٠٠٣٠٠٠٠٠٠ «
جورج استمان	٠١١٦٠٠٠٠٠ «	هنري هنتنتن	٠٠٣٠٠٠٠٠٠ «
مسز رسل سايج	٠٠٨٠٠٠٠٠٠ «	جورج باكر	٠٠٢٤٠٠٠٠٠ «
فرنك منسي	٠٠٨٠٠٠٠٠٠ «	ج. ب. مورغان	٠٠٢٠٠٠٠٠٠ «
هنري فبس	٠٠٦٣٠٠٠٠٠ «	مسز اندرسن	٠٠٢٠٠٠٠٠٠ «
بنيامين الثمن	٠٠٦٠٠٠٠٠٠ «		

هذه هي المبالغ التي يزيد كلٌّ منها على مليوني جنيه اما المبالغ التي وهبها شخص واحد ويقل مجموعها عن مليوني جنيه فكثيرة والمرجح ان مجموع الهبات كلها يزيد على اربعمائة مليون جنيه والموهوب منها للتعليم ١٦٠ مليون جنيه وللامور النافعة والمعاهد الدينية ١٠٠ مليون جنيه وللبحث العلمي ٦٠ مليون جنيه وللفنون والكتب والموسيقى ٤٠ مليون جنيه والباقي لاغراض شتى

اجناس البشر

حسب اللون والشعر والدم

حاول العلماء من زمن بعيد تقسيم البشر الى اجناس يجمع بين افراد كل جنس منها صفات تميزهم عن غيرهم من افراد الاجناس الاخرى. فقسمهم العالم بلومنباخ الى خمسة اقسام او اجناس هي الجنس القوقاسي والجنس المنولي والجنس الاثيوبي (الحبشي) والجنس الاميركي والجنس الملقي. ولم يقصد حينئذٍ بالجنس القوقاسي الناس الساكنين في القوقاس بل الجنس الابيض نسبة الى جمجمة وجدت في جنوب القوقاس. وقسمهم كوفيه الى الجنس القوقاسي او الابيض والمغولي او الاصفر والحبشي او الاسود. ومن الامور الصعبة وجود محل لجميع الجماعات الصغيرة الممتازة عن غيرها بصفات خاصة بها كالبوشمن سكان استراليا الاصليين في هذا التقسيم العام او غيره ولكن علماء الانثروبولوجيا يكادون يجمعون على ان الجنس الحبشي او الاسود والجنس المغولي او الاصفر والجنس القوقاسي او الابيض والجنس الاميركي او الاحمر هي الاجناس الاساسية بين البشر وهذا التقسيم مبنيٌّ على لون البشرة والتفرق الجغرافي. فقد كانت هذه الاجناس مفرقة كما يأتي قبل المهجرات الحديثة في تاريخ العمران: الجنس الاسود في الاقطار الاستوائية شرق الاوقيانوس الهندي وغربهُ في افريقية واستراليا وجزائر الباسفيك المجاورة لها. والجنس الاصفر كاد يكون محصوراً في اسيا الاَّ جماعة قليلة منهم في اوربا مع اختلاف في ضروب اللون الاصفر. والجنس الاحمر في اميركا الشمالية والجنس الابيض في اوربا وافريقيا الى خط السرطان وجنوب اسيا الغربي. وللون الابيض ضروب تتراوح بين الاسمر على حدود المنطقة السوداء والابيض النقي في شمال اوربا. ولكل من هذه الاجناس اقسام اصغر منها يمتاز احدها عن الآخر بعاداتهِ وتقاليدهِ ولغتهِ وغير ذلك من الفروق الثانوية.

وحاول نفر آخر من العلماء تقسيم البشر حسب لون الشعر وشكل مقطوعهِ وهو يكاد يتفق مع التقسيم السابق المبني على لون البشرة. فالجنس الحبشي او الاسود شعرهُ قصير اسود مفلفل ومقطوعهُ مسطح. والجنس المغولي او الاصفر شعرهُ طويل اسود قاسٍ سبط ومقطوعهُ مستدير والجنس الاميركي او الاحمر شعرهُ كشعر الجنس المغولي انما هو

اطول منهُ واكثر قساوة . والجنس القوقاسي اوالابيض شعرهُ طويل متموج ولونهُ يتراوح بين الاشقر والبني الفاتح ومقطوعهُ بيضوي

التقسيم حسب الدم

ذكرنا ما تقدم توطئة لبحث علمي جديد مبني على صفات خاصة يمتاز بها دم بعض الجماعات من البشر عن دم غيرها. واليك البيان ملخصاً عن مقالة في هذا الموضوع نشرت في جزء يناير وفبراير من مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية التي يصدرها متحف التاريخ الطبيعي الاميركي في نيو يورك

لقد كان معروفاً لدى الباحثين منذ سنوات ان دم بعض الناس لا يمتزج بدم غيرهم من غير ان يحدث هذا الامتزاج تجمعاً او تكتلاً في الكريات الحمراء ويسمي العلماء هذا الفعل agglutination وهو شبيه بما يصيب اللبن حين تخثرهِ . ولا يخفى ان نقل الدم من من شخص الى آخر في بعض العمليات الجراحية وحالات ضعف الدم لا يصح اذا كان دم الجائد بدمهِ ودم المريض لا يمتزجان من غير ان يحدث هذا التكتل واذا حدث فقد ينجم عنهُ خطر كبير على حياة المريض

وقد اثبت عالم نمسوي يدعى كارل لاندشتينر وهو الآن من اعضاء معهد ركفلر باميركا ان هذا الفعل لا يحدث اتفاقاً بل يجري على قاعدة طبيعية. ووجد ان هناك اربعة انواع من دم الانسان يختلف احدها عن الآخر اختلافاً اساسيًّا كما سيجيء وانهُ يمكن تقسيم البشر الى اربعة اقسام او اجناس او فُرق حسب نوع الدم الذي يجري في عروقهم. واثبت ايضاً ان دماء الناس الذين من فريق واحد يمتزج بعضها ببعض من غير حدوث التكتل في كرياتها الحمراء وانهُ اذا مزج دم شخص من فريق واحد بدم شخص من فريق آخر حدث هذا التكتل

وغنيٌّ عن البيان ان الدم يتركب من سائل صافٍ ضارب الى الصفرة تعوم فيهِ اجسام دقيقة تعرف بالكريات اشهرها الكريات الحمراء والكريات البيضاء . وقد وجد الاستاذ لاندشتينر ان سبب التكتل المذكور هو وجود مادة في سائل الدم الواحد تفعل في مادة اخرى في الكريات الحمراء التي في دم الثاني فتتكتل. ووجد ايضاً ان في الكريات الحمراء مادتين مختلفتين تتكتلان او تسببان التكتل اذا اتصلتا بسائل الدم فدعا الاولى (ا) والثانية (ب) ثم قسم الناس حسب وجود هاتين المادتين في دمائهم . فالفريق الاول منهم حسب تقسيمهِ لا يوجد في دمائهم شيءٌ من هاتين المادتين وهم الجانب الاكبر من

الناس ونسبتهم الى مجموع السكان في اميركا ٤٥ في المائة . والثاني تجد في دماء افرادهِ المادة (ا) فقط والثالث تجد في دماء افرادهِ المادة (ب) فقط والرابع تجد في دماء افرادهِ المادتين معاً وهم قلال جدًا ونسبتهم الى عدد السكان في اميركا ٥ في المائة

فالمادة التي في دم فريق واحد تكتل الكريات الحمراء في دم الفريق الآخر اذا كان في كرياتهِ احدى المادتين (ا) او (ب) او كلاهما معاً . واليك جدولاً يظهر فيهِ ما ينتج عن اتصال سائل الدم من كل فريق بالكريات الحمراء في دم الفرق الثلاثة الاخرى

ويلاحظ في هذا الجدول ان الكريات الحمراء في دم الفريق الاول لا يُكتّلها

	سائل فريق ١	سائل فريق ٢	سائل فريق ٣	سائل فريق ٤
كريات حمراء فريق ١	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل
فريق ٢	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل	يحدث تكتل
فريق ٣	يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل
فريق ٤	يحدث تكتل	يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتّل

السائل الدموي في الفريق الاول ولا الثاني ولا الثالث ولا الرابع وذلك لانها خالية من المادتين (ا) و(ب) اللتين تتكتلان

اذا تأصلت هذه الصفات في دم شخص استمرت مدى الحياة ويستطاع تمييزهُ بها كما يميَّز بلون الشعر او خطوط الانامل . وقد اثبت الامتحان ان مميزات الدم هذه تورَّث وتجري في توريثها على قاعدة مندل . وعوامل الوراثة هي المادتان (ا) و(ب) فاذا ورث ولد من ابيهِ المادة (ا) ومن امهِ المادة (ب) صارت المادتان في دمهِ وحسب في الفريق الرابع من البشر

بعد اثبات الحقائق المتقدمة خطر لبعضهم ان صفات كهذه وراثية في الجنس مستمرة

في الفرد ويسهل امتحانها لا بدَّ ان يكون لها معنى انثربولوجي كبير . ولكن هذا الخاطر لم يوضع موضع البحث والامتحان قبل سنة ١٩١٨ . ذلك ان الدكتور هرشفيلد وزوجتهُ كانا يشتغلان في جمعية الصليب الاحمر ببلاد الصرب وكانت بلاد الصرب حينئذٍ مجتمعاً لجيوش المتحاربين من مختلف اقطار المعمور من افريقيا وبلاد العرب وتركيا وروسيا والهند وبلدان اوربا المتحاربة ففحص هرشفيلد دم الجنود الذين عالجهم وبوّب نتائج فحصهِ بعد ما قرنها بالحقائق المذكورة آنفاً فثبت ان لكل جنس من الاجناس المعروفة نسبة خاصة من اقسام لاندشتينر تختلف عنها في الاجناس الاخرى

فقد وجد على وجهٍ من التعميم مثلاً ان الشعوب من شمال اوربا كالانكليز والالمان فهم الفريق الثاني كبيراً جدًّا بالنسبة الى الفريق الثالث والفريق الثاني هو الذي في دمه المادة (ا) يقابل ذلك ان الشعوب من افريقية واسيا يكثر بينهم الفريق الثالث اي الفريق الذي في دمهِ مادة (ب) ووجد ان الشعوب التي تقطن حول البحر المتوسط فيها الفريق الثاني والفريق الثالث متساويين فاستنتج من ذلك استنتاجاً لم يقرَّهُ عليهِ كلُّ العلماء بعد وهو ان دم الفريق الاول اي الفريق الذي لا يوجد في كرياتهِ احدى المادتين هو الحالة الطبيعية الاصيلة للدم البشري وان المادة (ا) ظهرت في اوربا اولاً كتحول فجائي في الزمن السابق للتاريخ وان المادة (ب) ظهرت في اسيا . وعلَّل توزع هاتين المادتين في مختلف الاجناس ونسبها المختلفة بنزوح الاقوام من بلاد الى بلاد وامتزاجها بعضها ببعض

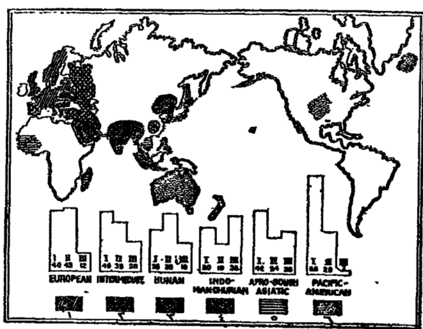
وقام بعد هرشفيلد علماء آخرون بحثوا بحثهُ في اجناس وشعوب مختلفة فوجدوا انهُ ما كشفهُ اولاً من وجود نسبةٍ خاصة من اقسام لاندشتينر لكل جنس من الاجناس صحيح ولكن مباحثهم لم تؤيِّد رأيهُ في نشوء المادة (ا) في اوربا اولاً ونشوء المادة (ب) في اسيا اولاً لانهم وجدوا اقواماً في اسيا وافريقية وملقا واميركا يكثر بينهم الفريق الثاني كما يكثر بين شعوب شمال اوربا . وفي الخريطة التالية تظهر الحقائق التي عرفت حتى الآن من حيث التفرّق الجغرافي ونسبة الاقسام المختلفة في الاجناس المختلفة

ومن الحقائق الغريبة التي كشف البحث القناع عنها ان جماعات اليهود التي تناولها البحث ليست جماعة واحدة متصلة الرحم بل ثبت ان كل جماعة منهم تشبهُ اقوام البلاد التي تسكنها من حيث مميزات الدم هذه . فيهود برلين مثلاً يماثلون كل المماثلة الشعب

ألالماني في ذلك ويهود اسبانيا يماثلون العرب ويهود رومانيا لا يختلفون كثيراً عن المجريين ويهود بولونيا يشبهون اهل بولونيا

وعلى الضد من ذلك ظهر ان غجر (نور) اوربا يشبهون النوع الهندي المنشوري وهذه حقيقة كبيرة الشأن ازاء ما يعرف عن الغجر من عدم تزاوجهم باهل البلاد التي يرتادونها وفي الاخبار الخرافية انهم جاؤُوا اولاً من اواسط الهند

ولعلَّ اكبر الحقائق شأناً في هذه المباحث هي ان الاجناس القريبة بعضها من بعض في مواطنها الجغرافية تتشابهُ من حيث مميزات الدم ونسب اقسام لاندشتينر فيها



يظهر في هذه الخريطة توزع الشعوب حسب مميزات الدم التي بسطناها في هذا المقال . وفي اسفلها مفتاح للخريطة ورسوم تبين نسبة اقسام لاندشتينر في الاجناس الستة المذكورة . فالرسم الاول يمثل الشعوب الاوربية وقد رمز اليها في الخريطة بخطوط مائلة وفيه ان الفريق الاول ٤٠ في المائه والفريق الثاني ٤٣ في المائة والثالث ١٢ في المائة واما الفريق الرابع فلم يذكر لقلته . وكل جنس من هذه الاجناس لهُ نسب خاصة به يمتاز بها عن غيره

وقد كشف لاندشتينر حديثاً ان المادتين (ا) و (ب) موجودتان في دم القرود كالاورانغ اوتان والشمبانزي . ومباحثهُ تدل على وجودها في انواع مختلفة من القرود الشبيهة بالانسان ولا تزال المباحث في هذا الموضوع قيد التحقيق واكتشاف لاندشتينر الاخير اي وجود مميزات الدم في دماء القرود لا يعلل نشوءها بل يبعد بالتعليل الى العصور المتغلغلة في القدم

الادب المصري في القرن التاسع عشر

الكتابة والشعر

بدأ القرن التاسع عشر وسوق الادب كاسدة من جراء ما انتاب البلاد من حكم المماليك الذين لم يعنوا بشيء من العلم والادب والفنون سوى ما اقاموا من مبانٍ تخليداً لذكرهم وتضليلاً للعامة ليحملوهم على الظن بانهم ممن يساعدون على فعل الخير واقامة شعائر الدين . فلم يكن من غرضهم نشر الآداب الاَّ بقدر ما كانت تدعوهم الحاجة اليهِ من الاختصاص ببعض الكتَّاب والشعراء لنشر اغراضهم او لمكاتبة غيرهم من الامراء . ولم يكن للأدب معاهد يدرس فيها. ولكن مصر كانت محط الادباء الذين التجأوا اليها وموطن الازهر الذي كانت تنبعث منهُ اشعة العلوم العربية الى انحاء العالم الاسلامي — وكان الناس يرون في اللغة العربية وفنونها مفتاحاً لكل العلوم واساساً لتربية العقول . وزاد الناس حبًّا بطلب العلم في هذا المعهد ما حبسهُ اهل الخير على طلابهِ فلم ينقطع عنهُ الوافدون. ولاسيما ان كثيراً من علمائهِ وتلاميذهِ كانوا موضع الاجلال والاكرام من الحكام والامراء واصحاب الرأي وكان منهم القضاة واهل الشورى للسلاطين والامراء كما كان منهم الكتاب والمؤلفون في مختلف العلوم والفنون . فكان الاقبال على الازهر من اكبر الوسائل لاحياء اللغة العربية وآدابها فظهر منهُ الكتاب والشعراء وارباب الاقلام الذين تولوا وظائف الكتابة في الدواوين وغيرها

اما كتابة الدواوين زمن المماليك فكانت مزيجاً من العربية والتركية وخليطاً من الالفاظ العامية والعبارات الفصحى . واستمرَّ ذلك الى ايام محمد علي حيث فشت العامية في المؤلفات والمراسلات وانحطت درجة الكتابة بطبيعة حال الدولة التي لم يعن اهلها بذلك . وتاريخ ابن اياس والجبرتي من اساليب الكتابة التي كانت فاشية في تلك الايام فكانت الكتابة في حالة انحطاط كما كانت الحال في جميع الاقطار العربية

وكان اكثر اساليب الكتابة البليغة الادبية كالرسائل والمقامات مسجعة جارية على اسلوب الهمذاني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكد يخلو منهُ كتاب او تأليف وحتى تمشى هذا الاسلوب في الكتابة العامية . ولا شك في ان هذا اثر عناية العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية

حتى تخطى القرن التاسع عشر [1] فادرك رفاعة بك الطهطاوي (توفى سنة ١٨٧٣ ميلادية) وعبد الله باشا فكري (توفى سنة ١٨٨٩ ميلادية) وعبد الله نديم (توفى سنة ١٨٩٦ ميلادية) وابرهيم بك المويلحي (توفى سنة ١٩٠٦ ميلادية) والشيخ محمد عبده (توفى سنة ١٩٠٧ ميلادية) والسيد توفيق البكري وغيرهم من الكتاب الحديثين كحفني بك ناصف وامثاله . على ان ظلال هذا السجع الممل ابتدأت تتقلص منذ ان رجع طلاب

(١) وهاك نموذجاً من تعريب بعض تلاميذ مدرسة الالسن يدل على تمكن ملكة السجع من نفوس المتعلمين . نقل عن مجلة روضة المدارس :

يحكى ان فقيهاً فرنساوياً (اووكاتو) كان بجواره طباخ ماهر في صنعته . فاتفق له يوماً من الايام وقد وضع كجري العادة ما طبخه ظاهر الدكان على الصواني . واظهر ما عنده من نفيس الاواني . واذا بكلب عظيم الجثة . متتابع اللهثة ، عدا على اواني اللحم وخطف . والتقم من سائر المطعومات والتقف . وكان ذلك الكلب بمحض الصدفة والتقدير . ملكاً لجناب ذلك الفقيه الشهير . فسعى الطباخ في تخليص اللحم منه فوجده قد عدت عليه من بطنه عوادي الايام . حيث كان الكلب قد اسرع بمجرد الخطف للالتقام والالتهام ، وحين علم الطباخ انه لم يتحصل على ذلك . ولم يفرح بما طبخه الا بسن الكذالك . خرج من الغيظ عن طوق طبعه العادي . وعزم على السير الى صاحب ذلك الكلب العادي . فوصل الى بيته مصاحباً لندمه وسدمه . قائلاً من غاية الحزن والكآبة لبعض خدمه : ان مرادي ان اخلو بحضرة سيدك الجليل المعتبر . لاستفتيه في دعوى ما لمبتدأها خبر . فاستأذنه خادمه في استقبال الطباخ فدخل عليه فقال اهلاً باكرم جار . واعظم مستفت زار . فقعد الرجل وقد دارت بينهما راح الكلام . وتحدثوا في ما جريات الازمان ووقائع الايام . فخاطبه الفقيه بالفراسة . ولزم لين الخطاب ومجانبة الحماسة . قائلاً له ايها الجار . اني اظن ان لك دعوى الجأتك الى الحضور عندي في هذا النهار . فافصح عنها ايها العزيز الحبيب . فاني باذن الله ازيل اشكالها بوجه لا يريب . فقال انما جئت مثواك . لاستفتيك في مسألة ليس لها سواك قال وما هي ؟ قال ان اتلف كلب شيئاً مملوكا . سواء كان صاحبه اميراً ام صعلوكا . هل يرجع في ذلك الى صاحب هذا الكلب . او يبوء صاحب هذا الشيء بهلاك السلب ؟ فقال الفقيه ان كان الكلب ملك احد فهو الضامن لما اتلفه ضمان الوالد للولد . فعند ذلك نهض الطباخ على اقدامه . مفوقاً الى الفقيه سهام كلامه . وقال ايها الفقيه الفيصل . قد حكمت على نفسك بنفسك فلا تتنصل . ان كلبك هو الخصم صاحب الدعوى . وها انت الفقيه صاحب الفتوى . واذا كنت انت الحكم والخصم المهاب . فاحكم بيننا بالحق واهدنا الى طريق الصواب . فعند ذلك اخرج من كيسه نصف ليرة . واعطاها له واظهر انها يسيرة . الا انه عض انامله من الغيظ . وصار جسمه في حرارة ولا حرارة القيظ . وخرج الطباخ يطلب دكانه وهو في شديد الفرح . ظانا ان بذلك زال عنه ما لاقاه من الترح . واذا بالفقيه يصيح عليه . وينادي باعلا صوته بالحضور لديه فارتعدت مفاصل الرجل من الخوف وانخلع قلبه من الجوف . فقال الفقيه ايها الرجل الكريم . لا يخفى عليك ان تفقئي وتفقة عاتقي لم تكن من غير المعالم . التي اكتسبها من تحقيق الدعاوي وتنميق الفتاوي . وما رأيتك اعطيتني معلوم فصل هذه القضية . التي انفصلت على صورة جميلة مرضية . فقال الرجل وكم قرشاً يدفع لامثالها . فقال له ما جرت عادتي بأخذ اقل من ليرة في كل مسألة افك معقود عقالها فاخرج له الرجل نصف الليرة الاولى . وزاوجه بنصف آخر حين علم ان الفقيه لا يتحول عن ذلك ولا يتنازل فخرج يدمثر في اذياله ويتعجب من هذا الحكم الذي لم يخطر على باله

الارسالية التي ارسلها محمد علي الى اوربا في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر فقد تأثروا باساليب اللغات الاجنبية فاخذوا يترجمون و يؤلفون كما فعل رفاعه بك الطهطاوي والعالم احمد ندا (المتوفى سنة ١٨٧٧ ميلادية) وابرهيم النبراوي الذي كان رئيساً لمدرسة الطب (توفى سنة ١٨٦٢ ميلادية) واحمد حسن الرشيدي الطبيب (توفى سنة ١٨٦٥ ميلادية) وغيرهم من العلماء والادباء

وكان من اشهر هؤلاء الكتاب والمؤلفين رفاعة بك الطهطاوي (سنة ١٨٠١ — ١٨٧٣ ميلادية) الذي كانت لهُ آثار عظيمة في الكتابة والادب والشعر فترجم في مختلف العلوم والفنون كتباً ورسائل . و يحسب اسلوبهُ من نماذج اساليب الكتابة المختلفة في القرن التاسع عشر بمصر . فان فيها السجع الممل المتكلف الممزوج بحسن اختيار الالفاظ و بلاغة العبارة (راجع « مقدمة وطنية» لحضرة رفاعة بك طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٣ هجرية و«الكواكب النيرة في ليالي افراح العزيز المقمرة» طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هجرية) وتجد في مؤلفاتهِ السهل الممتنع الذي يشبه اجود اساليب الصحف اليومية عندنا الآن (راجع كتاب «مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية» طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٦ هجرية) . ومن الاساليب التي تحسب احياناً مسجعة واحياناً مرسلة اسلوب الوقائع المصرية منذ ظهورها (سنة ١٨٢٨) الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر. وبقي الادباء يحاكون الاساليب القديمة والموضوعات المعروفة كرسائل التعازي والتعارف قبل اللقاء والعتاب والشوق الى زمن قريب

ولكن محاكاة الاساليب الافرنجية وانتشار التعريب جعل اسلوب الكتابة العربية ينتقل من طور السجع ومحاكاة القدماء الى سهولة التعبير والايجاز في العبارة . ومن اشهر الصحف التي اذاعت هذا الاسلوب الجديد في الترجمة والتأليف مجلة روضة المدارس التي انشئت سنة ١٨٧٠ وكان يحررها نخبة من العلماء كاسماعيل باشا الفلكي و بدر بك الحكيم وعلي باشا مبارك ورفاعة بك وغيرهم .فقد نشر في هذه المجلة كثير من آثار اقلام الكتاب في موضوعات مختلفة من علوم وآداب . والمتأمل في هذه الاساليب يرى انهُ قد حدث في النثر اطوار كان الكتاب يجارون فيها روح العصر العلمية والادبية فرقت اساليب النثر وتعددت مناحيهِ حتى اصبحت تحتوي على كثير من الاساليب التي عرفت في اللغات الاجنبية.وزاد هذه الاساليب رقة وسهولة انتشار الصحف اليومية والمجلات العلمية.واخذت الرسائل شكلاً آخر غير ذلك الشكل المسجوع المعروف . ونزع الكتاب الى اسلوب آخر

غير متكلف وهجر كتاب الجرائد المقدمات التي كانوا يفتتحون بها موضوعاتهم واقتربوا من نفوس الخواص ولقد نراهم احياناً ينزلون باساليبهم الى عقول العامة مع صحة العبارة وسلاستها . كذلك نجد اثر الاساليب الفرنجية وتراكيب اللغات الاعجمية في الكتب المترجمة او المكتوبة حديثاً باقلام من تعلموا اللغات الاجنبية اومالوا الى محاكاتها . وربما توسعوا في ذلك حتى لقد يخرجون احياناً عن الاسلوب العربي المألوف . ولا يزال هذا الاسلوب الحديث يغمرنا بسيل جارف من الالفاظ الاعجمية والتعبيرات الافرنجية بما ينشرهُ المعربون والمؤلفون وكتاب الصحف . على انهُ في جملتهِ سهل قريب من اذهان الطبقة الوسطى من المتعلمين . ولا شك في ان هذا كلهُ دليل على ان الكتابة العربية في مصر سائرة في طريق آخر غير الطريقة العربية الصميمة

وقد حدث في مصر نوع آخر من النثر وهو النوع القصصي المصبوغ بصبغة مصرية كما في كتاب حديث عيسى بن هشام للمرحوم ابراهيم بك المويلحي . وهذا نوع جديد في الادب المصري اكثر اثراً وادعى الى الحياة في آدابنا الحديثة من اي نوع آخر من انواع النثر . وقد انتشرت اخيراً هذه الروح القصصية بين كتابنا المعاصرين لنا يجارون بذلك آداب الامم الاخرى . لان اكثرهم قرأ تلك الآداب وخبرها وتأثر بهــا . وما ينشر الآن بيننا منها كثير يبشر بنهضة ادبية عظيمة. على ان اكثرهم لا يزال في بادئ الصناعة يحتاج الى كد طويل وتفكير عميق وتجربة وتفنن في هذا الاسلوب الجديد حتى يقرب من الاتقان والكمال

هذا ما حدث في النثر الفصيح اما ما كان في النثر العامي او القريب من اللهجة العامية فان اثرهُ لا يقل عن ذلك في الادب المصري الحديث بل يكاد يكون اسبق من غيرهِ لانهُ يمثل الحياة المصرية والاخلاق المصرية في جملتها . وقد انتشر هذا النوع في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وكان من مبتكريهِ المرحوم عبدالله نديم بروايتيهِ « الوطن» و«العرب» اللتين انتقد فيهما كثيراً من المسائل السياسية والاجتماعية والخلقية كما كتب مقالات متعددة من هذا النوع جمعت في كتاب سمي (سلافة النديم) كمقالة (مهرة الانطاع او عربي تفرنج ومقالة مجلس وطني) وغيرها . وقد رأينا في السنة الثانية من مجلة روضة المدارس رواية تمثيلية كتبت باللغة العامية اسمها (الفخ المنصوب للحكيم المغصوب) . وهذا يدل على ان هذا النوع من الكتابة العامية ابتدأ ينتشر منذ ذاك . وهو على الرغم من بعده من العربية الفصحى قليلاً او كثيراً يحسب نوعاً

من انواع الادب المصري الذي انتشر بيننا الآن بما نراهُ من القصص التمثيلية الهزلية المعروفة عندنا فانها تحتوي على كثير من نقد احوالنا الاجتماعية . ولا يزال الادب المصري في اول مرحلة من مراحله . وسنتكلم عن الشعر المصري الحديث في مقال آتٍ

احمد ضيف

جابر بن حيان

١ — ماهيته التاريخية

لعل أبا عبدالله او ابا موسى[1] جابر بن حيان بن عبدالله اشهر من يذكرهُ تاريخ العلم في العصر العربي من العلماء . فان اسمهُ يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الاثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران . ولقد قال فيهِ الاستاذ « برتيلو » المؤلف الفرنسوي ، وصاحب كتاب « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » ان اسمهُ ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق . فكانّ جابراً عند « برتيلو » اول من وضع لعلم الكيمياء قواعد عملية تقترن باسمهِ في تاريخ الدنيا

ولقد عُرف جابر بن حيان في العالم اللاتيني باسم « جيبر » Geber واشتهر بكتاب عرف في اللاتينية باسم Summa perfectionis — و يقول البحاثة هوليارد بان هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب جابر المسمى « الخالص » . على ان لجابر في العالم اللاتيني كثيراً من المؤلفات المنسوبة الى من يعرفونهُ باسم « جيبر » ، غير ان هذا الكتاب اشهرها واعمها بين الناس انتشاراً . على ان الفرق بين « جابر » و بين من يعرف في العالم اللاتيني باسم « جيبر » قد ذهب ببعض المؤلفين في العصورة الاخيرة الى القول بانهما شخصان مختلفان . ولكن الاستاذ هوليارد قد اثبت ان جابر بن حيان هو بعينهِ المعروف في العالم اللاتيني باسم « جيبر » ، وان كل الكتب المنسوبة في اللاتينية الى الاسم الاخير هي تراجم او اقتباسات عن مؤلفات العالم الفارسي اصلاً ، العربي نسبةً

في القرن الثامن الميلادي (الثاني من الهجرة) عاش جابر بن حيان في بلاط الخليفة هرون الرشيد في بغداد . وكان على صلة حسنة بالبرامكة ، والظاهر من سيرتهِ انهُ

(١) يقول بعض المؤرخين ان اسمه ابو عبدالله وآخرون يقولون انه ابو موسى واذا صحت الروايتان دلتا على انه كان لجابر ولدان يدعى احدهما عبدالله والآخر موسى

كان اشد تعلقاً بهم منهُ بخليفة المسلمين[١] ، لان البرامكة كانوا يعلقون على علم الكيمياء شأناً كبيراً ، وكانوا يشتغلون بذلك العلم و يدرسونهُ درساً عميقاً . ولقد ذكر جابر في كتابهِ « الخواص » كثيراً من المحاورات التي وقعت بينهُ و بينهم في مفصلات هذا العلم. و يقول القفطي في ترجمة جابر في كتابهِ « تاريخ الحكماء » [٢] انهُ برز في فروع العلوم الذائعة في عهدهِ ولاسيما علم الكيمياء . والظاهر انهُ كان لهُ نصيب من الاشتغال بعلم الطب وطرق العلاج ، لانهُ كان من الشائع في ذلك العهد ان يقترن العلم بالكيمياء بالعمل في في صناعة الطب

كل هذه الاشياء تحوط اسم جابر بن حيان بكثير من الاسباب التي تدعو الى التأمل والنظر . اما ماهيتهُ التاريخية فالمحقق منها اشياء خمسة :

اولاً — ان اسمهُ جابر بن حيان (بن عبدالله) [٣]

ثانياً — انهُ كان فارسياً اصلاً ، عربياً نسبة ومنشأً

ثالثاً — انهُ عاصر الرشيد والبرامكة

رابعاً — انهُ كان على صلة ما بجعفر الصادق

خامساً — انهُ اشهر من ألف في العربية في علم الكيمياء

***

٢ — حياته ومولده

هو ابو عبدالله جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي[٤] وقد يذكر بكنية ابي موسى . ولا يعرف بالضبط مكان ميلادهِ . ولكن كل الثقاة من المؤرخين يكادون يجمعون على انهُ ولد اما بطوس في خراسان ، في الشمال الشرقي من بلاد فارس ، وإما في حران بالعراق . على انَّ بعض الذين ترجموا عن حياتهِ من المشتغلين بعلوم المشرق وتاريخهِ يرجحون

(١) ولعل هذه الصلة راجعة الى عاطفة قوميه اكثر منها الى علاقة علمية

(٢) « جابر ابن حيان الصوفي الكوفي ، كان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً في صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن . وهو مذهب المتصوفين من اهل الاسلام — وذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الاصطرلابي الاندلسي انه رأى لجابر بن حيان تأليفاً في عمل الاصطرلاب يتضمن الف مسألة لا نظير له » راجع تاريخ الحكماء ص ١١١ طبع مصر

(٣) ولعل عبدالله تسمية لغير معروف كالعادة المتبعة في صرف اسم (عبدالله) على الجد غير المعروف في نسبة شخص ما

(٤) راجع ابن النديم في كتاب الفهرست

ان طوس مسقط رأسهُ[١] وكذلك يجمع كل الثقاة على انهُ قضى شطراً من حياتهِ في مدينة الكوفة [٢] — وكان صديقاً للبرامكة وزراء هرون الرشيد[٣] ، وانهُ عاش ردحاً من الزمان في بلاط بغداد . وقد ينسبهُ بعض الباحثين الى طرسوس ، كما فعل المستشرق « واستنفلد » Wastenfeld او يذهب غيرهُ الى انهُ صابئي من حرّان ، كما فعل المستشرق « دربيلو » — d'Herbelot — في المؤلف المسمى « المكتبة الشرقية » Bibliothèque Orientale — ص ٣٦٠

ومن اغرب ما عثرت عليهِ في اقوال بعض الذين ترجموا عن حياة جابر من الافرنج ان بعضهم نسبهُ الى اشبيلية من بلاد الاندلس[٤] وليس هذا هو الخطأ الوحيد الذي وقع فيهِ الاوربيون في ترجمة جابر . فقد ذكر في بعض التراجم ان جابر — « اشهر امراء العرب وفلاسفتهم » [٥] . وفي موضع آخر انهُ عربي مجرد عن كل نعتٍ [٦] ثم تجد انهُ « ملك العرب » [٧] وفي مخطوطة [٨] — من المخطوطات نعت بانهُ ملك العجم ، وفي مخطوطة نادرة كتبت قبل سنهِ ١٥٠٠ م يدعى بملك الهند [٩] — وهذا يدل على ان

---

(١) يقول الاستاذ هولميارد (Holmyard) « ان الراجح ان يكون جابر بن حيان قد ولد بطوس مسقط رأس الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور » . راجع مجلة Science Progress عدد شهر يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٢) قال الاستاذ هولميارد — « يقال ان معمل جابر بن حيان الكيماوي قد عثر به في اثناء الحفر في انقاض منازل بمدينة الكوفة منذ قرنين من الزمان» . راجع مجلة Science Progress عدد يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٣) يستدل على ذلك بانه اهدى اليهم كثيراً من كتبه المعروفة

(٤) يرجح كثيراً ان السبب في هذا الخطأ راجع الى تشابه في الاسم بين جابر بن حيان وجابر ابن افلح الاشبيلي الفلكي المعروف الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الخامس الهجري)

(٥) راجع ترجمة رسل — Russell — لمؤلفات جابر المطبوعة بالانكليزية في لندن سنة ١٦٧٨ م . حيث ذكر انه "the most famous Arabian prince & philosopher"

(٦) راجع النسخة المطبوعة من مؤلفات جابر في نورمبرج Nuremburg سنة ١٥٤١ م

(٧) في النسخة المطبوعة من مؤلفاته في « دانزج » Danzig سنة ١٨٤٢ م . ومن الغريب ان تطبع هذه النسخة في اواسط القرن التاسع عشر ويدعى فيها جابر بانه ملك العرب مع ان الاوربيين كانوا قد جاسوا خلال الشرق وكل كتب التراجم العربية المشهورة لا يخلو منها كتاب من ترجمة لجابر

(٨) Liber practicus Geberis de investigatione perfectai Majestrü في مكتبة بودلي با كسفورد

(٩) Liber qui Flos nautrarum vocatur, 1473. طبع سنة ١٤٧٣ .

الاوربيين حتى عهد قريب لم يحققوا شخصية جابر بن حيان ، وان كل علمهم بشخصه كان قاصراً على انهُ « شرقي » وان غالبهم كان يعتقد انهُ « عربي » ، في حين انهُ فارسي ينسب الى المدرسة الكيماوية العربية

***

و يستدل من التواريخ المحققة ان البرامكة ظلوا يمتعين بثقة هرون الرشيد سبعة عشر عاماً اي من سنة ٧٨٦ الى ٨٠٣ ميلادية (١٧٠ — ١٨٨ هـ) . فعلى هذا نستطيع ان نرجع بحياة جابر في عهد فتوته وشبابه الى تاريخ سابق على سنة ٧٦٥ م (١٤٨ هـ) وهي السنة التي توفي فيها جعفر الصادق ، وان عهد رجولته يقع في الربع الاخير من القرن الثامن الميلادي الى ما بين (٧٧٥ — ٨٠٠ م = ١٥٩ — ١٨٤ هـ) اما حجي خليفة في كتاب « كشف الظنون » فيقول بانهُ توفى سنة ١٦٠ هـ . اي ما بين سنتي ٧٧٦ و٧٧٧ ميلادية . غير ان هذا القول ظاهر الخطإ اذا راعينا الاعتبارات السابقة وذكرنا علاقة جابر بالبرامكة ، تلك العلاقة المحققة الوجود بكثير من المراجع التاريخية الثابتة

اما الجلدقي [1] فقد روى في كتابه « نهاية الطلب » كثيراً مما عانى كيماويو العرب لدى اول اشتغالهم بهذا العلم من الاضطهاد والمصاعب . وذكر عن جابر بن حيان انهُ خلص من الموت مراراً عديدة ، كما انهُ قاسى كثيراً من انتهاك الجهلاء لحرمته ومكانته ، وانهم كانوا يحسدون عليه علمهُ وفضلهُ ، وانهُ اضطر الى الافضاء ببعض اسرار الصناعة (اي الكيمياء) الى هرون الرشيد والى يحيى البرمكي وابنيه الفضل وجعفر ، وان ذلك هو السبب في غناهم وثروتهم . ولما ساورت الرشيد الشكوك في البرامكة وعرف ان غرضهم نقل الخلافة الى العلويين مستعينين على ذلك بمالهم وجاههم ، وقتلهم عن آخرهم ، اضطر جابر بن حيان ان يهرب الى الكوفة خوفاً على حياته [2] حيث ظل مختبئاً حتى ايام المأمون فظهر بعد احتجابه . وكل ما يهمنا في هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم وحجي خليفة انهُ توفي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ — ٧٧٧ م) . ولكن اذا صحت رواية الجلدقي فلا بد من ان يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل ، لان المأمون لم يرتق عرش الخلافة الا سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م . وهذه الروايات المتناقضة توسع مجالاً كبيراً للبحث والتأمل

---

(١) مؤلف واسع الاطلاع على تاريخ كيماويي العرب توفي سنة ١٣٦٠م ٧٦٢ هـ
(٢) لعل هذا هو السبب في نسبة الكوفة عند بعض المؤرخين

٣ — مؤلفاته

كان جابر بن حيان من اكثر العلماء كتابة وتأليفاً.اما قائمة كتبهِ الاصلية التي كانت بين يدي ابن النديم صاحب الفهرست فقد فقدت . وكذلك تجد ان القائمة التي ذكرها في الفهرست ناقصة لا يعتمد عليها كمرجع يصح ان يعتبر كاملاً . اما العلامة « فلوجل » — Flugel — الالماني فاعتمدعليهاواتخذها مرجعاً تاماً ،وكان ذلك من اكبر الاخطاء التي اعثورت بحثهُ في حياة جابر هو وتلاميذهُ الملتفون من حولهِ، الناحون في البحث نحوهُ [1] اما ترجمة « برتيلو » [2] لاسماء الكتب التي اخذها عن الفهرست لابن النديم فاكثرها غير صحيح ، وفي ذلك دلالة على انهُ لم يستطع ان يدرك معنى الاسماء ادراكاً تاماً ، وانهُ لم يحقق ما وقع فيها من التصحيف والخطأ النقلي

اما اذا اردنا ان نذكر كل مؤلفات جابر التي تناقلت اسماءها الالسن منسوبة اليهِ فان ذلك يشغل فراغاً كبيراً . ولكننا نذكر هنا اشهر كتبهِ المعروفة مقسمة الى اربعة اقسام — الاول— (ا) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والتي يوجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة الثاني (ب) كتبهُ المشهورة التي لم تعرف في العالم العربي الحديث وعرفت في اوربا—والثالث (ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهي اما معروفة بالاسم فقط واما موجودة بالفعل—والرابع (د) الكتب التي لم تعرف الأعناوينها

ولقد اجمع اكثر من وقفت على كتاباتهم في جابر على ان كتاب « السموم » من الكتب التي فقدت ولم يعرف منها الاّ اسمها،ولكن الحقيقة على الضد من ذلك كما سنرى بعد

***

(ا) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والتي يوجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة

(١) كتاب اسطقس الاس الاول نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢) كتاب اسطقس الاس الثاني نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ الجزء الثاني منهُ دون الاول

(٣) كتاب اسطقس الاس الثالث نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ و يظهر ان الجزء الثالث من هذا الكتاب هو المعروف عند صاحب الفهرست بكتاب الاسطقس

(١و٢) راجع الاستاذ هوليارد رئيس القسم العلمي في الجمعية الطبية الملكية بانجلترا من مقالات عن جابر بن حيان

(٤) كتاب تفسير الاسطقس. هذا يضاف الى الكتب الثلاثة المتقدمة ولم يذكره صاحب الفهرست

(٥) كتاب الواحد الاول منهُ نسخة بالقسم العربي من المكتبة الاهلية (Bibliothèque Nationale) بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦، ويرجح انهُ هو بعينه الكتاب الذي ذكرهُ صاحب الفهرست باسم كتاب الواحد الكبير

(٦) كتاب الواحد الثاني منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح انهُ المعروف عند ابن النديم باسم كتاب الواحد الصغير

(٧) كتاب الركن يرجح انهُ بعينهِ كتاب الاركان . وقد اخذت مقطوعات منهُ في القسم السابع من كتاب «رتبة الحاكم» للمجريطي، ويقول هولميارد بان كتاب رتبة الحاكم نسب خطأً الى المجريطي . وقد ذكر جابر نفسهُ كتاباً لهُ باسم كتاب الاركان الاربعة في كتابهِ «نار الحجر» اما المجريطي فهو ابو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي الذي عاش في مدينة مدريد في حكم الحكم الثاني (٩٦١ — ٩٧٦ م) درس الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء في الشرق وكان على صلة باخوان الصفا، ويظن انهُ كتب بعض فصول من رسائلهم المعروفة، بما في ذلك الفصل المكتوب في الكيمياء وقد اكثر من ذكرهم في كتابهِ رتبة الحاكم

(٨) كتاب البيان نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٩) كتاب النور نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(١٠) كتاب الزئبق . طبع برتيلو المؤلف الفرنسوي كتابين احدهما باسم كتاب الزئبق الشرقي والآخر باسم كتاب الزئبق العربي نقلهما عن مكتبة ليدن في القسم العربي مجموعة رقم ٤٤٠، ومنها نسختان بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(١١) كتاب الشعْر منهُ نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ نمرة ه

(١٢) كتاب التبويب منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦، وذكرهُ الطغرائي، راجع المجموعة رقم ٨٢٢٩ بالمتحف البريطاني

(١٣) كتاب الدرة المكنونة في المتحف البريطاني مخطوطة بهذا العنوان ضمن مؤلفات جابر بن حيان بالمجموعة رقم ٧٧٢٢

(١٤) و(١٥) كتاب الشمس، وكتاب القمر اي كتاب الذهب، وكتاب الفضة،

يرجح انهُ مختصر عن كتاب الاحجار السبعة وقد ذكرهُ الجلدقي في نهاية الطلب ، ومنهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(١٦) كتاب التراكيب منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح انهُ الذي ذكر في الفهرست باسم كتاب التراكيب

(١٧) كتاب الحيوان . يذكر الجلدقي كتاباً نسبة الى جابر بعنوان كتاب حياة الحيوان

(١٨) كتاب الاسرار . يرجح انهُ كتاب سر « الاسرار » المحفوظة منهُ نسخة بالتحف البريطاني (بالمجموعة رقم ١٣٤١٨ نمرة ١٤) وانهُ هو الذي ذكر منهُ الطغرائي عدة مقطوعات في عدة مواضع (راجع مجموعة المتحف البريطاني رقم ٨٢٢٩) وفي اللاتينية مخطوطة تنسب الى جابر عنوانها (Secreta secretorum) في كلية جوفنيل وكايوس Govnille & Cauis college رقم ١٨١ وفي كلية كوربس كرستي Corpus Christi كمبردج رقم ٩٩

(١٩) كتاب الارض. لجابر كتاب « ارض الاحجار » طبعه برتيلو مأخوذاً عن مجموعة ليدن رقم ٤٤٠ ومنهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(٢٠) كتاب التركيب الثاني منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(٢١) كتاب الخواص . منهُ نسخة بالتحف البريطاني رقم ٤٠٤١ وبالمجموعة رقم ٤١٩ ٢٣

(٢٢) كتاب التذكير . ترجم العلامة هوليارد اسم هذا الكتاب في الانجليزية (The book of rendernig Masculin) فهو اذن خاص بالبحث في عنصر الانتاج المعروف وليس بمأخوذ عن مجرد التذكر الذهني . وفي المتحف البريطاني مخطوطة بهذا العنوان مذكورة ضمن مؤلفات جابر بالمجموعة ٧٧٢٢ رقم ١٢

(٢٣) كتاب الاستمام . ذكر الطغرائي بعض مقطوعات صغيرة من هذا الكتاب (راجع محفوظات المتحف البريطاني رقم ٨٢٢٩) وكذلك ذكرهُ الجلدقي في كتابهِ نهاية الطلب . وهذا الكتاب يقابل اسم الكتاب المعروف في اللاتينية ومنسوب الى جابر بعنوان Liber de investigatione perfectioni

(٢٤) كتاب الاحجار نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢٥) كتاب الروضة . ذكرهُ الجلداقي في الجزء الثاني من كتابهِ نهاية الطلب

(٢٦) كتاب المنافع . في مكتبة برلين مخطوطة رقم ٤١٩٩ بعنوان كتاب منافع الاحجار

(٢٧) كتاب الايضاح نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢٨) كتاب مصححات افلاطون منهُ نسخة بالقسطنطينية بمكتبة راغب باشا مجموعة ٩٦ رقم ٤

(٢٩) كتاب الضمير منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة ٢٦٠٦ وذكرهُ الجلدقي في الجزء الثاني من نهاية الطلب باسم كتاب الضمير في خواص الاكسير

(٣٠) كتاب الموازين طبعهُ برتيلو مأخوذاً عن نسخة بليدن محفوظة بالمجموعة ٤٤٠ ويظن مستر هولميارد ان هذا الكتاب هو المعروف باسم Liber de ponderibisartis المحفوظة منهُ نسخة في مكتبة الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ في فهرست المكتبة

(٣١) كتاب الملك ذكر صاحب الفهرست ان جابر قد ذكر انهُ الف كتاباً باسم كتب الملك . وهذا يدل ان صح على ان الكتاب المذكور كان يتكون من عدة كتب جمعت تحت عنوان واحد . ومما يؤيد هذا الزعم ان برتيلو طبع كتاب الملك عن نسخة بليدن رقم ٤٤٠ في المجموعة العربية في حين توجد نسخة اخرى مختلفة عما طبع برتيلو في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ وهاتان النسختان مختلفتان عن نسخة من كتاب الملك نقلت بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ . ويرجح هولميارد ان هذا الكتاب نقل الى اللاتينية وذكرهُ بوريليوس Borellius راجع مخطوطات الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ وذكرهُ كاريني Carini ايضاً بعنوان Rivista sicula

(٣٢) كتاب الرياض . منهُ نسخة بمكتبة بودلي رقم ٧٠ واخرى بالمتحف البريطاني مجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥

اسمعيل مظهر

الطيران التجاري

في اوربا

اصبح الطيران التجاري في اوربا عملاً منتظماً وقد انتشرت فوق اوربا شبكة كبيرة من الخطوط الهوائية فينتقل بالطيارات الوف المسافرين وتنقل مقادير كبيرة من البضائع. ولولا مساعدة الحكومات للمهتمين بهذا العمل وتنظيمهِ لمات في مهدهِ ولما كان كما نراه اليوم زاهياً زاهراً

وقفت حكومات اوربا عام ١٩٢٠ امام امرين حقيقيين — اما ان تقف وقفة الناظر الى هذا العمل فيموت واما ان تمدّ اليهِ يدها فيحيا و يعيش فعضدت الامر الثاني وشجعت القائمين بهِ وامدتهم بالاموال فازدهى ونما وذلك لانها رأت في احيائهِ واسطة جديدة للدفاع عن بلادها ووسيلة فعالة لدرء الكوارث عنها لذلك لا تجد في اوربا كلها ولا في العالم باسرهِ خطًّا هوائيًّا تجاريًّا مستقلاً ينفق على تعزيزهِ من ارباحهِ وعوائدهِ الا خط الشركة الهولندية الذي يعتبر من اكثر الخطوط التجارية شغلاً واتقاناً يزيد دخله شيئًا قليلاً على نفقاتهِ

فشركات الطيران الانكليزية تتناول كل سنة من حكومتها مليون جنيه انكليزي والشركة الهولندية تتقاضى من حكومتها كل سنة ستة عشر الف جنيه انكليزي وقد تناولت شركات الطيران الافرنسية من حكومتها ما يقارب سبعة وسبعين مليون فرنك في السنة الماضية ولا يعلم بالتمام ما تتناولهُ الشركات الالمانية من حكومتها لتعزيز خطوطها

ولقد بلغ عدد الذين نُقلوا بالطيارات من محل الى آخر في اوربا سنة ١٩٢٤ تسعين الفًا وتضاعف عددهم سنة ١٩٢٥ اما مقدار الشحن والوسق فلا يوجد احصاء رسمي لهُ الاَّ انهُ في ازدياد مطّرد

واليك البيان الآتي عن الخطوط التجارية الهوائية في اوربا :

تقوم الطيارة الساعة التاسعة والنصف صباحًا من مطار تمبلدرف في برلين الى امستردام فتصلها الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ومنها اما ان تستأنف طيرانها الى لندن فتصلها الساعة السادسة والنصف مساء واما ان تتجه الى باريز فتبلغها الساعة السابعة مساء فتكون

المسافة بين برلين ولندن بالطيارة تسع ساعات و بينها و بين باريز تسع ساعات ونصف ساعة وتستغرق هذه السفرة بين برلين ولندن اثنتين وعشرين ساعة في اسرع قطار تجاري و بينها وبين باريز عشرين ساعة

وتترك الطيارة موسكو عاصمة السوفيات الساعة السابعة صباحاً فتصل الى كونجسبرغ الساعة السادسة مساءً ومنها يركب المسافر القطار السريع فيصل الى برلين في الصباح الثاني اي تستغرق السفرة بين عاصمة السوفيات و بين لندن و باريز ستًّا وثلاثين ساعة يقابلها ثلاثة ايام بالقطار الحديدي لو سار كل هذه المسافة بهِ

ولا تستغرق الرحلة من باريز الى ڤينا بالطيارة اكثر من نهار واحد ومنها اي من باريز الى بلغراد ست عشرة ساعة والى الاستانة اربعاً وعشرين ساعة اي ان السفرة من باريز الى الاستانة لا تستغرق اكثر من يوم كامل واذا لم تطر الطيارة ليلاً تناولت ثلاثة ايام مقابل خمسة ايام في القطار الحديدي

ثم ان هلسنغفور عاصمة فنلندا و كوبنهاغن وموسكو وورسو و پراغ وڤينا و بودابست و بلغراد والاستانة متصلة رأساً بالخطوط الهوائية مع برلين و باريز ولندن

ولفرنسا الآن المقام الثاني في الطيران التجاري ففيها تسعة خطوط — اثنان منها يسيران الى مستعمراتها الافريقية والباقية الى انحاء متعددة في اوربا . الأَّ ان الخط من باريز الى لندن اكثرها عملاً وحركةً و يستخدمهُ السياح الاميركيون كثيراً واجرة السفر فيهِ ستة جنيهات يتلوهُ في الشأن خط باريز — بروكسل — امستردام واجرة السفر فيهِ مثل اجرة الدرجة الاولى في السكة الحديدية

وهنالك خطان هوائيان يكادان يعادلان الخطين المذكورين آنفاً اهمية وشأناً — الاول يسير شرقاً من باريز الى زورخ فبراغ فورسو فجنوباً الى ڤينا و بودابست فبخارست فالاستانة فانقره . والثاني يسير من طولوز على الشاطئ الاسباني الى الدار البيضاء في افريقيا الى دكر في السنغال وخط من اليكانت في اسبانيا الى الجزائر وآخر من انتيبس الى تونس

و يعتبر مطارها الذين في اللابورجه على تسعة اميال عن باريز من ارقى المطارات الاوربية فهنالك البنايات الفخمة التي لا تحرق والنزل المتقنة وشعب البريد المنظمة والمحطات للارصاد الجوية ومن هذه المحطات يتناول الطيارون التقارير الرسمية عن الاحوال الجوية فيأخذون للامر اهبتهُ

ولالمانيا المركز الاول في عالم الطيران التجاري وهي وروسيا الدولتان الوحيدتان اللتان تسيّران خطوطاً رسمية الى مدنهما في الداخل والسبب في ذلك انصراف الدول عن التعاطي معهما واقامتها الصعوبات المتعددة بينها و بينهما

وتعتبر برلين اليوم نقطة مركزية في شبكة تجارية هوائية كبيرة تمتد منها الخطوط الهوائية الى كل مدينة كبيرة في ولايات المانيا والى ممالك البلطيق والشمال

تخرج من برلين ثماني عشرة طيارة للركاب كلّ يوم الى كونجسبرج ومنها الى موسكو فالمدن البلطيقية ريغا وريڤال وهلسنغفور ومن هذه المدن تمتد الخطوط الى درسدن التي ينتظر ان تتصل في القريب العاجل ببراغ والبلقان متى تم الاتفاق مع تشكوسلوڤاكيا . و يسير خط يوميّ الى ليبسك وستتغارت وسويسرا وتمتد خطوط غربية الى همبرغ و بريمن وامستردام حيث تتصل بالخطوط الممتدة الى لندن و باريز

وفي الجنوب تصل الخطوط الهوائية مونيخ وستتغارت وفرنكفورت وغيرها من المدن الكبيرة ببرلين وهمبرغ و بريمن وڤينا و بودابست وتمتد خطوط هوائية الى كوبنهاغن واستوكهلم وامستردام

وتمتاز المانيا عن غيرها بان لها خطوطاً تحمل بريدها ليلاً فتبرح الطيارة برلين الساعة العاشرة ليلاً فتصل مالو في اسوج صباحاً فينقل البريد الى القطار السريع في استوكهلم الساعة السابعة والنصف

وقد عززت المانيا مطاراتها الهوائية ومحلات النزول فيها. فمطار تمبلدروف في ضواحي برلين يعتبر من ارقى المطارات الاوربية ترتيباً وتنظيماً وتهيء المحطة العامة فيه للارصاد الجوية الخرائط المتقنة التي تنبئ عن الاحوال الجوية في اوربا كلها. وفي المطار ذاته مركز متقن للراديو متصل بكثير من المدن الكبيرة في اوربا كلها

وتضاء محطات النزول بين برلين وكوبنهاغن في الطيران الليلي

اما الخطوط النمساوية فتتمة للخطوط الافرنسية في شرقي اوربا وتتصل النمسا بواسطة الخطوط الافرنسية بزورخ وباريز ولندن في الغرب و بالبلقان و بالاستانة في الجنوب الشرقي و بخط آخر يمتدّ الى ورسو. اما اتصالها بالبلطيق فبواسطة خط بولوني يمرّ بورسو الى دنتزغ ومنها يتصل بالخط الالماني

و يصل خطٌ الماني ڤينا بمونيخ ومنها يتصل بالمدن الالمانية وبهولندا و بالبلاد السكانديناوية

اما روسيا فقد اضطرت ان تخطو خطوة كبيرة في هذا العمل بسبب رداءة سككها الحديدية وترامي اجزاء جمهوريتها المتسعة فهنالك الف ميل بين اركنجل في الشمال وباكو على بحر قزبين وستة آلاف بين موسكو وفلاديفستوك

ففيها خط يسير بين موسكو وكونجسبرغ فيتصل بالخطوط الالمانية وخطان آخران يسير الاول منهما الى الجنوب الى روستوف وتفليس وباكو والثاني يتجه من موسكو الى لننغراد وخط يسير شرقي الاورال وآخر يسير في سيبيريا . وتعدّ الحكومة الخطوط الجديدة لربط مدن سيبيريا الاوربية

اما هولندا فالخطوط فيها دولية بسبب صغر البلاد فتسير الخطوط المنظمة فيها الى بروكسل وباريز ولندن وكوبنهاغن وهمبرغ . وتسيّر الشركة الهولندية كل يوم خطين منتظمين الاول من امستردام الى روتردام وباريز والثاني من امستردام الى روتردام فلندن

ولامستردام اليوم مركز خطير في النقل والانتقال الجوي فهي فضلاً عن انها منتهى الخطوط الهوائية تعتبر ايضاً نقطة تحويل للخطوط الافرنسية والانكليزية والالمانية والسويسرية والدنماركية ومنها ايضاً يتفرق الركاب الى جهات اوربا المختلفة ويوزع البريد الى انحاء اوربا السحيقة كهلسنغفور وموسكو وورسو والاستانة .

اما حالة الطيران التجاري في بريطانيا العظمى فمختلفة تماماً عنها في الممالك التي ذكرناها اذ لا فرق يذكر في الوقت بين ما تقطعهُ البواخر في المياه والطيارات الطائرة في الجو فالسفر من لندن الى باريز في البحر وفي القطار يستغرق سبع ساعات وفي الجو حوالي ثلاث ساعات اما الخطوط الدولية المستعملة اليوم فتربط لندن بامستردام وباريز وزورخ وتفكّر الحكومة في تسيير الخطوط الهوائية المنظمة من بلادها الى مستعمراتها ومناطق نفوذها في الشرق الادنى .

اما دول اوربا الصغرى فبعضها لهُ خطوط خاصة بهِ والبعض الآخر يسعى لتأسيس خطوط هوائية جديدة

الخلاصة مما تقدم اولاً ان في اوربا اليوم خطوطاً هوائية تجارية تسير من بلاد الى بلاد ومن مدينة الى اخرى وان مقدار البضاعة المنقولة على ازدياد مطرد

ثانياً — لا يمكن تسيير الخطوط التجارية بدون مساعدة الحكومة المالية لان تسيير الشركات لها مستقلةً عاد عليها بالخسارة

بيروت نجيب نصّار



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

دروز حوران وابرهيم باشا

حضرة العلامتين صاحبي المقتطف الاغر

كتب الصديق المحقق سليمان بك ابو عز الدين روايات اخرى عن حوادث الدروز وابرهيم باشا المصري في مقتطف مارس الماضي (٦٨ : ٣١٦) ولكثرة الروايات التي دوّنها بعض من شهدها او سمع بها اختلفت الآراء واحتاجت الى التمحيص ولعلنا نقف على اوراق اخرى اصح رواية فنقول : (قطعت جهيزة قول كل خطيب) وهذا جوابي على كلامهِ اللطيف وحسن ظنهِ بي :

نزوح الدروز الى حوران — كثرت مواقع القيسيين واليمنيين في سورية ولبنان منقولة معهم من البلاد العربية وحوران وتأصلت جذورها بين السكان حتى حمي وطيس الحرب مراراً بين المتحزبين لها فوضعتُ مقالة مطولة في هذه الحروب واصلها وشعار المتحاربين وعلاماتهم وعاداتهم في حفلاتهم والويتهم والاسر المنتمية اليهم لا تزال مخطوطة

وجل ما عرفت عن المشايخ الحمدانيين ورفقائهم بني ابي فخر انهم هجروا لبنان قبل موقعة عين دارة سنة ١٧١١ لاسباب كثيرة اهمها

(اولاً) احرقت بلاد الغرب التي منها كفرا مراراً قبل موقعة عين دارة المذكورة لان اليمنيين اندحروا في موقعة الناعمة سنة ١٦١٦ وقتل منهم مائتا رجل ومن القيسيين ثلاثون واستولى الامير علي المعني القيسي على بيروت واحرق الغرب والجرد والمتن بعد نهبها وهدم حارتي خالهِ الامير محمد الارسلاني في الشويفات وعرامون الغرب حيث كانت

مقاطعة الشيخ مظفر العنداري اليمني وذلك اقتصاصاً من سكان هذه الاقطاعة الذين نهبوا الشوف واحرقوها في ايام احمد باشا الحافظ والي الشام كما في تواريخ لبنان المتداولة[1] فبالطبع احرقت كفرا لانها من الغرب

فهل يستطيع اليمنيون البقاء بعد هذا التنكيل في قراهم فلهذا ارتحلوا حسب عادتهم الى جهات دمشق والغوطة وامتدوا الى حوران ليبتعدوا عن القيسيين فمهدوا السبيل لمهاجرة اليمنيين الى تلك البلدان اليمنية . ولا تزال اسرة درزية الى يومنا في جرَمانا بضواحي دمشق تنتسب الى الامراء الارسلانيين ولكنها تركت الامارة وصارت كعامّة الناس

وسنة ١٦٦٠م قوي اليمنيون في لبنان وتولى زعماؤهم آل علم الدين الامراء التنوخيون الحكم واقتصوا من القيسيين فاحرقوا دور اللمعيين والخوازنة والحمادية والمعنية ومديريهم وقطعوا اشجارهم وعاثوا في تلك البلاد واخربوها [2] فعاد بالطبع الى لبنان بعض الفارّين واستعمروا بعض القرى او ابقوا فيها رجالهم ومريديهم

وسنة ١٦٦٦ حدثت موقعة برج بيروت في محلة الغلغول واستمرّ القتال بين القبيلين واحرقت قرى اليمنيين و بينها كفرا لانها في قلب الغرب[3] ففر اليمنيون كعادتهم الى ان عادوا سنة ١٦٩٧[1] الى بلادهم ولكنهم كانوا يخشون قطع خط الرجعة عليهم كما يقال فكان بعضهم يبقى خشية ان يفتك بهم خصومهم ولهذا كانت (كفرا) تعمر ثم تخرب . وسكانها مهاجرون عنها ورجالهم يستعمرونها وهكذا القرى اليمنية

ولهذا السبب يعدَّل القول بان نزوح الحمدانيين كان منذ قرنين ونصف او اكثر . فكلمة او اكثر تدل على زمن غير محدود وتحتمل ان تكون حساباً هجريّاً . و يكون الامراء التنوخيون القيسيون قد نكلوا بهم و ببلدتهم قبل سنة ١٦٣٣ التي انقرضوا بها .والقول هنا تقريبي اذ لا دليل راهن على صحة تعيين السنة

(ثانياً) لوكان المشايخ الحمدانيون في موقعة عين دارة لما سكت المؤرخون عنهم لانهم من رؤساء اليمنيين ولاسيما ان كثيرين من اولئك الزعماء ذُكروا ووصف المؤرخون طريقة الفتك بهم و بأحلافهم

---

(١) اخبار الاعيان للشدياق صفحة ٢٧٣ و٦٩٧ (٢) اخبار الاعيان أيضا ص ٣٤١
(٣) اخبار الاعيان ص ٣٤٢
(١) اخبار الاعيان ص ٣٥٩

فاحراق كفرا اذن الذي صدع بهِ المؤرخون في موقعة عين دارة ليس الاَّ استطراداً الى قرى الغرب وارهاباً لليمنيين الذين كان لهم فيها معتصم يلجأُون اليهِ عند استعادة حكمهم فمنعوهم عنهُ

حرب ابرهيم باشا — في المفكرات المخطوطة التي اعتمدت عليها ان الحرب نشبت في جبل الدروز في اواخر سنة ١٨٣٥ و بعد تسعة اشهر خمدت نيرانها فكان الجيش المصري يحتل مواقع حوران ببطء لان معظمهُ سار للحروب في جهات اخرى . و باضرام جبل الصفا جاره الثورة في اثناء ذلك دليل على عدم انتهاء الحرب حتى ٧ تموز سنة ١٨٣٨ فدخل ابرهيم باشا اللجأ ونظم شؤُونهُ وعاد الى دمشق . وقد استأصل شأفة الثورات في حوران

قواد الحملة المصرية — لافرق بين القول (محمد بك) والقول (محمد باشا) الاَّ باللقب . فهما واحد . أما طيفور بك فكان من قواد الحملة . ولعل احمد باشا ارفع رتبة منهُ . وقد سمّى الزجّال الدرزي الاثنين كما ذكر الاخ سليمان بك في مقالتهِ

قواد الدروز وعدد رجالهم — سقطت كلمات قبل ذكر قائدي جيش لبنان وهذا تصحيحها [(١)] « واشتد ازرهم بانكسار محاربيهم (ومعاضدة اخوانهم دروز لبنان) وكانوا يسيرون تحت راية الشيخين .. جنبلاط و .. العماد الخ » لان هذين القائدين حاربا في في وادي التيم وما اليها

أما عدد الدروز المحاربين فمختلف فيهِ والرواية التي دوّنتها هي من المفكرات التي اعتمدت عليها لانها لشاهد عياني . ولقد وقفت على مفكرات جديدة اصفها في فرصة أُخرى

تسليم شبلي العريان — هذه رواية جرجس ابي دبس من رجال ابرهيم باشا والامراء احلافهِ وقد شهد المواقع عياناً ودوّن أخبارها. وكيفما كان الحال بالتسليم فان حادثة امين شجرور مهّدت امرهُ وفي (المذكّرات التاريخية) التي نشرت اخيراً وارجح انها للمرحوم عبدالله بك نوفل الطرابلسي المعروف بالاول و بابي سليم روايات عيانية عن هذه الحروب وهي التي اشرت اليها في مقالتي انها ذيل تاريخ الخوري مخايل بريك [(٢)]

هذا ما أراهُ الآن وفوق كل ذي علم عليم والسلام

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) المقتطف مجلد ٦٧ ص ٥٠٠ سطر ١١ (٢) المقتطف (٦٨ : ١٥٩)

حول اسلوب الفكر العلمي

قرأت بكثير من الامعان والعجب معاً ذلك المقال الذي نشرهُ المقتطف في صدر باب المراسلة والمناظرة من العدد الماضي ، والذي تناول فيهِ كاتبهُ نقد مقالي اسلوب الفكر العلمي . ولست اعلم الى اي حد ذهب تأثير الفكرات التي اوردتها في ذلك المقال من نفسهِ ، غير ان الظاهر من اسطر مقالهِ ان الاثر كان بالغاً . على انهُ مهما كان يقيني فيما كتبت ثابتاً ، ومهما كان اعتقادي في صحة ما ارى في اسلوب الفكر العلمي عند العرب راسخاً ، فاني لا اتوقع مطلقاً ان اقنع بهِ رجالاً عكفوا على اساليب المدرسة القديمة

لقد وقف الفكر العربي عند حد النظر الغيبي المحسوس بشيء من الشك في حقيقة الاسباب التي كانت تعزى اليها الظاهرات ، وكذلك في مقدرة الفكر الانساني نفسهِ على معالجة مشكلات ما كان لنا ان نعيب عليهم انهم عجزوا عن حلها. ولكن نقرر و بكثير من الاقتناع ان طريقة نظرهم فيها لم تكن لتؤدي بهم الى الوصول الى حلها . افينكر ناقدنا مثلاً ان العرب قد بدأوا نظرهم العلمي والفلسفي من حيث نريد اليوم ان ننتهي ؟ أينكر انهم بدأوا بالنظر في الماهيات ابتغاء الوصول الى غايات الفلسفة والعلم وانهم اغفلوا النظر في الظاهرات (الاعراض) وتعليلها لينتهوا منها الى معرفة ما هي حقيقة الاشياء

نمضي قليلاً في المقارنة بين الاسلوبين ، الاسلوب الغيبي الذي عكف عليهِ العرب والمسلمون او كما شئت فادعهم ، والاسلوب اليقيني الذي وضعهُ باكون وجرت عليهِ الفلسفة في العصور الحديثة . خذ مثلاً موقف الاسلوبين ازاء الرياضيات . فان العرب كانوا يعتقدون كما اعتقد غيبيو الحكماء ، وعلى رأسهم افلاطون احد اساتذة العرب الاكرمين ، ان دراسة العدد ليس لها من فائدة عملية سوى رياضة العقل على البحث والاستبصار والوصول من طريق هذا البحث الى معرفة حقائق الموجودات وتجريد النفس من ادران المادة والتعالي بالفكر الى ما بعدها . بل انهم لم يجعلوا لدراسة علم الحساب او الهندسة من فائدة عملية ما او احراز كسب مادي في ضرب من ضروب المعاملات كالتجارة او الصناعة او الحاجيات الاولية التي تحتاج اليها الجماعات في العمران . تلك الحاجيات التي لولاها لما كان لدراسة هذه العلوم من وزن يذكر في كل عصور التاريخ . اما لورد باكون فقدر لهذه العلوم قدرها بما تنتج من المنافع المادية التي كان يعتقد الاقدمون انها مرض الانسانية العضال . وشأن العرب في الهندسة شأنهم في علم العدد . فقد

قالوا مجاراة لافلاطون او لمن وصلت اليهم كتبهُ من تلاميذهِ او المتخرجين في مذهبهِ، ان المشتغلين بعلم الهندسة يجب ان لا يتذرعوا بها لاحراز المنافع المادية والاَّ نَبَا بهم القصد عن إصابة الغاية منها ، لان اشتغال العقل بالماديات يصرفهُ عن ادراك كنه الموجودات اي ماهياتها او التوصل الى معرفة الحقيقة المحضة والخير المطلق . اما المحدثون اصحاب الاسلوب اليقيني فانهم قالوا بان الهندسة ليس لها من فائدة الاَّ بقدر ما تنتج من فائدة مادية في حياتنا العملية . ذلك في حين انهم لم ينكروا تأثير العلوم الرياضية على الآداب وضروب المعقولات بتة ، فوضعوا لأثرها حدوداً معينة ، إذ قالوا بان تأثير العلوم الرياضية من الوجهة المعنوية عرضيٌ صرف . وكذلك تجد ان الفرق بين الاسلوبين كبير لدى النظر في علم الفلك . فقد كان القدماء على الاخص المسلمون يعتقدون ان معرفة حركة الاجرام السماوية وكيفية هذه الحركة ليست بذات شأن كبير ولم يحثوا على الاشتغال بالفلك لما ينجم عنهُ من المنافع كمعرفة الفصول والمواقيت ، بل لما ينتج عنهُ من رياضة النفس على معرفة الحقائق المطلقة . اما الاسلوب الحديث فلهُ في علم الفلك مآرب اخرى مبناها المنفعة المادية المنحصرة في استكشاف المستحدثات

كتب ارسطوطاليس في علم الحيوان ولهُ مباحث عميقة في انقلابهِ الجنيني وكتب العرب ومنهم الجاحظ في كتابهِ الحيوان ، ومنهم الدميري في كتابهِ حياة الحيوان وداوود الانطاكي في كتابهِ التذكرة ، ومنهم القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات . فهل لناقدنا ان ينظر في هذه الكتب ويقارنها بكتاب ارسطوطاليس ، وكان من الواجب ان لا تغيب عنهم مفصلات ما كتب ، ليحكم بعد ذلك علينا اولنا ؟ وليسائل نفسهُ لماذا اصبح منطق ارسطوطاليس بين يدي العرب في المنزلة الاولى بعد القرآن ، كما كان بين يدي اليعاقبة والنساطرة في المنزلة الاولى بعد التوراة والانجيل ؟ هل ينكر أن السبب في هذا ان المنطق وعلى الاخص نواحيه الجدلية اكبر مرضٍ للعقل إذ يكب على الاسلوب الغيبي واكبر عونٍ لفلسفة الغيبيات في سبيل القضاء على الاسلوب اليقيني ؟

اما قاعدة جرب واحكم فليس العرب اول من وضعها ولا الاسلاميون اول من اعتنقها . فان ايبقورس وديمقريطس اول من عكف عليها في تاريخ الفلسفة على ما بلغ اليهِ علمي . وليظهر لنا ناقدنا اي باحث من الاسلاميين في الفلك لم يخلط الفلك بالتنجيم وكشف الطوالع ؟ واي كيماوي منهم لم يعكف على تحويل المعادن الى الذهب؟ وليبين لنا على اية قاعدة حاولوا ان يخرجوا بالعلوم التي ذاعت بينهم من حيز النظر الى حيز

التطبيق كما يدعى ؟ فلعلنا على جهل بهذا ، ولعلهُ يزيدنا من لدنهُ علماً

ليس من الصعب ان يتفوه المرء او يكتب كلمتي « جرب واحكم » . ولكن من الصعب ان يطبق هذه القاعدة . فلو ان في مجرد التفوه بشيءٍ مرقاة اليهِ ، لاصبح الكلام ثميناً ولاصبحت الكتب اعلى قيمة مما نرى ، ولكان الاجدر بها ان تكتنز وان تشرى باغلى الاثمان كما يقول تيوغينيس . ولكن الواقع نقيض ذلك . فان « جرب واحكم » شيء عرفهُ العرب عن اليونان . ولكنهم مع الاسف لم يتخذوا هذه القاعدة اساساً لابحاثهم العلمية . وقد يكون هناك شواذ غير ان هذه الشواذ لا حكم لها . ولكن استطيع ان اقول بكثير من التعيين ان لا شواذ ايضاً

الم يكتب الرازي في تحويل المعادن الى ذهب اشياء لا يقبلها العقل ولا التجربة ؟ الم يكتب جابر بن حيان كتاب اليدوح في طلسمات تسهل على الوالدات الوضع اذا تعذَّر عليهن ، وهما بعدُ اكبر من عرف العصرُ العربي من الكيماويين ؟ وهل من شيء في هذا العالم هو احوج الى التجربة والى التخلص من موحيات الاسلوب الغيبي من علم الكيمياء ؟ ولماذا اذهب بالناقد بعيداً . فما عليهِ الاَّ ان يقلب صفحات تاريخ الحكماء ، وهو من الكتب المعتمد عليها في تاريخ الفلك عند العرب بتحقيق العلامة نللينو ، ليرينا اي فلكي ممن ذكرهم لم يأتِ في اول ترجمتهِ انهُ « الحاسب المنجم » حتى اذا ما رجعت الى كتب « الحاسب المنجم » وقعت على اشياء هي ادنى الى زجر الطير وضرب الحصى ونعيب الغربان وضرب السقاء منها الى اي شيء في عالم المعرفة الانسانية

والظاهر من كل ما كتب الناقد انهُ اخطأ فهم ما نعني بالاسلوب العلمي اليقيني . فانهُ ترفق في النقد ولم تأخذهُ حدة اذ توسل ان نجعل العرب في اول مراقي الدرجة الثالثة اي الدرجة اليقينية من درجات كونت . ذلك لان الاسلوب العلمي فكرة او قاعدة يهتدي بها الانسان اذ يمضي باحثاً وراء الحقائق . انها ليست شخصاً ولا رمزاً ولا تمثالاً بل هي طابع تطبع بهِ المدنية ، ونحلة ينتحلها الفكر بحيث تصبح تلك النحلة عامة شاملة . فاذا فرض وظهر في العرب من جرب وحكم او اذا فرض وظهر فيهم من استكشف وقرر فانما ذلك عمل فردي ذاتي لا يدل مطلقاً على ان ذلك كان للمدنية طابعاً ، او كان للفكر العام نحلة وديدناً

وبعد . فلنرجع بهِ الى السيد جمال الدين الافغاني . فاننا على ما نحمل له في قلوبنا من الاحترام ، لانبرؤهُ من المكوف على الاسلوب الغيبي . وهل اثر ناقدنا ذكر رسالة

الرد على الدهريين ؟ هل اتاه ذكر ذلك النقد الذي وجه الى داروين ، معلم القرن التاسع عشر ، محاولاً ان ينقض مذهبهُ في النشوء ، فلم يجد من قول يدفع بهِ حقائق العلم الاَّ قولهُ ان مذهب داروين يفضي بالبرغوث لان يكون فيلاً وبالفيل لان يكون برغوثاً ؟ واذا سألتهُ لماذا اجابك لان لكليهما خرطوماً !!! ولا اذكر غير ذلك من تلك الرسالة على ما فيها من فاحش الخطإ وفاضح الخلط ، تاركاً لناقدي الحرية الكاملة في ان يقدر الى اية درجة من درجات قانون كونت يبلغ اسلوب الافغاني في تقرير حقائق العلم

اما الموسيقى فجائز ان تكون قد اصبحت علماً او فلسفة في العصر الحاضر . ولكنها لم تكن كذلك في زمان العرب . بل كانت مجرد فن لا غير . وهذا ليس ببعيد فان كثيراً من العلوم الحديثة لم تكن منذ زمان قصير الاَّ نظريات او مجرد فكرات ناحية الغيب فيها تربي على ناحية الشهادة

ولست أعرف من اي طريق تبادر الى ذهن الناقد أني اعيب على العرب او على الاسلاميين نقل النساطرة واليهود ووثنيي حران لمذاهب الفلسفة من قبلهم . أليس هذا ما يرويهِ التاريخ ؟ فلماذا يحمل كلامي على محمل النيل من العرب او الاسلاميين اذا انا قررت ما يرويهِ التاريخ ؟ وكذلك هو يقول — اصلحهُ الله — « وما الذي احتاج اليهِ الاسلام قرناً ونصف قبل الفلسفة » . كأنهُ يعتقد خطأ ان الفلسفة اليونانية لم تذع بين العرب الاَّ في العصر العباسي . وما احيلهُ على شيء يصلح بهِ خطأهُ الاَّ ان يقرأ تاريخ انفصال اليعاقبة والنساطرة عن الكنيسة الرومانية وشيئاً وجيزاً من اتصالهم بالشرق وعلى الاخص بالعراق وسورية ومصر وفارس قبل ظهور الاسلام ليعرف إن كان العرب قد عرفوا الفلسفة من العالم السرياني وهم بعد نصارى ويهود ووثنيين ، أم انهم لم يعرفوها الاَّ في العصر العباسي ؟

اما ذكر اللاهوت فالحق اني لم اقصد بهِ سوى ما يعنى من كلمة theology ولا اظن ان الناقد ينكر ان المسلمين قد امتازوا بكثرة المذاهب الثيولوجية ، وما ذلك عنهُ ببعيد . على ان في ردهِ لكثيراً من البعد عما اقصد من اصطلاح اللاهوت . فانهُ يتساءل كم مجمع اجتمع في الاسلام لتحرير مذهب أو بحث نظرية . كأنهُ يعتقد ان الفكرات اللاهوتية لا تقوم الاَّ حيث تكون مجامع كمجمع نيقية او أفسوس او خلقيدونية . وأظن انهُ كافٍ ان يتذكر ان مسألة خلق القرآن وقدمهِ قد استنفدت من جهود المسلمين بقدر ما استنفدت طبيعة المسيح من الجهد عند النصارى . واي كبير فرق بين مجمع افسوس

و بين مجالس المأمون التي كان يعقدها للبحث في مسألة القرآن وهل هو مخلوق ام قديم ؟ وأي كبير فرق بين طرد النساطرة من الكنيسة و بين جلد الامام احمد بن حنبل وسجنهِ واهانتهِ ازاء استمساكهِ برأيهِ في قدم القرآن ؟ و بعد . فليظهر لنا ما هو الاعتزال وما هي القدرية وما هي الجبرية وما هي المرجئة ومَن هم الاشاعرة ومَن هم السنيون ؟ وما هي بقية الفئات المعروفة ؟ إن لم تكن فئات قامت لتحرير مذهب او بحث نظرية ؟

وما اريد ان اذهب معهُ في البحث لاكثر من هذا. ولكن ذلك لا يحول دون ان اسألهُ متى وفي اي عصر ازالت مدنية الاسلام عن الامم الاسلامية فوارق العصبية ؟ نترك كل شيء آخر لنسألهُ هل ازالت مدنية الاسلام فوارق العصبية بين قبائل العرب في الاندلس وهي لم تطأ اسبانيا الاَّ وهي على خلاف، ولم تفارقها الاَّ وهي اشد خلافاً في سبيل السيادة والملك انتصاراً للعصبية مما وطأتها ؟ فاذا كانت الفوارق العصبية لم تزل من بين العرب انفسهم وهم بعد في غمرة من حروب الفرنجة ، فكيف بنا نعتقد ان فوارق العصبية قد زالت من بين الشعوب الاسلامية كما يدعي الناقد ؟

ذلك ما رأيت ان ابعث بهِ الى ناقدي على صفحات المقتطف لعلهُ لا يرمينا بعده بالتعصب للجديد لانهُ جديد ، ولا بالنيل من القديم لانهُ قديم ، ولكن هو الحق نسعى في سبيل الوصول اليهِ في هوادة وتريث ، لا في ثورة واعتساف والسلام

اسماعيل مظهر

نابليون والماسونية

حضرات الدكاترة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف المحترمين

تقولون في الجزء الاول من المجلد السادس والستين ان الماسونية دخلت القطر المصري سنة ١٧٩٧ حينما دخلها نبوليون الاول على رأس حملتهِ المشهورة فقد كان معهُ جماعة من الماسون اسسوا محفلاً ماسونياً دعوهُ محفل ايزيس « Isis » فهل كان نبوليون المشار اليهِ ماسونياً ؟ حتى يسمح لاعوانهِ الماسون ان يؤسسوا محفلاً ماسونياً — وما كانت افكارهُ وآراؤهُ نحو جماعة البنائين الاحرار مع العلم ان قرينتهُ الاولى الامبراطورة جوزفين كانت عضوة عاملة في المحافل النسائية الفرنساوية في باريس « La maçonnerie des dames » ونالت عدة اوسمة ودرجات ماسونية يليق بمقامها الامبراطوري

احد القراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اركان السعادة

للدكتور وليم سَدْلر

قال احد المتشائمين ان السعادة سراب يلمع بين فترتين من الشقاء. وارجح ان الرجل الذي قال هذا القول كان مصاباً بسوء الهضم ولا ارتاب مطلقاً في انهُ لو اعتنى بطعامهِ وصحتهِ لغيّر رأيهُ هذا في السعادة

ان مهنة الطبيب تسهل عليهِ الاحاطة بالعوامل التي تدفع بالناس الى احضان البؤس والشقاء وقد انقضى عليَّ عشرون سنة ادوّن في دفاتري ما اراهُ في الذين اعالجهم من اسباب السعادة او بواعث الشقاء واريد الآن ان اطلع قرائي على الامور التي احسبها اركاناً للسعادة فاذكر الامور الجوهرية واضرب صفحاً عن الامور العرضية او الكمالية . فبعض الناس يحسب وفرة الغنى مثلاً من الاركان وانا احسبها من الاعراض وازيد على ذلك فاقول ان وفرة المال تنقلب في كثير من الاحيان على صاحبها فلا تكون من مقوّمات السعادة بل تصير من مسببات الشقاء . وقد لخصت هذه الاركان في ستة بنود هي اولاً الصحة ثانياً العمل المناسب ثالثاً ضبط النفس رابعاً العشرة والصداقة خامساً الراحة سادساً التدين والفلسفة الروحية

✻ الصحة ✻ وضعت الصحة في مقدمتها لانني رأيت من الشقاء الذي سببهُ ضعف الصحة اكثر مما رأيت من اي سبب آخر . ولا يتسع المقام لديَّ اذا حاولت ان اصف كل ما عرفت من الحوادث التي تدور على اناس كان يملكون جميع مقومات السعادة من ثروة واصدقاء وعلم لكن كأس حياتهم كانت مترعة بالبؤس لضعف صحتهم . ولقد عرفت بين هؤُلاء كثيرين عادت البشاشة الى وجوههم والنور الى عيونهم ورفرفت السعادة فوقهم لما برئوا مما الم بهم من الادواء

عرفت رجلاً طموحاً الى العلى لا يحفل الاَّ بما ينيلهُ الاغراض التي يطمح اليها فكان لا يلتفت الى الانتظام في معيشتهِ لاهتمامهِ بعملهِ فلا يهمهُ سواء اكل في ساعات الاكل المعينة او لم يأكل وسواء نام او احيا الليل ساهراً ينظر في ما لديهِ من الاعمال . فكانت النتيجة انهُ اصيب بسوء الهضم والصداع والارق وزيادة ضغط الدم وهذه الامور ليست من مقوّمات الوجه الباش والمحيا الطلق بل على الضد من ذلك انها صيّرتهُ عصيَّ المزاج ينفجر بركان غضبهِ لاقل الاسباب دائم العبوسة مقطب الجبين لا يمضي عليهِ يوم الاَّ ويخالف مع شركائهِ في العمل ويفترق معهم على خصام . فجاء اليَّ يطلب المعونة والارشاد فنظرنا في حالتهِ مليًّا وحاولت ان اقنعهُ بان عملهُ اساء اليهِ اساءةً كبيرة وانهُ اذا شاء النهوض بنفسهِ وبعملهِ الى مستوى اعلى فما عليهِ الاَّ الاصغاء الى مشورة الطبيب والعمل بها . فوضعت لهُ لائحة تحتوي على ارشادات دقيقة فيما يتعلق بتنظيم طعامهِ ورياضتهِ الجسدية وراحتهِ من عناء الاعمال فلم تمضِ عليهِ سنة حتى عاد رجلاً طبيعيًّا ينام ملء جفونهِ لا تفارقهُ البشاشة والطلاقة وصار في امكانهِ ان يتعاون مع شركائهِ في العمل تعاوناً اكسبهُ محبتهم واحترامهم . فالسعادة حالة عقلية روحية في الغالب ولكن اصولها مستمدة من احوال الجسد الصحية

﴿ العمل المناسب ﴾ الصحة تستدعي العمل والعمل يجب ان يكون على قدر المستطاع حسب اختيار العامل يتفق مع ميلهِ الطبيعي لانهُ كلما زاد حبُّ الانسان لعملهِ وميلهُ اليهِ زادت مقدرتهُ على الاكباب عليهِ من غير ان يلحق بهِ اذى

عرفت سيدة بلت من الشقاء الواناً واشكالاً . كانت زوجة رجل غني وليس لها اولاد فلم تجد نفسها في حاجة الى الاهتمام بما يخفف قليلاً من لوعة وحدتها . مات زوجها فاساء شركاؤُهُ تدبير العمل فلم تشعر الاَّ وهي على شفا الفقر . واذا بالحاجة تلمس همتها الكامنة فتتقد فصارت تنهض كل يوم باكراً وتبادر الى المكتب تعمل فيهِ بهمة الرجال ولم يمضِ عليها سنة حتى صار تلمُّ بجميع احوالهِ وتمكنت بسعيها من نشلهِ من هوة الافلاس . ولما رأت ان العمل صارت على اساس متين نظرت الى حالة العمال فاهتمت بهم وابتكرت لها نظاماً لتوزيع بعض الارباح عليهم وهي الآن بين الناس الذين تحيط بهم هالة من السعادة والهناء ترأس شركة كبيرة فيها مئات العمال وكلهم سعيد

واذا ذكرت هذه السيدة ذكرت فتاة اتمت دروسها في احدى المدارس التجارية ثم استخدمت كاتبة في احد المحال لكنها لم تكن تسرُّ من عملها وجلُّ ما تكسبهُ كانت تنفقهُ في لوازم المعيشة الضرورية . مرضت في احد الايام فكنت اعودها وتحدث في

شتى المباحث الى ان افضت الي في احد الايام بكرهها للعمل الذي تعملهُ وكانت تحب الاطفال والحياة البيتية فاقترحتُ عليها ان تدرس ما يؤهلها لتكون مربية فسرّت بالاقتراح ولما شفيت اقترضت نقوداً من صديقة لها وتعلمت في مدرسة خاصة باعداد المربيات وهي الآن سعيدة بعملها يفيض من وجهها نور البشر والسرور

ولا بدَّ هنا من ذكر السؤال الذي يوجههُ كثيرون من اصحاب الاعمال الى اطبائهم وهو « انني اشعر بضعف عام في صحتي فهل تشير عليَّ باعتزال الاعمال والتزام جانب الراحة» .انا لا اعتقد ان رجلاً اعتاد العمل يستطيع ان يعتزلهُ اعتزالاً تامًّا ويبقى سعيداً

عرفت رجلاً من كبار اصحاب المصانع بدأ الحياة فقيراً فانشأ عملاً واسعاً جمع منهُ ثروة كبيرة . وكان قد وعد زوجتهُ لما كانا فقيرين انهُ اذا بلغ الخمسين ولديهِ من المال ما يكفيهما ليعيشا في سعة اعتزل الاعمال لكي يتمتعا بمسرات الحياة.فلما بلغ الخمسين كان قد جمع ثروة طائلة فاعتزل العمل وطاف حول الارض مع زوجتهِ مدة سنتين ولما عادا الى بيتهما عاشا نحو سنة اخرى عيشة الراحة التامة . ولم يطل على الزوج المطال حتى بدأ يتخيل انهُ مصاب بمختلف الادواء فصار يزور طبيبهُ بانتظام ليفحصهُ ويطلعهُ على احوال صحتهِ ولما لم يجد عند الاطباء قولاً يقنعهُ شرع ينتقل من مصح الى آخر . وانهُ لكذلك تعرفتُ بهِ فسرد لي تاريخهُ فاقنعتهُ ان داءهُ الوحيد هو البطالة وما زلت وراءهُ حتى حملتهُ على العودة الى العمل وبعد انقضاء اربعة اشهر فقط عاد الى حالتهِ الطبيعية في كل اطوارهِ وتصوراتهِ وصار بشوش الوجه طلق المحيا ولا اظنهُ الآن يعتزل الاعمال مرة اخرى مهما كانت الحال

على انهُ من الخطإِ البالغ ان يحسب احدٌ قضى سني شبابهِ وكهولتهِ في العمل انهُ يستطيع ان يسعد بالراحة التامة . لا شك ان الرجل متى تقدم في العمر يجب ان يخفف من شغلهِ ولا يجهد نفسهُ كأَنهُ في الثلاثين وان يقلل من اهتمامهِ بتفاصيل عملهِ ولكن عليهِ ان لا يترك العمل مطلقاً

﴿ ضبط النفس ﴾ حياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات من العواطف والرغبات والافكار المتضاربة . والمسأَلة التي يواجهها كل انسان في هذا العصر هي مسأَلة التوفيق بين هذه الحالات النفسية المتضاربة حتى يعيش بينها في طمأْنينة وسلام . والسبيل الى ذلك هو التمرن على ضبط النفس في كل الاحوال لان السعادة وان كانت تستمدُّ اصولها

من الاحوال الصحية الاَّ انها في الحقيقة حالة عقلية نفسية ومن اهم مقوماتها ضبط النفس

اذا شاء احد ان ينظر الى احوال معيشتهِ المادية والجسدية من وجهة خاصة بهِ لا تتفق في معظم الاحيان مع المتعارَف بين الناس رأى كثيراً مما لا يسرُّهُ. ولا اريد بذلك انهُ يجب على كل احد ان ينقاد انقياداً اعمى وراء الآخرين ولكن ارى ان العادات والتقاليد المرعية الجانب وضعت واستمرت سائدة لانها تكفي الجمهور كثيراً من التعب العقلي في علاقاتهم بعضهم مع بعض فاذا ثرنا عليها لم نجنِ من ثورتنا هذه الاَّ التعب والقلق

ولا بدَّ من الاشارة الى خطإٍ يقع فيهِ كثيرون ذلك انهم يخلطون بين حاجاتهم الحقيقية ومطالبهم التي قد تكون من الحاجات وقد لا تكون كذلك. فاذا اصرَّ احد الناس على ان يحسب كلَّ ما يطلبهُ من حاجاتهِ الحقيقية التي لا يستطيع التخلي عنها صادف في سبيل تحقيقها انواع الفشل والبؤْس

فاذا نظرنا الى حاجاتنا وجب ان نواجه الحقائق كما هي فلا نجعل الهم رائدنا ومتى واجهنا الحقائق وجب علينا ان نعزم عزماً جازماً فيما نريد ان نفعل من غير تردُّد فالتردد يسير مع الهم والخوف جنباً لجنب وهما من اضداد الفرح والهناء

ولا شك ان التمرين العقلي كالتمرين الجسدي يمكن الانسان الذي ينظم تمرينهُ من القيام باعمال عظيمة. يحاول احد الناس ان يرفع ثقلاً كبيراً فلا يستطيع في بادئ الامر ولكنهُ يمرّن عضلاتهِ شيئاً فشيئاً فتقوى يوماً بعد يوم حتى يستطيع رفع ذلك الثقل في نهاية شهر من التمرين المنتظم. كذلك في الامور العقلية والنفسية فاننا نستطيع ان نتمرن على ضبط النفس شيئاً فشيئاً في الامور الصغيرة فنستطيع ان نضبطها في الامور الكبيرة

﴿ العشرة والصداقة ﴾ الانسان اجتماعي بطبعهِ وما من انسان يستطيع ان يعيش منفرداً فالعيشة المنفردة تؤدي بالانسان الى النظر في نفسهِ والبحث عن نقائصها فيكشف ما فيها من مواطن الضعف فيحتقرها و يؤدي بهِ ذلك الى ان يصاب بالنورستينيا. ومن الامور غير المشهورة ان حوادث النورستينيا والانحطاط العصبي اكثر في الارياف منها في المدن وسبب ذلك طول ساعات العمل والعيشة المنفردة التي يعيشها الفلاحون

وارجح ان اكثر الناس يرون اعظم اركان السعادة في بيوتهم بين نسائهم واولادهم. فقد كنت اعرف صديقاً عزباً غريب الاطوار دائم الكآبة وكانت اكثر معيشتهِ على انفرادٍ يشكو دائماً صداعاً وآلاماً وهمية. ولما كان في الاربعين لقي فتاة في عمرهِ فاقترن

بها والحال زالت كآبتهُ ولم يعد يشعر بالآلام التي كان يشعر بها قبلاً ومنذ زمن قصير تبنى يتيمين واهتمامهُ بهما الآن و بتدبير مستقبلهما اترع كاس حياتهِ غبطة وسروراً

ومن هذا القبيل رجل كان كثير الاهتمام باموره الى حدّ غير طبيعي لا يعجبهُ عجب ويجد في كل شيء ما لا يسرهُ فحاولت ان اصرفهُ عن حالتهِ هذه على غير جدوى واخيراً اقنعتهُ بان يسافر حول الارض وان يكتب اليَّ مرة كل اسبوعين يطلعني على احوالهِ فوعد وبرَّ بوعدهِ وكانت كل رسائلهِ تنم على الوحشة التي يعانيها والكآبة التي تلازمهُ وما زالت رسائلهُ تضرب على هذا الوتر حتى وصل الى مصر فلقي فيها رجلاً يتفق معهُ ذوقاً ومشرباً والحال تغيرت رسائلهُ وصرت ارى من خلال سطورها ان روحاً جديدة دبت فيـهِ وبعد ما كان قد عزم على العودة الى اميركا لضجرهِ اتفق مع صديقهِ الجديد على ان يتما الرحلة حول الارض معاً

﴿ الراحة بالتغيير ﴾ ولا اريد بالراحة الانقطاع عن العمل بل اريد بها الاهتمام بعمل يختلف عن العمل العادي الذي يشغل اكثر ساعات النهار . ان سرعة الحياة في هذا العصر لا تدع لنا متسعاً من الوقت للاهتمام بالامور التي تجعل للحياة قيمة خاصة كالصداقة الصحيحة والحياة العائلية المنيئة وما اليها

ان مجرّد الفكر بان لديك متسعاً من الوقت للاهتمام بامور غير عملك العادي كافٍ لان يبعث في الحياة شعاعاً من النور . ولذلك ارى ان القول المأثور عن تقسيم اليوم الى ثلاثة اقسام ثماني ساعات للعمل وثماني ساعات للنوم وثماني ساعات للنزهة يجب ان يكون دستور كل طالبي السعادة في هذا العصر . فالفرص او الاجازات لازمة للصحة وهي في الوقت نفسهِ من اعظم مقومات السعادة .

النوم يريح الجسم من العمل ولكنهُ لا يريح العقل من الهم والعقل لا ينال من من الراحة نصيباً كافياً الاَّ بتغيير نوع العمل واذا كان ذلك في الهواء الطلق كان غاية في الفائدة الصحية والعقلية معاً

﴿ التدين والفلسفة الروحية ﴾ الانسان متدين بطبعهِ وهـذا التدين يسبغ عليهِ من الطمأنينة والثقة ما يجعلهُ سعيداً خالياً من الهمّ والخوف . والهم والخوف هما اساس لاكثر ما نراهُ من البؤس وعدم الهناء

وزد على ذلك فان التدين يفسح مجالاً لنمو بعض العواطف النبيلة كالاحترام والشكر والتواضع والكرم ومحبة الغير . وعلى المتدين ان لا يخلط بين السعادة الصحيحة الناجمة

عن كل ما تقدم والسعادة كما يفهمها البعض اي ارضاء الشهوات . إن المتدينين الذين يعرضون عن السعادة لانهم يحسبونها ارضاءً للشهوات يبعدون كثيراً عن الوصول الى غرض الدين الحقيقي

الجدري علاجه ومنعه

فشت في انحاء القطر المصري حوادث الجدري فرأينا ان نثبت خلاصة في هذا المرض واعراضهِ وكيفية علاجهِ ومنعهِ ملخصاً عن كتاب الباثولوجيا لاستاذنا الدكتور ڤان ديك وعن الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية وعما كتبناهُ في ترجمة جنر مكتشف تلقيح الجدري الواقي

الجدري في الانسان علة ناتجة عن سمٍّ مرضي خصوصي يدخل الجسم ويكمن فيهِ مدة ويكثر وهذه المدة سميت مدة الحضانة . ومتى انتهت وكثر السم المرضي في الجسد يحدث حمى من النوع المتفتر يعقبها نفاط على الجلد وبعض الاحيان يظهر هذا النفاط على سطح الاغشية المخاطية ايضاً ولهُ اربع درجات الاولى ذبابة ثم حويصلة ثم بثرة ثم جلبة اي قشرة البرء ويبقى في موضعهِ اثر دائم . وهذا المرض يسير سيراً محدوداً وفي الغالب يزيل قابلية المصاب للاصابة بهِ ثانية

وللجدري اربع درجات الاولى درجة الحضانة وهي الواقعة بين دخول جرثومة المرض الجسم وهجوم الحمى الاولى وهي في الغالب ١٢ يوماً ولكنها قد تختلف بين تسعة ايام وخمسة عشر يوماً

اما الدرجة الثانية فهي بين هجوم الحمى الاولى وظهور النفاط . فبعد مدة الحضانة المشار اليها آنفاً اي بين اليوم الثاني عشر واليوم الرابع عشر عقيب دخول العدوى الى الجسم يتحمُّ العليل حمى شديدة حتى لقد تبلغ حرارتهُ درجة ٤٠ بميزان سنتغراد او اكثر وفي اليوم الرابع بعد ابتداء هذه الحمى يظهر الجدري ونادراً يظهر في اليوم الثالث ونادراً يتأخر عن اليوم الرابع .وقد سميت الحمى الاولى تمييزاً لها عن الحمى التي تظهر عند بلوغ النفاط وقد دعيت الحمى الثانية . وهذه الحمى لا بدَّ منها وقد تشتدُّ حتى تميت العليل قبل ظهور الجدري اي قبل اليوم الرابع من ابتدائها . ويرافق الحمى سرعة النبض وعطش وامساك وصداع وقيء والم في الظهر

اما الدرجة الثالثة فتبتدئُ حين يظهر النفاط . واول ظهورهِ على الوجهِ والجبهة

والرسغين ثم على الجذع ثم على الاطراف بنحو يومين بعد ظهوره على الوجه . ولهُ سير محدود فيظهر اولاً على شكل حبوب صغار مثل لسعة البرغوث منفصلة لا يشعر بنتوءها عن سطح الجلد الاَّ قليلاً . وقد سميت النفاطة وهي كذلك ذبابة او نملة ومدتها بين ٢٤ ساعة و٤٨ ساعة ثم تصير الذبابة حويصلة فيصير فيها مادة مصلية صافية وهذه الدرجة تدوم اربعة ايام ثم تصير الحويصلة بثرة باكتساب ما فيها صفات الصديد شيئاً فشيئاً . وفي نحو اليوم الثامن من ظهور النفاط يظهر في رأس البثرة نقطة سمراء وعندها تنفجر البثرة فيخرج صديدها

والدرجة الرابعة من درجات المرض هي الحمى الثانية ذلك ان الحمى الاولى تهجع في الغالب عند ظهور النفاط في اليوم الثالث او الرابع فتعود الى الظهور عند انفجار البثرات. ويجمد الصديد الخارج من البثرة ويكوّن الجلبة اي القشرة التي تسقط بين اليوم الحادي عشر والخامس عشر

اما عدد البثرات فيختلف حسب شدة المرض وخفتهِ فقد تكون خمساً او ستًّا في كل الجسد وقد تبلغ الوفًا . وسواء كثرت ام قلّت فاكثرها على الوجه لنسبة مساحتهِ الى مساحة الجسد . وقد قال بعضهم انهُ اذا بلغ عدد النفاط في الجسد كلهِ ١٠ آلاف كان الفان منها في الوجه

فمرض الجدري من افتك الامراض فاذا لم يقتل من يصيبهُ تركهُ في الغالب اعمى او قبيح المنظر . وكان الناس في تركيا قد وجدوا بالاختبار انهم اذا تطعموا بصديد من مجدور جدريهُ خفيف اصابهم جدري خفيف وقاهم من الجدري الثقيل وتعلمت ذلك اللادي ماري ورتلي مونتاغو وهي في القسطنطينية واذاعت ما تعلمتهُ في بلاد الانكليز في خبر يطول ذكرناهُ بهِ في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر من المقتطف في مقالة موضوعها « تطعيم الجدري اكتشاف شرقي » . لكن هذا النوع من التطعيم لم يكن سليماً دائماً واذا سلم المطعم بهِ فقد يعدي غيرهُ بجدري مميت . ويقال ان فتاة حلابة سمعت اناساً يذكرون الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لانها عديت مرة بجدري البقر وكان ذلك على مسمع من الدكتور جنر فخطر لهُ ان جدري البقر قد يكون واقياً من الجدري الذي يصيب البشر واسلم عاقبة من التطعيم بالجدري نفسهِ . والمرجح ان كثيرين من الاطباء سمعوا ذلك قبلهُ وتحققوهُ ولكنهم لم يبنوا عليهِ بناءً مفيداً . وهنا تظهر مزية المكتشفين فانهم يرون ما لا يراهُ غيرهم ولو كان ظاهراً للعيان. وكأَنهُ فكر في الامر على

هذه الصورة فقال ان الذي يجدر مرة فلا يجدر مرة اخرى فالجدري يقي المجدور من الاصابة بهِ ثانية ولو كان جدر يهُ خفيفاً في المرة الاولى . وجدري البقر اخف وطأة من جدري البشر فاذا جعلنا الانسان يعدى بهِ كما تعدى الحلاَّبات فالجدري الذي يصيبهُ خفيف و يقيهِ من ان يعدى مرةً اخرى بجدري ثقيل . وللحال جعل يجرب ذلك وتجار بهُ الاولى بدأت سنة ١٧٩٦ ونشر اول رسالة في هذا الموضوع سنة ١٧٩٨ . ومن ثم شاع التطعيم للوقاية من الجدري وانتشر في المسكونة كلها كما ينتشر كل عمل مفيد ولو لم يُعلم الاساس العلمي الذي بنى عليهِ

ويجب ان يجعل العليل حين الاصابة في محل مهوي يُضبط عن كثرة الهواء اذا اقتضى الامر و يتهوى متى اقتضى و يدثر بما يمنع عنهُ حاسة البرد وتبدل ملابسهُ التحتانية يومياً و يتناول من الاطعمة المغذية السهلة الهضم مقادير كافية مقسمة على مدد معينة و يسقى من الاشربة المبردة مثل الحوامض النباتية وفي ابتداء المرض يعطى مسهلاً لطيفاً لتنظيف القناة الهضمية

والوقاية خير من الدواء وقد ثبت بالاختبار الطويل ان التطعيم المعروف الآن يقي من الاصابة بالجدري وتدوم الوقاية العمر كلهُ او بضع سنوات فقط ولذلك يحسن اعادة التطعيم مرةً او مرتين بعد بضع سنوات

حفظ البرتقال

لا بدَّ لحفظ البرتقال وكل الاثمار طريةً من امرين الاول ان تكون خالية من الرضّ لانها اذا رضت دخلتها مكروبات الفساد والاختيار في مكان الرضّ وهرَّأتها . والثاني ان يمنع تبخّر الماء منها والا جفت من نفسها . فاذا كان قشرها لا يمنع التبخر كقشر البرتقال فلا سبيل لحفظها الاَّ اذا دهن بمادة صمغية تسدُّ مسامهُ وتمنع تبخّر العصارة منهُ . واللف بالورق الصقيل يفيد بعض الفائدة ولاسيما اذا كان الاقليم رطباً غير جاف . اما الاقليم الجاف فتتبخر فيهِ عصارات الاثمار وتجفُّ ولو لفَّت بالورق

باب الزراعة

جوائز المعرض الذهبية

اشرنا في مقتطف ابريل انهُ اقيم في المعرض المصري الزراعي الصناعي لجان ترى المعروضات وتحكم في درجات جودتها ووعدنا ان ننشر قرار هذه اللجان او ننشر القسم الاول منهُ وانجازاً لذلك ننشر هنا اسماء الذين اقرت اللجان على اعطائهم المداليات الذهبية والذهبية الفضية والفضية

مدالية الشرف الذهبية الممتازة

عبد الفتاح اللوزي بك للمنسوجات · وفؤاد وامين الماوردي للموبليات . وس . سورناجا للطوب والقرميد والخزف

مدالية الشرف الذهبية

عبد الغني بك سليم عبده . ومحمد وعبد الفتاح الصافي للمنسوجات . ونستور جنا كليس للسجاير

المدالية الذهبية الممتازة

علي افندي حسن علي للادوات الطبية : وشركة الدفراوي و باباتيولوجو للسجاير · ومحمد مختار الجمال للزبدة والجبن . والمدبغة اليونانية (مفريللي) للجلود · وشركة الكاوتش الافريقية للكاوتش . وعبد الشافي عمر للخيام المنقوشة . والشيخ مصطفى عبد النبي للمنسوجات. وكنتوار ليون المان للسبائك الذهبية والفضية

المدالية الذهبية مع شهادة دبلوم

الشيخ محمود السيد بركات وعبد الحميد ماهر وعبد الرزاق حلمي للمنسوجات . وشركة السكر والتكرير للسكر

المدالية الذهبية

محمد سليمان البحيري واولاد احمد بك توكل للمنسوجات . والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحلج الاقطان · وشركة كتان صروف للكتان وحلجهِ . واخوات وسيلا

للتطريز . واصلان فيدون للملابس . وعبد الله محمد الخيمي للخيام المنقوشة . وعبد الله افندي مصطفى للسجاد . ومحمد عمر افندي للحصر . واحمد السيد النادي ومحمود واحمد حسنين ومحمد فهيم الجندي وعلي محمد الطرابيشي والمدرسة الالمامية وشركة ترقية التجارة المصرية (بالمنصورة) للمنسوجات . وملجأ الامير فاروق للمنسوجات وغيرها . ومحمود علي الصدفجي للتطعيم . ومدرسة السيدة هدى هانم شعراوي للخزف . والسيد فرج للاسرة وطلاء المعادن . وابراهيم مصطفى واحمد حسين جمال الدين للنحاس المنقوش . وطه محمد الحسيني للنحاس . وشركة ترام الرمل لمركبة مصنوعة بالاسكندرية . وعبد الرزاق بك نصير لنماذج العمارات . وجريدة السياسة نموذج لمنزل الفلاح · ومكالدوني سانتو لزخرفة المباني · وفيلدمان لارضيات خشب بدون لحام ، و ل . جوجانيان للحدادة . ولبيب وامين نسيم للالوان الطبيعية . ومحمد عبد الله الديب لاحذية السيدات ومحمد حافظ للاحذية . ومطبعة مصر للطباعة · وابراهيم لمعي افندي للحبر والصمغ وعمل الظروف . وارستون ونقولا اسباتس للمياه المعدنية . واحمد اسديه واولاده للحلويات والفطائر . وندلر اخوان للحلويات . وعبد المجيد الرمالي بك للخبز والبسكويت والبقسمات . والاستاذ فكتور روزتو لسينما الفلاح . وبرسيموي لفلم سينماتغراف في مصر . والشيخ احمد ابراهيم واخوه للطباشير والظهرة . ومعامل فؤاد سالم خليفه واسكندر حزبون للمستحضرات الطبية · ومحمود رياض كحيلة لحقائب جلدية . ومحمود وعلي واحمد الطويل لدباغة الجلود . وحسن خليل حسن لاطقم العربات . ومسيو جرنيه لتحضير بعض الاعطار . وحاجي باراسكي لخضروات محفوظة . ومحمد بدوي لحلويات ومكرونه . وشركة الزيوت المصرية (اجولين) للزيوت. وشركة الهواء السائل للهواء السائل المضغوط . ومانوسيان للسجاير . وشركة السباخ المصري للسماد العضوي . وشركة سالونيكا للسجاير . ومحمد السامي المغربي لخرائط وكتب. وبيرة الابراهيمية وكورن بروري للبيرة والعلف

المدالية الفضية الذهبية

هري كليجر للتريكو .وعبد الرحمن العجمي ومصطفى محمد عيد للمنسوجات .ونجيب افندي يعقوب وعبد الغني محمد موافي للمنسوجات والسجاد.وزبيده قصيري لصور بالابرة . ومشغل المرأة الجديدة لمجموعة معروضات . وشركة الملابس المصرية للملابس مجهزة . ورزق الله عوض لطرح تللي · ورزق الله جبران ومحمود محمد احمد المؤيد للسجاد . ومحمد ابراهيم عمران وابراهيم ابراهيم الفطراني لاكلة صوفية . وصادق افندي ابراهيم لنباتات

ليفية وشعرية . ودود القز . ومارنجاكس وزيو قوس للقرميد والفخار والخزف . واحمد يوسف الطويل لبلاط اسمنت · وا . روستنج للموازين . واسكندر سيوفي للموبيليات . ومحمود محمد علي المذهباتي للموبيليات الذهبية. وراشد مصطفى لموبيليات الخيزران.ومحمود علي لآلات طرب . وعياد جبره الرافعي لاشغال السن· واولاد يوسف عبد الواحد ونور وامين السرجاني لاشغال الصياغة · وعلي الحمزاوي للنحاس المنقوش . وزرايه سيكات لادوات نحاسية . ويوسف طاهر افندي لتماثيل وزخارف . وشاكر نحاس للغراء.وجميل زاده محمد علي للحلويات · والدكتوران عامر وحقي لروائح عطرية . وعبده محمد حجاب لصنع سيور جلد · وبتايوتي راميوني لجلود مدبوغة · وموريس زيدان وكيورك ايبكيان للسجاير . وستراك ميشيان لاسطوانات فوتوغراف . واحمد محمد نصار للزبدة والجبنة والقشطة

خيول المعرض المصري

عُرض في المعرض الزراعي الصناعي ١٣٣ من الخيول ٩٥ منها قُدّمت الى لجنة التحكيم و٣٨ لم تقدم لها وهي ١٩ من الجمعية الزراعية الملكية و١٩ من الحكومة المجرية فنال الجائزة الاولى من الخيول المعروضة للتحكيم ستة وهي حصان لعلي ابو جازية بك من خيل الغربية وحصان لصلاح الدين الشوار بي بك من خيل القليوبية وحصان لبشرى حنا بك من خيل المنيا وفرس للقائمقام صبري بك من افراس الوجه البحري وفرس للشيخ محمد منصور من افراس الجيزة وفرس لمرزا عبد الجواد بك من افراس الوجه القبلي . فنهنئ اصحاب هذه الخيول وعسى ان يزيدوا اهتماماً بتأصيل الخيل حتى تصير من الطبقة الاولى بين الخيول في هذا العصر

المعروضات الزراعية

عرضت في المعرض كل انواع الحاصلات الزراعية كالقطن والقمح والشعير والذرة والارز والفول والبرسيم وقصب السكر

وانواع الخضروات كالطماطم والكوسي والقنبيط والبطاطس والخيار والباميا والكرنب والباذنجان

وانواع الفاكهة كالموز والبرتقال واليوسفي والليمون الحلو والملح

وسنأتي في المقتطف التالي على اسماء الذين نالوا الجوائز الاولى لاجل ما عرضوهُ .

باب التقريظ والانتقاد

في الشعر الجاهلي

تأليف الدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية

الشك اول مراتب اليقين . ويقول الانكليز ما مفاده « ان الشك مع الاخلاص ايمان مضاعف » . نحن ابناء العربية اكثرنا مقيم في مصر والشام والعراق ولهذه البلدان عمران قديم يرجع الى ستة آلاف سنة او اكثر ولم تزل آثاره الفنية والادبية والعلمية ماثلة امام عيوننا منقوشة في الصخر ويشار اليه فيما كتبه مؤرخو اليونان والرومان منذ اكثر من الفي سنة فنتوق نفوسنا ان نرى مثله في تاريخ اللغة التي ورثناها وربينا فيها فلا نجد شيئاً من ذلك الا فيما وصل الينا من الشعر الجاهلي وهولا يبعد بنا الى اكثر من الف وخمسمائة سنة فمن يجسر ان يطعن في قدمه ويجرد ابناء العربية من ميراث يفاخرون به على قلته ولو جاء بعد مفاخر المصريين والاشوريين والفينيقيين بالوف من السنين . هذا الطعن بل الشك في نسبة الشعر الجاهلي خطر لنا منذ نحو ستين سنة حينما قرأنا قصة عنترة العبسي ثم تكرر مراراً بعد ذلك الى الصيف الماضي فتهيبناه . فهل اقدم عليه الدكتور طه حسين غير هيّاب ولا وجل

جاءنا كتابه ونحن على اهبة السفر لنقضي يومين في اطيان لنا وقد اصاب عنوانه غرضاً في النفس والمؤلف مدقق والكتاب صغير الحجم لا يتجنبه من سئم مطالعة الكتب فتأبطناه وقلنا خيراً وشرعنا نطالعه غير « ساخطين » ولا « مزورّين » لاننا كنا نبحث فيه عن الادلة التي استدل بها والاسانيد التي اعتمد عليها . تصفحنا المقدمة الى ان وصلنا الى قوله « ان الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهليًّا ليست من الجاهلية في شيء وانما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الاسلام ...واكادلا اشك في ان ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدًّا لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء » . فوقفنا وقفة المرتاب لانه اذا وجد شعر جاهلي صحيح فالمرجح انه يمثل حالة قائليه ويمثّهم لان الشعراء في البداوة يعبرون عمّا في نفوسهم ويصفون ما يحيط بهم وهذا نراه فعلاً في بعض الشعر الجاهلي ويراه المستشرقون الذين اطلعوا عليه حتى ليفضلوه على الشعر المصري من هذا القبيل

وبعد المقدمة دخل الاستاذ ميدان البحث دخول مبارز متخلياً عن كل ما يعوقهُ في بحثهِ فقال «يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخهِ ان ننسي قوميتنا وكل مشخصاتها وان ننسى ديننا وكل ما يتصل بهِ وان ننسي ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين يجب ان لا نتقيد بشيءٍ ولا نذعن لشيءٍ الاَّ منهاج البحث العلمي الصحيح ذلك انَّا اذا لم ننسَ قوميتنا وديننا وما يتصل بهما نضطر الى المحاباة وارضاء العواطف ونغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين»

وكل هذا الفصل المعنون «بمنهج البحث» عظة من المواعظ التي لا بدَّ من العمل بها اذا اردنا ان يكون لشرقنا حياة علمية

ثم فصَّل ما اجملهُ فيما تقدَّم وبيَّن ان لغة الشعر الذي وصل الينا لم تكن لغة كل قبائل العرب في الجاهلية . قال «ولكنك تقرأ هذه المطولات او المعلقات التي يتخذها انصار القديم نموذجاً للشعر الجاهلي الصحيح فترى ان فيها مطولة لامرىء القيس وهو من كندة اي من قحطان . واخرى لزهير واخرى لعنترة وثالثة لعبيد وكلهم من قيس . ثم قصيدة لطرفة وقصيدة لعمرو بن كلثوم وقصيدة للحارث بن حلزة وكلهم من ربيعة . تقرأ هذه القصائد السبع دون ان تشعر فيها بشيءٍ يشبه ان يكون اختلافاً في اللهجة او تباعداً في اللغة او تبايناً في مذهب الكلام . البحر العروضي هو هو وقواعد القافية هي هي والالفاظ مستعملة في معانيها كما تجدها عند شعراء المسلمين والمذهب الشعري هو هو . فنحن بين اثنين اما ان نؤمن بانهُ لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي . واما ان نعترف بان هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وانما حمل عليها حملاً بعد الاسلام ونحن الى الثانية اميل منا الى الاولى . فالبرهان القاطع على ان اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس الى عدنان وقحطان»

هذا ما قالهُ الاستاذ ولكنهُ لو انعم نظرهُ في اللهجات العربية الشائعة الآن في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى بل في القطر الواحد كما في الوجه القبلي والوجه البحري لترجح لهُ ان الاختلاف بينها لا يقل عما كان بين لهجات قبائل العرب ومع ذلك فالاشعار التي ينظمها شعراء هذه البلدان متماثلة لا يختلف بعضها عن بعض الاَّ كما يختلف شعر شاعرين من بلد واحد . ولكن اذا كان الاختلاف قائماً في نفس اللغة كما بين لغة حمير ولغة مضر تعذر ان يكون لهما نوع واحد من الشعر وان وجد شعر منسوب الى حمير وهو بلغة مضر فهو مصنوع ولو ترجيحاً

انتقل بعد ذلك الى اسباب انتحال الشعر فذكر اسباباً وجيهة جداً ونظن ان كل من يقرأ ما كتبهُ من الصفحة ٤٧ الى الصفحة ١٢٤ يترجح لهُ ان الشعر المنسوب الى الجاهلية مصنوع اكثرهُ او كلهُ

و بعد هذا الاجمال استطرد الى التفصيل فبدأ بذكر امرىء القيس المعدود اشعر شعراء العرب فمحاهُ من الوجود كشاعر وربما نفاهُ ايضاً كرجل مستدلاً على ذلك بادلة كثيرة كادت تقنعنا بصحة نفيهِ لولا انها ذكّرتنا بكتاب قرأناهُ في صبانا للدكتور هويتلي رئيس اساقفة دبلن وقد كان من اكبر علماء المنطق في البلاد الانكليزية فانهُ تألم من الذين انكروا صحة ما جاء في الانجيل عن السيد المسيح فألّف هذا الكتاب واقام فيهِ الادلة النقلية والعقلية على ان نبوليون بونابرت شخص وهمي لم يوجد. لكن اذا صحَّ ما نقلهُ صاحب «شعراء النصرانية» في ترجمة امرىء القيس وهو ان مؤرخي الروم ذكروهُ في تواريخهم فلا ينتفي وجود الرجل و يقصر النفي على نسبة الشعر اليهِ . ثم ان السر تشارلس ليَل ذكر امرىء القيس في المقدمة التي قدمها لديواني عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وذكر ما يروى من التجائهِ الى قيصر كانهُ امرٌ مقرر

وجاء في الانسكلو بيديا البريطانية المطبوعة سنة ١٩١١ في ترجمة امرىء القيس انهُ اخذ كتاب توصية من الحرث الغساني الى الامبراطور يوستنيانوس و بعد ان اقام مدة في القسطنطينية جُعل اميراً (فلوخرساً) على فلسطين وسيرهُ يوستنيانوس الثاني اليها بكتيبة من الجند . لكن كاتب هذه الترجمة لم يذكر السند الذي استند اليهِ

ومن الغريب ان ابا تمام لم يذكر امرىء القيس في حماستهِ مع انهُ كان في اوائل القرن الثالث الهجري فهل غفل عنهُ او كان شعرهُ لم يوضع الى ذلك الحين

ثم تناول عبيد بن الابرص فنفاهُ ايضاً واحتقر ما ينسب اليهِ من الشعر . مع ان السر تشارلس ليل وهو اكبر المستشرقين الانكليز طبع ديوان عبيد بن الابرص وديوان عامر بن الطفيل سنة ١٩١٣ عن نسخة كتبت في اوائل القرن الخامس الهجري بعد ان ترجمهما الى الانكليزية . وفي ديوان عبيد ثلاثون قصيدة عدا المقاطيع التي وجدها السر تشارلس واكثرها بدوي محض كالقصيدة السابعة والعشرين التي مطلعها

لمن الدار اقفرت بالجناب غير نؤيٍ ودمنة كالكتاب

واغفل ابو تمام شعر عبيد بن الابرص من حماستهِ وذكرهُ في شعرهِ ولكن الامام التبريزي استشهد بشعرهِ حيث قال

فان قتلتُ فلا تركب لثأرٍ بي وان مرضت فلا تحسبك عوّادي

فهل وضع شعرهُ بين زمن ابي تمام وزمن التبريزي . ولم نرَ هذا البيت في الديوان الذي نشرهُ السر تشارلس ليل

وانتقل الاستاذ طه حسين الى عمرو بن قميئة والمهلهل وجليلة امرأة اخيهِ فالحقهم بامرىء القيس وعبيد بن الابرص فلم نأسف الأ على جليلة فاننا نود ان تكون هي صاحبة الرثاء الذي نسب اليها

ثم اشار الى عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد والمتلمس . واعجبهُ شعر طرفة فوصفهُ احسن وصف وقال « لست ادري أهذا الشعر قد قالهُ طرفة ام قالهُ رجل آخر وانما الذي يعنيني هو انما هذا الشعر صحيح لا تكلّف فيهِ ولا انتحال . وختم الكتاب بالاشارة الى بحث آخر لعلهُ اصعب من البحث الذي طرقهُ الآن وهو كيف نشأ الشعر العربي. وعسى ان يجعلهُ موضوعاً لدروس اخرى يتحف بها تلاميذهُ وقراءهُ

وبعدُ فقد اشرنا في صدر هذه السطور الى امر تهيبناهُ ووعدنا بان نعود اليهِ فنقول جاءتنا مجلة الجمعية الاسيوية في يوليو الماضي وفيها مقالة ممتعة للمستشرق المحقق الدكتور مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفرد موضوعها « اصل الشعر العربي » وخلاصتها الشك في نسبة الشعر الجاهلي . وقد اقام على ذلك ادلة كثيرة اقواها اننا نرى ذكر الشعر والشعراء في آيات كثيرة من القرآن على اسلوب يظهر منهُ ان العرب كانوا يفهمون بالشعر غير ما نفهمهُ الآن اي ان شعرهم لم يكن الكلام الجاري على الصناعة الشعرية من بحور الشعر وقواعدهِ المعروفة عندنا فليس هو كالشعر المنسوب الى عرب الجاهلية

ومن هذا القبيل ورود كلمات وجمل ومعانٍ في الشعر الجاهلي واردة في القرآن دلالة على ان اصحابها اقتبسوها منهُ كقول عبيد بن الابرص

حلفت بالله ان الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

وقولهِ من يسأل الناس يحرموهُ وسائل الله لا يخيب

وقول ذي الاصبع

الله يعلمكم والله يعلمني والله يجزيكم عني ويجزيني

وقول جليلة اخت جساس

اني قاتلة مقتولة ولعلّ الله ان يرتاح لي

والاستشهاد بالله كقول الحرث بن عباد

لم اكن من جناتها علم الله وانّي بحرّها اليوم صالِ

وانهُ رب العالمين كقول الاسود

اقول لما اتاني هلك سيدنا لا يبعد الله رب الناس مسروقا

وفي سورة هود «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنتَ تعلمها انت ولا قومك من قبلُ» الآية .والاشارة هنا الى طوفان نوح.وفي سورة الشعراء « اني لكم رسول امين» ولكن جاء في الشعر المنسوب الى النابغة الذبياني ذكر نوح وذكر امانته ايضاً بقولهِ

فالفيت الامانة لم تخنها كذلك نوح لا يخونُ

وفي سورة الانفال «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» الآية وقال ذو الاصبع

فان ترد عرض الدنيا بمنقصتي فان ذلك مما ليس يشجيني

والمنتظر من شعراء الجاهلية ان يكثروا من ذكر معبوداتهم وألاَّ يحلفوا إلاَّ بها ولكننا نرى انها اذا ذكرت في اشعارهم ذكرت بشيءٍ من الامتهان كقول اعشى قيس

حلفت بالملح والرماد و بالعزّى و باللاتِ تسلم الحلَقه

وذكر الاستاذ مرغوليوث ادلة غير هذهِ وافاض في وصف ما فعلهُ الرواة من صنع الشعر وما جاهر بهِ النقّاد من ان اكثر الشعر المنسوب الى عرب الجاهلية مصنوع واستشهد بما قالوهُ في هذا الموضوع

هذا . ولنعد الى كتاب الاستاذ طه حسين فنقول ان ادلتهُ منطقية جلية تحمل قارئها على التسليم بصحة نتيجتها او على الاعتراف بقوتها . وقد جرى فيهِ على اسلوب محكم من البحث العلمي الصحيح الذي لا بدَّ منهُ اذا اردنا الوصول الى الحقائق . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً جدًّا في مطبعة دار الكتب المصرية

تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢

جاءنا تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢ ويقال فيهِ انهُ طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٩٢٦ ولا ندري لماذا تأخرت المطبعة الاميرية في طبع هذا التقرير او لماذا تأخرت مصلحة الصحة في اعدادهِ وارسالهِ اليها ليطبع.وقد اقتطفنا منهُ الفوائد التالية

اولاً ان نسبة المواليد بلغت ٤٣٫٢ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٤٢٫٣ في الالف

سنة ١٩٢١ فالزيادة نحو واحد في الالف . ونسبة الوفيات بلغت ٢٥٫٢ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٢٥٫٣ في الالف سنة ١٩٢١ ولكن العبرة ليس في ذلك بل في زيادة المواليد على الوفيات وهي ١٨ في الالف او واحد وثمانية اعشار في المائة وهذه زيادة نادرة جدًّا في المسكونة فقد كانت زيادة المواليد على الوفيات في انكلترا سنة ١٩٢٢ نحو ثمانية في الالف وفي فرنسا اقل من ستة في الالف وفي ايطاليا نحو ١٢ في الالف. فاذا استمرت زيادة السكان في القطر المصري على هذا المعدل وكان عددهم الآن ١٤ مليونًا بلغوا في عشرين سنة عشرين مليونًا

والزيادة في القاهرة	١٧	في الالف	في مديرية المنوفية	١٨٫٧	في الالف
وفي الاسكندرية	٢٢٫٥	« «	« « القليوبية	١٨٫٤	« «
وفي الاسمعيلية	٢١٫٥	« «	« « الشرقية	١٤٫٨	« «
وفي بورسعيد	٢٦٫٦	« «	في اسيوط	١٧٫٩	« «
وفي دمياط	٢٦	« «	« اسوان	١٦٫٢	« «
وفي السويس	١٥٫٨	« «	بني سويف	٢٢٫١	« «
وفي الصحراء الشرقية	٢٦٫١	« «	الفيوم	١٩٫٣	« «
« « الغربية	٦٩٫٨	« «	جرجا	١٧٫٧	« «
« « سينا	٥٠	« «	الجيزة	٢٢٫٨	« «
في مديرية البحيرة	١٤٫٤	« «	المنيا	١٦٫٦	« «
« « الدقهلية	٢٠٫٧	« «	قنا	١٧٫١	« «
« « الغربية	١٦٫٧	« «	ومتوسط القطر كله	١٨	« «

ومما يفيد الوقوف عليهِ في هذا التقرير الاختلاف الكبير في وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة بمدن القطر فان اقلها ٢٨٫٥ في الالف في طنطا واكثرها ٤٢٫٤ في الالف في المنيا . وفي اختلاف نسبة الوفيات من الاطفال ومن السكان كلهم باختلاف المدن والمديريات مجال للنظر ليعلم أهو من قلة الاطباء ام من نقص التعليم ام فساد الهواء ام ازدحام السكان . هذه مسألة يحسن بالباحثين في الاماكن التي تكثر فيها الوفيات ان يبحثوا عن اسبابها لتزال . والتقرير كبير مسهب وسنعود الى بعض فصولهِ ونستخرج منهُ ما يمكن استخراجهُ من العبر

الشوقيات

لقد رجونا مع غيرنا من ابناء العربية ان يُنشَر ما جادت بهِ قريحة امير الشعراء في كتاب واحد . فحقق الرجاء وصدر الجزء الاول من هذه النفائس وعليها شرح يفسر ما حسبهُ الناشر غامضاً من الفاظها ويبين ما اشارت اليهِ من المهام . وقد خدمها العلّامة المحقق الدكتور محمد حسين هيكل بمقدمة لم تبقِ لمقرّظ ما يقولهُ لانها احاطت بكل ما في الديوان من المعاني وما اكثرها . فان شوقي بك واسع الروية واسع الخيال انقادت المعاني الى قريحتهِ من تدين وتاريخ وسياسة وحماسة وفلسفة وزهد ووصف ومدح وغزل ونسيب . ففي كل قصيدة من قصائدهِ معانٍ مبتكرة وقضايا اثبتها الاختبار واخبار حققتها الايام وحكم جرت مجرى الامثال كأنهُ احاط بما في الكون ماضيهِ وحاضرهِ . روية واسعة ومبدأ فيّاض . ما كذلك عهدنا شعراء العربية في التوسع والاستقصاء حتى اننا لما قابلنا شعر المعري بشعر ملتن منذ اربعين سنة (مقتطف مايو سنة ١٨٨٦) انتهت بنا المقابلة الى ان قصائد ابي العلاء كادواح قائمة بنفسها مستقلة بغرسها . واما قصائد ملتن فكالمدن الكبيرة والبحار الواسعة والمكاتب الجامعة الى آخر ما ذكرناهُ هنالك.

ولم يزل هذا رأينا في التباين بين الشعر العربي والشعر الافرنجي او بين الشعر السامي والشعر الاريّ الى ان صدر هذا الجزء من الشوقيات مصدَّراً بالهمزية التي قالها شوقي بك في المؤتمر الشرقي بجنيفا سنة ١٨٩٤ وصفاً لكبار الحوادث التي حدثت في وادي النيل فاذا هي من نوع الشعر الذي امتاز بهِ الاريّون . حوادث تاريخية من عهد رعمسيس الى عصر الخديوي توفيق سردها والبسها من البيان حللاً سابغة وجارى بها المؤرخين من مدح وذم حسبما كان معروفاً واعتذر عن تعبُّد الاولين لغير الخالق بان عقولهم كانت في صباها الى ان جاء موسى وولد عيسى واجاد في وصف عيسى فقال

وُلد الرفقُ يوم مولد عيسى والمروءاتُ والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسـ ـري من الفجر في الوجود الضياء
تملأُ الأرض والعوالمَ نوراً فالثرى مائج بها وضّاء
لا وعيدٌ ، لاصولة ، لا انتقام لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملكٌ جاور الترابَ فلما ملَّ ناب عن التراب السماء

وأطاعه في الإله شيوخ خُشَّع خُضَّع لهُ ضعفاءُ
أذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء

والتدين جزء كبير من شعر شوقي على خلاف ما عليهِ كثيرون من نوابغ الشعراء كالمتنبي والمعري وان كان قد خص السيد المسيح بابيات هنا وهنالك فقد عقد للنبي محمد قصائد غراء حتى لقَّبهُ الدكتور هيكل بك شاعر الاسلام وعندنا انهُ شاعر الشرق والغرب شاعر الغرب في وصف ما حازهُ من الرقي المادي والادبي اغراء لابناء الشرق بهِ . وشاعر الشرق لانهُ بسط تاريخهُ ونشر آدابهُ واشاد بمفاخرهِ ولا سيما بمفاخر الاتراك وفعالهم في حروبهم فترى قصائدهُ فيهم تبث الحماسة في النفوس كأنهُ نبوليون يخطب في جنودهِ او هوميروس يصف ابطال بلادهِ . هاك بائيتهُ التي وصف بها الوقائع العثمانية اليونانية لا نظن ان احداً قرأ ما قالهُ عن القائد الباسل الحاج عبد الازل وفرسهِ الأ كرَّر تلاوتهُ مراراً بطرب وحماسة . واي كلام اوقع في النفوس من قولهِ بلسان عبد الازل وقد قيل لهُ ليترجل عن جوادهِ لانهُ عطب فقال

ذروني وشأني والوغى لا مباليًا الى الموت امشي ام الى الموت اركب

ثم استطرد الى الحكم والعبر وجوامع الكلم فقال

وما شهداء الحرب الأ عمادها وان شيد الاحياء فيها وطنبوا
مداد سجلِّ النصر فيها دماؤُهم وبالتبر من غالي ثراهم يترَّبُ

وهو يرقب الاتراك بعين الصديق الودود او العاشق الولهان يبتهج بفوزهم فيشيد بذكرهم ويحلهم اسمى محل في الخافقين واذا حسب انهم اخطأوا لجَّ في العتاب بل في النوح والرثاء وهو في ذلك لجوج ككل محب لا ينتظر العاقبة بل يتولاهُ الحاضر فيرهقهُ كما ترى في حائيتهِ في خلافة الاسلام حيث قال

ان الذين است جراحك حربهم قتلتكَ سلمهمو بغير جراحِ
هتكوا بايديهم ملاءة فخرهم موشيَّة بمواهب الفتاحِ

ثم احسن التعليل عن ملامتهِ واستطرد الى الوعظ والحكم فقال

استغفر الاخلاق لستُ بجاحد من كنتُ ادفع دونهُ والاحي
مالي اطوقهُ الملام وطالما قلدتهُ المأثور من امداحي
هو ركن مملكة وحائط دولة وقريع شهباء وكبش نطاحِ
أأقول من احيا الجماعة ملحد واقول من ردَّ الحقوق اباحي

الحق اولى من وليك حرمة واحق منك بنصرة وكفاحِ
فامدح على الحق الرجال ولمهمو او خلّ عنك مواقف النصّاحِ

وعسى ان يرى بعد هذه الملامة ما يستوجب المدح فيمدح كما رأى بعد عبد الحميد ما يستوجب اللوم فلام . ومما يجري هذا المجرى القصيدة التي عنّف بها رياض باشا سنة ١٩٠٤ ومطلعها

كبير السابقين من الكرامِ برغمي ان انالك بالملامِ
مقامك فوق ما زعموا ولكن رأيت الحق فوقك في المقامِ
احبتك البلاد طويل دهر وذا ثمن الولاء والاحترامِ
خفرت لها زماماً كنت فيهِ لعوباً بالحكومة والذمامِ

لكن نفسهُ الزكية وادبهُ الجم ابيا عليهِ ان يبقي في نفسهِ ضغينة فقال بعد سبع سنوات في رثائهِ (سنة ١٩١١)

ممات في المواكب ام حياةُ ونعش في المناكب ام عظات
وخطبك يا رياض ام الدواهي على انواعهـا والنازلات
يجل الخطب في رجل جليل وتكبر في الكبير النائبات
اجل حُملتَ على النعش المعالي ووسدتِ التراب المكرمات
اباالوطن الاسيف بكتك مصر كما بكت الاب الكهف البنات
قضيت لها الحقوق فتى وكهلاً ويوم كبرت وانخنت القناة
فكنت على حكومتها سراجاً اذا بسطت دجاها المشكلات
تسوس الامر لا يعطى نفاذاً عليك الآمرون ولا النهاة
صفات بلغتك ذرى المعالي كذلك ترفع الرجل الصفات

ثم اعتذر اعتذار كريم عما آخذهُ بهِ فقال

اخذتك في الحياة على هنات واي الناس ليس لهُ هنات

والمرثاة طويلة ملأت اربع صفحات من المقتطف وكلها غرر ودرر ومواعظ وحكم وحث على التيقظ والحيطة واخذ بالامور بالحزم

وقد لام لورد كرومر باشد مما لام رياض باشا ولو عرف من امرهِ ما نعرف وما كان يتمناهُ لمصر لاعتذر عن لومهِ ورثاهُ احسن رثاء على ما نرجح

وهو شديد الشعور قوي البداهة معرّض للتأثر بالمؤثرات فلا يستطيع التريث اذا رأى

ما يضرامتهُ ووطنهُ بل يندفع اندفاع السيل. ولولا ذلك ما كان شوقي بالشاعر الذي نعرفهُ

هذا اما شاعرية شوقي فقد اجمع الخافقان على انها في الاوج الاعلى فلا يستطيع وصفها الاَّ شاعر يدانيهِ . فنقف عند هذا الحد ونود ان يتمتع كل اديب ومتأدب بهذا الديوان . وحبذا لو رتَّب قصائدهُ حسب تواريخها لانها تاريخ لوطنهِ كما هي تاريخ لافكارهِ وآرائهِ

الموازنة بين الشعراء

وفيهِ ابحاث في اصول النقد واسرار البيان. للدكتور زكي مبارك

الذين قرأوا هذه الفصول وهي تنشر في المقتطم كما قرأناها رأوا فيها نوعاً من النقد لا يستطيعهُ الاَّ من كان مثل المؤلف شاعراً واسع الرواية دقيق الملاحظة . وودوا ان تطبع في كتاب على حدة لكي يسهل درسها والرجوع اليها فان فيها من الاحكام العقلية الدقيقة ما يستولي على العقل وتطرب لهُ النفس ومن تحليل الشعر ما يري القارئ شؤُوناً لم يكن يراها فيهِ .وقد قال المؤلف ان الادباء كانوا في مختلف العصور يهتمون بالموازنة بين مَن ينبغون من الشعراء في عصر واحد فوازنوا بين امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى في الجاهلية و بين جرير والفرزدق والاخطل في الدولة الاموية . و بين ابي نواس ومسلم بن الوليد وابي العتاهية . و بين ابن المعتز وابن الرومي . و بين ابي تمام والبحتري في الدولة العباسية » . وقد اطلعنا على بعض هذه الموازنات فلم نرَ فيها ما تفيد مطالعتهُ وترتاح النفس اليهِ كما رأينا في هذه الفصول كأَنَّ الاقدمين من اصحاب الموازنة لم يتصفوا بالاوصاف التي ذكرها المؤلف واشترط ان تكون في مَن يتصدر للموازنة بين الشعراء وهي« ان يصل الى درجة عليا من فهم الادب وان يصبح لهُ في النقد حاسَّة فنية تصرفهُ عند الحكم عن كل ما يفسدهُ من الاهواء والاغراض » . ثم فصَّل مرادهُ بهذه الصفات تفصيلاً يحسب من ابواب الفلسفة العقلية كتفصيلهِ الحاسة الفنية . و بعد ان اسهب في حقيقة النقد وشروطهِ وما يراد بالشعر والصور الشعرية واختلافها واختلاف المعاني والاغراض والتمثيل على ذلك كلهِ من اشعار العرب انتقل الى الموازنة بين بعض الشعراء الاقدمين والمحدثين فذكر اولاً الحصْري صاحب « يا ليل الصب متى غده » وشاعرنا شوقي صاحب « مضناك جفاهُ مرقدهُ » التي عارض بهما قصيدة «يا ليل الصب» بعد ان عرَّفنا من هو الحصري. ثم وازن بين البحتري وشوقي بعد ان اسهب

في ترجمة البحتري و بيئتهِ وفي وصف شوقي ايضاً وايَّدوصفهُ بوصف الاستاذ خليل مطران لهُ. ثم ربط وصف كلٍّ منهما بشعرهِ الى ان وصل الى سينية البحتري وسينية شوقي فجعلها محوراً للموازنة. وانتقل الى الموازنة بين شوقي والبوصيري وكاد يحصر الموازنة بين البردة و بين ميمية شوقي وفضل ميمية شوقي من كل وجه ·ولكن هل تشتهر اشتهار البردة ؟

و يلي ذلك فصل في الموازنة بين ابي نواس وابن دراج فيهِ لمحة من الادب الاندلسي و بها ختم الكتاب. ولا نظن ان اديباً من ابناء العربية يرضى ان لا يكون هذا الكتاب بين كتبهِ وفي ايادي اولادهِ وهو ٢٥٨ صفحة بقطع المقتطف وثمنهُ ١٥ غرشاً

مذكرة الجيب الهندسية

لواضعها ابرهيم افندي زكي المهندس

قرظنا هذه المذكرة حينما ظهرت في طبعتها الاولى في مقتطف ابريل سنة ١٩٠٤ وقلنا « لولم تكن فائدة هذا الكتاب محصورة في المهندسين لقلنا انهُ افيد كتب الشهر لانهُ لم يصل الى يدنا هذا الشهر كتاب يوازيهِ فائدة ولا رأينا منذ زمن طويل كتاباً تعب مؤلفهُ في جمعهِ وطبعهِ تعب مؤلف هذا الكتاب » والآن قد طبع طبعة ثالثة بحرف واضح

الدروس الزراعية

يسرّنا ما نراهُ من الاهتمام بالزراعة في ربوع الشام وتأليف الكتب القيمة فيها لان ثروة البلاد ومعيشة اهلها متوقفتان على الزراعة خاصة . وربوع الشام صالحة لكل انواع المزروعات لانها جامعة بين الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة من ساحل بحر الروم وغور الاردن الى جرود لبنان

الكتاب الذي امامنا الآن الفهُ السيد وصفي زكريا مدير المدارس الزراعية السابق في سورية وفلسطين وقد جمع فيهِ خلاصة النظريات الفنية في علم النبات والكيميا الزراعية والظواهر الجوية والزراعة العامة والخاصة والصناعات الزراعية كتربية دود الحرير والنحل والمواشي والاقتصاد الزراعي وقد اوضحهُ بكثير من الصور . وعسى ان يضاف الى كل مدرسة من المدارس التي تعلم علم الزراعة حقل واسع يقرن التلامذة فيهِ العلم بالعمل فاذا درسوا هذا الكتاب وعملوا بايديهم في تطبيق قواعدهِ فالغالب انهم يتعشقون الزراعة ومن ذلك اكبر فائدة لهم ولبلادهم

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر اخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) قوة البصر والسن

باربرتن اوهيو باميركا . الخواجه جرجس طنوس . سمعتُ ان من كان بصرهُ قصيراً وهو شاب يبقى على حالتهِ الى ان يبلغ من العمر اربعين سنة وحينئذٍ يبتدئ بصرهُ يطول بالتدريج الى السبعين فهل هذا صحيح

ج . ان من كان بصرهُ قصيراً (ميوب) وهو شاب فالغالب ان بصرهُ يطول متى فات سن الكهولة ولكن ابتداء طولهِ غير مقيد بسن الاربعين والغالب انهُ يكون بعد الخمسين او الستين. ولقصر البصر وطولهِ درجات كثيرة وفواعل عديدة يعسر حصرها فكاتب هذه السطور كان بصرهُ قصيراً ولم يبتدئ يطول الاَّ بعد ما ناهز الستين ولا يزال يقرأ الخط الدقيق من غير نظارات (عوينات) و يعرف رجالاً اصغر منهُ سنًّا كانوا قصار البصر مثلهُ وهم لا يستطيعون قراءة المقتطف الآن من غير نظارات محدبة تكبر الحروف

(٢) اسباب طول العمر

ومنهُ . هل لطول عمر الانسان وقصرهِ علاقة بالوراثة من الوالدين او ان للمعيشة والوقاية الاهمية الكبرى

ج . لكل هذه المذكورات شأن كبير في طول العمر وقصرهِ . ولكن لا يعلم كم نصيب كلٍّ منها وانما يعلم مثلاً ان التدابير الصحية العمومية والاعتماد على الاطباء في معالجة الامراض وقلة التعرُّض للآفات كل ذلك زاد متوسط عمر الانسان من نحو ٢٠ سنة الى اكثر من خمسين سنة . مثال ذلك انهُ منذ اربعين سنة كان متوسط الوفيات السنوي في القاهرة نحو خمسين في الالف اي كان متوسط العمر نحو عشرين سنة فقط لكثرة وفيات الاطفال بنوع خاص . والآن صار متوسط الوفيات السنوي فيها نحو ٣٤ في الالف اي صار متوسط عمر الانسان نحو ٣٠ سنة . وكان متوسط الوفيات السنوي في الاسكندرية منذ اربعين سنةٍ نحو خمسين في الالف فصار

الآن ٢٧ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان فيها ٢٠ سنة فاصبح ٣٦ سنة . ولم يقع تغيير مهم في المدينتين الاَّ في التدابير الصحية

(٣) العطش والغدة النخامية

فول رڤر مستشوستس. الخواجه نجيب مسوح . رجل عمرهُ ٣٨ سنة صناعتهُ دهَّان عمل اخيراً في دهان بيت من الخارج ووجد مشقة في ذلك ولم يشرب ماء النهار كلهُ فعطش شديداً ومن ذلك الحين اخذ يطلب الماء بكثرة حتى بلغ ما يشربهُ في اليوم سبعة جالونات (٥٦ رطلاً مصريًّا) ومع ذلك يبقى شاعراً بالعطش. ورآهُ كثيرون من الاطباء ولم ينل منهم نفعاً . وكل ما يشكو منهُ هو العطش وهو غير مصاب بالداء السكري فهل لكم ان ترشدونا الى علاج لهُ

ج . لم نرَ في كل ما لدينا من الكتب الطبية اشارة الى هذا العطش الاَّ في داء السكر (الديابطس) ولكننا رأينا منذ ايام قليلة في مجلة علمية ان حالة مثل هذه تحدث اذا وقع خلل في الغدة النخامية Pituitary gland على ما نتذكر فاستشيروا جراحاً ماهراً واذكروا لهُ امر الغدة النخامية لعلهُ يستطيع مداواة العلة واخبرونا بالنتيجة

(٤) حقيقة الماسونية

شطره بالعراق . احمد الحاج حسن زو يلف . ما هي الماسونية وهل هي جمعية دينية او جمعية سياسية وما هي مبادئها ومقاصدها

ج . هي جمعية تعاون لا تتعرض للدين ولا للسياسة ولذلك ينتظم فيها الناس من كل الاديان فيبقى كلٌّ منهم في دينهِ كأنهُ لم ينتظم فيها فترى بين اعضائها الربانين والقسوس والمشايخ كما ترى العلماء والتجار والمؤلفين . ولا تتعرض للسياسة فترى بين اعضائها اكثر الملوك والوزراء من كل البلدان . وغايتها التعاون على ما يفيد اعضاءها و يفيد سائر بني الانسان والحث على مكارم الاخلاق فاذا وقع احد اعضائها في ضيق وابدى اشارة ورآها احد من اعضاء الجمعية الماسونية بادر الى معونتهِ. وهي تهتم باختيار اعضائها من فضلاء الانام وتبقي اشاراتها سرية حتى لا يستعملها اناس لاخلاق لهم فيفسدوا عليها عملها . ولما كان اكثر اعضائها من المتعلمين المتهذبين الذين لا يتسلط عليهم التدجيل شنأها بعض المتجرين بهِ و بعض رجال الاديان الذين توهموا انها مضادة لدينهم . هذا وغنيٌّ عن البيان ان الماسون غير معصومين في انتقاء الاعضاء ولكنهم يبذلون جهدهم لكي لا يُخدَعوا ولا الماسونية تكفل تغيير الاخلاق الفطرية ولكنها تسعى الى ذلك جهدها بالبحث والمفاشرة

(٥) طبائع الافاعي والحواة

النطون بنسلفانيا بالولايات المتحدة . الخواجه ليان ليوني قرأت ما كتبتموهُ عن طبائع الافاعي الكبيرة في مقتطف مارس مجلد ٦٨ صفحة ٣٠٦ حيث قلتم انهُ «ليس في مقدرة انسان سواء كان رجلاً او امرأة ما يمكّنهُ من التأثير في الافاعي فيجعلها تنقاد لهُ صاغرة» مع اننا نظرنا مراراً كثيرة بعض المشايخ والمغاربة يجولون في انحاء سورية ويأمرون اشرّ الحيات بالخروج من تحت الردم ومن داخل البيت فتنقاد اليهم صاغرة وتخرج طائعة . و بعضهم يأمر الحية بالوقوف فتقف امامهم لا تتحرك . فكيف يفعلون ذلك

ج . ان الذي رأيتموهُ رآهُ البعض من اكبر علماء علم الحيوان وصدقوهُ . ورأيناهُ نحن في بيتنا وكان معنا الدكتور شبلي شميل فاستدعينا حاوياً فدخل مكتبتنا واستخرج افعى من تحت مائدة فيها فقلنا لهُ انها كانت في ثيابهِ وقد اوهمنا بانهُ استخرجها من تحت المائدة فخلع ثيابهُ كلها وهي وسخة قذرة واخرج افعى ثانية من زاوية المكتبة وثالثة من زاوية اخرى ففتحنا كتاباً كبيراً واوهمناهُ اننا نسحرهُ ونضرهُ ان لم يخبرنا بحقيقة ما فعل لان ليس في بيتنا افاعي وان اخبرنا بحقيقة ما فعل فاننا نعطيهِ ريالاً فشرح لنا كيف فعل فان الافاعي الثلاث كانت في كيس معهُ وكان قد خلع انيابها واستعملها لتضليل الناس بها طلباً للرزق وانهُ لما وضع يدهُ تحت المائدة احتال بخفة واخرج احدى الافاعي من كيسهِ واوهمنا انهُ اخرجها من تحت المائدة ولما خلع ثيابهُ جمعها كلها ووضعها على كتفهِ وكيس الافاعي فيها ولما كان ينحني ليخرج الافعى من زاوية الغرفة كانت ثيابهُ تقع بانحنائهِ فيردها الى كتفيهِ وفي الوقت نفسهِ يخرج افعى من الكيس ويرينا كأنهُ اخرجها من زاوية الغرفة . واعاد العمل امامنا بالتأني من اولهِ الى آخرهِ واخذ الريال وهو مسرور بالنجاة من سحرنا . ومثل ذلك يفعل كل الحواة . اما وقوف الحية او وقوف رأسها بعنقهِ وجانب من بدنها فتجدون تعليلهُ بعد في السطر التالي لما نقلتموهُ عن المقتطف حيث قلنا « والعامل الوحيد الذي يمكّن بعض الناس من التسلط على الافاعي قائم في معاملتها بالحسنى وتعويدها ذلك » والافعى ليست اشرس من الاسد ولكن الاسد يذلل ويُعلَّم حتى يصير كالكلب . وقد رأينا رجلاً علَّم البراغيث ان تجر مركبات صغيرة

(٦) الروح ومذهب النشوء

دمشق . السيد فؤاد شباط قلتم في الجزء الرابع من المجلد ١٦٨ صفحة ٤١٥ ان بعض العلماء مثل ولسن ومكدوغل ودو يتش لا يسلمون بان الجزء الروحي في الانسان نشأ

من الحيوان كما نشأ جسمهُ فكيف يفسرون اذاً اضافة هذا الجزء الروحي الى جسم الانسان

ج . يمكن تفسير ذلك بما قالهُ السر اوليفر لدج في خطبة هكسلي التي القاها حديثاً وهو ان مذهب النشوء لا يضاد مذهب الخلق ولا يخالفهُ بل هو اسلوب من اساليب الخلق وان الخالق الذي خلق المادة الحيَّة وضع فيها القدرة للنشوء المتدرج وهو يضع الجزء الروحي في الانسان الذي هو احد نتائج النشوء . وقد نترجم خطبتهُ او نلخصها في جزء تالٍ

(٧) اول مستنبط للاتوموبيل

غرزوز بلبنان . الخواجه اميل وهبه عازار . قرأنا في الجزء الرابع من المجلد السادس والستين عن هنري فورد ومعاملهِ الشهيرة فهل هو اول مخترع للسيارة اي الاوتوموبيل التي تسير بالبخار والتي تسير بالبنزين او من هو مخترعها الاول وفي اية سنة كان ذلك

ج . في الاتوموبيل مآت من الاجزاء المهمة وهي ليست من اختراع رجل واحد ولا اخترعت في سنة واحدة ولا يزال الاختراع مستمراً فيهِ . اما اول من صنع مركبة تسير بالبخار فهو رتشرد ترفثك وذلك سنة ١٨٠٢ واول من استعمل البنزين او الجزء الخفيف من البترول فهو غتلب ديملر وذلك ١٨٨٥ ثم استخدمهُ المسيو لفسور لتسيير المركبات سنة ١٨٨٧. ومن ثم الى سنة ١٨٩٦ اهتم الفرنسويون بتحسين السيارات حتى لما زرنا معرض باريس سنة ١٩٠٠ وجدنا فيهِ عشرات منها وهي من انواع مختلفة

(٨) تاريخ اليانصيب واساليبه

زنجبار . السيد راتب بن احمد بن راشد . مَن اول من عمل اليانصيب ولماذا ومتى كان ذلك وما صورة اخراج النمر الرابحة من جملة آلاف

ج . اليانصيب او الاقتراع قديم جداً فقد ذُكر في المزمور الثاني والعشرين وكان ذلك قبل المسيح باكثر من الف سنة وابتدأ عند الرومان منذ عهد قديم وكانوا يستعملونهُ في عيد زحل وفي الولائم للفكاهة فيلقون قرعة ينال فيها بعضهم شيئاً ثميناً حسب قرعتهِ وبعضهم شيئاً بخساً فقد ينال الواحد كأساً من الذهب وينال الآخر ذبابة . واستمر ذلك في الولائم والمواسم الى الآن . ثم استعملت بعض الدول الحديثة اسلوب القرعة لجمع المال وجاراها بعض البنوك والجمعيات الخيرية . والمرجح الآن ان ضرر هذا النوع من اليانصيب اكبر من نفعهِ . والطريقة فيهِ ان تكتب الاعداد من واحد الى اكبر عدد يدخل في القرعة على اوراق كل عدد على ورقة ولنفرض انهُ يراد القاء

قرعة بين عشرة آلاف على عشرة آلاف نمرة فتكتب الاعداد من واحد الى عشرة آلاف على عشرة آلاف ورقة صغيرة متماثلة وتلف كل ورقة على حدة وتوضع كلها في وعاء كالبرميل ويدار على محورهِ حتى تختلط بعضها ببعض ثم يمدُّ ولد يدهُ من باب صغير في البرميل ويخرج ورقة فيكون الربح لصاحب العدد الذي فيها

(٩) الاسنان الصناعية

ومنهُ. من المعلوم ان الاسنان الصناعية تصنع من الذهب او الفضة او من معدن آخر او من العظم فاي المعادن احسن واسلم من غيرهِ

ج. اذا كانت من المعدن فالذهب افضلها والاَّ فتصنع من مادة تشبه العظم الصلب لا من العظم نفسهِ وهي حينئذٍ مثل الاسنان الطبيعية من كل وجه

(١٠) لون الفجل

اسكلة طرابلس. الخواجه انطونيوس مكربل. اذا غيَّر الفجل لونهُ وصار ابيض فماذا اصنع لهُ حتى يرجع احمر كما كان

ج. ان كنتم تقصدون ان تقلعوا الفجل الابيض وتصبغوهُ بلون احمر فصبغهُ كذلك سهل بمادة من نوع اللعل او بكل صباغ احمر من نوع الاليزارين. واذا كنتم تقصدون ان تزرعوا بزر الفجل الابيض وتريدون ان ينمو احمر فنظن ان ذلك محتمل باذابة الاليزارين الاحمر في الماء الذي تسقى بهِ ارض الفجل واسهل منهُ زرع بزر الفجل الاحمر فينمو منهُ فجل احمر. فالفجل المصري ابيض ولكننا جلبنا بزر فجل احمر من سورية وزرعناهُ هنا فنبت منهُ فجل احمر ومن المحتمل انهُ اذا تكرر زرعهُ سنة بعد سنة قل احمرارهُ رويداً رويداً وصار ابيض كالفجل المصري فاذا اريد ان يكون احمر فلا اسهل من جلب بزر جديد. ولا نتذكر ان احداً بحث عن المادة التي تجعل الفجل احمر القشرة ولكن يحتمل انها شيء من املاح الحديد والحديد قليل في تربة القطر المصري

(١١) سبب الغطيط

الفيوم. مستفهم لماذا يغط بعض الناس في نومهم

ج. لانهم يفتحون افواههم وهم نيام إمَّا لانهم اعتادوا ذلك او لسبب حمى او زكام او نمو بلبوس في الانف

ومنهُ. لي صديق يبلغ الخامسة والثلاثين اعتاد ان ينام نوماً هادئاً خفيفاً توقظهُ اقل حركة غير انهُ منذ ايام بدأ يغط في نومهِ بصوت مرتفع فهل لذلك علاج

ج. اذا نام الانسان وفمهُ مطبق وتنفس من انفهِ لم يسمع لهُ غطيط فاذا كان الغطيط حادثاً في صديقك فلا بدَّ لهُ من سبب مثل الزكام او الحمى او نمو بلبوس في داخل انفهِ

يجعل التنفس منهُ صعباً فيضطر ان يفتح فاهُ حينما يتنفس وهو نائم. ونزع البلبوس سهل يفعلهُ الاطباءُ

(١٢) الفرق بين المغنطيسية والكهربائية

المنصورة. لبيب افندي مينا. ما الفرق بين المغنطيسية والكهربائية

ج. هما من قبيل واحد والمظنون الآن ان الكهارب السلبية التي تدور حول نواة الجوهر الفرد الايجابية في دوائرها الاهليلجية يحيد بعضها عن مداره فتنقلب كهربائية الجوهر من الموازنة الى الايجابية او السلبية فان كان ذلك في الحديد او النكل وامثالها ظهر بالصورة التي نسميها مغنطيسية وان كان في الزجاج او الراتينج وامثالها ظهر بالصورة التي نسميها كهربائية. والحديد الممغنط يجذب الحديد ولا يجذب القش مثلاً والزجاج المكهرب يجذب القش ولا يجذب الحديد ولكن الكهربائية تجعل الحديد مغنطيساً والمغنطيسية تحول الى كهربائية

(١٣) شيوع القبعة

ومنهُ هل كان لبس القبعة خاصاً بدولة ما واذا كان كذلك فكيف عمَّ جميع اوربا واميركا ولماذا لم ينتشر في الشرق كما انتشر في الغرب

ج. ان القبعة الشائعة الآن في اوربا واميركا مأخوذة اصلاً من البقاسوس التي كانت مستعملة في بلاد اليونان منذ اكثر من الفين وخمسمائة سنة اذ قد جاء ذكرها في اشعار هوميروس وهي غطاءٌ للراس لهُ بروز على دائرهِ يظلل الوجه والعنق من الشمس وقد تنوعت كثيراً على مر العصور. والصينيون والكوريون يلبسون على رؤُوسهم شيئاً مثلها ويظهر من بعض النقوش الاشورية ان الاسرى الذين اسرتهم اشور من فلسطين منذ نحو ثلاثة آلاف سنة كانوا يلبسون البرانيط والظاهر ان سكان البلاد الحارة كبلاد العرب لا يكتفون بما يظلل الوجه والعنق بل وضعوا على رؤُوسهم العمامة التي تقي الرأس من حر الشمس ثم استعملوا الكوفية التي تقي الرأس والعنق والوجه والكتفين. وما نراهُ الآن من اشكال برانيط الرجال والنساء في اوربا حديث جداً سببهُ ان الذين يصنعون هذه البرانيط ويتجرون بها يغيرون اشكالها بين يوم وآخر اما الشرقيون فالفوا الاحتفاظ بالقديم

(١٤) توليد الاحياء

كلفلند اوهايو باميركا. الخواجه عبد الله جورج عبود بينما كنت اطالع عدداً من جريدة تصدر في هذه المدينة استلفت نظري كلام عن رجل اسمهُ مازورا قيل انهُ صنع اجساماً حية وقد ارسلت اليكم القطعة من تلك الجريدة التي فيها صورتهُ وصورة ما صنعهُ فهل تظنون ان دعواهُ صحيحة

ج. وصلت القطعة وفيها صورتهُ

وصورة نوع من الاميبا التي يقال انهُ صنعها وصورة حلزونة (بزاقة) تسعى وهي بحجمها الطبيعي يدعي انهُ خلقها . اما عمل اجسام تشبهُ الاميبا وهي ابسط انواع الاحياء فمحتمل فان البعض صنعوا اجساماً مثلها ولكنها لا تولِّد غيرها كالاميبا الطبيعية. واما عمل حلزونة تسعى كالحلزون الطبيعي الحي فينقضهُ كل ما هو معروف علميًّا حتى الآن



مقتطف مايو

افتتحنا مقتطف هذا الشهر بمقالة علمية بسيطة التناول بسطنا فيها اشهر الآراء في تعليل فلسفة الشم وفيها صورتان صورة لخلايا الشم واخرى لباطن الانف وفي اعلاهُ هذه الخلايا

ويلي ذلك مقالة مسهبة عنوانها الصحافة الشرقية في نصف قرن اي في عهد المقتطف لخليل بك ثابت وهو من اعرف الكتاب بهذا الموضوع لانهُ عالج الصحافة في جميع مناحيها منذ اول القرن العشرين

وبعدها كلام على الشعرى والنجم التابع لها الذي ظهر ان كثافتهُ نحو سبعة آلاف ضعف كثافة الحديد وحرارتهُ نحو ٨٠٠٠ درجة بميزان سنتغراد . وفيها صورة بقعة من السماء يظهر فيها هذا النجم وغيرهُ

ثم كلام على الحيوانات اللبونة واقدم آثارها التي وجدت في صحراء غوبي بمنغوليا وجدتها البعثة الاميركية التي كانت تبحث عن بيوض الدينوسورس. وقد نشرنا صورة هيكل حيوان لبون متحجر وصور بعض بيوض الدينوسورس المتحجرة التي عثر عليها هناك

ثم تتمة الكلام على «الحرب الكبرى ومن المسئول عنها» وفيها خلاصة المكاتبات والمحادثات التي دارت بين ملتكي وكنراد رئيسي اركان الحرب في المانيا والنمسا

فالجانب الاخير من «اسلوب المؤرخين العرب في كتابة التاريخ» للاديب المحقق انيس افندي زكريا النصولي مدرس التاريخ في دار العلوم ببغداد

ويليهِ كلام على نهوض رضا خان شاه ايران والاعمال العظيمة التي عملها لما كان في الجيش وبعدما تقلد رآسة الوزارة قبل اختيارهِ لاعتلاء العرش

ثم تتمة قصة «الشيخ مرعي صبيح» وهي

القصة المصرية التي انشأها الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي

وبعدها كلام على قيمة البحث العلمي وهل تجب مكافأة العلماء وما هو السبيل الى ذلك

ويليهِ فصل من كتاب حاضر العالم الاسلامي الذي وضعهُ الدكتور ستدرد الاميركي وترجمهُ الاديب عجاج نويهض. وهذا الفصل يدور على اثر التعليم الغربي في البلدان الشرقية وفيهِ صورة المستشرق قمبيري

ثم ترجمة الخطبة التهذيبية البليغة التي خطبها اللورد لويد المندوب السامي في كلية فكتوريا بالاسكندرية

وبعدها بيان باشهر الهبات الاميركية واسماء اصحابها والاغراض التي وهبت لها يثبت منهُ ان قيمة الهبات الاميركية بلغ نحو ٥٠٠ مليون جنيه ينفق ريعها في مختلف الاغراض العمرانية

ثم بحث علمي جديد في مميزات الدم وتقسيم لشعوب الارض حسب هذه المميزات وفيهِ خريطة يظهر فيها تفرق الشعوب حسب هذه المميزات

ويليهِ مقالة للدكتور احمد ضيف في النثر المصري في القرن التاسع عشر والصفات التي اتصف بها واسماء اشهر الكتّاب

وبعدهُ بحث ممتع في سيرة جابر بن حيان الكيماوي العربي المشهور ووصف مؤلفاتهِ ونسخها الاصلية والمترجمة واماكن وجودها لاسماعيل بك مظهر

ثم كلام على الطيران التجاري في اوربا يظهر منهُ ان اكبر مدن اوربا متصل بعضها ببعض بخطوط هوائية منتظمة العمل.

والمقالة لنجيب افندي نصار احد المدرسين في جامعة بيروت الاميركية نقلاً عن الانكليزية

وابواب المقتطف كعادتها حافلة بالمقالات والشذور. نلفت النظر الى باب التقريظ والانتقاد منها ففيهِ كلام مسهب على «الشوقيات» وهي الجزء الاول من ديوان احمد شوقي بك الذي ظهر حديثاً. وبحث في الشعر الجاهلي على ذكر كتاب الدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية. وفي باب تدبير المنزل مقالة لطبيب اميركي مشهور عنوانها «اركان السعادة»

اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٥	٥	١٣ صباحاً
الهلال	١٢	٠	٥٥ »
الربع الاول	١٩	٧	٤٨ »
البدر	٢٧	١	٤٩ مساء
الحضيض	٧	٧	٤٣ صباحاً
الاوج	٩	٧	٤٨ مساء

السيارات في مايو

عطارد . كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخرهِ
الزهرة . كوكب صباح
المريخ . يشرق الساعة الواحدة والنصف صباحاً
المشتري . يشرق نحو الساعة الواحدة صباحاً
زحل . يشاهد اثناء الليل

استاذ العربية في جامعة كمبردج

يتذكر قراء المقتطف اسم الدكتور نكلصن مؤلف تاريخ الآداب العربية وقد الفهُ وهو استاذ اللغة الفارسية في كلية لندن الجامعة وكنا نحسب من مطالعة كتابهِ انهُ لا يحسن العربية لاننا لم نرَ انهُ نظم ما فيهِ من الاشعار عن اصلها العربي ولكن يظهر الآن انهُ من اساتذة العربية اذ قد اختير استاذاً لها في جامعة كمبردج

واستاذية اللغة العربية في كمبردج قديمة جداً يظهر مما جاء في مجلة الدسكفري عنها انها انشئت سنة ١٥٤٠ اي منذ ٣٨٦ سنة . وكان الغرض من انشائها على ما يظهر من كتاب أُرسل الى السر توماس ادمس سنة ١٦٣٢ ترقية الآداب السامية بالاطلاع على المعارف التي كانت لا تزال محفوظة في خزانة اللغة العربية وخدمة الملك والبلاد بالمتاجرة مع الامم الشرقية . والاستاذ نكلصن شاعر مجيد باللغة الانكليزية كما يظهر من ترجمتهِ لكثير من الاشعار في كتابهِ تاريخ الآداب العربية وعسى ان يرى كتاب الاستاذ طه حسين في الشعر الجاهلي ويعيد طبع كتابهِ في تاريخ الآداب العربية بعد ان يتوسع فيهِ ويطبع الاشعار التي ترجمها بحرفها العربي مع الترجمة كما فعل الاستاذ كارليل J. D. Carlyle قبلهُ في كتابهِ المطبوع سنة ١٧٩٦ مع ان الاستاذ كارليل تصرف في الترجمة حتى ابعدها عن الاصل العربي بعداً شاسعاً كأَنهُ كان لا يعرف العربية

الصحة والآثار في الهند

يعلم قراء المقتطف انهُ كشفت حديثاً آثار قديمة جداً في بلاد الهند يستدلُّ منها على الاتصال بين الهند والعراق قبل التاريخ المسيحي بالفي سنة او ثلاثة آلاف سنة. فلما وضعت ميزانية الحكومة للسنة المقبلة وُضع فيها مبلغ ٣٧٥ الف جنيه للنقب عن الآثار القديمة فاعترض الهنود على ذلك وطلبوا ان ينفق هذا المال على التدابير الصحية لانها اهم من كشف الآثار القديمة . وتقول مجلة نائشر ان الانكليز من غير رجال الحكومة وافقوهم على ذلك ولكنها اسفت لحرمان الباحثين عن الآثار من هذا المال . ولا ندري

كيف يستحل رجال الحكومة ان ينفقوا مبلغاً طائلاً مثل هذا على عمل قد لا يستفيد منهُ هندي واحد ولا ينفقوهُ على مقاومة الامراض القتالة ففي سنة ١٩٢١ توفي بالكولرا في الهند الانكليزية ٤٥٠٦٠٨ وبالطاعون ٥٩٢٨٢ وبالحميات ٤٧٦١٢٣٧ و بالاسهال والدسنطاريا ٢٢٩٥٧٦ وتوفي بالطاعون في الهند كلها من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٢١ اكثر من عشرة ملايين نفس اي نحو نصف مليون كل سنة

الفيتامين وعلماء اليابان

بعد ان ثبت وجود الفيتامين بانواعهِ الثلاثة اوب وج وعرف كثير من خواصها اتجهت انظار العلماء الى استخلاصها نقية غير مرتبطة بغيرها . وفيما هم يبحثون عن ذلك كشفوا نوعاً رابعاً مضاداً لمرض الكساح اطلق عليهِ اسم الحرف د اي الحرف الرابع من حروف ابجد ونوعاً خامساً مضاداً للعقم اطلق عليهِ اسم الحرف ه وعُرف كثير من بناء هذه الانواع الكيماوي ولا سيما فيتامين ا وفيتامين د وقد ذكرنا في الصفحة ٣٥ من مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٤ ان ثلاثة من الاطباء في جامعة كولمبيا باميركا تمكنوا من استخلاص فيتامين ب وفي الصفحة ٥٧٠ من ذلك الجزء ان الاستاذ نكاهاشي الياباني تمكن من استخلاص فيتامين ا من زيت كبد الحوت. وقد جاء الآن في مجلة نانشر ان الاستاذ نكاهاشي ومساعديهِ نكاميا وكواكامي وكيتاساتو استخرجوا فيتامين ا وفيتامين د نقيين من زيت كبد الحوت (زيت السمك) ومن الاوراق الخضراء وبحثوا فيهما لمعرفة خواصهما الكيماوية فوجدوا المستخرج من زيت السمك يختلف قليلاً عن المستخرج من الاوراق الخضراء

وقد تمكن نكاهاشي ومساعدوهُ من معرفة التركيب الكيماوي للفيتامين المستخلص من زيت السمك والمستخلص من الاوراق الخضراء فاذاعبارة الاول ك$_{٢٧}$ هـ$_{٤٤}$ ا$_{٢}$ اي ٢٧ جزءا من الكربون و ٤٤ من الهدروجين وجزءان من الاكسجين . وعبارة الثاني ك$_{٢٧}$ هـ$_{٤٦}$ ا$_{٢}$ فهما يشبهان الخولسترول Cholesterol اي المادة الشبيهة بالدهن الموجودة في الصفراء وحصاة المرارة فان تركيبها الكيماوي ك$_{٢٧}$ هـ$_{٤٦}$ ا$_{٢}$

جواهر الالماس الروسية

الظاهر ان جواهر الحكومة الروسية لا تزال محفوظة فقد جاء في مجلة نانشر انها فحصت حديثاً ونُظر في تاريخها فثبت منهُ ما يأتي

اولاً ان الالماسة المسماة باسم الشاه اصلها

هندي وهي في شكل مثمن مستطيل عليها ثلاث كتابات منقوشة نقشاً الاولى تاريخها سنة ١٥٩١ والثانية سنة ١٦٦٥ حين رآها تفرنيه في قصر اورنج زب والثالثة سنة ١٧٣٩ حين وصلت الى نادرشاه فنقلت من دهلي الى ايران. وفي سنة ١٨٢٩ قتل وكيل روسيا السياسي في ظهران فاسترضت حكومة ايران قيصر روسيا بهذه الالماسة

وثانياً ان الالماسة اورلوف وهي اكبر حجارة الالماس القديمة وقد رآها تفرنيه سنة ١٦٦٥ وصلت الى نادرشاه بعد ما تغلب على دهلي ورصّع بها وبالالماسة قوهي نور عرش ايران ثم سرقت وتداولتها الايدي الى سنة ١٧٧٣ حين اشتراها البرنس اورلوف واهداها الى الامبراطورة كاترينا الثانية ثم رُصع بها صولجان قياصرة الروس

هبة ركفلر لمصر

اشرنا الى هذه الهبة في باب الاخبار العلمية في مقتطف مارس والظاهر انهُ لم يتم شيءٌ من حيث قبولها حتى الآن . و يظهر لنا ان تعيين اللجنة التي تتولى ادارة العمل بهذه الهبة من انكليزيين وفرنسويين واميركيين ومصريين وتكون رآستها لاحد المصريين كما جاء في شروط الهبة ليس من الحكمة ولا هو مطابق لمصلحة مصر كدولة مستقلة . ولقد كان الاحكم ان تتألف اللجنة من المصريين والاميركيين لا غير وتكون رآستها لعضو مصري وهي تستخدم مَن تشاءُ من رجال الفن الاوربيين وغيرهم حسبما تدعو طبيعة العمل. فان تعيينها على هذه الصفة يفي بالمراد و يسلم من التنافس ولا يمس استقلال مصر

تعليم البنات في الكليات

بحثت لجنة كلية بارنرد في جامعة كولمبيا باميركا فيما يجب ان يتعلمهُ البنات في المدارس الكلية فكتبت رئيسة الكلية رسالة في هذا الموضوع خلاصتها انهُ يجب تعليم كل البنات في المدارس الكلية لغتهن قراءة وكتابة حتى يتقننها جدًّا ولغة اخرى وعلم حفظ الصحة وعلم البيولوجيا المتعلق بالانسان. هذا ما يلزم ان يتعلمهُ البنات كلهن ثم يخيَّرن بين تعلم لغات اخرى وعلوم الادب والفنون او العلوم الرياضية والطبيعية او العلوم الاجتماعية

كلف الشمس والشفق القطبي

كان من نتيجة كلف الشمس ان ظهر الشفق القطبي في شمال اوربا على اسلوب بهيج كاد يشبه الشفق الذي ظهر سنة ١٨٧٢ لكن ذلك وصل الى سورية وكنا في صيداء فرأينا ان كل ما ذكر في وصف الشفق القطبي في كتب الطبيعيات والاحداث الجوية ينقص عنهُ كثيراً في بهجتهِ ولا تزال صورتهُ في الذهن كأَننا

رأيناهُ امس . و يقال الآن في تعليل الشفق القطبي ان كلف الشمس تشبه البراكين الثائرة فتندفع منها مواد مكهربة تنتشر في الفضاء فيصل بعضها الى الارض و يسبب الشفق القطبي

عمر الارض

يحسب عمر الارض الآن مما فيها من المعادن التي تولدت من غيرها كالرصاص المتولد من عناصر مشعة فاذا عرفت نسبتهُ الى الصخور التي هو فيها وعُرف مقدار ما يتولد منهُ في السنة عرف عمر الارض من حين ابتدأ تولدهُ . وقد حُسب قبلاً ان عمر الارض يجب ان يكون بموجب ذلك ٣٣٠٠ مليون سنة لكن ظهر الآن ان الرصاص الذي في الصخور النارية قديم وقد يكون غير متولد من غيره وانهُ حسب عمر الارض من معادن اخرى فظهر ان عمرها ١٥٢٥ مليون سنة والغالب ان يحسب عمرها ١٦٠٠ مليون سنة

التعليم في الصين

كان التعليم في بلاد الصين جارياً على الاساليب القديمة فأُلغي سنة ١٩٠٢ وحلَّ محلهُ التعليم حسب الاساليب المتبعة في اوربا واميركا وللحال أُنشئ مئتا الف مدرسة يتعلم فيها سبعة ملايين من الصبيان والبنات وأُخذ مدرسوها من الذين تعلموا في مدارس المرسلين . وسنة ١٩١٢ صارت البلاد جمهورية فاصلحت نظام التعليم وسارت بهِ سيراً حثيثاً وتألفت نقابات في كل البلاد لمعاونتها واستدعت المساعدين من اوربا واميركا . والظاهر ان الصين عازمة ان تقتفي خطوات اليابان وتتشبه باوربا واميركا . وتركيا جارية هذا المجرى وايران ايضاً

آثار العمران المصري

العادة الجارية الآن انهُ اذا اريد ان يبنى بناء عمومي كالمعابد والمتاحف والمدارس وضعت بعض الصحف والادوات في حجر زاويتهِ . والظاهر ان هذه العادة قديمة استعملها المصريون الاقدمون منذ اكثر من ٣٥٠٠ سنة فقد وجد في زاوية هيكل الملكة هتشبست آنية فيها بعض الاثمار كالتين والتمر والعنب . ووجد في قبر الملكة نفرو من الاسرة الحادية عشرة التي كانت منذ اربعة آلاف سنة قطع من نسيج الكتان لا تزال آثار الطي فيها

من الكاب الى القاهرة

يراد بالكاب رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي من افريقية وكان من غرض الانكليز ان يصلوا بينهما بسكة حديدية فلم تتم ولكن الاتوموبيل قام مقامها وقد قطع

الماجور كورت ترت هذه المسافة باوتوموبيل وصوَّر ما رآهُ في طريقهِ من المناظر لعرضهِ بالسنما وكان معهُ زوجتهُ وثلاثة رجال والمسافة التي قطعوها ١٣٠٠٠ ميل قطعوها في ١٦ شهراً وقد طالت المدة التي قطعوها فيها لكثرة ما لقوا من العوائق في طريقهم من المطر ولان الانهار في طريقهم كانت فائضة . ولما بلغوا النيل اضطروا ان يجروا الاتوموبيل فيهِ جرًّا

اسماك لبنان المتحجرة

في كثير من صخور لبنان آثار اسماك واضحة تمام الوضوح تدلُّ على ان تلك الصخور تولدت من طين رسب فوق الاسماك فبليت وحفظت آثارها فيهِ. وكان الدكتور لويس قد جمع كثيراً منها في معرض الجامعة الاميركية لما كان يدرّس علم الجيولوجيا فيها . وقد قرأنا في مجلة ناتشر ان السر ارثر سمث وودورد ذهب الى بيروت عازماً ان يضع كتاباً في اسماك لبنان الباقية آثارها في الصخور الطباشيرية

آثار اور

وجد بالبحث في انقاض هيكل الهة القمر باور في العراق تمثال الالهة باو جالسة وهي لابسة ثوباً مكشكشاً وهو اول تمثال امرأة قديم وجد في العراق ووجد ايضاً دائرة تمثل القمر من الالبستر • قدمتها ابنة سرغون ملك أكد الذي كان سنة ٢٧٥٠ قبل المسيح وهذا التمثال من اقدم تماثيل السمريين التي وُجدت حتى الآن ولم يكن فن النقش قد بلغ ما بلغهُ بعد نحو الف سنة في عصر الدولة الثالثة من دول السمريين كما يرى في رأس هذه الالهة الذي وجد في اور وهو من الرخام الابيض وعيناهُ من حجر ابيض ولا زورد وعلى رأسهِ كمة كالبرنيطة

كتابة السياح على الآثار المصرية

قد يظن لاول وهلة ان كتابة السياح اسماءهم على الآثار المصرية عادة حديثة ولكن ثبت الآن انها قديمة جدًّا فان السياح الاقدمين وصلوا الى مدفن الملكة نفرو المذكور آنفاً ونقشوا اسماءهم على حجارتهِ بعد انشائهِ بنحو خمسماية سنة وكان قد بني فوق مدخلهِ رواق هيكل الملكة هتشبست ولكنهم تمكنوا من الوصول الى القبر لانهُ كان هناك سرداب جانبي يوصل الى بابهِ

اليود ومرض الغواتر

ثبت الآن ان سبب مرض الغواتر الذي يظهر بتضخم العنق قلة اليود في الطعام. واليود قليل جدًّا في أكثر الاطعمة البرية ففي الطن من القمح مليغرام واحد (المليغرام جزء من الف جزء من الغرام) ولكنهُ كثير في الاسماك فانهُ في بعضها

٢٦٠ مليغراماً في الطن وفي المحار فانهُ فيها ١١٦٠ مليغراماً في الطن واكثر منهُ جداً في النباتات البحرية فقد يبلغ ثلاثة ملايين مليغرام في الطن اي ثلاثة غرامات في الكيلو غرام ولذلك يكون الملح البحري غير المكرر انفع من الملح المكرر ويكون هذا المرض اقل في سكان السواحل البحرية منهُ في سكان البلاد البعيدة عن البحر

مكافحة الحشرات بالطيارات

استعملت مصلحة الحشرات في اميركا الطيارات لمكافحة حشرات القطن في العام الماضي فانها طارت فوق خمسين الف فدان والقت عليها مسحوقاً من زرنيخات الكلس فكانت النتيجة على ما يرام. ويراد ان تتوسع في ذلك هذه السنة وفي صنع طيارات خاصة لمكافحة الحشرات

البناؤون وصورهم

ان باني هيكل الملكة هتشبست لم يكتب اسمهُ في محل ظاهر ولكن قيم بيت الملكة امرهُ ان يحفر صورتهُ على الجدران التي تغطيها ابواب غرف الهيكل حينما تفتح فلا يراها احد فحفرها البناء كما أُمر وحفر اسمهُ معها. والظاهر ان البعض كشفوا ذلك فامرت الملكة او غيرها بمحو ما نقش فمحيت هذه الصور والاسماء الا في اربعة اماكن

الببر الابيض

الببر المعروف بالنمر الهندي او الفهد الهندي من اكبر الضواري واشرسها واشدها فتكاً وهو اصفر مخطط بخطوط سوداء. وقد وجد ببر لون جلدهِ ابيض بدل الاصفر فاهداهُ مهرجا روى وكنت الى ملك الانكليز فأُتي بهِ الى لندن واهداهُ الملك الى بستان التاريخ الطبيعي

هبة برنس موناكو

ذكرنا في الصفحة ٤١٣ من المجلد ٦١ ان برنس موناكو ترك مليون فرنك لاكادمية العلوم بباريس ليعطى ريعها كل سنتين وقد اعطي هذا الريع الآن للدكتور شاركو فصار قادراً على زيادة الآلات العلمية في سفينتهِ التي يستعملها في المباحث العلمية البحرية وهي المباحث التي كان برنس موناكو يُعنى بها

حدائق ادونس

وجد الناقبون في آثار بيسان بفلسطين حوضاً مستديراً على دائرهِ آنية مثقوبة من اسفلها والمظنون ان هذه الآنية والحوض تمثل ما يعرف بحديقة ادونس فان الآنية كانت لزرع بزور الازهار والرياحين يزرعها النساء ويعتنين بها ثمانية ايام ثم تطرح في نهر مع صورة ادونس

الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين

صفحة

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والستين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٦ — الموافق ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٤

حفلة العيد الخمسيني للمقتطف

بدار الاوبرا الملكية

برعاية جلالة الملك فؤاد الاول

شهدت العاصمة بعد ظهر ٣٠ ابريل حفلة علمية نادرة المثال قدمتها مصر دليلاً من الادلة العديدة الساطعة على حبها للعلم وعرفانها قدر المعارف وتكريمها للعاملين في ميدانها وبرهنت بها على صحة ما اشتهر عنها من السماحة والكرم والنبل وهي الصفات التي جعلتها علماً للشرق وبوأتها ارفع مقام بين البلدان العربية

ففي منتصف الساعة الخامسة تقاطر الى دار الاوبرا الملكية بناء على دعوة اللجنة المؤلفة من خيرة رجال الفضل وانصار العلم برآسة حضرة صاحب المعالي محمد توفيق رفعت باشا وزير الاوقاف حالاً ووزير المعارف قبلاً للاحتفاء بمرور خمسين عاماً على انشاء المقتطف — مئاتٌ من عظماء مصر وعلية رجالها ونخبة ادبائها وعلمائها يتقدمهم حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا رئيس الديوان العالي الملكي مندوباً من جلالة الملك الذي تفضل فوضع هذه الحفلة تحت رعايتهِ السامية تشجيعاً للعلم. وصاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون وحضرات اصحاب الدولة والمعالي يحيي ابراهيم باشا واسماعيل صدقي باشا وعلي ماهر باشا ومحمد حلمي عيسى باشا وموسى فؤاد باشا من وزراء الوزارة الحالية وصاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا من رؤساء الوزارات السابقين وصاحب المعالي سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء واصحاب الفضيلة العلماء السيد عبد الحميد البكري والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ احمد هارون

والسيد محمد البيلاوي والشيخ علي الزنكلوني والسيد محمد التفتازاني والشيخ عبد الوهاب خلاف مدير المساجد والاستاذ حبيب افندي جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية نائباً عن غبطة الحبر الجليل الانبا كيرلس بطريرك الاقباط الارثوذكس وسيادة نائب غبطة بطريرك الموارنة وحضرات اصحاب المعالي والسعادة فتح الله بركات باشا ومرقس حنا باشا ومصطفى النحاس باشا ويوسف سليمان باشا ويوسف قطاوي باشا وتوفيق دوس باشا وواصف سميكه باشا من الوزراء السابقين وعبد الحميد سليمان باشا المدير العام لمصلحة سكك الحديد وعلي جمال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية والدكتور محمد شاهين باشا وكيل الداخلية للشؤون الصحية ورشوان محفوظ باشا وكيل وزارة الزراعة وعبد الرحمن رضا باشا وكيل وزارة الحقانية وعبد الحميد بدوي باشا وطاهر نور باشا النائب العمومي ومحرز باشا واحمد عرفان باشا وحمد الباسل باشا ومحمود القيسي باشا المدير العام لعموم الامن وعبدالله بك سميكه المستشار القضائي لوزارة المواصلات ومراد محسن بك مدير الادارة بوزارة الداخلية ومصطفى حنفي بك رئيس نيابة الاستئناف والاستاذ محمود ابو النصر بك وادريس بك راغب والامير ميشيل لطف الله ومشاقه باشا والدكتور مكلانهان مدير الجامعة الاميركية وبعض اساتذتها وجماعة من اساتذة الجامعة المصرية وجمهور كبير من رجال القضاء والمحاماة والطب والصحافة والتجار واصحاب المصانع والمطابع وممثلي الهيئات والنقابات

وقد اوفدت جامعة بيروت الاميركية جناب الاستاذ نيكولي عميد كلية الآداب فيها واوفد متخرجو هذه الجامعة في جميع الاقطار الشرقية والغربية حضرة شحاده افندي شحاده سكرتير جماعة المتخرجين العام. وناب حضرات الياس بك عيساوي عن جماعة متخرجيها في السودان والدكتور خليل مشاقة عن متخرجيها في دمشق ومثل جمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا حضرات الدكتور ميشيل سمعان رئيسها وتوفيق افندي روفائيل قربة نائبها وجورج افندي ابراهيم حنا سكرتيرها

وكان في مقدمة العقائل حضرة الفاضلة السيدة هدى شعراوي ولفيف كبير من السيدات المصريات والسوريات يتقدمهن الآنسة النابغة مي زياده

وجلس في جانب من المسرح رجال الصحافة العربية والمشتغلون بالادب والبيان وفي الجانب الآخر حضرات المحتفل بهما يحيط بهما حضرة صاحب المعالي توفيق رفعت باشا رئيس لجنة الاحتفال ومَن حضر من اعضائها واللجنة مؤلفة من حضرات سعيد شقير

باشا واحمد لطفي السيد بك واحمد شوقي بك والسيد محمد رشيد رضا والشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور محمد حسين هيكل بك وانطون الجميل بك والاستاذ محمد صادق عنبر والاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والاستاذ نقولا حداد والاستاذ سامي جريديني والاستاذ امين بقطر والاستاذ جبرائيل انكيري والاستاذ شارل استانبولية والاستاذ ادجار جلاد والسكرتيرية حضرة الآنسة ميّ زيادة

وفي الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة وقف صاحب المعالي توفيق رفعت باشا رئيس لجنة الاحتفال وتلا الخطبة التالية

خطبة معالي توفيق رفعت باشا

اني بلسان اللجنة العامة لهذا الاحتفاء وبقلبها ٠ انا الضعيف بوحدتي القوي بها . العي بمفردي الفصيح بجمعها . احييكم واشكر لكم تفضلكم بتلبية دعوتها . ويشرفني ان القي كلمة الافتتاح في حفل كهذا اجتمع فيهِ من اهل مصر وضيوفها الكرام الذوائب والنواصي. ومن المتكلمين والمفكرين صفوتهم وخيارهم

نعم يشرفني ان افتتح الخطاب في حفل يشاد فيهِ بذكر العلم واهل بطانتهِ ٠ والعلم لا بد لهُ من فلك تسبح فيهِ دراريهُ . او مرآة متمثل فيها آراء الراسخين فيهِ . او لوح يسجل فيهِ تراث العاملين لهُ . وليس من شيء اجمع لهذا من صحيفة المقتطف

نشأ المقتطف في سنة ١٨٧٦ ببيروت وما بيروت في ايام العهد القديم الاَّ احدى مدن فينيقية مملكة الملاحة والتجارة والاستعمار . وفينيقية هي التي اسست مدينة قرطاجنَّة الشهيرة على العبر الشمالي من افريقية ٠ تلك المدينة التي ما لبثت ان اصبحت عاصمة جمهورية بحرية قديرة—قرطاجنَّة التي اقامت الرومان واقعدتهم فباتوا يحسدونها ويحرقون عليها الارم . ولطالما ارغوا وازبدوا وبيتوا وكايدوا . حتى دهموها بقضهم وقضيضهم ثم استولوا عليها فكبت وما هي الاَّ ان نهضت بعض النهوض حتى حملوا عليها حملة شعواء ساحقة فدمروها تدميراً عملاً بنصح كاتون القديم الذي عندما زارها وهي في عظمة مجدها ونضرة رخائها ومنعة جاهها تريَّب من جلالها وتوقع الخطر منها على روما ٠ فما اختتم خطابة ولا ذيَّل مقالة الاَّ قال نعم ولكن قرطاجنَّة يجب تدميرها

ان الناشئين في ارض الفينيقيين الذين توارثوا خلالهم ونسجوا على منوالهم هم

اخواننا السوريون السبّاقون للغايات الناشطون فما استجمّوا والمستعمرون للعلم والعمل باي ارض الّوا . نعم انهم اسسوا بيننا بمقتطفهم قرطاجنّة للعلوم زاهية زاهرة لا نخاف منها خطراً ولا نوجس ذعراً . بل قرطاجنّة نحمي ذمارها ونذود عن حياضها . يسرنا رخاؤُها ونطيب نفساً برقيها . قرطاجنّة نحالفها لا نخالفها ونصالحها لا نكافحها . فلا خطيب منا اليوم الأ وختام خطبتهِ نبرة من مهجتهِ صداها لتحي قرطاجنّة — لذلك اهنئ الدكتورين الفاضلين والعالمين الجهبذين الجائلي الصيت والذائعي السمعة صاحبي المقتطف رجلي ديومفيرا ، قرطاجنّة العلوم

وانهُ وان اتيح لبيروت أن كانت مهد طفولة المقتطف ومبزغ قرن شمشهِ . فان لمصر ان تفخر بانها مهد ايناعه بايفاعه ومرقاة اكتمالهِ باكتهاله وما تعميره في الشرق الى الخمسين الاّ ناجمة يؤبه لها . ونادرة يلتفت اليها . وان مصر وهي المتعطشة الى استعادة مجدها العلمي الذاهب لا تزال جيدة التربة طيبة المنبت كريمة الجوهر . فكلما حيّاها صيّب او جادها غيث اعشوشبت وتألق جوهرها . فاصحاب المقتطف قد شمّروا عن ساعد الجد وجمعوا الى غزارة المادة مضاء العزيمة في اخصاب هذه التربة الجيدة بما الحوا عليها من بارقتهم . والامة المصرية الشاكرة على الدوام لمن يعاونونها في شؤُونها تناصرت على معاضدة المقتطف بنشرهِ في دور العلم ومعاهد التعليم اعترافاً منها بهذه المعاونة فتمت للمقتطف بطيب ذلك المنبت ومهارة اولئك العاملين المثابرين نعمة البقاء الى الخمسين . عمّرهُ الله للعلم الى مئين من السنين . ونضر الله وجه ذويه بانهم خدموا بمجلتهم الغراء عالم العلوم واستخرجوا بتنقيباتهم مكنوناتها ونشروا في الارجاء نورها واعلوا منارها وبذلوا النفس والنفيس في شرح الغامض واذابة الجامد من اصولها وفروعها ورووا ظمأ السائلين بقراح اجوبتهم واشبعوا اذهان القارئين بطرائف ابحاثهم وظرائف استنباطاتهم . وعالجوا الموضوعات فتناولوا منها القريب والبعيد وغاصوا على الدر في بحارها فاستخرجوا انفسهُ وادلوا في ركايا الاسفار فامتحوا الممتع من اخبار الاحبار ودوخوا بهماء القديم وباءوا وملء عيابهم نفائس ما نسجت عقول الاوائل . واجالوا النظر في الحديث فاستجلوا بنيات الفكر وما انطوى عليهِ من المبتكرات التي سدتها الاواخر فلقد تصفحوا ما ظهر في الغرب مدوناً في اضاميم المؤَلفات فدرسوا المذاهب ووازنوا وفحصوا الآراء وقارنوا وايدوا او فندوا وقذفوا الزبد فاستخلصوا الزبد كالمصفاة تقيد الغث وتطلق السمين والراووق ينفي الخبيث ويرسل الطيب . فكانوا الصلة المحمودة بين الغرب المفيد والشرق المستفيد . فما

الفوا باباً للعرفان مغلقاً الاَّ عالجوهُ فانفتح ولا نزلوا بمجدبة من المسائل الاَّ اخصبت واينع غرسها ودنت قطوفها. ولا صادفوا مشكلة من العلم الاَّ توفروا على حلها بما اوتوا من دأب على البحث ومرانة على التنقير والفحص فدبجوا صحفهم بوشي قرائحهم ونقش سلائقهم وزخارف ابداعهم فجمعت واوعت واخرجت للناس من الاساليب ما يحتذى ومن النسق والمنوال ما بهِ يقتدى. فاصبحت مرجعاً يؤاب اليهِ في شتى الموضوعات ومختلف الصناعات

واني في ظل مولاي المفدَّى صاحب الجلالة مليكنا المعظم . من انسمت اساريرهُ بمجادة اسرتهِ وقرت في جلال شخصهِ ابهة الوطن وقامت على قدرتهِ دعائم عظمتهِ — مليكنا الذي تجارى الى ايديهِ القبُل شكراً على آلائهِ واعترافاً بجميلهِ وحسن رعايتهِ . من تجلت عنايتهُ الملكية في احياء العلوم ونشر المعارف وانسعت رحابهُ لوفود العلماء يتزاحم فيها اساطينهم وخيارهم من سفَّارهم وحضارهم — نعم في ظل هذا الملك العظيم وتحت جليل رعايتهِ وفي دار جوها غريد بذكر اسماعيل وسماؤُها صداح بشكرهِ اتشرف بافتتاح هذه الحفلة الموقرة

ثم دعا حضرة الاستاذ امين افندي بقطر سكرتير الجامعة الاميركية فقال ان اللجنة وردت عليها رسائل ومكاتبات وابحاث ومقالات شتى في موضوع هذا الاحتفال وليس في حكم الطاقة تلاوتها كلها الآن ولكنها ستنشر في الكتاب الذهبي الذي ستصدرهُ في القريب العاجل و بدأ بتلاوة رسالة حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا فقابلها الحاضرون بالتصفيق وهذا نصها :

حضرة صاحب المعالي رئيس لجنة الاحتفال بعيد المقتطف الخمسيني

يمثل « المقتطف » في الشرق عموماً وفي مصر خصوصاً ثمرة المعارف والرغبة الصادقة في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان فالاحتفال بعيدهِ الخمسيني انما هو احتفال بملاك هذه الفضائل ومشرق انوارها وكنت اود ان اشترك بشخصي ايضاً في هذا الاحتفال الجميل ولكن انحراف صحتي حال دون رغبتي فابدي لحضراتكم وحضرات اعضاء اللجنة الكرام وافر شكري على هذه الدعوة الكريمة وارجو قبول عذري واتمنى لهذا العيد الجليل نجاحاً كاملاً وللمحتفل بهِ عمراً اطول وانتشاراً اعرض ولاصحابهِ الفضلاء دوام الصحة والاقبال والسلام

سعد زغلول

فقوبل هذا الكتاب بتصفيق الاستحسان الشديد

واقتطف الاستاذ امين بقطر شيئاً من رسالة بالانكليزية من جناب رئيس مجلس الاوصياء في اميركا لكليات الشرق الادنى الاميركية وهو :

« بالنيابة عن مجلس الاوصياء نقدم لكم بمزيد الفخر والسرور والاعجاب ارق عبارات التهانئ بمناسبة الاحتفاء الذي سيقام تكريماً لمجلتكم الزاهرة لمرور خمسين عاماً على تأسيسها. ان ادارة المجلس لفخورة بالنجاح العظيم والفوز الباهر المستمر الذي صادفهُ شابان من ابناء جامعتنا في اقامة صرح مجلة كبيرة على رأس بيروت منذ خمسين عاماً كانت في خلالها محركاً قوياً لتكوين النهضة الحديثة في العالم العربي ومنارة تسترشد باشعتها الذهبية سفن الشرق الادنى

« منذ نصف قرن والمقتطف يسعى سعياً متواصلاً في نقل افكار الغرب الى الشرق وطالما كان اكبر قوة فعَّالة في فتح خزائن العلم والادب وبسط احدث آراء اوربا وولايات اميركا المتحدة في الاختراعات والاكتشافات لسكان مصر وسورية وفلسطين والعراق وبلاد العرب

«وفوق ذلك فانهُ اماط اللثام من تلك الدرر الغوالي واستجلى تلكم الخزائن الثمينة الكامنة في آداب اللغة العربية التي تعد اجل العناصر المكتسبة التي ورثتها الشعوب العربية عن اجدادهم العظام

« واذا لم تكن الجامعة الاميركية في بيروت قد قامت باية خدمة اخرى سوى تخريج منشئ المقتطف — الذي هو لسان حال الشرق فان الاموال التي انفقت عليها في خلال الستين عاماً الماضية قد قامت بالغرض الذي بذلت لاجله خير قيام »

ثم تلا حضرتهُ ايضاً شذرات معربة من رسالة بالانكليزية من ادارة الجامعة الاميركية في القاهرة موقعاً عليها من جناب الدكتور وطسن رئيس الجامعة والدكتور مكلانهن مديرها وهي :

« من دواعي السرور والغبطة ان نشارككم في الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي انهُ وان لم يكن العلم والادب وقفاً على بلد دون آخر فاننا نفاخر بان يكون المقتطف في مدينة كالقاهرة اليها شددنا رحالنا

«من عادتنا ان نجاهر ان معهدنا جسر للصداقة بين الشرق والغرب وعليهِ تغدو وتروح رسل العلم والعرفان بينهما وقد كانت مجلتكم الزاهرة اكبر جسر من هذا القبيل لتبادل الآراء العلمية والادبية

« كما انا نشارك المقتطف في مبادئهِ لاننا نعتقد ايضاً كما انتم تعتقدون ان تأثير الغرب في الشرق علميًا او ادبيًا يجب ان لا يهدم تقاليدهُ ولا ان يجعل الشرق غربًا بل يمهد لهُ السبيل حتى يأخذ باساليب مدنيتهِ مع الاحتفاظ بمميزات الشرق وصفاتهِ واحوالهِ

« وانا نعتقد ان ما مضى من حياة مجلة المقتطف انما هو مقدمة لخدم عظيمة هي وليدة المستقبل »

وتلا التلغرافين التاليين واحدهما من الرئيس ضودج رئيس الجامعة الاميركية ببيروت وهو

« الجامعة تقدر خدمة المقتطف قدرها مهنئة ابنيها البارين الدكتورين صروف ونمر باليوبيل الذهبي » بايرد ضودج

والثاني من مجلس اوصياء الجامعة المشار اليها في نيو يورك وتعريبه :

« يرسل مجلس اوصياء جامعة بيروت اليكم اصدق تهانئهِ ويتمنى لكم النجاح المتواصل » ستوب

وتلا كذلك البرقية التالية من امير الشعراء

« لئن فاتني انشاد قصيدتي في مهرجان اليوبيل الذهبي للمقتطف لسبب انحراف صحتي فلن يفوتني نشرها في اول عدد يلي من كبيرة المجلات العربية وأجدرها بالتكريم والتبجيل وتفضلوا الخ »

وختم قراءة هذه الاسماء بشكر حضراتهم باسم لجنة الاحتفال

ودعا معالي رئيس اللجنة صاحب السعادة السرسعيد شقير باشا للخطابة فوقف واشار الى حرج مركزهِ لان صاحبي المقتطف كانا استاذين لهُ في الجامعة الاميركية ولان احدهما حموهُ ولكنهُ يعلم ان الاحتفاء بالمقتطف هو احتفاء بالصحافة صاحبة الفضل في تنوير الاذهان ثم انهُ من الجهة الاخرى مكلف من الجالية السورية في سان باولو في البرازيل ان ينوب عنها في هذه الحفلة في تلاوة رسالتها (وتلا هذه الرسالة) وقدم الى المحتفل بهما هدية الجالية المشار اليها وهي تمثال من البرونز على قاعدة عالية من الرخام ومعها صفيحة من الذهب الخالص طولها نحو ٢٠ سنتمتراً في عرض نحو ١٥ سنتمتراً وقد نقش عليها هذان البيتان من نظم فوزي افندي المعلوف :

هذا مثال عروس العلم حاملة   اكليل غار الى شيخ المجلات
يهدى على ذهب اكرامنا فعسى   يهدى على الماس في يوبيلهِ الآتي

وقدم لها دواتين وقلمين من الذهب مهداة من مهاجري حاصبيا في البرازيل وساعتي مكتب مهداتين من متخرجي جامعة بيروت في القاهرة رمزاً الى الوقت الذي قضياهُ في خدمة العلم وقصيدة بليغة مكتوبة بماء الذهب بخط بديع نظمها وكتبها حضرة نجيب بك هواويني

ثم قال وكنت اود بعد ذلك ان تنتهي مهمتي ولكن متخرجي الجامعة الاميركية في بيروت كلفوني ان اقول عنهم كلمة واشار الى نشأة المقتطف في ابريل من سنة ١٨٧٦ وكيف حسدهُ الحاسدون واخذوا يكيدون لهُ فاضطر صاحباهُ الى الهجرة بهِ الى مصر عند ما بلغ التاسعة من عمرهِ وقال ان مصر هي ملجأ الاحرار من ايام يوسف الصديق ويوسف ومريم فاظلتهُ بظلها حتى اكتهل فيها. وعاد بالذكرى الى وصف احوال مصر خاصة والشرق عامة منذ خمسين سنة وذكر كيف انهُ لم يكن يوجد اذ ذاك غير تسع صحف اما اليوم فيبلغ عدد الصحف في مصر وسورية نحو ٢٥٠ صحيفة وكيف ان عدد المتعلمين زاد في مصر عما كان عليهِ منذ خمسين سنة الى غير ذلك من مرافق الحياة وتساءل عن العامل في هذا الرقي وقال ان العوامل عديدة ولكن الصحافة من اهمها وللمقتطف شأن كبير في ذلك فقد حارب الخرافات ومبادىء السحر والشعوذة ومناجاة الارواح ونشر الحقائق العلمية مؤيدة بالادلة العقلية والاقيسة المنطقية. وبعد ما اسهب في ذلك قال والفضل في نجاح المقتطف الى خصب تربة مصر وقابليتها للافكار الحرة. وختم خطبتهُ بشكر جلالة الملك على تشجيعهِ للعلم بكل ضروب التشجيع فقوبلت كلمتهُ النفيسة بتصفيق الاعجاب وستنشر في الجزء التالي من المقتطف

ودعا الرئيس بعد ذلك حضرة شاعر القطرين خليل بك مطران فالقى قصيدتهُ التالية

قصيدة خليل بك مطران

تلك المنارة في المكان العالي ترمي الدجى بشعاعها الجوَّال
شيدتماها زينة وهداية للناس من حجج مضين طوال
مرآتها علوية كشافة لغوامض الاشياء والاحوال
عين تطالع سر كل حقيقة وترود كل مظنة بسؤَال
وقف النبوغ وراءها مستشرفاً كنه البقاء وغاية الترحال

***

يسمو الى نجم السماء وينثني فيزور نجم الارض في الادغال
يجتاز اجواز الغيوب فيجتلي فيها شموساً لم يدرن بجال
يرنو الى الذر الدقيق من الثرى فيرى دراري لم تضأ بذبال
يلقي ابتساماً والخضمُّ مقطب والموج فوق حدوده متعالي
فينمُّ وجه اللج عما في الحشى وتصاد من اصدافهن لآلي

***

ما زال يقتنص الاوابد دائباً بحبائل من نورها وحبال
و يعير من حسناتها قلبيكما آيات سحر للعقول حلال
فتوافيان القارئينَ على صدى منهم بما يروي من الاقوال
وتطالعان اولي النهى بطرائف تلج القلوب بلطف الاسترسال
في دفتي سفر تضمن ما غلا من حكمة الاحقاب والاجيال
متجدد عدد الشهور ربيعهُ حلو الجنى وبكل حسن حالي
لو نضدت اوراقهُ من كثرة طالت على متطاول الاجبال

***

انشأتماها للعلوم مجلة كسيت بدائعها فنون جمال
سهرت عيونكما على اتقانها فمن السطور بها سواد ليالي
ومن المدام دم اريق وان بدا متنوع الالوان والاشكال

***

يعقوب في احياء مجد بلاده وبقاء تالدها من الابدال
هو فيلسوف سيرة وسريرة متطابق الاقوال والافعال
ادني الرجال الى الكمال ولم يكن في العصر شيءٌ مغرياً بكمال
وفتى المواقف فارس ما فارس في حومة ادبية ومجال
حلاً لمعضلة الامور اذا غدت والوجه قد اعيي على الحلال
هل بين اقطاب الفصاحة مثله سباق غايات بكل مجال
يافرقدي ادب ونبل ادركا اسمى المنى من رفعة وجلال
متآخيين وذاك فضل توافق بطباع خير فيهما وخصال
ليس التشابهُ والتشبهُ واحداً رخص الزبرجدُ والزمرد غال

خمسون من خير السنين ضننتما كرماً بهن على نعيم البال
وبذلتما للعلم مجهوديكما ووصلتما الاسحار بالآصال
بحثاً عن الماضي وتقديراً لما يأتي وتقريراً لحكم الحال
يهنيكما شرف المقام وخيره علياء قدركما بغير تعالي
والعيد عيد نصف من مئة مضت في خدمة هي مضرب الامثال
عيد بلاد الشرق فيه بلدة ولاهله فيهِ اشتراك الآل
واذا ذكرنا العيد فلنذكر اخاً لكما يناديهِ المكان الخالي
لم ينصر العرفان نصرتهُ امرؤٌ بشمائل خلقت لها وخلال
ان فات عينيهِ شهادة يومه هذا رآهُ باعين الاشبال
صحب كما شاء الوفاء ثلاثة كانوا لاهل الشرق خير مثال
بدأوا جهادهم وساروا سيرهم يبغون مطلوباً عزيز منال
متعاونين وبالتعاون حققوا في كل مرمى ابعد الآمال
صبراً على الايام حتى اقبلت من كل وجه ايما اقبال
اخلاق جد لا تتم بغيرها في العالمين جلائل الاعمال

***

ليس الكبار من الرجال هم الاولى ضربوا الطلى[1] فدعوا كبار رجال
قد يحسب العز الرفيع مجازف في طرفهِ غيلاً على الرئبال
او يقحم الموت الجسور وعلهُ قد جرأتهُ عقيدة الآجال
اما الاولى دأبوا وذابوا حسبة لانارة وهدى وكشف ضلال
وشروا براحتهم هناء بلادهم فهمُ لعمري خيرة الابطال
لهم الولاية والقلوب عروشهم ولهم مكانتهم من الاجلال

***

يا من مدحتهما فلم تف مدحتي بلبانة والعذر من اقلالي
قد قام مجدكما كطود شامخ ماذا يمثل منهُ لمع الآل
وهل الروي وان تسلسل شافياً كالري من ينبوعهِ السلسال
لا بدع في تقصير شعري دونهُ شتان بين حقيقة وخيال

(١) الاعناق

خطبة الدكتور محمد حسين بك هيكل

المقتطف والحركة الفكرية والاجتماعية في الشرق

سيداتي وسادتي

اقف هذا الموقف كصحفي . وانا سعيد بذلك غاية السعادة. مغتبط بهِ اكبر الغبطة. فللصحافة مهمة سامية نقوم بها .وهذه المهمة تزداد سمواً كلما تجردت من مطامع المادة . لانها تصبح تضحية للحياة في سبيل خير الجماعة . واغتبطت بان اقف هذا الموقف لان حياتي الصحفية التي تمتد في الحقيقة الى ماضٍ غير قريب كان لها اتصال بمجلة المقتطف التي نحتفل اليوم بعيدها الخمسيني . وكانت في هذا الاتصال تعبر عن بعض خواطر في شأن الحركة الفكرية .لهذا كان طبيعياً ان احدثكم في هذا الحفل عن المقتطف في حركة الشرق الفكرية والاجتماعية . وان اقصر حديثي على الحركة الفكرية والاجتماعية

سيداتي وسادتي

ارجوكم ان تعودوا ببصائر اذهانكم الى خمسين سنة مضت . الى ذلك اليوم الذي بدأت فيهِ مجلة المقتطف حياتها . وان تذكروا ما كان من حياة الفكر في الشرق سنة ١٨٧٥ . وما كان من حياة الفكر في الغرب سنة ١٨٧٥ . وما كان بين الغرب والشرق يومئذٍ من صلات سياسية وغير سياسية . وارجوكم ان تتقدموا مع السنين قليلاً قليلاً وان تروا غزو الغرب للشرق في مختلف ميادين الحياة في العلم . والادب . والصناعة . والتجارة . وفي كل ميدان آخر .وان تصوروا لانفسكم ما وجب القيام بهِ من الجهود لجعل الاتصال بين الغرب والشرق اثناء هذه الغزوات غير قاس . هنالك تقدرون ما كان للذين جاهدوا في منع الاصطدام بين القوتين الانسانيتين من فضل . وهنالك تذكرون بالخير من كان لهم في نشر افكارهما وفي تهذيبها وفي صقلها وفي تمحيصها ودفع الزائف منها . ثم هنالك ترون قدر المجهود الذي ينفقهُ صاحبهُ في غير جلبة ولا ضوضاء حين يجلس الى مكتبهِ وحيداً محاطاً بالمئات والالوف من اكبر الرؤوس التي قامت على تفكيراتها عمارة العالم وحضارتهُ . يناجي اصحاب هذه الرؤوس و يتفاهم واياهم من طريق كتبهم . ثم يبرز آراءهم ورأيهُ في آرائهم لمعاصريهِ ممن يقرأون لغتهُ

في سنة ١٨٧٥ كانت امم الشرق الغربي ما تزال بعيدة بعض البعد عن غزو الحضارة الاوربية اياها غزواً شاملاً . وكان الاتصال بين الشرق والغرب ما يزال

مقصوراً على بعض الصلات السياسية والفردية . لكن عيون اوربا كانت يومئذٍ مفتوحة واسعة محدقة الى هذا الشرق العربي تريد ان تحقق فيهِ اغراضاً لها وغايات . وكانت مصر من بين امم الشرق العربي تتهافت على الغرب تهافتاً ما نظن ساستها كانوا يقدرون مدى آثارهِ . ففي سنة ١٨٧٥ تقرر انشاء المحاكم المختلطة في مصر وفي سنة ١٨٧٥ اشترت انكلترا اسهم قناة السويس من الخديو اسماعيل باشا وكذلك في سنة ١٨٧٥ كانت روسيا تتحرش بتركيا تحرشاً انتهى الى الحرب الروسية التركية . وكانت افريقيا الشمالية كلها مطمح انظار فرنسا . وكان من شأن هذه الاتجاهات السياسية ان خلقت نوعاً من الصلة بين اوربا والشرق ظل ينمو و يتزايد وما زال ينمو و يتزايد الى وقتنا الحاضر .

وفي سنة ١٨٧٥ كانت اوربا تموج بحركة فكرية قوية غاية القوة . فكانت النظريات العلمية والفلسفية القديمة قد اخذت تتهدم وتنهار امام الفلسفة الواقعية التي مكن لها اوجست كونت في فرنسا وقام بنشرها جون ستورات ميل وهربرت سبنسر في انكلترا . وكانت نظريات لامارك وداروين وغيرهما ذات شأن يذكر عند كثير من اصحاب هذه الفلسفة الواقعية . وكانت هذه النظريات وما ترتب عليها من حركة في العلم شديدة وما كان من اثر هذه الحركة من نشاط في الاختراع ترد الى الشرق عن طريق بعض الغربيين الذين اقاموا فيهِ زماناً طويلاً . وعن طريق بعض الشرقيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية ونشأت افكارهم نشأة غربية

كان محتوماً مع هذا الاتصال المتزايد بين الشرق والغرب ، ومع هذه الحركة العلمية والفكرية والادبية الشديدة في الغرب ان تقابلها في الشرق حركة علمية وفكرية وادبية جديدة ، ولما كانت تطورات كلٍّ من ناحيتي الانسانية قد اختلفت قبل ذلك جد الاختلاف عن تطورات الناحية الاخرى فقد كان الاصطدام محتوماً . لكننا كان يهوّن من هذا الاصطدام ان يقوم جماعة بالتقريب بين الافكار التي يظن لاول وهلة ان لا سبيل الى التقريب بينها ، وان ينشر جماعة من دفائن علم الشرق وتفكيراتهِ ما ييسر الاعتقاد بامكان التفاهم او بامكان التنافس بينهُ و بين الغرب تفاهماً يقرب بينهما او تنافساً يسوي بينهما

وهذا المجهود لا يقوم بهِ فرد وحده بل هو في حاجة الى تعاون عدد كبير من الافراد وكلما كان تعاونهم وثيقاً كانت نتائجهُ مؤكدة وامكن خلق الجو الصالح للاحتكاك الفكري الذي يكفل ثبات هذه النتيجة . والتعاون لا يتأتى الاَّ اذا كان للمتعاونين مركز يلتقون عنده يصدرون عنهُ و يردون اليهِ

من اول المراكز التي التقت عندها القوى التي حاولت نشر الفكر في الشرق العربي مجلة المقتطف ، وبحسبك ان تطلع على الاعداد الاولى منها لتقتنع تمام الاقتناع ان الغاية التي توخاها صاحباها من ايجادها انما هي نشر احدث الافكار والمعلومات على اختلاف اصولها ومصادرها . وربما كانت الوسيلة لذلك في تلك الاعداد الاولى تعتمد على النقل والترجمة للمعلومات العلمية اكثر من اعتمادها على الانشاء والبحث . لكن للمقتطف عن ذلك من العذر ان التفكير الغربي لم يكن معروفاً يومئذٍ في مصر والشرق الأ من طبقة قليلة محصورة جدّاً ، فوسيلة نشرهِ انما تكون بنقل المعلومات التي يعتمد عليها والتي ادت ملاحظتها وترتيبها الى هذه العلوم الغربية التي نرى اليوم . كما ان هذه العلوم ذاتها لم تكن في اوربا كما هي اليوم . فان نصف القرن الذي مضى كان مملوءًا بالنشاط العلمي الى حد كبير

وظل المقتطف كمجلة يتقدم كلما تقدمت واياه السنون . فبدأت فيهِ حركة الانشاء والبحث بعد سنوات قليلة وازدادت الاقلام التي تحرره ُ تنوعاً وكثر الكاتبون فيهِ . ولما كانت الحركة الفكرية قد بدأت تأخذ بكثير مما في الغرب من معارف فقد نهضت حركة فكرية شرقية تحيي القديم من الادب والتفكير العربي وتعمل لبيان ان العرب في الماضي لم يكونوا اقل من الغربيين اليوم شأناً وان ادبهم كان في كثير من الاحيان ارقى من الآداب الغربية . وكما كانت مجلة المقتطف هي الميدان الاول الذي التقى عنده ُ الكتّاب لنشر المعلومات والآراء والافكار الغربية ، كذلك كان احد الميادين لنهضة التفكير والادب العربي ، وان لم يختص بهذه اختصاصهُ بتلك . وانك لتقرأ فيهِ كثيراً من شعر العرب ومن الادب العربي كما تقرأ كثيراً من شعر المعاصرين ونثرهم

وظلت حركة معارضة التفكير والادب العربي الحديث بالتفكير والادب العربي القديم زمناً . ثم نشأت فكرة تراها ماثلة على صفحات المقتطف ايضاً . هذه الفكرة هي كيفية التوفيق في نفس اهل الشرق العربية بين ثمرات الحضارة العربية القديمة و بين الحضارة الاوربية الحديثة

من هنا نشأ تفكير جديد يرجع الى اوائل او آخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي ومن هنا بدأت الفكرة الاجتماعية الحديثة تشغل اذهان الكثيرين . فحدثت حركة المرحوم قاسم امين عن تحرير المرأة ، وقام الاستاذ الشيخ محمد عبده للتوفيق بين نظريات

العلم وقواعد الدين . وتناولت الصحف هذه وما اليها من المباحث الاجتماعية والفلسفية بالبحث والتمحيص . وكان للمقتطف في هذا الميدان حظ كبير . فكانت الرسائل والمباحث التي لا تتسع لها الصحف اليومية تنشر فيهِ . وهذه الرسائل ممتعة عادة لانها تجمع بين التفصيل والايجاز

وكمجلة حرة كان المقتطف ينشر على صفحاتهِ الآراء المختلفة المتضاربة بأمل الوصول الى الحقيقة من طريق البحث . وفي ذلك الجهاد قضى خمسين سنة هي التي نحتفي اليوم بها . ولعل هذا الجهاد العلمي والفكري هو خير ما يفخر بهِ اصحاب المقتطف من اعمال حياتهم . ولعل الدكتور صروف الذي انقطع للمقتطف منذ سنوات كثيرة يقضي نهارهُ وايامهُ عملاً للعلم ونشره وللمعارف واذاعتها — يشعر وهو في سنهِ ومكانتهِ بما اداهُ من خدمة للفكر والاجتماع في الشرق العربي بمجلتهِ

سيداتي وسادتي

كنت اود ان اكون اكثر دقة في حديثي هذا عن المقتطف . لكن الحركة الانتخابية الحاضرة التي تشغل الاذهان ولا تترك لامثالي الذين دخلوا ميدانها وقتاً كافياً للبحث والتفكير فيما سواها من المسائل تجعلني اعتذر اليكم مرة ثانية كما اعتذرت اليكم في اول كلمتي عن تقصيري في هذا الموقف . وليس لي الاّ كلمة واحدة اختم بها حديثي اليكم . ذلك ان اكبر عمل يؤديهِ الانسان في حياتهِ هو خدمة الحقيقة بنشر العلم . ولقد قام المقتطف بحظ من ذلك عظيم . فلهُ بذلك على كل قارئ من قراء العربية حق . واداء لهذا الحق نحتفي اليوم بعيده الخمسيني آملين ان يحتفي ابناؤنا بعيدهِ المئيني

قصيدة حافظ بك ابرهيم

شيخان قد خبرا الوجود وادركا	ما فيهِ من علل ومن اسباب
واستبطنا الاشياء حتى طالعا	وجه الحقيقة من وراء حجاب
خمسون عاماً في الجهاد كلاهما	شاكي البراعة طاهر الجلباب
لا تعجبوا ان خضبا قلميهما	وبياض شيبهما بغير خضاب
فلكل حسن حلية يزهى بها	وأرى البراعة حلية الكتّاب
اني نظرت الى البراعة في يدي	فحسبتها في القدر عود ثقاب

ونظرتها تنقض من كفيهما فوق الطروس تخالها كشهاب
يزهى مدججنا برمح واحد وأراهما لا يزهيان بغاب
متواضعان ولا أرى متكبراً غير الجهول مدنساً بالعاب
يتجاذب القطران في فضليهما ذيل الفخار وليس ذا بعجاب
فهما هنا علمان من اعلامنا وهما هنالك نخبة الانجاب
جازا مدى السبعين لم يتوانيا عن وصل حمد واجتناب سباب
نسباهما قلماهما فليسحبا ذيلاً على الاحساب والانساب
قلمان مشروعان في شقيهما وحي يفيض على اولي الالباب
متساندان اذا الخطوب تألبت متعانقان تعانق الاحباب
نفحات اذار اذا لم يظلما فاذا هما ظلما فلفحة آب
ما سودا بيضاء الا بيضا بالكاتبين صحيفة الاعجاب
للمقصد الاسمى لدى حرم النهى رفعا قباباً حوجزت بقباب
خطاً بمقتطف العلوم بدائعاً وروائعاً بقيت على الاحقاب
جاءا لنا من كل علم نافع او كل فن ممتع بلباب
في كل لفظ حكمة مجلوة و بكل سطر مهبط لصواب
فاللفظ فيه مقوّم بصحيفة والسطر فيه مقوّم بكتاب
داني القطوف كريمة افياؤه عذب الورود مفتح الابواب
ذلل مسالكهُ فانّى جئتهُ الفيت نفسك في فسيح رحاب
تتسابق الاقلام فيهِ ولا ترى من عاثر فيها ولا من ناب
كم من يراعة كاتب جالت بهِ ولعابها في الطرس حلو رضاب
كم من سؤال فيهِ كان جوابهُ الهام نابغة وفصل خطاب
كم فيهِ من نهر جرى بطريفة ترد النهى منهُ ألذ شراب
وقفت سقاة الفضل في جبانهِ تروي النفوس بمترع الأكواب
ماذا اعد وهذه آياتهُ في العد تعجز أمهر الحساب
قد نسقت وتآلفت فكأنها في الحسن مثل تآلف الاحزاب
وترى تهافتنا عليهِ وحرصنا فتخال فيهِ مقاعد النواب
يا ثروة القراء من علم ومن فضل ومن حكم ومن آداب

الشرق اثبت يوم عيدك انهُ ما زال في ري وخصب جناب
عادت سماء الفضل فيهِ فاطلعت زهراً من الاعلام والاقطاب
العلم شرقي تغافل اهلهُ عنهُ فعاقبهم بطول غياب
وتنبهوا لمصابهم فتضرعوا فعفا وعاودهم بغير عتاب
فتذوقوا طعم الحياة وادركوا ما في الجهالة من اذى وتباب
العلم في البأساء مزنة رحمة والجهل في النعماء سوط عذاب
ولعل ورد العلم ما لم يرعهُ ساق من الاخلاق ورد سراب
اني قرأتك في الكهولة والصبا وملأت من ثمر العقول وطابي
واتيت اقضي بعض ما اوليتني واقول فيك الحق غير محاب
لو كنت في عهد الفتوة لم ازل لوهبت للشيخين برد شبابي
لكنني ابليتهُ وطويتهُ وتخذت من نسج المشيب ثيابي
واري ركابي حين شابت لمتي يحثنها سفر بغير اياب

***

يعقوب انك قد كبرت ولم تزل في العلم لا تزداد غير تصابي
لاحت برأسك هزة ولعلها من وقع فكرك لا من الاعصاب
فكر سريع كره متدفع كتدفع الامواج فوق عباب
لا يستقر ولا يحدث نفسه ان ينثني عن جيئة وذهاب
او انها طرب بنفسك كلما وفقت في بحث وكشف نقاب
او انها استنكار ما شاهدتهُ في الناس من لهو وسوء مآب
لم يلهك الاثراء عن طلب العلا بالجد لا بتصيد الالقاب
لك في سبيل العلم اجر مجاهد والصبر اجر ملازم المحراب
واليك من جهد المقل قصيدة يغنيك موجزها عن الاسهاب
لولا السقام وما اكابد من اسى لحقت في هذا المجال صحابي

جابر بن حيان

(تابع ما قبله)

(ب) كتب ذات خطر لم تعرف في العالم العربي الحديث

(٣٣) كتاب ابي قلمون . في الجدول الذي ذكر فيهِ صاحب الفهرست مؤلفات جابر يذكر كتاب بعنوان « كتاب الي قلمون » وقد ترجم برتيلو اسم هذا الكتاب الى الفرنسوية فكان عنده (Livre à Qalamoc peut-être faut-il lire" Le livre du caméléon.

وكلمة Caméléon الفرنسوية معناها الحرباء وبالانجليزية Chameleon اما العلامة « فلوجل » فيقرر ان قراءة « الي قلمون » في الفهرست تصحيف او خطأ في النقل وانها تقرأ « ابي قلمون » و يقول هوليارد ان ما قرره فلوجل لا يحتمل شكاً لان كلمة « ابي قلمون » في العربية اسم للحشرة المعروفة في الانجليزية باسم Jasper وهي حشرة تأكل الذباب وقد ضرب المثل في العداء بالضب والنون والذباب وابي قلمون

(٣٤) كتاب ال ب روح . ذكر في الفهرست . و يقول هوليارد ان برتيلو قد اخطأ في قراءة الاسم اذ قرأه كتاب البدوح al-Badouh من غير ان يفسر ما هو البدوح هذا . و يقول بان القراءة الصحيحة هي كتاب ال ب روح لان مجموع هذه الاحرف يمثل القيمة العددية (٢٤٦٨) . غير اني ارجح صحة قراءة برتيلو . فانا لا نزال نرى على بعض الخطابات كلمة « بدوح » وتحتها الرقم (٨٦٤٢)وهو الاصح لا رقم (٢٤٦٨) كما ذكر هوليارد . وهو طلسم يفيد السرعة والانجاز . ولعله كان يستعمل كما قال هوليارد كتعويذة طلسمية مسهل على الوالدات اذا تعسرن في الوضع . والعلامة ده ساسى من هذا الرأي

(٣٥) كتاب المجردات . ذكر في الفهرست . وهو بعينهِ المعروف في اللاتينية باسم Liber denudatorum ونسب الى الرازي خطأً (راجع دوزى) وذكره ايضاً بوريليوس

(٣٦) كتاب التصريف هو المعروف في اللاتينية باسم Liber Mutatorium

(٣٧) كتاب الثلاثين كلمة.معروف في اللاتينية باسم Liber de XXX Verbis

(٣٨) كتاب الخمسة عشر • معروف في اللاتينية باسم Liber XV. منهُ نسخة عربية في مكتبة جامعة ترنتي باكسفورد رقم ٣٦٣

(٣٩) كتاب مصححات سقراط . يظن هولميارد انهُ نفس الكتاب المعروف في العالم اللاتيني باسم Ad laudem Socratis dixit Geberis منهُ نسخة في مكتبة بودلي رقم ١٤١٦

(٤٠) كتاب السبعين . ذكرهُ برتيلو ووصفهُ اتم وصف وهو معروف في العالم اللاتيني باسم Liber LXX في المتحف البريطاني بالمجموعة ١٠٧٦٤

(٤١) كتاب شرح المجسطى • ذكر في الفهرست وترجمهُ «جيرار الكريموني» Gerard of Cermona منهُ مخطوطة بجامعة كوربس كرستاي باكسفورد بالمجموعة ٢٣٣ واخرى بمكتبة بودلي وثالثة بمكتبة جامعة كمبردج

(٤٢) كتاب الوصية • منهُ نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة ٧٧٢٢. ومنهُ ترجمة لاتينية Geberi testamentum في جامعة ترنتي بكمبردج (مجموعة ٩٢٥ و١٣٨٠) وقد طبعت هذه الترجمة عدة طبعات

(٤٣) كتاب اللاغم . ذكر في رتبة الحاكم . اما اللاغم في الكيمياء فيراد بها خليط من معدن وزئبق . وفي المعادن الملغمي معدن يكون على هيئة بلورات او كتل كبيرة او نصف سائل ابيض اللون فضيهُ. اذا قصم او قطع احدث صريراً وهو مؤلف من فضة وزئبق . اما ملغم الذهب فهو حصّي معدنية صغيرة الحجم كالحمص بيضاء اللون حبيبية القوام سهلة التفتت وقد تكون على هيئة موشورات بيضاء ضاربة الى الاصفرار ثلثها ذهب وثلثاها زئبق

(٤٤) كتاب الخالص • يقول هوفر (Hoefer) في كتابهِ « تاريخ الكيمياء » ان كتاب الخالص هو الاصل الذي اخذ عنهُ الكتاب المعروف في العالم اللاتيني باسم Summa perfectionis غير انهُ لم يؤيد قولهُ هذا ببرهان

(٤٥) كتاب الجمع

***

(ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهي اما موجودة او معروفة بالاسم فقط

(٤٦) كتاب صندوق الحكمة (٤٧) كتاب اخراج ما في القوة الى الفعل

(٤٨) كتاب الحدود . منها نسخ بمكتبة القاهرة

(٤٩) كتاب كشف الاسرار وهتك الاستار . منهُ نسخة بالمتحف البريطاني في المجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥٤ واخرى بمكتبة القاهرة وطبعهُ في لوندرا مصحوباً بترجمة انجليزية الاستاذ ستيل (R. Stule) سنة ١٨٩٢ ونشرهُ لوزاك Lauzac & Co

(٥٠) رسالة في الكيمياء . منها نسخة بمكتبة القاهرة

(٥١) كتاب في علم الصنعة الآلهية والحكمة الفلسفية . منهُ نسخة بمكتبة القاهرة

(٥٢) كتاب خواص اكسير الذهب •منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموع ٢٦٢٥رقم ٦ .وترجمهُ الى الانكليزية العلامة هولميارد نشر بمجلة (Science progress) سنة ١٩٢٢ ص ٢٥٨ حيث ذكر خطأً انهُ رسالة من كتاب الخواص المار ذكرهُ

(٥٣) كتاب المقابلة والمماثلة . بمكتبة برلين رقم ٤١٧٧ قسم عربي

(٥٤) كتاب الرحمة . طبعه برتيلو عن نسخة مخطوطة بمكتبة ليدن رقم ٤٤٠ قسم عربي . اما الاستاذ هولميارد فيقول ان هذا الكتاب من تأليف ابي عبد الله محمد بن يحيى ذكر فيهِ كثيراً من المقطوعات عن جابر . ودليلهُ على هذا ان موءلفهُ ذكر اسم نفسهِ في اكثر من موضع في الكتاب

(٥٥) كتاب الرحمة الصغير . طبعهُ برتيلو ومنهُ نسخة في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ ، ونقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٥٦) كتاب التجميع . طبعهُ برتيلو عن نسخة في مكتبة ليدن رقم ٤٤٠ قسم عربي

(٥٧) كتاب التجريد . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ . وذكر جابر انهُ الف هذا الكتاب بعد ١١٢ موءلف لهُ وانهُ يوءلف حلقة من سلسلة كتبهِ في الميزان

(٥٨) كتاب السهل (٥٩) كتاب الصافي . منهما نسختان بالمتحف البريطاني رقم ٧٧٢٢

(٦٠) كتاب الاحراق (٦١) كتاب التخليص (٦٢) كتاب الابدال .

(٦٣) كتاب زهر الرياض . ذكرها الجلداقي في نهاية الطلب

(٦٤) كتاب الاصول • في المتحف البريطاني بالمجموعة ٢٣٤١٨ رقم ١٣ وذكر بوريليوس انهُ ترجم الى اللاتينية تحت عنوان (Liber Radicum)

(٦٥) كتاب منهج النفوس (٦٦) كتاب شرح كتاب الرحمة.ذكرهما الجلداقي في الجزء الثاني من نهاية الطلب

(٦٧) كتاب العفو . ذكرهُ الطغرائي و بالمتحف البريطاني نسخة رقم ٨٢٢٩

(٦٨) كتاب الراحة (٦٩) كتاب السر المكتوم . ذكرهما الطغرائي

(٧٠) كتاب العوالم . ذكرهُ الطغرائي ، ولذلك ذكر برتيلو موءلفاً بهذا العنوان في الطبعة التي اخرجها لكتاب الموازين . ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦

(٧١) كتاب الذهب (٧٢) كتاب الفضة (٧٣) كتاب النحاس

(٧٤) كتاب الحديد (٧٥) كتاب الاسرب (٧٦) كتاب القصدير او القالي . منها نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦

(٧٧) كتاب الخارصيني او الخار الصيني . الخارصيني معدن سمي في اللاتينية (Katesim) و يرجح انهُ تركيب من الزنك والنحاس والحديد . ويقول دورى انهُ اسم صرف على الزنك وحدهُ . ومنهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس ٢٦٠٦

(٧٨) كتاب الاحجار (٧٩) كتاب الحروف (٨٠) كتاب الكبير . منها نسخ بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦

(٨١) كتاب نار الحجر . منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ وطبعهُ برتيلو عن نسخة مكتبة ليدن رقم ٤٤٠

***

(د) كتب لم تعرف الاَّ عناوينها

(٨٢) كتاب الاربعة (٨٣) كتاب التصعيد (٨٤) كتاب الاطيان

(٨٥) كتاب التنقية . ذكرها الجلداقي بلا تعليق في نهاية الطلب

(٨٦) كتاب التنزيل (٨٧) كتاب المنتهى . ذكرهما جابر نفسهُ في كتاب الخواص

(٨٨) كتاب الخمسين . ذكرهُ جابر في كتاب الزئبق الغربي

(٨٩) كتاب الادلة . ذكرهُ جابر في كتاب الموازين

(٩٠) كتاب صفة الكون . ذكرهُ جابر في كتاب الرحمة الصغير

(٩١) كتاب تدبير الحكماء . ذكرهُ جابر في كتاب الموازين

(٩٢) كتاب السموم . اضطررت هنا الى ذكر كتاب السموم من كتب جابر التي لم تعرف الاَّ عناوينها مجاراة للرأي الشائع في اوربا في حين ان هذا غير صحيح كما اثبتنا في هذه الرسالة

(٤) كتاب السموم

من اشهر مؤلفات جابر بن حيان كتاب السموم. لان السموم في الكيمياء وفي المادة الطبية (Materia Medica) من اشد الاشياء علاقة بعلم الطب . غير ان الظاهر ان اكثر الباحثين من المستشرقين ، ومن بينهم فئة من مشهوريهم مثل الاستاذ روسكا وهوليارد وده ساسي لم يعثروا على نسخة من كتاب السموم . غير اني عثرت في المقتطف على مقالة نشرت بالمجلد ٥٨ ص ٤٠ و ٤١ على شيء عن كتاب السموم نجتزئ منهُ بما يأتي اتماماً لفائدة البحث :

« ولجابر بن حيان كتاب اسمهُ السموم ، منهُ نسخة بالمكتبة التيمورية بمصر يقال فيها ان مؤلف الكتاب هو ابو موسى جابر بن حيان الصوفي تلميذ جعفر الصادق ، وان هذه النسخة نسخت بشيراز سنة ثلاث وخمسمائة خراجية . واذا صحت نسبة هذا الكتاب الى جابر بن حيان فهو اذاً اقدم الكتب العربية التي وصلت الينا لان جابر توفى سنة ١٦٠ للهجرة ، على ما ذكرهُ حجي خليفة في كشف الظنون وذلك يطابق سنة ٧٧٦ ميلادية . وفي رواية اخرى ان جابر كان تلميذاً لخالد بن يزيد وهذا توفى سنة ٨٥ للهجرة . وقد تضاربت الاقوال في مسقط رأسهِ ، فقيل انهُ ولد في طوس وقيل في الكوفة وقيل بحران في القرن الثالث الهجري وإنهُ كان صابئياً

« وهذه النسخة مبدوءة بالبسملة ولكنها خلو من الحمدلة والصلاة والتسليم ، وهذا يدل على انهُ كان صابئياً ولعل البسملة زيادة من النساخ

« والكتاب مقسوم الى ستة فصول

« الاول — في اوضاع القوى الاربع وحالها مع الادوية المسهلة والسموم القاتلة وحال تغير الطبائع والكيموسات المركبة منها ابدان الحيوانات . والثاني — في اسماء السموم ومعرفة الجيد منها والرديء وكمية ما يسقى من كل واحد منها وكيف يسقى واوجه ايصالها الى الابدان . والثالث — في ذكر السموم العامة الفعل في سائر الابدان والتي تخص بعض ابدان الحيوان دون بعض والتي تخص بعض الاعضاء من ابدان الحيوانات دون بعض . والرابع في علامات السموم المسقاة والحوادث العارضة عنها في الابدان والانذار فيها بالخلاص والمبادرة الى علاجهِ والحكم بالاياس مما لا حيلة فيهِ . والخامس — ذكر السموم المركبة وذكر الحوادث الحادثة عنها. والسادس — في الاحتراس

من اخذ السموم قبل اخذها فاذا اخذت لم تكد تضر وذكر الادوية النافعة من السموم اذا شربت من قبل بعدم الاحتراس منها »

« وقد قسم السموم الى ثلاثة انواع — حيوانية ونباتية وحجرية . فمثال الاول مرار الافاعي ومرارة النمر ولسان السلحفاة وذنب الايل والارنب البحري والضفدع والذراريح والعقارب والكلب الكَلِب ، ومثال الثانية . البيش وقرون السنبل والافيون والبنج الاسود والشوكران والشيلم والجوز ماثل والكسبرة وبزر قطونا والفطر والكمأة وصمغ الشذاب والبلاذر والحنظل والدفلي والخربق واللفاح واليبروج وعنب الثعلب والحلتيت. ومثال الثالثة — الزنجار والزئبق والزرنيخ والنورة والزاج والشب والطلق وبرادة الحديد وبرادة الذهب

« وقد اكثر المؤلف من ذكر فلاسفة اليونان واطبائهم كانهُ اعتمد عليهم ولاسيما في الكلام العلمي عن فعل السموم كقولهِ قد اطلق بقراط وجالينوس وأندر وماخس وسائر اصحاب المهنة الطبية انهُ لا شيء في اجسام الحيوان من الاخلاط اكرم من الدم وانهُ قاعدة البدن »

٥ تلمذتهُ على جعفر الصادق

تقع في اكثر التراجم التي كتبت عن حياة جابر بن حيان على انهُ تلمذ للامام السادس جعفر الصادق[1] (٨٠ او ٨١ الى ١٤٨ هـ = ٦٩٩ او ٧٠٠ الى ٧٦٥ م) وليس في التاريخ الزماني ما يناقض ذلك فان المرجح ان جابر قد عاش ما بين سنتي (١١٢ او ١٢٣ الى ١٩٥ هـ = ٧٣٠ او ٧٤٠ الى ٨١٠ م)[2] ولكن الشك الكبير يقع في ان جعفر قد اشتغل بالكيمياء

(١) الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب

(٢) راجع تحقيق الاستاذ هولميارد في مجلة الكيمياء والصناعة (Chemistry & Industry) عددي ٥ و ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٣ وذكر حجي خليفة في كشف الظنون ان جابر توفي سنة ١٦٠ هـ . وهذا مناقض لتحقيق الاستاذ هولميارد . على انه في رواية اخرى انه كان تلميذاً لخالد بن يزيد . وهذا توفي سنة ٨٥ هـ (٧٠٤ م) ، فالفرق بين وفاة خالد ورواية كشف الظنون عن وفاة جابر ٧٥ سنة قمرية . وعلى تحقيق الاستاذ هولميارد لم يعمر جابر اكثر من ٨٠ عاماً على الاكثر او ٧٠ عاماً شمسياً على الاقل ، وهذا يعادل ٨٣ عاما على الاكثر او ٧٢ عاماً قمرياً على الاقل . وهذا يوسع مجالاً كبيراً للشك والبحث معاً . (راجع مذكرات وتعليقات عامة رقم ٢)

نترك هذا البحث الماماً لنمعن النظر في مسألة آثار غبارها الاستاذ « روسكا » (١) فانهُ يقول بان المسلمين ينقسمون قسمين عظيمين ، الشيعيون والسنيون ، وان الشيعة غالبهم من الفرس ويقدسون علياً بن ابي طالب ، ولهم فيهِ معتقدات شتى وانهم اكثر نزعة الى الصوفية — اي الباطنية الاسلامية — من نظرائهم الآخرين ، واذ كان جعفر الصادق سليل بيت على بن ابي طالب ، لذلك كان يحترمهُ الشيعيون احتراماً كبيراً ، ويحلونهُ مكانة عالية من نفوسهم .ولهذا فهو يرجح ان يكون جابر ، وهو فارسي، ولا يبعد انهُ كان ذا نزعة صوفية (٢) ، قد احتك بجعفر الصادق ، وانهُ كان بينهما صلة وصداقة وهذا القول هو الذي يرجح بهِ الاستاذ «روسكا» ان علاقة ما كانت بين جابر و بين جعفر الصادق

غير ان الاستاذ روسكا ، لا يقف عند هذا الحد ، بل يذهب بعد هذا الى رأي آخر حيث يحاول ان يثبت ان جعفراً لم يشتغل بعلم الكيمياء ، و يريد من جهة اخرى ان يقول بان كتب الكيمياء المنسوبة الى جعفر منتحلة فعلاً ، وانهُ لم يشتغل بذلك العلم ، ولم يؤلف فيهِ . وهو يمضي في هذا الرأي مورداً كثيراً في الاسباب التي تحملهُ على التمسك بهِ . غير اننا نورد سبباً واحداً من الاسباب التي ذكرها . فهو يقول بانهُ مما يبعد تصوره ان الاشتغال بعلم الكيمياء ، وان كان قد انتشر وذاع في الاسكندرية و بغداد ودمشق ، قد يحتمل ان يكون قد وصل الى المدينة ، حيث كان يعيش جعفر الصادق ، احد اركان الشيعه ، وامام من ائمتها العظام ، وان يكون قد اشتغل عن الدعوة الشيعية بالزئبق والفوسفور او في تعليم امثال جابر بن حيان طريقة تحويل المعادن بعضها الى بعض . واستناداً على هذا الرأي ، لا يقف عند حد الاعتقاد بان جعفراً لم يشتغل بالكيمياء لا غير ، بل يمضي معتقداً بان كل الكتب المنسوبة الى جابر والتي ذكر فيها ان جابراً كان تلميذاً لجعفر يجب ان تعتبر مدخولة على جابر وانها من مختلقات العصور التالية لعصرها

على آن في مذهب الاستاذ « روسكا » كثيراً من مواضع الشك وترجيحات لا مرجحات لها . وذلك للاسباب الآتية :

(١) الاستاذ روسكا Prof Ruska في كتابه كيماويو العرب جزء ثان المطبوع في هيدلبرج سنة ١٩٢٤ (Arabioche Alchemistery Vol. II. Heidelburg)

(٢) في كتاب السموم المخطوط المحفوظ في المكتبة التيمورية بمصر يذكر ان مؤلفه جابر بن حيان الصوفي (كذا) تلميذ جعفر الصادق . وترجمة القفطي بانه جابر بن حيان الصوفي . راجع تاريخ الحكماء للقفطي ص ١١١ طبع مصر

اولاً — لم يستدل من التواريخ الموثوق بها على ان جعفر الصادق امضى كل حياته بالمدينة لم يبرحها

ثانياً — ان قول الاستاذ « روسكا » من انهُ لم يعرف ان المدينة كانت مركزاً لدراسة علم الكيمياء ، ان كان صحيحاً ، فان صحتهُ لا تنافي مطلقاً ، ان يكون الامام جعفر قد درس الكيمياء في مكان آخر

ثالثاً — ان علم الكيمياء لم ينتعش ويثمر الاَّ بين ايدي الفارسيين اولاً ، وانهم كانوا يعكفون على الاشتغال بهِ

رابعاً — ان الصوفيين غالب ما كانوا يدخلون المصطلحات الكيماوية في اشعارهم الباطنية

خامساً — ولهذا — نقول بان جعفراً اذ كان من عمد الشيعة وأئمتها الكبار وإذ كان على اتصال بشيعي فارس ، فلهذا لا يوجد من سبب ظاهر يحول دون الاعتقاد بانهُ كان يشتغل بعلم الكيمياء ، من طريق نظري على الاقل ، ان لم يكن من طريق عملي تجريبي

سادساً — ان جابراً كان صوفياً كما هو مرجح من مقدمة كتاب السموم الذي ذكر قبلاً ومن ترجمة القفطي لهُ في تاريخ الحكماء

سابعاً — ان العادة في الطريقة الصوفية ان يتبع كل صوفي منهم شيخاً لهُ ، ولا يبعد ان يكون جابر قد تلمذ بالفعل على جعفر في الصوفية ولا يبعد انهُ يكون قد سمع منهُ شيئاً في الكيمياء

وكل هذه الحقائق والاحتمالات لا تدل ، حتى ولو لم يثبت ان جعفراً كان مشتغلاً بالكيمياء ، على اثبات حبل الصلة بين جعفر وجابر ، كما انهُ لم يثبت ان جعفراً لم يكن عارفاً بمبادىء الكيمياء واغراضها

على ان القول في ذلك عديدة وجوههُ مشبعة نواصيهِ . وقد يحتمل ان يكون رأي الاستاذ روسكا صحيحاً ، وقد يكون هو الواقع ، غير ان البراهين تنقصهُ

— خاتمة —

ليس من شك في ان اسم جابر بن حيان من الاسماء الخالدة في التاريخ . وسواءٌ اكان عربيًّا ام فارسيًّا مسلماً ام صابئاً ، خراسانيًّا ام كوفيًّا ، فانهُ من مفاخر الشرق برمتهِ ، بل من مفاخر الانسانية كلها . لهذا نود من هذه الخاتمة ان ننبه بعض الذين

يعجون علينا بقولهم اننا نريد ان ننتقص العرب في مدنيتهم وعلومهم على ان النصفة والاقساط في القول ، لاسيما لدى النظر في مباحث التاريخ ، لن تتوافر اسبابها الاَّ بتوافر اسباب الاستقلال في الرأي . ولهذا نختم هـذا البحث متسائلين كما سأل ارسطوطاليس اخوانهُ في التلمذة « اذا اختلف افلاطون والحق ، فايهما اولى بالمحبة »

برقين اسماعيل مظهر

كتّاب العهد الماضي

— تمهيد —

كتب استاذنا الدكتور طه حسين فصلاً ممتعاً في المقتطف عن « النثر العربي في نصف قرن » تناول فيهِ طائفة من المسائل التي تعني مؤرخ الآداب حين يراجع اساليب الكتّاب واتجاهاتهم العقلية في الخمسين سنة الماضية ، وأعفى نفسهُ من التحدث الى القارئ « عن شخصيات الكتّاب الناثرين في مصر وغير مصر وآثار هذه الشخصيات في اساليبهم النثرية » وقد رأيت بهذه المناسبة ان اتكلم عن شخصية واحدة من شخصيات الكتّاب في العهد الماضي ، وهي شخصية رجل عرفتهُ وصحبتهُ واخذت عنهُ : هي شخصية المرحوم الاستاذ الشيخ محمد المهدي بك ، المتوفَّى في منتصف يناير سنة ١٩٢٤

— حياتهُ وآراؤُهُ —

ولد المرحوم الشيخ محمد المهدي في قرية من قرى مديرية الشرقية ، وطلب العلم في الجامع الازهر وفي مدرسة دار العلوم ، وقام بطائفة من الاعمال العلمية اهمها تدريس آداب اللغة العربية بمدرسة القضاء الشرعي والجامعة المصرية ، واشهر الاساتذة الذين تلقى عنهم: الشيخ محمد عبده والشيخ حمزة فتح الله ، واشهر من اخذ عنهُ من رجال الادب: الدكتور طه حسين ، ولهُ معهُ مواقف في النزاع بين القديم والجديد كانت تصل احياناً الى الجدل العنيف

كان الاستاذ المهدي اول من تلقيت عليهِ الادب في الجامعة المصرية ، وقد صحبتهُ فيها اربع سنين ، وسمعت محاضراتهِ عن عهد الجاهلية ، وعهد بني امية ، وعصر بني العباس ، وخصَّ الادب في الاندلس بسنة كاملة كانت من اخصب سنيهِ في العهد

الاخير، وكنت أَصِل جَناحه بعد المحاضرة حتى يصل الى المحطة، وقد كان رحمهُ الله يؤثر سكنى الضواحي على سكنى العاصمة، فكانت الفُرص كثيرة لمخاطبتهِ في شتى المسائل وشجون الحديث، ويمكن الحكم بانهُ كان من نوادر الاساتذة الذين فهموا روح هـذا العصر، واستمعوا نداء هذا الجيل

كان يؤثر اللغة الفصيحة في جميع محادثاتهِ، وكان يتحرز من اللحن ويتوقَّاهُ كما يتوقَّى الحر مدارج الهوان، وكان يرى انهُ من الممكن ان نتفاهم مع جميع الطبقات باللغة الفصيحة، ولا يكلفنا ذلك اكثر من اختيار الالفاظ المألوفة حين نحاور من لا يفهمون الجَزْل من الكلام الفصيح، وكان كثيراً ما يتهكم بعلماء الازهر حين يقولون وهم يعربون « مرفوعْ وعلامةْ رفعهْ الضمَّةْ الظَّاهرَهْ » فكان يقول: ماذا عليهم لو قالوا: « مرفوعٌ وعلامةُ رفعهِ الضمَّةُ الظاهرَة » وقد نشأ عن حرصهِ على اللغة الفصيحة أَنْ ذاعت عنهُ الفكاهات والمُلَح بين زملائهِ وبين تلامذتهِ، فهذا يقول إِنهُ اختلف مرة بسبب لغتهِ مع سائق الترام، وذاك يقول انهُ ساق احد الباعة الى القسم بعد ان تلاحيا: اولهما بلغة السُّوق وثانيهما بلغة القرآن !

وكان من رأْيهِ انهُ يجب ان لا نهجر الالفاظ الغريبة في الكتابات الادبية والعلمية والفنية، لان غرابة الالفاظ لم تنشأ الاَّ حين هجرها الادباء والعلماء والفنيون، فلو اننا أَحيينا في كل رسالة كلمة او كلمتين لبعثنا ميت اللغة واثرنا دفين التعابير، وكان لنا من ذلك غَنَاءٌ ايُّ غناء

كان رحمهُ الله من المجددين، مع شيءٍ من الحيطة والحذر، فربَّى ابنتهُ تربية حديثة ومكَّن لها من ورود مناهل العلم في الغرب، وزار بنفسهِ العواصم الاوربية، وان لم يتكلم غير العربية، وكان لكل مدينة في نفسهِ تقدير خاص، ولا يزال تلامذتهُ يتندَّرون بقولهِ في وصف احدى الحواضر الاسبانية « قُصَرٌ في منديل » ! وتزوج في اخريات ايامهِ امرأَة جميلة، وقد حدثني رحمهُ الله انهُ اشترط « ان يرى وجهها وان يسمع صوتها » اذ كان يعتقد انهُ لا قيمة للوجه الحسن بدون الصوت الجميل، وكان كثيراً ما يسوقهُ مثل هذا الحديث الى الكلام عما فعلتهُ الخنساء حين اخبرت من جاء يخطبها لنفسهِ، فلما زهدت فيهِ قال ـــ

وتزعم انني شيخٌ كبيرٌ فهل حدثتها انِّي ابن امسِ ؟

وكان الاستاذ يقول وهو يؤكد وجوب اختيار الزوجة « انك لا تشتري حزمة فجل قبل ان تقلّبها فكيف تأخذ العشيرة قبل ان تعرفها » وكان يأسف على حرمان المرأة من النهوض ، و يعجب من استصغار حمَلَة الادب ورواة الشعر لشأن المرأة ، وغمطهم من حقها ، واهمالهم الادب اذا كان من جانبها ، وقلة عنايتهم بتدوينهِ اذا كان مرويًّا عنها ، و يقول « فان لم يكن ذلك كذلك فما بالنا نسمع من اسماء الشواعر في الجاهلية العدد العديد ولا نرى لواحدة منهن ديوانًا حافلاً مجموعًا مرتبًا مشروحًا كما نرى ذلك لاكثر الشعراء ، فقد عُني العلماء بدواوينهم روايةً وشرحًا وترتيبًا ومفاضلة ، و بذلوا وسعهم في اظهار معانيها المخترعة ومقابلة بعضها ببعض ، ومآخذ المشترك منها والموازنة بين المأخوذ والمأخوذ منهُ ، ومقارنة الديباجة والوضوح والمتانة والسلاسة والسلامة من عيوب اللفظ وما شاكل ذلك بنظائرها من كلام الشاعر الآخر ، ولم يكن لعلماء اللغة ورواتها مثل هذه العناية لشاعرة من شواعر الجاهلية فيما اعلم ، حتى ان الذين تخيروا الشعر الجيد منهم وجمعوهُ في ديوان ليحفظ كأنهم لم يريدوا ان يختاروا قصيدة لامرأة لتكون بجانب قصائد الرجال » وكان يعزز رأيهُ هذا بان ابا زيد القرشي قد اختار تسعًا واربعين قصيدة من القصائد الطوال ولم يجئ فيها بواحدة لامرأة ، لا من الجاهلية ولا من الاسلام ، مع ان في كلام ليلى العفيفة وجليلة بنت مرة والخنساء وليلى الاخيلية ما لا يذكر بجانبهِ شعر كثير من اصحاب المذهبات والمشوبات والملحمات والمنتقيات ، وان المفضل الضبي اختار مائة وعشرين قصيدة وقطعة ليس فيها الاّ خمسة ابيات لامرأة مجهولة من بني حنيفة ، ثم يقول « فهذه مكانة شعر النساء في نظر المؤدبين والرواة والعلماء في ذلك الزمن ، وكأنما الذين جاءوا بعدهم احتذوهم حذو النعل بالنعل ، فما رأيتهم دوّنوا شعر ليلى الاخيلية في ديوان كما دونوا شعر المجنون . ولا شعر علية بنت المهدي كما دونوا شعر ابي العتاهية ، ولا دونوا شعر ولاّدة بنت المستكفي كما دونوا شعر ابن زيدون ، وقس على هذا سائر الفضليات بعدهن ، خصوصًا بعد سقوط بغداد ثم أفول قرطبة . فان شعر المرأة في هذا الزمان قد اختبأ تحت جهالات الرجال ، ولم يظهر منهُ الابروق لا تلبث ان تزول » وقد وصل بدراستهِ الدقيقة الى ان الفروق بين اشعار الرجال واشعار النساء من جهتين : الاولى من جهة صفة الشعر ، والثانية من جهة فنونهِ . وملخص الجهة الاولى ان شعر المرأة يجلي اخلاقها اكثر مما يجلي شعر الرجل اخلاقهُ ، وانهُ يدور حول موضوعها ولا يكاد يخرج عنهُ وانهُ بعيد عن الحوشية قريبٌ من الفطرة ومتناول العامة ، وانهُ اصرح من شعر الرجل لانها

لا تكاد تبقي شيئاً في نفسها ، وانهُ اشد اثراً في النفوس من شعر الرجل وخصوصاً ما كان منهُ في الفجائع . واما من جهة الفنون فقد هجرت المرأة وصف الجمال ومجالس الشراب لغلبة الحياء عليها ولاستقباح ذلك منها ،وان مادتها اغزر من مادة الرجل في الرثاء

— اسلوبهُ في الالقاء والانشاء —

كان رحمهُ الله من ابرع الناس في الالقاء ، واجملهم في الاداء ، كان فصيح المنطق حلو اللسان ، لا يملُّ حديثهُ ولا خطابهُ ، وان طال ، وكان ينشد الشعر كما يجب ان ينشد وكما يتمنى قائلهُ ان ينشد . ولقد كان ينشد الشعر وهو يحاضر في الجامعة المصرية فيقع من نفسي ومن أنفُس السامعين اجمل موقع ، فاذا عدت الى الشعر نفسهِ في مظانهِ وجدتهُ دون ما سمعت في الروعة والجمال ، وعلمت ان لاسلوب المحاضر في الاداء اثراً كبيراً في تكييف النثر الجيد والشعر البليغ

اما منهجهُ في الانشاء فهو إيثار الصراحة والوضوح والجلاء ، واسلوبهُ في الكتابة من الاساليب النقية الجميلة ، وهو عندي أبرع كتَّاب مصر في المدة التي ارّخها استاذي الدكتور طه حسين . لولا انهُ كان من المقلّين

— مثال —

اراد رحمهُ الله ان يحدد (معنى الادب) فقال :

« الادب مصدر ادب الانسان فهو اديب ، ومثلهُ ارب فهو اريب ، اذا صار فيهِ خلق يدعو الى المحامد ، و ينهى عن المقابح ، والتأديب التقويم على اشرف الخلال ، ومنهُ الحديث : ادبني ربي فأحسن تأديبي . والادب والتأديب بهذا المعنى يكادان يدخلان في كل شيء . ولهذا قسما الى اقسام لا تكاد تنحصر ، فكانا في النفس والدرس والمعاملة والمعاشرة وفي طبقات الناس ، وفي الامم وفي الاكل والشرب والنوم واللباس والحديث الى غير ذلك من كل ما يعوزهُ التقويم . وقد افرد لهُ العلماء التآليف في فنونهِ الكثيرة وضروبهِ المختلفة ، وقام المصلحون في كل امة بالدعوة اليهِ على وجههِ الصحيح . ولتشعب هذه الاقسام وصعوبة لم الذهن لها جميعاً انحازت للادب في الاذهان معان عدة متوزعة في اذهان الناس ، فاذا اطلقت كلمة الادب في حفل من غير اضافة ولا قرينة ذهبت الظنون فيها مذاهب وفهمها كل قوم على مقدار ما تبين لهم من معناها بعُرف او دين او قانون او اصطلاح

« وقد كانت هذه الحال عند العرب انفسهم فانّا رأيناهم يطلقونهُ على معانٍ عدة لا تكاد تخرج عن المعنى العام لها . فانهم يطلقونهُ على الظرف ، ويريدون منهُ تارة البراعة وذكاء القلب ، وتارة الحذق بالشيء ، وقد يريدون حسن الهيئة وحسن التناول ، وربما ارادوا بهِ الظرف في اللسان وهو ضرب من الادب ، ومنهُ قول عمر رضي الله عنهُ في الحديث : اذا كان اللص ظريفاً لم يُقطع . ومعناها : اذا كان بليغاً جيد الكلام احتج عن نفسهِ بما يسقط عنهُ الحد . ومثل ذلك اطلاقهُ على الكياسة . وقد جاء في حديث ابن سيرين : الكلام اكثر من ان يكذب ظريف . ومعناهُ : ان الظريف لا تضيق عليهِ معاني الكلمات فهو يكني ويعرّض ولا يكذب . وقد اجتاز العرب هذا الحد ، واطلقوهُ على الرياضة والخضوع في الدواب ، ومنهُ قول مزاحم العقيلي :

وهنّ يُصرفن النوى بين عالجٍ ونجران تصريف الاديبِ المذلل

فقد سمّي الجمل اديباً

«واذا كانت هذه المعاني واشباهها في لسان العرب فليس من البدع ان يذهب مدونو الادب في تدوينهِ طرائق ، كلٌّ على حسبَ المعنى الذي مثل في ذهنهِ : فمن نحا بهِ نحو الخلق وطهارة النفس وتهذيبها من ادران الرذائل ألفَ في مكارم الاخلاق . وسمي تأليفهُ ادباً . ومن نحا بهِ منهم نحو حسن التناول ألف في محاسن المعاشرة والتعامل ، ومن نحا بهِ منهم نحو الظرف في اللسان وهو البراعة وذكاء القلب ألف في النوادر والاجوبة المسكتة والطرائف المستملحة ، وسمى ذلك ادباً . ومن نحا بهِ منهم نحو الصواب في المنطق وصون اللسان عن الخطأ في كلام العرب ألف في الفنون العربية ، والناحون هذا المنحى هم حملة اللسان الينا وهم السواد الاعظم من مؤلفي الادب ، وهم طوائف كثيرة ، نظرت كل طائفة الى حال من احوال اللفظ العربي وألفت فيهِ : فنظرت طائفة اليهِ من جهة معانيهِ فدوّنت معاني الالفاظ ، وهم علماء متن اللغة ولحتهُ فئة من جهة هيئتهِ وصورتهِ فألفت علم الصرف ، وتتبعهُ قوم من جهة انتساب بعضهِ الى بعض بالاصالة والتوليد فألفوا علم الاشتقاق ، وتأملهُ آخرون من جهة تركيبهِ واحوال اواخر مفرداتهِ في التراكيب فألفوا علم النحو — واتجهت طائفة اليهِ من ناحية الاسلوب ومطابقتهِ لمقتضى حال الخطاب فالفت علم المعاني . وتفقدهُ آخرون من جهة مراتب وضوحهِ فألفوا علم البيان ، وبهر قوماً محاسنهُ اللفظية والمعنوية فألفوا البديع . ولمح قوم الموزون منهُ فألفوا العروض والقافية

ونظر قوم الى الثمرة من كلام العرب وانها القدرة على البيان قولاً وكتابة فألفوا فن الانشاء وهو الاجادة في المنثور ، ونظر آخرون الى محاكاته بالموزون فألفوا قرض الشعر ، وقوم رأوهُ من جهة رسمهِ ودلالتهِ الكتابية فألفوا الخط ، وآخرون رأوهُ من جهات عدة فقطفوا من كل روضٍ زهرة وألفوا فن المحاضرات وهو لا يختص بشيء »

ثم قال « بقي ان ننظر الى المراد بالادب هنا في دروس الجامعة فنقول : المراد منهُ كل ما ينمي ملكة اللغة في اللسان والقلم وتربية الذوق في الاختيار والانشاء ، والارشاد الى مناهج النقد الصحيح. والوسيلة الى ذلك اختيار الرائع من الاساليب والرائع من المعاني وعرضهُ على الطلبة لبيان وجوه الحسن فيهِ ، والمقارنات بين الفحول من الشعراء ، والمصاقع من الخطباء ، والبلغاء من الكتَّاب ، و بيان وجوه التفوق مع الالماع الى امهات المسائل من فنون اللغة اثناء الموازنات والنقد ، ومعرفة اذواق العصور المختلفة والنص على اجودها واسلمها . وهذا مؤدٍ الى الالمام بشيءٍ من تاريخ الادب لربط الموضوعات بعضها ببعض مما لا يسع الاديب ان يجهلهُ ولا يتم لهُ العلم بدونهِ كالاغراض التي قيل فيها الشعر ، والبواعث عليهِ من السياسة والجوائز والعشق ، وكتقسيم الشعراء في بعض العصور الى احزاب وبيان اثر كل حزب ، فان ذلك مما يتوقف عليهِ فهم مرامي اشعارهم ، وكذكر تاريخ الشاعر الموازن او الخطيب او الكاتب او المؤلف واثرهِ ومؤلفاتهِ وماذا بقي منها وما الذي وصل الينا »

— النقد —

يرى القارئ ان هذه الكلمة التي حدد بها كاتبها « معنى الادب » غايةٌ في الوضوح والجلاء ، وهي تاريخ مضبوط لتطور كلمة الادب وتنوع مدلولها في مختلف العصور ، وهي كذلك غاية في الاحاطة والشمول ، و يبعد ان تجد فيها اثراً للضعف او الغموض او الاضطراب. وقد اقتطفنا هذه الكلمة من المحاضرة التي القاها رحمهُ الله في الجامعة المصرية في ٤ نوفمبر سنة ١٩١٦ وهي تدل على تطور معنى الادب وتاريخهِ في نفسهِ ايضاً ، فقد رأيتهُ يتردد وهو يحاضر بالجامعة في اوائل نوفمبر سنة ١٩١٣ في التفرقة بين الادب و بين تاريخ الادب ، و يكاد ينكر ان يكون بين الادب وتاريخهِ فرق ، او ان يكون لكل منهما وجود خاص ، وقد كان هذا التردد طبيعياً في ذلك الحين اذ كان هذا الفن حديث النشأة في اللغة العربية ، وكان الباحثون فيهِ لا يجدون ما يحتذونهُ من نماذج

القدماء او المحدثين ، على انهُ رحمهُ الله ظل الى اخريات ايامهِ يعتمد في دراسة الادب على تفقد ما للشعراء من نضارة الديباجة ، و بلاغة المعنى ، وغزارة الفنون ، وحضور البديهة ، وقلة السقط ، و كثرة الغوص على المعاني ، وجمال الاخذ ، ووفرة المادة ، و براعة الاسلوب ، وكان هذا يضطرهُ فقط « إلى الالمام بشيء من تاريخ الادب لربط الموضوعات بعضها ببعض » كما قال ، وكذلك ظل منهجهُ منهجاً وسطاً بين الاساليب القديمة والمناهج الحديثة ، فلم يكن يسلك سبيل المؤلفين المتقدمين الذين كانوا يجمعون في كتبهم بين الشعر الجيد ، والنثر المختار ، والحكم المأثورة ، مع ذكر شيء من المشاهد والايام والمفاخرات والمنافرات ، ثم يستطردون الى شتى المسائل في التصريف والاعراب ، ثم يعودون الى التحدث عن اخبار الملوك ، ونوادر الشعراء والخطباء ، ولم يكن يسلك سبيل المجددين في تاريخ الآداب الذين يرون من الواجب درس الحياة الاجتماعية قبل نقد آثار العقول ، و يرون من الواجب كذلك ان يدرس سقط القول كما يدرس جيده ، وان يتتبع الناقد حياة من ينقدهُ من الكتّاب والخطباء والشعراء والمؤلفين ليرى كيف كانت الوان نفسهِ في اشكال حياتهِ — ولكل حياةٍ طائفةٌ من الاشكال — وانما كان يحاول رحمهُ الله ان تكون ابحاثهُ متعة من متع النفس ، لا دُروساً تتناول بالنقد والاختبار والتحليل ما ترك لنا الاولون من اثر قويّ او ضعيف

والذي يعنيني من ذلك كلهِ هو اسلوبهُ الخالص من شوائب الضعف والتكلف ، والبريءُ من موجبات اللبس والغموض ، وقد يتعذر ان يجد فيهِ القارئُ جملة تنقصها كلة ، او يمكن فيها الاستغناء عن كلة ، واني لأشبههُ بالصيدليّ البارع الذي يُحكم الجمع بين اجزاء الدواء بحيث لو حذف جزءٌ لاصبح الدواء ضاراً او غير مفيد

— آثارهُ الادبية —

وقد يحسن ان ننص على ان هذا الاسلوب البارع لم يكن اسلوب الاستاذ المهدي رحمهُ الله طول حياتهِ ، فقد رأيت لهُ طائفة من الرسائل كتبها في العهد الاول من حياتهِ الادبية ، وفي تلك الرسائل يكثر السجع وتكثر معهُ زخارف البديع ، وقد كان ذلك الطراز بدعة شائعة في ذلك الحين ، والسجع في ذاتهِ حلية نفيسة ، لولا انهُ قيد يضطر الكاتب الى التعثر فتظهر في عباراتهِ آثار الاضطراب

ولم يُعنَ رحمهُ الله باظهار آثارهِ . وهي الآن متفرقة في اماكن شتى بعضها في ايدي

اهله ، و بعضها في مكاتب ابنائهِ من طلبة القضاء الشرعي والجامعة المصرية ، وعندي من آثارهِ رحمهُ الله طائفة من المحاضرات القيمة ، سمعتها منهُ وراجعتها عليهِ ، وقد استطيع يوماً جمع شتات تلك الآثار في سفر خاص، والله بالتوفيق كفيل

— في سبيل الوفاء —

وفي اخريات سنة ١٩١٧ استقال رحمهُ الله من منصبه بالجامعة المصرية ، واستقال معهُ حضرة صاحب العزة الاستاذ محمد بك الخضري ، باشارة من وزارة الحقانية ، وكانت الجامعة يومئذٍ اهلية لا تنال من الحكومة ما هي خليقةٌ بهِ من التأييد ، فاقام طلبة الجامعة للاستاذين المهدي والخضري حفلة تكريم في فندق شبرد في مارس سنة ١٩١٨ وقد قلت لتلك المناسبة قصيدة في توديع الاستاذ المهدي ، ليست عندي من الشعر المختار ، ولكن لا بأس من ايراد القطعة الآتية في سبيل الوفاء

وما كانت الآداب الاَّ طرائفاً ... من الشعر او ما يستجاد من النثر
فابرزها المهديُّ عذراء غضةً ... تأوَّدُ تحت الحلي في الحلل الخُضْر
مباحثُ لو غُذِيَ زهر بروحها ... لأضحت قوافيهِ أدق من السحر
ولو فَقِهَ النيل المبارك كنهها ... لحوَّل ذيَّاك المزيج الى خمر
ولو أذِن الدهر العبوس لوقعها ... لاصبحت الايام ضاحكة الثغر
ولو عرفت مصر المفدَّاة قدرها ... لباتت لما يلقى البيان على جمر
فيا واحداً عزَّ البيان بفضلهِ ... على طول ما لاقى البيان من الهجر
لبُعدك في الاحشاء نارٌ ذكيةٌ ... تُفتِّت من كِبدي وتأكل من صدري
صبرت عليها يعلم الله راغماً ... على حين لا غوثٌ يُؤمَّلُ من حرٍّ

***

واني لارجو ان اكون حددتُ شخصية الاستاذ المهدي بعض التحديد في هذا البحث الوجيز ، وان اكون وفقت الى بعض ما يوجبهُ الوفاء بالعهد ، والاعتراف بالجميل نحو استاذ انا لفضلهِ مَدَى الدهر مَدِين . والسلام

زكي مبارك
دكتور في الآداب

في اسيا مهد الانسان

لما كشفت البعثة الاميركية آثار الدينوسورس في صحراء غوبي في الجانب الشمالي الغربي من بلاد الصين ووجدت بيوضهُ متحجرةً ظن البعض ان الصحراء التي حُفظت فيها بيوض ذلك الحيوان لا يبعد ان تحفظ فيها آثار الانسان اذا كان قد اقام فيها في العصور الغابرة[1] فتحقق الآن بعض ظنهم كما يظهر من الكلام الآتي وهو مقتطف من مقالة للدكتور اندروس رئيس البعثة الاميركية التي كشفت آثار الدينوسورس. قال

اقمنا الى جانب البحيرة البيضاء في صحراء غوبي يومين واذا بالباحثين منا عن الاحافير ومعهم نلسن الباحث في العاديَّات (آثار الانسان القديمة) قد عادوا بسيارتهم فبادرت اليهم لارى ما كشفوا . ولما وقع نظري عليهم توسمتُ في وجه واحد منهم (ولتر غرانجر) ما يدل على انهُ يعرف شيئاً ولا يستطيع اظهارهُ فقلت لهُ هات ما عندك. فقال سل نلسن . فالتفتُّ الى نلسن وقلت لهُ ما هذا التلكؤ يا رجل هات اخبرني

فقال لا شيء ولكننا وجدنا هيكلاً اظنهُ هيكل انسان من عصر البليستوسين[2]

فقلت بدهشة « من عصر البليستوسين ماذا تقول هذا ما كنا نحلم بهِ منذ سنين »

وكنت قد رأيت مكاناً فيهِ طين رمادي مثل الطين الذي يرى في بقايا العصر الجليدي ثم ثبت ذلك لاننا وجدنا فيهِ احافير من عظام الفرَس والمستودن[3] اللذين عاشا في ذلك العصر. وذهب نلسن اليهِ في الصباح لعلهُ يجد فيهِ آثار الانسان فلم يجد شيئاً الى ان كادت الشمس تغيب وحينئذٍ وجد سلاً من عظام انسان متحجرة ولاصقة بالارض ولا وقت لاخراجها فعاد هو ورفيقاهُ كما تقدم فغلب السرور عليَّ وطفح وجهي بشراً. اما نلسن فكان من اشد العلماء تأنياً فقال لي على رسلك فقد نجد مع هذا الهيكل غيرهُ وقد نجد هنا مقبرةً لاناس كانوا قبل المغول. فتبصَّرت في الامر وحلمت تلك الليلة انني كنت اري رجالاً من اسلاف الانسان الاقدمين يتصارعون هم و بعض الحيتان الكبيرة خارج خيمتنا

وحالما اصبح الصباح كنا حيث ذلك الهيكل العظمي ونلسن يحاول نزعهُ فلم يجد صعوبة في ذلك واول شيء نزعهُ قطعة من الخشب ثم عظم الساق وقد لُف بقطع من الخشب فأُسقط

(١) انظر مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٤ صفحة ٣٥٩

(٢) Pleistocene اي الدور الاحدث جداً وقد كان منذ مليون سنة انظر مقتطف يوليو سنة ١٩٢٢ صفحة ١٠٩ و١١٠ (٣) حيوان كالفيل

في يدي وظهر لي حينئذٍ ان المكان مقبرة كما قال نلسن فلا يزيد عمرها على الوف قليلة من السنين ولكن الخشب من الزان والزان انقرض من هناك قبل عصر المغول بل منذ قرون كثيرة . وقد كنا نتوقع ان نجد آثار انسان معاصر للستودن اي منذ مائة الف سنة او اقدم من ذلك من عصر الانسان الذي وجدت آثارهُ في جاوى (بيثيكنثروبُس) (١) ولقد فشلتُ وخاب ظني مراراً كثيرة ولكن هذه الخيبة الآن كان وقعها في نفسي من اشد ما يكون ومع ذلك ضحكت وقلت ان لم نجد آثار الانسان الاقدم فاننا سائرون في اثرها

وعثورنا على هذا الهيكل لم يكن خالياً من الفائدة لاننا قد نعلم منهُ كيف كان سكان تلك البلاد الاقدمون . والظاهر ان صاحب هذا الهيكل دُفن في الطين الباقي من عصر البليستوسين الذي كان مثل جُرف فوق الوادي. ومن المحتمل ان الاشجار كانت تغطيهِ وتظلل القبر لاننا وجدنا مع العظام قطعاً من الخشب . وكان اعلى الرأس كثير الميل الى الوراء دلالة على ان صاحبهُ كان من جنس متوغل في القدَم ولكن هذا الميل قد يكون حدث من الضغط عليهِ بعد دفنهِ.ولم نجد معهُ شيئاً من الادوات ثم وجدنا هياكل اخرى في مدافنها

لكننا كنا قد رأينا هناك ادوات من الصوان مثل ادوات انسان نيندرثل (٢) فثبت لنا ان اصحابها سكنوا هناك منذ مائة الف سنة فان نلسن وجد في السهل الذي فوق البحيرة وغيرها ادوات من العصر الحجري القديم وهي مطارق ومكاشط من الحجر مثل الادوات التي كان يستعملها سكان نيندرثل واولئك كانوا يسكنون الكهوف و يسيرون منحنين غير منتصبين و يصطادون الموث والدب ووحيد القرن و يرتدون جلود الحيوانات وكانوا يضرمون النار و يدفنون موتاهم وقد وجدت احياناً هياكل كثيرة منهم في قبر واحد

والانسان النيندرثلي كان بدوياً جوَّالاً وقد وجدت آثارهُ في اوربا وافريقية

(١) يقدر أنه وجد منذ خمسمائة الف سنة انظر مقتطف يونيو سنة ١٩٢٣ صفحة ٦١٤

(٢) Neanderthal واد في بروسيا وجدت فيه جمجمة وعظام اخرى بشرية سنة ١٨٥٦ وجدت فيما يسمى بالدور الدابع من الادوار الجيولوجية فاطلق على اصحابها اسم الانسان النيندرثلي وقد قال هكسلي حينئذ ان تلك الجمجمة اشبه ما وجد بجماجم القرود من حيث ما فيها من البروزات ولكن الاستاذ ورخو وغيره قالوا تلك البروزات حدثت من مرض ولكن وجدت جماجم اخرى تشبهها في سباي بالبلجيك فثبت انها لجنس خاص من الناس والمرجح انه ممثل لسكان اوربا اصحاب الرؤوس المصفحة اي الذين قطر رؤوسهم الامامي الخلفي اطول من القطر الجانبي dolichocephalic

ووجدت اخيراً في فلسطين والآن وجدنا انهُ كان يسكن اواسط اسيا لان الادوات الحجرية التي وجدنا هي من ادواتهِ

وفي سنة ١٩٢٣ وجد الاب ليسان Père Licent والاب تلهرد ده شاردن Abbé Teilhard de Chardin ادوات مصنوعة من عظام المستودن في صحراء اردس الى الجنوب من المكان الذي كنا نبحث فيهِ . ووجدا بين عظام الكركدن وغيرهِ من ذوات الثدي اكواماً من قشر بيوض النعامة الجبارة Stresthidithus التي كانت تسرح وتمرح في سهول منغوليا وشمال الصين . وواضح ان اولئك الاقوام اصحاب تلك الادوات جمعوا تلك البيوض واكلوا ما فيها فان البيضة تكاد تكون مضاعف بيضة النعام المعروف الآن. فيها غذاء كثير وما وجدهُ هذان اليسوعيان في أُردس كان على شاطىء بحيرة جفّت منذ قرون كثيرة وسفت عليها الرمال فملأتها .والادوات التي وجدناها نحن في منغوليا وجدناها على شاطىء البحيرة البيضاء ولذلك يرجح ان الانسان النيندرثلي الاسيوي او قرينهُ كان يقيم على شاطىء البحيرات ولم يكن يسكن الكهوف لان لا كهوف على مقربة من ادواتهِ التي وجدت حتى الآن . ومن المرجح انهُ اختار سواحل البحيرات و بنى خصاصاً من اغصان الاشجار اقام فيها وسقفها بجلود والحيوانات التي كان يصطادها . وسكناهُ في السهول لا في الكهوف يجعل حفظ آثارهِ والعثور عليها بعيداً جدًّا ولكن ذينك اليسوعيين وجدا في صحراء أُردُس ادلة على ان السكان اقاموا هناك زماناً طويلاً في مكان واحد . والآثار التي وجدناها نحن في منغوليا تدل على ان اصحابها سكنوا هناك عشرين الف سنة او اكثر . ومع ذلك لم نجد عظماً من عظامهم ولا هما وجدا شيئاً من العظام . والمرجح ان سكان صحراء أُردس كانوا يدفنون موتاهم في مكان بعيد عن مساكنهم لان عظام حيواناتهم وجدت حيث آثارهم ولكن عظامهم لم توجد هناك. اما في منغوليا حيث بحثنا نحن فالظاهر انهُ لم تكن الاحوال الجوية مناسبة لحفظ عظام السكان ولا لحفظ عظام الحيوانات لاننا وجدنا شظايا من عظام محروقة قرب اماكن النار ولكننا لم نجد عظماً سليماً مع انهم لا بدَّ من ان يكونوا قد اكلوا لحوم الوف كثيرة من الحيوانات مدة مآت من القرون

والمغول يعتقدون الآن انهُ حالما يموت انسان يتسلط روح نجس على جسدهِ وقد يضعون جثتهُ في مركبة تساق بسرعةٍ حتى تقع الجثة منها في مكان بعيد فيتركها سائق المركبة حيث تقع ولا يلمسها لئلاَّ ينتقل الروح النجس اليهِ . فقد يخرجون جثة الميت الى خارج المحلة ويتركونها لكي تأكلها الكلاب والذئاب والطيور وقد شاهدت مرةً جثة

ميت هجمت عليها الكلاب ومزقتها في سبع دقائق . وهم يوجسون شرًّا من موت احد في خيامهم فاذا اشرف احد على الموت اضرم ذووهُ لهُ ناراً ووضعوا لهُ اناء فيهِ طعام واخذوا امتعتهم وابعدوا عنهُ حتى يموت وحدهُ . ولقد انقذتُ كثيرات من الموت وجدتهنَّ متروكات على هذه الصورة خارج المحلة معرَّضات للطر والزوابع حتى يمتنَ

والمرجح ان بعضنا سيجد عظاماً من عظام اقدم الناس فاذا وجدنا هيا كل عظمية كاملة او جماجم فعلينا مقابلتها بما وُجد في اوربا من الجماجم واظهار ما بين اصحاب هذه وتلك من القرابة لانهُ يبعد عن الظن ان ينشأ الانسان في اوربا وفي اسيا بل المرجح ان يكون الواحد مشتقاً من الآخر فاذا كان هذا الجنس المعروف بانسان نيندرثل اصلهُ من اواسط اسيا حيث صحراء غوبي الآن قوي الظن انهذا المكانهو مهد اجناس منالناس اقدم كثيراً منهذا الجنس. ونحن نرى كل يوم ما يؤيد نبوَّة الاستاذ هنري فيرفيلد أُسبرن وهي ان تلك البلاد هي النقطة التي انتشرت منها الحيوانات اللبونة. وكل يوم يرينا ما نعلم منهُ كيف كان اقليم تلك البلاد من حيث حرها و بردها ونباتها في دور البليستوسين اي الاحدث جدًّا والعصر الجليدي القديم الذي نظن ان الانسان ابتدأ نشوءهُ فيهِ

وعلماؤُنا الجيولوجيون يقولون ان تلك الرقعة من اسيا لم يغطها الجليد في دور البليستوسين اما اوربا واميركا فكان الجليد يغطيها حينئذٍ من وقت الى آخر . وخلو تلك الرقعة في اسيا من الجليد عامل كبير في نشوء الانسان. وواضح ان غوبي لم تكن منذ مليون سنة او اقل صحراء كما هي الآن فلم يكن البرد والحر يشتدان فيها كما يشتدان الآن وكانت الحراج والمروج حيث لا نرى الآن الأرملاً قاحلاً وحصباء جافة. و يعتقد علماؤُنا الجيولوجيون ان الجفاف اشتد هناك في المائة الف السنة الاخيرة فهجرها سكانها الى افريقية واوربا وغيرها من البلدان حيث المعيشة اسهل والصيد اكثر

وقد تقدم ان الابوين اليسوعيين وجدا ادوات من الصوان في صحراء أُردس مثل ما وجد في اوربا . ونحن وجدنا مثلها في اماكن تبعد عن صحراء اردس مئات من الاميال و يستدل من ذلك على ان انسان نيندرثل كان منتشراً انتشاراً واسعاً في منغوليا منذ مائة الف سنة

والخلاصة ان المكتشفات الجيولوجية والاركيولوجية تدلُّ على ان مهد الانسان الاول المعروف بانسان نيندرثل كان في قلب اسيا حيث وجدت الحيوانات اللبونة الاولى كما جاء في مقتطف مايو وحيث وجدت الآثار المذكورة هنا

الادب المصري في القرن التاسع عشر

الشعر المصري

كان الشعر في مصر اوائل القرن التاسع عشر وقبلهُ كما كان في جميع الاقطار العربية : محاكاة للقديم وجرياً على اساليب شعراء العصور المتقدمة في الموضوعات التي عرفت اذ ذاك من مدح وذم ونسيب ووصف وغير ذلك . حتى لقد نجد من بين شعراء هذا العصر الاخير من يعمد الى رصانة الشعر القديم فيقلده ، والى اسلوبهِ المتين فيحاكيهِ والى الاخيلة المعروفة فيقتبس منها . وكادت تكون هذه الاساليب كل اغراض الشعراء من قول الشعر . فلم يخرج الشعر عن كونهِ صناعة من الصناعات لا شعوراً ولا اثراً من آثار الهامات النفوس ، ولا سمة من سمات العصر الذي كان يعيش فيهِ هؤلاء الشعراء . وحتى لم يكن هناك وسيلة للتفرقة والتمييز بين شعراء مصر وغيرهم من الاقطار العربية الاخرى، سوى ما اتصف بهِ المصري من خفة الروح وعذب الفكاهة، مما عرف بهِ في كل زمان . على ان الشعر كان في حالة تقهقر فلم يكن للشعراء اساليب خاصة ، بل كان الشاعر يكتفي بالوزن والقافية واخيلة غيره يضعها في كلام آخر و يلبسها الفاظاً اخرى. على انهُ لم تخلُ الحال في اوائل القرن التاسع عشر وقبلهُ من ان وجد بين هؤلاء الشعراء من كان حسن الديباجة ، طلي العبارة، رقيق الاشارة

وسار الشعراء عندنا على هذا المنوال بدون ان يكون لهم اي اثر جديد في الشعر المصري ، ولا اي صبغة مصرية الى نحو الثلث الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي او الى ما بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري . فلم يكن للشعر بمصر كل هذه المدة اثر يذكر ولا شعراء تفتخر بهم لغة العرب

ولكن رجلاً من رجال النهضة الادبية بمصر في القرن التاسع عشر كان اول من ادخل في الشعر المصري نوعاً جديداً نقلهُ من الشعر الفرنسي ، ذلك هو الشيخ رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ — ١٨٧٣) الذي اوفدهُ محمد علي باشا الى باريس مع طلبة الارسالية . على ان الشيخ رفاعة لم يكن شاعراً ممتازاً بين شعراء عصره من شيوخ الازهر ولكنهُ كان شغوفاً بالادب فتعلم الفرنسية وكان اول ما نقلهُ منها الى العربية قصيدة نظمها في مدح الامير محمد علي احد اساتذة اللغة الذين ارسلوا مع البعثة الى فرنسا

قال رفاعة بك في مقدمة وضعها لهذه القصيدة : (وقد سرحت ناظري ونزهت خاطري في منظومة فرنساوية منسوبة لرئيس من يعلمنا من هذه اللغة القواعد، ويفيدنا من فصاحتها بفرائد الفوائد العارف باسلوب لغتي العرب والفرنساوي، والبارع في فهم المعنيين فهو لفخرها حاوي، الخواجة يوسف اكوب المصري منشأً . تتضمن غزلاً وحنيناً وتفاخراً مقدماً لمصر ووزيرها حضرة افندينا الخ (طبعت هذه القصيدة في مدينة باريس سنة ١٢٤٢ هجرية)

وكان الشيخ رفاعة اول من ادخل النشيد الوطني الى مصر على ما نعلم. فقد نقل قصيدة المارسيّاز الفرنسية الى العربية في شعر تصرف فيهِ بعض التصرف[1] حيث قال

فهيّا يا بني الاوطان هيّا فوقت فخاركم لكم تهيّا
اقيموا الراية العظمى سويا وشنوا غارة الهيجا سويّا

***

عليكم بالسلام ايا أهالي وننظم صفوفكم مثل اللآلي
وخوضوا في دماه اولى الوبال فهم اعداؤكم في كلِ حال
وجودهم غدا فيكم جليّا

***

فماذا تبتغي منا الجنودُ وهم جمع واخلاط عبيدُ
كذا اهل الخيانة والوفود كذاك ملوك بغي لم يسودوا
تعصبهم لنا لم يجد شيّاً

الى آخر ما قالهُ في هذا النشيد الطويل . ونسج على هذا المنوال قصائد اخرى كثيرة مزج بعضها مدح الامراء وولاة مصر لتكون اناشيد وطنية . ومنها منظومة طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٢ هجرية قال فيها

ابناءَ مصرٍ نحن موطننا اصيل حَسَبٌ عريق زانهُ مجد أثيل
وفخارنا في الكون جل عن المثيل لرجالنا تطوى المهامه بالطلاح

***

بشرى لمصر سعدها بالعز لاح وسعيدها بالفوز ساعده الفلاح

***

(١) اخترنا هنا مقطوعات من هذا النشيد الوطني على غير ترتيبه المعروف

نحن السراة وشأننا حب الوطن ولشأننا السامي تزاحم من فطن
شاني حمانا ليس من اهل الفطن فهو الدعيُّ وعرضهُ شرعاً مباح

***

بشرى لمصر سعدها بالعز لاح وسعيدها بالفوز ساعده الفلاح

فكان هذا ما حدث من اثر جديد في الشعر المصري وكان يكون هذا سبباً في انتقال الشعر الى اسلوب حديث وطريقة عصرية لو ان الشعراء نسجوا على منواله. ولكن الحركة الادبية لم تكن حركة عامة، بل كانت فردية يتأثر الشاعر وحدهُ او الكاتب وحدهُ بأثر خاص، فينهج منهاجاً خاصاً لا يتبعهُ فيهِ سواهُ. بل ربما لا يشعر بهِ كثير من ادباء عصرهِ لهذا بقي الشعر على طريقتهِ الاولى كل النصف الاول من القرن التاسع عشر. وكل الشعراء او جلهم لم ينهج منهاجاً آخر، على ان الشيخ رفاعة نفسهُ تعذر عليهِ هجر القديم فمدح الامراء بقصائد هي من صميم اساليب الشعر العربي المعروف

وبقي الشعر خامل الذكر إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر كما قلنا، فان كل الشعراء الذين عُرفوا بمصر في القرن الماضي عاشوا في الثلث الاخير منهُ، مثل ابراهيم بك مرزوق (توفي سنة ١٨٦٦) وابي النصر المنفلوطي (توفي ١٨٨٣ وطبع ديوانهُ ببولاق سنة ١٣٠٠ هجرية) ومحمود صفوت الساعاتي، وشعرهُ كان من الطبقة الدنيا اكثرهُ في مدح امير مكة ابن عون (توفي سنة ١٨٨١) وصالح بك مجدي (توفي سنة ١٨٨١) وعبد الله ابي السعود (توفي ١٨٧٨) وهذا الاخير نظم حوادث مصر من تاريخ الجبرتي، ويحسب من اعظم شعراء زمانهِ. ثم جاء بعد هؤلاء عبد الله باشا فكري (توفي سنة ١٨٩٠) والشيخ علي الليثي (توفي سنة ١٨٩٦) وكل هؤلاء من الشعراء الذين جروا على اساليب القدماء في مدح الامراء وتملقهم

الى هنا لم يكن الشعر المصري يمتاز بشيء، ولم يكن لمصر اية صبغة خاصة في الشعر العربي. ولكن بعد هؤلاء او معهم ومع استمرار المذهب القديم في الشعر حتى اليوم حدث نوع جديد في الادب المصري او شعر مصري صميم تتمثل فيهِ صفات المصري واخلاقهُ التي ذكرنا شيئاً منها في مقالنا الاول. بدأ هذا الشعر محمود باشا سامي البارودي الذي تأثر بحوادث البلاد السياسية والاجتماعية فاثارت في نفسهِ التعبير عما كان يجول بها فرسم صوراً من صور تلك الحياة في شعر عربي فصيح جارى فيهِ ايضاً بعض القدماء

في اساليبهم من حيث اختيار الالفاظ والعبارات والتشبيهات ، وجاراهُ في اسلوبهِ ونوعهِ بعد ذلك اسماعيل باشا صبري، وحدث في الايام الاخيرة اي في اوائل القرن العشرين ان تأثر الشعر بالحوادث السياسية والاجتماعية فتسابق شعراؤنا في هذا الميدان واعظمهم قدراً واجلهم ذكراً في ذلك من شعراء هذا العصر احمد شوقي بك والشاعر المطبوع حافظ بك ابرهيم، فان لهؤلاء كثيراً من القصائد والمقطوعات التي تحسب من الشعر المصري الصميم، حيث يرى القارئ فيهِ صورة للحياة المصرية ونفوس اهل مصر . وكل هذا من الشعر العربي الفصيح

وهناك نوع جديد في الشعر المصري جدير بالعناية والاهتمام وهو الشعر العامي او الزجل المصري الذي نشأ ايضاً على اثر الحوادث السياسية والاجتماعية في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وهو اظهر في تمثيل الحياة الاجتماعية لقربهِ من اللغة العامية التي يتكلم بها جمهور الشعب المصري. ولقد كان عبدالله نديم (١٨٤٤—١٨٩٦) حامل لوائهِ واعجوبة زمانه في ذلك وكان بطبعهِ ميالاً لنقد الاحوال الاجتماعية والسياسية قادراً على الاسترسال في الكلام حلو الفكاهة يميل الى التنكيت والتبكيت) فبرع في هذا النوع من الشعر العامي وملأهُ بنقد الاجتماع ووصف الرذائل الفاشية. وكان ينشر ذلك في جريدتي « التنكيت والتبكيت . والاستاذ» ومرت هذه الروح الادبية العامية في مصر وجرى عليها عند اكثر الادباء حتى كانوا يتراسلون بالزجل. ولم يكد يخلو مجلس من مجالسهم بدون ان يتراشقوا بابيات منهُ او يتنابذوا ببعض عباراتهِ او يتناشدوا مرتجلين الكلام ارتجالاً . وكل هذا نقد ممزوج بفكاهة او شكوى يبعثها شعور وطني . وكان هذا ايضاً على اسلوب الاغاني العامية . وقد انتشر هذا النوع الى ما بعد اوائل القرن العشرين وكان لمحمد عثمان بك جلال (توفى ١٨٩٨) شيء من هذا . وكثير من طلبة العلم والشعراء طرقوا هذا الباب ومنهم من اصبح معروفاً بين الزجالين كالشيخ محمد النجار وامام العبد الشاعر المعروف وغيرهما مما اشتهر ذكرها

فمن نوع هذه الازجال قول الشيخ محمد النجار (توفي في اوائل القرن العشرين) وهذا زجل وضعهُ لينتقد فيهِ شبان العصر وسماهُ « زجل في الموضة » وهو من نماذج هذه الازجال التي كانت منتشرة في نقد الاحوال الاجتماعية والرذائل التي انتشرت بين ظهرانينا

المطلع

يا موضه يا جيل الوز يا حنيه من غير بز

دور

يا موضه جيلك معروض فات السنَّه والمفروض
يبقى صغار لسه ومقروض ويروح قال يسكر ويئز

دور

الجامع يوم الجمعة فاضي والخماره جامعه
والغيبة في شهرة وسمعه تدبج في الرقبة وتحز

دور

الموضه راكبه فيتون والعاشق منها مفتون
والعازب عقلهُ مجنون من كدنه ينفتن ويوزّ

دور

الموضه بطربوش وزكتّه والفلاح بالتوب البفته
قولوا لهُ الست بستة دي اللبدة من عرقهُ تنز

دور

ما عليهش فلاح مش موده على قده ساكن في أوده
وانت يا موضه في روضه والاجرة بتحلق وتحز

دور

تقليدك للغير يا خيه جاب رجلك بعدين في الخية
وغرقت في شبرين ميه ووقعت في دين يجز

وفي هذا الزمن الذي اتجه فيه الشعراء الى نقد الاجتماع بهذه اللهجة العامية كانت اللغة العربية الفصحى ظاهرة بجلالها وجمالها ناشرة الوية فصاحتها وبلاغتها مالكة اعنة هؤلاء الشعراء انفسهم، فلم يكن منهم الاَّ من كان شاعراً فصيحاً يحسب من ابلغ شعراء المصر. وهكذا سار الشعر الفصيح الى جانب الشعر العامي حتى تغلب عليهِ وسبقهُ واطفأ جذوتهُ وثار من جديد في نفوس شعرائنا الحديثين، واخذ الشعر المصري الاسلوب العربي الفصيح مع دلالتهِ على حياتنا المصرية. وسنرى قريباً امعان شعرائنا في ذلك حتى يصبح الشعر المصري نوعاً من الشعر العربي، يضم الى تقسيم الشعراء المعروف ويزيد في بلاغة العرب نوعاً جديداً

احمد ضيف

الملكة تيتي شيري

وعصر التجديد الوطني في مصر

بقلم حضرة صاحبة السمو السلطاني الاميرة قدرية حسين

أُريد ان اقص اولاً كيف وفقت منذ اشهر ثلاثة للاهتداء الى ملكة من ملكات مصر القديمة كنت الى ذلك الحين اجهل حتى اسمها ثم صرتُ بعد ذلك معجبة بها اعجاباً لا تكلُّف فيهِ وان جاء متأخراً . وسرعان ما اهتممت بشأنها لان العصر الذي عاشت فيهِ حببها اليَّ فشرعت ادرس من اجلها فصلاً من تاريخ القرون الماضية هو اشد فصوله غموضاً والتباساً واعني بهِ فصل الحروب الوطنية التي دارت رحاها بين المصريين وملوك الرعاة (الهكسوس)

. . . .

كان ذلك في عصاري يوم من ايام الشتاء في فاتحة هذه السنة اذ جلست اقلب صفحات كتاب نشر حديثاً [1] وانا في مكتبتي في الاقصر وقد انبسط امامي سهل طيبة

وكان الجو خارج غرفتي ثائراً عاصفاً ولكنهُ ثوران لا عهد لي بمثلهِ في مصر العليا فقد كانت الريح العاتية الباردة تهب من الغرب فتحول بأعاصيرها وادي امنتيت (الامندي) الساكن الى خليط لا يوصف من اشياء تدور على ذاتها والرمال والسحب تغطيها بستار كثيف متحرك وقد اختفت في الافق قنن صخور العساسيف Assessif الوعرة واحتجب الدير البحري عن مرأى العين بخطوطهِ المنتظمة . اما المقاصير المعلقة بين الارض والسماء فوق تلة الشيخ عبد القرنة فقد غابت تماماً عن النظر بل ان مدينة هابو بواحاتها الباسمة وما فيها من حدائق السنط الشاحبة وحقول الفول العطر الرائحة لم تعد تُرى وما كان في وسع احد في ذلك اليوم ان يظن ان على طول النهر حقولاً واسعة من الخشخاش الذي يقرّ النواظر و يبهج الخواطر بازهارهِ المتعددة الالوان فان عاصفة الصحراء المتزايدة في ثورانها لم تبقِ ولا تذر

و بينما كانت قطرات المطر تقع على زجاج نوافذ غرفتي كانت السفن الشراعية الضخمة تفر من العاصفة مسرعة باحثة عن ملجأ في النيل مذكرة من رآها بمثيلاتها من

(١) Kings & Queens of Ancient Egypt : Brunton



الملكة تيتي شيري

مقتطف يونيو ١٩٢٦

امام الصفحة ٦٤٠٢

اساطيل احموسي Ahmès نجل اباانا Abana يوم كانت تقصد الى الشلالات لتحدّث عن مجد الفراعنة محرري بلادهم

واخيراً بعد ما اتعبتني ضجة الرياح وملت رؤية هذا المنظر المزعج ألقيت بنظري على الكتاب الذي في يدي فرأيت فيه لاول مرة صورة ملكة كنت اجهلها كل الجهل وهذه الملكة هي تايتا شارا Taita-Chara الجدة الجليلة لاعظم ملوك الاسرة الثامنة عشرة التي تجسد فيها عهد التجديد الوطني لان اولادها واحفادها هم الملوك الاشاوس الذين انقذوا مصر من نير الاسيويين الهمجي

ولبثت من ذلك الحين اعمل جادة . فمن مباحث لاعداد لها الى زيارات متواصلة لجميع المظان التي حسبت ان للملكة اثراً فيها وكثيراً ما كنت اعود الى مدفن دراع ابو النجا حيث دفن ملوك الاسرة السابعة عشرة مؤملة ان اجد على الاقل آثاراً لمقصورة كان سنسيناب Senseneb وكيلها الامين قد اودعها تمثالاً صغيراً ولكني وا أسفاه لم اعثر على شيء هناك وبعد ما وقفت مراراً على كثير من قبور طيبة واكثرت من التردداد على المتحف باحثة دارسة وحججت الى ابيدوس والكاب El-Kab لم اظفر من الغنيمة الأ بالنزر اليسير

اجل بعد اشهر ثلاثة طويلة قضيتها في البحث والدرس استطعت ان اعثر على بقايا ولكنها لسوء الحظ مشوهة وممزقة كانت تتركني في غالب الاحايين مشردة الفكر ذاهلة اللب امام مهمة حافلة بالمشاق اخذتها على عاتقي ولو لم تكن تيتي شيري Téti-Chéri قد اجتذبتني اليها من النظرة الاولى لانقطع ما كان عندي من الرجاء في اكتشاف امرها في تاتشوسير Tazerer (طيبة)

كانت التذكارات الباقية لنا عن تيتي شيري ضئيلة لا تروي غليلاً ولا تروي لنا من امرها الأ شيئاً يسيراً ذلك لان العصر الذي عاشت في غمراته لم يدون التاريخ كثيراً من حادثاته[1] . وغريب ان يضنّ علينا الماضي هذا الضن فلم يدع لنا شيئاً يذكر نعرفهُ عن حياة هذه الملكة في طيبة واظنني ما رأيت تاريخاً يشوبهُ نقص كنقص تاريخها حتى لكأن حجاباً خفياً يحجب الى اليوم تلك التي حرصت القرون الماضية بصمتها الرهيب على ان تغطيها بسحابة من الخيال والنسيان

لم تصب يدي اذن الأ قليلاً من الادلة : تمثالاً صغيراً وشاهداً[2] وورقة بردي

(١) Ancient Records: Breasted (٢) هو الحجر الذي يوضع على القبور

وقطعة عليها نقش بارز كادت يد الزمن تمحوهُ و بضعة اربطة مومياء . وهذا كل ما جاد بهِ علينا جبل طيبة المقدس وسهل ابيدوس الخالد من البقايا . فمواد البحث لديّ لم تكن وفيرة ومع ذلك كان ينبغي ان تكون هنا الآثار وحدها كافية لاحياء ذكرى تيتي شيري

و بعيد عن فكري ان اكتب قصة فرعونية او ان اؤلف حادثة تاريخية خيالية ايّة كانت بل مرادي ان اضم هذه القطع الخمس المبعثرة الناقصة واستنطق هذه الوثائق القديمة البالية تلك اللغة المحركة لعواطف النفس : لغة مصر القديمة

***

تيتي اسم معناهُ « صغير »[1] والباحثون في تاريخ الحقبة التي ملكت فيها الاسرة السابعة عشرة[2] يصادفون هذا الاسم كثيراً فيهِ و يختلف النطق بهِ اختلافاً لا يقف عند حدّ فهي اذن تيتي شيري وتايتا شارا وتيتا خرت وكيفما كان رأي العلماء في هذا الاسم الشيق فان شيري الصغيرة كانت ملكة ذات تاريخ مبهم وعاشت في اواخر عهد الاسرة السابعة عشرة ولها في المتحف البريطاني [3] تمثال صغير فاخروهو الوحيد في العالم الذي بقي سليماً من تماثيلها

هذا التمثال يرينا اياها جالسة على قاعدة من الحجر الكلسي ساذجة الصناعة ولكنها متقنة وقد غطيت كلها تقريباً بالنقوش. وتظهر الملكة غير مستوية تماماً على مقعدها ومع ذلك فكأنها جالسة على عرش وسط جمعية من العظماء تلوح عليها السكينة والوقار الكهنوتي والجمال ولا شيء في مظهرها من صفات العامة بل ان هيئتها هي الهيئة الطبيعية الوقورة هيئة البساطة والنبل التي تظهر بها كل ملكات العصور القديمة اللائي نراهنّ على النقوش البارزة في هيا كل طيبة

ومع انها تبدو اميل الى الصغر منها الى الكبر فانها متناسبة تناسباً عجيباً [4] وعليها ثوب ابيض من الكتان المصري قد احكم عليها وانسدل الى كاحليها وهناك حمالات اربع في شكل بنود من القيشاني الازرق ترفع النسيج الذي تلتف بهِ كثوب فيبين اعلى جسمها الذي بقي عرياناً و يكشف لعين الناظر عما في تمثالها من الاتقان الصناعي، وعن عنقها العاري المستدير استدارة لا عيب فيها وقد احاط بهِ عقد، وعن ذراعيها المستلقيتين بهيئة طبيعية

(١) King & Queens of Ancient Egydt: Winlock
(٢) Proc. S. B. A.: Prof. Newberry
(٣) History of Egypt : Budge.
(٤) Détail donné par Mrs. Brunton

على ركبتيها و يديها ورجليها المبسوطتين من غيرزينة وترى الملكة عاطلة من الحلي ولعل سبب ذلك ان تسلط ملوك الرعاة الذي اعاق تقدم البلاد وكبلها بالاغلال أنساها عيش الترف والرغد الذي كانت تتمتع بهِ في عهد الاسرات الاولى وكل ما تزينت بهِ عقاب كبير ملكي الذي هو رمز مصر العليا يطوق بجناحيهِ المتهدلين وجهها الجميل وقد بدت فيهِ عينان كأنهما لوزتان تحدقان تحديقاً يستوقف النظر كأنها سابحة بفكرها فيما وراء العالم وقد تجردت من المادة وظهرت بهيئة ملكية إلهية

ولقد استطعنا باخلاص وكيلها الامين سنسيناب، ان نقف على ملامح « تيتي شيري الوالدة الملكية» فانهُ لكي يحيا اسمها «حياة ابدية » ابتنى لها هيكلاً في مكان ناءٍ في الجبل تمارس فيهِ الشعائر الدينية المقررة للاعياد الكبرى ووضع في هذا الهيكل تمثالين صغيرين لها لا يزال احدهما باقياً الى اليوم وقد كرس لاوزيريس إله ابيدوس وآمون اله الكرنك [١]

ولم تكن تيتي شيري جدة الاسرة الثامنة عشرة المجيدة من نسل الامراء ولا من سلالة ملكية ولكنها مع ذلك وسمت بطابعها حكم ثلاثة ملوك من اعظم الملوك شأناً . و بعد ما ظل تاريخ نسبها محلاً للجدل اميط اللثام عنهُ حين اكتشف مخبأ الدير البحري [٢] حيث وجدوا اسم والديها مكتوباً على اربطة من القماش [٣] وعلى قطع من النسيج وثبت ان والدها يدعى « المحترم تنَّا Thenna » [٤] وانهُ كان في منصب محقق او قاضٍ [٥] اما امها فتدعى السيدة نفرو [٦] وتلقب « بست البيت » وكان هذا اللقب يطلق في ذلك العصر على الشخص الذي يملك خاصة دوراً وعقارات [٧]

وقد دخلت تيتي شيري بلاط طيبة شابة يوم صارت زوجة [٨] لتاعو Ta'o امير مدينة الجنوب ولم يصحب دخولها شيء من الاحتفالات الفخمة لان امارة طيبة كانت في عهد امراء الاسرة السابعة عشرة [٩] تحت سيادة ملوك الرعاة وانَّى لعاصمتهم ان تزدهر

(١) Tombs of Kings of 17th Dynasties at Thebes: Winlock
(٢) هو المخبأ الذي وجدت فيه جثث الملوك
(٣) Tombs of Kings of 17th Dynasty at Thebes in Journal 1924: Winlock and Queens of Egypt
(٤) Les parents de la Reine Téti-Shéri: Annales du Serv. des Antiquités: Daressy
(٥) Prof. Borchardt
(٦) Kings & Queens of Ancient Egypt: Winlock
(٧) Kings & Queent of Egypt, Winlock
(٨) Prof. Foucart
(٩) 17th & 18th Dynasties: Petrie. History of Egypt: Budge. History of Egypt: Breasted. Expulsion of the Hyksos: Gardiner.

باسباب الثراء والرخاء والبلاد كلها خاضعة لقوة الاسيويين رازحة تحت نيرهم الثقيل . ذلك عصر هو اكثر عصور التاريخ ابهاماً (١) واعظمها اهمية في الوقت عينه ولكن القطرين (الوجهين البحري والقبلي) خرجا من غمرة تلك الضائقة التي طال امدها اشد حمية واعظم قوة مما كانا قبلاً (٢)

ولسنا نعرف شيئاً تقريباً عن اصل امراء الاسرة السابعة عشرة ولو نقب على قبورهم (٣) جنوباً في نوبيا لا في مصر لأسفر التنقيب عن معلومات وافية في شأنهم . ولا بد ان يكون امراء طيبة من سلالة القبائل المحاربة التي هبطت من السودان الى نوبيا السفلى ومن بعضها نبتت هذه الاسر العظيمة التي كان حكمها اقطاعياً و بلغت مرتبة رفيعة من الشوكة في البلاد . كذلك لا نعرف شيئاً عن تاعو امير طيبة ولكنهُ ذكر في درج من البردي مشهور (٤) وحينما زار مفتشو المدافن الملكية مدفنهُ زيارة رسمية (٥) في عهد رمسيس التاسع قيل انهم وجدوا هرمهُ سليماً لم تمسسهُ ايدي اللصوص

وقد رأيت اسمهُ منقوشاً على جدار قبر من قبور « خدام الحق » في دير المدينة بين « آلهة الامندي » (٦) الذين كانوا اجداداً للاسرة الثانية عشرة وهم الذين احدثوا فيما بعد عبادة خاصة . ورأيت على الجدار الكبير صورتي الملكتين (٧) يا حوتب Aah-Hoteb واحموس — نوفترا Ahmes - Noftera وكانت العبادة تقدم لهما كالآلهة واحدى هاتين الملكتين المؤلهتين هي ابنة الامير تاعو امير طيبة والثانية حفيدتهُ وقد اشتهرت كلتاهما شهرة بعيدة في تاريخ بلادهما . وقد رزقت تيتي شيري من تاعو (٨) اولاداً كثيرين لم تعِ الذاكرة الا اسمي اثنين منهم وهما اللذان يعنينا امرهما هنا احدهما ابنتها ياحوتب والثاني ابنها تاعوس Ta'os الملقب « بالشجاع » (٩) وقد ملك باسم سيكنينرا Sekenenra (١٠) وكان على ما نعلم اول بطل وطني حارب الملوك الرعاة

ولكي توطد تيتي شيري قوائم عرش طيبه المتقلقلة زوجت ابنها بابنتها لان ياحوتب

---

(١) Journal 1918 B. Gunn & A. Gardiner
(٢) The Expulsion of the Hyksos: Journal Gardiner
(٣) 17th & 18th Dynasties: Petrie
(٤) Abbot Papyrus (٥) Ancient Records: Breasted
(٦) Tombs of Kings of 17th Dynasty at Thébes: Winlock
(٧) Tombeua de Khobket
(٨و٩) Kings & Queens ef Ancient Egypt : Winlock
(١٠) Tombs of Kings of 17th Dynasty : Winlock

هي الوارثة المباشرة عن والدها لسلالة امراء ادفو Hérakonpolis [(١)] الشهيرة الذين لبسوا قبل سواهم التاج الابيض رمز مصر العليا والى هؤلاء الملوك يرجع اصل انتف Intef [(٢)] احد ملوك الاسرة السابعة عشرة وقد تزوج واحد من اواخر ملوكها الملكة سبكساف Sebekemsaf جدة [(٣)] ياحوتب ويؤخذ مما هو منقوش على شاهد قبر انتف ان ياحوتب كانت تملك ممتلكات وقبراً في ضواحي ادفو وانها اصلحت تلك الضواحي وكانت تلقب بالقاب: زوجة آمون الالهية والوالدة الملكية وامرأة الملك العظيمة المكللة بالتاج الابيض الجميل [(٤)]

ولا ندري كم من الزمن دامت الرابطة الزوجية بين تيتي شيري وتاعو ولكن الذي نعلمهُ انها ترملت وهي بعد في ميعة شبابها [(٥)] وقبضت على مقاليد الحكم ولو بصورة غير رسمية [(٦)] على الاقل وقدمت الى طيبة وكانت طيبة روح الحركة الوطنية التي امتدت الى سائر انحاء البلاد

في تلك الاوقات التي كانت اوقات اضطرابات وقلاقل [(٧)] كان للنساء الكلمة الاولى في شؤون البلاد الداخلية فتقلدن مناصب الحكم وأبيحت وراثة العرش للنساء تخليداً لسلالة الشمس على الارض وكان الرجال جميعهم قد انطلقوا الى الحرب لمقاتلة العدو الذي دوخ جميع انحاء البلاد منذ قرون واقام في عاصمته يصدر اوامرهُ ونواهيهُ الى جميع امراء مصر التابعين لهُ واصبحت الحياة نضالاً شاقاً طويلاً منهكاً للقوى . ومر زمن طويل منذ حل صليل السيوف والسلاح في طيبة محل انغام العود

في نحو ذلك الوقت الذي اشتدت فيهِ وطأة حكم البرابرة لاحت بغير انتظار بشائر نهاية هذا الحكم فأطارت شرارة الحرب الزبون . وذلك لان ابوبي احد ملوك الرعاة خطر لهُ ان يتحرش بسيكننرا واخذ يتلمس العلل لاستفزازهِ وحملهِ على مغاضبتهِ وكان ابوبي يقيم في اوار في الدلتا على الطريق الكبرى للقوافل السورية وربما كان موقعها بين القنطرة وبيلوزيوم (الفرما) (معربة عن الفرنسوية)

(١) Queens of Egypt
(٢) Tombs of Kings of 17 th Dynasty : Winlock & Queens of Egypt
(٣) Queens of Egypt (٤) P. S. B. A. Newberry
(٥،٦) Kings of Ancient Egypt: Winlock
(٧) Struggle of Nations: Maspéro

امراض مصدرها الحيوان

اقدم الاوبئة المعروفة الطاعون وقد ثبت الآن ان مصدر عدواهُ الجرذان. والظاهر ان الاشور بين الاقدمين كانوا يعرفون ذلك. وانتبه اهالي ايطاليا في القرون الوسطى الى ان الطاعون ينتشر حينما يكثر موت الجرذان. والمعروف الآن ان براغيث الجرذان تنقل مكروب الطاعون من الجرذان الى الانسان

وهناك مرض آخر تنتقل عدواهُ الى الانسان من الجرذ وهو نوع من اليرقان شديد الخطر يتولَّد من شرب الماء الذي وقعت فيهِ مبرزات الجرذان و يتولد ايضاً من عضة الجرذ

ومن الامراض التي تصل الى الانسان من الحيوان السل والدفتيريا فانهما يصلان الى الصغار من شرب اللبن اذا كانت البقرة مصابة بالتدرن او بالدفتيريا في ضرعها

ومنها حمَّى مالطة التي مصدرها المعزى وتصل الى الانسان من شرب لبنها كما بيَّن ذلك السر داڤد بروس في خطبتهِ بمجمع تقدم العلوم البريطاني (انظر مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٤ صفحة ٣٦٣) ومنها الدود القرعي والكَلَب ومصدرهما الكلاب. ولعل الكلاب وهي اشد الحيوانات بالانسان تعلقاً اكثرها جناية عليهِ بما تنقلهُ اليهِ من الادواء

ومنها التتنوس او مرض الكزاز وقد كثر انتشارهُ في الحرب الاخيرة ثم ثبت ان لهُ مكروباً يعيش في امعاء الحيوان ويخرج مع مبرزاتهِ فاذا سمدت الارض بها واتفق ان اتصل ترابها بجرح في بدن انسان دخلهُ هذا المكروب وابتلاهُ بهذا المرض المؤلم القتال. وقد يصاب الانسان بالتتنوس في المستشفى اذا عملت لهُ عملية جراحية ثم خيط الجرح بوتر من معي حيوان فيهِ مكروب التتنوس

والبثرة الخبيثة القتالة يصل مكروبها الى الانسان من الحيوان

وكذلك مرض النوم فقد ثبت ان مكروبهُ يصل الى الانسان من لسع ذبابة معروفة

ومن المكروبات المرضية ما يسبب اكثر من مرض واحد فاذا حقنت ارنب بالسائل الذي يتولد في بثور القوبا (وهي مرض جلدي) أُصيبت بما يشبه بالتهاب الدماغ السباتي الذي يصيب الانسان

فعلى المرء ان يحذر وصول العدوى اليهِ من الحيوان وعلى الطبيب ان ينتبه لذلك في معالجة مرضاهُ وفي ارشادهم الى التوقي

وقفة بين مرحلتين

خطبة صاحب السعادة واصف باشا غالي

في عيد المقتطف الخمسيني

سيداتي ايها السادة

انما الحياة ذكرى وامل . فمتى اعترضت المرء تلك الساعات المظلمة العصيبة التي تثقل عليهِ فيها وطأة الايام وتتجمع فوق رأسهِ المكاره والاشجان لجأ مدفوعاً بحكم غريزتهِ اما الى الماضي يقلب ما اشتملت عليهِ صحائفهُ من عظمة وبهاء واما الى المستقبل يحاول ان يستشف ما يحيطهُ بهِ من صور خلابة تكسبها اسرار الغيب روعة وجمالاً

فكم من فتى تعلق باذيال الماضي فودَّ لو عاش في قصر هارون الرشيد يمرح في مراتع الانس والطرب او في ساحات الوغى ايام صلاح الدين يخترق الصفوف ويرى « الجنة تحت ظل السيوف »

وكم من رجل مجرب ناضج تمنى لو يبعث من مرقده فيحيي حياة جديدة يتصورها خيراً من حياتهِ الحاضرة واكثر اتفاقاً مع مقتضيات الثقافة وانطباقاً على احكام العقل

فحفلة اليوم وهي تعود بنا خمسين عاماً الى الوراء تحملنا على الوقوف هنيهة وقفة تأمل وتدبر لنقيس الطريق الذي اجتازتهُ الانسانية بعد جهود نصف قرن من الزمان عسى ان نتعرف في ضوء هذا القياس ما نتوقع ان نقطعهُ من مراحل الحياة وما ننتظر ان نشرف عليهِ في قابل الايام

نحن اذاً في عيد حقيقي للذكاء البشري والرقي الفكري . فهلموا ايها الكتَّاب والادباء تعالوا سراعاً من جميع ارجاء العالم العربي . تعالوا الى حدائق المقتطف اليانعة واستظلوا بظلال اشجارها الباسقة التي مضى عليها نصف قرن من الزمان واصحابها يتعهدونها ريًّا بماء العلم والفضل . واقطفوا ما حلا لكم من ازهار بعضها لم تتفتح عنهُ الاكمام الا بالامس وكلها قد ملأَت تلك الحديقة الغناء شذًى وعبيراً طيباً . ولكل ان يتبع هوى نفسهِ ويلبي نداء وجدانهِ . فمن شاء فليمعن في استقصاء الماضي ومناجاة الطلل البالي . ومن شاء فليسمُ الى تلك السموات العلى المحجبة بحجاب الاقدار التي ندعوها المستقبل . ففي عالم الفكر لا سلطان الاَّ للحرية

هلموا معاشر الشعراء « تذكروا ليلي والسنين الخواليا » واسكبوا الدمع على سحر ذلك الحب القديم وعلى ورود ذوت وذبلت او دعوا الماضي وتعالوا فتغنوا بزهرة لم يعرف لها اسم بعد هي خير من الورد رقة وجمالاً ودون الحبيبة دلالاً وجلالاً

وانتم ياجماعة المؤرخين ارسموا لنا مجرى الحوادث وقولوا — وانتم العليمون بان المستقبل وليد الحاضر — اي طريق نحن سالكون ولاية غاية نحن واصلون ؟

وانتم ايها العلماء نبئونا الى اي حد تصل فتوح العلم وغزواتهُ في نهاية القرن العشرين بل حدثونا عن الاكتشافات الحاضرة وهل هي حقاً لم تزد الحياة تركيباً وتعقيداً وهي تحاول ان تزيدها تبسيطاً وتسهيلاً

وانتم يادعاة الفضيلة ويارجال الاخلاق خبرونا هل كان لهذا الرقي المادي من اثر في حياة الناس الادبية ؟ وهل اصبح الحق والعدل هذه الايام اكثر احتراماً وارفع مقاماً منهُ قبل خمسين عاماً ؟

وانتم يامعاشر الفلاسفة حدثونا عن مبلغ تقدم الفكر البشري وهل سيحين الوقت الذي نرى فيهِ الحب والحرية والاخاء ناشرة الالوية على جميع الارجاء ؟

وانتن ايتها السيدات النبيلات القين نظرة على ذلك القفص العتيق الذي خرجتن منهُ بعد طول الجهاد ثم استأنفن سيركن في طريق الكمال بتلك الخطى التي جمعت بين الجرأة والحكمة والرشاقة . ومن يدري ؟ فقد يؤدي جهادكن في سبيل تحرير المرأة الى . . . تحرير الرجال . ويالها حينئذٍ من خاتمة بديعة للحركة النسائية

سادتي : ليس تعداد هذه المسائل التي يثيرها في الخاطر اجتماع اليوم مجرد عبث او ادعاء قدرة على حلها وانما القصد من طرحها أن نكشف عن ذلك الميدان الواسع الذي يستطيع ان يمرح فيهِ العقل والخيال حتى يتجلى لكم هذا الاحتفال بما فيهِ من اهمية بالغة ومعانٍ سامية اذ اهمية كل اجتماع انما تقاس بجدة العواطف التي يبعثها وعمق الافكار التي يخلقها والذكريات التي يحييها والدروس التي يلقيها والمسائل المختلفة السامية التي تقسر العقول على فهمها ومثابرة العمل على حلها . واجتماع اليوم غني بهذا كلهِ غني برعاية المليك التي توجتهُ

على اني اريد قبل ان اختم هذه الكلمة ان اعرب عن امنية تخالج نفسي وعن بعض العبر الجديرة بالنظر في احتفال اليوم

اما الامنية فهي ان تكثروا من امثال هذا الاجتماع وان تقيموا الاعياد في الايام

الكبرى من تاريخكم القومي . ان لكم لتاريخاً مجيداً حافلاً بالمفاخر والمآثر . فمن حقكم ان تأخذوا منهُ ما شئتم من اسباب التفاخر ولكن من واجبكم ان تبحثوا في ظياتهِ عن فضائل اجدادكم وما انتقل اليكم منها في دمائكم وان تستقصوا في ثناياهُ للعمل بها اسرار حضارتكم العظيمة الخالدة

واما العبر التي نستخلصها من العيد الخمسيني للمقتطف فهي عديدة اجتزئُ منها بما يأتي:

اولاً — ان لحب العلم قوة لا تقاوم فهو الذي حمل مؤسسي هذه المجلة على الهجرة من بلادهم طائعين مختارين فضحوا بالحنين الى الوطن على مذبح الحنين الى العلم

ثانياً — ان ليس للعلم وطن خاص فهو ينمو ويزهو حيثما وجد التربة صالحة وكلما زاد العلماء في نشرهِ اسرافاً وتبذيراً ازدادت دائرتهُ نوراً واتساعاً

ثالثاً — ان كل بلد يفتح ابوابهُ لاصحاب العلم والفضل ويرحب بذوي العزائم القوية والافكار الحرة يجنى من وراء ذلك احسن الثمار

رابعاً — ان المقتطف قد آثار في العالم العربي حب المعرفة والاستطلاع العلمي

خامساً — انهُ قدم لنا ابلغ الامثال على الثقة بالنفس والمثابرة في طريق الخير

سادساً — انهُ بافساحهِ صفحاته لمتضارب النظريات ومختلف الآراء في العلم والادب والتاريخ والفلسفة وما الى ذلك من الابحاث القيمة قدم للناس درساً عالياً في التسامح الذي يصح ان ندعوهُ بالكرم العقلي

سابعاً — ان لهُ فضلاً ظاهراً في رفع المستوى الادبي لرجال القلم وكشف مواهب الكتَّاب والمفكرين فساعد بذلك على تأسيس سلطة جديدة في الشرق يدعوها الغربيون بالسلطة الرابعة وهي التي يستظل برايتها رجال الصحافة والمفكرون

ثامناً — انهُ اقام الدليل لابناء الشرق على ان الاكبار والاجلال ليسا قاصرين على ارباب الوظائف الحكومية بل ان هناك شرفاً اغلى واسمى ومجداً اعلى وابقى يضرب فيهما بسهم كل مخلص محب للخير وكل باحث عن الحقيقة وناشر لها وكل ساع مجد في ان يكون نافعاً لوطنهِ خاصة وللانسانية عامة

سيداتي . ايها السادة . بالامس احتفلت مصر بالعيد الخمسيني للجمعية الجغرافية الملكية التي ظهرت الى عالم الوجود بفضل امير متنور فقدمت للعلم كبري الخدم

واليوم قد دعانا لفيف من اهل الفضل والادب الى الاحتفال بعيد خمسيني لعمل جليل قام بهِ افراد معدودون وكانت لهُ من الثمرات الطيبة ما عم العالم العربي باسرهِ

فهاتان الحفلتان دليل ناطق على ان الشرقيين حكومةً وافراداً يستطيعون ان ينهضوا ليؤسسوا اعمالاً نافعة صالحة للبقاء وان يثابروا على ترقيتها وانجاحها

تلك نتيجة تبشر بالخير العميم وهي تبرر وتقرب اسمى المطامع وابعد الآمال

خطبة السيد رشيد رضا

وتلاهُ العالم الجليل الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ففاه بخطبة نفيسة نلخصها فيما يلي لان سيادتهُ بارح القطر المصري قبل ان يتحفنا بنصها :

كان لي الحظ ان كنت اول من اقترح منذ عشر سنوات الاحتفاء بالمقتطف عند ما يتم الخمسين من عمرهِ واحمد الله على ان اقتراحي قد تحقق ورغبتي قد استجيبت

وقد صرنا الآن نقيم احتفالات كبرى لا ينقصها الاَّ اشتراك الملوك فيها ولذلك تمتاز حفلتنا هذه باشتراك جلالة مليكنا الذي اوفد مندوباً يمثلهُ فيها

وقد خصص لي ان اتكلم في موضوع « اثر المقتطف في نهضة اللغة العربية بالتعليم» وهو موضوع واسع يحتاج في توفيتهِ حقهُ الى سفر كبير ولما فكرت فيهِ قليلاً خطرت لي خمسة عنوانات للكلام او خمسة ابواب لا يسعني التبسط فيها لضيق الوقت فاكتفي بذكرها

الباب الاول : لا يعرف مقدار خدمة المقتطف الاَّ الذين يشعرون بحاجة الامة الى مختلف العلوم والفنون

الباب الثاني : ان هذه العلوم والفنون لا تفيدنا الاَّ اذا اخذناها باستقلال الفكر والاجتهاد في الحكم وان تكون ملكات للامة في نفسها واما حشو العقول بالالفاظ والمصطلحات فضررهُ اكثر من نفعهِ

الباب الثالث : يتوقف هذا الاستقلال على تلقين العلوم والفنون بلغة الامة

الباب الرابع : اشراع الطريق لجعل اللغة تتسع لهذه العلوم والفنون وما يتجدد منها

الباب الخامس : ضرب الامثال للفروق بين تعلم العلوم بلغة الامة وتعلمها بلغة اجنبية و بين الاستقلال والتقليد

هذه المسائل الخمس يحتاج كل منها الى بحث و يتوقف عليها بيان خدمة المقتطف للعلم . ونحن لا بد لنا من العلم والصناعات ولا يمكن ان نحيا بها الاَّ اذا تلقيناها بلغتنا فماذا كان حظ المقتطف في هذه الخدمة

كان من تقلبات القدر ان الله الهم اغنياء اميركيين بان يؤسسوا في سورية مدرسة

علمية تعلم فيها العلوم بلغة البلاد وكان من حسن حظ البلاد ان المبتدئين فيها كانوا من خيار الناس ومنهم نفر مخلصون في حب العرب والعربية ومن اعظمهم الدكتور كرنيليوس فان ديك استاذ صاحبي المقتطف فصارت المدرسة تعلم العلوم باللغة العربية وكان الدكتور صروف والدكتور نمر من اوائل خريجيها وقد نشأا على حب اللغة ووقفا حياتهما على العلم ونشر العلوم باللغة العربية . ومع ان صاحبي المقتطف تلقيا علومها باللغة العربية فان الاصطلاحات التي تعلماها كانت يسيرة لا تغني ولذلك لا يمكننا ان نعرف قيمة الجهد الذي قاسياه في نقل العلم بلغة عربية فصيحة

ولقد انتقد بعضهم على المقتطف انهُ لا يزال يضع اسماء الاجناس بلغة اوربية وقالوا انهُ كان يحسن ان يختار لها اسماء عربية وهذا عمل لا يقوم بهِ فرد او افراد ولهذا توجهت الهمم بمناسبة الاحتفاء بمضي اربعين سنة من حياة المقتطف الى انشاء مجمع لغوي يتولى هذه المهمة وقد سعيت الى انشائهِ وانشىء بالفعل ثم حدث من احوال البلاد السياسية ما دعا الى توقيفهِ فنسأل الله ان يوفق الامة والحكومة الى احياء هذا المجمع

وختم الخطيب كلامهُ بالثناء على خدمة المقتطف للغة العربية وتمنى لهُ طول البقاء

وكان الاستاذ اسكندر افندي شلفون قد نظم نشيداً خاصاً للمقتطف وطبعهُ طبعاً جميلاً على ورق مصقول ووزع منهُ نسخاً على الصحافيين وغيرهم فتقدم الى تلحينهِ على نغمات العود فاستهوى نفوس الحاضرين بدقة توقيعهِ

واخيراً وقف حضرة الدكتور صروف وقد تأثر مما رأى من هذه المظاهر العلمية الوقورة التي اجتمع فيها قادة الرأي في مصر وصفوة رجال التعليم والفضل ومما سمع من آيات البيان نثراً ونظماً في مدح المقتطف فالقى الكلمة الآتية

شكر المقتطف

يا صاحب الدولة الذي تفضل مولانا صاحب الجلالة الملك فانتدبهُ لتمثيل ذاتهِ العلية

يا صاحب السمو الامير الكريم الذي تكرم بحضور هذا الاحتفال ويا أيها السادة والسيدات من الوزراء والعلماء والفضلاء الذين اعربوا بحضورهم عن اكرامهم للعلم . ويا اصدقاءنا الخطباء والشعراء الذين اسبغوا على المقتطف حلل المجد وطوقوا عنقهُ بقلائد الفخار . ويا سادتنا اعضاء اللجنة التي اقامت هذه الحفلة وعنيت بتنظيمها اكراماً للعلم واشادة بذكرهِ

قصد بعض الاصدقاء ان يقيموا حفلة تكريم عمومية للمقتطف حينما بلغ السنة الاربعين من عمرهِ كما نوَّه بعض الخطباء . فلما بلغنا ذلك منعناهُ وحجتنا ان المقتطف انما قام ببعض ما يجب عليهِ ولا فضل لقائم بواجب . ثم بلغنا في اوائل العام الماضي ان بعض الفضلاء مهتم باقامة العيد الذهبي للمقتطف حينما يتم السنة الخمسين من عمرهِ فاعترضنا على ذلك وحاولنا صرفهم عن عزمهم لكن الآنسة الفاضلة «مي» رافعة لواء الادب والعلم والفلسفة في ربوع الشرق لم تحفل بما ابدينا من الحجج بل دعت هؤلاء الفضلاء من الوزراء والعلماء والادباء لقرن القول بالعمل فلبوا دعوتها كرماً منهم وفضلاً . واذاعت صحفنا العربية والافرنجية ما اجمعوا عليهِ وجاءت الرسائل تترى من اقطار كثيرة محبذة عملهم ونحن في عصر دموقراطي القول فيهِ للجمهور وقد كُتب في جوه ان ألسنة الخلق اقلام الحق . فوقفنا امام هذا الاجماع موقف الامتثال ولاسيما لان هذا التكريم ليس للمقتطف خاصة بل يتناول المدرسة التي نشأ فيها وترعرع والعلماء والادباء الذين رصعوهُ بمبتكرات عقولهم ونفثات اقلامهم والفلاسفة ورجال العلم من كل الاعصار الذين اهتدينا بهديهم واسترشدنا بنورهم فيما كتبناهُ فيهِ . ولان هذا التكريم راجع بنوع خاص الى مصر الكريمة التي لما انتقلنا بالمقتطف اليها منذ احدى واربعين سنة رحبت بهِ بلسان وزيريها العظيمين شريف باشا ورياض باشا واظلتهُ بظلها الوارف ومهدت لهُ سبل التقدم . نعم ولان هذا التكريم برهان جلي على ما بين الناطقين بالضاد من التضامن ودليل بيّن على كرم نفوسكم ونفوس كل الذين اشتركوا معكم في مختلف الاقطار

والآن نرفع نظرنا الى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المفدى فؤاد الاول نصير العلوم والفنون الذي تنازل فجعل هذا الاحتفال تحت رعايتهِ السامية وشرَّفهُ بارسال رئيس ديوانهِ العالي حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا لينوب عنهُ . ونسألهُ تعالى ان يؤيد ملكهُ ويطيل عمرهُ ويحفظ ولي عهدهِ ونكرر الشكر القلبي للمتفضلين علينا اعضاء هذه اللجنة الكريمة التي عنيت باقامة هذا الاحتفال وللشعراء والخطباء الذين البسوا المقتطف حللاً سابغة من فضلهم وللامراء والوزراء والسادة والسيدات الذين تكرموا بالاشتراك في هذا العيد وللجامعة ببيروت الاميركية التي اوفدت اكبر اساتذتها الاستاذ نيكولي نائباً عنها وهي تحتفل الآن في بيروت كما تحتفلون هنا ولا منائها في اميركا الذين تكرموا بتهنئتنا تلغرافياً وللجمعية خريجيها التي اوفدت حضرة شحاده افندي شحاده سكرتيرها العام نائباً عنها ولحضرة اسكندر افندي شلفون الذي نظم نشيد المقتطف وشنف آذاننا بتلحينهِ ولسائر

الاخوان الاوفياء من خريجي جامعتنا المنتشرين في اقطار المسكونة وكل الذين شاركوهم في هذا التكريم بالهدايا الثمينة والمقالات النفيسة والرسائل البرقية ونرجو من الجميع اسبال ذيل المعذرة على تقصيرنا في آداء ما يجب علينا من الشكر

واعلن معالي الرئيس بعد ذلك انتهاء الحفلة

عيد المقتطف الخمسيني

في جامعة بيروت الاميركية

بيروت وطن المقتطف الاول وجامعتها الاميركية مهده ، فيها ولد وترعرع ، وفي دورها تعلم منشئاهُ وعلّما ، لذلك اهتمت عمدتها وجمعية متخرجيها بالاحتفال بعيده الخمسيني في اليوم الذي احتفلت بهِ مصر فكان احتفالها جامعاً بين البساطة والوقار ، ضمّ نخبة من اهل العلم والادب والفضل من الذين يقدرون جهاد المقتطف نصف قرن كامل في خدمة العلم ونشر العرفان

رئس الاحتفال الاستاذ بولس الخولي فافتتحهُ بنبذة عن نشوء المقتطف ومقامهِ ووصف الحفلة الكبرى التي اعدت في مصر ثم قدم المستر ضودج رئيس الجامعة فخطب خطبة انكليزية بليغة عن مقام المقتطف في نشر التعليم والتهذيب بين العائلات الذين لم تمكنهم احوالهم من اجتناء ثمارها في المعاهد العلمية العالية

وتلاهُ الاستاذ جبر ضومط استاذ اللغة العربية وفلسفتها سابقاً فتلا خطبة نفيسة عنوانها «انا والمقتطف» عاد بها الى العهد الذي كان فيهِ تلميذاً في برج صافيتا بلبنان ثم في عبيه ففي كلية بيروت وكيف تعرف اولاً الى الدكتورين صرّوف ونمر وكان اولها يعرف حينئذٍ « بالمعلم يعقوب صروف » وفاخر بكونهِ تلميذهما

وعقبهُ الاستاذ داود افندي قربان فخطب عن العهد الذي نشأ فيهِ المقتطف فقال ان هذه المجلة التي تدعي اليوم شيخة المجلات العربية لم تولد شيخة بل ولدت صغيرة في مهد الفاقة نظير كل رجال العلم ونوابغ الامم الذين ولدوا في الفاقة ثم تطرق الى وصف الجامعة حينئذٍ فقال انها لم تكن كما هي الآن في كثرة مبانيها واساتذتها وطلبتها ووفرة معداتها ثم وصف بيروت وما كانت عليهِ حينئذٍ من الضآلة والصغر وحالة الصحف والمطابع . ثم تتبع نشوء المقتطف من جريدة تظهر في ٢٤ صفحة شهريًّا الى مجلة كبيرة تصدر في ١٢٠ صفحة وخص بالذكر المصاعب والمشاق التي قامت في وجهِ صاحبيهِ

وتلاهُ فريد افندي زين الدين احد المدرسين في جامعة بيروت فقرأ خطاباً اعدَّهُ سليمان بك ابو عز الدين عنوانهُ «المقتطف والنهضة الادبية» واقعدهُ المرض عن تلاوتهِ بنفسهِ بيّن فيهِ ان المقتطف كان وسيلة لنقل العلوم العصرية الى اللغة العربية واثبت فضلهُ في تهذيب فنون المناظرة والجدل مستدلاً بالفقرة التي يستهل بها المقتطف باب المناظرة والمراسلة . وتليت بعدهُ قصيدة بليغة نظمها الاستاذ انيس الخوري المقدسي استاذ الآداب العربية في الجامعة ومنعهُ عن انشادها احوال قاهرة فناب عنهُ في تلاوتها نجيب افندي مصوّر احد المتخرجين

ثم وقف الاستاذ خولي وتلا تلغرافاً ارسلهُ صاحبا المقتطف قالا فيهِ« في اليوم الذي يحتفل فيهِ محبو المقتطف بيو بيلهِ الذهبي نقدم شكرنا القلبي للجامعة التي علمتنا واعدتنا لانشائهِ».ثم تلا تهنئة شعرية تلغرافية بعث بها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف من زحلة

وختمت الحفلة بخطبة لفؤَاد افندي صروف احد محرري المقتطف بيّن فيها قيمة البحث العلمي ومهمة المقتطف في بسط نتائجهِ والعلاقة المتبادلة بينهُ وبين الجامعة الاميركية القائمة على نشر انوار العلم الصحيح بين ابناء الشرق . وكان يتخلل الخطب انغام عزفتها جوقة الجامعة

وسننشر هذه الخطب وخطبة السر سعيد باشا شقير التي تلاها في حفلة مصر مندوباً من قبل متخرجي جامعة بيروت في مقتطف يوليو المقبل

حفلة الفرد بك شماس

للاحتفاء بعيد المقتطف الخمسيني

لا ادلَّ على اتساع النهضة العلمية التي نهضها شرقنا الآن من الاحتفاء الذي قوبل بهِ عيد المقتطف الخمسيني في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار فلم تكد حفلة الاوبرا الملكية تنتهي حتى نهض صديقنا الفرد بك شماس احد اعضاء مجلس الشيوخ المصري واتبعها بحفلة اخرى في حديقة دارهِ بهليو بوليس في مساء السابع من مايو وصفها المقطم بقولهِ انها « من اعظم حفلات العام وابهاها واحفلها باسباب السرور والبهجة واستيفاء شروط الحسن والكمال فان الذين شهدوها من عظماء مصر وكبرائها واعيانها وفضلائها وكرائم سيداتها اجمعوا على الاعجاب بها والثناء على من اقامها بعد ما اجتلوا محاسنها وانشرحت صدورهم بمجالي الزينة الفاخرة والموسيقى المطربة وما لقوا من انس مضيفهم وحسن استقبالهِ

ومظاهر كرمهِ واكرامهِ وقد زينت الحديقة الكبيرة بالوف من المصابيح الكهربائية المختلفة الالوان فاحاطت بسورها قلائد وانتظمت في جوها سموطاً وعقوداً وتخللت اشجارها وورودها وانجمها فكانت انوارها تتلألأ في الفضاء حتى هزمت سواد الليل والبستهُ حلة بهية من الاشراق وانعكست على بساط سندسي صفت عليهِ المقاعد الوثيرة والكراسي العديدة ونصبت في وسط الحديقة منصة كبيرة للموسيقيين والمغنين واعد في مكان آخر ارض من الخشب الخاص لمحبي الرقص من الرجال والنساء ومدت موائد الطعام والحلوى والفاكهة والمرطبات على طول الحديقة من طرفها الشمالي الى طرفها الجنوبي وعليها افخر ما يقدم في مثل هذه الحفلات ووقف عشرات من الندل وراءها لخدمة الضيوف الكرام

وكان صاحب الدعوة يستقبل ضيوفهُ بالبشر والايناس ويرحب بهم ويساعدهُ جماعة من اخوانهِ واصدقائهِ فكانوا يجلسونهم في مجالسهم جماعات يجمعهم حب تكريم العلم والرغبة في تنشيط حملة الويتهِ ولا يكادون يدخلون الحديقة من بابها البديع حتى تمتلئ نفوسهم سروراً وتنشرح صدورهم حبوراً بما تجلى فيها من آيات البهاء ومجالي الانس والصفاء

وقد لبى الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر صاحبا المقتطف وعائلتاهما دعوة شماس بك بالشكر الجزيل لحضرتهِ على تفضلهِ باقامة هذه الحفلة البهية تكريماً للمقتطف وتنشيطاً للقائمين بهِ وقدموا اليهِ ما هو اهل لهُ من الثناء المستطاب على غيرتهِ وسعة فضلهِ

ولبى دعوة الداعي الكريم جمهور كبير من وزراء مصر وعظمائها وعائلاتها الكريمة

واعتذر عن حضور الحفلة فخامة اللورد لويد وصاحب الدولة توفيق نسيم باشا واناب عنهُ صاحب العزة مراد حسني بك

وكان في مقدمة الحاضرين اصحاب الدولة احمد زيور باشا وحسين رشدي باشا ويحيى ابرهيم باشا واصحاب المعالي احمد ذو الفقار باشا وتوفيق رفعت باشا ونخله المطيعي باشا وعلي ماهر باشا ومحمد شفيق باشا واحمد ابو السعود باشا ومصطفى النحاس باشا ويوسف قطاوي باشا واحمد حلمي باشا وتوفيق دوس باشا ومحمود صدقي باشا واصحاب السعادة عبد الرحمن رضا باشا وصالح عنان باشا وعبد الحميد بدوي باشا ومحمود شوقي باشا ومحمود القيسي باشا وراغب بدر باشا وانطون مشاقه باشا وسعيد شقير باشا ومحمد ابو نافع باشا ومنصور نجيب شكور باشا والآنسة مي سكرتيرة لجنة الاحتفاء بالمقتطف

والمسيو سودان وشريف صبري بك والمسيو ايمان بك واحمد لطفي السيد بك والاستاذطه حسين والمسيو هنري جرجوار من الجامعة المصرية ومحمد محمود خليل بك ومصطفى رشدي بك وعبد اللطيف محمد بك والشيخ حسن عبد القادر والدكتور احمد بك عيسى من اعضاء مجلس الشيوخ وفؤاد اباظه بك وحبيب المصري بك والمامي جريس بك وتوفيق حبيب بك وارنست نعمة الله بك ومراد محسن بك واشيل صيقلي بك ومحمد توفيق العرابي بك والمسيو بيو بك وجورج عطا الله بك وانطون الجميل بك وجرجس انطون بك وابرهيم مهدي بك واميل مشاقه بك واحمد حسن بك ومصطفى عبد الرازق بك ووهيب دوس بك ويوسف حمصي بك وخليل مطران بك والدكتور علي يحيى بك وهنري نوص بك والمسيو سورناجا والسر فردر يك رولات والسر رجنلد اوكس والمسيو بيشه والكولونل شايورو برلا بك مدير البنك الايطالي المصري والمسيو برنوتشي مدير البنك الايطالي التجاري والمسيو ايلي كوريال والمسيو موريس موصيري

ومن معتمدي الدول وموظفي سفاراتها المسيو دوج وزير البلجيك المفوض ومحيي الدين باشا وزير تركيا المفوض ومعهُ محمد رشيد بك وزير برازيل المفوض والمسيو لبيه قنصل فرنسا والمسيو فوجت قنصل نروج الجنرال وعائلتهُ والمستر لوماس قنصل بريطانيا والفريد قصير بك قنصل اسبانيا والمسيو بلبلو قنصل ايطاليا والمسيو بوسيكو السكرتير الأول لمفوضية ايطاليا والمستر سمارت السكرتير الشرقي في دار المندوب السامي البريطاني والمستر بولوك مدير القسم التجاري في تلك الدار

وغيرهم كثيرون من اولي المقام والفضل لم تعِ الذاكرة اسماءهم فجلسوا جماعات يسامرون وقد بلغ عددهم نحو اربعمائة من نخبة السادة والسيدات ويشنفون الآذان بسماع اطايب الالحان والانشاد وحضرة الداعي الكريم يطوف على ضيوفهِ ويبالغ في الترحيب بهم ويؤانسهم وهم يقابلون ترحيبهُ بالثناء على فضلهِ والاعجاب بحسن ذوقهِ وغيرتهِ

وقبل نصف الليل دعي الحاضرون الى البوفيه الفاخر فاكلوا ما لذَّ وشربوا ما طاب ورقص محبو الرقص وظل الجميع في طرب وحبور الى نحو الساعة الثانية من الصباح فودعوا مضيفهم الكريم مرددين عبارات الثناء والشكر ومشيعين بمثل ما استقبلوا بهِ من الحفاوة والاكرام

والمقتطف يكرر الشكر الجزيل لحضراتهم ولحضرة شماس بك ويرجو ان يترتب على هذه الحفلة وامثالها تشجيع كل القائمين بخدمة العلم على مواصلة الاهتمام بخدمتهِ

الفاجعة

اليوم لا عزاء، ومن اين للقلوب الكليمة بعد فقد الوحيد عزاء. فاجعة اثر فاجعة، ولوعة بعد لوعة، وصدمات متتالية تسحق القلب وتدمي الفؤاد وتستذرف الدمع من العيون سحًّا دراكاً

كنت بالامس انعي عزيزاً واليوم انعي عزيزاً، فوالهفي كأنما اصبح قلبي على رثاء الاعزاء موقوفاً. اخي ثم ابن اخي، جزءان من نفسي وركنان من اركان سعادتي صهر لفقدهما قلبي بنيران الجزع الشديد والحزن الصادق وتذوقتُ اقسى ما في الحياة من هم وكمد وبؤس وقنوط. شباب نضر ثم طفولة بسامة، آمال حية قضى عليها الموت وخلّف لها في القلوب جراحاً حية

ودعنا الامس بعد ما اودع في نفوسنا حسرة، ورجونا ان يكون غدهُ اقل همًّا والماً فاذا الاقدار تضمر لنا غدراً، واذا الغد يحمل في طياتهِ لهيباً مستطيراً، ويفجعنا في وحيد ابويهِ وقرة عين اهله جميعاً. لهفي على العصفور المغرد والبلبل الصدّاح، اطرب الدنيا حيناً بتغريدهِ واحيا القلوب المحبة بشدوهِ وغنائهِ، عاجلهُ الموت الغشوم غير مشفق على اكباد تتصدع وافئدة تتفطر وآمال تنهدم صروحها

اي ربي ومنك الرحمة اهكذا تعدو الاقدار على بيت وادع مطمئن مبتهج بنصيبهِ في الحياة فتبدل نعيمهُ بؤساً وسعادتهُ شقاء ؟

اهكذا يقضى على الآمال في حدة توقدها وعلى المنى قبل ادراك ثمارها وتغمر القلوب الشابة الفتية نار محرقة ويدرك النفوس الطامحة يأس قاتل ؟. اهكذا تمتد يد المرض الاثيمة الى هيكل الطفولة المقدس فتعبث بحرمته رغم كل صيانة وعناية ورعاية

شهدت الشيخ في مرضهِ، وشهدت الشاب في مرضهِ، وشهدت الطفل في مرضهِ، فرثيت لشقوتهم جميعاً انما هالني استسلام الطفل لصولة المرض يعاني آلامهُ وهو لا يدرك مبلغ ما يعاني. هالني ان ارى الملاك يعذَّب، وقد كنت احسب الملائكة الاطهار في مأمن من العذاب، وان ارى الزهرة البارزة من اكمامها تعطر بشذاها الارجاء تعبث بها الريح العاصفة فتنثر اوراقها البهيجة الندية

هالني واحزنني ان ارى صغيرنا المحبوب يقاسي اللوعة ويتجرع الكأس المريرة اياماً وليالي حتى اخرجهُ الضعف عن احتمال الم الداء ومضض الدواء من الاستسلام الى الشكوى والانين وصيحات التوسل «خلصوني من العذاب» وحولهُ قلوب محبة وايدٍ

رحيمة لا تستطيع دفع الاذى عنهُ ولا احتمال الاوجاع بدلاً منهُ ، وزادني حسرة انهُ وحيد تطلعت اليهِ العيون وعقدت عليهِ الآمال ، وافنى النفس فيهِ ام رؤوم واب بار يقدسانهِ و يكرسان حياتهما لهُ

لشد ما يثير الحزن في النفس منظر الام الى جانب ابنها في سرير المرض والمة جازعة ، تحتضنهُ وتقبلهُ كأنما تحاول ان تهبهُ من انفاسها حياة او تحمل عنهُ من انفاسهِ آلاماً ، ترتعد لحركتهِ وترتاع فرائصها لسكونهِ ، تناديهِ اذا صمت وتخشى عليهِ التعب اذا تحدث ، وتسهر على راحتهِ ، بعين مقروحة لا تتحول عن النظر اليهِ الاَّ لتخفي عبرات الوجد والاشفاق ، او لتنظر الى السماء ضارعة متوسلة. وقلب خفاق بين اليأس والرجاء، ونفس قلقة مضطربة ، وجسم منهوك مضنى

لكن الغصن الرطب لا يقوى على احتمال العواصف طويلاً ، كذلك ضعف عزيزنا الصغير عن مقاومة هجمات المرض العنيفة وفي لحظة شعر بقشعريرة تسري في جسمهِ اهتزت لها قلوبنا المالعة ، وعبثاً حاولنا دفعها بكل الوسائل . وكأنما تكشف للملائكة الابرار استار الغيب فكرر الوحيد المحبوب مراراً سأموت يا ماما .... والقى بنفسهِ على صدر امهِ،وعانقها عناقاً طويلاً مردداً احبك يا ماما ... ثم فتح عينيهِ البراقتين المتلألئتين لم تنقص يد الموت من جمالها الساحر ، واجال الطرف فيما حولهُ ، واشبع روحهُ بنظرة الوداع الاخيرة لمن ثكلتهُ ، واغمض جفنيهِ واسلم الروح

وقع الخبر في نفس الأب وقع الصاعقة وأحس كأن العالم اصبح فراغاً خالياً من كل شيء ، فضعف امام هول المصاب وخانتهُ رجولتهُ ، واسلم نفسهُ لثائرة الحزن المبرح

واصاب الأم شبه ذهول مذ تمثل لها ملاك الموت فانحنت على وحيدها تضمهُ اليها لتقيهُ شر ذاك الشبح الاسود لكن روعة الفناء في صفحة الوجه النقي البسام اوحت اليها ان غائلة الموت لا تدفع . فانخلع قلبها وغاب صوابها وصاحت واولداه . واوحيداه .وارسلت مع الروح الصاعدة الى السماء صيحات الثكل واللوعة ، تجرح قلب الليل وتشق عنان السماء . و باتت كالملهوف لا يقر لهُ قرار . فحيناً تصرخ وتولول وحيناً تندب وتنوح ثم ترتمي الى جانب الجثة الهامدة وتجس النبض وتتسمع لدقات القلب علهُ قد عاد الى الحياة . فتتحقق لها خيبة الرجاء فتخر مغشياً عليها ، وسرعان ما تنبهها النار الذاكية بين جوانحها فتعود الى الاضطراب والانفعال والندب والعويل ، وتشكو الى الاقدار ظلم الاقدار وتردد مع انات القلب المكلوم المعنَّى، ماذا جنيت يا ربي لتجزيني هذا الجزاء

القاسي . انا المحبة للناس التي لم احمل لاحد في فؤادي ضغناً ولا موجدة ولا اودعت قلبي حفيظة لمسيءٍ ولا امسكت يدي عن تقديم خير استطيعهُ ، ايكون هذا نصيبي ؟ كم ناديتك ياذا الرحمة والكرم احفظ لي ملاك حياتي ، والآن اسائلك ياذا البطش والجبروت ، أيرضيك كسر القلوب وتحطيم الآمال وانحلال العقد وتشتيت الشمل ؟

ثم ضعفت الام المفجوعة واختنق صوتها وخرت منهوكة مهدودة لا تكاد تستطيع حراكاً لكنما اهاجها منظر ضوء النهار يتسلل الى غرفة الاحزان و ينتشر على فراش الموت ، واشتد مع ازديادهِ ظلام نفسها اليائسة ، فكشفت عن الوجه الذابل لترى مطلع النهار عليهِ لآخر مرة ، وقبلتهُ بكل ما في قلبها الملتهب من حرقة وحرارة

وحانت ساعة الفراق الاخير ، فو يلي على القلوب الكليمة من هول تلك الساعة ، اذ يبلغ الحزن اعمق اعماق النفس فتضيق بهِ وتحاول ان تجد لهُ مخرجاً ، وللشعور في ثورانهِ قوة محال ان تدرك الالفاظ مداها. حانت الساعة الاخيرة فتطاير الشرر من لهيب القلوب ، وضجت الاصوات ضجة اليأس ، وتعالت صيحات الحزن الشديد ، وتكاثر البكاء والنحيب

وكأنما اصاب الثكلى ذهول ففاض لونها وتحجرت عيناها ، وهمت تنتزع الجثة الهامدة من ايدي خاطفيها ، لولا ان اجتذبت اجتذاباً وامسكت قهراً ، فتراجعت مهدودة خائرة وقبض اليأس المريع على قلبها الموجع بقبضة من حديد ، وفاضت عيناها بعد الجمود بوابل من الدمع مدرار . وعاد الاب بعد ان شيع وحيدهُ الى قبرهِ وتلظى بجمرة الوداع الاخير ، مفعماً قلبهُ بالحزن مثقلاً بالهموم والآلام ، وفي مظهرهِ الرصين وحديثهِ الهادئ ما ينمُّ عن جزع الثاكل و يدوي بصرخة الفؤاد المكلوم

وانقضت ايام المأتم وعاد الناس الى سيرتهم الاولى ، وعدنا نلتمس حياة هادئة تمحو من ثوران حزننا ، فعز علينا ذلك . لقد تنكر لنا وجه الحياة وتغيرت معانيهِ طراً ، فلم نعد نجد فيهِ الأوحشة مريعة وذكريات مؤلمة تستثير منا اوجع الغصات واحر العبرات كان الحبيب الراحل في القلب مصدر حياتهِ ونعيمهِ ، فانزل الموت مكان حبهِ من قلوبنا حزناً عنيفاً ولوعة محرقة لكنها عزيزة علينا ، وكل ما اختلط بذكراهُ الغالية محبب الينا مستطاب

ومهما آست يد الزمن جراح القلوب وخففت وطأة النائبات فهيهات ان تصل الى ما لتلك الفاجعة الاليمة من لوعة لذاعة وذكرى في ثنايا الافئدة خالدة

في ذمة الله يا ابن اخي وفي جنة ملائكتهِ الاطهار . وسلام عليك حتى اللقاء في دار الخلود

مصرية

ارتياد القطب الشمالي

بعثة امندصن

اخذ القطب الشمالي يفقد جانباً مما يحيط بهِ من الاسرار فروّاد خمسٍ من الامم يعدّون معداتهم لاقتحام اهوالهِ في هذا الصيف وفي مقدمتهم امندصن الرحالة الاسوجي الشهير الذي عجز في الصيف الماضي عن الوصول اليهِ بالطيَّارة فلم تثنهِ الاخطار التي لقيها مع رفقائهِ عن الاستعداد لارتيادهِ ثانية فاتفق مع المستر الزورث الاميركي وكان من رفاقهِ في السنة الماضية ، ومع حكومة ايطاليا فاعطتهُ بلوناً دعي نورج وجعل احد مهندسيها قبطانهُ على ان يرفع هذا البلون العلم النروجي فغادر رومية في ١٠ ابريل طائراً فوق فرنسا الى بلاد الانكليز ومنها لم يطر رأساً الى سبتزبرجن بل طار الى اوسلو عاصمة بلادِ نروج ومنها الى لننغراد عاصمة روسيا ثم الى فاردو في شمال بلاد نروج فخليج الملك في سبتزبرجن ومنهُ يمم القطب ليطير فوقهُ الى بو ينت بارو في الاسكا. وقد وافتنا البرقيات العمومية قبيل كتابة هذه السطور ان امندصن وصحبهُ اجتازوا القطب الشمالي واتموا رحلتهم الهوائية في بلدة تيلر بالاسكا بعدما بقي البلون ٧٢ ساعة في الهواء وقضى برهة فوق القطب لتدوين الارصاد الجوية المختلفة . وقد صنع هذا البلون في ايطاليا وضع رسومهُ واشرف على صنعهِ قبطانهُ الملازم نوبيلي الايطالي طولهُ ٣٢٥ قدماً ويسع ٦٧٠ الف قدم مكعبة من الغاز وفيهِ ثلاث آلات قوتهما معاً ٧٥٠ حصاناً يسير بها ٤٥ ميلاً في الساعة وفي استطاعتهِ ان يطير ٣٦٠٠ ميل من غير ان يحط على الارض

بعثة ولكنز

الكبتن جورج ولكنز رائد استرالي اشترك مع جمعية الطيران بدترويت والجمعية الجغرافية الاميركية واتحاد الصحف الاميركي في اعداد بعثة هوائية الى القطب الشمالي وخطتهُ فيها ان يطير من فربانكس بالاسكا الى بو ينت بارو ومنهُ يطير فوق القطب الى سبتزبرجن بطيارتين من ذوات السطح الواحد صنع فُكَر Fokker بدأ رحلتهُ هذه في ٢٦ مارس الماضي واخفق حين حاول الطيران فوق القطب لعدم تمرس طياريهِ بهذا النوع من الطيارات وقد عزم الآن على ان ينقل الوقود والطعام من فربانكس الى نقطة



برد — ولكنز — امندصن

رواد القطب الشمالي عن طريق الجوّ

مقتطف يونيو ١٩٢٦
امام الصفحة ١٦٢

قريبة من القطب ثم يحاول ثانية تحقيق خطتهِ الاولى على ما فيها من المغامرة والمخاطرة

بعثة برد

والكوماندور رتشرد برد ضابط متقاعد من ضباط البحرية الاميركية غادر نيو يورك على باخرة الى سبتزبرجن في ٦ ابريل الماضي ومعهُ طيارة من ذوات السطح الواحد من صنع فُكَر ايضاً وخطتهُ ان يطير عليها من خليج الملك في سبتزبرجن الى نقطة في « بيريلاند » تبعد نحو ٤٠٠ ميل عن القطب يجعلها مركزهُ المتقدم ومنها يحاول الطيران الى القطب لارتياد المجاهل التي تحيط بهِ . ويحذو حذو ولكنز في نقل الاطعمة والوقود من خليج الملك الى المكان الذي يختارهُ للطيران منهُ الى القطب . ويعضدهُ في بعثتهِ هذا المستر ادزل فورد ابن هنري فورد الشهير والمستر جون روكفلر وغيرهما من اغنياء الاميركيين

بعثات اخرى

عدا هذه البعثات تستعد وزارة البحرية الفرنسوية لارسال بعثة لارتياد مجاهل القطب الشمالي تجعل عمدتها على المزالق المحركة والطيارات المائية ويستعد القبطان مكملان الاميركي الذي قام برحلة قطبية في الصيف الماضي للعود الى تلك الاصقاع في هذا الصيف. كذلك تعد روسيا معدات بعثتين تقصدان الى الاصقاع المتجمدة شمال سيبيريا وقد جاء في انباء نروج ان القبطان ايلياسون النروجي سيذهب الى جزيرة نوفا زمبلا ومنها يحاول الطيران الى القطب الشمالي على زورق هوائي. وقد ارسل متحف التاريخ الطبيعي في نيو يورك بعثة علمية الى الاصقاع المتجمدة شمالي جزيرة جرينلاندا لتجمع الحقائق العلمية المتعلقة بتلك الاصقاع وستنشئ هذه البعثة محطة لا سلكية في ايتاه قد تساعد الرواد الذين يحاولون الطيران الى القطب او فوقهُ على تذليل بعض المخاطر التي يتعرضون لها . وقد اهتمت جريدة نيو يورك تيمس يعضدها في ذلك اتحاد الصحافة الاميركية على انشاء محطة لاسلكية في بوينت بارو بالاسكا للاتصال بالبعثات القطبية

اما النتائج التي ينتظر تحقيقها من هذه البعثات فاهمها ايجاد خط جوي فوق القطب تسلكهُ الطيارات والبلونات بين اوربا واميركا واسيا فترسل بهِ الرسائل وينتقل بهِ المسافرون الذين يودون الانتقال على جناح السرعة . فاذا تحققت هذه الامنية اصبحت مدن الشمال في اوربا واميركا واسيا لا تبعد احداها عن الاخرى اكثر من ٢٤ ساعة بطريق الجو

مذهب النشوء والمشرق والمقتطف

نشرنا في مقتطف ابريل مقالة وجيزة موضوعها «مذهب النشوء والعلماء اليسوعيون» بدأناها بقولنا «من يتصفح مجلة المشرق الناطقة بلسان اليسوعيين قد يحسب ان الكنيسة الكاثوليكية تنكر مذهب النشوء المعروف بمذهب دارون انكاراً تامًّا وتكفر معتقديهِ وان اليسوعيين كلهم يقولون قولها »

والحرف « قد » في قولنا « قد يحسب » للتقليل . وكلمة يحسب معناها يظن . ومفاد مقالتنا تبرئة الكنيسة الكاثوليكية وبعض علماء اليسوعيين مما قد يتبادر الى ذهن قراء المشرق من جهة مذهب دارون . ولكن ما كتبناهُ لم يرُق حضرة الاب لويس شيخو فاورد كلامنا على صورة اخرى حيث قال في صدر مشرق مايو ما نصهُ « اراد صاحب مجلة المقتطف ان يرشقنا بسهمنا فزعم ان مجلة المشرق ارتأت ان الكنيسة الكاثوليكية تنكر مذهب النشوء المعروف بمذهب دارون انكاراً تامًّا وتكفر معتقديهِ وان اليسوعيين كلهم يقولون قولها » والبون شاسع بين المقدمة التي قدمناها لكلامنا وبين الكلام الذي نسبهُ الينا حضرة الاب المحترم كما يظهر من مراجعة كلامنا وكلامهِ . اما اننا اردنا ان نرشقهُ بسهمهِ ففيهِ تقدير لكلامنا لا يقول بهِ على هذهِ الصورة الأ من يشعر بانهُ مرشوق بسهم . ولكن الغاية الجلى التي توخيناها من ايراد ما اوردناهُ عن لسان السر برترام رندل الكاثوليكي انما هي ان الكنيسة الكاثوليكية لم تنفِ مذهب دارون او لم تحكم حكمها البات فيهِ ككنيسة وان بعض علماء الجزويت ايَّد هـذا المذهب ومنهم الاب فن همرستين اليسوعي الذي قال « انهُ ان كان الخالق لم يخلق كل نوع من الحيوان في الصورة التي نراهُ فيها الآن بل جعلهُ يصل الى صورته الحاضرة بواسطة نشوء مستقل استمرَّ في سلسلة طويلة من اسلافهِ فذلك اظهر لحكمتهِ وقدرتهِ » . وهنا نشكر حضرة الاب شيخو لانهُ نبهنا الى ان الحرفين .Fr يشيران الى كلمة اب لا الى كلمة اخ

ورب قائل يقول ما الفائدة من تأييد مذهب النشوء والجواب انهُ مذهب علمي صار لهُ شأن كبير بين المذاهب العلمية وقد فُسّرت بهِ غوامض كثيرة . وهو لا يختص بنشوء الإنسان بل يتناول انواع النبات والحيوان والعادات والاخلاق والعلوم والفنون فلا يليق بالمقتطف كمجلة علمية ان تغضي عنهُ او ان تخطئهُ وهي ترى موءيديهِ من اكبر العلماء



المرحوم احمد حشمت باشا

مقتطف يونيو ١٩٢٦
امام الصفحة ٦٦٥

احمد حشمت باشا

لما استوطنا مصر منذ اربعين سنة لقينا فيها جماعة من الشباب الذين تلقوا دروسهم في اوربا وعادوا لخدمة وطنهم في حكومتهِ ومنهم شفيق منصور (بك) بن منصور باشا يكن. وحسين رشدي (باشا) واحمد حشمت (باشا) وعزيز كحيل (باشا) وجبران كحيل (بك) وغيرهم من الذين شغلوا اعلى المناصب في القضاء والادارة . وكان المرحوم حشمت باشا من نوابغهم فاشتغل في النيابة اولاً الى ان صار محامياً عامًّا ثم نقل الى الادارة فجعل مديراً لجرجا فاسيوط فالدقهلية . وبعد ان انقطع عن خدمة الحكومة مدة واعلن انهُ عزم على الاشتغال بالمحاماة ثم عاد الى خدمة الحكومة فتقلد ثلاث وزارات في اوقات مختلفة وهي الخارجية والمالية والمعارف . ولما كان وزيراً للمالية اخذ يبحث في مسائلها وجمع الكتب التي تبحث فيها ودرسها درس مَن يقصد ان يكون وزيراً عاملاً لانهُ حسب نفسهُ مسؤُولاً عن كل اعمال وزارتهِ ولكن اثرهُ الاكبر انما كان وهو وزير للمعارف فان همهُ الاكبر صار حينئذٍ كيف يرقي التعليم و ينشر الكتب المفيدة فاهتم بدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) واستصدر امراً عاليًا يقضي باصلاحها وان تكون تابعة لوزارة المعارف في ادارتها ولوزارة المالية في مراقبة حسابها . وان يؤَلف لها مجلس اعلى تعقد جلساتهُ فيها برآسة وزير المعارف . فألف المجلس ورأسهُ هو وكان من باكورة اعمالهِ ان طبع خمسة من نفائس المخطوطات العربية وهي صبح الاعشى للقلقشندي والإحكام في احوال الأحكام للامدي وخصائص العربية لابن جني والطراز في حقائق الاعجاز لامير المؤْمنين ابي حمزه اليمني والاعتصام بالكتاب والسنة للشاطبي

ورأينا في دار الكتب مخطوطًا كقاموس علمي بالفرنسوية والعربية فذكرناهُ لهُ فاهتم بطبعهِ ونشرهِ وانتدب له من الدكتور احمد بك عيسى وهو اشهر الباحثين في ترجمة الالفاظ العلمية الى العربية فاهتم بتنقيحهِ وشرع في طبعهِ ولكن تغيرت الوزارة فبطل العمل

والفقيد من اركان اللجنة التي وضعت الدستور المصري وكان محبًّا للادب مناصراً لذويهِ شديد الاهتمام بمصلحة وطنهِ فوفاتهُ خسارة كبيرة لا تعوض . وقد استأثرت بهِ رحمة الله مساء الثامن من مايو فكان لنعيهِ رنة حزن واسى واحتفل بدفنهِ في اليوم التالي احتفالاً مهيبًا سار فيهِ مندوب جلالة الملك ووزراء مصر ووزراء الدول المفوضون وجمع غفير من الوجوه والاعيان

تقدم علم الطب

١

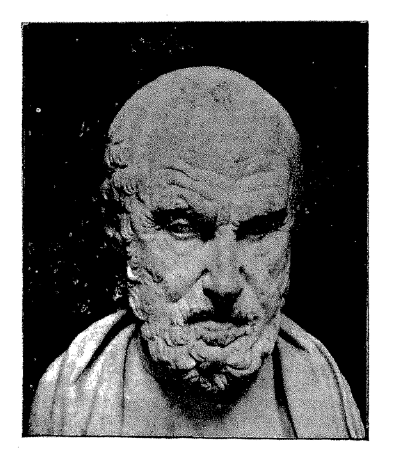
الدكتور موريس فشبين (Morris Fishbein) من اطباء اميركا المعروفين وهو محرر مجلة الاتحاد الطبي الاميركية ومجلة هيجيا الصحية المشهورتين نشر سلسلة مقالات قيمة في مجلة السينتفك اميركان عن تقدم الطب توخى فيها البساطة كي يستفيد منها عامة الناس ولهذا عربتها لينتفع بها ابناء الناطقين بالضاد :

كان طب الاقدمين خليطاً من خرافات ومعتقدات ونظريات مازجها شيء من دقة الملاحظة والآراء المعقولة فهو وليد نظام مبني على قاعدتين من التجربة والخطأ وليس فيما وصلنا عن تاريخ الطب منذ ثلاثة آلاف سنة الى الآن في قرطاسي ادون سمث (Edwin Smith) وابرس (Ebers) عن تاريخ الطب المصري ولا فيما دوّنهُ ابقراط وجالينوس (Galen) والرازي وسلسس (Celsus) الاَّ اليسير من الحقائق الطبية المسلم بها اليوم ومع ذلك استفدنا كثيراً من بعض نظرياتهم وما اضافوهُ الى المعارف كما استفدنا من فساليس[1] (Vesalius) ومورغاني[2] (Morgangi) وباراسلسس[3] Paracelsus والبرت فن هلر[4] (Albert von Haller) ووليم هارفي[5] (William Harvey) وسدنهام[6] (Sydenham) الذين كشفوا حقائق ايدتها المباحث الحديثة. ورغماً عن التشويش الذي احدثهُ هنمن[7] (Hahnemann)

(١) طبيب باجيكي ١٥١٤ — ١٥٦٤ من اشهر المشرحين في القرن السادس عشر الف كتاباً قيماً في علم التشريح سماه « سبعة كتب في تركيب الجسم الانساني »

(٢) مشرح ايطالي ١٦٨٢ — ١٧٧٢ (٣) طبيب سويسري ١٤٩٣ — ١٥٤١ امتاز بابحاثه الطبية في الكيمياء وعلاقتها بفن الصيدلة

(٤) فسيولوجي سويسري ١٧٠٨ — ١٧٧٧ (٥) طبيب انكليزي مشهور ١٥٧٨ الى ١٦٥٧ مكتشف الدورة الدموية (٦) طبيب انكليزي مشهور ١٦٢٤—١٦٨٩ يدعونه ابقراط الانكليز (٧) طريقة غريبة في معالجة الامراض ابتدعها صموئيل كرستين فردريك هنمن (Samuel Fredrick Hahneman) ١٧٥٥ — ١٨٤٣ وهي ترتكز على ثلاثة اسس: (١) معالجة الامراض بالادوية التي تحدث في الجسم نفس الاعراض التي يحدثها المرض (٢) يزداد تأثير العلاجات باعطائها في جرعات صغيرة وذلك بتخفيف قوتها الى اقصى درجة ممكنة (٣) ليس اكثر الامراض المزمنة الا عبارة عن حكة في الجسم وهو مذهب غريب يعد من انواع التدجيل



ابقراط المشهور بابي الطب

مقتطف يونيو ١٩٢٦

امام الصفحة ٦٦٦

موَّسس مذهب المعالجة بالمثل(Homoepathy) فانهُ وسّع نطاق ما نعرفهُ عن العقاقير

مشكلة التشخيص لم يكن في اوائل عهد الطب اساليب منظمة لاستكشاف الغامض . والطرق القديمة لاتقاس بالتقدم الباهر والنجاح المستمر الذي احرزه علم الطب في الخمسين سنة الاخيرة فقد بلغ في نصف قرن اكثر مما بلغهُ في خمسين قرناً واول عمل عظيم قام بهِ هو وضع اساس تلك الحركة الكبيرة حركة الاهتمام بالصحة العامة التي اخذت طلائعها تظهر في ربع القرن الماضي فانشئت المدارس المتفاوتة الدرجات ذات المناهج الطبية المنظمة لينتفع بها شبان المستقبل والذين يطلبون الرسوخ في هذا العلم وولّدت من تلك الحرفة القديمة التي كانت مقتصرة على العناية بشخص المريض عدة حرف لا تنحصر في المريض نفسهِ بل تتناول علم الوقاية من الامراض ومقاومتها والاهتمام بالاوبئة الخ

لناقِ نظرة عامة على علم الطب قبل عهد باستور (Pasteur) لاننا اذا اردنا تقسيم الطب الى اعصر فالتقسيم الطبيعي يكون الى عصرين الاول قبل اكتشاف جراثيم الامراض والثاني بعد اكتشافها اي قبل باستور و بعدهُ .

باستور واضع علم المكروبات المعروف بالبكتيريولوجيا الذي بني عليه الطب الحديث

كان الباحثون قبل العصر الاول يعرفون كثيراً عن تشريح الجسم وعن العظام والعضلات والاوعية الدموية وان انسجة الجسم موَّلفة من خلايا وكشف المكروسكوب قبل ذلك الاوان وتمكن الباحثون بواسطتهِ من البحث في انسجة الجسم . ولم يقتصروا في تشخيص الامراض على النظر الى المريض ومعرفة تاريخ مرضهِ بل استعانوا ببعض الطرق الفنية

ولكن كان جل معول الاطباء الاقدمين على النظر في تاريخ المرض فكانوا يشخصون الكَلَب بالعلامات المعروفة منذ قرون والحمى القرمزية من النفاط الذي يظهر في الجسم وغيره من التغيرات البسيطة الواضحة . والزهري من القرحة الخاصة بهِ . ثم تقدموا تقدماً بطيئاً فصاروا يستعينون على معرفة الامراض بافرازات الجسم فعولوا مثلاً على النظر فقط في فحص البول ونسبوا اختلاف الوانهِ الى اختلاف المرض وقسموا الصديد الى قسمين سليم وردي . فمن الصعب ان نسمي هذه النظريات البسيطة علم طب ازاء ما وصل اليهِ المتأخرون من الحقائق الراسخة فانهم لم يكتفوا بالحواس الطبيعية بل اكتشفوا وسائط تعينهم في مباحثهم فلينك (Laennec) استنبط طريقة لسماع اصوات الجسم ورتب تلك الاصوات حسب العلة التي في العضو واكتشف اونبرجر (Auenbrugger) طريقة القرع (Pecrussion) وكتب عنها كتابات شيقة. هذه طرق علمية لا شائبة فيها فاذا قرعت صدر رجل تصلدت رئتهُ اثر ذات الجنب وجدت صمماً لا يتغير كلما قرعت واذا تسمعت اصوات قلب اعتلت صماماتهُ سمعت في كل حين اللغط الناشئ عن ارتداد الدم . كانت كتب الطب في ذلك العصر مجموعة حقائق توصل اليها المؤلفون والباحثون بملاحظاتهم الدقيقة ولكن شابها بعض النظريات الغريبة والمسلمات السطحية التي تشبث مؤلفو تلك الكتب بها . عرفوا مثلاً ان الكينا تمنع قشعريرة البرداء (الملاريا) وحرارتها ولكنهم لم يتوصلوا الى معرفة الحقيقة التي اكتشفها لافاران ورُس من ان سبب الملاريا طفيل ينتقل من شخص الى آخر بواسطة البعوض (البرغش)

الجراثيم (المكروبات) سبب الامراض عرف الاقدمون فائدة الزئبق في مرض الزهري ولكنهم لم يعرفوا ان سببهُ مكروب لولبي كما بين شودن (Schaudinn) وانهُ ينتقل من شخص الى آخر . كذلك عرفوا ان بعض الادوية تقوي القلب ولكن لم يعلموا ان فعلها ناجم عن تأثيرها في اعصاب القلب . وقد رافق علم الطب في كل الاعصر نظريات كثيرة كان لها من الشان ما للحقائق التي كانت تعلَّم لطلبة الطب حينئذٍ لذلك كان قد حان الوقت ومُهدت السبل لعالم كباستور يزيل الشبهات التي دخلت علم الطب

يعزى تقدم علم الطب الباهر في الخمسين سنة الاخيرة الى عدة عوامل : اولاً الى تبدّل عقيدة الباحثين في منشأ الامراض وتحولهم عن نظرية التولد الفجائي الى النظرية التي لا

تزال تدعي خطأً النظرية الجرثومية (germ theory) ثانياً تطبيق علم الكيمياء والتشريح والفسيولوجيا على علم الطب ثالثاً استنباط آلات ميكانيكية تساعد حواس المرء في اكتشاف الامراض واعمال الاعضاء

وبعد ان اكتشف باستور المكروبات وبين انها سبب الامراض جاء روبرت كوخ الالماني مكتشف مكروب السل وازاح النقاب عن قاعدتين صارتا اساساً لمعرفة علاقة مرض ما بمكروب خاص وهي اولاً وجود مكروبات المرض الخاصة في الاشخاص الذين يموتون بهِ وثانياً احداث المرض في حيوان او انسان حين تلقيحهِ بتلك المكروبات

ولا داعي الى تعداد كل الامراض التي اكتشفت مكروباتها كالسل والزهري والدفتيريا والحمى القرمزية والتهاب سحايا الدماغ والحمى التيفوئيدية والدوسنطاريا والبثرة الخبيثة والهيضة الاسيوية (كوليرا) والبرداء (الملاريا) وكثير غيرها ولا تكاد تمضي سنة دون ان يكتشف مكروب او يظهر سر غامض. ومعرفة هذه الحقائق من الاهمية بمكان فاما ان نعرض عنها ونسلم بنظريات الدجالين غير المعقولة او نسلم بها . فنظريات الدجالين تقول بوحدة سبب الامراض فلو سلمنا جدلاً بنظرية ستل (Still) مؤسس مذهب الاستيوبثي Osteopathy اي المعالجة بالضغط القائلة بان سبب الامراض ضغط على الشريانات يعيق دوران الدم في الاعضاء لعللناها بالتعليل الآتي : وهو ان الضغط المذكور لو فرضت صحتهُ يضعف مقاومة الجسم ومتى ضعفت هاجمتهُ المكروبات . ان هذا التعليل يروق جداً انصار هذا المذهب ولكن مع الاسف لا وجود لهذا الضغط ولا برهان علمي يدل عليهِ . فهل نقاس هذه النظرية بنظرية المكروبات التي ثبت انها سبب الامراض ومتى تكاثر عددها في جسم ما تولد في ذلك الجسم المرض المختص بها . وعليهِ نرى انفسنا مسوقين بسائق الطبع الى نبذ نظريات الدجالين الذين يعتقدون ان لا وجود للامراض وان سببها تغير الاهتزازات او ضغط على الاعصاب او خطأ في التغذية وما اشبه امام المكتشفات البكتريولوجية المؤسسة على العلم الصحيح . ومما يؤسف لهُ ان طائفة من الامراض التي ثبتت عدواها وانتقالها من شخص الى آخر لم تكتشف مكروباتها بعد كالحصبة وجدري

روبرت كوخ الطبيب الالماني الشهير

الماء وابو كعيب والحصبة الالمانية والجدري والتهاب الدماغ السباتي وغيرها مع ان العلم عرف حقائق كثيرة عنها . فاذا ادخلنا دم شخص مصاب بالحصبة الى جسم صحيح أصيب ذلك الجسم بها واذا حُقن دم شخص نقه منها في دم من لم يُصب بها وقتهُ تلك الحقنة منها نشوء مضادات السموم كل يعلم ان تلقيح مادة بثور الجدري في الجسم الصحيح يولد هذا المرض فيهِ وان اللفا المأخوذ من البقر الملقح يوقي الجسم شر الجدري.ولا يزال العلماء يكدون و يجدون في كشف اسباب الامراض المجهولة . ولدينا عدد منها ادّعى الاطباء اكتشاف سببها وهي مطروحة الآن على بساط البحث والتمحيص

ان نغوشي(Noguchi) البحاثة الياباني الكبير واحداعضاء معهد ركفلرعزل جرثومة ادعى انها سبب الحمى الصفراء وقد اخذ العلماء في كل الانحاء المنتشرة فيها هـذه الحمى يجربون التجارب العلمية لتحقيق دعواهُ او تفنيدها . كذلك بيّن الطبيبان جورج غلادس وهنري دك ان سبب الحمى القرمزية نوع من الستربتوكوكس يحلل الدم او يتلفهُ وهو من نوع البكتيريا المستديرة التي تظهر بشكل سلسلة و يمكن احداث هذا المرض بحقن مرشحهِ في الجسم وقد صنعوا من المرشح كاشفاً اشبه بكاشف شك Schick في مرض الدفتيريا وهذا الكاشف ينبئ هل الشخص مصاب بالحمى المذكورة او معرّض لها .وتدل الدلائل على ان هذه النظرية متحقق . وقد لقح دك Dick وزوجتهُ حصاناً بسموم مرشحة مأخوذة من الستربتوكوكس مسبب الحمى القرمزية واستخرجا من الحصان مصلاً واقياً من هذه الحمى كما اتضح من الكاشف الذي جرباهُ في اجسام المصابين. وفي الوقت ذاتهِ استنبط دوشز و بلايك طريقة لتوليد زرع من بكتيريا الحمى القرمزية وتلقيح حصان بهذا الزرع فنمت مكروبات الحمى في دم الحصان وتولد فيهِ مضادات لسموم الحمى وغيرها من السموم الموجودة في نفس المكروبات وقد استفاد مستحضرو هذه الادوية من هاتين الطريقتين وصنعوا المستحضرات المضادة لهذا المرض. اما فيما يتعلق بالانفلونزا فقد وجد الدكتوران اولتزكي وغايتس Drs. Olitzky & Gates من معهد ركفلر باشلساً سموهُ باشلس نيموسنتس Bacillus pneumosintes ووصف روزنو E. C. Rosenow من مستوصف مايو Mayo نوعاً من الستربتوكوكس المولد للصبغ الاخضر هذا فضلاً عن باشلس فيفر Pfeiffer الالماني المعروف

بغداد الدكتور شريف عسيران

مناجم الذهب وحقول الحنطة

البلاد الانكليزية انكلترا واسكتلندا وويلس لا ذهب فيها ولكن الممالك والمستعمرات التابعة لها اغنى بلدان المسكونة بمناجم الذهب فالترانسفال يستخرج منها الآن كل سنة ٤١ مليون جنيه وكان المستخرج منها سنة ١٩٢٠ اكثر من ٤٥ مليوناً و٦٠٠ الف جنيه وبلغت قيمة كل الذهب الذي استخرج منها الى آخر سنة ١٩٢٣ اكثر من ٧٩٠ مليون جنيه. ويتلوها استراليا فقد استخرج منها الى آخر سنة ١٩٢٣ اكثر من ٦١٦ مليون جنيه ولكن المستخرج السنوي قلَّ الآن فصار نحو عشرة ملايين جنيه وقبل ان يقل جعلت مناجم الذهب تكشف في كندا ويزيد المستخرج منها حتى صارت مثل استراليا واول تقرير رسمي عمَّا استخرج منها من الذهب صدر عن سنة ١٨٥٨ وكانت قيمة المستخرج حينئذٍ ١٤٠ الف جنيه وبلغت في السنة التالية ٣٢٣ الف جنيه وجعل المستخرج يزيد رويداً رويداً حتى بلغ في بداءة هذا القرن خمسة ملايين وستمائة الف جنيه وتراوح المستخرج بعد ذلك بين زيادة ونقصان فكان اكثر من سبعة ملايين جنيه سنة ١٩٢٥ الماضية وينتظر ان يبلغ في سنتنا هذه عشرة ملايين من الجنيهات فتصير مثل استراليا ومثل الولايات المتحدة من هذا القبيل

ولكن الذهب لا يستخرج من الارض عفواً بل يقتضي استخراجهُ عملاً شاقًّا ونفقات طائلة في الغالب حتى لقد تبلغ النفقات احياناً اكثر من جنيه لاستخراج ما يساوي جنيهاً. ولكن قد يتفق ان يستخرج الانسان ما يساوي مائة جنية ولا ينفق على استخراجها ما يزيد على جنيه واحد. وهذا النوع من المضاربة او التوفيق هو الذي يغري الناس عادةً بالاندفاع الى مناجم الذهب وحسبانها اكثر موارد الرزق غنىً مع ان الغنى الحقيقي في الزراعة والصناعة والتجارة ولكنهُ فيها قياسي في الغالب خالٍ من المضاربة

فغلة القمح في استراليا تبلغ ١٣٠ مليون بشل والبشل نحو خمس اردب فاذا حسبنا ثمنهُ ٢٥ غرشاً بلغت غلت القمح اكثر من ٣٢ مليون جنيه. وكندا تبلغ قيمة غلاتها الزراعية نحو ١٩٠ مليون جنيه والقمح وحدهُ نحو اكثر من ثمانين مليون جنيه

والولايات المتحدة تبلغ قيمة غلاتها الزراعية في السنة اكثر من اربعة آلاف مليون جنيه وغلة القمح وحده ٢٠٠ مليون جنيه وغلة الذرة نحو ٦٠٠ مليون جنيه

والترانسفال وهي بلاد الذهب تبلغ غلة القمح وحده فيها اكثر من عشرين مليون جنيه

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيبا في المعارف وانهاضا للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

خبر يتعلق بنا ولم نسمع به

حضرة الاستاذين الكبيرين صاحبي المقتطف الاغر

بين العالمين الفاضلين عيسى افندي اسكندر المعلوف وسليمان بك ابي عز الدين اختلاف رأي في تحقيق بعض نقاط تاريخية تتعلق بحرب القيسية واليمنية وبحرب ابراهيم باشا المصري والدروز وسنترك هذين الفاضلين يفرغان جعبة ادلتهما كلٌ في تأييد رأيهِ فيكون من وراء هذه المباحثة فوائد للقراء لا بأس لها وتمحص حوادث يجمل تثبيت الوجه الاصح فيها .

وللمؤرخ البحاثة المجتهد عيسى افندي اسكندر المعلوف تدقيقات لطيفة في التاريخ يقدرها ادباء العصر قدرها ومباحث غزيرة المادة له فيها فضل على تاريخ سورية لا سيما ما تعلق منهُ باصول الاهالي ومساكنهم وتنقلاتهم وانساب الأُسَر المشهورة ووقائعها مما اصبح اخصائيًّا فيهِ وقد يأتي يوم يكون فيهِ حجَّةً يستشهد بهِ

لهذا ولمشربهِ في التدقيق وجب ان ندقق عليهِ ولا سيما في خبر غريب اوردهُ عنا في الجزء الاخير من المقتطف

فقد ذكر في اثناء ايرادهِ الشواهد على هجرة اليمنيين من لبنان الى دمشق والغوطة وحوران ان منا أُسرة في جرمانا (من قرى الغوطة على مسافة ساعة من دمشق) قد تركت الامارة والتحقت بعامة الناس . والمفهوم من كلامهِ ان هذه الأُسرة هاجرت من لبنان الى جرمانا بسبب حروب القيسية واليمنية . وهذه اول مرة سمعنا فيها انهُ يوجد في جرمانا اسرة اصلها من الارسلانيين

ولو سأل عيسى افندي اسكندر المعلوف جميع اهالي قضاء الشوف من جميع الطوائف وبنوع اخص اهالي غرب لبنان — وطننا الخاص — الذين يعلمون اخبارنا القديمة والجديدة بدقائقها ويحفظونها بجزئياتها لاننا ساكنون بينهم يعلمون كل شيء عنا ويروون بالتواتر عن آبائهم واجدادهم سير آبائنا واجدادنا لم يقدر ان يسمع هذا الخبر من احد على الاطلاق

كما انهُ لا يوجد في تاريخ عائلتنا ولا في نسبنا ولا في تواريخ لبنان المعروفة ادنى اشارة الى ان منا بيتاً هاجر في الماضي الى جرمانا مع انهُ يوجد في نسبنا اخبار كثيرة من هذا القبيل مثل ان الامير فلاناً هاجر الى مصر وان الامير فلاناً اختار محل كذا لسكنهِ وتفاصيل اقل شأناً من هذه مثل ان الامير فلاناً بنى سنة كذا داره في القرية الفلانية لا بل سنة كذا بنى المقعد الفلاني في داره الى غير ذلك . فلو كان ارتحل منا احد وسكن جرمانا او غيرها من النوطة لكان ورد ذلك في تاريخنا الخاص على الاقل

ونحن نسأل ايضاً الفاضل المحقق سليمان بك ابا عز الدين مناظرهُ في الموضوع اسمع من احد او قرأ في كتاب قصة كهذه ؟

قد يوجد في لبنان وفي سورية اسم ارسلان — وفي مصر وتركيا — وممن يسمى بارسلان الولي الكبير الشيخ رسلان (مخفف عن ارسلان واسم عائلتنا في الجبل لا يلفظ الاَّ بالتخفيف اي رسلان) الذي مزارهُ على باب دمشق وليس بقرابة لنا . وكذلك في حمص اسرة وجيهة هم بنو رسلان اسمهم شهير وليسوا بانسبائنا . ومن الدروز عائلة براس المتن اسمهم بيت ابي رسلان وليسوا منا . ولما كان اصل قرية بعبدا ملكاً لاجدادنا فقد كان اناس من بعبدا وهم مسيحيون يسمون اولادهم باسم ارسلان وبديهي انهم ليسوا باقاربنا . فاخشى ان يكون عيسى افندي سمع باسم كهذا في جرمانا فظنهُ منا مع انهُ يكون اسماً على اسم كما يقال

ثم اني اعرف جميع وجوه جرمانا وقد زرت هذه القرية مراراً وما سمعت ان فيها احداً اصلهُ منا . بقي هناك امرٌ لعلهُ هو مصدر هذا الوهم

عند ما انكسر اليمنية في واقعة عين دارة كان روساؤُهم يومئذٍ المتولون كبر المقاومة للقيسية هم الامراء آل علم الدين . وقد قُتل اكثرهم في تلك الوقعة وانهزم فلّهم لاحقاً بدمشق منذ نحو مائتي سنة . وكان من اعقاب هؤُلاء الامراء رجل يقال لهُ الامير سليمان مقيم بدمشق لم يبقَ لهُ شيء من الامارة ولا من الوجاهة سوى كونهِ من آل علم

الدين . ولما وقعت الواقعة بين الامير بشير الشهابي واليزبكية والنكدية (لا اتذكر الآن تاريخ السنة وليس امامي كتب اراجع فيها) وخرج هؤلاء من الجبل وذهبوا الى دمشق يشكون امرهم الى واليها — وهذه الحادثة بعد وقعة عين دارة بنحو مائة سنة — يقال ان الشيخ علي العماد والد خطار بك العماد الشهير تعرّف الى الامير المجهول سليمان علم الدين هذا وقال له : افلا تسمع مني ياامير سليمان ونأخذك الى الجبل ونجعلك اميراً مكان الامير بشير ؟ فقال له الامير سليمان : هيهات تلك امة قد خلت

قد سمعت هذه الرواية من فم المرحوم الشيخ محمد حماده شيخ عقّال طائفة الدروز وكان احفظ من عرفت في عصره واوعى الناس لتواريخ جبل لبنان لاسيما وقائع الدروز وكان اذا تحدث عن الوقائع التي جرت من ايام الامير فخر الدين المعني الى زماننا هذا سردها باسانيدها وايدها بادلتها ووصفها وصفاً يخيل لك انك شاهدها . واني لآسف من امر واحد هو كونهُ لم يحرر الاَّ القليل من معلوماتهِ وان الروايات القيمة الثمينة التي كان يرويها لا يحفظ الناس بعدهُ منها الاَّ نبذاً غير متسلسلة

وقد كنت سألت المرحوم الشيخ محمداً هل يعلم للامير سليمان هذا اعقاباً . فقال لي : يقال ان من ذريتهِ اناساً سروجية في السوق المعروفة بالسروجية التي تتصل بشارع السنجقدار في دمشق . وسمعت بعد ذلك من غيرهِ ان في سوق السروجية اناساً اصلهم من الدروز

وسنة ١٩٠٩ كنت قائم مقام قضاء الشوف وزارني في بعقلين مركز القضاء الصيفي شاب من دمشق اسمهُ عز الدين افندي ابن شيخ السروجية وكان معهُ صديق لي من وجوه الميدان بدمشق هو المرحوم عطا حباب . وكنت سمعت باسم عز الدين ابن شيخ السروجية وقرأت لهُ مقالات في جريدة المقتبس وهو من الادباء الالبّاء المعدودين في الشام . فسألتهُ عن اصل نسبهِ فلحظت انهُ يسمع من اهلهِ ان سلفهم من آل علم الدين وانهُ يبغي تحقيق ذلك . وربما كان مقصدهُ من زيارة بعقلين هو الوقوف على هذا الامر فاخذتهُ الى الشيخ محمد حماده رحمهُ الله وانبأتهُ بالقضية . فاعاد الشيخ الرواية التي كان يرويها عن علي العماد وقال لهُ : ان كنت انت من ذرية الامير سليمان هذا فانت من آل علم الدين . ويظهر ان عز الدين افندي كان قد سمع من والدهِ ما يؤيد ذلك وسمع من الناس بالتواتر ان اصلهم من ذلك البيت فعاد من عندي وهو مصمم على انهُ امير من بني علم الدين وصار يضع امضاءهُ « عز الدين علم الدين » وبلغني انهُ كان اذا ناقشوهُ في هذا النسب في مجالس ادباء الشام يستظهر بي على اثبات دعواهُ . واتذكر مرة انهُ كتب

الي كتاباً وامضى عليهِ قائلاً « ابن عمكم عز الدين علم الدين » وهذا باعتبار ان الامراء آل علم الدين كانوا ذوي قرباناً وانهم يمنية مثلنا

والحقيقة ان الارسلانيين وآل علم الدين ذوو قربى بعضهم لبعض ولكن ليست الاسرتان اسرة واحدة . اما كون الاسرتين يمانيتين فلا يدل ذلك مطلقاً على الوحدة في النسب وان كان بعض الناس يروون ان الارومة واحدة

ثم ان الارسلانيين وان كانوا يمانيين لم يشهدوا واقعة عين دارة في صفوف اليمنية وذلك لان الامير يوسف الارسلاني صاحب الغربين كان تولى امارة لبنان كلهِ عندما توفي الامير احمد المعني بلا عقب في صلبهِ واقام بدار الامارة دير القمر وقد ايدتهُ الدولة العثمانية في منصبهِ . ولما كان آل معن قيسيين وعصبية قيس قوية في الشوف لم ينقادوا برضاهم الى حكم الامير يوسف ارسلان وما زالوا حتى اتو بالامير حيدر الشهابي حفيد الامير احمد المعني من جهة ابنتهِ وجعلوهُ اميراً على الجبل وذلك لكون الشهابيين امراء حاصبيا مثل المعنيين. ويقال ان القيسيين توصلوا بالرشوة حينئذٍ الى اقناع الوالي التركي الذي كان بصيدا فتخلَّى عن الامير يوسف الارسلاني ورضي بامارة الامير حيدر الشهابي وهذا مبدأُ حكم آل شهاب في جبل لبنان . واما اليمنيون وعلى رأسهم آل علم الدين فبدلاً من ان ينصروا الامير يوسف الارسلاني الذي هو منهم خذلوهُ او خذلهُ بعضهم ذهاباً مع آل علم الدين الذين نافسوا جدنا الامير يوسف وطلبوا الامارة لانفسهم.فكانت عاقبة التخاذل ان الامير يوسف انصرف من دير القمر الى بيتهِ في عين عنوب بدون ان يلي الامارة محلهُ ابن علم الدين بل كان وليها ابن شهاب القيسي . فحقد الامير يوسف من جراء ذلك على آل علم الدين ولزم بيتهُ يوم عين دارة غير متحيز لاحد .فلما دارت الدائرة على اليمنية في عين دارة اكتفى الامير حيدر الشهابي المذكور وهو امير البلاد ورئيس القيسية اذ ذاك باقتطاع الغرب الاعلى — عاليه و يصور وعيتات وسوق الغرب الخ — من اقطاع الارسلانيين واقطعهُ الشيخ محمد تلحوق —جد المشايخ التلاحقة — مكافأة لهُ على خدمتهِ ونصرتهِ لهُ في يوم عين دارة . وبقيت مقاطعة الشويفات في يدنا . لم يسلم الامير يوسف من ضرر واقعة عين دارة لكنهُ كان نصف مصيبة

ولما كان البحث متعلقاً بتاريخ لبنان ووقائع القيسية واليمنية لم نجد بأساً من الحاق هذه النبذة بالمباحثة الدائرة بين الفاضلين الآتي الذكر والحديث شجون

لوزان شكيب ارسلان

باب الزراعة

التقرير السنوي الرابع

لمجلس مباحث القطن

البحث الزراعي ولاسيما البحث المتعلق بالقطن من اهم الاعمال التي تقوم بها الحكومة المصرية . ولقد احسنت وزارة الزراعة بانشائها مجلس مباحث القطن. و يظهر لنا من هذا التقرير ان المجلس قائم بما يطلب منهُ من حيث البحث والتدقيق فيهِ على طريقة علمية استقرائية . ولكننا نرى ان التقرير في تدقيقهِ واسهابهِ تجاوز الغاية التي يستفيد منها الفلاح المصري فكان الواجب ان تكتب النتائج التي وصل البحث اليها بحرف كبير وحدها ولا مانع بعد ذلك من شرح التجارب التي اوصلت الى هذه النتائج . وان ينشر هذا التقرير او هذه النتائج في بداءة سنة ١٩٢٤ لا في سنة ١٩٢٦ لان المباحث والتجارب اجريت سنة ١٩٢٣ اوما قبلها .وكان الواجب ايضاً ان لا تعلق مباحث هذا التقرير بمباحث التقرير الذي قبلهُ حيث لا يفهم المذكور هنا الاَّ بمراجعة المذكور هناك

اما الفوائد التي عثرنا عليها في هذا التقرير فمنها

اولاً ان شجيرات القطن العقر تزهر في سنتها الثانية ابكر من سنتها الاولى و يكون زهرها اكثر وتساقطهُ اقل وتكون غلتها اوفر من غلة السنة الاولى و يتم جنيها قبل شهر او ستة اسابيع واذا قلّت الشجيرات كثيراً عند نهاية الموسم الاول الى ارتفاع ٣٠ سنتيمتراً فوق الارض فليس هنالك خطر من انتقال دودة اللوز الاعتيادية ولا دودة اللوز الحمراء الى شجيرات الموسم التالي . وان الاصابة بدودة اللوز الحمراء في الموسم الثاني تكون اخف منها في الموسم الاول بسبب تبكير الازهار . وكان صافي دخل الفدان من القطن العقر اعلى من غيرهِ بسبب زيادة المحصول . الاَّ ان هذه النتائج كلها نتجت من قطع صغيرة ولا بدَّ من اعادة البحث في قطع كبيرة للوصول الى نتيجة مقررة

ولا ندري هل أُعيد هذا البحث او لم يعد ولا ما كانت نتيجة اعادتهِ ولا ما هو حكم الغزالين في قطن العقر

وثانياً ان البزور المنقوعة في الماء تنبت قبل غير المنقوعة ولكن بعد ١٨ يوماً لا يبقى فرق بين المنقوعة وغير المنقوعة

وثالثاً انهُ يظهر فرق طفيف بين البزور المسخنة وغير المسخنة في اول الامر ثم يزول الفرق وتتساوى

ورابعاً امتحنت اساليب الزرع الثلاثة اي الاسلوب الناشف الاعتيادي وفيهِ تقام الخطوط وتزرع البزور في تربة يابسة عند ثلثي ارتفاع الخط و بعد الزرع تروى الارض. والاسلوب الندي او الدمساوي وفيهِ تروى الارض ريًّا غزيراً قبل التخطيط ثم تزحَّف بعد ذلك بخمسة وعشرين يوماً الى ثلاثين وتحفر الحفر على قمة الخطوط وتزرع فيها البزور بعد نقعها في الماء ٢٤ ساعة ثم تضغط بالاصابع وتغطى بتربة ندية وتضغط مرةً اخرى واخيراً تغطى بالتراب الناشف وبعد ذلك تزحَّف الارض مرة اخرى . وتستأصل الاعشاب منها قبل الخف وأتمل الخطوط قبل الرية الاولى ثم تخف التجبيرات وتروى . والاسلوب الثالث تروى الارض فيهِ قليلاً و بعد ٧ ايام الى عشرة يمشي عليها الاولاد لرصها وتزرع بعدئذٍ على الناشف اي ثلثي ارتفاع الخط على موازاة مستوى الماء الباقي من الري ومتى تمت الزراعة تروى الارض قليلاً . وقد اظهر الامتحان ان الطريقة الثانية اصلح وتتلوها الثالثة فالاولى . الاَّ ان التقرير يقول « ابقينا نتائج هذه التجربة الى السنة القادمة لكي يتكون عندنا رأي اتم تفصيلاً مع نتائج سنتين محللةً » . ولا ندري اتكوَّن هذا الرأي ام لم يتكوَّن بعدُ

وخامساً ان التبكير في طفي الشراقي حرم الارض من حرارة شهر يوليو الشديدة وهي لازمة لتعقيم التربة وقتل الاحياء الصغيرة (البروتوزوَى) التي تأكل المكروبات المفيدة للزراعة وقتل يرقات دودة اللوز الحمراء التي تكون كامنة في التربة . الاَّ ان كاتب التقرير يقول انهُ ثبت لهُ بالامتحان ان البروتوزوى لا تموت الاَّ اذا بلغت حرارة التربة ٧٥ الى ٨٠ درجة مع ان حرارة الارض زمن التحاريق لا تزيد على ٥٠ درجة. لكن الحرارة التي استعملت في الامتحان دامت ثلاث ساعات فقط و يظهر لنا من بعض القواعد البيولوجية انهُ اذا بقيت الحرارة ٥٠ درجة ودامت اياماً متوالية يتخللها برد الليالي كفت هذه الحرارة لاماتتها . واقطع دليل ان يبحث عن البروتوزوى في قطعة من الارض في أول يوليو ثم تطفى شراقي نصفها ويترك النصف الآخر من غير اطفاء الى آخر يوليو ثم يبحث عن البروتوزوى في القطعتين

وفي هذا التقرير فوائد أُخرى ناتجة عن البحث وحبذا لو جمعت ونشرت كلها في أَول التقرير أَو في آخرهِ كخلاصة لهُ يسهل الرجوع اليها والعمل بها

فائدتان زراعيتان

بقلم السر جون رسل مدير حقول التجارب الزراعية في روثمستد

الاسمدة ذات المكروبات — يعرض البعض على المزارعين اسمدة يدعون ان فيها مكروبات تزيد خصب الارض . ولكن لا دليل على وجود مزدرعات من مكروبات تستحق الثمن الذي يطلب بها . والمفيد في السماد انما هو المواد التي تسبب الخصب وهي النتروجين والفصفور والبوتاسيوم (وفي بعض الاراضي الكلس) ومقدار هذه العناصر والحالة التي تكون فيها وهي في السماد . و يستثنى من ذلك البرسيم الحجازي فقد اثبت الامتحان انهُ يجود اذا طعِّمت ارضهُ ببعض المكروبات

القمح بعد الفول — اتانا من فلاح زرع القمح بعد الفول فجاءت غلة القمح قليلة . وسبب ذلك ان الفول يأخذ جانباً كبيراً من الجير (الكلس) الذي في الارض والقمح يحتاج الى جانب كبير من الجير ايضاً فاذا بلغت غلة الفول خمسة ارادب ونصف اردب من الفدان تكون قد اخذت منهُ نحو ثلاثين رطلاً من الجير او ثلاثة اضعاف ما تأخذهُ غلة ثلاثة افدنة من القمح وسبعة ارادب من الشعير . ولذلك فاذا كان الجير قليلاً في الارض فالفول يجعلها غير صالحة للحنطة ولاسيما لان الحنطة تتأثر كثيراً من قلة الجير

الثمن نسبةً الى الغذاء في العلف

اذا فرضنا ان ثمن وزن من تبن الفول ٤٠ غرشاً فثمن سائر انواع العلف نسبة الى ما فيها من الغذاء تكون على هذه النسبة

الفول	١٧٧	تبن الفول	٠٤٠
الشعير	١٤٩	تبن الشعير	٠٣٧
دريس البرسيم	٠٨٧	تبن القمح	٠٢١

محصول القطن المصري

السنة	الافدنة المزروعة	المحصول بالقنطار	متوسط محصول الفدان
١٩٠١	١٢٤٩٨٨٤	٦٣٦٩٩١١	٥٫١٠
١٩٠٢	١٣٧٥٦٧٧	٥٨٣٨٧٩٠	٤٫٥٨
١٩٠٣	١٣٣٢٥١٠	٦٥٠٨٩٤٧	٤٫٨٨
١٩٠٤	١٤٣٦٧٠٩	٦٣١٣٣٧٠	٤٫٣٩
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠٢	٥٩٥٩٨٨٣	٣٫٨٠
١٩٠٦	١٥٠٦٢٩١	٦٩٤٩٣٨٣	٤٫٦١
١٩٠٧	١٦٠٣٢٢٤	٧٢٣٤٦٦٠	٤٫٥٠
١٩٠٨	١٦٤٠٤١٥	٦٧٥١١٣٣	٤٫١٢
١٩٠٩	١٥٩٧٠٥٥	٥٠٠٠٧٧٢	٣٫١٣
١٩١٠	١٦٤٢٦١٠	٧٤٩٥٦٠٠	٤٫٥٦
١٩١١	١٧١١٢٤١	٧٣٨٣٧٤٠	٤٫٣١
١٩١٢	١٧٢١٨١٥	٧٤٩٧٨٥٩	٤٫٣٦
١٩١٣	١٧٢٣٠٩٤	٧٦٦٣٨٠١	٤٫٤٥
١٩١٤	١٧٥٥٢٧٠	٦٤٥٠٥٧٣	٣٫٦٧
١٩١٥	١١٨٦٠٠٤	٤٧٧٤٧٧٠	٤٫٠٣
١٩١٦	١٦٥٥٥١٢	٥٠٦٠٣٨٩	٣٫٠٦
١٩١٧	١٦٧٧٣١٠	٦٢٩٣٤٢٤	٣٫٧٥
١٩١٨	١٣١٥٥٧٢	٤٨٢٠٦٥٠	٣٫٦٦
١٩١٩	١٥٧٣٦٦٢	٥٥٧١٦٣٢	٣٫٥٤
١٩٢٠	١٨٢٧٨٦٨	٦٠٣٥٥٠٤	٣٫٣٠
١٩٢١	١٢٨٩٨٠٥	٤٣٥٢٩٥٨	٣٫٣٧
١٩٢٢	١٨٠٠٨٤٣	٤٨٩٥٨٦٦	٢٫٧٢
١٩٢٣	١٧١٥١٥٠	٦٥٣١٤٥٧	٣٫٨١

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الصحة العامة في مصر

ومبادئها الاساسية

بيان جامع

زاد اهتمام الجمهور في مصر بمسائل الصحة العامة تبعاً للتطور الفكري الذي تناول جميع مرافق الحياة في انحاء العالم بعد الحرب العظمى وقلما يجد القارئ صحيفة من الصحف السيارة او مجلة الا وفيها قليل او كثير من المباحث الصحية وهذه حال تبشر بالوثوق من معاضدة الشعب للمشاريع الصحية والعمل على نجاحها النجاح الذي لا يأتي الا من اشتراك جميع الهيئات في العمل له

ولكي يمكننا تقدير الحالة الصحية في بلادنا او اي بلد اخر يجب النظر في ثلاثة امور رئيسية (١) زيادة عدد السكان او نقصه (٢) معدل حالة الافراد من حيث الصحة البدنية (٣) مبلغ انتشار الامراض المعدية

نظرة الى احصاء سكان القطر في ربع القرن الاخير تبيّن جليًّا ازدياداً مطرداً فقد كان عدد السكان في سنة ١٩٠١ — ٩٬٦٢٠٬٠٠٠ نفساً تقريباً فبلغ في سنة ١٩٢٥ حوالى ١٤٬٥٠٠٬٠٠٠ وهذه حالة لا تتوفر في كثير من البلاد. والزيادة في عدد السكان هي اهم العوامل الرئيسية في مقياس تقدم الصحة وهي بذاتها كافية للاطمئنان على حالة البلاد الصحية . اما حالة الافراد الصحية فتليها في الاهمية . فقد تكون زيادة السكان مطردة ولكن الافراد ليسوا في نمو جسمهم وقوتهم كما يجب ان يكون عليه الاشخاص الاصحاء . ويصعب في مصر تقدير حالة الصحة الفردية لانهُ لا يوجد معيار للنمو الطبيعي للمصريين وهو نقص يحسن تلافيه في اقرب آن ورغماً عن ذلك فانهُ يبدو للخبيرين ان اغلب سكان القرى في حالة تأخر جسماني . كذلك يدل مبلغ انتشار الامراض المعدية وغير المعدية

على حالة البلاد الصحية والاحصائيات المصرية عن تلك الامراض ليست من الدقة بحيث تدل دلالة صحيحة عن اثر ذلك العامل . الا انهُ يمكن القول بان الامراض المعدية على العموم منتشرة انتشاراً كبيراً اذا قورنت بالبلاد الاوربية واكثر ما يقلق بال الجمهور هو كثرة وفيات الاطفال عند مقارنتها بمثلها في الخارج فتبلغ نسبة وفيات الاطفال عندنا ٣٠٠ في الالف من عدد المواليد والنسبة في الامم الاخرى كما يأتي

المانيا ١٥٢ في الالف ايطاليا ١٤٢ في الالف اسوج ٧٥ « «
فرنسا ١١١ « « انكلترا ١١٠ « «

فيبدو لاول وهلة ان حالة الاطفال المصريين في درجة سيئة ولكن هناك عوامل هامة لا بد من تقديرها قبل الاخذ بظاهر الارقام فاهم العوامل التي تؤثر في نسبة وفيات الاطفال في مصر هي

١ كثرة المواليد فكلما كثرت المواليد زادت الوفيات ففي عائلة ما تجد ان العناية التي ينالها طفل او اثنان من والديهما تفوق كثيراً ما ينالانه لو كان لهما خمسة اخوة او ستة وخصوصاً اذا كان مورد العائلة المالي قليلاً

٢ كثرة تناسل الطبقات الفقيرة في الامة وهؤلاء هم الذين لا يمكنهم بذل العناية الواجبة لتربية اطفالهم الكثيرين

٣ جهل الامهات المبادئ الصحية البسيطة خصوصاً ما يتعلق منها بتربية الطفل وهذا الجهل اكثر انتشاراً بين الطبقات الفقيرة الكثيرة التناسل

٤ موقع البلاد الجغرافي وارتفاع درجة الحرارة صيفاً مما يسبب انتشار الامراض التي تذهب بحياة كثير من الاطفال . فلو قارنا نسبة المواليد ونسبة الوفيات في الممالك السالفة الذكر بما يقابلها في مصر لوجدنا ما يأتي

	المواليد في الالف من عدد السكان	نسبة وفيات الاطفال للمواليد
مصر	٤٤	٣٠ في المائة
المانيا	٢٨	١٩ «
ايطاليا	٣١	١٤ «
فرنسا	١٨	١١ «
انجلترا	٢٤	١١ «
اسوج	٢٣	٧و٥ «

يتضح من ذلك ان الحالة في مصر سيئة ولكنها ليست بالدرجة المخيفة التي يراها المطلع على احصاء وفياتها وذلك للكثرة الهائلة في نسبة المواليد عندنا ولكن يخشى ان تقل هذه النسبة كثيراً في المستقبل تبعاً لارتفاع مستوى المعيشة وكثرة مطالب الحياة كما يشاهد في إعراض الطبقات المتعلمة في مصر عن الزواج وسعي المتزوجين منهم في تقليل نسلهم. لذلك كان الوقت الحاضر خير زمن للقيام بحملة جديدة للمحافظة على حياة اطفالنا الكثيرين ومقاومة اسباب الوفيات ويتلخص ذلك فيما يأتي

١ — تعليم البنات مبادىء الصحة العامة خصوصاً تربية الطفل حتى يكنَّ امهات عارفات بحاجات اطفالهن وهذا خير ضمان للمحافظة على حياة اطفال المستقبل

٢ — العناية التامة بتدريب مولدات (قابلات) ارقى من الطبقة الحاضرة وتعليمهن الطرق الصحيحة للعناية بالام والطفل وقد خطت مصلحة الصحة فعلاً اول خطوة في هذا العمل بتدريب مولدات في عواصم البلاد واعطاء الناجحات منهن شهادة تسمح لهن بتعاطي الصناعة وبذلك يتمكنَّ من المحافظة على الاطفال في اثناء الولادة وفي الاسبوع الاول من حياتهم وهو الوقت الذي تكثر وفياتهم فيهِ اذ تبلغ ربع وفيات السنة الاولى

٣ — تعميم المستوصفات ودور العلاج في انحاء القطر حيث تعطى للامهات ارشادات في كل ما يتعلق بصحة الطفل وكذلك يمكن اكتشاف الحالات المرضية قبل استفحالها وعرضها على الطبيب لاعطاء العلاج اللازم ونجاح تلك المستوصفات يتوقف على حسن اختيار من يقمنَ بالعمل فيها حتى يستطعن استمالة الامهات لزيارة المستوصف بانتظام لمراقبة نمو الطفل وليس الغرض من المستوصف ان يكون دار علاج فقط بل ان مهمتهُ الاولى هي المحافظة على صحة الاطفال لاعلاجهم بعد اصابتهم

يرى مما تقدم ان العناية بالطفل يجب ان تكون في مقدمة المسائل الصحية فان ما يصرف من المال في هذا السبيل يربي على ما ينتظر الحصول عليهِ من المشاريع الصحية الاخرى ويجب ان يعهد في المحافظة على صحة الاطفال الى اختصاصيين في هذا العلم ويجب ان يكونوا قسماً خاصاً في الادارة الصحية بالقطر

ويلي العناية بالاطفال الاهتمام بتحسين طرق المعيشة على العموم وفائدتها لا تشمل الكبار فقط بل لها الاثر الطيب في حفظ حياة الاطفال ايضاً

١ ❊ العناية بالمسكن ❊ مما يؤْسف لهُ ان المساكن في القرى بل وفي المدن لا يعتنى بانتقاء موقعها ولا بنائها فترى الشوارع ضيقة لا تنيرها اشعة الشمس ولا يتخللها

الهواء الكافي فهي كثيرة التعاريج مزدحمة بالسكان وفي القرى يعيش فيها الحيوان الى جانب الانسان . نعلم كلنا أن اصلاح حال المساكن ضروري جداً الا ان دون ذلك مصاعب كثيرة وقد عنيت جميع الامم بوضع نظام خاص لبناء المساكن سواء في المدن او في القرى حتى تضمن ملاءمتها لسكنى الناس ففي انجلترا مثلاً لا يؤذن ان يتجاوز ارتفاع البناء عرض الشارع الذي امامهُ فاذا كان عرض الشارع عشرة امتار فلا يقام بناء على جانبيهِ يزيد على عشرة امتار كذلك يراعى توافر النور الكافي بتحديد مساحة النوافذ تبعاً لمساحة الغرف وباتخاذ الاحتياط لمنع تسلق مياه الرشح على الجدران وان يختار موقع المراحيض بكل عناية

وقد آن ان توضع في مصر نظم خاصة لتخطيط المدن والقرى وتسن قوانين لبناء المساكن التي تستجد حتى يضمن تحسين الحال على مر الايام واندثار المباني غير الصحية بالتدريج واظنكم جميعاً شاهدتم الخطوة الحميدة التي بدأتها جريدة السياسة بعمل مسابقة عن تصميم صحي لبيت قروي روعيت فيهِ الحالة الاقتصادية والاجتماعية للبلد ولو ان البيت الذي اقيم نموذجاً بالمعرض الصناعي الزراعي لا يخلو من بعض العيوب الصحية كاقتراب المرحاض من مورد الماء وصغر النوافذ الا انهُ لا شك مجهود نافع

٢ ✻العناية بماء الشرب✻ ربما كانت اكثر الامراض فتكاً بالانسان هي التي تنتقل عداوها بواسطة مياه الشرب التي لم يُعْنَ بترشيحها او غليها قبل الاستعمال

فالحمى التيفوئيدية والكوليرا والدوسنطاريا والبلهارسيا تصيب الانسان من المياه الملوثة ومياه النيل بعد جريهِ بين القرى والمدن يُثقَل بفضلات الانسان والحيوان مما يجعلهُ غير صالح للشرب دون تنقيتهِ فلا بدَّ اذن من ترشيح مائهِ قبل استعمالهِ بواسطة الحكومة او مجالس المديريات اذ لا يمكن الاعتماد على الترشيح بالمنازل.اما مياه الآبار المفتوحة فهي عظيمة الضرر اذ تتسرب جميع القاذورات اليها بواسطة الدلاء المستعملة لاستخراج مياهها ومن الصالح العام ان تردم جميع تلك الابار . وقد قلَّت فعلاً في الوقت الحاضر في المدن اما الطلمبات الحبشية فهي مورد جيد للمياه اذا احسن اختيار موقعها وكانت بعيدة عن موقع المراحيض وخزان القاذورات اذ ان تلك المواد تتسرب مع مياه الرشح في باطن الارض فتلوث ماء الطلمبات القريبة منها . ونظراً لضيق المساكن فانهُ يصعب اختيار مكان لائق لوضع الطلمبة على بعد كاف من المراحيض والخزانات ولذلك فانهُ من المستحسن في القرى الصغيرة التي لا يمكنها القيام بمشروع

خاص لترشيح المياه ان ينتخب موقع خارج البلدة لوضع الطلمبات بهِ واعداد خزان للمياه يأخذ الاهالي منهُ حاجتهم . ومما يدعو الى السرور ان كثيراً من البلاد قد وجدت بها مرشحات لتنقية الماء وتوزيعهِ على السكان و يجدر ان تعضد هذه المشروعات على قدر الامكان

٣ ﴿اقامة المراحيض الصحية وصرف الفضلات﴾ لا نبالغ اذا قلنا ان التقدم الصحي في اوربا واميركا وسلامة الجيوش العظيمة ابان الحرب العظمى من كثير من الاوبئة انما يرجع الى العناية باقامة المراحيض الصحية اولاً وانتقاء موارد الشرب ثانياً ولادراك اهمية ذلك اذكر لكم انهُ قبل تقدم وسائل الوقاية الصحية فقدالجيش البريطاني في حرب الترنسفال بسبب عدوى الحمى التيفوئيدية التي تنتقل من المواد البرازية اكثر مما فقدهُ في ميادين القتال

واكثر منازل القرى في مصر خال من المراحيض يتبرز سكانها في الخلاء بالقرب من مجاري المياه فيلوثونها وتنتشر بذلك عدوى الامراض الخطرة . والقليل من المنازل التي فيها مراحيض تجد هذه المراحيض مبعثاً للروائح الكريهة لقلة العناية بها ولاتصالها مباشرة بالخزان فتخرج منها دائماً الغازات و يتربى فيها البعوض والذباب . واختيار المراحيض الوافية بالشروط الصحة مع ملاءمتها لمنازل القرى وعادات سكانها ومراعاة الاقتصاد من الامور الدقيقة التي لم تدرس بعد درساً كافياً وهي تدعو الى العناية المستعجلة في الوقت الحاضر و يحسن تشكيل لجنة من الخبراء في مختلف الاعمال التي لها علاقة بهذا الموضوع كالصحة والزراعة والري والمباني وطبقات الارض لدرسهِ فنياً ووضع انموذج صحي لتعميمهِ في القرى . ولا تأخذكم الدهشة اذا قلت لكم انهُ اذا توفقنا الى تعميم المراحيض الصحية بالقرى دفعنا خطر كثير من الامراض ورفعنا مستوى الصحة بالبلاد الى درجة لا يمكن تقديرها

والطريقة المثلى للتخلص من فضلات الانسان هي تصريف تلك المواد بواسطة المجاري العامة لذلك يجب ان نعنى بتعضيد هذا المشروع ما امكن ذلك و يجب التنبيه الى الخطاء الشائع في مصر من انشاء مزارع عند نهاية المجاري للتخلص من الفضلات تزرع فيها انواع الخضروات والفواكه التي يأكلها الانسان وكذلك تحضير السماد و بيعهُ للزارعين والغاية من كل ذلك استثمار المزرعة الى اقصى حد ممكن مع ان المزرعة لم توجد الاَّ للتخلص من فضلات الانسان لا ان تكون مصدراً لنقل العدوى واعتبارها مشروعاً اقتصاديًّا

٤ ﴿مراقبة المأكولات و بيعها﴾ ان المأكولات وخصوصاً ما يعرض منها في الاسواق عرضة للتلوث ونقل كثير من الامراض من ايدي العمال الذين يتداولونها

الى ان تصل الى المشتري فيجب مراقبة تحضير تلك الاصناف مراقبة دقيقة ويلزم ان يتنبه الجمهور الى ان عليه واجباً كبيراً في تلك المراقبة بالاقبال على المحال التي تعنى بنظافة معروضاتها. واكثر الحكومات وضعت القوانين الشديدة لمراقبة المأكولات ومعاقبة من يغش المواد المهمة كاللبن والجبن والزبدة واللبن والزيوت والخبز واللحوم ولكن للاسف تقف الامتيازات الاجنبية عقبة في التسوية بين الاجانب والمصريين في العقوبة

٥ ﴿ مقاومة الامراض ﴾

ا — الامراض الوبائية—يرجع انتشار الامراض الوبائية الى العيوب التي اشرنا اليها في المسكن والمأكل والمشرب ولذلك تبذل عناية كبيرة في الاستعداد لمقاومة تلك الاوبئة كلما ظهرت بالبلاد. ومما يزيد في المصاعب التي يواجهها القائمون بهذا العمل عدم تعضيد الاهالي والاطباء الخصوصيين لهم بالتبليغ عن الاصابات بتلك الامراض. ولذلك كان المرجع المعول عليه هوظهور وفيات كثيرة في جهة ما. ورغم هذا التقصير فان النجاح في ايقاف تيار الوباء بعد انتشاره مما يدعو الى الاعجاب بما يبذله الاطباء الشبان الذين يشغلون اقل المناصب في مصلحة الصحة اعني اطباء الاوبئة. ولا يتسنى تقدير ذلك المجهود الا لمن رأى هؤلاء الشبان في القرى النائية يعملون بكل همة داخل خيام لا تقيهم من حر الصيف ولا من برد الشتاء —ولكن تلك المجهودات لا داعي لها اذا تم اصلاح الحالة الصحية على الوجوه التي سبقت الاشارة اليها

ومما يؤسف له ان الاعمال التي تبذل في مقاومة الاوبئة اعمال ذات صبغة وقتية لابد من تجددها كلما ظهر الوباء

واهم طرق مقاومة الاوبئة في مصر الآن هي عزل المصابين ومراقبة المخالطين لهم فيقيم المصابون في خيام او عشش تقام خارج القرية لا تتوافر فيها وسائل راحتهم وعلاجهم كما وان الاهالي يرون غضاضة شديدة في نقل مصابيهم الى تلك الاماكن. وقد بدأت حركة مباركة في انشاء مباني خارج بعض القرى لتكون معزلاً صحيًّا يستعمل وقت ظهور الاوبئة فيجب ان يكثر من انشاء مثل هذه المعازل. والمكلف بمراقبة صحة الاهالي في القرى والتبليغ عن ظهور الامراض المعدية بها هو حلاق الصحة وهو يقوم بهذا العمل بلا اجر. وليس من الصالح ان توكل هذه المهمة الخطيرة الى شخص يجهل مسؤولية عمله ويعتمد في معاشه على ما يجود به الاهالي عليه لذلك هو بين عاملين اما القيام بواجبه فيغضب الاهالي واما ارضاء الاهالي فيهمل واجبهُ فيجب ان يختار لهذا العمل اشخاص مدربون على الاعمال

الصحية مسؤولون امام الاطباء الصحيين عن تلك الواجبات ويكفي ان يناط شخص واحد بمراقبة الحال في جملة قرى متقاربة

وتوكل العناية بالمرضى وتطهير المنازل الموبوئة الى ممرضين يعين اكثرهم من اهالي القرى وليس عندهم اقل دراية بهذه الواجبات ومن الصعب مراقبتهم في تنفيذ الاعمال المطلوبة منهم . ولاهمية اعمال التمريض والتطهير يحتم تدريب اشخاص خصيصين لذلك يمنحون اجوراً كافية حتى يضمن قيامهم بواجبهم خير قيام وعدم التفريط فيها لقليل من الدراهم تعطى لهم

ب — مقاومة الامراض المتوطنة — في مصر امراض خاصة تصيب السواد الاعظم من السكان واهم تلك الامراض البلهارسيا والرمد الحبيبي والانكلستوما والبلاجرا والملاريا . ونظراً لاهميتها الخاصة بمصر وعدم العناية بالبحث فيها في الممالك الاوربية لقلة انتشارها هناك يحتم على القائمين بالشؤون الصحية في مصر الوقوف على اسباب هذه الامراض وطرق انتشارها وعلاجها ومعرفة خير الطرق لمعالجتها وقد بدأت في مصر حملة واسعة النطاق لمعالجة امراض العيون ومرض البلهارسيا والانكلستوما ولمقاومة الملاريا ونرجو ان تتناول العناية باقي الامراض المتوطنة ليس بالعلاج فقط بل بالاستقصاء العلمي لجمع المعلومات الصحيحة وعمل الابحاث الفنية التي يبنى عليها الاساس الصحيح في مقاومتها

ج — العناية بمقاومة الامراض السرية بنشر المعلومات عنها وتسهيل علاجها ومقاومة البغاء وبيوت الدعارة

٦ ❋ معالجة الامراض واسعاف المصابين ❋ ان عدد الاطباء في القطر المصري قليل بالنسبة لمجموع السكان وزيادة على ذلك فان معظم الاطباء يقيمون في المدن الكبيرة وعواصم المديريات وتخلو منهم مساحات كبيرة يسكنها كثيرون من السكان في قرى مختلفة فلا يحظى هؤلاء القرويون باستشارة طبية الا بعد قطع مسافات طويلة وتكبد مشاق ونفقات كبيرة وقد آن الاوان لتشجيع الاطباء حديثي العهد على انشاء عيادات في الجهات النائية عن البنادر وزيارتها بانتظام لقاء اعانة مالية تتفاوت بتفاوت الاحوال

اما المستشفيات العامة والرمدية والخاصة بعلاج الطفيليات فقد زادت في السنوات الاخيرة زيادة مطردة وتبارت مجالس المديريات والهيئات الخيرية والافراد في الاكثار منها ولكن ينقص هذه المستشفيات ركن هام من اركان نجاحها وهو ايجاد الممرضين الاكفاء للقيام بالعمل فهم الواسطة المباشرة بين الطبيب والمريض واليهم يوكل الاعتناء

بالمريض والقيام بحاجياته واعطائه الادوية في المواعيد المقررة وملاحظته ملاحظة فنية كاخذ حرارته وعد نبضه وقياس افرازاته وغير ذلك وليست الطبقة التي يختار منها هؤلاء الاشخاص ولا المرتبات التي تمنح لهم كفيلة بقيامهم بتلك الواجبات على أحسن حال والممرضون الحاليون هم نكبة المستشفيات ولو ان بينهم عدداً قليلاً تتشرف بهم مهنتهم. و يرجى ان تكون المدرسة المزمع انشاؤها لتخريج ممرضين اكفاء نواة لمشروع نافع واسع النطاق كاف لسد حاجة البلاد وحبذا لو عهد بالتمريض الى فتيات متعلمات فهن خير من يقوم بهذا العمل الانساني

٧ ﴿ التعليم الصحي ﴾ ليس القصد من تعلم الطب علاج الامراض فقط بل انهُ يرمي الى غاية اسمى من ذلك وهي مقاومة الامراض والمحافظة على صحة الشعوب. وقد تقدم علم الوقاية الصحي تقدماً سريعاً في السنوات الاخيرة بحيث لا يتسنى للطبيب ان يلم بهِ علاوة على قيامهِ بواجب العلاج وقد عنيت جميع الامم الراقية بوضع اعمالها الصحية في يد اطباء تخصصوا لتلك العلوم وقفوا اوقاتهم عليها وللاسف لم تبدأ مصر بعد باقتفاء اثر تلك الامم في هذا الطريق فاطباء الصحة عندنا يقومون بالكشف على حوادث البوليس وتقديم التقارير الصحية السريعة والتفتيش على الاعمال الصحية ومقاومة الاوبئة علاوة على عملهم الخاص بمعالجة المرضى وهذا لا يمكن ايّ فرد من اتقان القيام باعمالهِ لانها اعمال تحتاج الى ثلاثة اطباء احدهم خاص بحوادث البوليس والكشوف الطبية الشرعية والثاني طبيب صحي يصرف كل وقتهِ في رقابة الشؤون الصحية العامة كمراقبة الاوبئة والوفيات والاعمال المضرة بالصحة وتفقد الاعمال الصحية بالقرى. والثالث طبيب معالج لا داعي لان يكون موظفاً بالحكومة اذا كان هناك اطباء خصوصيون. وتنفيذ هذا المشروع يحتاج الى انشاء معهد خاص يدرس فيهِ الاطباء الذين سيختصون بالاعمال الصحية العامة الدروس اللازمة

ومما تقدم يتلخص الاصلاح الصحي الضروري لبلادنا اجمالاً في النقط الآتية مرتبة بقدر الامكان بحسب اهميتها

١ — نشر التعليم بين طبقات الشعب حتى يكون عوناً في تنفيذ كل ما يتعلق بالصحة العامة قادراً على الانتفاع بالوسائل والمعاهد المخصصة لخدمة الجمهور من الوجهة الصحية

٢ — تعليم البنات والامهات طرق العناية بالاطفال

٣ — ايجاد تشريع خاص لاقامة ما يستجد من الابنية بطريقة صحية ومراعاة ما يلزمها من الملحقات الصحية كالمراحيض وغيرها

٤ — العناية بمياه الشرب وتعميم مشروع توزيع المياه الصالحة للشرب في البلاد

٥ — انشاء وزارة للصحة يتولى وزيرها درس احتياجاتها ويكون لهُ من النفوذ ما يضمن تنفيذ مشروعاتها والحصول على الاعتمادات اللازمة لذلك ويضم تحت ادارته المساعي الصحية المتفرقة التي تقوم بها الوزارات المختلفة كالبلديات والاقسام الطبية بوزارة المعارف ومصلحة السجون وانشاء الاقسام الجديدة الآتية

(ا) قسم للعناية بالاطفال ومراقبة المستوصفات ودور العلاج الخاصة بهم

(ب) قسم للاحصائيات الصحية يقوم بجمعها وترتيبها لانها مقياس الصحة العامة والضابط لاعمالها والمرشد الى نقط الضعف فيها (ج) قسم خاص للامراض المتوطنة الكثيرة الانتشار في القطر المصري للقيام بدرسها ومعالجتها والبحث في طرق مقاومتها

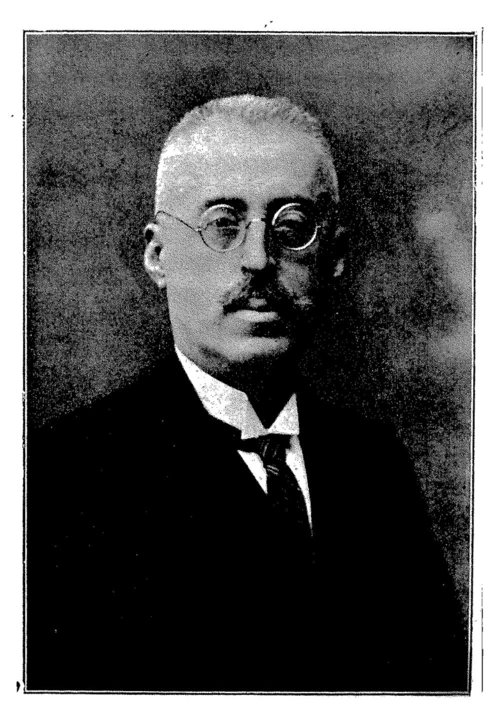
٦ — قصر الاعمال الصحية في مراكز القطر على اطباء اخصائيين في مسائل الصحة العامة يقفون كل وقتهم لها

٧ — انشاء معاهد لتدريب العمال الذين يقومون بالخطوة الاولى في مختلف الاعمال الصحية مثل حلاقي الصحة في القرى او من يقوم مقامهم والممرضين والممرضات والقابلات وعمال التطهير والمساعدين الصحيين

٨ — التغلب على عقبة الامتيازات الاجنبية في وضع القوانين الخاصة بالمسائل الصحية وجعل تلك القوانين نافذة على جميع سكان القطر ووضع العقوبات الشديدة لتكون رادعاً للمخالفين خصوصاً فيما يتعلق بغش المأكولات وبيع المواد المخدرة والتستر على الامراض المعدية وتعاطي صناعة الطب بغير حق

والقيام بتنفيذ تلك الاقتراحات يتطلب عدداً كبيراً من الاطباء الاخصائيين ومختلف العمال الفنيين مما لا يتيسر اعدادهم في وقت قصير لذلك لا بد من السير فيها بالتدريج تبعاً لوجود الرجال الاكفاء فانهُ يخشى ان يكون الاسراع في تنفيذ هذه الاقتراحات على نطاق واسع مدعاة الى اسنادها الى قليلي الخبرة الذين لا يحسنون القيام بتنفيذها على خير الوجوه فاننا لسنا بحاجة الى بيان خلاب عن مشروعات صحية متعددة فهي معروفة لكل من لهُ دراية بالصحة العامة ولكننا بحاجة الى عدد كافٍ من الرجال القادرين على ضمان نجاحها وعلى العمل باخلاص في تنفيذها والى شعب يعضد هذه المشروعات ويستثمرها الى اقصى حد ممكن

[ما تقدم خلاصة محاضرة علمية مفيدة القاها الدكتور محمد خليل استاذ علم الطفيليات بمدرسة القصر العيني في جمعية الشبان المسيحية في ٢٣ ابريل الماضي]



الامير شكيب ارسلان

مقتطف يونيو ١٩٢٦
امام الصفحة ٦٨٩

باب التقريظ والانتقاد

اناتول فرانس في مباذله

تأليف جان جاك بروسون . مع خلاصة كتاب «محادثات مع اناتول فرانس لنقولا سيغور» وزبدة ما قالتهُ الجرائد الفرنسية في فرانس يوم وفاتهِ

ان المواضيع التي يدور عليها هذا الكتاب لمَّا يشوق القارئ . فان اناتول فرانس علَمٌ من اعلام القرنين التاسع عشر والعشرين . ونابغة من ابلغ كتَّاب فرنسا المشهورة بنبوغ كتَّابها في فنون الادب . ومباذل المرء ومحادثاتهُ ادلُّ عليهِ من كل ما يكتبهُ لان لا تمحُّل فيها فهي مرآة طبعهِ وخلقهِ وما فيهِ من قوة او ضعف حتى في انشائهِ . ثم ان آراء الجرائد فيهِ بعد وفاته تدلُّ على ما لهُ من المكانة في النفوس واذا جُمع كل ذلك في كتاب واحد كان لهُ اكبر وقع لدى القراء ولاسيما اذا قُيض لهُ ان ينقلهُ الى العربية كاتب من ابلغ كتَّابها واوسعهم اطلاعاً كصاحب العطوفة الامير شكيب ارسلان . فانهُ نقل هذا الكتاب ولم يكتفِ بالنقل بل علَّق عليهِ من الحواشي والشروح ما يزيدهُ ايضاحاً وتفصيلاً ولاسيما اذا ذكرت الاعلام التاريخية في المتن فانك تجد في الحاشية صورة العلم مع ترجمة وجيزة لهُ كترجمة اغسطس قيصر او مسهبة كترجمة لويس الرابع عشر فزادت فائدة الكتاب لقرائهِ من ابناء العربية

والى القارئ بعض الامثلة من مباذل اناتول فرانس واحاديثهِ الدالة على فلسفتهِ وذكاء عقلهِ وخفة روحهِ : قال جامع احاديثهِ

«وكنا عندهُ مرة وقد حضر الاجتماع كثير من السيدات فاخذ يتدفق كالبحر ، ومن جملة ما قال : ان سر الكون هو الحب . فهو اساس الفنون والآداب ولاجلهِ وجدت الحروب ونيل المجد وهو الذي زيَّن هذا العالم . فان الطبيعة في ذاتها لا حسنة ، ولا قبيحة بل هي كما هي . وانما حواس البشر هي التي تخلع عليها الحسن والقبح . فنحن ننظر الى الاشياء بحسب حالتنا النفسية ، فاحياناً نشاهد انواراً مشرقة واحياناً ظلالاً مظلمة على لوح الطبيعة وهو باقٍ على جمودهِ وعدم شعورهِ . فمتى اهتاج بنا الشوق او متى كنا في

عنفوان الشباب واخذ هذا السيال المغناطيسي يصدر عن المرأة فتنعش لهُ قلوبنا ظهر الكون لاعيننا لامعاً جذاباً غريضاً محبوباً جديراً بان نرغب فيهِ بل ان نتعشقهُ » . قال هذا ثم التفت الى الزائرة الحسناء وقال « ولما كانت المرأة هي التي بيدها زمام التصرف بالقلوب فالمرء هو طوع يدها لا يملك معها مجيئاً ولا ذهاباً . فالرجال هم بطبيعتهم عبيد النساء . فانا مثلاً اراني منبوذاً بالعراء مهملاً مُقَمحاً مُنظراً وانتِ لا تبالين بي ياسيدتي»

فهتفت السيدة الزائرة وقد اعتراها الدهش :— ماذا تقول ؟ انت تعلم عظيم حرمتي لك وانني نذرت لك محبتي كلها

فاخذ الاستاذ يدها ورفعها بكل وقار وقبلها طويلاً وقال لها :

— « محبتي كلها ؟ ان محبة المرأة كلها هي بالنسبة الى المرأة نظير ما يعطي روتشيلد قطعتين من البطاطا »

وقال كنا مرةً عندهُ في مجلس حافل فجاء ذكر الحياة فقال

— انني ارى الحياة شيئاً كريهاً . ولم اجد امراً ابعد عن فهمي من قول رنان انهُ يرضى ان يستأنف هذه الحياة مرة اخرى و يعود الى هذه « المسخرة » . فدهشت انا والحاضرون لهذا الكلام . وقلت لهُ انني ما فكرت قط في انهُ هو ممن يثور على الحياة . وهو الذي خرج لهُ القدح المعلى في ازلام الحظوظ . وعرف كيف يجمع في نفسهِ الواحدة عالماً ويتمثل الادوار الماضية ويجالس الحكماء والشعراء من كل عصر . وهو الذي اوتي ان يكون مرآة عصرهِ وان يحرك مادة العالم المعقول بامرهِ . فقال لي : اتبغي ان تقول اني مالك قوة الفهم ؟ افتظن هذا مساعداً على الشعور بالسعادة ؟ ألا ان العقل هو الذي يحول بين المرء وبين السعادة . ومع هذا فلم اكن ذلك الدراكة الذي تصفهُ لان الحكيم فعلاً ينزوي في الحال فارّاً من خدع الطبيعة التي تحفزنا على قبول هذه المعيشة المعذّبة »

فقلت لكنك عشت سعيداً

فقال — ما عرفت طعم السعادة طول عمري الا ما كان في ايام حداثتي . فمن شاء ان يعيش سعيداً وجب ان ينسى نفسهُ و يفقد الشعور بانهُ موجود . وهذا مما لم افز بهِ

وقبل ان انتقل الامير الى كتاب جان جاك بروسون لخص كتاب سيغور بقولهِ

ان الزبدة التي تمخضها مطالعة هذا الكتاب المجموع من تأليف « نقولا سيغور » وتأليف « جان جاك بروسون » واقوال كبريات الصحف الفرنسية ، هي الامور الآتية :

اولاً — ان اناتول فرانس هو صدر كتّاب الفرنسيس وقريع عصرهم ، هذا الذي انعقد على تفضيلهِ الاجماع وعلت رآستهُ عن النزاع لا سيما في الاسلوب السهل الممتنع الذي جمع فيهِ نقاء اللغة وتعديل الاقسام وطلاوة النسج وتوزيع القسط بين المعاني والمباني ، مما افاض كتّاب الفرنسيس في وصفهِ كما رأيت

ثانياً — انهُ كان اشد المحافظين على الاسلوب الاصولي التدريسي المسمى « كلاسيك » المستمد من الادب اليوناني والادب اللاتيني وانشاء فحول القرن السابع عشر حتى اقرّ لهُ الفرنسيس بانهُ الذي حفظ اللغة الفرنسية وحرس بستانها وانهُ لولاهُ لتنكرت معالمها وتكدرت مناهلها

ثالثاً — انهُ مع شدة محافظتهِ على القديم من جهة اللغة كان مفرطاً في مخالفة القديم من جهة الفكر . فكان مقلداً في اللفظ مجتهداً في المعنى . فاودع الآراء الحديثة والانحاء العصرية قوالب ليست من المعاصرة في شيء بل عليها كلها مسحة القرن السابع عشر

رابعاً — انهُ كان رجلاً متشككاً في امر الكائنات معذباً بما يخالج ضميرهُ من حس الخلاء وما يهفو بهِ من قلة الايمان بالغيب ، وانهُ اميل الى مذهب الابيقور بين الذين لا يرون الا اللذة سواء البدنية او العقلية . وانهُ لم يكن يجد فيها الا مخدّراً

خامساً — انهُ كان مبيء الرأي في المدنية الاوربية الحاضرة ، عظيم السخط على غشم الاستعمار واستئثار القوي للضعيف وابتلاع الكبير للصغير وتكالب اوربا على المال دون غيرهِ ، وما اشبه ذلك مما كان الباعث الاهم لهُ على دخولهِ في الاشتراكية ومسايرتهِ للشيوعية

سادساً — انهُ كان مولعاً بالمناقضة ، نزّاعاً الى القول بما لا يقول بهِ الجمهور ولو لم يكن في نفسهِ جازماً بما يدافع عنهُ . وانهُ كسائر الادباء تغلب عليهِ النكتة وتستهويهِ النادرة ، فكثير من كلماتهِ هو من هذه الطائفة

ثم قدم لكتاب بروسون مقدمة مسهبة ذكر فيها الغرض من نقلهِ الى العربية ونشرهِ فيها وما حذفهُ منهُ . وربما اتينا على خلاصتها في الجزء التالي مع مقتطفات من ترجمة كتاب بروسون

والكتاب كلهُ مطبوع في المطبعة العصرية طبعاً متقناً جدًّا على ورق صقيل . وحسبهُ انهُ نقل الى العربية بقلم الامير شكيب ارسلان

في صحراء ليبيا

كتاب يحق لمصر ان تفتخر بهِ وضعهُ احمد محمد حسنين بك في وصف عمل عملهُ يحق للشرق كلهِ ان يفتخر بهِ عمل اجازتهُ عليهِ الجمعية الجغرافية الانكليزية الملكية باعظم اوسمتها وقالت انها تأسف لان ليس عندها وسام اعلى منهُ تهديهِ اليهِ

الكتاب وصف رحلة رحلها احمد حسنين بك في صحراء ليبية واستمرَّ في سيرهِ جنوباً الى ان بلغ بلاد السودان وراد بلاداً لم يردها رجل مصري ولا اوربي قبلهُ لا بقصد النزهة ولا حبًّا باقتحام المخاطر بل لغرض علمي محض وهو كشف بلاد لا تزال من مجاهل افريقية اي من البلدان لم تطأها رجل رحالة اوربي لكثرة ما فيها من المهامه والمخاطر ومعرفةُ مواقعها الجغرافية بالضبط اي بالاقيسة الارضية والارصاد الفلكية كما فعل بروس ولفنسنون وشو ينفورث وامثالهم من رواد الحضارة المشهورين

الرحلة نفسها قد لخصناها منذ سنة من مقالة لحسنين بك نشرت في المجلة الجغرافية الوطنية الاميركية ومن الخطبة التي تلاها في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز ونشرنا هذا الملخص في مقتطف يونيو و يوليو واغسطس سنة ١٩٢٥ ونشرنا معهُ خريطة الرحلة وكثيراً من الصور الواردة فيها ومنها صورة حسنين بك وامامهُ الثيودوليت الذي يقيس بهِ الابعاد والزوايا لمعرفة مواقع البلاد بالضبط. والكتاب الذي امامنا الآن جزآن فيهما من الصور الكثيرة التي لا تفرق في دقتها عن ادق الصور الفوتوغرافية — ومن مزايا الاسلوب الذي جرى عليهِ حسنين بك ان مَنْ يقرأ رحلتهُ يشعر انهُ سائر معهُ يشاركهُ في السراء والضراء وترتسم امام عينيهِ صور القافلة برجالها وجمالها والبلاد بحزونها وصحاريها وسهولها ونجودها وما فيها من عامر وغامر

هذا وان ما لقيهُ الرحالة من عطف حضرة صاحب الجلالة الملك عليهِ في تمهيد وسائل الرحلة لهُ كما يتضح من عبارة الشكر التي قدمها الى جلالتهِ لممَّا ينشط رجال مصر على البحث العلمي ولو لم يكن منهُ فائدة مادية تظهر في القريب العاجل لان العمران قام بمثل هذه المباحث

الحكر وتقديره

محمد شفيق باشا بحاثة محقق تقلّب في مناصب الحكومة وقلد وزارة الزراعة ووزارة الاشغال العمومية وقد وضع الآن رسالة في الحكر وتقديرهِ لان الحاكم تعتمد على تقدير

الخبراء وهؤلاء يجازفون في تقديرهم فقد قدرت محكمة الاستئناف المختلطة الحكر السنوي في وقف ٣٠٠ جنيه سنة ١٩٢٤ ثم دخل خصم آخر في القضية ونظرت من جديد فقدرته المحكمة بمبلغ ٢٢ جنيهاً و٥٠٠ مليم مع ان اجرة المكان المحكور السنوية لم تتغير. وبعد ان اورد سعادته امثلة اخرى من هذا القبيل وما قرره مجلس الاوقاف الاعلى في جلسة ١٢ يناير ١٩٢٦ اعترض على الاخذ بتقدير الخبراء واسهب في موضوع الحكر وما يجب العمل به مستنداً الى كتاب الامام الخصاف وكتاب العدل والانصاف والدر المختار والفتاوى الخيرية والفتاوى الهندية وفتاوى تنقيح الحامدية والفتاوى الانقروية والفتاوى الخانية وكتاب الاسعاف. ويلي ذلك ادلة نقلية وعقلية وتحقيقات حسابية لتقدير قيمة الحكر وما يتصل به

الدنيا في اميركا

وضع هذا الكتاب الاستاذ امير بقطر سكرتير جامعة القاهرة الاميركية وهو قسمان قسم تناول فيه كل ما ترك في نفسه اثراً من مشاهد العالم الجديد، تراه يتنقل بينهــا يصف دقائقها وكلياتها من غير كلفة ولا عناء فمن وصف تمثال الحرية الى التحدث عن جزيرة السّ التي يقف فيها المهاجرون قبلما يسمح لهم بالدخولـــ الى الولايات المتحدة الى الكلام على عجائب الصناعة والمخترعات واتساع الاعمال او مقام الصحافة واساليبها، او الاعجاب بالمهاجرين السوريين ووصف معيشتهم او الاشادة بذكر المكاتب العمومية وفائدتها في تثقيف الجمهور فصول تصوّر للقارىء العالمَ الجديد تصويراً دقيقاً يثير فيه الشوق والاعجاب

اما القسم الثاني فيدور على الحركة العلمية في اميركا وهو الموضوع الذي اختصّ الاستاذ بقطر بدرسه في جامعة كولومبيا فبيّن في فصل مسهب اغراض التربية في اميركا وهي في رأيه الالمام بالمعلومات العامة والاستعداد للعمل (المهنة) وتقوية الجسم وخدمة الوطن والاستفادة من اوقات الفراغ واسعاد الحياة العائلية وتربية الخلق المتين. ثم فصّل في فصول تالية ماهية التعليم المشترك بين الجنسين والتعليم الاجباري والرحلات العلمية وما الى ذلك من الامور المرتبطة بنشر العرفان

والكتاب يحوي ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير وفيه صور كثيرة لايضاح فصوله وقد طبع بالمطبعة العصرية بمصر

نظرات نقدية في شعر ابي شادي

لما ظهر ديوان « انين ورنين » لناظمهِ الدكتور احمد زكي ابي شادي تلقتهُ الصحف المصرية عامة بالثناء والتقريظ وكتب عنهُ الناقد الادبي في صحيفة « المؤدب » فصلاً ممتعاً نقدهُ فيهِ مظهراً غثهُ من غير ان يضنّ على سمينهِ بالاطراء الجدير بهِ . فردَّ عليهِ الاديب حسن صالح الجداوي منشيء صحيفة السويس الناهضة وناشر الديوان بمقالة مسهبة بيّن فيها شاعرية ابي شادي وناقش الناقد اراءهُ « في رفقٍ وهوادة تلمساً للحقيقة فالحقيقة بنت البحث »

وقد عني الاستاذ الجداوي الآن بنشر كتاب بالعنوان المتقدم جعل اساسهُ المقالتين المذكورتين آنفاً واضاف اليهما مقالات اخرى ترتبط بهما كمقالة الادب القومي للاديب عبد العزيز الحق وكمقالة التقدير الفني للاديب علي ادهم وفصلاً عنوانهُ الشعراء وجنون الطرب للاديب ابرهيم المصري . وآخر عنوانهُ « اللغة والشعر والعصر » فجاء الكتاب تحفة ادبية نفيسة . وقد طبع بالمطبعة السلفية بمصر

الاحلام

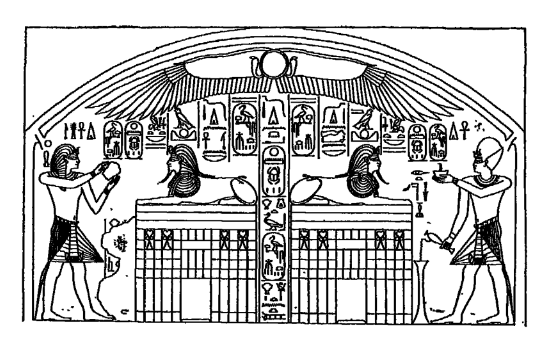
قصيدة خيالية اجتماعية مزينة بالرسوم تتألف من ٢٧ نشيداً او مقطعاً نظمها عقدها الاديب شفيق افندي معلوف نجل الاستاذ البحاثة عيسى اسكندر المعلوف . واليك نشيداً منها عنوانهُ « بين القبور »

لمن عرصات المقابر تُزْجى اليها ركائب اهل الحياةْ
أَللنّفس والجوّ ميدانها ام القلب والقلب جمّ الشكاةْ
وكم ذكريات تجيش بهِ فيطوي الثرى تلكم الذكرياتْ
هناك أبنة في سكون الضريح يسود عليها هدوء المماتْ
على شعرها زفرات الصدور وفي شفتيها لظى القبُلاتْ
وما زال في جفنها يتردّد من دمع آمالها قطراتْ
وقد ذاب في شفتيها الغرام لتمتصهُ في الثرى الحشراتْ

وليتها خلت من بعض ما فيها من الصور

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر اخر نكون قد اهملناه لسبب كاف



(١) تمثال ابي الهول

الاسكندرية . محمد أفندي صادق خلوصي . في العام الماضي شرعت مصلحة الآثار المصرية في ترميم تمثال ابي الهول الكبير بجوار اهرام الجيزة ولهذا الغرض اضطرت لكشف الاتربة المحيطة بهذا التمثال وقد نتج عن ذلك ظهور باقي جسم التمثال المذكور وقوائمهِ الاربع وهي في نهاية الابداع مما زاد هذا التمثال العظيم بهجة وبهاء

وقد وجدوا لوحاً كبيراً من حجر الجرانيت الاحمر مركوناً على صدر التمثال « بين ذراعيهِ » ومكتوباً عليهِ جملة اسطر بالخط الهيروغليفي ولم نسمع لغاية الآن بشيء عن ترجمة هذه الكتابة

ولا يخفى على حضرتكم اهمية وجود

هذا اللوح المكتوب الموجود بجوار هذا التمثال لانهُ بالطبع سيبين لنا حقيقة تاريخهِ والعهد الذي اقيم فيهِ

فهل تعلمون شيئاً عن ذلك. نرجو التكرم بنشر ما تعلمونهُ خدمة للعلم ولكم مزيد الشكر

ج . لقد كشف هذا اللوح قبل الآن ورأينا رجل ابي الهول ظاهرة وهو حينئذٍ بصورة اسد رابض وكتبنا تفصيل ذلك في مقتطف ابريل سنة ١٩١٣ ونعيد ما كتبناهُ هناك مع صورة هذا اللوح اتماماً للفائدة

« ابو الهول تمثال كبير على ربع ميل من الهرم الاكبر من اهرام الجيزة الى الجنوب الشرقي منهُ لهُ رأس انسان و بدن اسد رابض . طولهُ ١٧٢ قدماً ونصف قدم وارتفاعهُ ٥٦ قدماً . لم يذكرهُ هيرودوتس المؤرخ على اسهابهِ في ذكر المنشآت المصرية ولكن ذكرهُ بلينيوس فقال « وامام الاهرام السفنكس وهو من آيات الصناعة ولكن امرهُ مكتوم لان لهُ في عيون السكان مقاماً دينياً وهم يعتقدون ان هرمس دفن فيهِ وانهُ أُتي بهِ من مكان بعيد . والواقع انهُ منحوت من صخرٍ طبيعي ولاحترامهم لهُ دهنوا وجههُ دهاناً احمر . محيط رأسهِ عند صدغيهِ مائة قدم وقدمان وطول يديهِ مائة وثلاث واربعون قدماً وارتفاعهُ من بطنهِ الى رأس الصل الذي فوق جبهتهِ اثنتان وسبعون قدماً »

وقال المقريزي في خططهِ « هذا الصنم بين الهرمين عرف اولاً بلهيب [1] ونقول اهل مصر اليوم ابو الهول . قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهو به صنم كبير من حجارة في ما بين الهرمين لا يظهر منهُ سوى رأسهِ فقط تسميهِ العامة بابي الهول و يقال بلهيب و يقال انهُ طلسم للرمل لئلاَّ يغلب على ابليز الجيزة » انتهى ما نقلهُ المقريزي

وقال عبد اللطيف البغدادي في القرن السابع للهجرة بعد وصفهِ الاهرام ما نصهُ

« وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميهِ الناس ابا الهول ويزعمون ان جثتهُ مدفونة تحت الارض و يقتضي القياس ان تكون جثتهُ بالنسبة الى رأسهِ سبعين ذراعاً فصاعداً . وفي وجههِ حمرة ودهان احمر يلمع عليه رونق الطراءة وهو حسَنُ الصورة مقبولها عليهِ مسحة بهاءٍ وجمال

(١) واسم ابي الهول في اللغة المصرية القديمة « هو » يعنون به الشمس الطالعة او شمس الافق او اله الصباح وتضاف اليه لفظة با اواب اوبو ومعناها بيت او مكان او معبد فيصير بهواي بيت اله الصباح او مكانه او معبده ولذلك فالكلمة التي قال المقريزي انها اسم ابي الهول هي الكلمة المصرية القديمة محرفة . وحبذا لو رجعنا اليها فترجمنا كلمة سفنكس بها فانه يسهل جمعها واضافتها كالاسماء العربية

كأَنهُ يضحك تبسماً. وسأَلني بعض الفضلاء ما اعجب ما رأَيت فقلت تناسب وجه ابي الهول فان اعضاء وجههِ كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة. والعجب من مصورهِ كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضاء مع عظمها. وانهُ ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيهِ»

وبقي بدن ابي الهول مطموراً بالرمل الى سنة ١٨١٧ حينما اخذ المسيو كافجليا احد الباحثين عن الآثار المصرية يرفع الرمل عنهُ فاكتشف بين يديهِ مذبحاً من الغرانيت الاحمر وامام صدرهِ صفيحة كبيرة من الغرانيت ارتفاعها ١٤ قدماً نقش عليها كيف ازال الملك تحتمس الرابع الرمل الذي كان يغمر بدنهُ. وفي اعلى هذه الصفيحة الرسم المرسوم في صدر هذا السؤَال وفيهِ صورة هذا الملك يقدم الطيوب ويسكب السكائب لاسدين رابضين لكلٍّ منهما رأس انسان. وبين الاسدين كتابة هيروغليفية يقال فيها ما ترجمتهُ. «لقد سمحت ان ينتصب رامن خبروتحوتي مس خاخاو كالشمس على عرش الاله سب ويبلغ مقام الاله تم»

وفوق احد الاسدين كتابة يقال فيها «اني انصر سيد القطرين تحتمس الذي يطلع مثل الشمس». وفوق الآخر كتابة اخرى يقال فيها «اني اعطي الحياة والقوة لسيد القطرين تحتمس الذي يطلع مثل الشمس» وتحت هذه الصورة كتابات هيروغليفية مفادها ان هذه الصفيحة اقيمت في اليوم التاسع عشر من الشهر الثالث من فصل شات في السنة الاولى من مُلك الملك ثم يقال فيها «ان جلالتهُ كان مثل الطفل هورس بين الحلفاء وقد خرج للصيد متنزهاً في القفر الذي حول منف وفي طرقهِ الذاهبة شمالاً وجنوباً لكي يتمرن على رمي السهام التي رؤُوسها من نحاس فاصطاد الاسود والغزلان في الجبال وسار في مركبتهِ التي تجرها خيول اسرع من النسيم وكان معهُ اثنان من اعوانهِ ولم يعرف احد اين ذهب معهما. ولما حان الوقت ليستريح خادماهُ ود ان يقوم بفرض العبادة لهرمخت[1] في معبد صقر في العالم السفلي ويقدم تقدمة من الدقيق ويدعو للآلهة ايسس سيدة السور الشمالي والسور الجنوبي ولسخت الخويسي ولست. وكان هناك طلسم منذ الازل يمتدُّ الى كل البلاد حتى خرهوت حيث طريق الالهة الى اقصى السماء الغربي.

(١) والظاهر ان كلمة هرم العربية محرفة من كلمة هرمخت او هرمخس المصرية ومعناها شمس الافق التي كان هذا التمثال يرمز اليها. وما اكثر الكلمات التي نحسبها من صميم العربية وهي مصرية الاصل لان العرب لم يعنوا بتدوين لسانهم الا بعد ان اقاموا في هذا القطر مئات من السنين واختلطت لغتهم بلغة اهله

الى ان يقول : — ان الملك كان يصطاد قرب الظهر فجلس يستريح في ظل ابي الهول فغلب عليهِ النعاس ونام وحلم لما بلغت الشمس الهاجرة ان الاله اباهُ جاءهُ وقال لهُ اني اجلسك على عرشي واملكك على شعبي واضع على رأسك تاجيْ الجنوب والشمال (الوجه القبلي والوجه البحري) فتصير لك كل البلدان التي تشرق عليها الشمس وتأتيك الجزية من اقاصيها وتعيش سنين لا تحصى ولكن الرمال تحدق بي وتغطيني فقل لي انك تفعل ما اطلبهُ منك وحينئذٍ اعلم انك ابني حقًّا الذي يساعدني . ادنُ مني فاكون معك وارشدك» . والصفيحة مكسورة هناك لا نعلم تتمتها ولكن يقال في الكتابة الباقية ان الملك خفرا هو الذي نحت ابا الهول وانهُ جعلهُ للاله تمو هرمخس او هرمخت

اي الكهنة الذين كانوا في زمن الدولة الثامنة عشرة قالوا لاحد ملوكها ان الملك خفرا باني الهرم الثاني هو الذي نحت ابا الهول وجعلهُ تمثالاً لتمو هرمخت واقنعوهُ لكي يزيل الرمال التي غطتهُ ففعل ونصّب على عرش ابيهِ

وعادت الرمال فطمرت ابا الهول فرآهُ بليفيوس وعبد اللطيف البغدادي مطموراً والظاهر انهُ بقي كذلك الى عهد المسيو كافيجليا فازال الرمال عنهُ كما تقدم . ثم طمر ثالثة وبقي مطموراً الى عهد مريت باشا فازال الرمال ووصل الى الصخر ثم طمر ثم كشف ورأيناهُ مطموراً ثم مكشوفاً ثم مطموراً قبل ان كشف حديثاً

(٢) ثمن عقد

لورنس مستشوستس. الخواجه اسكندر سمعان. ورد في كتاب قضايا التاريخ الكبرى في قصة عقد الملكة ان ثمنهُ كان مليوناً وستمائة الف جنيه . وفي مجلة المباحث الطرابلسية ان ثمنهُ كان مليوناً وستمائة الف فرنك فاي رواية اصح

ج . نرجح ان الرواية الثانية اصح

(٣) التصور والذاكرة

كلكتا بكولمبيا . الخواجه زكريا ابو نخيلة . ما الفرق بين التصور والذاكرة وما هو عمل كلٍّ منهما

ج . اذا اردتم بالتصور القوة المسماة خيالاً فهو ما تحفظ فيهِ صور المدركات بالحواس الظاهرة واذا اردتم بهِ القوة المسماة مخيلة فهي ما تركب الصور والمعاني وتتصرف فيها وتخترع اشياء لا حقيقة لها . اما الذاكرة فعملها حفظ المعاني الجزئية

(٤) تقوية المخيلة

ومنهُ . نرى من الناس من لهُ قدرة على التصوُّر حتى اذا أغمض عينيهِ يقدر ان يتصور اي شخص ارادهُ حتى كأنهُ حاضر بين يديهِ . ومن اذا اغمض عينيهِ لا يرى سوى ظلام فما هي الوسائط لتقوية التصور

حتى يرى الانسان اي شيء اراده بالوانه

ج . السبيل الى ذلك التمرُّن على حفظ الصور وتذكُّرها. فان الذاكرة والمخيلة تقويان بالتمرُّن مثل كل قوى الجسد والنفس. واذا لم تقويا فيكون لان في الدماغ ما اضعفها . مرض كاتب هذه السطور منذ نحو ٢٥ سنة فاشتدَّ ارقهُ وقويت ذاكرتهُ حتى تذكر كتاباً قرأهُ في صباهُ فتلا اكثرهُ غيباً مع انهُ لم يكن قد حاول حفظهُ لما قرأهُ . ثم نسيهُ بعد ما شفي كأَنهُ كان في دماغهِ شيءٌ يغطي صورة ذلك الكتاب من الذاكرة فزال وقت المرض وعاد بعدهُ . فاذا لم يفلح التمرين في صديقكم فلا بدَّ لهُ من الرضا بحالتهِ الحاضرة

(٥) صعوبة النطق والشفاء منها

بور سعيد . احد القراء . هل من طريقة تشفي او تخفف وطأَة صعوبة النطق او تكرار الكلمة قبل النطق بها

ج. السبيل الى ذلك ان المصاب بهذه اللجلجة يمرّن نفسهُ على التأني في القراءة والتكلم فاذا واظب على ذلك فالغالب انهُ ينجو من هذه العلة فان كثيرين من الخطباء المفوهين كانوا في اول امرهم مصابين باللجلجة فشفوا منها بالتمرُّن

(٦) صحافي او صحفي

مصر . احد القراء . اراكم تقولون الصحافي وغيركم يقول الصحفي فاي النسبتين اصح

ج . نحن ننسب الى الصحافة اي الى عمل الصحف وهذا النوع من النسبة وارد قديماً في الجراحي نسبة الى الجراحة وحديثاً في السياسي نسبة الى السياسة والزراعي الى الزراعة والتجاري الى التجارة . واما الصحفي فمنسوب الى الصحيفة ولكلمة صحَفي معنىً مرتبطة بهِ لا نستحسنهُ وصفاً للمشتغلين بالصحافة فان اقدم ما لدينا ونحن نكتب هذه السطور من كتب اللغة صحاح الجوهري وليس فيهِ كلمة صحَفي ثم اساس البلاغة للزمخشري وفيهِ « صحفي وصحّاف وهو لحّانة مصحف» . ثم لسان العرب لابن منظور وفيهِ « الصحفي الذي يروي الخطأَ مولدة » ثم القاموس للفيروزابادي وفيهِ « الصحفي بحركة من يخطئ في قراءة الصحيفة » ويظهر من ذلك ان لكلمة صحَفي معنى لا نرضاهُ لانفسنا ولا لغيرنا وزد على ذلك ان النسبة الى الصناعة افضل من النسبة الى المصنوع

(٧) اسباب الشيب

الخرطوم . زكي افندي بطرس . شاب قوي البنية عمرهُ نحو ٢٦ سنة كثر وجود الشعر الابيض في رأسهِ ويرى المتأمل فيهِ ان بعض جذور الشعر اي النصف المتصل بالرأس اسود والنصف الاخر ابيض ووالداهُ لم يشيبا باكراً وهما قويا البنية فما سبب شيب الشاب وما علاج هذا الشيب

ج . ان الشعر نفسهُ ابيض شفاف و يأتي لونهُ من مادة ملونة تدخلهُ من الجسم. فابيضاض القسم المتطرف من شعر هذا الشاب ناتج اما من عدم وصول المادة الملونة اليهِ او من تولُّد شيء فيهِ ازال لون المادة الملونة كما يزيلها اكسيد الهيدروجين الاول. ولا يعرف علاج لابطال الشيب . واذا لم يكن هذا الشاب قد ورث الشيب الباكر من احد والديهِ فيكون قد ورثهُ من احد اسلافهما او يكون قد ابتدأ فيهِ لسبب قلل تولُّد المادة التي تسود شعرهُ او جعلها تزول من اطراف الشعر

(٨) الاكزيما وانتقال عدواها

شبرا . م . ا . هل الاكزيما مرض معدٍ واذا كانت معدية فهل تنقل العدوى بالبصق او باللمس او بمسك اشياء سبق للمريض ان لمسها

ج . الاكزيما غير معدية الاَّ اذا كانت مسببة عن مكروب فانها تمتد حينئذٍ في بدن المصاب بالعدوى وقد يعدّي بها غيرهُ . لكن هذه العدوى لا تنتقل بالبصق بل باللمس. فاذا مسَّ الجزء المصاب بالاكزيما شيئاً فقد تتصل العدوى بهِ اي يتصل بهِ بعض المكروبات المخالطة للاكزيما وتصل منهُ الى مَن يلمسهُ

(٩) وراثة الداء

ومنهُ نشأ شخص في عائلة فيها واحد من ذوي القرابة البعيدة مصاب بمرض مزمن كالاكزيما وعمر هذا الشخص الآن عشرون سنة فهل يخشى من انتقال العدوى اليهِ

ج . ان ذلك يتوقف على كون المرض المزمن معدياً او غير معدٍ فاذا كان معدياً وتوفرت اسباب نقل العدوى فقد تنتقل الى الشخص الذي اشرتم اليهِ

(١٠) انتقال العدوى واتقاؤها

ومنهُ . ما هي الاجراءات التي يجب على الانسان اتخاذها اذا جلس في الترامواي مثلاً الى جانب شخص يعرف او يظن انهُ مصاب بمرض معدٍ وخصوصاً اذا بصق هذا المريض فيما يجاورهُ

ج . ان ذلك يتوقف على نوع المرض المعدي اي على كيفية انتقال عدواهُ فالسل الرئوي يخرج مكروبهُ من الفم مع الرشاش الذي يخرج مع السعال فقد يدخل هذا المكروب فم من يتنفس هواء اختلط بنفَس مسلول فيجب البعد عن المسلول على قدر الامكان ولاسيما اذا تسلط السعال عليهِ. والتيفوس تنتقل عدواهُ بواسطة القمل فاذا لم يكن سبيل لان تدب قملة من جسم المصاب الى جسم السليم فلا خوف من العدوى . والتيفويد مكروبهُ في مبرزات المصاب بهِ فلا يحتمل ان تنقل عدواهُ الاَّ اذا وصل هذا المكروب الى الطعام او الشراب ولو

من ذبابة تقع على المبرزات ثم تقع على الطعام او الشراب . وهلم جرًّا

(١١) الامراض التناسلية وانتقال عدواها

ومنهُ. هل العدوى بالامراض التناسلية تنتقل بمجرد مصافحة شخص مصاب بها او من بصق هذا المريض

ج. كلا . الاَّ اذا كان المريض قذراً ولمس القرحة بيدهِ وصافحهُ السليم ثم لمس جرحًا في جسمهِ اوغشاء مخاطيًا . ولا تكون العدوى في البصاق الاَّ اذا كانت في فم المريض قروح من مرضهِ

(١٢) نور الشمس وقتل المكروبات

ومنهُ. الى اي حد تكفي اشعة الشمس في قتل المكروبات وهل الاشعة المنعكسة عن الزجاج او النافذة منهُ تقوم بهذا العمل

ج . كلاَّ لانهُ قلما ينعكس شيء من الاشعة عن الزجاج واما النافذة فقلما ينفذ معها شيء من الاشعة التي فوق البنفسجي ولكن صُنع الآن نوع من الزجاج تنفذهُ الاشعة التي فوق البنفسجي فتفعل في قتل المكروبات . والمكروبات انواع مختلفة وقوة احتمالها للاشعة مختلفة ولم يصل البحث فيها حتى الآن الى غايتهِ

(١٣) معرفة تاريخ سابق

القدس دار المعلمين . قارئ في اي يوم من ايام الاسبوع يكون ٢٩ نيسان سنة ١٩٠٨ وفي اي شهر عربي يقع وما تاريخهُ بالسنين الهجرية

ج . ابتدأ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٨ يوم الاربعاء فالتاسع والعشرون منهُ يوم الاربعاء ايضًا وهو يقابل ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٦

(١٤) طريقة معرفته

ما هي الطريقة التي وجدتم فيها ذلك .

ج . لم نستعمل طريقة حسابية بل رجعنا الى كتاب مختار باشا المصري « مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية » وفيهِ ان ربيع الاول يبتدئ يوم الجمعة في ٣ ابريل سنة ١٩٠٨ وعليهِ فابريل يبتدئ يوم الاربعاء فيقع ٢٩ منهُ يوم الاربعاء ويقع ٢٩ ابريل يوم ٢٧ ربيع الاول والسنة الهجرية هناك هي سنة ١٣٢٦

(١٥) النقود المتداولة في الحجاز

ومنهُ ما هي النقود المتداولة في الحجاز ونجد وان امكن فسائر الجزيرة

ج . الجنيه الانكليزي والليرة العثمانية الذهبية والريال النمسوي (ابو طيره) والريال المجيدي واقسامهُ والريال المصري واقسامهُ والربية الهندية والنقود التي سكّها الملك حسين وهي جنيه ذهب كالليرة العثمانية وريال كالمجيدي واقسامهِ . وقد سكَّ ملك الحجاز وسلطان نجد نقوداً صغيرة من النكل

باب الأخبار العلمية

مقتطف يونيو

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بوصف الحفلة التي أُقيمت في دار الاوبرا الملكية لعيد المقتطف الخمسيني وتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول فجعلها تحت رعايتهِ ويتلو وصف الحفلة خطبة رئيس لجنة الاحتفال صاحب المعالي توفيق رفعت باشا فخلاصة بعض برقيات التهنئة التي وردت وتليت في الاحتفال فقصيدة خليل بك مطران فخطبة الدكتور محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير «السياسة» فقصيدة حافظ بك ابرهيم

ثم ثمة مقالة اسماعيل بك مظهر عن جابر بن حيان وكتبهِ المعروفة وغير المعروفة ونسخها الخطية والمطبوعة واماكن وجودها

ويليها مقالة للدكتور زكي مبارك في شخصية الاستاذ الشيخ محمد المهدي بك ، حياتهِ وآرائهِ ومثالٍ من نثرهِ وما لهُ من الآثار الادبية

وبعدها كلام علمي على مهد الانسان في اسيا وآثارهِ التي وجدتها البعثة الاميركية الاسيوية التي وجدت بيوض الدينوسورس وآثار الحيوانات اللبونة في غوبي بمنغوليا

فمقالة للدكتور احمد ضيف عن الادب المصري في القرن التاسع عشر وقد تناول فيها الكلام على « الشعر المصري » في ذلك القرن خاصة

ثم جانب من رسالة ممتعة كتبتها بالفرنسية صاحبة السمو السلطاني البرنسس قدرية حسين تدور على حياة ملكة من ملكات مصر القديمة تدعى تيتي شيري وفيها صورتها

وبعدها كلام علمي سهل التناول على « الامراض التي مصدرها الحيوان »

فخطبة صاحب السعادة واصف غالي باشا في حفلة عيد المقتطف الخمسيني وعنوانها « وقفة بين مرحلتين » يليها خلاصة الخطبة التي القاها صاحب الفضيلة السيد رشيد رضا فالكلمة التي القاها الدكتور صرُّوف بلسان المقتطف شاكراً ثم وصف موجز للحفلة التي اقيمت في جامعة بيروت الاميركية فوصف حفلة الفرد بك شماس

ويلي ذلك فصل ادبي شعري عنوانهُ الفاجعة ترثي فيهِ كاتبةٌ مصريةٌ بليغةٌ ابنَ اخ لها

ثم مقالة عنوانها ارتياد القطب الشمالي فيها بيان اشهر البعثات التي تستعد لارتياد مجاهل القطب هذا الصيف عن طريق الجوّ وفيها صور امندصن وولكنز ويرد وهم روؤساء ثلاث من هذه البعثات

ويليها كلام عنوانهُ « مذهب النشوء والمشرق والمقتطف » ابنا فيهِ المراد من مقالتنا التي نشرناها في مقتطف ابريل بعنوان « مذهب النشوء وعلماء اليسوعيين »

وبعدهُ ترجمة فقيد مصر احمد حشمت باشا وما لهُ من الايادي البيضاء على العلم والادب وفيها صورتهُ

ثم جانب من مقالة مسهبة موضوعها تقدم علم الطب الحديث وفيها صور ابقراط وباستور وكوخ . نقلها عن الانكليزية الدكتور شريف عسيران

ويليهِ بيان عما في الامبراطورية البريطانية من مناجم الذهب وقيمة المستخرج منهُ ونسبتها الى قيمة الغلات الزراعية

وابواب المقتطف حافلة بالرسائل الممتعة والنبذ المفيدة ففي باب المراسلة والمناظرة رسالة طلية عن « دروز لبنان وحرب اليمنية والقيسية » للامير شكيب ارسلان. وفي باب تدبير المنزل بيان جامع للمبادئ الاساسية التي تقوم عليها الصحة العامة في مصر. وباب التقريظ والانتقاد فيهِ وصف المطبوعات العربية الجديدة . وبابا المسائل والاخبار العلمية حافلان بالاراء والاخبار العلمية والفلسفية والعمرانية

اوجه القمر في شهر يونيو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٣	١٠	٩	صباحاً
الهلال	١٠	٠	٨	مساء
الربع الاول	١٨	١	١٤	«
البدر	٢٥	١١	١٣	«
الحضيض	١	٨	٢٤	صباحاً
الاوج	١٦	٢	١٨	مساء
الحضيض	٢٨	١١	٤٨	صباحاً

مواقع السيارات

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخرهِ

الزهرة . كوكب صباح

المريخ . يشرق نحو نصف الليل

المشتري. يشرق نحو الساعة ١١ مساء

زحل . يغرب نحو الساعة ٣ صباحاً

العناصر الجديدة

ادّى البحث في خواص العناصر مندليف الكيماوي الرومي الى ان العناصر الكيماوية تمشي على قانون من حيث نسبة بعضها الى البعض في خواصها وثقلها الجوهري . فاذا وجد بين عنصرين فراغ لا

يشغلهُ عنصر معروف حُكم بوجودهِ قبل ان يكشف وعرفت خواصهُ بذلك القانون وبموجبهِ وبموجب ما كشفهُ موزلي حديثاً كشفت اربعة عناصر وهي الهفنيوم وعددهُ ٧٢ كشفهُ كوستر وهفسي في الدنمارك سنة ١٩٢٣ . والمسوريوم وعددهُ ٤٣ كشفهُ نودك في المانيا سنة ١٩٢٥ والرينيوم وعددهُ ٧٥ كشفهُ نودك ايضاً في المانيا سنة ١٩٢٥ . والالينيوم وعددهُ ٦١ كشفهُ هبكنس في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٦ وقد بقي عنصران مجهولان عدد احدهما ٨٧ وعدد الآخر ٨٥

امر جديد في السرطان

كشفت مسز مرغريت لويس وهي مشرحة في معهد كارنجي والمستر هورد اندرفُنت وهو تلميذ متخرج في جامعة جنس هبكنس حقيقتين اساسيتين في السرطان قد يكون لهما شأن كبير في علاجهِ . الحقيقة الاولى ان في نوع من سرطان الدجاج تترك كريات الدم البيضاء وظيفتها وهي مقاومة السموم والجراثيم المرضية وتخرج من اماكنها وتجمع وتتضخَّم حتى تصير نموَّا خبيثاً اي سرطاناً . فقد عرف هنا كيف تكوَّن هذا السرطان . والحقيقة الثانية التي كشفاها ان السرطان ينتقل من دجاجة مصابة بهِ الى دجاجة سليمة بحقن عضلات السليمة من مصل دم المصابة او من كريات دمها البيضاء

وسرطان الدجاج هو غير سرطان الناس ولكنهُ يشبه بعض الآفات التي تصيب الانسان كتضخم الطحال وغيرهِ من الغدد الدموية فان سبب هذا التضخم وجود مقدار كبير من كريات الدم البيضاء التي فسدت او اختل نظامها . والمظنون ان ما علم من سرطان الدجاج وهو ان سببهُ كريات الدم البيضاء يأول الى كشف القناع عن سرطان البشر

ثم ان انتقال عدوى سرطان الدجاج بواسطة مصل دمها او ما في الدم من الكريات البيضاء يؤيّد ما ذهب اليهِ البعض في عدوى السرطان فقد ثبت من تجارب مسز لويس والمستر اندرفُنت ان السرطان اصاب ٧٥ في المائة من الدجاج التي طعّمت (لقحت) بمصل الدم المستخرج من دجاج مصابة بهِ واصاب ٩٥ في المائة من الدجاج التي طعمت بالكريات البيضاء . وان الدجاجات التي طعمت بجزء من السرطان اصيبت كلها بهِ

وقد يصح ما ذهب اليهِ البعض وهو ان في السرطان مكروباً اصغر من ان يرى بالمكرسكوب ولذلك لم يكشف حتى الآن فقد قالت مسز لويس انهُ اذا طعمت دجاجة من سرطان دجاجة اخرى ظهر فيها النمو السرطاني ثم اذا طعمت فرخة ثانية من هذا

النمو السرطاني ظهر فيها ايضاً نمو سرطاني وهكذا الى اربع دجاجات الواحدة بعد الاخرى و يكون في الاخيرة عدوي فعّالة كما يكون في الاولى . وكذا لو كان التطعيم من دم دجاجة مصابة بالسرطان فان العدوى تنتقل من دجاجة الى اخرى الى الدجاجة الخامسة . وقد يكون الفعل في الدجاجة الخامسة اشد من الفعل في الاولى

التطعيم للوقاية من السل

اول نوع من التطعيم الواقي هوالتطعيم الذي يقي من الجدري ويليهِ في الشهرة التطعيم الواقي من الكلَب والتطعيم الواقي من الدفثيريا والتطعيم الواقي من التيفويد الخ

وقد اهتمَّ كثيرون بكشف طعم يقي من السل ومنهم الاستاذ كلمت الفرنسوي والدكتور سلتر الالماني. اما الاستاذ كلمت فانهُ خفف مكروب السل بتربيتهِ مدة ١٣ سنة في الصفراء وقد طعم بهِ ٤٥١٧ ولداً منذ يونيو سنة ١٩٢٤ وهم في اماكن يكثر ظهور السل فيها وقد نشر تقريراً عن ٤٢٣ ولداً منهم بعدما طعموا بستة اشهر وكان نحو ثلثهم مقيماً في البيوت التي ولدوا فيها معرضين للسل فلم يصب احد منهم بالسل وقد مات ثلاثون منهم ولكنهم ماتوا بامراض اخرى غير السل . واولاد الذين لم يطعَّموا مات منهم ٢٤ في المائة بالسل .

اما الدكتور سلتر الالماني فيقول ان مجرَّد التطعيم بمكروب السل غير المخفف يقي من السل وانهُ طعَّم تسعة اولاد سليمين بمكروب السل وهم في بيوت سكانها معرضون لمرض السل اما هؤُلاء الاولاد فلم يصابوا بهِ ولم يقدم على تجربة هذه الطريقة في الاولاد الاَّ بعد ان وجد فائدتها في الحيوانات

جمجمة فلسطين القديمة

اشرنا في مقالة في هذا الجزء الى الجمجمة التي وجدت في فلسطين ويقال انها مثل جمجمة نيندرثل وقد وقفنا الآن على تفصيل وجودها وخلاصتهُ ان شاباً من خريجي جامعة اكسفرد اسمهُ تزفل بتر ضرب في الجبال الصخرية على نحو ميلين من بحيرة طبرية وصعد في شُعْب ضيق قرب كفر ناحوم القديمة فوجد فيهِ مغارة قديمة فدخلها قاصداً ان يبحث في ارضها لعلهُ يجد فيها شيئاً من آثار الاقوام الذين سكنوها في عصر قبل عصر التاريخ فحفر قدماً بعد قدم فوجد فيها كثيراً من الادوات الحجرية وعظام الحيوانات المنقرضة ولما وصل في الحفر الى عمق ٨ اقدام وجد جزءًا كبيراً من جمجمة انسان تدل الدلائل على انها من جماجم اناس اقاموا في فلسطين قبل ان دخلها بنو اسرائيل بعشرين الف سنة الى اربعين الف سنة لانهُ وجد هناك اكثر من ٤٠٠ قطعة من

ادوات الصوان المماثلة للادوات التي كان يستعملها الناس قبل العصر الجليدي الاخير ولم تكشف آثارهم قبل الآن في غير اوربا اما الآن فكشفت في فلسطين وفي صحراء غوبي كما جاء في المقالة المشار اليها آنفاً. هذا وفي اماكن كثيرة من لبنان مغاور عميقة كمغارة نهر الكلب ومغارة انطلياس فقد وجد ترستِرم في مغارة نهر الكلب عظام حيوانات لا تعيش اليوم في لبنان بل في الاصقاع الشمالية دلالة على انها من العصر الجليدي الاخير ووجد في مغارة انطلياس عظام حيوانات تحجرت الرواسب عليها واسنة وسكاكين من الصوان دلالة على ان اناساً من العصر الحجري سكنوها وقد شُرح ذلك في خطبة الاستاذ دوصن في المجلد الثامن من المقتطف صفحة ٤٢٢. ووجدنا نحن مئات من رؤوس السهام الصوانية في بقعة في رمل بيروت بعد ان سفت الرياح الرمال عنها .

ماء مدغسكر الحار وغازاته

ذكر بعض العلماء في اكادمية العلوم بباريس ان بعض المياه الحارة التي تنبع في مدغسكر فيها اكسيد الكربون الثاني وغاز الارغون وفي واحد منها قليل من غاز الهليوم وفي تربة اكثرها كثير من المواد المشعة ولذلك ينتظر ان يكون فيها كثير من الهليوم

معرض فلادلفيا واستقلال اميركا

تحتفل الولايات المتحدة الاميركية بانقضاء مائة وخمسين سنة على اعلان استقلالها وقد اعدت لذلك معرضاً دوليًّا فخماً اقيمت مبانيهِ في مدينة فلادلفيا وهي المدينة التي وقِّعت فيها وثيقة الاستقلال سنة ١٧٧٦ تفتح ابوابهُ في اول يونيو ١٩٢٦ ويستمر الى اول دسمبر التالي

اقيمت مباني المعرض على بقعة من الارض مساحتها ٦٧٠ فداناً تطل على نهر الدلاوار وهو النهر الذي اجتازهُ وشنطن بجنودهِ في ليلٍ مطير واقبل على الجيش الانكليزي فجأَة فحاربهُ وانتصر عليهِ

وتبلغ المساحة المخصصة لعرض المعروضات ٨٣ فداناً وهي كثيرة ارسلت الى فلادلفيا من انحاء الولايات المتحدة ومن جميع الدول التي دعيت الى المعرض ولبت الدعوة وهي بلاد الانكليز وفرنسا وايطاليا والمانيا واليابان والصين ونروج واسوج ودنمارك وبلجكا وهولاندا وتركيا وبولونيا والمجر والمكسيك والجزائر وشيلي وهايتي ونيكاراغوى وبناما وليبريا وتشكوسلوفاكيا ومصر. فمساحة البناية التي شيدت لعرض المعروضات الميكانيكية والمعدنية والكهربائية ١٥ فداناً ومساحة بناية المصنوعات ١٩ فداناً تليها بناية المواصلات ومساحتها ٩ افدنة فبناية

الفنون الحرة ومساحتها ٨ افدنة ونصف فدان ومثلها كلٌّ من بنايتي الزراعة والاطعمة . ويلي ذلك قصر التعليم ومساحتهُ ٥ افدنة اما القصر الذي بني خصيصاً لعرض الاتوموبيلات فقد عني بتشييدهِ عناية خاصة لانهُ من المباني التي ستبقى قائمة بعد انتهاء المعرض وزوال مبانيهِ . طول هذا القصر الف قدم وعرضهُ ٢٥٠ قدماً وفيهِ ردهة مساحتها ٢٥٠ الف قدم مربعة خالية من الاعمدة لعرض الاتومو بيلات . والراجح ان معرض الاتومو بيلات هذا سيكون اكبر معرض من نوعهِ في تاريخ صناعة الاتوموبيلات ومن معروضاتهِ اقدم الاتوموبيلات التي صنعت . وقد اعدت المعدات خارجهُ وعلى مقربة منهُ لوقوف ٧٠ الف اتوموبيل من غير ان يعيق وقوفها حركة المرور والنقل

وقد اقيم في ارض المعرض برج يفري باشعتهِ حلك الظلام حتى ليستطيع سكان نيو يورك ان يروا نورهُ ونيو يورك تبعد ٩٠ ميلاً عن فلادلفيا

اما متحف الفنون فحدّث عنهُ ولا حرج أنفق الاميركيون على بنائهِ فقط نحو ١٤ مليون ريال اي نحو ٣ ملايين جنيه عدا ما انفق على تأثيثهِ وفرشهِ وعدا ما يعرض فيهِ من درر الفنون سواءٌ في التصوير او النحت او غيرهما

ويعدُّ القائمون بأمر المعرض مشهداً لمباراة الالعاب فيهِ متسع لمائة الف من المشاهدين جلوساً ولمائة الف اخرى وقوفاً فيكون اكبر بناءٍ من نوعهِ يفوق مشهد ومبلي الذي اقيم في معرض ومبلي من سنتين

ومما يهم السيدات انهُ اقيم في هذا المعرض بناءٌ دعي « هيكل الازياء » مساحتهُ ١٠ افدنة تعرض فيهِ ازياء اللباس في مختلف الامم وتغيرها ونشوء لباس المرأة من اقدم العصور الى وقتنا هذا وما الى ذلك من ادوات الزينة والاثاث كالسجاد النادر والاردية النفيسة وغيرها

وقد اشتركت الولايات المتحدة في هذا المعرض حكومة وشعباً اشتراكاً فعالاً يكفل لهُ نجاحاً باهراً

غابات اميركا

كانت مساحة الغابات في اميركا ٨٢٢ مليون فدان اي اكثر من مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري ١٥٠ ضعفاً لكن الاميركيين جاروا عليها بالقطع سنة بعد سنة للبناء والتصدير فلم يبقَ منها الآن سوى ٤٦٣ مليون فدان ويبلغ ما يستعمل من الخشب في اميركا سنويًّا ٢٥ الف مليون قدم مكعبة وليس في الغابات الباقية الاَّ نحو ٢٢١٤ الف مليون متر مكعب والزيادة السنويهُ بالنمو والزرع ليست اكثر من

ستة آلاف مليون متر مكعب اي يقطع من الغابات كل سنة اكثر من اربعة اضعاف ما يزيد فيها فدعت الحال الى معالجة الخشب الذي يقطع بالكربوسوت وكلوريد الزنك وبوسائل اخرى حتى يقل بلاهُ وتزيد مقاومتهُ لاسباب البلى والتلف . ويقال ان هذه المعالجة تجعل حياة الخشب مضاعف ما كانت قبلاً فان متوسط حياة الخشب الذي لم يعالج سبع سنوات ونصف سنة واما متوسط حياة الخشب المعالج فخمس عشرة سنة او اكثر . واذا دفن الخشب في الارض كاسفل الاعمدة الخشبية فانهُ اذا كان معالجاً اقام ٣٠ سنة الى اربعين واذا كان غير معالج بلي في سنتين الى خمس سنوات

المشتري وزحل

المشتري وزحل من السيارات التي ترى الآن في السماء وهما اكبر السيارات لكن مادتهما لطيفة فثقل المتر المكعب من الكرة الارضية اكثر من خمسة اطنان واما ثقل المتر المكعب من المشتري فطن وثلث ومن زحل فسبعة اعشار الطن اي انهُ اخف من الماء . واذا كان هذا متوسط ثقل المتر المكعب من كلٍ منهما فثقل المتر في القسم السطحي يجب ان يكون اقل من ذلك كثيراً لان باطن السيار يجب ان يكون اكثف من ظاهرهِ ولا يبعد ان يكون سطح كلٍ منهما غازيًا الى عمق الوف من الاميال .

وقد بيَّن العالم جفرس ان قلب المشتري وقطرهُ ٥٨٠٠٠ ميل كثافتهُ مثل كثافة صخور الارض وحول هذا القلب طبقة سمكها ١٠٠٠٠ ميل مثل الجليد وحولها طبقة لطيفة جدًّا سمكها ٤٠٠٠ ميل اما قلب زحل فقطرهُ ١٢٠٠٠ ميل وحولهُ جوٌّ علوهُ ٨٥٠٠ ميل . ولا تبقى مادة السيار لطيفة الى هذا الحد الا اذا كان باطنهُ شديد الحرارة

النفقات الحربية لهذه السنة

خصصت حكومة الولايات المتحدة ٦٥٠٠٠٠٠ ريال لانشاء ١١٦ طيارة حربية و ٢٦١ آلة لادارتها في سنة ١٩٢٦ المالية و ٣٧٠٠٠٠٠ ريال لانشاء مائة طيارة لالقاء القنابل و ٢٧ طيارة من التي تحط في البر والبحر

وانقصت الحكومة الانكليزية مليوني جنيه من المقرر لحربيتها فصار ٥٢٤٢٠٠٠٠ جنيه وانقصت المقرر لبحريتها ١٠٠ ٢٤٠٠ جنيه فصار ٥٨١٠٠٠٠٠ جنيه . ولكن المقرر للطيارات الحربية كان ١٥٥١٣٠١٠ جنيهات في السنة الماضية فصار ١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه هذه السنة . فالهمة مبذولة في البلادين لتعزيز الطيارات الحربية

القوة من المد والجزر

يعلو ماء الاوقيانوس امتاراً كثيرة بالمد ثم ينخفض بالجزر وقد خطر على بال كثيرين ان يستفيدوا من ذلك باقامة حاجز على شاطىء الاوقيانوس لهُ باب يدخل الماء منهُ وقت المد ويخرج وقت الجزر فيحرك آلة بدخوله وخروجهِ ولكن لم يقم احد بعمل كبير مثل هذا حتى الآن. الاَّ ان مهندساً اميركيًا مشهوراً وضع مشروعاً واختار لهُ مكاناً عند ساحل ولاية ماين من ولايات اميركا وقدَّر انهُ يمكن ان تكون منهُ قوة تساوي خمسماية الف حصان ولكن النفقات اللازمة لهُ تبلغ نحو عشرين مليون جنيه

ادمغة الناس والقرود

خطب الدكتور اليوت سمث في جمعية منشستر الفلسفية الادبية في هذا الموضوع فقال ان اسلاف الانسان لم يكن في امكانهم ان يمرنوا عيونهم على النظر واذانهم على السمع لولا مهارتهم في استعمال ايديهم الاستعمال الذي يتناول التعلُّم بالاختبار. فان امتياز الانسان على غيرهِ من انواع الحيوان اساسهُ مقدرة الانسان على رؤْية الاشياء والحوادث التي حولهُ وفهمهِ شيئاً من مدلولاتها وسرورهِ بما يُسَرُّ بهِ. والبصر اهم وسيلة للاختيار الجنسي وهو السبيل اللازم للسلوك ولهُ اثر اهم في الافكار والافعال ولو كان اثرهُ غير ظاهر للعيان وهو (اي البصر) يساعد الانسان على غير انتباه منهُ على التحكم في اوضاع قامتهِ وحركات عضلاتهِ التحكم الذي هو اساس المهارة في اعمالهِ. فان انتصاب قامتهِ مرتبط بفعل عينيهِ ودماغهِ. واننا نري في درس ادمغة القرود ما يرشدنا الى كيفية ارتقاء حاسة البصر في الانسان فان جماجم الشعوب القديمة المنقرضة تدلُّ على ان الارتقاء المتدرج الذي نراهُ الآن في جماجم طوائف القرود كان ايضاً في طوائف الناس الاقدمين وانهُ شبيه بما نراهُ في جماجم اولادنا وهم يتقدمون في السن

نقل الصور باللاسلكي

يرتقي هذا الفن ارتقاء سريعاً فقد نشرت جريدة الوست منستر غازت الانكليزية صورة للمستر كولدج وزوجتهِ نقلت باللاسلكي من نيو يورك في خمسين دقيقة فتكون قد استغرقت من الوقت ١٤ دقيقة اقل مما استغرقهُ نقل صورة البرنس اوف و يلس من لندن الى نيو يورك ونشرت في جرائد اميركية كثيرة . ونشرت جريدة الهرلد النيويوركية صورة سباق من سباقات الخيل ببلاد الانكليز نقلت من اوربا الى اميركا باللاسلكي . ونشرت جريدة الورلد

النيويوركية صورة لاسلكية لمستر بولدين رئيس الوزارة الانكليزية ونشرت جريدة النيويورك تيمس صورة جماعة من الذين حضروا مأدبة اقيمت للورد ردنغ حاكم الهند سابقاً فامكنت معرفة كل الاشخاص الذين ظهروا فيها . وقد اتفقت شركة الراديو كوربورايشن الاميركية مع شركة مركوني اللاسلكية على نقل الصور باللاسلكي من اوربا الى اميركا او من اميركا الى اوربا لمن يريد ذلك ونفقات الصورة التي طولها ثلاث بوصات وعرضها اربع بوصات ونصف بوصة ١٠ جنيهات

السرطان والنساء

ظهر بالاستقراء ان وفيات النساء من سرطان الثدي وسرطان الرحم اكثر في انكلترا منها في هولندا وايطاليا فعينت جمعية الامم لجنة دولية للبحث في سبب ذلك فبحثت وادمجت نتائج بحثها في تقرير مسهب خلاصتهُ اولاً صحة ما قيل من ان وفيات النساء بسرطان الثدي او الرحم اكثر في انكلترا منها في هولندا او ايطاليا. ووجدت ان وفيات السرطان تختلف في انحاء كل بلاد منها فسرطان الثدي اكثر في الشرق والجنوب منهُ في الغرب والشمال . وفي هولندا اكثر في الساحل الغربي منهُ في غيرهِ وفي ايطاليا اكثر الى الشمال من رومية. وثانياً ان سرطان الثدي يكون في غير المتزوجات اكثر منهُ في المتزوجات وسرطان الرحم يكون في المتزوجات اكثر منهُ في غير المتزوجات . واللواتي يصيبهن السرطان في الثدي او الرحم يكن اقل اولاداً من اللواتي لا يصيبهن . وقد بحثت اللجنة عن سبب ذلك فلم تجد لهُ سبباً معقولاً

الفحم الحجري

ان السبب الاكبر لثروة البلاد الانكليزية كثرة ما فيها من الفحم الحجري فانهُ اساس القوة والقوة اساس تقدم الصناعة . ويبلغ ما يستخرج من الفحم الحجري من الارض كلها اكثر من ١١٦٨ مليون طن فمن اوربا نحو ٥٥٠ مليون طن ومن اميركا ٥٤٠ مليون طن ومن اسيا ٧٠ مليون طن ومن استراليا ٢٠ مليون طن ومن افريقية ١١ مليون طن اما اوربا فاكثر من نصف فحمها من انكلترا وتتلوها المانيا ففرنسا فروسيا فبلجكا فبولونيا واما اميركا فكل فحمها تقريباً من الولايات المتحدة

الحديد

وما يقال عن الفحم الحجري يقال عن الحديد فان الولايات المتحدة في مقدمة البلدان بما يستخرج منها من الحديد سنوياً فانهُ قد يزيد على ٤٠ مليون طن وتتلوها المانيا فيستخرج

منها في السنة نحو ١٨ مليون طن فانكلترا ويستخرج منها نحو ٨ ملايين طن ففرنسا و يستخرج منها نحو خمسة ملايين طن فبلجكا و يستخرج منها نحو مليونين ونصف مليون طن . وهذه البلدان صارت صناعية لكثرة الفحم والحديد فيها

سكك الحديد في ايران

اقرَّ مجلس النواب الفارسي مدَّ سكك الحديد من طهران الى خانقين والمحمرة ودزداب في اقصى الجنوب والى استراباد على بحر قزبين وستنشأ هذه السكك باموال ايران لا باموال شركات اجنبية حتى لا يكون للدول الاجنبية شأن فيها . ولكن استعمال الطيارات بين طهران وانزلي المسماة الآن بهلوي اعطي امتيازاً لشركة اجنبية

موسم القطن الحالي

في الجدول الذي نشرناهُ في آخر باب الزراعة امور ختم الباب قبلما شرحناها وهي اولاً ان ضرر دودة اللوز القرنفلية او الحمراء اشتدَّ منذ سنة ١٩١٤ بزيادة انتشارها وثانياً ان تحديد زمام القطن بالثلث كان سنة ١٩١٥ و١٩١٨ و١٩٢١ وفي كل سنة من هذه السنوات الثلاث هبط المحصول الى اقل من خمسة ملايين قنطار مع انهُ كان يتراوح في غيرها بين ستة ملايين واكثر من سبعة ملايين . وقد قيد زمام الزراعة في سنتنا الحاضرة بالثلث فاذا لم يزد الموسم على خمسة ملايين قنطار كما يرجح استنزفت المعامل الموسم كلهُ واكثر ما يحتمل ان يبقى من الموسم الحالي

مستقبل الارض والنظام الشمسي

كتب الاستاذ وليم دنكن مكملن في السينتفك اميركان شارحاً المذهب الجديد لتكون السيارات مذهب تشمبرلين الذي شرحناهُ في وقتهِ وختم مقالتهُ بقولهِ ان السيارات الصغيرة كالارض والزهرة ستعود الى الشمس وتتحد بها و يزيد جرم المشتري بما يقع عليهِ من الرجم فيصير النظام الشمسي نجماً مزدوجاً من الشمس والمشتري او مجموعاً من بضع نجوم كبيرة كبعض مجاميع النجوم

اليهود في فلسطين

يظهر من احصاء المهاجرة الى فلسطين انهُ هاجر اليها ٣٣٣٠١ من اليهود سنة ١٩٢٥ خمسة عشر الفاً منهم من بولونيا وهاجر منها ٢١٤١ فتكون زيادة اليهود فيها في السنة الماضية بالمهاجرة ٣١٦٦٠ فاذا استمرت المهاجرة السنوية اليها على هذه النسبة ثلاثين سنة صار عددهم فيها اكثر من عدد المسلمين والمسيحيين

الجزء السادس من المجلد الثامن والستين

صفحة

